الشيعة في المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني

العهد السعودي

١٩١٣ - ١٩٩١م

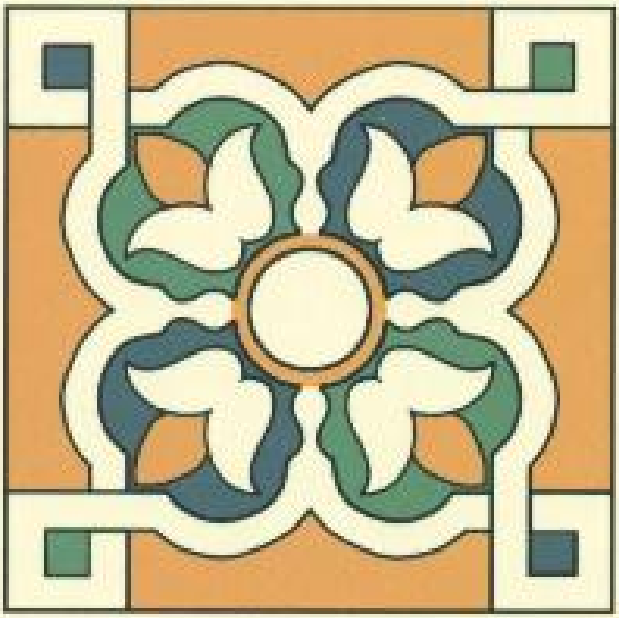

حمزة الحسن

دار الساقي

کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران

الشيعة في المملكة العربية السعودية

العهد السعودي

١٩١٣ - ١٩٩١م

حمزة الحسن

الجزء الثاني

مؤسسة البقيع لإحياء التراث

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا يُحبُ اللهالجهْرَ بالسُّؤ منَ القولِ إلَّا من ظُلِمَ
وكان اللهسميعاً عليما ﴾

النساء ـ ١٤٨

الجزء الثاني

العهد السعودي (١٩١٣ ـ ١٩٩١)

الاحتلال (١٩١٣)

الروايات السعودية حول كيفيّة إحتلال الأحساء والقطيف متعدّدة ومتضاربة في كثير من الأحيان، رغم أن مصدر المعلومات كان واحدا في الغالب، وهو إبن سعود نفسه. ومردّ هذا التضارب، هو أن الملك السعودي يروي كيفية إحتلاله كلّ مرّة بطريقة مختلفة حسب مزاجه الشخصي، أو حسب ظروف الطرف المستمع.. وقد لاحظ المؤلف الانجليزي روبرت ليسي كثرة الروايات في إحتلال إبن سعود للرياض وتناقضها، وقال بأن الملك يحب أن يضيف ويحذف كلّ مرّة، وضرب أمثلة عديدة يمكن الرجوع إليها في كتابه.

تقول بعض الكتب السعودية [1]، أن الملك عبد العزيز غادر الرياض في ربيع الأول ١٣٣١هـ وتوجّه الى الأحساء لاحتلالها، فلمّا صار قريبا منها، قابل ضابطا بريطانيا إسمه «جيرارد ليتشمن»، وكان قادما من دمشق بزي جغرافي، وقد إتهمه السعوديون في كتبهم الحديثة بأنّه «جاسوس تركي» جاء ليتجسّس عليهم، وليعرفوا تحركات إبن سعود المريبة!.

وتقول الرواية السعودية أن الكولونيل البريطاني ليتشمن طلب من إبن سعود مساعدته في إجتياز الربع الخالي من واحة يبرين الى عمان، فأجابه بأن الأتراك هم أصحاب الأحساء، والأمر لهم، وأنه سيكتب له تزكية ويرسلها إلى المتصرف التركي في الهفوف. وتمضي الرواية فتقول أن إبن سعود إستخدم ليتشمن «الجاسوس التركي» رغم جنسيته البريطانية!، لتضليل الأتراك، وإزاحة الريب الذي ساورهم من قدومه قرب الأحساء.

غير ان المستشرق الروسي «فاسيلييف» يقدّم تفسيرا يتفق مع السياق العام للأحداث فيقول: «وقبل أن يبدأ ـ إبن سعود ـ هذه الحملة تقابل مع الضابط الانجليزي ليتشمان، ولعلّه أخبره بخطّة الهجوم على الأتراك» [2]. وكان إبن السعود قد حصل على أسلحة بريطانية حديثة من نوع «أم ـ ١١»، لعلّها هي تلك التي أشار إليها شكسبير في تقرير «١٥ مايو ١٩١٣»، والتي جاءته عبر

الشارقة، وقد احتجزت الشحنة، إلى أن علموا أنها متوجهة لابن سعود، فسمحوا لها بالمرور، رغم إداعاءات الانجليز بأنهم يحاربون تجارة تهريب السلاح.

وكان على إبن سعود قبل أن يحتلّ الأحساء، أن يبعد العجمان عن بادية الأحساء، فهؤلاء رغم الاتفاق مع إبن سعود في مواجهة الأتراك، ما كانوا ليقبلوا بتجريدهم من سلطتهم هناك دون مقابل، ومع تاريخ الثقة بين العجمان من جهة وإبن سعود وعمه سعود الفيصل من جهة اخرى، إلاّ أن سحب الارتياب لم تنقشع، بل كانت تتراكم كلّما تضاربت المصالح، بين أمير حاكم له مطامح لا حدود لها في التوسع، وبين قبيلة قويّة شابّة حققت الكثير من السيطرة على الحضر، وبدو القبائل الأخرى.

كان على إبن سعود إبعاد العجمان، طالما أنه لا يريد مشاركتهم في المغنم، وطالما أنه ليس بحاجة إليهم بعد أن أدّوا دورهم في تخريب أمن المنطقة.. وكان من الصعب على الحاكم السعودي فوق ذلك أن يحتل منطقة بحجة إعادة الأمن، بينما هو يهاجمها بقوات قبيلة كانت أساس إضطرابه.. من هنا كانت الحاجة في إبعاد قوة العجمان عن البادية الأحسائية، بحجّة أو بأخرى، وإلاّ فان الاصطدام سيقع مبكرا لا محالة.

وهكذا سار إبن سعود في ربيع الأول ١٣٣١هـ على رأس قوّة صغيرة من الرياض قاصدا الأحساء، مخفيا أمر هجومه لاحتلالها، ونزل على ماء «الخفس»، وكان لا بد أن يقدّم مبررا لهذا التقدّم نحو الشرق، فأشاع أنه يريد تأديب بعض القبائل «المذنبة!»وأنه جاء ليشتري بعض السلع.

وفي بداية الأمر أغار على قبائل بني مرة-حلفائه بالأمس القريب جدّا-بحجة أنها «ارتكبت بعض الذنوب، وصادر مواشيها، وتقدّم نحو الأحساء» (٣). لكن الأتراك، وكما تشير المعلومات السعودية شكّوا في أمره، فأرسلوا إليه يسألونه عن سبب مقدمه، فقال أنه جاء لشراء بعض الأمتعة والزاد، وأنه سيعود، وفعلا عاد وحده الى الرياض وبقي جيشه في مكانه. وفي الرياض قابل الضابط البريطاني ليتشمن، ثم عاد مسرعا الى حيث تعسكر قواته.

كان أول عمل قام به إبن سعود هو إبعاد العجمان، بحجّة مضحكة ذكرها أحد الكتاب السعوديين، هي أنهم «ذوو مطامع سياسية في الحساء» (٤). ولأن العجمان كانوا على خلاف شديد مع عشائر مطير، فقد أرسل إبن سعود رسولا الى العجمان يخبرهم أنه سيغير على عشائر مطير وأنه يريد معاونتهم، وحدّد لهم موعدا يلتقي بهم على مسيرة أيام عديدة شمال الأحساء. وحين علم إبن سعود أنهم خدعوا بقوله، وأنهم تركوا البادية متجهين شمالا، زحف بسرعة كبرى حتى وصل الى عين نجم في طرف الأحساء.

وهناك التقى سرّا بعدد من أتباعه النجديين المقيمين في الأحساء، كيوسف بن سويلم وأبناء القصيبي، وطلب منهم آخر المعلومات عن الحراسات في الكوت، وأي الجهات أسهل في المهاجمة، فأعلموه بما هنالك من عقبات، لا سيما السور وكثرة الحرس. واتفق معهم أن يبلغوا أتباعهم على أن يتمّ إحتلال الهفوف ليلة الخامس من جمادى الأولى ١٣٣١هـ، الموافق للثاني عشر من أبريل ١٩١٣، وحدّدت ناحية «سمحاء» ليكون منها التسلل، لقلّة أبراج الحراسة وضعفها (٥).

وقد سبق ـ كما أشار بنوا ميشان ـ أن أرسل جواسيس إبن سعود في الأحساء، من أن النجديين مستعدون لمساعدته في إحتلال المنطقة، إذا ما جاء بقوة كافية، وهكذا تمّت عمليّة الإحتلال بسهولة (٦).

كان جيش إبن سعود لا يزيد كثيرا عن ٣٠٠ رجل، وقد كان حشد هذا العدد القليل من الجند محسوبا، لأنه لم يقرر الاصطدام المباشر مع التحصينات التركية، إنّما القيام بعمليّة إنقلاب تكون فيها الخسائر البشريّة قليلة، وتعطي نتيجة سريعة ومباغتة، وكان يخطر في مخيلة الحاكم السعودي أن لا يستثير الأتراك بإيجاد خسائر كثيرة في الارواح، مما يدفعهم الى تجريد حملة إعادة إعتبار تنتهي بهزيمته.. وقد أشار شكسبير في أحد تقاريره إلى أن السعوديين يريدون العمليّة أن تكون مباغتة، وكانوا يفكرون في كيفية جعلها غير دمويّة.

قسّم إبن سعود جيشه الى ثلاثة اقسام، قسم يستولي على باب السور، وقسم يسير الى بيت المتصرف لاعتقاله، وقسم يحتل الأبراج والحامية، وهو القسم الأكبر. على أن يبقى إبن سعود خارج السور ريثما تنتهي العمليّة.

وبدأت عمليّة تسلّق السور بالحبال وجذوع النخل، كما كان مخططا بمساعدة النجديين في الأحساء، وتمّت عملية السيطرة على ما جاور حصني الكوت والهفوف، اللذين أصبحا قلعة للاتراك. ومع أن الخطة فشلت في إحتلال الأبراج وفي إعتقال المتصرف الذي إنضمّ الى الحصون، وأمر باطلاق بعض طلقات المدافع لتخويف المهاجمين، إلاّ أنه لم يتصرّم اليوم التالي حتى كان كل شيء منتهيا.

فقد حوصر الجنود الأتراك، وأمر عبد العزيز بتجريد حملة نفسيّة ضدهم وضد الأهالي لتثبيطهم عن المقاومة.. وبدأ المنادي فجر ذلك اليوم بالأعلان في الشوارع أن «المُلك لعبد العزيز»، وأرسل الأمير السعودي الى المتصرف مهدّدا، بأن يستسلم ويرحل بأمان.

ولاعطاء تهديده طابع الجديّة، وضع كميّة من الذخيرة لتفجير مسجد «ابراهيم»، وفي نفس الوقت أجبر عددا من الوجهاء على تسليم رسائل الى المتصرف المحاصر تطلب منه التسليم، وتخوّفه من المسؤولية التي تقع على عاتقه إن لم يفعل، وأن الأهالي لا يريدون الحرب، وليست لهم قدرة

عليها .. الخ . ووصل الأمر أن أجبر مجتهد الشيعة الأكبر في الأحساء الشيخ موسى بو خمسين أن يكتب رسالة بهذا المضمون .

على أن المتصرف والجنود الأتراك كانوا هلعين ، وقد زادتهم عمليّة الهجوم المفاجئة حيرة وذهولا ، وجاء الحصار ليقطعهم عمّا يجري من أحداث وتفاعلات يهمّهم الاطلاع عليها ومعرفتها . فحتى ذلك الحين لم يكن الجنود المحاصرون يعلمون عدد القوة المهاجمة والمحاصرة لهم ، ولا يعلمون على وجه اليقين كيف كان رد فعل الأهالي ، وإلى أي حدّ يسيطر إبن سعود على الوضع .

لم يكن بإمكان الأتراك المقاومة ، فأعلنوا الخضوع ووافقوا على الاستسلام والترحيل بأمان ، وصادر إبن سعود كل أسلحتهم الثقيلة ، وجمع لهم القوارب ورحّل عائلات الجنود والموظفين إلى البصرة ، أمّا الجنود فرحّلوا إلى البحرين لتقلّهم السفن التركية إلى البصرة ، وكان عددهم حوالي ٤٠٠ جندي وموظف ، لكنهم إكتشفوا في البحرين بعد خروجهم من الطوق أن إبن سعود هاجمهم بثلاثمائة جندي فقط ، فحاولوا العودة لاحتلال الأحساء عن طريق إنزال عسكري في ميناءي القطيف والعقير ، ولكنهم فشلوا وقتل منهم عدّة رجال .

وفي صباح السادس من ٠جمادى الاولى ١٣٣١هـ ، الموافق ١٩١٣/٤/١٢ ، عُقد إتفاق في بيت أحد أعضاء أسرة آل الملاّ ، بين زعماء الشيعة في الأحساء وبين إبن سعود .. وقيل أن الأخير عاتب الشيخ موسى بو خمسين على عدم التعاون ، فأجابه بأن دماء الأهالي أمانة في عنقه ، وأنه مسؤول عنها أمام الله ، وأنه لم يشأ المجازفة بإهدار الدم طالما كانت هناك سلطتان في الأحساء .

وحين وقّع الاتفاق ، نصّ بإصرار على «ضمان حريّة الأهالي الدينية» وعلى «ضمان إعادة الأمن ونشر العدل» مقابل الامتثال والطاعة . وقد صيغت الاتفاقية بلغة دينية ، ذلك أن الموقعين على الاتفاق كانوا في الأغلب من رجال الدين ، ثم أن ضمان حريّة الأهالي الدينية راجع إلى تجربة الشيعة في الأحساء والقطيف المريرة مع الحكم السعودي ، فكان الضمان يعني عدم التعرّض أو التدخل في شؤون عقائد الشيعة بالقوة والإكراه والشتم والإهانة ، وقد وافق إبن سعود على ذلك ، وعلى الشروط الأخرى لأنّها في الواقع لا تكلّفه شيئا ، فالهدف بالنسبة إليه هو إحتلال الأحساء ، والاستفادة من خيراتها في بناء مملكته ، ثم أن هذه الشروط لا تتعارض مع سلطة إبن سعود المطلقة ، وهو لم يدخل الأحساء فاتحا بإسم الدين والاسلام ، لأنّ الراية الدينيّة لم تُرفع إلاّ بعد ظهور الإخوان .

ومن المهم ملاحظة أن زعماء الشيعة لم يضعوا أية شرط إقتصادي ، كتحسين المعيشة ، لأن الأحساء كانت أغنى منطقة في الجزيرة العربية على

الاطلاق [٧].

نعم .. بعد سنوات قلائل وصلت الحالة المعيشية إلى الحضيض بسبب النهب والضرائب الباهظة، ومنذ ذلك الحين بدأت المطالبة بالمساواة مع الآخرين في الضرائب والخدمات .. ولا تزال المنطقة بعد سبعين عاما من الإحتلال تقدّم نفس المطالب وحتى اليوم [٨].

لقد كانت فرحة إبن سعود كبيرة بإحتلال الأحساء، وممّا زاد في سروره أنه استولى على مبلغ «عشرة آلاف ريال فقط» كانت في خزينة الأتراك .. قال إبن سعود: «هاجمت الأحساء على غفلة، واستوليت عليها بعد معركة فاصلة. وبعد إنتهاء المعركة وأنا على فرسي[٩]، جاءني إبراهيم القصيبي برجل قدّمه لي، وقال: إنه محمد أفندي، مدير مالية الحسا. فسلّم هذا علي وقال: يا طويل العمر!، يوجد في القصر عشرة آلاف ريال. قلت: عسى ألا تكون قد نهبت!، فقال: لا. أنا مررت بالقصر ووجدت الأقفال سليمة. فبعثت معه بعض رجالي، وقلت: حافظوا عليها إذا وجدتموها. وبعد ذهابه ترجّلت عن فرسي وسجدت لله شكرا، إذ ملّكني يوما من الأيّام عشرة آلاف ريال[١٠] [١١]

إحتلال القطيف

فور استسلام الجنود الأتراك، أرسل إبن سعود مفرزة لاحتلال القطيف، وبقي هو في الأحساء، وكان على رأس المفرزة عبد الرحمن بن سويلم ومعه أحد العبيد لابن سعود إسمه خير الله. وقد جهّزت المفرزت برسالة من زعماء الشيعة في الأحساء تدعو شيعة القطيف لتسليم الأمر إلى الحاكم السعودي.

توالت الأنباء على القطيف عن سقوط الأحساء، وأن بعض الجند السعودي في طريقه إليها، وقد توافق في حينها أن أحد شخصيات القلعة بالقطيف قد توفي، وأقيمت له «الفاتحة»، وقيل أن المتوفى هو الحاج أحمد بن مسعود. وبعد أن فرغ الخطيب من التعزية، قام العلامة حسن علي البدر، أحد كبار المجتهدين في القطيف وأساطينها، قام خطيبا محذرا الجمهور من مخاطر تسليم البلاد لمن أسماهم بـ «الوهابيين» بحكم التجربة المريرة السابقة، وحث البدر الحاضرين من الأعيان والوجهاء على حمل السلاح والمقاومة، وأضاف بأن إبن سعود سيحتل القطيف إن هم تقاعسوا، وحينها إمّا أن يسلكوا مسلكه المذهبي، أو فلينتظروا منه الذلّ والهوان.

وصلت الأخبار إلى إبن سعود من أن العلاّمة البدر هو أقوى الجهات الدينية التي تثير الناس ضد إحتلاله القطيف .. ومع أن إحتلال الأحساء لا شك أنه مهّد لاحتلال القطيف، لان أي من الواحتين يعتبر بوابة للواحة الاخرى، فإن مقاومة اهالي القطيف كان يمكن أن تكون أكثر فاعلية لولا أن البدو كانوا قد

أضعفوا مقاومة الأهالي، ولولا أن القيادات المحليّة لم تكن مختلفة حول الموقف الذي كان عليهم أن يتخذوه في ذلك الظرف العصيب.

ورغم دعوة العلامة البدر الصريحة في المقاومة، إلاّ أن الاستجابة في تلك الظروف كانت شبه مستحيلة، لسوء أوضاع الشيعة من جانب، ولاختلال ميزان القوى، ولفقدان القيادة التي كان يمثلها المرحوم منصور بن جمعة، والذي توفي ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف.

ومع هذا لم تسقط القطيف إلاّ في ضحى التاسع من جمادى الثانية سنة ١٣٣١هـ، حيث إستمرت المفاوضات بين الأتراك والأعيان، وبين عبد الرحمن بن سويلم أسابيع عديدة.. أمّا قصة سقوطها، فكانت كالتالي:

قيل أن بعض المتحمسين للحكم السعودي، وفي مقدمتهم علي بن منصور بن أخوان، وعلي بن فارس، كتبوا إلى الحاكم السعودي، وهو في الأحساء أن يأتي ويأخذ القطيف، فجاء إبن سويلم ومعه ستة من المقاتلين «الفداوية» ونزلوا خارج مدينة سيهات، في الموضع المعروف حتى الآن باسم «المريقيب» وخيّموا هناك منتظرين ما تسفر عنه المفاوضات بين الأتراك والأعيان.. ومعلوم أن سيهات هي بوابة القطيف من الجنوب، حيث لم تكن هناك مدينة تسبقها في الموقع، قبل أن تؤسس مدن النفط الحديثة كالدمام والخبر و بقيق وغيرها. ولعلّ هذا الموقع أثّر على الشخصيّة السيهاتية من حيث الحماسة والاندفاع، ذلك أن سكان هذه المدينة كانوا-بحكم الموقع-الضحيّة الأولى لكل الهجمات البدوية وغيرها على المنطقة، وكان عليهم أن يتصدّوا لها، وأن يتحملوا تبعاتها.

بعد ذلك أرسل إبن سويلم أحد «أخوياه» إلى زعيم سيهات حسين بن نصر حاملا رسالة اليه من الملك إبن سعود، ولكنه لم يجده لأنه كان في ذلك الحين يحضر سلسلة متواصلة من الاجتماعات مع بقيّة زعماء القطيف «علي أخوان، علي بن فارس، حسين الفرج، حسن بن سنبل، الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنيزي، عبد الحسين بن جمعة» لمناقشة المستجدات على الساحة مع قيادة الحامية التي لا يزيد عددها عن تسعين جنديا.

لهذا سلّم «الأخويا» الرسالة إلى رجل آخر ليوصلها إلى حسين بن نصر في القطيف، وكان متعذرا أن يجازف الأخويا فيذهب إلى القطيف التي لا تزال تحت السيطرة العثمانية.. وقد وصلت الرسالة أثناء الاجتماع مع مسؤول الحامية التركي، فأعلن الوجهاء إنفضاض الاجتماع للصلاة، ولتتاح لهم الفرصة لمناقشة الرسالة بعيدا عن قائد الحامية. وبعد الصلاة إجتمع الأعيان وناقشوا محتوى الرسالة، فظهر رأيان بين مؤيد لدخول إبن سعود مع شروط تحفظ للأهالي حقوقهم الدينية والمدنيّة، وبين معارض لأصل الموضوع، وكان يقف هذا الموقف المرحوم عبد الحسين بن جمعة، الذي أعلن صراحة

في الاجتماع المذكور : «أمّا أنا فسأغلق دروازة الكويكب» .. والدروازة هي بوابة سور القطيف الجنوبية ، وهي الناحية المتوقع أن تقدم منها السريّة السعودية .

وعلى أية حال فقد كان الرأي الغالب مع دخول إبن سعود ، ربما لأن الأجتماع لم تحضره العديد من القيادات والواجهات المعارضة ، وربما لأن الحالة السياسية كانت تجعل من المقاومة أمرا مستحيلا .

سارت الأمور باتجاه إقناع قائد الحامية التركية بالرحيل والتسليم «وقام الشيخ علي الخنيزي باقناعه بالتخلي للحكومة السعودية عن القطيف والانسحاب بجنده منها قبل أن يعرف القائد مقدار القوة السعودية ، التي لم تكن في الواقع أكثر من عشرة أشخاص فقط»(١٢) .

وكانت الحجّة أن الجنود لا قدرة لهم على المقاومة ، ثم أن مقاومة الأهالي - في ذلك الظرف - ستكون ضعيفة ، وأيضا لأن القوة التركية الرئيسية في الأحساء قد رحّلها إبن سعود سالمة إلى البحرين .

ردّ الوالي : ماذا أقول لحكومتي إن لم أقاوم ؟! .

هنا ردّ الوجهاء المؤيدون للحكم السعودي : نعطيك صك براءة ، بعدم قدرة البلاد على المقاومة ، لتبرر موقفك .

وقد تمنّع الوالي في البداية ، ولكنه إضطر للتسليم بسبب الالحاح ، وبسبب إندفاع بعض الوجهاء للتصعيد . فقد طلب علي أخوان من إبن عمّه حسن بن أخوان ، أن يستقبل إبن سويلم بصفة علنية في مدينة سيهات ، لإظهار التحدّي ، وقد إستقبله فعلا ، كما إستقبله عمدة سيهات ، وذلك قبل أن يرحل الأتراك .

ويصف لنا الشيخ عبد الله الخنيزي صورة من المفاوضات التي جرت بين الشيخ علي أبو عبد الكريم الخنيزي وقائد الحامية التركي ، وما قام به الأول من تثبيط لمعنويات الأتراك ، ورسم صورة قاتمة لمستقبلهم ، إن هم لم يرحلوا عن القطيف .. يقول :

«ولقد كان مترجمنا - الشيخ علي - عنصرا فعّالا في تمكين جلالة الملك إبن السعود من فتح القطيف بدون طلقة واحدة ، أو إراقة قطرة من دم ، ففي العام ١٣٣١ هـ ، وقد بدأ يتقلّص ظل الحكم التركي عن البلاد ، جمع اليوزباشي من جمع من أهالي القطيف وفي طليعتهم الأعيان ، عندما شاع توجه جلالة إبن السعود لاحتلال القطيف بعد أن احتل الأحساء ، وقد كانت إرادة اليوزباشي من هذا الجمع أن يقفوا إلى جانبه في صدّ جلالة إبن السعود ، وأن يستشف رأي فضيلة المفتي - الشيخ علي - فأجابه بما مؤدّاه : أن الواجب الشرعي يقضي بالمحافظة على الأرواح والأموال ، وأن الواجب الشرعي يقضي بهذه المحافظة مع توفر الشروط الدفاعية ، فكيف إذا لم يكن لها وجود . وهانحن أولاء نجد هذه الشروط غير متوفرة ، لتشعب قرى القطيف ، وبعد بعضها عن بعض ، وقلّة

عدد المدافعين في القرى عن أنفسهم ، واحتياجهم إلى قوات اخرى دفاعية توْمن لهم حياتهم ، وتحرسهم من الخطر المنتصب . وأنها لتفقد هذه القوة المحافظة الحارسة ، وأن الحكومة التركية لعاجزة عن القيام بهذه المهمّة الخطيرة ، بل هي عاجزة حتي عن حفظ وحراسة العاصمة «القلعة» ، فضلا عن غيرها من المدن .. فلهذه الأسباب المزدحمة الصارخة ، فان الدفاع والصمود يدلّ على عدم تقدير للعواقب ، وعلى ضآلة من الفكر والعقل «!»، لأنه يوجب تعريض النفوس إلى الهلاك ، وذلك ما لا يقدم عليه - في مثل هذه الحال - إلاّ من لا عقل له «!» . إذن فانه يفضل التسليم الموْقت للحكومة المحتلة ، إذ لا مناص عنه ، ولكن فهناك وسيلة أخرى .. فإذا كانت الحكومة قادرة ولديها من القوة ما تصمد بها أمام المحتل ، فإنها تستطيع - بعد إستعدادها لذلك - أن تعود الكرّة بعد التسليم الموْقت . فحمل اليوزباشي على الاقتناع بهذا ، وأخذ قول المفتي تقريرا من أهالي القطيف أجمع ، ليواجه به حكومته ، ويقوم له بالعذر لديها . وقد إستمر الحال في حصار وقلق واضطراب حتى فتح الأمير عبد الرحمن بن سويلم القطيف في ضحى يوم الخميس ، ٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ . وأعلنت حكومة الأمام «أمس» وصاحب الجلالة «اليوم» على القطر القطيفي»(١٣) ! .

رحلت الحامية التركية ، وعدد غير قليل من الموظفين الأتراك العاملين في الادارة المدنية عن طريق ميناء القطيف إلى البحرين .. وأصبح إبن سويلم «عبد الرحمن» أميرا للقطيف ، في حين تولى أخوه يوسف بن سويلم وكالة بيت المال ، ثم مالبث أن سلّمها إبن سعود إلى علي أخوان مكافأة له على مواقفه وتأييده .

وفي نفس الوقت رحل الآلاف من المواطنين إلى البحرين بشكل خاص ، في هجرة جماعيّة قلّ نظيرها في تاريخ هذه المنطقة ، هربا من الاضطهاد السياسي والعقائدي الذي كان متوقعا من الحكام الجدد .. وكان من بين الراحلين العلامة المرحوم حسن علي البدر . وللاسف فإن توقعات المهاجرين ، جاءت سريعة ، وبأسرع ممّا كان متوقعا ! .

مضت أسابيع قليلة من إستتباب زمام الأمر للحكام الجدد ، وبعدها جاء الملك عبدالعزيز إلى القطيف قادما من الأحساء ، فنزل البدراني ، واستقبل مجموعات غفيرة من المواطنين ، ومن الأعيان ، وأقيمت الولائم ، ثم عُقد إجتماع بين الوجهاء وبين الملك ، أسفر عن توقيع إتفاق بين الطرفين ، وقّعه الملك من جانب الحكومة ، والشيخ علي أبو عبد الكريم ممثلا للاهالي ، ينص في أحد بنوده وبتشديد على إحترام حريّة الأهالي الدينية .

وبدأت صفحة جديدة من تاريخ المنطقة ، بل من تاريخ المملكة السعودية الحديثة ، وأصبحت المنطقة الشرقيّة مصدر النعمة والخير والمال والثراء ، وهي أكبر وحدة جغرافية ، بل أكبر إقليم من أقاليم المملكة من حيث المساحة ،

وثالثها من حيث عدد السكان، وأخصبها من حيث الأرض، وأهمّها من حيث الموقع الجغرافي على الخليج العربي..كانت هكذا ولا تزال[١٤].

تفاصيل سقوط المنطقة في الوثائق البريطانية

لقد أشرنا في صفحات سابقة إلى تقرير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، الكابتن شكسبير، والذي أرسله متأخرا بعد إجتماعه مع إبن سعود، وقال فيه أن الأخير سيحتل الأحساء..ولم تمض سوى أيام قلائل حتى إضطر هذا الكابتن أن يرسل لرؤسائه مبلغا أن إبن سعود إحتل المنطقة، وأن مبعوثه جاء إلى الكويت مبشّرا بالفتح!.

بالطبع لم يكن هذا أول خبر يصل للانجليز عن إحتلال المنطقة، فقد كان هؤلاء يتابعون تفاصيل الموقف من الكويت والبحرين والبصرة، إضافة إلى اسطمبول نفسها ،ونتابع هنا تفاصيل الموقف الانجليزي من خلال تتبعهم هم للموقف.

ففي الثالث عشر من مايو ١٩١٣، أرسل المقيم البريطاني في بوشهر برقية الى السير إدوارد غري-وزير الخارجية البريطانية-تبلغه بسقوط الأحساء. تقول البرقية: «أرسل المعتمد السياسي في البحرين برقية عن طريق هنجام[١٥]، يقول فيها أنه طبقا لتقرير من مصدر موثوق، فقد إحتل إبن سعود الأحساء دون مقاومة. كما أن تقريرا إستقيت معلوماته من المسؤولين الأتراك في بوشهر الذين مرّوا من هنا في طريق عودتهم من البحرين على ظهر الباخرة الألمانية، يؤكد المعلومات الواردة أعلاه. ويضيف المعتمد أن إبن سعود يهدّد الآن القطيف والعقير»[١٦].

وفي ١٥ مايو ١٩١٣، بعث كوكس برقية أخرى الى وزارة الخارجية تتحدث عن معلومات تاريخها ١٢ مايو ١٩١٣. تقول البرقية: «تشير تقارير أخرى تلقيناها من المعتمد السياسي في البحرين مؤرخة في ١٢ مايو، الى أن حركة إنقلابية قد تمّ تنفيذها نتيجة تعاون أتباع إبن سعود داخل الهفوف معه. وقد وصل متصرف الأحساء ومعه الحامية الى العقير، كما أن المسؤولين الأتراك...قد غادروا المنطقة متوجهين الى البصرة عن طريق البحرين، وأن إبن سعود يجمع القوارب التجارية الآن لترحيل الحامية التركية»[١٧].

في العشرين من مايو ١٩١٣، كتب الكابتن شكسبير تقريرا مفصلا عن إحتلال الأحساء، إستقاه من مبعوث إبن سعود للكويت والذي أُرسل ليبلغ الأصدقاء هناك بخبر استيلائه على المنطقة.

قال شكسبير في تقريره لرئيسه المقيم «كوكس»: «..بعد أن أصبح إبن سعود على بعد مسافة خمس ساعات من الهفوف، طلب من زعماء قبائله أن

يبينوا بوضوح ما إذا كانوا يتفقون معه على أنه يجب إخراج الأتراك نهائيا والى الأبد أم لا ؟. ردّ الوجهاء والشيوخ بالقول أنهم مستعدون للسير خلف قيادته. وبعد ظهر ذلك اليوم، أسرّ إبن سعود لشيوخه أنه يحتاج لثلاثمائة رجل فقط، يُنتقون من النخبة للقيام بالهجوم الفعلي.

وحين تمّ إختيار هؤلاء تحرّك الجميع باتجاه الهفوف. وبعد وصول المجموعة الى نقطة تبعد مسافة ساعة أو أقل الى الغرب من الهفوف نفسها، بعيد غروب الشمس، تركت الجمال والخيول في مرابطها، ثم جمعت الحبال واتخذت بقية الاستعدادات».

«في ذلك المساء تحرك إبن سعود ورجاله سيرا على الأقدام الى أن إقتربوا من السور، وفي الساعة الثانية صباحا - أي بعد منتصف الليل - بدأت المجموعة في تسلّق السور، حيث رفعت الحبال بسرعة الى القمّة عن طريق رجال ركبوا أكتاف بعضهم البعض. وما أن تحقق وصول عدد كاف الى قمّة السور، حتى بدأت عملية تهدف الى فتح البوابة الغربية كي يدخل منها بقية الرجال. وحتى هذه اللحظة لم يشعر الحرس التركي بشيء».

ويمضي شكسبير في تقريره فيقول[١٨]: «وحين أُطلق صوت الانذار، بدأ تبادل إطلاق النار قرب البوابة، ربما مع حرس البوابة نفسها، وقد قتل في هذه المعركة ثمانية من الأتراك، وأربعة من رجال إبن سعود. هنا تقهقر الأتراك جميعا الى القلعة المركزية المعروفة بـ (الكوت)، في حين خرج السكان من بيوتهم ورحبوا بإبن سعود الذي أرسل بعد ذلك وفودا رافقها بعض وجهاء الأحساء الى المتصرف والقائد العسكري، ليبيّن لهما عقم محاولة المقاومة، ويعرضوا على الأتراك الخروج بسلام إن هم استسلموا على الفور، وقد وافق هؤلاء على مغادرة البلدة هم وما يملكون. كما تعهد إبن سعود بأن يسمح لهم بالاحتفاظ بأسلحتهم، وأن يزودهم بوسائل النقل الى الساحل. ولكنه أصرّ على وجوب مغادرة القوات التركية فورا، وأعطى مهلة يوم أو يومين لأولئك الأتراك الذين كانت ترافقهم عائلاتهم».

«استسلم المتصرف ظهر يوم الخامس من مايو، وقد قام إبن سعود حتى ذلك الوقت بإرسال الرسائل الى الفصائل المعسكرة في الأطراف داعياً إيّاها الى الاستسلام أيضا. وفي تلك الأثناء وضع إبن سعود يده على كنز تصل قيمته الى أربعين ألف دولار[١٩]، وعلى إثني عشر مدفعا من عيارات مختلفة، وعلى مدفعي مترواليوز، وكميّة كبيرة من البنادق والذخيرة الاحتياطيّة [٢٠]، كل هذه الغنائم استولى عليها إبن سعود داخل أبنية الحكومة الموجودة في القلعة المركزية - الكوت -»[٢١].

وأشار تقرير شكسبير الى دور الشيعة في الأحساء فقال أن إبن سعود: «أرسل الرسل الى القطيف يرافقهم وجهاء الشيعة، وكذلك مجتهد الشيعة

الأكبر في الأحساء[٢٢]، يحملون رسالة من المتصرف في الأحساء الى القائمقام في القطيف يأمره بالاستسلام، ولكن النتائج لم تعرف حتى الآن»[٢٣].

والمح التقرير الى أن إبن سعود قد إحتل العقير، واستبدل موظفي الجمارك الأتراك برجال من أعوانه، وأنه أصرّ على أن يغادر كل جندي وموظف تركي المنطقة وبأسرع وقت، وفي أقرب فرصة ممكنة.

وحول رأي شكسبير في الحدث، فقد زعم أنه فوجيء به، وقد أوضحنا في صفحات سابقة أنه أعطى الضوء الأخضر لابن سعود لاحتلال المنطقة.. يقول: «أقرّ وأعترف بالمفاجأة المباغتة التي تمّ فيها الهجوم، ففي حين كنت أتوقع أن يقع هذا الهجوم عاجلا أم آجلا، فقد تكوّن لدي إنطباع وشعور بأنه قد ينتظر حتى تتكشف له آثار حركات المطالبة بالحكم الذاتي النشطة في المقاطعات العربية الأخرى، قبل أن يقوم بهجومه. ومن نواح أخرى، يبدو واضحا بأن إبن سعود لم يكن ليجد فرصة أفضل من هذه، ولم يكن ليدير الأمور بمهارة أعظم وأكثر دهاء مما يبدو أنه قد حققه، حين أمّن الحصول على دعم ومساندة وجهاء الأحساء نفسها، وأصحاب المسؤولية من أهلها»[٢٤].

بعد ستة أيام من كتابة التقرير، كان السير بيرسي كوكس يبدي ملاحظاته عليه، ويرسله الى حكومة الهند. فلقد إستغرب كوكس من هجوم إبن سعود وتوقيته، وقال أن اللحظة كانت مثالية، وأن «علينا وعلى الأتراك الاعتراف بالأمر الواقع ومواجهته عمليا»، وهذا يعني الاعتراف بإبن سعود حاكما على الأحساء.

وقال كوكس[٢٥]: «من الصعب تصور كيف يمكن للباب العالي وخزينته خاوية والاضطرابات تتصاعد متزامنة في ولاية البصرة، أن يأمل على مدى المستقبل المنظور بأن يتحمّل مسؤولية القيام بأعمال تأديبية ضد إبن سعود. وعلى أية حال فاذا قام الأتراك بمحاولة لشن عمليات عسكرية من البحر، فاننا سنواجه على الفور بالسؤال الملح، فيما إذا كانت سياستنا في منطقة الخليج ستسمح لنا بأن نسكت عن مثل هذه الأعمال، والتي يحتمل كثيرا أن يثبت فشلها، بحيث ستخلف لنا إرثا من الاستياء والأسى المرير في نفس إبن سعود».

بعد هذا يقترح حلاً سياسيا للمشكلة دون إهراق دماء، بحيث تبقى الأحساء في يد إبن سعود، وإلاّ فان من الضروري التصدي للمحاولات التركية البحرية لمهاجمته.

في ١٨ مايو ١٩١٣، أبرق المعتمد السياسي في البحرين «بأنّ القطيف قد إستسلمت لابن سعود يوم ١٥ مايو ١٩١٣-٩/٦/١٣٣١هـ. وأن الحاميات التركية، والتي يتراوح عددها بين ٥٠٠-٦٠٠ رجل، استقلّت الباخرة التركية

جون أو سكوت، ووصلت الى البحرين يوم ١٨ مايو في طريقها الى البصرة»[٢٦].

وفي ٢٣ مايو ١٩١٣، بعث القنصل البريطاني في البصرة «كراو» الى السير ج. لوثر في القسطنطينية، بتقرير عن التحركات العسكرية وبعض التفاصيل عن الرواية التركية لأحداث الأحساء، فقال[٢٧]: «توجه ١٤٠ مجندا من بغداد والبصرة الى الحديدة على ظهر السفينة الروسية فيستا، كما توجه الكولونيل عبد الجبار ومعه ضابط آخر من الفوج ١١٢، وعشرة من الفارين من قوّة الأحساء يحملون ١٢٠ صندوقا من الذخائر، وذلك الى البحرين في طريقهم الى الأحساء، على ظهر البارجة البريطانية / الهندية بارودا، كان ذلك في العشرين من الشهر الحالي. ووصل عدد يتراوح بين ١٥٠-١٨٠ جنديا على ظهر القارب النهري بغداد من العمارة، للالتحاق بالخدمة في البصرة، التي وصلوها في الحادي والعشرين من الشهر الجاري. هذه المجموعة تابعة في الأصل لطابور غادرو التركي».

«أمّا الهفوف، عاصمة الأحساء، فقد إستسلمت لابن سعود يوم الخامس من الشهر الحالي، كما إستسلمت القطيف يوم الخامس عشر منه. وتوجهت الباخرة جون أو سكوت الى العقير والقطيف، وحملت حامية الأحساء ثم عادت الى البحرين يوم الثامن عشر من الشهر الحالي، وعليها عدد يتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ رجل من القوات التركية، وذلك طبق تقرير تلقيناه من المقيم السياسي في بوشهر، أما طبقا لوكلاء شركة الهند البريطانية، فلم يكن على ظهر الباخرة إلا ٣٠٠ رجل. ومن المتوقع أن تتوجه الباخرة الى البصرة في وقت قريب. ومن الملاحظ أن حامية الأحساء كانت تتألف في شهر ديسمبر ١٩١٢ من ٢٩٠ رجلا من الكتيبة الثالثة من الفوج ١١٢».

«على أنه في تقرير مؤرخ في الثالث عشر من مايو ١٩١٣، يقول متصرف الأحساء أن إبن سعود وقبائله إستطاعوا إحداث خرق في السور المحيط بالهفوف، ثم اقتحموا البلدة في الخامس من مايو. وهو يؤكد تقريره بأن الحامية قاومت وصمدت في ثكناتها، وحاربت طيلة عشرين ساعة متواصلة، وأن البلدة والقرى المحيطة بها قد سقطت في آخر الأمر بسبب «خيانة الأهالي». إلاّ أن تقارير أخرى تفيد بأن البلدة إستسلمت لقبائل العرب دون مقاومة. وفي رسالة بعث بها القائد العسكري لقوّة الأحساء الى القيادة هنا - البصرة -، قال أن الأحساء قد سقطت، وأن الجنود قد إستسلموا إنقاذا لحياتهم».

«أرسل وزير الداخلية التركي برقية يقول فيها أن السفينة التركية - الحميدية - غادرت عدن متوجهة الى البصرة، وأن القنصل التركي في بومباي، وردا على سؤال حول موعد عودة السفينة التركية - مارماريس -، قد

أبرق حسبما سمعنا محولا مبلغ ٩٠٠ روبية-٦٠٠ ليرة تركية-الى قائد البحرية التركية ليدفع ما تبقى من تكاليف إصلاح السفينة ، التي ستعود للبصرة بمجرد إستلام ذلك المبلغ»[٢٨].

وفي ٢٦ مايو ١٩١٣ ، بعثت معتمدية البحرين البريطانية بمعلومات إضافية عن عمليّة إحتلال الأحساء ، الى المقيم «كوكس» في بوشهر ، فأرسلها كوكس الى حكومة الهند-برقيا-في الثلاثين من مايو وهي تحوي التالي [٢٩]:

«يقال أن إبن سعود قد كتب الى الأتراك في البصرة رسالة يقول فيها أن الاجراءات التي قام بها ، قد فرضتها عليه شكاوى الأهالي ، بأنهم كانوا يضطهدون على أيدي المسؤولين الأتراك الصغار . وأضاف بأنه على إستعداد لأن يُمثل الأتراك كوال معيّن من قبلهم ، وأنه يتعهد بالحفاظ على الهدوء والنظام في المقاطعة» .

«وخلافا لكل التقوعات فان الباخرة-جون او سكوت-لم تُبحر من البحرين ، ولكنها تسكّعت هناك بحجج مختلفة . في الخامس والعشرين من مايو ١٩١٣ ، وصل ثلاثة ضباط ومعهم ثلاثون رجلا ومدفعان صغيران من البيضا-في قطر . . وفي ٢٦ مايو غادر نورس بيك ومعه ٥٠٠ رجل ومدفعان ، متوجها الى العقير على ظهر زوارق محليّة ، بعد أن أشاع بما يوحي أنه ينوي التوصل الى إتفاق مع إبن سعود ، في حين ما تزال الباخرة-جون او سكوت-في البحرين متذرعة بحجج مختلفة ، وتخضع لأوامر كولونيل تركي وصل مؤخرا من البصرة» .

«وتفيد التقارير الواردة من الفاو ، أن القوة التركية الموجودة في البحرين قد طلب إليها أن تسعى لكسب الوقت بانتظار وصول الباخرة الحربية-مارماريس-من بومباي ، والباخرة-الحميدية-من عدن» .

«ويقال أن القنصل التركي في بوشهر قد أبرق أمس-٢٥ مايو ١٩١٣-الى وزيره المسؤول يعلمه بأن الأتراك قد إستعادوا القطيف ، ولكني أجد من الصعب تصديق هذا . إلاّ أنه يمكن أن يكون قد تمّ التوصل الى حلّ وسط» .

وعاد كوكس ليوضح ما جرى بعد مغادرة «نورس بيك» الى ميناء العقير . . فرغم أن المهمة التي أوضحتها الوثيقة هي «التوصل الى إتفاق» ، فان العملية كانت في الحقيقة محاولة لاستعادة الأحساء من إبن سعود ، ذلك أن القوات التركية علمت فيما بعد أن القوة السعودية المهاجمة كانت صغيرة ، وأن من المحتمل أن تغضب السلطات التركية على قادة حامية الأحساء والقطيف ، فقاموا بمحاولة إستعادة المنطقة . وسنرى أن الانجليز لم يعلموا بحقيقة المهمّة التركية ، ولكن إبن سعود إتهمهم فيما بعد بأنهم المدبرون لها ، وهو أمر بعيد عن الصحّة .

لنقرأ الآن ما أرسله كوكس لرؤسائه في حكومة الهند حول الموضوع ،

حيث وافته الأخبار من المعتمديّة البريطانية في البحرين حول ذلك. لقد أرسل في تاريخ ٥ يونيو برقية الى نائب الملك في الهند يقول فيها(٣٠):

«بالاشارة الى برقيتي المؤرخة في ٣٠ مايو ١٩١٣، يفيد تقرير من المعتمد السياسي في البحرين، مؤرخ في الأول من يونيو، بأن القوّة الرئيسيّة بقيادة الميجور نورس، قد توجهت الى العقير، وليس الى القطيف، وأن الميجور، وبعد أن أنزل ١١٠ رجلا الى الشاطيء، إحتلّ برجا صغيراً كلّفه عشر إصابات. وقد ترك ستين رجلا في البرج ثم عاد الى الزوارق لإحضار المدافع، ولكن بعد وصوله الى الزوارق، رفض رجاله العودة، ممّا إضطرّه الى التخلّي عن رجاله الستين، والاقلاع بالزوارق. بعد ذلك إستسلمت المجموعة التي بقيت في البرج لابن سعود، وأرسلها الى البحرين بعد أن نزع منها أسلحتها، وبعدها غادرت القوّة التركيّة كلّها الى البحرين عائدة الى البصرة على ظهر السفينة-جون او سكوت-».

«لاحظ المعتمد السياسي أن وجود هؤلاء الرجال-الأتراك-في البحرين، واستخدامهم الجزيرة قاعدة لعملياتهم، قد إعترض عليه الشيخ عيسى، ووجده في غاية الاحراج له، ومن الواضح أنه قصد منه جرّه الى نزاع مع إبن سعود. ويرى شيخ البحرين أن ندرس نحن الآن فكرة تقديم إحتجاج على ذلك الى المسؤولين الأتراك، وهو يصرّ في كل الأحوال على أن يوجّه تحذير للباب العالي، بأنه إذا كان الأتراك يفكرون بالقيام بعمليات عسكرية جديدة، فإن القوات يجب أن تنقل من البصرة الى نقطة ما على اليابسة دون اللجوء الى إستخدام جزيرة البحرين. وأنا أرجوا واثقا بأن يتمّ تقديم مثل هذا الطلب في كل الأحوال»(٣١).

وفي رسالة بعثها القنصل البريطاني في البصرة «كراو» الى القسطنطينية، ومنها الى السير إدوارد غري، وهي مؤرخة في ١٤ يونيو ١٩١٣، وردت تفصيلات جديدة عن عمليّة إحتلال الأحساء، ومحاولة الأتراك بقيادة «نورس» إستعادتها، تقول(٣٢):

«طبقا لمعلومات تلقيناها هنا، فقد إستولى إبن سعود على إثني عشر مدفعا من أنواع مختلفة، وعلى أربعة مدافع حصار كبيرة، كما أنه إحتجز ثلاثين رجلا من سلاح المدفعيّة، وعشرة من رجال الجندرمة للخدمة تحت إمرته في الأحساء.. ويقال أن نورس أفندي، وهو الضابط الذي صحب الجنود الأتراك من الأحساء الى البحرين، أحضر مائتي رجل ومدفعين من شبه جزيرة قطر، وأنه وضعهم على ظهر قوارب شراعية مع ٤٩٧ جندي تركي في البحرين، ومن هناك أقلعت بهم الزوارق ثم حطّت بهم في العقير. تقول التقارير أنه بعد يوم واحد من ذلك التاريخ، هاجمهم إبن سعود بقوة من ثلاثة آلاف شخص، فهرب الأتراك مخلفين وراءهم ستة قتلى في ساحة المعركة. بعدها مباشرة

أسر إبن سعود خمسين جنديا تركيا وضابطا واحدا لم يستطع الهرب من العقير .. إلاّ أن إبن سعود أخلى سبيلهم فيما بعد، بعد أن نزع أسلحتهم وذخيرتهم، وبعد أن جعلهم يقسمون بأن لا يعودوا لقتاله مرّة اخرى. يقال أن المائتي رجل والمدفعين قد أعيدوا الى قطر، وأن نورس أفندي باق في البحرين» .. والحقيقة أنه رحل كما رحلت كل القوة التركية الى البصرة بعد فشل العمليّة كلها.

تبرير الاحتلال

أشرنا في مواقع سابقة من الكتاب الى أن عبد العزيز السعود، لم يكن يريد الاصطدام المباشر بالقوة التركية التي يمكن أن تسحقه، وأن الانجليز أشاروا بأنهم لن يسمحوا للاتراك بالقيام بعمليات حربية ضده من البحر، إذا ما استطاع أن يرسّخ قوّته في المقاطعة.

ولقد تحاشى إبن سعود أن يثير حفيظة الأتراك، فيجعل هزيمتهم شنيعة دموية، وكان قادرا على ذلك .. ولذا جعل إحتلال الأحساء أشبه ما يكون بعمليّة إنقلاب، وتجنّب - على غير عادته - إراقة الكثير من الدماء التركية!، ورحّل القوات كلّها، ولمّا عادت لم يفتك بها بل أعادها من جديد، وهو أمر لا يمكن تفسيره بسوى تحفظه في مواجهة القوة المسلحة التركية، التي رغم عدم قدرتها الأوّليّة على حشد قوات لقتاله، إلاّ أنها قد تسعى اليها إذا ما تمّت إثارة الباب العالي.

ورأينا كيف أن الملك كتب الى الأتراك طالبا بتعيينه رسميّا والياً لهم على المنطقة، بعد أن إحتلها بالقوة منهم وطردهم الى الأبد!.

لماذا كل ذلك؟.

إنه - وبدهائه - كان يتوقع أن في نفوس الترك بقيّة من الامتعاض والاستعداد للمقاومة، على الأقلّ عند البعض من المسؤولين، فأراد أن يسحب هذا الفتيل، بإعلان ولائه واستعداده لحكم المنطقة بإسمهم، وهذا يحفظ للترك ماء الوجه من جهة، ولا يفقد إبن سعود أيّة إمتيازات على الأرض، بل يجنّبه صراعاً قد يشكّل خطرا على إنجازاته المحقّقة.

وهكذا سارع الأمير السعودي الى الكتابة الى السلطان العثماني فور إحتلاله للاحساء مؤكدا ولاءه وإخلاصه كتابع للسلطان .. ولكن إذا حاولت الحكومة التركية إسترداد الأحساء، فهو على إستعداد للمقاومة. هذا ما كتبه القنصل البريطاني في البصرة الى وزارة الخارجية في ٣١ مايو ١٩١٣[٣٣].

من جهة ثانية أشرنا في مواقع عديدة الى مبررات إبن سعود لاحتلال الأحساء مثل إضطراب الأمن، ودعوة الأهالي إليه، وحقوقه التاريخية،

وحاجته الماسّة للمال والموقع.

على أن أحدمستشاري إبن سعود، جمع كل هذا من خلال تصريح صحافي للملك السعودي، فقد كتب الزركلي تحت عنوان صريح «الملك عبد العزيز يبرّر إحتلاله الأحساء»، أنّه بعد أن استصفى الأحساء، سعى إليه كاتب من العراق [٣٤] في ذي القعدة ١٣٣١هـ «اكتوبر ١٩١٣»، فأفضى إبن سعود إليه بهذا الحديث: [٣٥]

«إنّ الدولة العليّة حفظها الله، غصبت آبائي هذا اللواء-الأحساء-بدون أمر مشروع، بحجّة دعوة عبد الله السعود، شقيق والدي. ومن بعد أن أخذته لم تحسن صنعاً».

«وكان والدي يومئذ ولي العهد بعد أخيه على إمارة نجد، التي يدخل فيها هذا اللواء وما يتبعه، وعمان وسواحله».

«ولمّا اشتدّ الخصام بين سعود وعبد الله آل سعود على الامارة، أرسل الأخير مندوبا الى بغداد لمفاوضة واليها في مسألته مع أشقائه. وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته، لاخماد نار الفتنة المتأجّجة. غير أن الدولة وجدت انه قد آن زمن الاحتلال، فوضعت يدها من ذلك الوقت على الأحساء، وأبعدت امراءها عنها. مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته، وليت الدولة إحتلت ما يداني الأحساء من البلاد كعمان وغيرها التي تركتها هملا، ومكّنت الدول الأجنبيّة من أن تقذف فيها نيران الفتن لتحصل على ما تنويه».

«ومنذ ذلك الوقت أخذ سكان هذا اللواء بالسقوط والهويّ. لتغلّب قطّاع الطرق عليه لكثرتهم هناك، وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم الى مقام الولاية، وينكرون له عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن، فما كان يسمع صدى لأصواتهم المتكرّرة، فراجعوني مرارا، فضربت عنهم صفحا إذاعاناً لدولتي، وإن كان يسوؤني نظري إيّاهم في تلك الحالة، لأن مجتمع الأنسان كالجسد إذا أصيب عضو منه بآفة إنتقل الألم الى الجسد كلّه».

«ثم جاءتني محاضر-مضابط-فيها تواقيع كثيرة من العلماء والوجوه قائلين: إن لم تسعفنا نضطر الى ما تحمد عقباه. وفي تلك المطاوي سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله، فاستندت حينئذ الى ما لي من الحقوق الشرعيّة في هذا القطر، بمنزلة أساس، فبادرت الى تلبية طلب الأهالي، ليكونوا في حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم، وإبعاد الأجانب عن ديارهم».

«فهذه هي الأمور التي ساقتني الى ما أتيت، فقدّمت الأهم على المهم، وسرّحت موظفي الأمارة محافظاً على حياتهم بدون أن ينالهم أذى».

«وعليه إذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل، وفكروا في مآلها أحسن التفكير، وأعطوا لكل ذي حق حقه، ولاحظوا الأمن الضارب

أطنابه في البلاد، وتثبّتوا ما انتشر من مرافق العمران بين العباد، حبّذوا عملي هذا، ولاسيما إذا علموا أنّي قطعت دابر الأشقياء والمفسدين، وحقنت دماء الأهلين، وبسطت أروقة الراحة بين العالمين»!!.

إن إبداء الملاحظات حول هذه التبريرات أمر سهل، ولا يتطلّب جهداً كبيراً في كشف مواقع الاثارة، وبإجمال سريع يمكننا تسطير التالي:

أولا-تجب الملاحظة أن هذا التصريح، إنّما هو تصريح إعلامي دعائي بالدرجة الأولى، وموجّه للاتراك، ويهدف أساسا الى إقناعهم بعدم جدوائيّة العمل العسكري ضدّة لاسترجاع الأحساء، والتسليم بالأمر الواقع، وقد خاطبهم إبن سعود بلغة بالغة الاعتدال، فتجده يعلن مثلا خضوعه للاتراك، ويكثر من ألفاظ «دولتي، الدولة العليّة حفظها الله».. وقد نُشرت تصريحاته الموجهة هذه، في مقاطعة بغداد التركيّة.

ثانيا-يلاحظ أن اهم التبريرات وأولها، هي مسألة الحقوق التاريخية، التي تتكرّر دائما في المنشورات والكتب السعودية بألفاظ عديدة، مثل «ملك آبائي وأجدادي»، ومن المنظار الديني أو العصري، أو حتى القبلي، لا يمكن التسليم بهذا المنطق، وإلاّ ما قامت دول وسقطت أخرى.

وبمنطق إبن سعود نفسه، فان الأتراك أولى بالأحساء منه، أولا لأنهم كانوا أسبق الى أجداده إليها بقرنين ونصف، حيث أخذوها أثناء صراعهم مع أول قوّة إستعماريّة في الخليج، وهي البرتغال.. وذلك في القرن العاشر الهجري، في حين وصل آل سعود للأحساء أول مرّة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري. وثانيا لأن الأتراك حكموا المنطقة أكثر من حكم أجداد إبن سعود لها بعشرات السنين.

وبمنطق السعوديين نفسه، فان كل سكان الجزيرة العربية الذين ينضوون الآن تحت الشعار الكبير «المملكة العربية السعودية»، بإمكانهم الادّعاء عن حق، بأن كل منطقة من مناطق البلاد هي «ملك آبائهم وأجدادهم».

على أن سنوات حكم السعوديين للمنطقة قبل الاحتلال الأخير، لا تزيد عن ٣١ عاما متقطّعة، ومكتظّة بالتمردات والثورات، في حين أن الأتراك حكموها آخر مرّة أربعين عاما متواصلة.. من هنا علّق أحد الكتّاب على هذا الادّعاء بالقول: «دعنا من طرفة: الدولة العليّة حفظها الله إغتصبت حقوقنا»(٣٦).

وقد لاحظ الإنجليز أيضا أن إدعاءات إبن سعود التاريخية في المنطقة إنّما هي إدّاعاءات فارغة، وباستخدام ذات المنطق، وبالحساب!.. فبعد أن بدأت مطالبات إبن سعود بالعديد من مناطق الخليج بالتصاعد سنة ١٩٣٤، قالوا له تعال نتحاسب، فأعدّوا الكشوف وأفحموه.

تقول وثيقة بريطانية مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٣٤، وتتعلّق بوضع الحدود الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية: «لم يكن الوهابيون قد إحتلوا

مقاطعة الأحساء إلاّ لفترتين قصيرتين نسبيّا : ٢٣ عاماً من سنة ١٧٩٥ الى ١٨١٨ ، وثمانية اعوام من ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨ . وهذا لا يمكن أن يشكّل حقاً مطلقا وراثيا ـ سلاليا ـ . والأحساء ليست وهابيّة لمجرد انّهم إحتلوها على مدى العشرين عاماً الأخيرة ـ من ١٩١٣ إلى ١٩٣٤ ـ إلاّ بقدر ما يمكن أن يقال بأن الرياض تابعة لقبائل شمّر ، لأن هذه القبائل إحتلتها من عام ١٨٨٨ وحتى ١٩٠٢ .. أمّا الوطن الوراثي للوهابيين ، فهو بالطبع أواسط نجد» .

وحتى هذه المدّة التي قضاها السعوديون في الأحساء ، كانت أوضاعهم فيها غير مستقرّة ، إذا ما قيس الأمر بعهد الأتراك .. وإذا كان العثمانيون قد غصبوا آل سعود حقّهم المشروع ، فقد غصب إبن سعود حق الأهالي المشروع أيضا ! .

غير أن إبن سعود يصرّ على أن الأتراك كانوا «محتلّين» .. وهذه لفظة وإن كان البعض يراها في الوقت الحالي صحيحة ، بسبب تغليب الانتماءات القومية على الانتماء الاسلامي ، فانها كانت في ذلك الحين ، يوم لم تكن هناك قومية ولا دعاة لها ، أمراً فجّاً ممجوجاً .. ذلك أن العرب لم يكونوا ينظرون الى الأتراك كمحتلين ، وإنّما كمسلمين ، ولهذا قبلوا سواء في الأحساء أو اليمن أو الحجاز بالحكم التركي ، ولم يقاوموه باعتباره تركيا ـ غير عربي ـ ، بل لأنه حكم خالف جادّة الصواب . وفي أوقات عديدة رأينا أن الأهالي قد فضّلوا الحكم التركي على الحكم السعودي ، حتى أن والي الأحساء بعد فتنة الحرب الأهليّة عرض على والد الملك عبد العزيز أن يتولّى الرياض نيابة عن الدولة العليّة مع دفع أتاوة سنوية ، فلم يقبل ذلك ، لا تكبّراً منه على الأتراك ، بل لعلمه أن الأهالي والقبائل لا يرضون به ، فاعتذر بأنه لا يستطيع «إخضاع العشائر التي صارت خائنة»[٣٧] .

ثالثا ـ مسألة الأمن أثيرت أيضاً ، فتحدث إبن سعود عن شكاوى الأهالي ، وكيف أن اضطراب الأمن أساءه «لأنّ الانسان كالجسد الواحد !!» .. ومع أن السعوديين جاؤوا بحجّة إعادة الأمن ، فإنهم لم يقبلوا بإستخدام نفس المبرر من قبل الأتراك ، والذين جاؤوا واحتلوا الأحساء بعد شياع الفتنة في البيت السعودي .. والغريب أن إبن سعود يقول بأن الدولة «أبعدت امراءها عنها ، مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته» . فباء آل سعود تجر ، وباء الآخرين لا تجرّ . ومع أن اضطراب الأمن أواخر العهد التركي مبالغ فيه ، فإنه ـ وكما رأينا ـ جاء بتحريض إبن سعود والإنجليز .

ولقد أشار الحاكم السعودي الى أن الدولة تركت عمان واحتلت الأحساء .. فمعلوم لمن له إطلاع على تاريخ عمان ، أن الأتراك حاولوا الوصول إليها .. وأن الإنجليز هم الذين دعموا سلاطينها لمقاومة النفوذ السعودي في القرن التاسع عشر .. حيث كانت عمان ومشيخات الساحل واقعة تحت النفوذ

السعودي ، والملوم حينها كان السعوديون وليس الأتراك . وحتى لو كان الأتراك قد إحتلوها وأبعدوها عن النفوذ الإنجليزي - وهم لا يستطيعون ذلك يومها - فان المنطق السعودي سيجابههم أيضا : «الحقوق الشرعية ، وملك الآباء والاجداد» .. وليست قصة البريمي ببعيدة عن الأذهان ، والتي لم تُحل إلاّ في السبعينات الميلاديّة ، بل لا تزال آثارها السيئة باقية حتى اليوم .

فحتى وقت تصريح إبن سعود الذي يبرّر فيه إحتلاله للاحساء ، كان لا يزال يحلم بعمان وقطر والبحرين ، والامارات الاخرى ، ولم تهدأ إدعاءاته إلاّ مؤقتا ، وبعد توقيع معاهدة مع الإنجليز عام ١٩١٥ .

ويطرح السؤال على إبن سعود نفسه ، لماذا لم يحتل عمان ويطرد الإنجليز ، بدل أن يحتل الأحساء ويطرد دولة الخلافة ؟ فلآل سعود في كلا البلدين ما يسمّى بالحقوق المشروعة والتاريخية .. فاذا كان الجواب بسبب العجز ، فدولة الخلافة كانت أعجز ، وإن كانت المسألة هي الظلم التركي ، فالظلم الإنجليزي في عمان كان أشدّ .

رابعا - وطرح إبن سعود مسألة شكاوى الأهالي إليه ، وقد أوضحنا الأمر في مواقع عديدة ، ولكننا نضيف هنا ، بأن المسألة حوت كمّا غير قليل من المبالغة ، إن لم تكن المسألة مختلقة من الأساس .. فهذا أحد المتعاطفين بقوة مع وجهة النظر السعودية يقول حول قضية طلب الأهالي منه لانقاذهم بأنه من «عادة كبار الفاتحين»!! .. أي أنها عادة كاذبة ، لا أساس لها من الصحة ، بل هي مجرّد إدّعاء ! .. ويضيف : «وإذا كانت العادة قد جرت أن يقول كل الفاتحين الكبار ، أنهم جاؤوا بناء على طلب الأهالي ، فان إبن سعود هو أحقّهم بهذا الادّعاء ، فابن سعود ليس غريبا على الأحساء ، وفتحه عاد بالخير والاستقلال والعروبة للاقليم»[٣٨] .. وفي هذا نقاش طويل ، ليس هنا مجاله ! .

والادعاءات في التصريح السعودي كثيرة ، فلقد أشار إبن سعود الى أن العمران قد إنتشر في المنطقة بفضل حكمه الذي لم يمض عليه أكثر من خمسة أشهر ! ، فعلّق أحد مؤيديه مازحا : «العمران إنتشر في أقل من ٥ شهور يابو تركي !»[٣٩] .

وفي الحقيقة فان مجمل تصرفات الأمير السعودي عقب إحتلال الأحساء ، تركز على تبرير الاحتلال ، حتى مخاطباته ورسائله للانجليز ، كانت تفصح بذلك ، وإن أخذت «الحقوق التاريخية» مساحة عريضة منها .. ومن المعلوم أن إبن سعود أعلن أنه سيحكم هذه المقاطعة - الأحساء - مباشرة ، وتضمّن الاعلان قوله : «وها نحن استولينا اليوم على بلاد آبائنا وأجدادنا في الأحساء والقطيف وملحقاتهما» ، وبعث صورة من هذا الاعلان الى بيرسي كوكس في الثالث عشر من يونيو ١٩١٣[٤٠]

الموقف البريطاني من إحتلال الأحساء

الآن وقد سقطت الأحساء في يد حليفهم ، فقد أصبح الإنجليز على إستعداد لاتخاذ مواقف تمنع الأتراك من إستخدام البحر لمهاجمة إبن سعود واسترداد الأحساء .. وقد إحتجت الحكومة البريطانية لدى الباب العالي على إستخدام البحرين في محاولة نورس بيك الفاشلة .. وشيئا فشيئا بدأت المواقف البريطانية تميل الى التشدّد والتعامل مع الحاكم السعودي على أساس الأمر الواقع ، في حين أظهر الأتراك ضعفا أكثر مما كان متوقعا .

ومن خلال متابعة فصول ما بعد الاحتلال ، أراد الإنجليز التدخل كوسيط في المفاوضات التركية السعودية ، لمساندة حليفهم ، وحتى لا تجري صفقة من وراء ظهورهم .. في حين حاول الحاكم السعودي عبثا أن يقنع الأتراك بأنه صاحبهم ، وأنه سيحكم المنطقة بإسمهم ، وفي ذات الوقت أعلن عن إستعداده لمقاومتهم الى حدّ التحالف العلني مع أعدائهم الإنجليز ، إن هم حاولوا إعادة إحتلال المنطقة .

وفي معمعان النقاش الدائر في الأوساط الرسمية العثمانية حول ما يجب إتخاذه من موقف ، كانت رسل ورسائل إبن سعود تترى على المعتمدية البريطانية في البحرين والكويت ، بل وجرت لقاءات عديدة بين الطرفين ولمّا تمض أسابيع قلائل من سقوط المنطقة . في حين توضح أن الأتراك لا يريدون أكثر من الحفاظ على ماء الوجه ، فسارعوا للتفاوض مع الحاكم السعودي لتحقيق هدفين ، أحدهما إبعاد إبن سعود قدر الامكان عن دائرة النفوذ البريطاني ، والآخر ترتيب إتفاق إسمي يجعل السيادة لهم ! .

وتبدو في كل هذا حقيقة جديرة بالالتفات ، وهي أن الحاكم السعودي أراد أن يلعب لعبته مع الإنجليز ، طالبا الحدّ الأقصى من التأييد ، وإلاّ فإنه سيكون مجبرا لمراضاة الأتراك ، وراح يستخدم وسيلة الهجوم والعتاب لدفع الإنجليز نحو غرضه .

ففي ١٣ يونيو ١٩١٣ ، الموافق للثامن من رجب ١٣٣١هـ ، أي بعد حوالي شهر من إحتلال الأحساء ، أرسل إبن سعود رسالة الى المقيم البريطاني في الخليج السير بيرسي كوكس ، مضمونها العتاب ، وهدفها إقامة تحالف معه .. وهذا نص الرسالة(٤١) :

«بعد السؤال عن صحتكم الغالية .

أخاطب فخامتكم من واقع الصداقة القديمة بيننا وبينكم ، وبموجب المعاهدة التي تعود لأيام جدّي فيصل رحمه الله ، والتي مضى عليها ٥٥ سنة ، وبقي منها ٥٥ سنة أخرى . وأنا أرغب في إقامة ذات العلاقة ، وعلى نفس النمط

وبذات الشروط، التي كانت بينكم وبين أسلافي، وهذه الحقيقة هي التي دفعتني لكتابة هذه الرسالة»[٤٢].

«أنا واثق من أنه لن يحدث أي شيء لرعاياكم يكون مناقضا للصداقة والمواثيق، ونحن الآن سيطرنا على أراضي آبائنا وأجدادنا في الأحساء والقطيف وملحقاتهما أيضا، أما الجنود الأتراك فقد أرسلوا الى البحرين، لأنه من السهل عليهم أن يأخذوا طريقهم الى البصرة من هناك[٤٣]. وحينما وصلوا الى البحرين، ساعدهم شخص من جانبكم ،وقدم لهم التسهيلات الضرورية، وشجعهم على البقاء هناك وخلق المشاكل لنا. وحين إستلمنا الأخبار لم نصدقها لأنها لا تتفق مع عدالتكم وحكمتكم، وبعد بضعة أيام إنطلق الجنود من البحرين الى القطيف، ولكنهم ردّوا خائبين، ولم يجدوا دعماً إلاّ من رعاياكم وأعوانكم. وبعد أيام قلائل تقدّموا- أي الجنود الأتراك- الى ناحية العقير، وحال وصولهم تلقوا خسائر فادحة على يد جماعة صغيرة من أتباعنا».

«إننا لا نعلّق أهميّة أو معنى للترك، ولا حتى للمرتبطين بهم ... وإنطلاقا من شعوري الودي، فإنني أرغب في أن أكون معكم بنفس الشروط التي كانت بينكم وبين أسلافي، وأتمنى أن تستمر العلاقة بيني وبينكم كما كان في الماضي».

«فإذا ما رغبتم أن تكون العلاقة بيننا كما في الماضي، وإذا ما إلتزم بها الطرفان لحماية رعاياهما، فإننا نتعهد لكم بالنيابة عن هؤلاء الذين هم من جانبنا، فيما يخص رعاياكم، وسنحترم شرفهم ونحميهم، ونتحمل المسؤولية أمامهم ونطلب المعاملة بالمثل منكم ..».

من الواضح تماما أن إبن سعود يتهم الإنجليز بأنهم وراء محاولة الأتراك لاستعادة سلطاتهم في القطيف والأحساء ليتعرف من خلال ذلك على سياستهم تجاهه .. ولذا كانت الوثائق تتحدث عن رسالته هذه موضحة أن إبن سعود «يطلب معرفة سياسة بريطانيا تجاهه»، بمعنى أن الإنجليز فهموا مغزى الرسالة.

لقد سلم إبن سعود رسالته هذه الى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين عبر مبعوثه مساعد بن سويلم، وقد بقي المبعوث ينتظر ردّا مدّة شهر كامل، وكان سبب التأخير هو أن المقيم لم يكن لديه قرار البتّ في الأمر بسبب تشدّد وزارة الخارجية وحكومة الهند في وجوب التقيّد بعدم التعاطي المباشر مع إبن سعود، إلاّ من خلال مراجعة الدوائر العليا.

من هنا أرسل المقيم كوكس الرسالة الى حكومته في الهند في ٢٧ يونيو ١٩١٣[٤٤]، ولم يفته أن يعلّق عليها بالقول أنها تتشابه مع رسالة سابقة في محتواها .. وقال كوكس لرؤسائه أن المعاهدة التي ذكرها إبن سعود «تشير

الى الاتفاقية التي عقدناها مع جدّه قبل ٥٥ عاما ، والتي أعتقد أنها هي نفسها التي قدمت الى الكولونيل بيلي في الحادي والعشرين من شهر أبريل ١٨٦٦» . وأضاف كوكس مخاطبا رؤساءه ، أن إبن سعود «يعاتبنا وينحو باللائمة علينا على المساعدة المزعومة التي قدّمها الممثل البريطاني الى القوات التركية التي تقوم بعملياتها في البحر» ، وتابع كوكس قائلا ، أن ممثل إبن سعود «ينتظر جوابنا بفارغ الصبر» .

وكما ذكرنا فان الحكومة البريطانية - وعلى أعلى المستويات - تدخلت في مسألة العلاقة مع إبن سعود ، لحساسية العلاقة مع الأتراك ، وقد سبق لحكومة الهند أن طلبت من كوكس «أن يُحيل الى الوزارة - وزارة الهند - أية مبادرات يقوم بها إبن سعود ، وذلك لتلقي التعليمات بشأنها»[٤٥] .

بالسرعة المطلوبة حوّلت رسالة إبن سعود من البحرين الى بوشهر ، ومن بوشهر الى حكومة الهند ، ومن حكومة الهند الى لندن ، حتى «يفتي» فيها وزير شؤون الهند .. وقد جاءت الفتوى في كيفية الاجابة كالتالي : «يجب إعلام إبن سعود بأنه لم تقدّم أيّة مساعدات الى القوات التركية ، وأن حكومة جلالة الملك إذ تقدّر موقف إبن سعود الودّي ، ستحافظ على الحياد المطلق بين الطرفين - التركي والسعودي - اللذين ترتبط معهما بأطيب المشاعر» ! .

وفسّر «المفتي» وهو وزير شؤون الهند هذا الموقف ، لنائب الملك في حكومة الهند ، بقوله :

«إنّ حكومة جلالة الملك - البريطاني - لا تتجاهل أهميّة إبن سعود ، ولكنها ترغب قبل كل شيء ، أن لا يقال أو يتخذ أي إجراء في هذه الفترة يمكن أن يثير الريبة والشكوك في تركيا ، أو في أي مكان آخر ، بأن الحكومة البريطانية تشجّع على تفكيك وتجزئة الامبراطورية التركية في آسيا ، ويجب تحاشي أية صيغة أو فكرة قد توحي بمناطق النفوذ وما شابه ذلك»[٤٦] .

فالمسألة بالنسبة للانجليز وقتية ، لعدم إثارة الشكوك حولهم بأنهم يريدون تقسيم الامبراطورية العثمانية ، التي علمت حكومتها بإتصالات شكسبير بالبيت السعودي ، والتي أثارت إحتجاجها .. لذا كان الهدف هو عدم إثارة الشكوك أكثر ، وانتظار الوقت لتصل الامبراطورية الى نهايتها المفجعة .. وفي ذات الوقت إستقرّ الرأي البريطاني بأنه لا يجب التخلّي عن إبن سعود ، بل يجب تطمينه دون شرح الموقف على حقيقته .. ولكن يجب الالتفات الى أن حكومة الهند نفسها نصحت وزير شؤون الهند في لندن بالتالي : «نحن نرى أنه من المرغوب فيه أن نرسل الى الأمير السعودي رداً غير ملزم ، وأن تعطى له التطمينات بأنه ليس في نيتنا التخلي عن علاقات الودّ والصداقة السابقة بين بريطانيا وآل سعود»[٤٧] .

وقد «أفتى !» الوزير بمثل ما رأت حكومة الهند ، وتولى «الشيخ !» كوكس ،

نقل «الفتوى» لابن سعود، وذلك في التاسع من يوليو ١٩١٣، موضحا له توجه حكومة بريطانيا تجاهه.. وهذا ما قاله كوكس لابن سعود[٤٨]:

«إستلمت في حينه رسالتكم الكريمة المؤرخة في الثامن من رجب ١٣٣١هـ-١٣ يونيو ١٩١٣-والتي أرسلت إليّ بالبريد من البحرين عبر مندوبكم مساعد بن سويلم الذي فاجأه المرض هناك.

أنا آسف من أنه قد مضت أيام قبل أن أتمكن من الأجابة، ولكن السبب كان أنني لم أكن قادرا على إعطائكم جوابا مسؤولا-رسميا-قبل إشعار الحكومة البريطانية.

لقد استلمت الآن الجواب، حيث خوّلت بأن أخبر سعادتكم، بأن التقارير التي وصلتكم وتأثرتم بها، والقائلة بأن معتمدنا الميجور تريفور قد قدّم خدمات للقوات التركية المتوقفة في البحرين ليست صحيحة..ذلك أن بقاءهم في البحرين في مثل هذه الحالة كان أمرا لا مفرّ منه بناء على تلك الظروف، ولكن لم تقدّم لهم أيّة مساعدة[٤٩].

الأمر الآخر، وفيما يتعلّق بمشاعر الصداقة، فإنها تلقى التقدير من الحكومة البريطانية، ولكنها لا ترى سبيلا للتدخل في النزاع القائم بينكم وبين الحكومة التركية.. وبالعكس من ذلك، فإن الحكومة البريطانية ترى أنه من الضروري إلتزامها بالحياد الدقيق بين الجانبين.

هذه رسالة الحكومة البريطانية، ومن ناحيتي فاني أضيف مشاعر التقدير لعواطف الصداقة التي أبديتموها تجاه المقيمية، وأيضا للضيافة الطيّبة والمساعدة الكبيرة التي أضفيتموها على الرحالة الإنجليز، الذين مروا عبر مواقع قبائلكم»[٥٠].

ويبدو أن هذا الجواب لم يكن كافيا لابن سعود، فعاود الكتابة في الرابع من رمضان ١٣٣١هـ، الموافق للسادس من أغسطس ١٩١٣، الى بيرسي كوكس، سائلا عن توجه الحكومة البريطانية تجاه مصالحه الجديدة في الأحساء والقطيف.. فطافت رسالته شهرا كاملا، حتى سطرت الاجابة إليه في الحادي عشر من سبتمبر ١٩١٣ الموافق للعاشر من شوال ١٣٣١هـ، في رسالة كتبها كوكس، هذا نصّها[٥١]:

«بعد التحيات.. إستلمت رسالتكم المؤرخة في الرابع من رمضان، وفهمت منها أنكم تطلبون توضيحا كاملا لتوجه الحكومة البريطانية فيما يتعلّق بشؤونكم ومصالحكم.

إنه من الصعب الى حد ما إعطاء هكذا توضيحات بدون معرفة مسبقة وأكثر تحديدا للنقاط التي ترغب في الحصول على كامل المعلومات حولها. وفي أي إتجاهات تتوقعون أن تعبّر حكومة بريطانيا صداقتها، وإذا شئت فإنني سأكون سعيدا للقائك من أجل تبادل وجهات النظر حول المسألة. والى أن يتم هذا اللقاء

فأنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أنك إذا تعهدت من جانبك بالامتناع عن كل عمل يثير الاضطراب في الوضع الراهن، أو الى خلق الاضطرابات لدى الامارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم معها، بما في ذلك إمارة قطر، فإن الحكومة البريطانية ستواصل سياسة الحفاظ على العلاقات الوديّة التي كانت قائمة في الماضي».

ومعلوم أن الأمير السعودي قد تعهد بذلك مرارا قبل إحتلال الأحساء وبعدها، ولكن إضطرابا حدث لمشايخ الخليج من إحتمال قيام إبن سعود بالاستيلاء على قطر أو غيرها.

وبشأن قطر فإن النتيجة الأولى لاحتلال الأحساء، هي إستقلال أميرها عن الأتراك، وإنسحاب القوات التركية منها. والحقيقة فإن ذلك يجعل قطر محميّة بريطانية، وإن تأخّر الاعلان الرسمي لذلك حتى عام ١٩١٦.

وتشير رسالة بعثتها حكومة الهند الى الماركيز كراو في ٢٦ أكتوبر ١٩١٣، أن إبن سعود سيتوجّه جنوبا «أي بإتجاه إمارات الخليج» في الاسبوع الثاني من نوفمبر، ويأمل أن يلتقي مع المسؤولين الإنجليز.. وقالت أن إبن سعود لن يناقش التفاصيل في الوقت الحاضر، وأنه لن يقوم بأي عمل مخالف لرغبات الحكومة البريطانية(٥٢).

تطورات الموقف التركي والبريطاني من الإحتلال

التوقع الأوّلي لرد الفعل التركي على إحتلال إبن سعود للاحساء، هو أن الأتراك لن يكون بمقدورهم إستعادة سلطاتهم التي فقدوها، لقصور ذاتي في قواهم العسكرية، ولانشغالهم السياسي بأماكن اخطر.. وأن أقصى ما يمكن أن يحققوه هو حفظ ماء الوجه، وسلطة إسميّة لا معنى لها.

كتبت القنصلية الروسية في البصرة بعيد إحتلال الإقليم في ٢٧ مايو ١٩١٤: «إن إرسال فيلق عمليات الى الأحساء في الوقت الحاضر غير ممكن إطلاقا بالنسبة للأتراك، فليس لديهم العدد الكافي من الجنود، سواء في بغداد أو في البصرة. زد على ذلك أن الحكومة البريطانية التي تتابع ببالغ الاهتمام كل ما يجري في الأحساء، ستحاول إعاقة الأتراك عن ترسيخ أقدامهم من جديد على سواحل الخليج»(٥٣).

ومع مرور الأشهر العديدة، بدا أن الموقف التركي يميل الى اللين والتساهل، خاصة وأن إبن سعود عرض على الأتراك حفظ ماء وجههم، وذلك بأن أعلن إستعداده لحكم المنطقة بإسمهم، فيما يبقى زمام الأمر الحقيقي بيده. وقد كتب إبن سعود رسالة الى الباب العالي بعد أقل من إسبوعين من إحتلال الأحساء يقول فيها مبررا: «إن والده كان قد إئتمن الأتراك على إقليم الأحساء خلال

السنوات الثلاث والأربعين الماضية، بهدف تحسين الأوضاع في الاقليم ورفع مستوى شعبه، لكن الأمور سارت من سيء الى أسوأ، ممّا اضطره الى إسترداد الأمانة. وقد أكد إبن سعود ولاءه كخادم للسلطان، أمّا إذا حاولت الحكومة التركية إسترداد الأحساء فإنه سيكون على إستعداد لمقاومتها»[٥٤].

ولما وصلت المعلومات الأوليّة عن إحتلال الأحساء الى «الكابتن شكسبير»، كتب هذا قائلا بأن الآراء منقسمة فيما يتعلق بالخطوات التي يمكن أن تتخذها الحكومة التركية «والرأي الغالب هو أن تركيا ستكون مشغولة بمشاكلها الكبيرة في البصرة الى حد لن تستطيع معه أن تستغني عن قوات ترسلها الى الأحساء في الوقت الحاضر».

«ولكن يتوقع أن ترسل تركيا حملة عسكرية في المستقبل عن طريق البحر ضد إبن سعود. أما الشيخ مبارك فيميل الى الاعتقاد بأن الأتراك سيقومون بأفضل عمل سيء في هذه الظروف، فيطلقون على إبن سعود لقب متصرف نجد، ثم يتركونه يحكم لوحده كما يشاء، إذ أن مقاطعة الأحساء لم تكن مربحة يوما للأتراك، ولم تسدّد نفقات إحتلالها، حيث كانت رواتب ومكافآت شيوخ البدو الصغار تبتلع كل عائدات الاقليم، في محاولة لم تجد نفعا لمنعهم من نهب القوافل وتهديد الفصائل العسكرية التركية»[٥٥].

وفعلا صدقت توقعات الداهية مبارك الصباح، وجرت الأمور بشكل مطابق لما توقع.

ويمكننا إجمال أسباب اعتراف تركيا بالأمر الواقع بشأن الأحساء والقطيف، فيما يلي:

١ ـ إن إرسال حملة كبيرة يقتضي نفقات كبيرة، لا تستطيع تحمّلها، سيّما وأنها في وضع مالي صعب، كما أن إرسال حملة صغيرة قد يؤدي الى فشلها بما يعود بمحانير عظيمة.

٢ ـ إن الأحساء لم تكن مفيدة ـ رغم خيراتها ـ إقتصاديا للأتراك لأسباب أوضحناها سابقا.

٣ ـ وقوف الحكومة البريطانية أمام محاولات العثمانيين بإرسال سفن عسكرية بحجة المحافظة على أمن الخليج، وقد فشلت الدولة العثمانية في إرسال جنودها على ظهر سفينة روسية لاستعادة المنطقة، بقيادة والي البصرة سليمان شفيق باشا.. إذ ما كادت هذه القوات تدخل البصرة حتى تفشّت بها الأوبئة.

٤ ـ أن القوات التي يعتمد عليها هي عربية وكردية وقبلية من المنتفق أو من الموصل، وقد كانت المشاكل والثورات تعصف بها يومئذ.

لكل هذا فكرت تركيا في مصالحة إبن سعود وإنتهاج سياسة سلمية حتى يتسنّى لها الانصراف لحلّ مشاكلها الأخرى، وللحيلولة دون تسرّب النفوذ

البريطاني للأحساء، إن هي جعلت من إبن سعود صديقا لها، كما حدث في اليمن(٥٦).

من جهتهم كان الإنجليز يراقبون الاوضاع في الأحساء من مناظير مختلفة إحداها البصرة، التي كان يتوقع منها إنطلاق حشود عسكرية لاعادة إحتلال الأحساء.. على سبيل المثال، أرسل ضابط الاتصال البريطاني في البصرة الى حكومته في ٥ يونيو ١٩١٣، بأن كتيبة مؤلفة من ٢٠٠ رجل تركي من مختلف الأسلحة قد وصلت البصرة قادمة من بغداد يوم ٣٠ مايو ١٩١٣، وأضاف باهتمام «لا تلاحظ أية حركة أو نشاط هنا-البصرة-لاستعادة الأحساء.. وتفيد آخر التقارير الواردة إلينا بأن حامية الأحساء هي في طريقها الى البصرة»(٥٧).

ويشير القنصل البريطاني في البصرة «كراو» في تقرير له في ١٨ مايو ١٩١٣(٥٨)، أنه التقى بطالب النقيب في مساء اليوم السابق، وأن النقيب تلقى مساء ذلك اليوم رسالة قصيرة من إبن سعود تعلمه بأن الأخير إحتل الأحساء، وانه قد أرسل المتصرف والموظفين المدنيين والقوات التركية بأسحلتها الى البصرة، وأشار الى أنه أعطى ٣٠٠ جنيه تركي كنفقات لرحلتهم.. وأبلغ طالب النقيب القنصل البريطاني بمحتوى الخبر، وأن إبن سعود أعلن ولاءه للسلطان، على أن لا يقدم شيئا من الضرائب التي يجنيها من الأحساء، وأن لا يبقى الموظفون الأتراك فيها.

وعلّق القنصل البريطاني على الخبر، بأن إبن سعود قدّم رأيا يقارب لراي السكان، وأن أوضاع الأحساء السياسية بدأت بالاستقرار. وأضاف بأن رسالة إبن سعود كانت مرسلة للوالي بواسطة طالب نفسه، وأن إبن سعود إعتبر نفسه خادما مطيعا للحكومة العثمانية(٥٩).

ولأن طالب النقيب كان يميل الى حركة إبن سعود فقد قال للقنصل أنه يتوقع أن تؤثر أحداث الأحساء على سكان البصرة وبغداد بقوة، مشيرا الى طموحه هو في الاستقلال والاستفراد بالبصرة كمملكة لآل النقيب.. وقال القنصل، أنه أبلغ بأن الوالي العثماني لم يتلق جوابا من السلطات العليا حول الخطوات المقدمة ،وأنه عبّر له عن أمله بأن الاجراءات التي ستتخذ يراعى فيها حفظ النظام»!، وهي إشارة الى مسائل السلم البحري، ومعارضة بريطانيا لحملة عسكرية حربية تركية.. وهنا أجاب النقيب، أنه يفعل جهده في ذات الاتجاه(٦٠).

وتشير وثيقة بريطانية، الى أن السيد طالب أجرى عدّة إتصالات تتعلق بالقارب الحربي «مارماريس» والذي غادر الى بومباي قبل أشهر لكي يصلح، وأيضا عن «الحميدية» والتي قيل أنها ستعود للبصرة، وتوقع طالب أن «مارماريس» لن تعود قبل أن يكون السلام مع إبن سعود قد تحقق.

على أن أهم أمر حدث بعد سقوط الأحساء، هو ذلك اللغط الذي دار حول الاتفاقية التركية البريطانية فيما يتعلق بمناطق النفوذ على ساحل الخليج العربي. فقد أشرنا الى أن احتلال الأحساء تمّ أثناء المفاوضات التركية / البريطانية، بحيث تسلّم بريطانيا بأن نجد والأحساء ضمن دائرة النفوذ التركي، فيما تسلّم تركيا للإنجليز بنفوذهم في عمان والبحرين والساحل المتصالح وحتى قطر!.

ولكن جاءت حركة إبن سعود فأربكت الطرفين، خاصة الطرف الإنجليزي. فهل لهم أن يعتبروا الأحساء «تركية» أم لا، رغم أنها في الواقع ليست كذلك، ورغم أن إبن سعود أقرب إليهم من غيره من الحكّام آخرين؟.

وبعد جدل ونقاش طويل، إستقرّ الأمر على إعتبار الأحساء تركية لأسباب أهمّها:

★ أن الأتراك لن يوقعوا على إتفاقية لا تعتبر الأحساء تركية.

★ إن إعتراف الإنجليز بتركية الأحساء لن يغير من واقع الحال شيئا، فالسلطة كاملة ستبقى بيد إبن سعود.

★ إن الاعتراف بتركية الأحساء سيجنى مقابله إعتراف بالنفوذ البريطاني في بقيّة المناطق، وهذا الاعتراف مهم، بل أكثر أهمية من إعتراف إسمي بعثمانيّة الأحساء.

★ إن إنزعاج إبن سعود المتوقع يمكن تفريغه، بإقناعه بأن الاتفاقية - إذا ما علم بخبر توقيعها - لن تغير رأي الإنجليز فيه، ولن تحرمه من إستقلاله الذاتي، بل أنهم سيعملون كوسيط في المفاوضات لاقناع الأتراك بالتخلي عن الأحساء كاملة له.

وهكذا تمّ توقيع إتفاق بين دولة انجلترا والدولة العثمانية، يحدّد مصالح الطرفين في البحرين والكويت والساحل المتصالح، دونما إشارة للأحساء - أو هويتها - .. تمّ ذلك في ٢٦ يوليو ١٩١٣.

لا شك أنه كانت هناك حيرة إنجليزية في حلّ المشكل الشكلي، فيما يتعلق بتبعية الأحساء، وما يترتب على ذلك من إعتراف بإبن سعود من عدمه .. وقد أثير هذا الموضوع منذ أن وصلت الأخبار بإحتلال إبن سعود للأحساء.

فقد بعث كوكس - المقيم في بوشهر - برقية الى حكومة الهند بعد حوالي ثلاثة أسابيع من إحتلال الأحساء حول تطورات المفاوضات التركية - البريطانية، ويبدي رأيه في الموضوع المستجد، ألا وهو إحتلال الأحساء[٦١].

يقول كوكس أنه من الصعب التوفيق بين البند العاشر في الاتفاقية التركية - البريطانية، وهو بند يتعلق بمنطقة الأحساء المحتلة حديثا، وبين الانسحاب التركي من نجد والأحساء. وأضاف أن بإمكان الحكومة البريطانية أن تقدم نصيحة للباب العالي، أو تترك الأمور لتأخذ مجراها الطبيعي دون

التطرّق للأمر المستجد.

«فمن جهة، يبدو أن مسودة الاتفاقية المذكورة تفرض علينا إعترافا حديثا بسلطة الأتراك على نجد ـ والأحساء ـ . ومن جهة اخرى إذا كان إبن سعود حاكما مستقلا، فإن من الضروري من وجهة نظر مصالحنا وعملنا في الخليج، أن لا نضيّع وقتا في تأسيس علاقات رسميّة محدّدة وطيّبة معه».

ويتساءل كوكس فيما إذا كانت هناك إمكانية «للضغط على الأتراك للاعتراف بالحقائق المنطقية، وأن يجري ترتيب مع جهودنا لحل مرض للمشكلة، مشكلة الأحساء وتوابعها، بحيث تلحق هذه القضيّة بالاتفاقية المزمع توقيعها ؟».

ويعرض كوكس سيناريو للحل يتفق تماما مع مصالح الأمير السعودي، فهو يقول بأن «قواعد الحل ربما تكون إعترافا بإبن سعود كحاكم مستقل في نجد ـ الأحساء ـ على أن يكون تابعا رسميا للسلطات التركية. وأن نضمن نحن حقنا في التعامل معه كواحد من حكام الساحل البحري، حتى نستطيع إرسال معتمد بريطاني إليه. وأن يتم ـ بمعرفة الباب العالي ـ توقيع إتفاق معه فيما يتعلق بمكافحة القرصنة، وتجارة الرقّ، وتهريب السلاح .. وسيكون مرضيا لأبعد الحدود أن نرى كامل نجد وقد إنتُزعت من السيطرة التركية»[٦٢].

ويعود كوكس فيؤكد بأن الحكومة البريطانية ستقرر الانتظار الى أن تحدث تطورات جديدة على الموضوع، وفي نفس الوقت تبقي على صداقتها مع إبن سعود. وأخيرا يرى كوكس أن من المستحيل في هذا الوقت المتأخر أن تقحم مسألة الأحساء في نقاش مع الأتراك، لأنها ستسبب تعويقا ومخاطرة على الاتفاقية المزمع توقيعها.

واتسع النقاش الذي شاركت فيه خارجية لندن ومسؤوليها، وكان رأي الجميع متفقا بأن المفاوضات التركية ـ البريطانية التي وصلت الى آخر الشوط، لا يجب أن تعرقل بطرح مسألة الأحساء وإحتلالها. ولكن إذا ما طرحت المسألة، فسيطلب البريطانيون من الحكومة التركية الاعتراف بإستقلالية إبن سعود على أن يكون خاضعا إسميا لها. وأن يسمح للانجليز بأن يقيموا علاقات معه شبيهة بعلاقاتهم مع أمراء الساحل.

في الرابع من يونيو ١٩١٣، بعث المكتب الهندي الى وزارة الخارجية، برسالة موقعة من «ت. و. هولدرنس[٦٣] يقول فيها: «أن الماركيز كراو يوافق حكومة الهند بأن من المستحيل إقحام مشكلة وضع الأحساء القانوني في هذا المرحلة على طاولة المفاوضات القائمة، ولكن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا تعارض وجود قوّة ضاربة في مناطق الجزيرة العربية المشار إليها».

وتضيف الرسالة، أنه بالرغم من أن الحكومة البريطانية لا تريد إقحام مشكلة الأحساء في المفاوضات «ولكن إذا ظهر أن السلطة التركية المباشرة قد

إختفت من هذه المناطق، فإن من الضروري إيجاد تفاهم مشترك، سواء مع الحكومة التركية، أو مع السلطات المستقلة في نجد-إبن سعود-».

«ويظهر من برقية السير بيرسي كوكس المؤرخة في الثلاثين من مايو ١٩١٣، بأن طموح إبن سعود هو في أن يكون واليا-على الأحساء والقطيف-بالنيابة عن الأتراك..كما ويبدو أن من المعقول سؤال حقي باشا بصفة غير رسمية عن رأي الحكومة التركية فيما يتعلق بمفاوضة الجهة المسؤولة عن الأحساء أيا كانت».

وحين يرد «لويس ماليت» نيابة عن وزير الخارجية السير غري على الرسالة يقول (٦٤):

«إن السير غري يتفق تماما مع وجهات نظر حكومة الهند، بأن من المستحيل في هذا الوقت المتأخر طرح مشكلة الأحساء»، ولهذا يعترض بقوة على مناقشة الموضوع مع حقي باشا حتى وإن كان بصفة غير رسمية.

وقال ماليت بأن غري، يرى أن من الأفضل إنتظار التطورات، وأن تتقيّد الحكومة البريطانية بسياستها الحالية بدقة وصرامة، دون التدخل في أمور نجد بشكل مباشر أو غير مباشر، ولعلّ الوزير-كما يبدو-لازال يتذكر مسألة شكسبير هنا!.

وتعرّض غري لوجهة نظر كوكس بشأن توقيع إتفاق مع إبن سعود، فعارض ذلك، وقال بأن هذا يقوّي الشكوك لدى الحكومة التركية، ويؤثر على تطورات الأحداث.

ومن جهته فإن إبن سعود، ورغم صلاته المباشرة بالحكومة التركية عبر ممثليها في البصرة وبغداد، وعن طريق ممثله هناك عبد اللطيف المنديل-التاجر النجدي المقيم في العراق-، فإنه إستخدم مبارك الصباح لينوب عنه في إقناع الأتراك بضرورة حل المسألة سلميا..يتّضح ذلك من خلال المراسلات التي تمّت بين الطرفين.

وكما يبدو فإن الدولة العثمانية وبسبب ضعفها العسكري، هي التي فاتحت إبن سعود بشأن مبدأ التفاوض، وكلفت ممثله عبد اللطيف المنديل بذلك، فعاد يحمل الموافقة للسلطات المتهالكة بشأن تحقيق التسوية.

بعدها أمرت الدولة العليّة السيد طالب بأن يمهّد للتسوية مع إبن سعود فالتقط الخيط مبارك الصباح، وبعد معرفة طلباته وتقديمها للدولة، كتب مبارك للأمير السعودي، الرسالة التالية: (٦٥)

«ولدنا العزيز، دمت بخير وسرور

«الله يسلمك. أنا عرّفتك عنيد-عن يد-ولدنا عبد الله الجلوي عن مطراش-رسول-عبد اللطيف المنديل لك، ومطالبهم. لا تقبل منها شيء يتنازلون عمّا هم طالبين. إلزم تعريفك الأولي لهم: ألفين ليرة سنويا، وأنك

عثماني تحت أمرهم . ولا بدّ مثلما عرفتك ، أن يجيك ـ يأتيك ـ من يخصم المادة معك على ما في الخاطر إن شاء الله . والعلاقات تصير في القطيف . هذا بعد ما يجيبهم إبن منديل ، أو يعرّفهم قبل ما يجيبهم» .

وينتقل مبارك بعد أن يطرح رأية بشأن المفاوضات السعودية التركية وإقتراحاته بشأنها ، وكيفية إدارتها . ينتقل الى علاقات إبن سعود مع الإنجليز ، فيضيف : «وأمّا الذي ـ الذين ـ واجهوك في العقير (٦٦)، لهم رغبة فيك . لكن لهم حاجة عند الترك . الآن ما يتبيّنون لأجل قضيان حاجتهم(٦٧). ونحن أيضا ما نرغب فيهم (٦٨) . الذي ـ الذين ـ الآن يراسلونك أهون منهم واجد ـ جدا ـ إذا رأينا الأمور تسلك معهم بحالة ما تمسّ ، ما ننذخر ، ونخلي ذولاك ـ نترك أولئك ـ مكراب الآن» .

بعد هذا تبدأ تفاصيل اللقاء مع بطلي التسوية «مبارك نيابة عن إبن سعود ، وطالب النقيب نيابة عن الأتراك» .

قال مبارك في رسالته لابن سعود : «أنا هالأيّام وصلت البصرة ، الوالي سيّر علينا وعزمنا عنده (٦٩)، وصار بحث من طرفك . طالب قال : مبارك ما جاعد يعطينا رأية في مسألة إبن سعود . قلت له ، وأنا أسند على الوالي : أعطيتكم رأيي ، وكلّما تسألوني أجاوبكم . إحفظوا شرف الدولة ، واحفظوا إبن سعود لا يروح من يدكم (٧٠) ، هذا النظر كاف» .

«والأخ الشيخ خزعل جاوبهم ، قال : هذا هو الرأي ، وهو النظر ، مثلما يقول مبارك . إذا حفظتوا شرف الدولة ، وحفظتوا إبن سعود ، صار إبن سعود لكم ، ما يصير الى غيركم ، وإبن سعود أنفع لكم من الأحساء والقطيف» .

«آخر : الله يسلمك ، ما هم مستقيمين على قرار ـ أي الأتراك ـ لأن الله آمر عليهم بالنقص ، وأما الملاقاة ـ المفاوضات ـ مع الذي يخصهم الأمر معك ، هذاي ـ هؤلاء ـ صاير عليهم أمر من إستنبول . وأنت الله يسلمك ، مثلما أنا ذاكر لك : إلزم تعريفك الأولي ، عثماني ومنهم ، ومعطين ألفين ليرة سنويا» .

أي قل لهم : أنا عثماني ، وأعطوني ألفي ليرة سنويا . هذا أثناء المفاوضات إذا ما أرسل الأتراك مندوبين عنهم الى القطيف ! .

في هذه الأثناء بعث طالب النقيب برسالتين لابن سعود ، إحداها من المسؤولين العثمانيين ، والأخرى شخصية من طالب نفسه ، بشأن التسوية وإعداد ملخص للأتفاقية . وقد حاول مبارك تعويق الردّ السعودي ، وطلب من إبن سعود نفسه أن يتأخر في إبداء رأية في الأسس العامة للاتفاقية ، ريثما يتم اللقاء المرتقب بينه وبين السير بيرسي كوكس في الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٣١هـ ، ١٥ نوفمبر ١٩١٣ ، ويناقش معه بنود الاتفاق .

وكان مبارك وسيطا في تحديد يوم اللقاء . فقد كتب لابن سعود رسالة جوابية على رسالة سابقة منه مؤرخة في ٢٠ شوال ١٣٣١هـ يبلغه فيها ،

أن الكولونيل كوكس قد قدم الى الكويت ، وأنه «سأل مني : أيش مطلبه ـ مطلب إبن سعود ـ ؟ أيش نظرك ؟ قلت له : مطلبه مثل حالتي وياكم . قال : أنا أراجع الدولة ـ البريطانية ـ من بعد ما أواجهه ـ أي بعد مقابلة إبن سعود ـ ، وأنا أيضا رايح الى الدولة . إن شاء الله يحصل له إستقلال مثلك . قلت له : هذا هو المطلب» !! .

بعدها يكتب مبارك لابن سعود إرشاداته : «فأنت الله يسلمك .. هذا الذي حنّا ـ نحن ـ نريد . وهذي أكبر النعم . حين ما يصلك الخط ـ الرسالة ـ إن شاء الله تمشي . والقرار صار المواجهة ـ اللقاء ـ في العجير ـ العقير ـ ، فإذا تعيّدت إن شاء الله يوم ١١ ذي الحجة تمشي . يعني بعد يوم العيد بيوم . والكرنل يبغي ـ الكولونيل يريد ـ يحضر البحرين يوم ١٥ ذي الحجّة ، وينتظر الخبر منك» .

«وأنت الله يسلّمك ، كل من دخل تحت نظرهم ـ أي تحت رعاية الإنجليز ـ إعتزّ واستراح ، مثلما تشوف حنا ، وراعي البحرين ، وعمان .. رفيقهم عامر وعزيز . وهذي إن شاء الله من حسن توفيقك . والاّ ، يا ولدي العزيز ، لو يطلبون منّا واردات الأحساء والقطيف هذه السنة وغير هذه السنة «لتكون» قسم من وارداتهم ـ أي واردات الإنجليز ـ ، كان نعطيهم لأجل عزّ الرأس والراحة .. خلنا ـ دعنا ـ نستريح من هالذاهبين ـ أي الأتراك ـ اللي ـ الذين ـ دائما حنّا في فكر من طرفهم ، ومن الشريف وغيره . فأوصيك وأكد عليك ، يوم الله ييسّر ، إقبل بما يقطع نظر الكرنل ، تراني حاسّهم ، وعارف غايتهم زين» .

«تراهم ـ أي الإنجليز ـ رجال ، كل أمورهم ما يبينوها ، وغايتهم هذي بيّنوها لي أنه يحصل إستقلال . فأنت لا تبيّن لهم إلاّ أنك تطلب منهم إستقلال ، وأنك محب لطرفهم دون غيرهم من الدول : فإن عطيتوني إستقلال على موجب محبتي لصداقتكم وقربكم ، فأنا راغب فيكم دون غيركم ، وأمشي بكلما يرضيكم ، وإن تعذرتوني فأعذروني (٧١) .

ومرة أخرى كتب مبارك رسالة لاحقة لرسالته الآنفة الذكر يؤكد فيها على الموعد ، ويبين لابن سعود أن الإنجليز «شافوا طول إقامتي هالسنة بالبصرة ، واختصاري ـ إنفرادي ـ مع الوالي ـ التركي ـ دفعات ـ مرات ... وهم ـــ أي الإنجليز ـ الله يسلمك ، ما يغباهم شيء ـ لا يخفى عليهم شيء ـ ، واعين» .

وشرح مبارك للإنجليز مسألة وساطته ، وقال لهم «أنكم مبعدين عنه» ، أي مبتعدين عن إبن سعود ، وأضاف «فالاشارات الذي رأيتها أنا منهم ـ من الأتراك ـ يسلكون مع عبد العزيز ويصطفون له الأحساء والقطيف ، ويحسنون له كل ملحقات مملكته .. الى مسكت ـ مسقط ـ ...» .

«فالآن الرغبة فيكم ـ الإنجليز ـ عن غيركم ـ الأتراك .. أحب أن إبن سعود معكم ، يدخل مدخلي ، وكل هذه المدّة معهم على هذا البحث» .

وأكد مبارك في هذه الرسالة أن كوكس سيصل الى البحرين يوم ١٥ ذي الحجّة ١٣٣١هـ حتى يأتي «وأنت الله يسلمك إلزم اللزوم عليك مواجهة الكرنل . لأن هذي المسألة حنّا نشريها في كل حاصل الأحساء والقطيف»(٧٢) .

«فالآن أنا أكد عليك بالعجلة لمواجهة الكرنل . وأنت إذا واجهته إن شاء الله ، مطلبك عليه فقط الاستقلال ، وأبي - أريد - أدخل معكم مدخل مبارك ، وأنا ملزم إن شاء الله أتبع رضاكم وأمتثل أمركم في كل الأحوال .. والاّ أنا اليوم مستقل ، وأنا راضي مع الترك الآن ، ومعطيني الاستقلال ، ويحبون أني أحافظ على جميع ملحقات مملكتنا ، ومع هذا أنا أحب طرفكم عن غيركم ، بحسب عدالتكم وحميتكم ومرحمتكم ، فإذا تبعدوني عنكم أصير مجبور أوافق الترك»(٧٣) .

ورسالة ثالثة يكتبها مبارك لابن سعود ، يعلّمه فيها حرفيا كيف يفاوض الإنجليز ، ويحسّن له صفاتهم ، وفي هذا الرسالة يبلغه أن طالب النقيب سيقضي يوم عيد الأضحى في الكويت ، وكان طالب قد جاء للاستعانة بمبارك في المفاوضات مع إبن سعود . وقال مبارك في رسالته لابن سعود موضحا عادات الإنجليز :

«أنا الله يسلمك ، أبيّن لك عن عاداتهم : ما يبيّنون رغبتهم ولا منافعهم ، ولا الذي يبون - يريدون - يجرونه ، إلاّ من بعد ما يجري . ورجال أهل سدّ غميج - عميق - ، وأهل سيرة زينة ، وكلمتهم واحدة ، إذا أعطوا جواب يصدقون ، ورفيقهم يزيدونه ما ينقصونه . والاّ الذاهبين - الاشارة هنا للأتراك - ما في قربهم خير ، وخويّهم يضرّونه ، وفي خطر ، مثلما هم أذهبوا أنفسهم يذهبون الذي يجاريهم»(٧٤) .

بعدها يشرح مبارك ، أهمية تمطيط المفاوضات ريثما يتم اللقاء مع الإنجليز : «وأنا الله يسلمك ، ذاكر لك أن حنّا نبي المخابرة تطول ، لأجل يبقون في أمل ، وحنّا نشوف لنا شوفات ونفتكر .. والخطوط - المكاتيب - الآن أخّرناها ، وقاعدين نفتكر مع الصاحب - المعتمد السياسي في الكويت - الذي عندنا نتراجع حنّا ويّاه» ! .

إن النتيجة المستخلصة من هذه الرسائل واضحة المعالم :

١ - فمبارك هو دلاّل المفاوضات بين إبن سعود والأتراك من جهة ، وبين إبن سعود والإنجليز من جهة أخرى . فهو يقول للأتراك : لا تخسروا إبن سعود حتى وإن خسرتم الأحساء . ويقول للإنجليز : إن إبن سعود راغب فيكم دون غيركم ، فلا تتركونه يواجه الأتراك وحده دون دعم ، وإلاّ حرّضوه لأخذ عمان من يدكم ! ، وفوق هذا كان يقدّم تفاصيل وساطته لمعتمد الإنجليز في الكويت .

٢ - إن الإنجليز لم يكونوا بعيدين عن المفاوضات التركية السعودية ، بل في حقيقة الأمر كانوا في قلب القضية . فمبارك هو رجل الإنجليز أولا وتاليا . والصاحب «المعتمد في الكويت» يطلع على المكاتيب السعودية والتركية

في نقطة الوصل، وهي الكويت، وبصورة علنية، ويديرون المباحثات نيابة عن إبن سعود.

٣ ـ وتوضح الرسائل أن إبن سعود لم ينل بغيته من الإنجليز، وهو الإعتراف العلني بإستقلاله عن الأتراك، والسبب هو أن الإنجليز لم يكونوا في وضع يسمح لهم بالإعتراف العلني به حاكما على الأحساء والقطيف، ومستقلا بهما دون الأتراك. وكانوا حريصين ـ حسب تعليمات وزارة الخارجية في لندن ـ على تجنّب الظهور بمظهر المتآمر مع إبن سعود. وفي ذات الوقت لم يسمحوا لأنفسهم بأن يتركوا إبن سعود ينسّق مع الأتراك كيفما يشاء خشية أن تتعرض مصالحهم في الامارات الأخرى للخطر، وخشية أن يخسروا إبن سعود نفسه.

لذا كان لا بدّ من لقاء إبن سعود وعلى مستوى المقيم في بوشهر «كوكس»، رئيس الروُساء، أو رئيس الخليج، كما يصفونه.

وكما يبدو من الوثائق، فإن لقاء آخر تمّ في منتصف ديسمبر ١٩١٣، وكان الطرف الإنجليزي ممثلا في المعتمد البريطاني في البحرين «تريفور»، والمعتمد البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير. وقد إلتقى الطرفان على بعد ميل من الشاطيء المحاذي للعقير في صبح يوم الاثنين ١٥ ديسمبر، حيث إستقبلهما إبن سعود بأدب بالغ عند الشاطيء في الساعة الثامنة صباحا، ثم رحّب بهما من جديد في مخيمه، في إحتفال عسكري ـ العرضة ـ على شرف الضيفين.

وفي ذلك اللقاء نوقشت مسألة قطر، وقد تعهد إبن سعود بعدم التعدي على الممتلكات البريطانية، وتبرّع من تلقاء نفسه ـ كما تقول الوثائق البريطانية (٧٥) ـ فكشف للمعتمدين وبسريّة مجريات وتفاصيل المفاوضات بينه وبين الأتراك، والأسس التي إعتمدت للاتفاق بين الطرفين في المستقبل. وقرأ إبن سعود عليهما مسودة إتفاقية تتضمّن ١١ بندا، خمسة منها إقترحها إبن سعود، والستة الباقية إقترحتها الحكومةالتركية.

تتركز مقتراحات إبن سعود بأن تكون له السيطرة المطلقة على منطقة الأحساء التي يديرها الآن، وأن يشار الى حقّه في الشاطيء، وحقّه في الادارة والسيطرة على الموظفين المحليين.

أما الحكومة التركية فقد إقترحت التالي:

١ ـ إعادة القوات التركية السابقة الى الأحساء.

٢ ـ يعين القضاة وموظفو القضاء بفرمان سلطاني.

٣ ـ عدم السماح للتجار والوكلاء الأجانب للقوى الأجنبية بالبقاء وطردهم من الأحساء.

٤ ـ كل الاتصالات والمكاتبات التي جرت بين القوى الأجنبية أو ممثلياتها وبين إبن سعود، تحوّل الى السلطات التركية.

٥ ـ أن يدفع ضريبة سنوية قدرها ثلاثة آلاف ليرة تركية.

٦ ـ لا تقدّم أيّة إمتيازات من قبل إبن سعود للشركات الأجنبية، سواء لسكة الحديد أو خط برّي للسيارات(٧٦).

وتوضّح فقرة وردت في التقرير مقدار النفوذ البريطاني في المفاوضات التركية ـ السعودية: «ففي أثناء المفاوضات، وفي أكثر من مناسبة، أوضح إبن سعود بصورة لا لبس فيها أنه يفضل بأن لا يتم أي صلح بينه وبين الأتراك، إلاّ تحت رعاية الحكومةالبريطانية، لأنه لا يثق في أية إتفاقية دائميّة تعقد مباشرة بينه وبين الحكومة التركية».

وأشار تقرير المعتمد السياسي في البحرين الى العلاقات السعودية البريطانية، فيما يتعلق بالرعايا والمصالح البريطانية في ساحل الأحساء والقطيف. وقد أشار المعتمد تريفور «أن إبن سعود وقبل أن يرسل تعليماته الى وكيله في القطيف ـ أمير القطيف ـ، سوف يسمح للرعايا البريطانيين بالدخول والاتجار وفتح المحلات، وأنه سيكفل لهم الحماية، وسوف يتصل بالمعتمد السياسي في البحرين فيما يتعلق بهؤلاء الرعايا حينما تبدر الخلافات».

أما رأي إبن سعود تجاه المصالح البريطانية فإن التقرير يقول: «في كل المحادثات الخاصة والعامّة التي تمّت مع إبن سعود، بدا الأخير صاغيا جدا ومستعدا لفعل أي شيء يستطيعه لتلبية رغبات الحكومة البريطانية، وللحصول على دعمها».. أما النتيجة الملموسة «فإنه ـ أي إبن سعود ـ وافق في الحال على قبول وحماية التجار البريطانيين في القطيف، وفي أي مكان على الساحل، وأيضا تأجيل الوصول الى أي إتفاق مع الأتراك الى أن يأتي الربيع بعد ثلاثة أشهر حيث سيتجه شمالا».

وحول المصالح البريطانية في قطر وعمان والامارات المتصالحة، فإن «إبن سعود أوضح بطريقة أكثر علنية، بأنه لن يتدخل في الشؤون السياسية في قطر، وأمارات الساحل المتصالح، وأن لديه الرغبة في أن يتصرف وفق رغبات الحكومة البريطانية في هذه المناطق».

ويعود التقرير فيشير لرأي شكسبير وتريفور، اللذين قابلا إبن سعود بشأن المفاوضات التركية السعودية «أنه ليس هناك أدنى شك بأن من المهم أن تبدي الحكومة البريطانية رغبتها في إستخدام مكانتها المرموقة للتأثير على الاتفاقية بين إبن سعود والباب العالي، بما يكفل لإبن سعود أن يكون حاكما مستقلا على الأحساء والقطيف، تحت الرعاية التركية. وأن إبن سعود سيكون سعيدا جدا لعقد إتفاقيات علنية مع الحكومة البريطانية بشأن التعاون في مجال القضاء على القرصنة، وتهريب السلاح، والحفاظ على السلام البحري. وبشأن السلاح، فقد طلب إبن سعود السماح له بأن يستورد البنادق لاستخدامها من

قبل قواته» .

وأشار إبن سعود من طرف الى أنه قد يقبل بأن يكون حاكما مستقلا تحت الرعاية التركية، وأن يدفع عائدات الجمارك للأتراك إذا بدا ذلك محتما .. وتساءل المعتمد عمّا إذا كانت الحكومة البريطانية ترى أن من المناسب لها أن تحاول التأثير على الاتفاقية بين إبن سعود والأتراك .. إن ذلك يبدو أمراً مرغوبا فيه . وأن من الواجب «إتخاذ خطوات محددة خلال الشهرين القادمين، وبالامكان مواصلة الاتصال بإبن سعود بواسطتي، قبل أن يتجه شمالا في الربيع القادم، من أجل تحاشي الوصول الى إتفاقية سعودية-تركية تكون معادية لمصالحنا . وفي الوقت الحالي إذا ما طلب مني واحد أو إثنان من الرعايا البريطانيين السماح لهما بالذهاب الى القطيف فسأفعل ذلك، لأنه يقوي وضعنا بوجه محاولات المقاومة المتعلقة بإبعاد الأجانب، والتي يرغب الأتراك بشكل خاص إجبار إبن سعود للقبول بها»

وحول لقاء إبن سعود مع الكابتن شكسبير، المعتمد السياسي في الكويت، والمعتمد السياسي في البحرين الميجور تريفور، فانهما أعدّا تقريرا ضافيا فور إقلاعهما من ميناء العقير باتجاه البحرين .. ففي البحر يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٣، قدّم الاثنان ملخصا للحديث الذي دار يومي ١٥، ١٦ ديسمبر مع إبن سعود(٧٧) .

ففي اليوم الأول «١٥ / ١٢»، بدأ إبن سعود بتقديم نبذة عن تاريخ العائلة السعودية وحكمها التاريخي لنجد، الى أن يصل الى المقطع الحسّاس المتعلّق بإحتلال الأحساء، ثم أوضح حاجته للدعم من قبل حكومة جلالة الملك البريطاني .

وقد قيل له أن من أول مهمّات هذا اللقاء، هو الاجابة بالتحديد على سؤال: في أي إتجاه يريد الأمير السعودي المساعدة من الحكومة البريطانية . أما الجواب فقد أبدى إبن سعود «رغبته في تجديد الصداقة التاريخية والابقاء عليها بين عائلته والحكومة البريطانية .. وذلك من أجل تأمين وضعه الحالي والمستقبلي» .

وأضاف بأنه طلب المساعدة «لأنّه رأى كيف تعاملت الحكومة البريطانية مع الكويت والبحرين والأماكن الأخرى، وأنه إستوعب إمكانيّة الثقة بها . وقال انه يتمنّى أن لا يتعامل مع أي قوة كبرى، حتى الحكومة التركية، باستثناء بريطانيا» .

ويشعر إبن سعود بأنه يجب عليه أن يضع بعض الشروط مع الأتراك ليؤمن وضعه إذا ما خيّب البريطانيون آماله، وأضاف بأنه يريد أن يعرف بالتحديد رأي الانجليز في كيفية التعاطي مع الأمر التركي لتأمين وضعه ؟ .

واندفع إبن سعود يتحدث بصراحة ووضوح، بأن كل ما يريده أن يعيش

في سلام، أي أن لا يتعرّض له أحد وينازعه على حكم الأحساء، وقال بأنه «يرى بأن الحكومة البريطانية تحافظ على السلام البحري في الخليج الفارسي كلّه، باستثناء قسم صغير هو ساحل منطقة الأحساء».(٧٨)

إن المعنى واضح هنا في أذهان الانجليز، والهدف السعودي يعبر عن نفسه بكل صراحة.. فإبن سعود يريد من الانجليز حماية سواحله من أي هجوم تركي بحري، بحجّة حماية الساحل. وقد سبق لهؤلاء أن تدخلوا فعلا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على الأحساء «١»، وقالوا للعثمانيين أنهم يعارضون أية حملة بحرية ضد إبن سعود، لكن الأخير لم تقدّم له تطمينات كافية في هذا الشأن، إذ أن حبر الاتفاقية التركية-البريطانية لم يجف بعد.. ولهذا فان كل ما يحتاجه إبن سعود، هو توكيد هذه المسألة والحصول على إعتراف بريطاني بإستقلاله، ولذا قال «أنه إذا ما حصل على تأكيد من الحكومة البريطانية بأنها تعمل على صيانة السلام البحري في شريط شاطيء الأحساء، وإذا ما إعترفت الحكومة البريطانية به كحاكم مستقل على المنطقة، فإنه سيكون راضيا.. وأن بإمكان الحكومة تأمين النتائج بواسطة المساعي الدبلوماسيّة إذا ما رغبت».

بالطبع لو كان ما يطلبه إبن سعود هو حماية الساحل بحجّة أو بأخرى، لأعطوه الضمان بصورة مكتومة، لكنه أراد أيضا أن يعترفوا به حاكما مستقلا على الأحساء، بينما إعترف الانجليز للتوّ بتبعيّة الأحساء للسلطة التركية، وهو أمر لا يستطيعون التنصّل منه في تلك المرحلة الحسّاسة.. وهنا أجابه المعتمدان البريطانيان في الكويت والبحرين، بشرح ضاف، بأنه «لا يمكن إعطاءه تأكيدات من هذا القبيل»!.. وشرحا له باقتضاب تأثير مثل هذه الخطوة-إن تمّت-على العلاقات التركية-البريطانية.

وهكذا إنتقل إبن سعود للحديث عن علاقاته مع الأتراك، فقال أن «السلطات التركية كتبت إليه عارضة حلا للمشكلة الاحسائية» وأن مسودة البنود تحوي القبول بممثل عن الأتراك في أراضيه، وأن لا يسمح بدخول الرعايا الأجانب التابعين للقوى الكبرى بالدخول الى المنطقة، وأن لا يجري أيّة إتصالات مع القوى الخارجية إلاّ عن طريق السلطات التركيّة. وقال أن هذه السلطات قد تكون مستعدة لاسقاط كل شروطها إلاّ فيما يتعلّق بتصرف إبن سعود في مجال الشأن الخارجي أو السماح لرعايا أجانب بدخول المنطقة.

وأضاف إبن سعود، أنه إذا قبل بهذه الشروط فإن من المحتمل أن يقبل الباب العالي بأن يتركه في سلام كحاكم مستقل للأحساء والقطيف، وتساءل عن رأي بريطانيا في مسودة البنود هذه.

والجواب، كما جاء نصا في التقرير، يقول: «لقد أوضحنا بأنه إذا ما أراد أن يكون حاكما مستقلا-عن الأتراك-في ساحل الأحساء، فإن من الضروري جدا للسلطات المحليّة البريطانية في الخليج أن تبادر الى الاتصال المباشر معه،

ومع ممثليه المحليين من أجل الاتفاق حول الشؤون التجارية المختلفة، وصيد اللؤلؤ، وأيضا لحلّ الخلافات التي تطرح بشكل دائمي.. ولهذا فإن الحكومة البريطانية وفي كل الاحتمالات ستتعامل مع القضيّة بانحياز لمصالحها وحقوقها، إذا ما تضمّنت فقرات الاتفاقية تجاهلا لها».

وفي النقاش الذي تلا ذلك، قال إبن سعود أنه سيكون سعيدا بالتعاون مع الحكومة البريطانية في مجال مكافحة القرصنة، ومجال محاربة تهريب السلاح، وفي الحفاظ على السلام البحري. وأنه «يوافق أيضا على أن لا يتدخل في الشؤون السياسيّة لقطر والساحل المتصالح، وأن يسمح للرعايا البريطانيين وممثليهم بالدخول الى البلاد.. وفي الحقيقة فإن إبن سعود ذهب أبعد من ذلك، وقال بأنه سوف يعمل على إستشارة الحكومة البريطانية في كل الشؤون المهمّة».

كلّ هذه العروض، من أجل أن تعترف به بريطانيا حاكما على الأحساء والقطيف، وتحميه من هجمات تركية متوقعة، مع أن الأتراك بادروا وقدّموا عروض الحل التي لا تتناقض مع مصالحه وإستقلاله الذي يلحّ عليه دائما. وقد أخّر إبن سعود جوابه منتظرا ردّ المسؤولين البريطانيين ورأيهم، وقال بصراحة أنه مضطر لاعطاء جواب محدّد على العروض التركيّة في أقرب وقت، وأن مبعوثه كان يجب أن يرحل في رمضان ١٣٣١هـ، أغسطس ١٩١٣، ولكنه أخّر ذلك على أمل أن يسفر اللقاء المقترح مع المقيم البريطاني عن بعض النتائج.

وزيادة على التأخير، طلب المعتمدان البريطانيان «تريفور، وديكسون» من إبن سعود أن يؤخر تقديم جوابه للأتراك أكثر حتى تتاح الفرصة للحكومة البريطانية لدراسة التقرير الذي سيقدمانه.

ولما أوضح لهما بأن التأخير قد يكون في غير صالحه، شرح المعتمدان له بأن لقاءهما الحالي معه ضروري لايجاد قواعد لحل الخلافات التي قد تنشب بين موظفيه على الساحل وبين السلطات المحليّة البريطانية في البحرين وقطر والساحل المتصالح(٧٩).

كما أوضحا له أيضا، بأن السلطات البريطانية أوضحت لحقي باشا-وزير الخارجية التركي آنذاك-بأن وصول إبن سعود لشاطيء الخليج، يحتّم على السلطات البريطانية أن لا تتجاهله، وأنه لحماية مصالحها سوف تجد نفسها مجبرة لايجاد حوار معه، على أن تبقى في ذات الوقت على الحياد بين الطرفين التركي والسعودي، وهي تتمنى أن يصل الطرفان الى حلّ سريع لمسألة الأحساء والقطيف.

وانقضى يوم المفاوضات الأول، ١٥ / ١٢ / ١٩١٣.

وبدأ تسجيل ما دار في مفاوضات اليوم التالي.

بدأ النقاش، بأن عاد إبن سعود لطرح وجهة نظره في ضرورة الاعتراف بحكمه المستقل للأحساء، فأجيب بأنّ الغرض الأولي للزياة هو تمكين الحكومة البريطانية من الوصول الى أساس إتفاق معه، بموجب الخطوط العريضة التي إقترحها. وأوضح الطرف البريطاني له، بأن العلاقات التجارية العامة، والعلاقة الخاصة في مجال صيد اللؤلؤ بين البحرين من جهة، وبين منطقة الأحساء من جهة اخرى، مترابطة قوية.. وأن الرعايا البريطانيين (٨٠)الذين كانوا فيما مضى في القطيف، تقدّموا الى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين من أجل أن يُسمح لهم بالعودة الى القطيف، ولكن المعتمد رفض ذلك، ريثما يستقر وضع المنطقة ووضع إبن سعود الذي استولى عليها حديثا، أو بانتظار أن يتضح رأي إبن سعود المحتمل تجاهه.(٨١).

علّق إبن سعود على الأمر، بأنه لا مانع لديه ولا إعتراض على قدوم الرعايا البريطانيين للقطيف، وتعهد بتقديم الحماية لهم، وإجراء تحقيق شامل حول شكاياتهم، شرط أن يتعهد الطرف البريطاني بأن لا يقدّم أيّة دعوى قبل أن يتأكّد من صحتها، وأضاف أنه سيكون سعيدا بأن يسمح للتجار البريطانيين بالقدوم الى القطيف وأن يحميهم.

وقال إبن سعود أن كل الأمور مرهونة بحل المشكلة مع الأتراك، وأنه لا يعتقد إلاّ بالمفاوضات المباشرة، وأنه لأجل ذلك سيتحرّك الى حدود الأحساء الشمالية في الربيع بعد نحو شهرين أو ثلاثة، وأضاف-مقترحا- أن يبلغ وكيله في البصرة وبغداد بشأن محادثاته الحاليّة مع البريطانيين في العقير، وأنها كانت ضرورية لحل المشاكل العالقة بين الطرفين(٨٢).

إستمرت المباحثات بين إبن سعود والمعتمد السياسي في البحرين الميجور تريفور لاطلاعه على آخر تطورات المفاوضات التركية-السعودية من جهة، وللوصول الى أسس إتفاق حول العلاقات المستقبليّة مع بريطانيا، والتي لم تتنازل عن إبقاء الحوار مفتوحا مع الأمير السعودي..لكن بقيت الحيرة الانجليزية حول الموقف الواجب إتباعه فيما يتعلّق بهويّة الأحساء السياسيّة والقانونيّة.

فقد كتب كوكس الى حكومة الهند في الرابع من يناير ١٩١٤، معبّرا عن هذه الحيرة، قائلا بأن وضع الحكومة البريطانية صعب، فمن ناحية «إعترفنا بتبعيّة الأحساء للباب العالي، والتي يحكمها إبن سعود حاليا بشكل مستقل. ومن ناحية ثانية فإن سيطرة إبن سعود على الأحساء ستكون دائميّة، أو في الحقيقة غير موقتة».. وفي ذات الوقت، فإن من المستحيل-فيما يتعلّق بمصالح بريطانيا- أن تتعامل مع الأحساء كمنطقة مجهولة التبعيّة دون معرفة الجهة التي يجب التعاطي معها بشأن هذه المصالح(٨٣).

بعدها يستعرض كوكس الخيارين البريطانيين «هل تعتبر الأحساء تركية،

أم سعودية»، وفي كلا الحالتين هناك مصالح بريطانيّة ثابتة.

فالمصلحة في إعتبارها سعودية، أن إبن سعود سيسمح للرعايا الانجليز بأن يستقرّوا ويمارسوا العمل التجاري هناك، وسيحميهم سيف إبن جلوي، وسيعترف - من الناحية العمليّة على الأقل - بحقوق بريطانيا في تمثيل مصالح رعاياها. ويقترح كوكس إرسال شخص «نثق به ليمثّل مصالحنا» في القطيف.. وهذه المصالح - كما يقول - أكبر مما كانت عليه في عهد الحكم التركي.

وأضاف بأنه سُمح لمن يرغب من التجار بالذهاب الى القطيف والأحساء، وأنه «كوكس» سمح للمعتمد «تريفور» بأن يتابع مسألة إرسال شخص يمثل المصالح البريطانية في القطيف، على أن يكون الممثل شخصا من المواطنين المحليين «في البحرين» ويؤدي دوره كنقطة إتصال بين المعتمد في البحرين وبين ممثلي إبن سعود في القطيف والأحساء «إبن سويلم، وإبن جلوي».. وشرح وجهة نظرة القائلة بأنه إذا ما أعاد الأتراك إحتلال الأحساء، فإنهم سيجدون صعوبة في إتخاذ إجراءات تجاه الرعايا البريطانيين كما في السابق، لأن الممثل الانجليزي في القطيف سيكون حينها قد خلق أوضاعا جديدة يصعب إلغاؤها.

وأخيرا يقترح كوكس على حكومته بأن تجري تسوية ما مع إبن سعود، فيما يتعلق بإمارات الساحل وحفظ السلام البحري ومكافحة القرصنة، وتهريب السلاح وتجارة الرقيق، على أن يبلغ بأن مشكلته مع الأتراك تخصهما وحدهما، وأن حكومة بريطانيا هي صديقة الطرفين، وسوف تدعم الحاكم السعودي بأقصى الجهد الذي تستطيعه.

وسبق لكوكس أن اقترح في الثاني من ديسمبر ١٩١٣، أن تبلّغ الحكومة البريطانية الحكومة التركية بإعتراضها الشديد على أي عمل عدائي تقوم به عن طريق البحر ضد إبن سعود.

وفي ختام رسالته يحذر كوكس من ترك إبن سعود لشأنه، إذ قد يؤدي ذلك الى توقيع إتفاق بينه وبين الباب العالي «يضرّ بالمصالح البريطانية في الأحساء»(٨٤).

وتصرّمت الأيّام والأسابيع دون أن تصل الحكومة البريطانية لحل أفضل من إظهار الحياد بين الطرفين، دون ترك إبن سعود ليوقع على إتفاق يضر بالمصالح البريطانية.. وشارفت مدّة «الشهرين أو الثلاثة» التي ذكرها إبن سعود أثناء إجتماع العقير مع شكسبير وديكسون في ١٥، ١٦ ديسمبر ١٩١٣، على النهاية.. فبعث إبن سعود برسالة الى تريفور في البحرين في الأول من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ «٢٦ / ٢ / ١٩١٤» يقول فيها أنه لم تصله معلومات حول رد الحكومة البريطانية فيما يتعلّق ببنود المقترحات التركية

لتسوية مشكلة الأحساء، وأنه سيتجه قريبا للقاء الأتراك، للوصول الى إتفاق.. يقول إبن سعود:

«بعد التحيات.. يشرفني أن أبلغكم بأنه منذ إفتراقنا في العقير، لم أستلم أي رسالة منكم، عسى أن يكون المانع من الكتابة خيرا.

وأود أن أخبركم بأن المفاوضات بيني وبين الحكومة التركية، قد أخذت مجراها هذه الأيام، وأن مدّة الثلاثة أشهر التي حدّدت بيني وبين حضرتكم قد قاربت على النهاية.

أطلب منكم إبلاغي حول ما يمكن عمله، لأنّه من غير الممكن بالنسبة لي تأخيرهم - أي الأتراك - أكثر من الوقت المعلوم، ولكي أعرف ما يجب عليّ عمله في المستقبل»[٨٥].

ردّ تريفور مبرّرا «إنّني لم أكتب لكم لأنّه ليس عندي شيء خاص يستحق الكتابة، كما لم أسمع حتى الآن أي شيء من المقيم. وقد كنت عازما في كل الأحوال إرسال رسالة الى بوشهر، لتذكير المقيم بأن الثلاثة أشهر المشار إليها تمضي الى نهايتها، والآن، وبعد وصول خطابكم فسوف أرفق محتوياته مع الرسالة، وسأطلب جوابا مبكرا. وحالما يصل الجواب - إن شاء الله! - أعلمكم بالأمر. لقد سمعت بأنكم قادمون للأحساء في هذه الأيام.. اتمنّى أن يكون ذلك صحيحا، حيث سنصبح متجاورين قريبين، وستسهل عمليّة الاتصالات بسرعة فيما بيننا»[٨٦].

وعلى الفور يكتب تريفور في ٨/٣/١٩١٤ للمقيم يخبره بأمر الرسالة، وأن إبن سعود عازم على التوجه شمالا. وقد كان بوده - أي تريفور - أن يذكره بالأمر في وقت مبكّر، ولكن «نسيت!». وأضاف بأنه لم يعد بالمستطاع إرجاء المفاوضات التركية السعودية.. ثم يسأل عن مستجدات الأمر والتعليمات التي يمكن أن تُعطى لابن سعود قبل أن ينقطع حبل الاتصال به بسبب رحيله»[٨٧].

والواقع لم يكتب تريفور عن موضوع رسالة إبن سعود فحسب، وإنما كتب لكوكس أيضا في ٩/٣/١٩١٤ «الموافق للثاني عشر من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ»[٨٨] مقترحا أنه إذا كان عرض تعيين معتمد محلّي في القطيف ليمثل المصالح البريطانيّة قائما، واتفق على الشخص المطلوب، فإنه تجب المبادرة بسرعة وإرسال المندوب دون تأخير.

وكما أوضح تريفور في رسالته، فإن هذه العمليّة، هي إستباق للأحداث، وإبطال لمفعول أي فقرة قد تتضمنها إتفاقية الحل بين الأتراك وإبن سعود، تكون ضارة بالمصالح البرطانية، مثل إشتراط إبعاد الأجانب من المنطقة، أو طرد وكلاء القوى الأجنبية!.

وللعلم فإن في أواخر ١٩١٣، إنتفى تماما خيار الحكومة التركية العسكري لاعادة السيطرة على الأحساء، لضعف هذه الحكومة، ولمعارضة السلطات

البريطانية الشديدة للأمر ، محتجّة بأن تجريد مثل تلك الحملة أمر قد لا يخلو من إحداث قلاقل في الامارات العربية التي هي تحت حمايتها ، فاضطرت الدولة العثمانية الى صرف النظر عن إستعمال القوة(٨٩).

وكانت حكومة الهند قد وافقت على إرسال معتمد الى القطيف ، وقد جاءت الموافقة في ٢٧ فبراير ١٩١٤ من نائب الملك في الهند ، ضمن رسالة ترد عى ما عرضه كوكس في التاسع عشر من ذات الشهر .. قال نائب الملك : «درست هذه المسألة بإمعان ، نرى أن نستغلّ لمصلحتنا موقف إبن سعود الودّي تجاهنا حاليا ، والذي يعود بلا شك الى وضعه غير المستقر ، وذلك بأن نعيّن معتمدا لنا من أبناء المنطقة في القطيف على الفور . هذا العمل لن يؤمّن لنا موطيء قدم مرغوب فيه على الساحل فحسب ، ولكنه سيمكننا أيضا من تقديم وساطتنا الطيبة الى الحكومة التركية في التعامل مع إبن سعود ، إذا ما طلبت الحكومة التركية ذلك ـ سبق أن قدمت وزارة الخارجية البريطانية عرض وساطة بين إبن سعود والحكومة التركية في الثاني من أكتوبر ١٩١٣ ـ »(٩٠).

ولكن حينما أرسل نائب الملك في الهند الى وزارة الخارجية طالبا رأيها في مسألة إرسال معتمد الى القطيف ، في برقية مؤرخة في ١٥ / ٣ / ١٩١٤ ، رفضت وزارة الخارجية الأمر وقالت جوابا على ذلك في اليوم التالي : «ترى حكومة جلالة الملك بأن من المستحيل إرسال معتمد بريطاني الى القطيف بانتظار المفاوضات مع الأتراك» .. فانصاعت وزارة الهند لرأي الخارجية على مضض (٩١) .

هوامش

«١» منها كتاب موعد مع الشجاعة، ص ١٧٣ ، ١٧٤ . وتاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار ، جزء ٢ ، ص ١٣٨ . وكتاب أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه، تأليف العميد محمد ابراهيم رحمو ، ط ٢ ١٩٨١ ، الرياض، ص ١٠١ ، وغيرها .

«٢» فصول من تاريخ العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٤١ .

«٣» صلاح الدين المختار ، مصدر سابق، ص ١٣٧ . ومحمد ابراهيم رحمو ، مصدر سابق، ص ١٠١ .

«٤» المصدر السابق .

«٥» الاسلام والوثنيّة السعودية، ص ٣١ . وايضا صلاح المختار ، مصدر سابق، ص ٣٩ . وهنا ملاحظة هامة جديرة بالالتفات ، وهو انه وقع تضارب في تثبيت تاريخ إحتلال الأحساء، فمع ان الثابت بالتاريخ الهجري انه تمّ في الخامس من جمادى الأولى ١٣٣١هـ، وهو الموافق للحادي عشر من أبريل ١٩١٣ ، فان الانجليز وفي كل وثائقهم-تقريبا-يشيرون الى تاريخ الاحتلال بأنه تم في الخامس من مايو ١٩١٣ . ويبدو أن الصحيح هو الحادي عشر من ابريل . ومع ذلك حاولنا قدر الامكان التعاطي مع التوقيت البريطاني بوضعه المعتاد .

«٦» يعلّق كشك على سقوط الأحساء بجملة غريبة فيقول : «رأينا كيف انتزع إبن سعود الأحساء بسهولة ، وأثبت أن الترك ينهزمون أيضا أمام رعاياهم المسلمين ، وليس المسيحيين فقط» .. وهذا اكتشاف خطير جداً ، لم يتوصل له العقل «العربي» الاّ متأخرا ، وهذا ليس أول انهزام بالطبع ولا آخره ! .. وكان بإمكانه القول أنهم ينهزمون أمام العرب ، لولا أن المقام ليس مقارم عروبة .. انظر كشك ، مصدر سابق، ص ٤٥١ .

«٧» الاسلام والوثنيّة السعودية، مصدر سابق، ص ٣٢ ، ٣٣ . وانظر روبرت ليسي، المملكة، ص ٧٢ - ٧٤ .

«٨» يروي محمد أسد في كتابه «الطريق الى مكة» على لسان إبن سعود احدى رواياته عن إحتلال الأحساء . قال إبن سعود : «لقد كنا على مرأى من الهفوف ، ومن الرابية التي كنت جالسا عليها استطعت أن ارى بوضوح أسوار القلعة الحصينة التي كانت تشرف على البلدة ، كان فؤادي مثقلاً بالحيرة ، وكنت أوازن بين فوائد هذا العمل وأخطاره ، فرأيت وجه زوجتي جوهرة - أم الملك خالد ومحمد أبي الشرين - ماثلا أمام عيني . وبدأت أفكر في بعض الأبيات التي يمكن أن أقولها لو كانت الى جانبي . ودون أن أشعر شغلت بنظم قصيدة لها . ثم بعثت بها الى أم محمد ، وبينما كان الساعي يختفي في غمامة الرمال .. وجدت فجأة انني وصلت الى قرار بشأن الحرب ، وانني مهاجم الهفوف ، وأن الله لابدّ أن ينصرني » !! .. وقد روى روبرت ليسي في كتابه قصّة المقطوعة الشعريّة العجيبة هذه ، وعلّق كشك على هذه الرواية بأن «القرار بشأن الحرب لم يتخذ أمام قلعة الهفوف بالطبع .. فهذا كلام شعراء» .. هذه احدى الروايات التي قيلت على لسان إبن سعود بدون زيادة او نقصان . إنها رواية مملوءة بالخيال والافتعال الكثير ، وقد لاحظ فيلبي كما غيره ، كثرة الروايات المتضاربة ، والتي مصدرها إبن سعود نفسه . وكذلك حدث مع الأحساء ، لان إحتلالها كان علامة فارقة في تاريخ آل سعود ، كما كان إحتلال الرياض .

«٩» «١٠» هذا من المبالغات ايضا ، فالهفوف لم تكن ميدان سباق للخيول ، والمعركة لم تكن في مكان

صحراوي مفتوح ، بل أن إبن سعود دخل الهفوف ـ كما تقول الروايات ـ من ثقب أحدث في السور بعد إنتهاء المعركة ! .

«١١٠» قدري قلعجي ، موعد مع الشجاعة ، ص ١٧٨ . وعلّق كشك على ذلك بقوله : «عندما استولى إبن سعود على الأحساء ، لم يكن أحد يعرف أنه تضم أضخم مستودع للنفط في العالم ، وأنها ستدر يوماً ما نصف مليار ريال في اليوم الواحد ، ولكن حتى بعدما اكتشف النفط ، وتصاعدت ايراداته بسرعة الصورايخ ، لا أظن أن إبن سعود أو أحدا بعده قد فرح فرحته يوم فتح الأحساء ، عندما تقدّم محمد أفندي ، مدير مالية الأحساء في الادارة التركية ، يزفّ للملك نبأ وجود عشرة آلاف ريال في القصر ، أصبحت من حق الغازي» . انظر السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٦٢ .

«١٢» ذكرى الزعيم الخنيزي ، الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي . تأليف الشيخ عبد الله الشيخ علي الخنيزي ، ص ١٢٢ .

«١٣» المصدر السابق ، ص ٧٨ .

١٤ مدح الشاعر محمد بن عثيمين ، الملك عبد العزيز بقصيدة بمناسبة إحتلاله الأحساء ، وهي أول ما قاله الشاعر «شاعر الملك فيما بعد» في مدح إبن سعود .

ومطلع القصيدة :

العزُّ والمجدُ في الهنديّة القضب ... لا في الرسائل والتنميق للخطب

ويصف فتح الأحساء بالمبالغة ـ كعادة الشعراء ـ فيقول :

قادَ المقانبَ يكسو الجوَ عثيَرُها ... سماءَ مُرتكمٍ من نقع مرتكب

حتى إذا وردت ماء الصّراة وقد ... صارت لواحق اقراب من السّغب

قال النّزال لنا في الحرب شِنشِنةٌ ... نمشي إليها ولو جثياً على الرّكب

فسار من نفسه في جحفل حرد ... وسار من جيشه في عسكر لجب

حتى تسوّر حيطاناً وابنيةً ... لولا القضاء لما أدركن بالسبب

فبيّت القوم صرعى خمر نومهمُ ... وآخرين سكارى بابنة العنب

في ليلة شاب قبل الصبح مفرقها ... لو كان تعقل لم تُملك من الرُعُب

صبّ الاله عليهم سوط منتقمٍ ... من كفّ محتسب لله مرتقب

في أوّل الليل في لهو وفي لعب ... وآخر الليل في ويل وفي حَرَب

الله أكبر هذا الفتح قد فُتحت ... به من الله أبوابٌ بلا حُجُب

فتح به اضحت الأحساء طاهرة ... من رجسها وهي فيما مرّ كالجُنُب

شكرا بني هَجَر للمقرني فقد ... من قبله كُنتمُ في هوّة العطب

قد كنتم قبله نهباً بمضيعة ... ما بين مفترس منكم ومُستَلَب

رُومَ تُحكَم فيكم رأي ذي سفهٍ ... احكامُ مُعتقد التّثليث والصُلب

وللأعاريب في اموالكم عبثٌ ... يمرونكم ري ذات الصّنو في الحلب

والشاعر هنا يتحدث عن عسكر لجب احتلّ إبن سعود به الأحساء ، ووصف الجيش المهاجم بأن عادته الحرب عظيم غاضب متحمّس . أمّا أفراد الجيش التركي ، فهم نائمون سكارى بالخمر ! .

واعتبر الشاعر الأحساء في العهد التركي قذرة نجسة ، حتى جاء إبن سعود فطهّرها . وأكثر من هذا وصف الأتراك بالروم وهم غير ذلك ، وأن حكمهم هو حكم النصارى ، أي أنهم يجرون معتقدات المسيحيين !! .

«١٥» هنجام ، جزيرة في الخليج قريبة من السواحل الايرانية الجنوبية ، اتخذها الانجليز احدى مقراتهم ، وكانت منفى للسياسيين والمعارضين ، فاليها أرسل قادة ثورة العشرين الاسلامية في العراق ليقضوا سنوات طويلة من النفي .

«١٦» الوثيقة FO.371/1820.E 22076

مؤرخة في الرابع عشر من مايو ١٩١٣ ، وعنوانها «إحتلال الأحساء من قبل إبن سعود» .

«١٧» الوثيقة FO.371/1820/E 22290

مؤرخة في د ١ / ٥ / ١٩١٣ . برقيّة من الكولونيل السير بيرسي كوكس الى نائب الملك في الهند ، وتحمل عنوان : «إحتلال إبن سعود للاحساء» .

«١٨» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 29150

مؤرخة في ٢٥ / ٦ / ١٩١٣ ، المرفق الثالث المؤرخ في العشرين من مايو ١٩١٣ ، ومرسل من شكسبير

الى كوكس .

«١٩» معلوم ان المبلغ كان عشرة آلاف ريال .

«٢٠» اذا كان إبن سعود قد استولى على كل هذه الاسلحة ، فان الحديث عن سماحه للجنود الأتراك بحمل اسلحتهم معهم مشكوك فيه ، أو على الأقل محدّد بحيث لا يشمل الاسلحة الثقيلة ، ولا الاسلحة الفائضة .

«٢١» الوثيقة السابقة المؤرخة في ٢٥ / ٦ / ١٩١٣ .

«٢٢» مجتهد الشيعة الأكبر في الأحساء ، كان المرحوم الشيخ موسى بو خمسين ، وقد كتب رسالة الى شيعة القطيف بناء على طلب إبن سعود ، حملها السيد سلمان المحسن .

«٢٣» علّق جلال كشك على هذه الفقرة فقال انها «من النقاط الجديرة بالاهتمام والملاحظة» ، واعتبرها اشاره واضحة الى «تعاون الشيعة مع النظام السعودي الجديد ، والدور الذي لعبوه في مفاوضات التسليم» . انظر السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٣٤٧ .

«٢٤» الوثيقة السابقة المؤرخة في ٢٥ / ٦ / ١٩١٣ .

«٢٥» رسالة من كوكس الى حكومة الهند في ٢٦ / ٥ / ١٩١٣ .

«٢٦» الوثيقة رقم FO 371 / 1820 / E 23513
والمؤرخة في ٢٣ مايو ١٩١٣ .

«٢٧» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 28327
والمؤرخة في ٢٣ مايو ١٩١٣ .

«٢٨» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 28327
والمؤرخة في ٢١ / ٦ / ١٩١٣ .

«٢٩» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 24878

«٣٠» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 25792
مؤرخة في ٦ يونيو ١٩١٣م .
وايضا انظر الوثيقة FO 371/1820/E 32590
المرفق ٣ ، تاريخ ١٥ يوليو ١٩١٣ .

«٣١» انظر كشك أيضاً ، ص ٤٣٩ .

«٣٢» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 32590
مؤرخة في ١٥ يوليو ١٩١٣ . وانظر كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

«٣٣» جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٥٣ .

«٣٤» هو ابراهيم عبد العزيز الدامغ ، المحرر بجريدة الدستور العراقية ، وقد أخطأ كشك حينما سمّاه بـ «الدافع» نقلا عن الزركلي ، وقال ساخراً : «ان اسمه يستحق ان يخلّد على الأقل هو أول وآخر صحفي اسمه الدافع» . انظر كشك ، ص ٤٥٢ .

«٣٥» شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين زركلي ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

«٣٦» كشك ، مصدر سابق ، ص ٤٥٣ .

«٣٧» المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

«٣٨» المصدر السابق ، ص ٤٥٣ .

«٣٩» المصدر السابق .

«٤٠» الحدود الشرقية ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ . وانظر جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٢ .

«٤١» الوثيقة رقم FO 371 / 1820
من كوكس الى حكومة الهند في الرابع من يوليو ١٩١٣ .
وتجد مقتطفات من الرسالة في كتاب السعوديون والحل الاسلامي ص ٣٤٨ ـ ٣٥١ . وانظر أيضاً ، جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ٣١١ .

«٤٢» اعتبر كشك ما أشار اليه إبن سعود من وجود معاهدة طويلة الأمد بين آل سعود والإنجليز بأنها «معاهدة وهمية من اختراع إبن سعود ، وبحسابه هذا تكون قد وقعت عام ١٨٥٨ ، ومدتها ١١٠ سنوات !، وهي مدّة غير معروفة في المعاهدات» .. وفعلا فان مثل هذه المعاهدات الطويلة غير معروفة ، لكن هذا القول لا يلغي وجودها . وقد اعتاد الحكام السعوديون الاشارة الى وجود معاهدات مع اسلافهم ، ومنهم فيصل

بن تركي ، وابنه عبد الله ، وقبلهما خالد بن سعود الكبير ، وبعدهم إبن سعود ، وربما كانت أول المعاهدات والاتصالات مع الانجليز ايام سعود الكبير في الدولة السعودية الأولى أثناء الخلاف بين الانجليز وحكام امارات الخليج المتصالح الذين كانوا يقومون بالقرصنة ضد سفن الانجليز وضد السفن العمانية .. يبلنا على ذلك أنه في منتصف عام ١٨٣١ تقريبا ، تلقى حاكم بومباي رسالة من الأمير تركي بن عبد الله ، عن طريق شيخ عجمان جاء فيها «رغبته في تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم وبين الأمير سعود» .. وكتب خالد بن سعود خطابا للمعتمد البريطاني في البحرين يشير فيه الى رغبته القوية في أن تجدّد «علاقات الودّ التي كانت قائمة بين أبيه سعود والحكومة البريطانية» ، فأرسل له المقيم ضابطا هو الملازم «جوب» لمقابلته في الهفوف في نوفمبر سنة ١٨٤١ .

ولهواية آل سعود في إقتفاء أثر أسلافهم ، فقد كتب فيصل بن تركي الى كمبال ، المقيم البريطاني في بوشهر - في يناير ١٨٥٤ ، وهو تاريخ قريب من تاريخ «كشك!» ، يذكره بوجود اتفاق بين أسلافه وبين بريطانيا ، تعهد فيه السعوديون بالمحافظة على السلام البحري لمدّة مائة عام .. اذن فالتعهدات المئويّة ليست خيالاً أو اختراعاً ، وانّما حقائق توكّدها وثائق التاريخ .

«٤٣» انظر جمال زكريا قاسم ، مصدر سابق ، ص ٣٢٢ . وأيضاً : مصادر تاريخ قطر «١٨٦٨ - ١٩١٦» ، د . فتوح الخترش و د . عبد العزيز محمد منصور ، دار ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٤ ، ص ٦٧ .

«٤٤» انظر الوثيقة E 30696

مؤرخة في الرابع من يوليو ١٩١٣ ، ومرسلة الى حكومة الهند .

«٤٥» الوثيقة رقم E 27217

من الماركيز كراو الى حكومة الهند ، مرسلة من وزارة شؤون الهند في ١٠ / ٦ / ١٩١٣ .

«٤٦» انظر الوثيقة E 30696

تاريخ ٤ / ٧ / ١٩١٣ ، من وزير شؤون الهند الى نائب الملك .

«٤٧» انظر الوثيقة E 30369

من حكومة الهند الى الماركيز كراو ، برقية مرسلة في الاول من يوليو ١٩١٣ .

«٤٨» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 39571

رسالة من كوكس الى الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

«٤٩» يشير الأستاذ العقاد في كتابه التيارات السياسية في الخليج العربي ، الى انه بعد أن التجأت الحاميات التركية الى البحرين شعر إبن سعود بميل الانجليز الى العثمانيين . ويضيف : «وحقيقة الامر أنهم وقفوا موقف الحياد ، وان اعترفوا بعد قليل بمشروع اتفاق عقدوه مع الحكومة العثمانية بأن الأحساء داخلة في منطقة نفوذهم - وصف العقاد المشروع بأنه اتفاق ولد ميتا - ولذلك فضلت السلطات العثمانية أن تصل الى تسوية على أساس حل وسط ، وجرت محادثات في هذا الشأن بين عمر فوزي بك مرديني ، وبين إبن سعود منذ نهاية ١٩١٣» . واشار صلاح الدين المختار ، في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية ، جزء ٢ ص ١٤١ الى ان بريطانيا تدخلت بعدئذ لمنع العثمانيين من الهجوم على الأحساء .

«٥٠» انظر أيضاً ، ناصر الفرج ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .

«٥١» انظر الوثيقة رقم FO 371/1820

رسالة من كوكس الى عبد العزيز السعود ، في الحادي عشر من سبتمبر ١٩١٣ . وانظر جي . بي . كيلي ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ . وأيضاً ، جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٥٧ .

«٥٢» انظر الوثيقة السابقة ، رسالة من حكومة الهند الى الماركيز كراو في ٢٦ / ١٠ / ١٩١٣ .

«٥٣» فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٢٤٤ .

«٥٤» رسالة من قنصل البصرة البريطاني - المستر كراو - الى وزارة الخارجية البريطانية في ٣١ / ٥ / ١٩١٣ . وانظر جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ . وقد وصف كشك رسالة إبن سعود بأنها مريرة السخرية . والحقيقة فإن الرسالة مليئة بالمغالطات الفاضحة .

«٥٥» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 29150

مؤرخة في ٢٥ يونيو ١٩١٣ . تقرير من شكسبير الى كوكس في العشرين من مايو ١٩١٣ .

«٥٦» جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

«٥٧» الوثيقة رقم FO 371/1820/E 25778

مؤرخة في ٥ يونيو ١٩١٣ .

«٥٨» الوثيقة رقم FO 371/1820
مؤرخة في ١٨ مايو ١٩١٣، ومرسل الى ج. لوثر.
«٥٩» الوثيقة رقم FO 371/1820
رسالة من القنصل البريطاني في البصرة-كراو-الى ج. لوثر. ومؤرخة في الثامن عشر من مايو ١٩١٣. وقد بعث بها لوثر الى وزير الخارجية ادوارد غري.
«٦٠» المصدر السابق.
«٦١» انظر الوثيقة رقم FO 371/1820
برقية من كوكس الى حكومة الهند في ٣١ مايو ١٩١٣.
«٦٢» الوثيقة السابقة.
«٦٣» الوثيقة رقم FO 371/1820
رسالة من المكتب الهندي الى وزارة الخارجية في الرابع من يونيو ١٩١٣.
«٦٤» الوثيقة رقم FO 371/1820
من وزارة الخارجية «لويس ماليت» الى المكتب الهندي في السابع من يونيو ١٩١٣.
«٦٥» خير الدين الزركلي، مصدر سابق، ص ٢٣٠.
«٦٦» فور إحتلال الأحساء، التقى إبن سعود بممثلين عن الانجليز في العقير، وباركوا له انتصاره. والاشارة هنا هي الى هذا اللقاء.
«٦٧» اي ان إبن سعود مرغوب في انجليزيا، ولا يستطيعون الافصاح عن تأييدهم لأن لهم حاجة عند الأتراك غير معلومة، ويبدو هنا أن الاشارة واضحة الى الاتفاقيّة التركية-البريطانية.
«٦٨» المقصود: لا نرغب عنهم، ولسنا زاهدين فيهم «اي في الانجليز».
«٦٩» سيّر: تعني زار، وعزمنا: تعني دعانا لمأدبة.
«٧٠» لا يروح إبن سعود من يدكم: المقصود أن لا يتجه لغيركم «الانجليز»، وهذه النقطة لعبها مبارك وإبن سعود، وكانت ناجحة، ومما جعلها اكثر نجاحا، عجز الأتراك الحقيقي، فذهبوا لابن سعود يتفاوضون وهم يمنّون النفس بأن لا يرتمي اكثر في أحضان الانجليز!.
«٧١» نص الرسالة في «الزركلي»، مصدر سابق، ص ٣٣١-٣٣٢.
«٧٢» اي ان اللقاء لو كان ثمنه مداخيل الأحساء والقطيف لاستحقّ ذلك!، انظر نص الرسالة في المصدر السابق ص ٣٣٣-٣٣٤.
«٧٣» الزركلي، مصدر سابق، ص ٣٣٣-٣٣٤.
«٧٤» المصدر السابق، ص ٣٣٥-٣٣٦.
«٧٥» الوثيقة رقم FO 371/1820
تقرير شيّق ومفصّل عن اللقاء، أعدّه المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، وأرسله الى كوكس في بوشهر، بتاريخ ٢٠/١٢/١٩١٣.
«٧٦» الوثيقة السابقة.
«٧٧» مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٢٦، جمادى الثاني ١٤٠١هـ، أبريل ١٩٨١. مقال تحت عنوان: الحرب الحجازية النجديّة، ١٩٢٤-١٩٢٥. د. فتوح الخترش.
«٧٨» الوثيقة رقم FO 371/2123
مذكرات لقاء مع إبن سعود. تقرير أعدّه الكابتن شكسبير، والميجور تريفور في ١٨/١٢/١٩١٣.
«٧٩» انظر الوثيقة السابقة.
تقرير قدّمه شكسبير وتريفور، في ١٨/١٢/١٩١٣.
«٨٠» لا يقصد بالرعايا البريطانيين، حَمَلَة الجنسية البريطانية فقط، وإنّما رعايا كل دولة أو منطقة خاضعة للاحتلال البريطاني المباشر، كما هي البحرين، والرعايا هنا، المقصود منهم «سكان البحرين».
«٨١» الوثيقة السابقة.
«٨٢» الوثيقة السابقة. وفي آخرها يلاحظ ان شكسبير كان مقيّدا في المفاوضات لوجود معتمد آخر معه، مهمته تأكيد وجهة نظر الخارجية البريطانية، وليس وزارة الهند او وزارة المستعمرات.
«٨٣» انظر الوثيقة FO 371/2123
من كوكس الى حكومة الهند في ٤/١/١٩١٤.

«٨٤» الوثيقة السابقة .

«٨٥» الوثيقة رقم FO 371/2123

رسالة من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى الميجور تريفور في ١ / ٤ / ١٣٣٢هـ .

«٨٦» الوثيقة السابقة ، رسالة من تريفور الى الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في ٧ / ٣ / ١٩١٣

«١٠ / ٤ / ١٣٣٢هـ» . تجدر الاشارة الى أن إحتلال الأحساء سهل لابن سعود اتصالاته مع الانجليز ، وهذه احدى الفوائد . وفي المدّة ما بين ١٩١٣ وحتى ١٩٢٦ ، لم توقع اتفاقية ، أو يتم اجتماع مع بريطانيا أو تحت اشرافها الاّ في هذه المنطقة ، او ضمن حدودها . ذلك ان نجد واجواءها لم تكن مهيّئة لذلك ، وكان الملك السعودي يخشى ردود فعل الوهابيين ، خاصة «الاخوان» .

«٨٧» الوثيقة رقم FO 371/2123

«٨٨» الوثيقة السابقة ، رسالة من الميجور تريفور الى المقيم بيرسي كوكس في التاسع من مارس ١٩١٤ .

«٨٩» حسين خلف الشيخ خزعل ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ١٩٦ .

«٩٠» الوثيقة رقم E48437

مؤرخة في ١١ / ٩ / ١٩١٤ . رسالة من نائب الملك في الهند في السابع والعشرين من فبراير ١٩١٤ .

«٩١» الوثيقة رقم FO 371/2123/E 12320

مؤرخة في العشرين من مارس ١٩١٤ .

٢

صراع من أجل الحل السياسي

كان مقدّرا مع بداية شهر مارس ١٩١٤ ، أن يتحرّك إبن سعود شمالا للقاء الوفد التركي ومناقشته في مسألة الأحساء وجها لوجه . وفي هذه الأثناء - بداية العام - إستدعي كوكس الى الهند ليقود بعدها الحملة العسكرية البريطانية التي هاجمت العراق بعد بضعة أشهر ، وتولّى مقيميّة الخليج الميجور نوكس . كما أن الكابتن شكسبير أبعد الى لندن بسبب إستياء وزارة الخارجية ، وعيّن الكولونيل غري مكانه .. وفي هذه الفترة كتب المقيم نوكس لمبارك الصباح يسأله عن أخبار الوفد التركي الذي يفترض وصوله الى الكويت لملاقاة إبن سعود ، فرد عليه الأخير في رسالة مؤرخة في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ يقول فيها :

«لا يخفى على حضرتكم السامية بهذه الأيام تجينا مخابرات - تأتينا رسائل وخطابات - من ولاية البصرة بخصوص نجد وعبد العزيز السعود ، ونحن جميع المخابرات التي ترد إلينا من المشار إليهما ، عينا - فورا - نعرضها على حضرة محبنا كرنل كري ، لئلا تكون خافية على حضرتكم العالية . محبّنا قبطان شكسبير جانا منه كتابين ، واحد من الزلفي والثاني من الرياض . وتوجه من الرياض مشمل - شمالا - وانا مشيت معه أحد خدّامنا يمشي في خدمته ، الى أن يرخصه . وعزم محبّنا المشار إليه - شكسبير - يرخص خادمنا من الجوف ، ولا بد من الجوف يجينا مكتوب إنشاء الله يفيدنا عن وصوله وممشاه من الجوف ، الله إييسر أمره - ييسّر الله أمره - ويوصله مصر بالصحة والسلامة» [١] .

لقد مرّ شكسبير بالرياض ، ومكث فيها حوالي ستة أيام «من ٩ الى ١٥ مارس» ، ومن هناك كتب تقريره المطول الى المسؤولين البريطانيين واصفا الحالة السياسية والعسكرية في العاصمة السعودية .

يقول شكسبير [٢] : «وصلت الرياض يوم ٩ مارس ، ووجدت إستعدادات نشطة يجريها إبن سعود لجمع قوّة عسكرية كبيرة . وقد أقمت عنده وسافرت

معه حتى الخامس عشر من الشهر نفسه. وخلال هذه الفترة توفرت لي فرص كثير للتأكد من حقيقة مشاعره ونواياه.. ولمّا كنت على علاقة ودّ وصداقة حميمة مع عبد العزيز وعائلته كلها، فقد كان غالبا ما يطلعني على مراسلاته السريّة التي تبادلها مع الزعماء العرب الآخرين.. وكذلك على مراسلاته مع الحكومة التركية. وقد حاولت أقصى جهدي أن أثنيه عن هذه الثقة المفرطة بي، خاصة وأني لا أحمل صفة رسمية، ولكنه أصرّ على ذلك، وبهذا فإن أسراره قد تكون الآن مفيدة لبريطانيا»!.

وأفاد شكسبير بأن إبن سعود علم بتحرّك بعض القوات التركية في العراق من بغداد والى البصرة، فخشي «أن يكون هدف القوة العسكرية الهجوم على القطيف والعقير والأحساء.. ولذا أصدر أوامره بالتعبئة» التي تمّت أثناء وجود سليمان باشا في الرياض، والذي جاء من أجل ترتيب المفاوضات بين الطرفين.. وكان من نتيجة التعبئة أن أرسل ألف مقاتل للتمركز في القرى الساحلية، خاصة القطيف.

لقد كان إبن سعود مضطراً للقيام بهذه الاستعدادات - كما قال هو - لأنه «لا يستطيع أن يخاطر بالسماح للقوات التركية أن تنفذ عمليّة إنزال على الساحل دون مقاومة». ومع أنه كان على أعتاب المفاوضات، إلاّ أنه لا بدّ من إتخاذ الاحتياطات، وكان في هذه الأثناء «ينتظر بفارغ الصبر، الجواب الذي كان يتوقعه من المعتمد السياسي في البحرين على رسالته المؤرخة في السادس عشر من فبراير - الأول من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ - لمعرفة الخطوات التي يمكن أن تتخذها حكومة صاحب الجلالة البريطانية في حال إنزال القوات التركية للساحل».

وقال شكسبير أنّه ذكّر إبن سعود بالوعود التي أعطاها له هو وتريفور أثناء لقاء العقير «١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩١٣»، وأبلغه بأن يضع نصب عينيه هذه الوعود في حال ترتيب إتفاق مع الأتراك.. والوعود تتعلّق بشيوخ الامارات المتصالحة، ووضع التجار البريطانيين في ساحل الأحساء والقطيف.

ردّ إبن سعود بأنه «ليست له أي نيّة بأن يلزم نفسه بشكل محدد مع الأتراك، طالما أنه لا تزال هناك فرصة للتوصل الى إتفاق ما مع الحكومة البريطانية، أو الحصول - على الأقل - على دعمها ومساعيها الحميدة في مفاوضاته».

واشتكى إبن سعود من تأخر وصول هذه الضمانات الرسمية البريطانية، وأنه في هذه الحالة «سيضطر الى وضع ترتيباته الخاصة به، بهدف تحقيق فترة راحة مؤقتة على الأقل». وذكّر شكسبير بأن الأتراك سيصرّون على شرطين هما: إعادة تمركز حامياتهم السابقة في الأحساء والقطيف، وطرد كل الأجانب.

حول الشرط الأول قال الأمير السعودي، أنه لن يوافق عليه مهما كانت

النتيجة [٣]، ولكنه بقبوله الشرط الثاني، فإنه سيشتري فترة الراحة التي يطلبها، مع علمه أن هذا قد يغلق باب مفاوضاته مع الانجليز.

ويرجع شكسبير تشدّد إبن سعود هذا الى كـــونـــه «يشعر بأنه يمتلك من القوة ما يكفي لمقاومة الأتراك، الذين ينظر إبن سعود الى كل إقتراح يقدمونه نظرة ملؤها أقصى حدود الشك والريبة».

وقدّم تقرير شكسبير الذي كتبه من الرياض معلومات وافية عن الدعم التركي لابن رشيد في بداية سنة ١٩١٤، كما قدّم عرضا لضعف النفوذ التركي في أواسط الجزيرة العربية، ومعلومات كاذبة عن تحالف وهمي قام بزعامة إبن سعود، يضمّ كل حكام الجزيرة العربية، عدا إبن رشيد!.

وقال: «لأنني على معرفة بهذه البلاد، وبصعوبة المواصلات فيها، وصعوبة توصيل الامدادات وما شابه، فإنني أرى-مع بعض التردّد-بأن فرقتين عسكريتين تركيتين على أقل تقدير، وكاملتي العدّة والعتاد، ومستعدتين لحرب صحراوية طويلة الأمد، يمكن أن تكونا قادرتين على إعادة توطيد الإحتلال التركي للأحساء، ثم المحافظة عليها بشكل فعّال».

«إن الإحتلال التركي الأخير لم يكن فعّالا بأي حال، وكان قائما بسبب إنشغال إبن سعود وإنهماكه في إخضاع مناطق أخرى، وكان بإمكانه أن ينفّذ حركته الانقلابيّة في أي وقت يشاء في الأعوام الخمسة الماضية» [٤].

وعن إمكانيّة الأتراك في إستعادة الأحساء يقول شكسبير: «بقدر ما تسمح لي معلوماتي المحدودة، فإنني أستطيع القول بأن الحكومة التركيّة لا تبدو حاليا في وضع يمكنها من القيام بأيّة حملة عسكريّة في الجزيرة العربيّة، ليس حاليا فقط، ولكن في الواقع لأعوام طويلة قادمة».

أما النتيجة «فإن تركيا لا تملك القوة لاكراه الجزيرة العربية وإزعاجها، وإذا ما وصلت الأمور مع إبن سعود الى مرحلة الصدام حول قضية الأحساء، فان النتيجة المحتملة ستكون إلتحام القبائل العربيّة، وطرد القوات التركية والمسؤولين الأتراك من الحجاز واليمن وعسير، وإقامة دولة في الجزيرة العربية في إتحاد كونفدرالي يكون إبن سعود على رأسه».. وفي هذا ذهب شكسبير بعيدا في أحلامه، على الأقل في ذلك الحين.. لأنه قد تحقّق فعلا إيجاد المملكة السعودية على مساحة ضمّت معظم المناطق التي أشار إليها، وكان بإمكان إبن سعود أن يبتلع اليمن أيضا، لولا أنه إعتبره «عش الزنابير»!.

ومع عدم إيمان شكسبير بوجهة نظر وزارة الخارجية، التي تقول بالمحافظة على أملاك تركيا في آسيا، على أمل أن تسقط الواحدة تلو الأخرى في اليد البريطانية، ورغم أن رأيه يقضي بالمسارعة في تصفية الامبراطورية العثمانية العجوز، أو الرجل المريض، أو الامبراطورية الذاهبة، او ماشئت فسمّها، وذلك بالتعاون مع أمراء العرب، خاصة إبن سعود..مع هذا يلاحظ

أن سياق تقرير شكسبير يؤدّي في نتيجته الى رأيه ورأي حكومة الهند ووزارتها، ووزارة المستعمرات.. ومع هذا يقدّم هذا الاقتراح الملتوي:

«إذا ماأريد للسياسة البريطانية القائمة على إيجاد تركيا قويّة في آسيا أن تتحقّق، يجب إقناع الباب العالي بأخطائه، مهما بلغ الأسلوب حدّا من الصلافة وعدم الاستساغة. والحل الوحيد الذي أراه، هو تغيير جذري في موقف الباب العالي تجاه الشيوخ البارزين.. إن معظمهم على إستعداد لقبول السيادة التركية طالما أنها سيادة بالاسم فقط (٥) ولا تستتبع تدخلا في شؤونهم. وفي حالة إبن سعود، فإن كلّ ما يتمنّاه هو أن يترك وشأنه كحاكم لنجد والأحساء، وهو كذلك بالفعل الآن، حيث أتيح له جمع الضرائب وعائدات الجمارك، وإدارة الحكم.. فاذا ما نصّبه الباب العالي متصرفاً أو والياً على نجد والأحساء وفق هذه الشروط والأسس، فانه على إستعداد لأن يدفع له جزية رمزيّة مرّة واحدة كلّ عام. وأنا واثق من تقيّده مخلصا بما تفرضه الصفقة كأحد الرعايا الأتراك. وإبن سعود لا يطمح أن يكون خليفة على الجزيرة العربيّة، ولا أعتقد بأنه سيقوم بحملة يهدف منها تنصيب نفسه سلطانا على الجزيرة العربية» (٦).

من الواضح أن الحل المقترح أعلاه بإعطاء الأستقلال للمناطق العربية ضمن سيادة إسميّة للأتراك، يعني أولا تفكيك الدولة العثمانية، ويعني في المرتبة الثانية إضعاف كل منطقة على حدة بشكل تلقائي، وأخيرا يعني فتح الباب أمام البريطانيين للامتداد والسيطرة على هذه المناطق مع إبقاء الأسم التركي مرفوعا، والى حين أيضا!.

وشكسبير الذي رأى أن مركزيّة الحكم التركي لم تفد كثيرا في مواجهة الانجليز ونفوذهم، يفهم أن اللامركزية يعني إنتهاء الدولة العثمانيّة، لا لأن اسلوب الولايات سيء، ولكن لأنّ الأوضاع وصراع القوى العظمى لم يكن يسمح بولادة مشروع كهذا.. لذا يقول شكسبير: «قد يقول البعض أن حلاً على الأسس المقترحة أعلاه سيترك كل الجزيرة العربية مشرعة الأبواب وعرضة لاستغلال القوى الأجنبية، العظمى منها وغير العظمى»، ولكن لا يوجد طامع شرس أكثر خطرا من الانجليز «وحاليا، ليس هناك من دولة عظمى لها مصالح حقيقية في الجزيرة العربية باستثناء بريطانيا العظمى، والتي تنحصر مصالحها في الشريط الساحلي، مع أنني اعتقد أن ايطاليا تحاول ـ كما يقال ـ تنمية مصالحها في عسير واليمن».

ولعلم الأتراك بمضار هذه السياسة، فإنهم ما كانوا راغبين في سلطة إسميّة على الأحساء، إلاّ لأنّها أهون الشرين، وهم يعلمون أن السيادة الاسميّة أفضل من ضياع السلطة الاسمية والفعليّة معا.. كما أنهم يعلمون أن السيادة الاسميّة تؤدي بالنتيجة الى الضياع كما حدث بالنسبة للبحرين أولا ثم الكويت.. وما كانت السيادة الاسمية تعني أي شيء مطلقا، حيث أثبت الاتفاق التركي

السعودي الذي توصل اليه في أوائل مايو ١٩١٤ ، أنه يعني بدرجة أساس التخلي كاملا عن المنطقة لابن سعود ، وأما بقيّة المواد فقد ضاعت ، ولم ينفذ منها بند واحد من الجانب السعودي ، حينما إشتعلت الحرب العالمية الاولى .

ويلخص شكسبير علاج المشاكل التركية ، على الأقل في ساحل الأحساء ، بالتالي :

«١ ـ أن يقبل الباب العالي بالوضع المستقل والقائم فعلا للشيوخ الكبار ، في حين يحتفظ الباب بالسيادة الاسميّة (٧) .

٢ ـ أن يبدي الباب العالي موقفا أكثر صراحة وصدقا تجاه الشيوخ البارزين .

٣ ـ أن يكون الباب العالي أقلّ ريبة وشكّا تجاه السياسة البريطانية في الجزيرة العربية ، مع إعترافه بالموقع الخاص الذي تتمتّع به بريطانيا العظمى هناك ! .

٤ ـ أن تكون هناك دعوة صريحة من جانب الباب العالي للتعاون مع بريطانيا في شؤون الجزيرة العربية» (٨) .

إن محصّلة هذه الاقتراحات ، بل الشروط ، التي صيغت بلغة إستعمارية إستعلائيّة ، هو أن تقبل الدولة العثمانية بأن تعامل كدولة قاصرة ، وأن تتصرّف بريطانيا في ممتلكاتها ، وتشرف على شؤونها بالنيابة عنها . ولقد مارست بريطانيا ضغوطا شتى لجعل تركيا تسير في علاقاتها مع إبن سعود فيما يتعلق بمشكلة الأحساء ضمن هذه النقاط .

وقد اشتكى الأتراك أكثر من مرّة من تدخل الانجليز في قضيّة الأحساء ، رغم أن حبر إتفاقيّة ٢٩ يوليو ١٩١٣ «إتفاقية الخط الازرق» لم يجف بعد .

ففي بداية مارس ١٩١٤ ، كان وزير الخارجية التركي ـ حقّي باشا ـ ضيفاً على المسؤولين البريطانيين في لندن ، وفي السابع من مارس التقى حقّي مع المستر باكستر ، وهناك إحتجّ عليه بأنّ «التقارير القادمة الى البصرة تفيد بأن الحكومة البريطانية ، وعبر معتمديها المحليين في الخليج الفارسي ، دخلت في علاقات مباشرة مع إبن سعود .. مما سبب ألماً وإمتعاضاً في القسطنطينيّة» (٩) . وأشار الوزير التركي الى أن هذه التصرفات تتعارض مع إتفاقية الخط الازرق التي تعتبر الأحساء مقاطعة تركية ، وطلب أن تتمّ الاتصالات بإبن سعود عبر الحكومة التركية ، مادامت تجري في أراضيها .

برّر باكستر هذه العلاقات المباشرة بأن هناك إضطرابا في الساحل المتصالح ، وبالقرب من مسقط ، وهناك خشية من أنّه إذا ما عاملت الحكومة البريطانية إبن سعود ببرود ، فإنه قد يتّخذ خطوات ضد القبائل التي «تحت حمايتنا» .. هذا إضافة الى أن التجار البريطانيين تضرّروا لاستثنائهم من دخول القطيف ، وأن «هذا ما جعلنا نجري بعض الاتصالات بإبن سعود» .. ومع ذلك

فالحكومة البريطانية متقيّدة بالحياد التامّ بين الطرفين!!.

واقترح باكستر أن يلتقي حقّي مع كوكس الذي كان يومئذ في لندن، وأيضا مع مسؤول آخر عن شؤون الخليج «أ. هرتزل»، وقد رفض الوزير التركي لقاء كوكس رسميّا، لأنّه ليس مخوّلا بمقابلته، وشدّد على «أن الحكومة العثمانية معنيّة بإعادة تثبيت قواتها في الأحساء، وأنّها تستنكر بشدّة إذا ما تلقّى إبن سعود أي دعم بريطاني».

كرّر باكستر رأي وزارته، وما تريده من شريط الأحساء، كحصول التجار البريطانيين على إذن بالدخول الى القطيف للتجارة، كما في كل المناطق العثمانية، وقال «لقد سمعنا بأن الأتراك يرغبون في إبعادنا عن القطيف، حتى ولو كان لأغراض تجارية».

وحقيقة الأمر، فان الاتصالات مع إبن سعود، والحديث الذي قيل لحقّي في لندن يستهدف التأثير على بنود المعاهدة السعودية التركية التي يزمع الطرفان التوقيع عليها، والتي علم ببنودها الإنجليز من خلال إبن سعود الذي أطلعهم على مسودتها.

لم يكتف البريطانيون بهذا، بل قدّموا مذكرة تفصيلية لحقّي باشا، وزير الخارجية التركي، برّروا فيها إتصالهم المباشر بإبن سعود ،وعرضوا وساطتهم مرّة أخرى بين الطرفين، واحتجّوا على بنود المعاهدة التي لم توقّع بعد، كما وأوضحوا ما يريدونه تفصيلا من إبن سعود، وأبرزوا أخيرا معارضتهم لأيّ عمل عسكري ضد إبن سعود في الأحساء.

كل هذا أجملته وثيقة تتحدث عن المذكرة التي سلمتها وزارة الخارجية البريطانية الى حقّي باشا، وصادرة في التاسع من مارس ١٩١٤، نستعرض هنا ما جاء فيها[١٠]:

«إن إبن سعود بسيطرته على القطيف والعقير وساحل إقليم الأحساء، قد دخل في المجال السياسي والتجاري للخليج، وأصبح من المستحيل تجاهله، على ضوء المصالح البريطانية الهامّة هناك، مثل استمرار السلام البحري، ومكافحة القرصنة، وتجارة السلاح، وقضايا الغوص والرقّ.. إن الحاجة تفرض علينا إقامة علاقات مع شخص يمارس سلطة فعليّة، ولما كان الأتراك قد إنسحبوا من الاقليم، فان علينا أن نتعامل مع إبن سعود، وقد أسعدنا شرح الموقف للأتراك».

«لقد إتسمت مخاطباتنا مع الأتراك بالصراحة الواضحة والموقف الودّي، وانطلقت بدافع الرغبة في التصرف معهم بروح الثقة والتعاون.. وقد تسلّم حقّي باشا المراسلة بارتياح وردّ بأن الباب العالي دخل فعلا في مفاوضات مع إبن سعود، وإذا ما ظهرت الحاجة الى وساطتنا فسيستعين بها».

لا شك أن جواب حقّي هذا يحمل في طياته الرفض للوساطة

البريطانية .. تضيف الوثيقة «رغم الاستجابة الوديّة من سعادته، علمنا من مصادر محليّة موثوق بها في الخليج، أنه خلال تبادل هذه المراسلات، أو قبلها مباشرة، كانت الحكومة العثمانية تعدّ شروطا لاتفاقها مع إبن سعود، بعضها موجّه بوضوح ضدّ الحكومة والمصالح البريطانية، وهذا الشروط كما تفيد معلوماتنا، طُلب من إبن سعود قبولها كثمن لاستقلاله المحدود.. وهي :

١ ـ السماح بوجود الحاميات التركية في الاقليم كما كانت في السابق.

٢ ـ تعيين القضاة بفرمانات من السلطان.

٣ ـ يدفع إبن سعود ثلاثة آلاف ليرة تركيّة سنويا.

٤ ـ إحالة جميع المراسلات مع الدول الأجنبيّة أو ممثليها الى السلطات التركية للتصرّف فيها.

٥ ـ إخراج جميع التجار والوكلاء الأجانب من الاقليم.

٦ ـ أخذ تعهد من إبن سعود بألاّ يعطي أي امتياز لأيّة شركة أجنبيّة من أجل سكّة حديد أو خط للسيارات».

ويلاحظ أن مسودة الطلبات التركية، قد وصلت الى علم الإنجليز قبل ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، أثناء لقاء العقير بين إبن سعود ومعتمدي الكويت والبحرين في منتصف ديسمبر ١٩١٣ .. وربّما كانت هذه هي «المصادر المحليّة الموثوق بها»!.

كما أن الإنجليز أبلغوا مرارا من قبل الاتراك عن عدم عزمهم شنّ حملة عسكرية على الأحساء، ففي الأول من ديسمبر ١٩١٣ ـ مثلا ـ أعلنت السلطات التركية بشكل رسمي للحكومة البريطانية أنها لا تنوي إستعادة الأحساء بالعمل العسكري. حيث أبلغ حقّي باشا السفير البريطاني في القسطنطينيّة أن الحكومة العثمانية «تنوي الاعتراف بالأمر الواقع بتعيين إبن سعود متصرفا على الاقليم»(١١).

وتشرح الوثيقة البريطانية آنفة الذكر الرأي البريطاني في الشروط التركيّة، وتقرّر أن الشروط الثلاثة الأولى تأتي في المرتبة الثانية من الأهميّة ويمكن تأجيلها «ولكن إذا صحّت المعلومات عن الشروط الثلاثة الأخيرة، فإننا نحتجّ بشدّة وخاصة على البندين الرابع والخامس .. إن التفسير الوحيد لهذه الشروط، هو أن الباب العالي يشك فعلا في مصداقيّة التأكيدات التي قدمناها حول إستعدادنا للتعاون».

أما ما يطلبه الإنجليز من إبن سعود ـ ضمن وضعه القائم مع الأتراك ـ فتعبر عنه الوثيقة بقولها، أنه «ليست هناك أسرار حول مطالبنا .. إن ما نريده منه هو إحترام مصالحنا بالآتي :

١ ـ أن لا يتدخل في أراضي أو سياسة المشيخات العربيّة في الخليج، بما فيها الساحل المتصالح وقطر.

٢ ـ أن يتعاون كسائر شيوخ الجانب العربي من الخليج، في حماية الهدنة البحريّة ومحاربة القرصنة.

٣ ـ أن يتعاون معنا في محاربة تهريب السلاح.

٤ ـ أن يسمح بدخول التجار البريطانيين الى القطيف، وأن يعاملهم المعاملة اللائقة».

«ليس في هذه المطالب ما يمكن أن يثير إعتراض الباب العالي أو إبن سعود.. وقد سبق للأخير أن طلب منّا المساعدة، واستخدام نفوذنا عند الأتراك.. ومن جانبنا فليس لنا رغبة في توريط أنفسنا، ولكن الشروط التي سمعنا أن الباب العالي يريد فرضها على إبن سعود، لا تعبّر عن صداقة نحونا، ولا يمكن قبولها، ولذلك إضطررنا لاثارة الموضوع».

وأخيرا، يطلب البريطانيون حذف الشروط الأخيرة الثلاثة، والاعتراف بإبن سعود حاكما مستقلا، وعدم مهاجمته إلاّ بعد التشاور معهم.

«نحن أساساً مهتمّون بحذف الشروط الثلاثة الأخيرة، وسيسعدنا أن نرى تسوية مرضية يحصل عليها إبن سعود من الباب العالي، فيعترف به بحكم منصبه متصرفاً للأحساء.. ومن خلال التعاون الودّي معنا لحفظ السلام والنظام في الخليج يوافق الأتراك على الامتناع عن الأعمال العدوانية من البحر ضد ساحل الأحساء بدون إستشارتنا مسبقا، وإعطائنا فرصة للوساطة قدر الامكان»(١٢).

على أنه، وفي أواخر فبراير ١٩١٤، بدأت بوادر تحرّك قوات عسكريّة تركية من بغداد للبصرة، ورصدت الوثائق البريطانية هذه الحركة وإحتمالات توجهها نحو الأحساء. وعلم إبن سعود من خلال الإنجليز ومن مصادره الخاصة بأمر هذه التحركات فأخذ استعداداته، كما أشار الى ذلك تقرير شكسبير الذي كتبه أثناء مروره بالرياض والذي أوضحنا تفاصيله في صفحات سابقة.

ولما أبلغ نائب الملك في الهند وزير الخارجية، بأن «٨٠٠ جندي تركي وصلوا البصرة تواً على ظهر السفينة ـ ساراتاو ـ»، طالبا الأوامر(١٣)، ردّ عليه بأن «وضع إبن سعود هو الآن قيد الدراسة مع حقّي باشا ـ الذي لا يزال في لندن ـ. والذي أخبرنا بطريقة غير رسميّة بأن طلباتنا ـ في الوساطة وتعديل الشروط التي ترى بريطانيا أنّها مضرّة بها ـ تنتظر رأي الباب العالي. يجب إبلاغ إبن سعود بأن حكومة جلالة الملك تسعى للتأثير على الترتيبات التركية، وأنه يجب عليه الحذر بأن لا يتصرّف باستقلاليّة مع الأتراك دون مشاورتنا والتنسيق معنا. ولقد شُدّد على حقّي باشا بأننا لن نسمح باستخدام البحرين أو مياهها لأغراض عسكرية ـ ضد إبن سعود ـ». وأخيرا يطلب مراقبة تحركات الجند التركي أولا بأول وإبلاغ وزارة الخارجية بذلك(١٤).

وجاءت اللحظة التي لا بدّ منها .. الانطلاق من الرياض باتجاه الأحساء، ومن ثمّ التوجّه شمالاً لمقابلة وفد المفاوضات التركي.

ولكن لماذا المرور بالأحساء، ألا يمكن للأمير السعودي أن يتّجه مباشرة الى الكويت؟.

نعم، ولكنه أراد أن يعرف آخر التعليمات من المعتمد السياسي في البحرين .. ولذا أراد أن يكون قريبا منها بتواجده في القطيف حيث وصل الى الجبيل أولا ثم الى القطيف، بحجّة أنه حدثت بعض القلاقل في الأخيرة[١٥] وكان الحاكم السعودي وقبل أيّام من تحرّكه، بعث برسالة بيد مبعوثه «يوسف» الى المعتمد في البحرين، طالبا التعليمات، ويخبره بأنه سيأتي الى «القطيف» ليتسلم الردّ قبل أن يتوجّه الى الشمال.

أمّا نصّ رسالة إبن سعود الى «تريفور» والمؤرخة في السادس من جمادى الأولى ١٣٣٢هـ، الموافق للثاني من أبريل ١٩١٤، فهو التالي[١٦]:

«بعد التحيّات ..

تلقيت رسالتكم الكريمة رقم ٥١٢، وأودّ أن أقول بأنّي فهمت ما ذكرته فيها، خاصّة إخبارك إيّاي بأن أوامر وصلتك لابلاغي بأن الحكومة البريطانية تبذل جهودها لوضع إتفاقيّة مع الحكومة التركيّة، وأن المباحثات متقدّمة. وأنه لذلك ليس من المستحسن إتّخاذ خطوات مستقلّة من جانبي في هذا الشأن.

يسرّني إبلاغكم، بأنّي ممتنّ لذلك، وأن هذا ما أتمنّاه جدا، ولذا فإنني لن أغيّر ما تعهدت به لك شفويا - أثناء لقاء العقير - وإن شاء الله أتوقع من الحكومة البريطانية إتصالات مستمرة حول ما يسرّ القلب[١٧].

كما أود أن أخبرك أيضا، بأنني سأصل في الحادي عشر من الشهر الحالي - جمادى الأولى - الى الجبيل. وفي هذه المرّة تلقيت معلومات من المفوض التركي الذي جاء من إستانبول مباشرة، وإسمه بنباشي سيد عمر فوزي بيك الماردييني، الوالي السابق للبصرة، والوالي الحالي لسوريا. وهو يحمل معه عددا من الرسائل والخطابات، ويعتزم أن يسوي الأمر بيني وبينهم - الأتراك - لقد وصل الى البصرة، ومن ثمّ سيصل الى الكويت، أو إنه قد وصل الى هناك بالفعل. ومن المفترض أنه سيقابلني وأقابله قريبا جدا إن شاء الله [١٨].

ولكنّي لم أشأ أن أقابله قبل أن أخبرك بذلك، فلربما أخبرتني بما عليّ أن أفعله، وفي أي قالب يجب أن يكون .. أنت تعرف بالطبع أنني ملتزم بكلمتي، ومصمّم على فعل كلّ ما يقرّبني من صداقة الحكومة البريطانية، ويحدّ من إقترابي من الأتراك .. إلاّ في حالة عدم قدرتي على المساعدة، وحينها سأسلك ما فيه الخير لي[١٩].

والآن إن شاء الله تخبرني بما هو ضروري [٢٠]، ولقد أخذت كلمتك الأولى

بعين القبول ، ولكنك تعرف أن رجل الأعمال يرغب في معرفة الحقيقة وتسوية قضيّته ، والاهتمام معلوم لديك . أنا أطلب منك تعريفي عن طريق مبعوثي يوسف الذي أثق به من أجل مناقشة حضرتكم ، ولكي أحافظ على مصالحي . الله يحفظكم والسلام» .

على عجل .. ولكي يلحق بسفينة البريد المتجهة الى بوشهر ، كتب تريفور رسالة مستعجلة ، الى المقيم في بوشهر «الميجور نوكس» وأرفق معها ـ كما يقول ـ ترجمة مستعجلة لرسالة إبن سعود ، هذا نصّها :

«تسلمت اليوم ـ ٦ / ٤ / ١٩١٤ ـ رسالة عن طريق رسول خاص لابن سعود ، علمت منها أنه يتوقع أن يقابل البعثة التركية في مكان ما حول الكويت في وقت قريب . أمّا رسول إبن سعود فسيناقش معي الأمر غدا ، غير أنني لن أكون قادراً على إعطائه أيّة تعلميات مرضية لسيّده . وفي الحقيقة فإنه يبدو من المحتمل إذا لم يتوفر شيء محدد يمكن إبلاغه لابن سعود في أقرب فرصة ممكنة ، فإنه سيجري اتفاقية مع الحكومة التركية ، ومثل هذه الاتفاقية ستكون على الأقرب معادية لمصالحنا»[٢١] .

إلاّ أن هذه الرسالة العجلى لم تلحق بسفينة البريد ، وبقيت معه ليرفقها مع تقرير عن محادثاته مع مبعوث إبن سعود «يوسف» ، ومع رسالته الجوابية لابن سعود .

عن محادثاته مع يوسف ، قال تريفور مكملا رسالته العجلى برسالة أخرى في العاشر من أبريل ١٩١٤ : «أرسل إبن سعود رسولا سرياً بهذه الرسالة وقد قابلني ، وقال بأن سيّده يرغب في إجراء لقاء آخر معي ، وسألني عن إمكانيّة ترتيب موعد لذلك . أجبت بأنني أرحب جداً بلقائه مرّة أخرى ، ولكن من غير المستحسن بالنسبة لي أن أغادر للقائه الآن بدون إذن من السلطات العليا .. وأن مثل هذه الخطوة قد تكون مثار إعتراض في لندن[٢٢].. » .

«قال المبعوث أن إبن سعود تسلم رسالة من الشيخ مبارك تقترح لقاء بينه وبين البنباشي سيد عمر بيك في الكويت . فقلت : على حد علمي بأنه ليس هناك ضرورة قصوى للوصول الى اتفاقيّة ، وطلبت التأخير . قال يوسف أنه لا يعتقد أن إبن سعود سيرفض الذهاب والمفاوضة إذا ما تسلم رسالة أخرى» .

ويسجّل تريفور إنطباعاته وتوقعاته : «إنطباعي هو أن إبن سعود عازم على الذهاب ولقاء الأتراك في كل الأحوال .. ومن الطبيعي أن يكون متشوّقاً لمعرفة ما إذا كانت الحكومة البريطانية قادرة على فعل شيء من أجله» .. بعدها يتساءل تريفور عن إمكانيّة لقاء إبن سعود على الساحل ، فإذا كان الجواب إيجابيا وتسلم إذنا بذلك في وقت مبكّر ، فانه يستطيع أن يستقلّ إحدى السفينتين البريطانيتين «بالينوروس أو بحرين» .. أمّا إذا كان الجواب متأخرا ، فانه لا يرحب بالسفر لان إبن سعود سيكون قد إتجه نحو الكويت «وإذا تمّ ذلك فسيلتقي

بلاشك مع معتمدنا هناك» .

وقبل أن يغادر المبعوث يوسف البحرين، حمّله تريفور هذه الرسالة الجوابيّة :

«أخشى أن لا أكون أملك تعليمات أخرى أستطيع إبلاغكم إيّاها .. لم أسمع شيئاً منذ آخر رسالة كتبتها» .

«رسالتكم للاسف لم تلحق البريد الى بوشهر لسوء الحظ، ولكن سوف أتصل بالمقيم في أقرب فرصة، وحالما أحصل على أخبار جديدة فسأبلغكم بها» .

وينصح تريفور إبن سعود : «في الوقت الحالي ليس هناك داع كما يبدو لي للسرعة، وأنصحك بالتريّث» . أي لا تذهب لتوقيع إتفاق مع الأتراك، رغم أن الإنجليز لم يقدّموا البديل لابن سعود خشية على علاقاتهم مع الأتراك .

واقرأ الآن إقتراح تريفور الأخير لابن سعود : «أمّا إذا كنت ذاهبا باتجاه الكويت، فأقترح أن تتّصلوا بمعتمدنا السياسي البريطاني هناك، وذلك قبل أن تلتقوا بالمبعوث التركي» !(٢٣) .

وهكذا لم يحصل إبن سعود على جواب شافٍ، ولكنه يعلم أن ظهره مؤمّن من أنّ عملا عسكريا تركيا قد بات مستحيلاً .

غادر الأمير السعودي القطيف في السادس عشر من أبريل ١٩١٤، برّاً باتجاه الكويت، والتي سيصلها عمر فوزي والسيد طالب النقيب ومعهما رئيس كبار الموظفين في بغداد، في الثاني والعشرين من الشهر نفسه-حسب تعبير إحدى الوثائق-(٢٤) .

لقد إنتخب السيد طالب النقيب رئيسا للوفد التركي، أمّا الأعضاء فهم عمر فوزي، وسامي بك متصرف الأحساء السابق، وأحمد باشا الصانع، وعبد اللطيف المنديل الذي منح لقب باشا بعد المؤتمر، والذي كان في السابق ممثلا لابن سعود في المفاوضات نفسها ! .

وموقف السيد طالب يميل بقوّة لابن سعود، وقد أعطاه الأخير بعد توقيع الاتفاق الأموال الكثيرة مقابل دعمه في المفاوضات .. التي أصبحت مثارا للسخريّة من إبن سعود يفاوض نفسه .

كان بودّ الحكومة البريطانيّة، أن تكون هي الوسيطة في المفاوضات للتأثير على نتائجها، لكن الأتراك قرّروا المفاوضات المباشرة مع إبن سعود، فاتجه رأي الإنجليز نحو ضرورة الحصول على تأكيد من أن الاتفاقية المزمع توقيعها لا تمسّ مصالحهم، واحتجوا على مسودتها، وفي نفس الوقت-ورغم حصولهم على تأكيدات الأمير السعودي بأنه سيرفض الشروط التي تضرّ بالمصالح البريطانية-إلاّ أنهم أرادوا أن يلتقي بمعتمدهم في الكويت قبل ملاقاته الأتراك، وقد فعل ! .

قالت رسالة من حكومة الهند الى وزارة الخارجية أنه «من الضروري لنا

أن نعرف ـ قبل الشروع في المفاوضات إن أمكن ـ ما إذا كانت الحكومة العثمانية ستقدم للحكومة البريطانية تأكيداً مرضياً بأن حل التسوية لن يسبب ضرراً لمصالح بريطانيا العظمى في الخليج[٢٥] .. وإذا لم يكن لدى الأتراك إستعداد لتقديم مثل هذا التأكيد ، فهل من المسموح به إتخاذ خطوة غير رسميّة عبر شيخ الكويت ، أو معتمدنا السياسي لتأمين ما نريده ؟ .. نحن نشك في أن الأتراك يعيرون إهتماماً لهذه المسألة بالنظر الى تلهفهم لاجراء مفاوضات مباشرة»[٢٦] .

وقبل أيّام من المفاوضات ، كرّر البريطانيون عرضهم للوساطة .. فقد أبلغ لويس ماليت ، السفير في القسطنطينيّة ، وزير الداخلية التركي طلعت بيك ، بأن حكومته «مستعدّة لتقديم وساطتها ، وأنه ليس لديها أيّة أهداف أخرى ! .. وأجاب الوزير التركي ، بأن لحكومته آمالاً قويّة للتوصّل الى تسوية بنفسها» .. وألحّت برقيات وزارة الهند بوجوب الضغط على الأتراك لقبول الوساطة ، خاصة وأن إبن سعود لا يمانع في ذلك . غير أن وزارة الخارجية رفضت الأمر لأنّه يتعارض مع الأسس العامّة لسياسة بريطانيا[٢٧] !! .

تتالت الأحداث قبيل وصول إبن سعود والوفد التركي لأطراف الكويت ، حيث حمل الوفد نيشاناً تركياً لتقليد مبارك الصباح [٢٨] .

وفي ٢١ أبريل ١٩١٤ بعث السير ل . ماليت الى وزير الخارجية برقيّة تضمنت معلومات كان قد بعثها القنصل البريطاني في البصرة ، يقول القنصل : «وصلتني معلومات خاصة وسريّة بأن لجنة مؤلّفة من رئيس الأركان في بغداد ، ورئيس الأركان في البصرة ، ومتصرف الأحساء السابق ، سامي بيك ، وبرئاسة طالب النقيب ، سترسل الى الأحساء في الاسبوع القادم ، وأن طالب سيرتب أمر تسليم المنطقة الى الحكومة التركية . أنا أحاول الحصول على تأكيد هذه المعلومات»[٢٩] .

ولكن ظهرت المعلومات زائفة ! .

في ٢٥ أبريل أبرق السفير ماليت الى إدوارد غري ، وزير الخارجية ، نصّ برقية بعثها القنصل البريطاني في البصرة إليه تقول : «يقول السيد طالب أنه لا يجري الاعداد لأيّة ترتيبات ، ولكنه على إتصال بالباب العالي ، الذي يدرس الآن الشروط التي سيتم الاتفاق عليها بالنسبة للأحساء ، وأنه بانتظار تعليمات القسطنطينيّة» .

«.. وقد تمّ الطلب من طالب فعلا ، أن يتوصل الى ترتيب أفضل إتفاق يقدر عليه ، وهو على إتصال مستمر مع إبن سعود عن طريق شيخ الكويت . كما سمعت أيضا أنه يتوقع وصول إبن سعود الى الكويت اليوم أو غدا ـ ٢٣ ، ٢٤ أبريل ـ وأنه بانتظار زورق شيخ الكويت ليتوجّه إليها على رأس اللجنة .. وأن يتوصّل الى ترتيب إتفاق بطريقة وديّة»[٣٠] .

قبل أن يغادر الوفد التركي البصرة، أجرى والي البصرة، سليمان شفيق الكمالي، مفاوضات مع إبن رشيد، بالقرب من صفوان، حيث عشائر المنتفق، وسأل الأول صاحبه: «هل تستطيع إذا إحتجنا أن تستردّ لنا الأحساء؟، فأجاب إبن رشيد: أنه يودّ ذلك ولا يحتاج لأكثر من مائتي عسكري تركي»![٣١].. وقد كان السؤال غريبا بمقدار غرابة الإجابة!.

والتقى القنصل البريطاني بسليمان فور عودته من لقاء إبن رشيد، وسمع منه تأكيداً بأن طالب سيقلع الى الكويت «للتوصل الى تسوية ودّية..كما طلبت القسطنطينية». وأفاد القنصل بأن سفينة شيخ الكويت وصلت قبل أيّام وستقلّ المفاوضين قريبا، وقال أنه «إنتهز الفرصة لتنكير الوالي سليمان، بأن سياستنا أن نفعل جهدنا للابقاء على الامبراطوريّة غير مجزّأة، وسنكون سعداء لسماع أن مشكلة الأحساء قد حُلّت بشكل مرض»[٣٢].

وحينما خيّم إبن سعود في «الصبيحة» بانتظار وصول الوفد، ذهب المعتمد البريطاني هناك الليفتانت كولونيل و.ج.غري للقائه، ولتأكيد ما تريده حكومته من تعليمات. وقيل أن غري سلّم إبن سعود رسالة من مبارك تطلب منه أن يكون صلباً مع العثمانيين، ورفض التعامل معهم، وهذا كما توضح الوثائق غير صحيح.

كان اللقاء بين غري، المعتمد البريطاني في الكويت، وإبن سعود مهما، فالأخير أراد أن تتدخّل بريطانيا في المفاوضات بحجّة أنه لا يثق في الأتراك، ولكن هؤلاء الأخيرين لا يقبلون وساطة الإنجليز ولا يحتاجونها، وقد أبلغ غري إبن سعود بأن بريطانيا لا تستطيع التدخل «وقد لاحظتُ خيبة أمله..ولكنّي لم أجد صعوبة في إزالة هذا الخاطر، فقد شرحت له أن الحكومة التركية هي التي رفضت وساطتنا، ونحن لا نستطيع إرغامها على قبول مساعدة لا تريدها. وأبلغته بأنه لا مانع الآن من إجراء مفاوضات مباشرة بينه وبين الترك، وأن آراء حكومة صاحب الجلالة قد نقلت للباب العالي».

قال إبن سعود «إنه لا ينوي عمل إتفاقيات منفردة مع الأتراك، لأنه لا يثق بهم. وسألني ما هي آراء الحكومة البريطانية التي نقلت الى الباب العالي؟، فأجبته بأنها خاصة بالمحادثات التي جرت بينه وبين موظفينا في البحرين. قال إبن سعود إنه لا يملك أيّة معلومات عن الشروط التي سيطلبها الترك منه، ولكنهم لن يسمحوا بوجود أجانب في القطيف بأيّة حال، وأنه في حالة الوصول لاتفاق معهم، فسيجبرونه بدون شك على إخراج الأجانب من القطيف»[٣٣].

بعدها سأل إبن سعود عن إستعداد الأتراك للحرب فيما إذا فشلت المفاوضات «ففهمت من ذلك أنه يدرس الاحتمال البديل، وقبل أن ينتهي لقاؤنا سألني: هل حكومتنا على إستعداد لاعطائه ضمانة ضد غزو الترك للأحساء من

البحر ؟ .. لأنه بهذه الضمانة يستطيع أن يصدّهم الى الأبد . وقد أجبت بأنني لا أملك أيّة معلومات إلاّ ما قدمته له عن البحرين ومياهها»[٣٤].

كانت المعلومات في الحقيقة كافية ومطمئنة لأكثر من سبب وسبب . ولكن إبن سعود يريد ضماناً صريحاً ورسمياً ، وهذا ما يصعب التصريح به ، فالتلميح كاف إن أراد ، خاصة في تلك الأوضاع الحسّاسة التي تحكم العلاقة البريطانية التركية . ولقد حذر الأنجليز الأتراك أكثر من مرّة من إستخدام العمل العسكري ضدّ إبن سعود ، وحذروا من إستخدام البحرين أو مياهها ضده ، ومياه البحرين هي مياه الأحساء ! ، أضف الى ذلك حجّة الانجليز التي طالما رفعوها ، وهي المحافظة على السلام البحري ! .

ويعلّق غري على لقائه بإبن سعود بالقول : «أعترف بأنني عدت للكويت بدون فكرة واضحة عن الطريق الذي سيختاره إبن سعود : هل سيستمر في رفضه لأي إتفاق لا تضمنه بريطانيا بشكل ما ؟ ، أم سيحاول الوصول الى تسوية معقولة مع الأتراك في الأجتماع القادم؟ . وفي هذا الحالة أعتقد أنه سيبذل كل جهده لتوريط حكومتنا ، وذلك بقبول شروط من الأتراك ، تحت إدّعاء الاكراه ، وهو يعرف أننا لا يمكن أن نقبلها بحكم مصالحنا»[٣٥].

كان التوقع بلا شك في غير محلّه .. فلنتابع تفاصيل وصول الوفد التركي للكويت ، وسبب عدم مشاركة إبن صباح فيه ، ثم كيف جرت المفاوضات ونتائجها .

«وصل الوفد التركي برئاسة السيد طالب ، وعضوية السيد عمر فوزي بيك ، رئيس أركان البصرة ، الى الكويت يوم التاسع والعشرين من أبريل على ظهر زورق الشيخ مبارك ـ مشرف .. وفي نفس اليوم مُنح الشيخ مبارك وساما عثمانيا بدون أيّ إحتفال رسمي ، وبحضور عدد قليل من الناس . وفي صباح الثلاثين أرسل مبارك في طلب «ملاّ» المعتمديّة عندي ، وطلب منه إعلامي بأن أعضاء الوفد يصرّون على أن يرافقهم في زيارتهم لابن سعود . وقد بعثت برد عن طريق الملاّ قلت فيه أن حكومة جلالة الملك ، وكما كنت قد أعلمته من قبل ، لا تعترض على المساعي الحميدة التي تقدم للمساعدة في المفاوضات ، ولتطمينه ، أرسلت إليه رسالة رسميّة»[٣٦].

لقد قيل أن الانجليز إعترضوا على تدخّل مبارك في المفاوضات ، وقد أسهبت الكتب خاصة تلك التي صدرت من السعودية في الحديث عن هذا الأمر ، بل عدّتها أحد أهم الاسباب للخلاف الذي نشب فيما بعد بين مبارك الصباح وإبن سعود .. وهذا غير صحيح بالمرّة ، فالانجليز أساساً يريدون الاقتراب من المفاوضات ، وأكثر من هذا يريدون التأثير فيها عن قرب ، وهل أفضل من مبارك لتأدية هذه المهمّة ؟! .

ثم ماذا يجني الانجليز من الانعزال؟ .

فيما يلي نص رسالة التطمين التي بعثها المعتمد غري الى مبارك وسلّمت باليد عبر رسول خاص في الخامس من جمادى الثاني ١٣٣٢هـ «٣٠ أبريل ١٩١٤»، والتي تسمح له بحضور المفاوضات:

«بعد التحيّة..

تلقيت معلومات من حكومتي بأن أعلم حضرتكم بأنها لا تمانع في إستخدام جهودكم لحلّ الأمور وتحقيق التوصّل الى إتفاق بين الأمير إبن سعود وبين الحكومة التركيّة..وإنني أعلمكم برغبات حكومة جلالة الملك حول هذه المسألة:

١ـ على إبن سعود ألاّ يتدخل في مناطق وسياسات الشيوخ العرب على شاطيء الخليج، بما في ذلك قطر.

٢ـ وإن تعاونه مطلوب في قمع القرصنة و الحفاظ على السلام البحري عموماً.

٣ـ وعليه أن يتعاون في مجال محاربة تهريب السلاح.

٤ـ وأن يسمح للتجار البريطانيين بدخول القطيف، وأن يعاملوا المعاملة اللائقة.

وإن حكومة جلالة الملك، قد أعلمت الحكومة التركية بالفعل بهذه الرغبات، هذا ما لزم إعلامكم، وليحفظكم الله سالمين مرتاحي البال»(٣٧).

وقد ردّ مبارك في اليوم التالي على رسالة المعتمد برسالة اخرى، وقد فضلنا أن نورد النص الأصلي عن أن نترجمه الى العربية..

«بعد التحيّة. تلقيت رسالتكم المؤرخة في الخامس من جمادى الآخر، وفهمت مقصدكم»(٣٨).

«منخصوص ـ بخصوص ـ مرسولين الترك لملاقاة ابن السعود، هما ـ هم ـ الآن عندنا، ويتوجهون لملاقاة المشار إليه، وطلبوا منّي أتوجه معهم، وتعذرتهم، أمّا التوسط بينهم وبين إبن سعود، فأنا طبعا ما أتداخل بينهم. إنّي قبل هذا بيّنت لهم ذلك. أمّا مطالب الدولة البهيّة ـ بريطانيا ـ على إبن سعود لعدم تداخله في بلدان العرب التي على الساحل، وقطر منهم ـ منها ـ، فحضرتكم العالية بلّغتوه عن ذلك، وأيضا تجارة رعيّة الدولة البهيّة الذي يتصلون الى القطيف، ويمكن يتصلون الى الأحساء ايضا، بلّغتوه شفاها بذلك، فإني أتبع إرادة الدولة البهيّة بحسب ما بلغه حضرتكم العالية، وأنا أيضا أبلّغه، ويمكن إبن سعود يزورنا، وأنا أحضر مع حضرتكم العالية، وجميعاً نبلغه حسبما أمرتم، وأمّا التداخل بين إبن سعود ودولة الترك، أنا قطعاً متجنبها ـ متجنّبه ـ وبلّغت مرسولين الترك في ذلك»(٣٩).

وهكذا نرى أن الانجليز ليس لديهم مانع من ذهاب مبارك ومشاركته في المفاوضات، ولكنه يلحّ على عدم الحضور..لماذا؟.

في الخامس من مايو ، وبعد رحيل الوفد وإنتهاء المفاوضات ، شرح مبارك للمعتمد البريطاني غري موقفه من هذه المسألة ، حيث «عبّر عن أسفه لعدم تمكّنه من قبول دعوة حكومة جلالة الملك له بالمشاركة في المفاوضات ، وقد أخبرني ـ مبارك ـ بأنّه لم يكن هناك شيء على الاطلاق يمكن أن يحفّز إبن سعود على قبول الشرط المتعلّق بعودة القوات التركية الى ما كان يعتبره ملك آبائه وأجداده . وأضاف مبارك بأنه جرّب الأتراك طيلة حياته ، وأنه لا يستطيع أن يحضّ إبن سعود جدياً على الخضوع لهم دون ضمانة من الانجليز . أمّا فيما يتعلّق بالوفد التركي ، فقد شعر مبارك بأنه كان ملزما بمساعدة عمر فوزي بيك الى حد ما ، أولا : لأنه ممثل دولة أجنبية ـ يقصد تركيا ـ هو على علاقة وديّة معها . وثانيا : لأنه كان ضيفه حين زار الكويت . وثالثا : بسبب الصداقة القائمة بينه وبين والد السيد عمر . ولم يكن مبارك يرغب في روْية والي البصرة في الكويت، لأنه كان من الصعب أن ينكر عليه ما يمكن أن يفعله تجاه السيد طالب . وكان مبارك يشعر بأنه غير قادر على تقديم أيّة مساعدة في موضوع المفاوضات»(٤٠) .

على أيّة حال ، بقي أعضاء الوفد التركي في الكويت مدّة يومين كاملين في ضيافة مبارك ، إنهمكوا خلالهما في مناقشة بنود الإتفاق الذي سيعرض على إبن سعود ، وفي صبيحة يوم الثاني من مايو توجهوا الى الصبحية حيث يعسكر إبن سعود ، وانتهت المفاوضات في اليوم الرابع(٤١).

وكما يبدو فان الوفد العثماني وصل بمعيّة جابر بن مبارك الصباح ، الذي سلّم إبن سعود رسالة اعتذار من والده ، بأنه لم يتمكن من حضور المفاوضات ، كما وعد سابقا .

وفي ذات الفترة ، أي أوائل مايو ١٩١٤ ،كان طلعت بيك ، وزير الداخلية التركي ، يثرثر في السفارة البريطانية في القسطنطينيّة عن توقعاته حول المفاوضات .. وقال أن من المحتمل «تخطيط حدود واضحة دقيقة بين إبن سعود وإبن الرشيد ، وتعيين ممثلين للسلطان العثماني في كل من حائل والرياض ، والاعتماد على دهاء هؤلاء الممثلين في التحكّم والاشراف على تصرفات وأعمال الاميرين دون اللجوء الى القوة .. أما بالنسبة للأحساء ، فيعيّن إبن سعود متصرفا على هذه المقاطعة ، على أن يكون إستيفاء الضرائب والرسوم الجمركيّة في يد الأتراك ، كما توضع حاميات تركية في الموانيء»(٤٢).. لكن ما جرى على أرض الواقع مخالف تماما لكل هذه التوقعات ، أو الثرثرات ! .

لقد تصوّر إبن سعود أن مبارك الصباح بعدم حضوره المفاوضات ، أراد تخريبها ، خاصة وأن الأول طلب من إبن سعود أن يتصلّب في شروطه ، واعتبر إبن سعود ذلك دلالة على مكر الحاكم الكويتي الذي يريد أن ينسف المفاوضات من أساسها لصالحه ، بسبب غيرته وحسده له لاستحواذه على مقاطعة غنيّة

هي الأحساء .. وقد قاد تصور إبن سعود هذا الى إبعاد جابر بن مبارك عن دائرة المفاوضات، ففي الجلسة الأولى والتي حضرها جابر، شنّ إبن سعود هجوماً مفتعلاً على الدولة العثمانيّة، ورفض التعامل مباشرة، ووقعت مشادّة ـ مفتعلة مع الوفد التركي بالتنسيق المسبق لتغرير جابر ـ .. وقد قاد هذا الى إنهاء المفاوضات.

ولكن وبعد هذا بساعات، كان الجانبان المتفاوضان يجلسان سويّة وفي إحدى الخيم، وبشكل سرّي لاعداد الشروط التي إتفق عليها، ثم رفعت الإتفاقية الى الباب العالي للتصديق عليها.

عاد الوفد التركي من الاجتماع الى الكويت في اليوم الرابع من مايو، ولم يبلغ الشيخ مبارك بما جرى .. في حين أن كل ما يعلمه هو والإنجليز قد جاء من إبنه الذي شهد نهاية المفاوضات المأساوية، ولم يشهد الجلسة السريّة .. لذا أشارت تقارير المعتمد السياسي في الكويت لرؤسائه في بادىء الأمر الى أن المفاوضات كانت فاشلة، الى أن جاءت الأخبار من إبن سعود ومن الأتراك ومن مصادر اخرى، بأن الإتفاق جرى على نقاط محدّدة ونهائية(٤٣).

في الرابع من مايو، إلتقى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، الكولونيل غري بمبارك، فأبلغه الأخير بما وصله من معلومات عن المفاوضات .. قال غري:

«قمت بزيارة الشيخ مبارك حيث أبلغني بما جرى، بروايته التي تؤكدها بصورة عامّة التقارير التي وصلتني من مصادر أخرى ... أعلن الأتراك لابن سعود أولا عن مشروعهم للتسوية، والذي كان ينصّ بأن على إبن سعود أن يقبل إبتداء بإعادة تمركز الحاميات التركية في القطيف والعقير، وتعزيزها بمواقع إضافيّة في الأحساء، وأن يعيد تسليم جميع القلاع الموجودة في العقير والأحساء الى الأتراك، وأن تعاد جميع المدافع والأسلحة الصغيرة التي كان قد استولى عليها إبن سعود، الى القوات التركية. وأن لا تكون له أيّة علاقة أو صلة مهما كانت بالأجانب أو بالدول الأجنبيّة».

«مقابل هذه الشروط، وافق الأتراك على الاعتراف بحق إبن سعود بالحكم الذاتي، والسماح له بجمع الضرائب .. الخ .. وعلى أن يعطوه إذنا شفهيا بإستعادة قطر وعمان حين يشاء».

«بعدها عُرض مشروع إبن سعود على الوفد .. وهو يقضي بأن يحتفظ إبن سعود بالقطيف والعقير والأحساء تحت السيادة التركية، وأن يدفع للاتراك ثلاثة آلاف ليرة تركية سنويا على شكل جزية، وأن يكون إبن سعود ورجاله تحت تصرّف تركيا، إذا ما ظهرت حاجتها للمساعدة المسلّحة».

«تلى ذلك نقاشات تركزت على إعادة تمركز الحاميات التركية، وأصرّ الوفد التركي على هذا الشرط، في حين رفض إبن سعود القبول به .. وبعد مضي

بعض الوقت تبادل الأخير كلمات قاسية مع السيد عمر فوزي، ووصل بالأخير حدّاً من الحماقة بدرجة قال معها إنه إذا لم يقبل إبن سعود بهذا الشرط فسيُجبر على قبوله.. فما كان من الأمير السعودي إلاّ أن هبّ واقفاً واستلّ سيفه الى نصفه، ثم أمر السيد عمر بمغادرة الاجتماع. وهكذا فان أيّة إمكانيّة لمفاوضات ناجحة بدت وكأنّها إختفت في تلك اللحظة».

«عاد الوفد التركي الى البصرة على زورق الشيخ مبارك مساء الرابع من أبريل، وسيرسل تقريراً الى القسطنطينية عن إخفاق المحادثات»(٤٤).

هذه هي المعلومات الأوليّة عن المفاوضات، وهي تتحدث عن الجلسة الأولى منها التي حضرها الطرف الكويت ممثلاً في جابر بن مبارك الصباح، وقد حدث فيها الشجار المفتعل بغية تضليل الوفد الكويتي، كما إعترف بذلك معظم الكتّاب السعوديون.. وكما إكتشف مبارك مؤخرا، فانثنى على إبنه يوبّخه ويتّهمه بالغباء.

في العاشر من مايو ١٩١٤، أفاد المعتمد السياسي في الكويت، بأنه لم تصله معلومات جديدة عن المشروعات التركيّة، وقال بأن إبن سعود لم يزر الكويت بعد إنتهاء مفاوضاته مع الترك، وان المراسلات معه مقطوعة.. ونقل الوكيل رأي إبن صباح: بأن الأتراك سيكونون أقرب الى إعلان الحرب ضد إبن سعود من إعطاء الحكومة البرطانية فرصة للتدخل والتوسط.. لكن المعتمد غري لا يشارك إبن صباح في رأيه، وكذلك المقيم في بوشهر، وقد طلب المعتمد دراسة إمكانيّة طلب التوسط بين الطرفين التركي والسعودي، مادامت المفاوضات قد فشلت!.

فحتى هذا الوقت لم يعلم الإنجليز شيئا عن الإتفاق التركي السعودي بعد ستّة أيّام من رحيل الوفد التركي الى البصرة (٤٥)، ولم يشأ الحاكم السعودي أن يبلغ الإنجليز، ريثما يوقّع السلطان على الإتفاقيّة وتصبح سارية المفعول، وهو أمر حدث بعد نحو شهر من توقيع الإتفاق.

ففي الثامن من يونيو ١٩١٤ أرسل ناظر الحربية التركي، أنور باشا، الى إبن سعود برقية تفيد إبرام الإتفاق:

«نمرة ٤٨

الى والي نجد وقومنانها، عبد العزيز باشا السعود

أعرض التبريكات راجيا من المولى تعالى أن يوفّقكم لبذل الخدمات المبجّلة في سبيل الدين والدولة.

في ٨ حزيران ٣٣٠

ناظر الحربية

أنور» (٤٦)

وسرعان ما وصلت أخبار الإتفاق للانجليز، فتأثّر مبارك لعدم علمه بها

مسبقا، سواء من إبنه «الغبيّ!»، أو من خلال إبن سعود «ولده الوفيّ!».. على أن توارد أخبار الإتفاق جاء متزامنا مع تقارير فشل المفاوضات، فأوقع لبساً وحيرة.

كتبت حكومة الهند لوزارة الخارجية في ٢٧ مايو ١٩١٤، مشكّكة فيما وصلها من أخبار سابقة عن فشل المفاوضات [٤٧]، وملمّحة الى إحتمال نجاحها، مؤكّدة على أن هناك أضراراً كبيرة إذا ما فرض الأتراك الحل الذي يريدونه، وأطلقوا يد إبن سعود على عمان وقطر!.. وقالت أيضا بأن وضع إبن سعود لقواته الى جانب تركيا إذا احتاجت اليها سيسبّب مشاكل لبريطانيا في المستقبل، إذا ما غاب التفاهم الودّي معه.

وبناء على المعلومات المغلوطة عن المفاوضات التركية السعودية، أيّدت حكومة الهند وجهة نظر وزير الخارجية إدوارد غري، بضرورة تجنّب أي عمل من شأنه إثارة الشكوك لدى تركيا.. وأيّدت إقتراحه بأنه «إذا» لم يتوصّل الطرفان الى حلّ سلمي لمشكلة الأحساء، فإن تركيا يجب أن تقبل توسّط الحكومة البريطانية.

وفي الوقت ذاته وإزالة للتناقض في التقارير بين قائل بفشل المفاوضات وقائل بنجاحها، وصل نوكس الى حلّ توفيقي فقال: «يبدو أن الوفد التركي قد فشل في الوصول الى أي تفاهم محدّد مع إبن سعود، ولكنهم إتفقوا على هدنة، يستطيع إبن سعود أن ينقضها أو يحترمها في أيّة لحظة، إلاّ أن الوفد كذب على اسطمبول وأبلغها أنه وصل الى إتفاقيّة ملزمة. على أيّة حال ستكشف الأسابيع القادمة ما إذا كان إبن سعود اتخذ موقفاً معادياً من التجار البريطانيين أم لا» [٤٨].

لنعد الآن الى الإتفاقيّة التي وقّعها إبن سعود مع الأتراك في الثالث من مايو، وصدّق عليها رسميا في الثامن والعشرين من نفس الشهر [٤٩].. ومما يثير الاستغراب أن أحد الكتاب شكّك في وجودها أصلا، رغم إيراده نصوصها، وقال أن إبن سعود لم يوقّعها «وما ينبغي له» [٥٠]!. وهو قول بالغ الجرأة في التعدّي على حقائق التاريخ.

في الثالث والعشرين من يونيو ١٩١٤، بعث السفير البريطاني في القسطنطينيّة السير ل. ماليت، الى وزير الخارجية غري، برقية تحوي معلومات بعثها قنصل البصرة تقول:

«قَبِل إبن سعود منصب الوالي، والقائد العسكري العام لنجد، وأن يكون على إتصال مباشر مع القسطنطينيّة. ويعترف إبن سعود بأنه من الرعايا العثمانيين، وسيرفع العلم العثماني في الأحساء [٥١]، وقد فهمت أنه هو الذي سيقرّر فيما إذا كانت القوات التركية ستتمركز في ولايته أم لا.. وقد أرسل السلطان برقيّة الى طالب النقيب يهنّئه فيها على نجاحه بهذا الخصوص» [٥٢].

واستلم مبارك الصباح في ٢٥ / ٦ / ١٩١٤ رسالة من صديق تركي في البصرة ، تحوي تفاصيل الإتفاقية بين إبن سعود وعبد اللطيف المنديل «وكيل إبن سعود في البصرة ، وكان يفاوض إبن سعود مع أعضاء الوفد التركي نيابة عن الأتراك» !! .

ويقول غري ، المعتمد في الكويت ، والذي حصل على هذه المعلومات من مبارك نفسه ، أن الرسالة هي عبارة عن وثيقة كان من المفترض أن ترسل من قبل وزير الحرب العثماني «أنور باشا» الى إبن سعود . ولكن المعتمد لم يثق كثيرا بالمعلومات ما لم يؤكّدها إبن سعود ، الذي زاره في الرياض عبد اللطيف المنديل نفسه . وأشار غري الى إنزعاج مبارك من أن إبن سعود عقد الإتفاقيّة دون مشاورته ، وقد بعث برسول الى الرياض ليسأل عن التفاصيل ، ولتسلّم فيما بعد الى المعتمد[٥٣] ! .

أمّا الرسالة التي تسلمها إبن صباح من الصديق التركي فهي :

«إبن سعود .. لقد سويّت أموره حسب رغبة الدولة ، وقد إستتبّ السلام الآن بين الطرفين ، وحقنت دماء المسلمين . لقد عيّن إبن السعود واليا وقائداً عاماً لنجد ، دون تدخل من الأتراك . وسيضع قواته تحت الطلب كلّما طلب منه . وأن يمدّ الدولة بالمدافع والسلاح أيضا . على أن يتصل مباشرة مع قسم - وزارة - الحربيّة والداخلية ، وليس مع والي البصرة . هذا إضافة الى أن يرفع إبن سعود في كل مدينة وقرية قريبة أو بعيدة في نجد ، العلم التركي .. وسوف يصدر فرمان بهذا الشأن من القسطنطينيّة» .

وأضاف : «بالأمس وصلت برقية من وزير الحرب - أنور باشا - ... والفرمان سيرسل الى إبن سعود بواسطة السفينة - مارماريس - الى القطيف»[٥٤] .

ووصل الى علم الانجليز خبر الإتفاقية من الأتراك أنفسهم ، فقد أرسل السفير البريطاني في القسطنطينيّة ، تقريراً يقول فيه : «إن وزير الداخلية التركي أبلغه ، يوم الثامن والعشرين من يونيو ١٩١٤ ، بأنه قد تمّ التوصل الى إتفاقيّة مع إبن سعود ، الذي عيّنه الباب العالي حاكما على نجد . وأن الحكومة التركية لن تأخذ الضريبة منه . كما أن إبن سعود وافق على تمركز حاميات تركية صغيرة في العقير والقطيف»[٥٥] .

وفي نفس اليوم ٢٨ / ٦ / ١٩١٤ ، أرسل المقيم نوكس ، الى كوكس في حكومة الهند ، ما وصله من معلومات متعلّقة بنتائج المفاوضات ، سرّبها مقبل الذكير ، الذي تزوج إبن سعود إبنة أخيه حديثا .. وقد وصف تقرير نوكس مقبل هذا بأنه تاجر نجدي يقيم في البحرين .. «وقد أخبر مقبل المعتمد السياسي في البحرين بأنه أجرى لقاء مع كل من طرفي المفاوضات ، وكلاهما أبلغه بأن الإتفاق تمّ بينهما»[٥٦] .

ومع أن الشيخ مقبل لم يرَ نص الإتفاقية «لكنه فهم أن الباب العالي سمح

بإبقاء خمسة جنود في العقير وخمسة أخرى في القطيف، وخمسة ثالثة في الجبيل، كي يبقى العَلَم التركي مرفوعاً.. ولكن لن يكون هناك جنود أتراك في الأحساء ونجد».

وقال مقبل: «سيتسلم إبن سعود دفعة شهريّة تقدّر بـ ٢٥٠ ليرة تركية باعتباره حاكما للأحساء.. وسيجمع الضرائب والجمارك منها، ثم يخصم مصاريف الادارة ويدفع عشرها للاتراك. ويحق لابن سعود - ضمن الإتفاق - أن يرفع عَلَمَهُ الخاص».

وعلّق المعتمد في البحرين على هذه المعلومات: بأن هناك إشاعات مضخّمة تقول بأن إبن سعود وافق على إبعاد التجّار الأجانب، وأنه وجّه إنذارا الى قطر!.

وهذا غير صحيح طبعا!.

وعلّق معتمد الكويت على أقوال مذكر، بأنه لم يسمع بقصة كهذه ونفاها فوراً، ولكنه في السادس عشر من يونيو، كتب لرؤسائه بأنه «لا شكّ قد جرى إتفاق بين الطرفين.. ولكن مبارك لا يعلم شيئاً عن الموضوع»[٥٧].

ومرّة أخرى أطلع الشيخ مقبل المعتمد السياسي البريطاني في البحرين على رسالة وصلته في التاسع والعشرين من يونيو ١٩١٤ من إبن سعود [٥٨] تقول: «إن الإتفاقية مع الأتراك صدّقت بفرمان سلطاني، وأنه ضمن سلطته الكاملة على كل الأحساء ونجد. وأشار عبد العزيز الى سروره بالنتائج».. وأضاف المعتمد أن «عبد اللطيف المنديل، والذي سلّم الفرمان لابن سعود.. وصل الى هنا - البحرين - أمس قادماً من الرياض. وقد أفاد بأن إبن سعود عُيّن والياً وقائداً على نجد، وطلب منه أن يتّصل مباشرة بوزير الحربية - أنور باشا -»[٥٩].

ليس هذا فقط ما وصل الانجليز عن المعاهدة التركية السعودية.. فقد أرسل المعتمد السياسي البريطاني في مسقط برقية في الأول من يوليو ١٩١٤ الى حكومة الهند، والى المقيم في بوشهر في آن واحد تقول، أن سامي بيك، آخر متصرّف تركي للاحساء، ظهر على السفينة البخارية - كسارا - والذاهبة من بومباي الى القسطنطينيّة، وأنه قال بأن: عبد العزيز قد وقّع على معاهدة هي في طريقها للتصديق من الباب العالي. وتحوي الإتفاقية: تعيين عبد العزيز والياً على نجد، وقد شمل الحل نجد والأحساء والقطيف. وسيدفع إبن سعود العوائد كأي وال عثماني، وأن الولاية الجديدة هي مثل الولايات التركية الأخرى. وقال سامي بأن قوات - من العرب - تحت قيادة ضباط عثمانيين سوف تتمركز في الهفوف والعقير والقطيف»[٦٠].

في التاسع من يوليو ١٩١٤، أصدر وزير الخارجية التركي حقّي باشا، مذكرة وقدّم السفير التركي في لندن نسخة منها الى وزارة الخارجية

البريطانية، تقول[٦١] : «صدر فرمان إمبراطوري يقضي بتعيين إبن سعود حاكماً وقائداً عسكرياً عاماً لنجد، بحيث يتمتّع بصلاحيات الوالي، وبحق إنشاء قوات شعبيّة محليّة لتأمين النظام والأمن العام في نجد. وستتمركز حاميات تركية على الساحل، وستزاد قوتها إذا طلب إبن سعود ذلك. كما لا يحق لابن سعود أن يعقد المعاهدات، أو يرتبط بالتزامات مع الحكومات الاجنبية، ولا يحق له أيضا منح الامتيازات. وأن يلتزم دائما باحترام المعاهدات القائمة بين الامبراطوريّة العثمانية والدول الأخرى. ويستطيع الأجانب في نجد، وفيما يتعلّق بمصالحهم وأعمالهم، وعملا بشروط المعاهدات والإتفاقيات، أن يتقدّموا بطلباتهم بهذا الشأن الى السلطات المحليّة، والى إبن سعود بصفته والياً على نجد»[٦٢]!.

لقد بقي نصّ المعاهدة التركية السعودية مطويّا، حتى سقوط البصرة بيد المستعمرين البريطانيين، حيث عثر على النصّ الأصلي بين وثائق السجلّات التركية التي إستولت عليها القوات المحتلّة.. وقد ترجم قائد الحملة العسكرية، الميجور بيرسي كوكس النصّ من العربية الى الإنجليزية، وهذا هو النص المترجم من الإنجليزية الى العربية للاتفاقيّة المذكورة[٦٣]، والتي وقّعها إبن سعود ووالي البصرة سليمان شفيق بن علي الكمالي:

«معاهدة بين إبن سعود والأتراك»
مؤرّخة في الرابع من رجب عام ١٣٣٢هـ
الموافق ١٥ مايو ١٩١٤[٦٤]

المادة الأولى-وقعت هذه الإتفاقية، وتمّ العمل بها بين والي البصرة والقائد العسكري فيها سليمان شفيق باشا، المخوّل بصلاحيات خاصّة بموجب إرادة إمبراطوريّة، وبين سعادة عبد العزيز باشا آل سعود، والي نجد والقائد العسكري فيها. وهذه الإتفاقيّة معتمدة من قبل الحكومة الامبراطوريّة، وتتضمّن إثنتي عشرة مادّة، توضح مسائل سريّة نكرت في الفرمان الامبراطوري المؤرخ في «التاريخ غير موجود» حول ولاية نجد. وسيكون نصّ هذه المعاهدة سرياً ومعتمداً.

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران

المادة الثانية-تبقى ولاية نجد في عهدة عبد العزيز باشا آل سعود طيلة حياته، طبقا للفرمان الامبراطوري، وبعده تنتقل الى أولاده وأحفاده حيث يعيّنون بفرمان، شريطة أن يكونوا مخلصين لحكومة السلطان ولآبائه وأجداده الولاة السابقين.

المادة الثالثة-يعيّن مسؤول عسكري فنّي من قبل الوالي والقائد العسكري المذكور-إبن سعود-بحيث يقيم حيث يشاء، وإذا رأى الوالي أن من المناسب والضروري إستقدام ضباط أتراك من أجل التدريب الأساسي للقوات المحليّة، فبإمكانه ذلك على أن يكون تحديد العدد وفقا لرغبة الوالي والقائد العسكري المذكور.

المادة الرابعة-يتمركز عدد من الجنود والدرك-الجندرمة-حسبما يراه الوالي مناسباً، في الثغور البحريّة مثل القطيف والعقير وغيرها.

المادة الخامسة-كل قضايا الجمارك والضرائب والموانيء والمنائر، تمارس طبقاً لحقوق الحكومات الدوليّة، وتسير طبقاً لقواعد الحكومة التركية، وتحت إشراف وتوجيه الوالي والقائد العسكري المذكور (٦٥).

المادة السادسة-إلى أن تصل موارد العائدات الى مستوى كاف لتلبية متطلبات الولاية والنفقات المحليّة والالتزامات العسكريّة طبقا للظروف الحالية والأوضاع العادية في نجد، فان العجز في الميزانيّة يسدّد من عائدات الجمارك والبريد والبرقيات والموانيء.. وإذا ما توفر فائض، فيجب إرساله الى الباب العالي مع تقرير.

وإذا كانت العائدات المحليّة كافية لسداد كل النفقات، فيجري تحويل عائدات البريد والبرق والجمارك الى دوائرها «وزاراتها في استانبول»، كل حسب عائديته. وفيما يتعلّق بالمدخولات المحليّة غير المذكورة أعلاه، وفي حال توفر فائض، فانه يجب إرسال عشرة بالمئة منه الى خزينة الدولة.

المادة السابعة-يرفع العلم التركي على كل مباني الحكومة والأماكن الهامة في البحر والبر، وأيضا على كل القوارب العائدة لولاية نجد.

المادة الثامنة-يتم إتصال الوالي-إبن سعود-بوزارة الحربية من أجل تقديم الأسلحة والذخائر بصورة منتظمة.

المادة التاسعة-لا يجوز للوالي والقائد العسكري المذكور الدخول في أية علاقات أو مراسلات تتعلق بالشؤون الخارجية أو المعاهدات الدوليّة، أو منح إمتيازات للأجانب.

المادة العاشرة-كل مراسلات الوالي والقائد العسكري، تكون مع الوزارات الامبراطوريّة «الداخلية والبحرية» مباشرة ودون وسيط.

المادة الحادية عشرة-تُقام مكاتب للبريد في ولاية نجد بغرض تسهيل الاتصالات، وتوضع الترتيبات لارسال الحقائب البريدية الى الأماكن الضرورية

بطريقة مناسبة. وتلصق الطوابع التركية على كل الرسائل والطرود.

المادة الثانية عشرة- إذا حدث لا قدّر الله، واضطرت الحكومة لدخول حرب ضد دولة أجنبيّة، أو إذا ما وقعت أيّة إضطرابات وقلاقل داخليّة في أيّة ولاية، وطلبت الحكومة من الوالي المذكور - إبن سعود - قوّة عسكرية لمساعدة قواتها، فإنه يتحتّم عليه عليه أن يهيّء ويجهّز قوّة كافية حسب الطلب وعلى الفور، طبقا لقدراته وإمكانياته.

توقيع:
عبد العزيز، والي ولاية نجد، وقائد جيشها
سليمان شفيق بن علي كمالي، والي ولاية البصرة وقائد قواتها»

ومن الواضح ان إبن سعود كسب الكثير من الإتفاقية، ولكنه مع هذا لم يكن في نيّته الالتزام بنصوصها، وحين جاء التطبيق العملي لها، لم ينجز منها شيئا، اللهم إلاّ رفع العلم التركي لبرهة من الزمن وفي القطيف والأحساء في شهر سبتمبر ١٩١٤. وما كان إبن السعود، رغم ما تحويه المعاهدة من نقاط عديدة لصالحه، مستعداً لأن تكون المعاهدة عائقاً بينه وبين علاقاته التي يسعى الى توثيقها مع الإنجليز. وقد قبل فيما بعد شروطاً قاسية، ولكن بصدر رحب، في معاهدته مع الإنجليز المعروفة والتي وقعت في «دارين - القطيف» عام ١٩١٥.

وجرى أهم إمتحان لهذه المعاهدة مع الأتراك أثناء قيام الحرب العامّة الأولى، حيث إنحاز إبن السعود الى جانب الإنجليز خلافاً لنصوص المعاهدة، بل وساعد على إحتلال البصرة، وهنّأ بسقوطها في يد البريطانيين، كما هنّأ فيما بعد بإحتلال القدس التي دخلتها جيوش اللنبي، وأرسل ولده فيصل الى لندن عام ١٩١٩، ليقدّم تهانيه.

أوضح إبن سعود مرارا وتكراراً للسلطات البريطانية ومعتمديها في الخليج بأنه لا يهتم بالمعاهدة إلاّ من حيث أنها ضمنت له إمتلاك الأحساء والقطيف، وأنه لم يقبل أبدا، ولن يقبل في المستقبل باتخاذ أي خطوة تضرّ بالمصالح البريطانية في الخليج.

وأكّد إبن سعود فيما بعد للكابتن شكسبير: «بأنّه قبل بشروط المعاهدة مع والي البصرة التركي، لأنه طُمئن بشكل سرّي، بأنه حتى الجزء الضئيل من السيادة الذي مُنح لتركيا لن تطالب به أبدا»(٦٦).

وتساءل الإنجليز بعد أن المّوا بخبر الاتفاقية السعودية التركية وتفاصيلها، عمّا إذا كانت هذه الاتفاقية ستؤثر على موقف إبن سعود من الحكومة البريطانية ومصالحها في بلاده.

قال معتمد الكويت الكولونيل غري بأن مشاعر الحاكم السعودي لم تتغيّر ، وأنـــه كـــان مهتماً بأن لا تتعرض المصالح البريطانية لأيّ سوء ، وقد أصبح في مقدوره أن يقرر وحده ، ودون الرجوع الى القسطنطينية ، كل ما يريده بشأن التجار الأجانب وكذلك الزوار الى نجد والأحساء .

أما معتمد البحرين فيرى أن إبن سعود لا يعتبر ان الاتفاقية التي وقعها ستؤثر على المصالح البريطانية ، وأنه يترفع عن القيام بلعبة بارعة باستخدام الإنجليز ضد الأتراك ، وتضليل الأتراك ليعتقدوا بأنه يدرس إحتماليّة طلب الارشاد والحماية البريطانية ، ليحصل على شروط إتفاقيّة أفضل ممّا حصل عليه .

وأضاف بأن إبن سعود يريد أن يظهر بمظهر الملبّي «لرغباتنا» ، وفي نفس الوقت لن يعترض على الاساءة للمصالح البريطانية التي إعترف بها في الأحساء .

ويذكر نوكس الذي سأل معتمديه ، وأرسل بجوابهما الى حكومة الهند في ١٥ سبتمبر ١٩١٤ ، يذكر أنه يميل الى رأي معتمد الكويت ويدعو حكومته أن تسمح لمعتمد البحرين أن يرتّب إتصالاته بإبن سعود وأحداث الأحساء ، حتى لا يذهب الأخير بعيدا في علاقاته مع الأتراك ، خاصة وأن الخطر الألماني بدأ بالتصاعد ليس في أوروبا فقط وإنّما في الممتلكات التركية .

لم تكن هناك فاصلة طويلة بين تاريخ هذا التقرير ، وبين قيام الحرب العالمية الاولى التي قلبت كل الموازين رأسا على عقب ، وأثبت إبن سعود ، أنه لم يكن في يوم ما إلاّ الى جانب الإنجليز .

هوامش

«١» تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، ص ٢٠٤.

«٢» الوثيقة رقم FO371/2124/E 28966

مؤرخة في السابع والعشرين من يونيو ١٩١٤. من الكابتن شكسبير الى السير آرثر هرتزل.

تجد مقتطفات من التقرير في كتاب: السعوديون والحل الاسلامي، ص ٣٥٨-٣٦٠.

«٣» وافق ولكن على وجود قوات لا تزيد عن ثلاثين جنديا مهمّتها الحفاظ على العلم التركي مرفوعا!!.

«٤» الوثيقة السابقة.

«٥» وهذا رأي إبن سعود أيضاً. فقد كتب الى شفيق الكمالي «والي البصرة»، يشرح له وجهة نظره في تقسيم البلدان العربيّة الى دويلات مستقلّة استقلالا ذاتيا، وتكون في نفس الوقت تابعة - إسميا - للدولة العثمانية وتحت سيادتها. انظر الخليج العربي، جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني (١٩١٤ - ١٩٤٥) ص ٥.

«٦» انظر الوثيقة السابقة. وقد أخطأت توقعات شكسبير فيما يتعلّق بمطامع إبن سعود التوسعيّة. ويلاحظ من هذه الفقرات ان شكسبير يتبنّى وجهة نظر إبن سعود بشكل مطلق، لدرجة ان كشك علّق بأنه «لولا أن السعوديين لم يكن لديهم المال لقلنا أن إبن سعود اشترى شكسبير وجعله يكتب هذا التقرير الجدير بصحيفة لبنانية». انظر كشك ص ٣٦٠.

«٧» الغريب ان الانجليز انفسهم لم يكونوا يمارسون سلطة اسميّة في المناطق التي يسيطرون عليها، بل كانوا عمليا الحكام الحقيقيين في كل شيء، ولا يتدخلون في الشؤون السياسية الخارجية للشيوخ فحسب، بل في كل القضايا الداخلية، ابتداء من القضاء الى البلديات، الى التعليم، والادارة والأمن الداخلي، والشرطة والسجون.

«٨» الوثيقة السابقة. وعلّق عدد من كبار المسؤولين عليها، قال احدهم: «تطورت الاحداث بعدها تطورا كبيرا، ويبدو أن الأتراك قد اتبعوا ما اعتبره الكابتن شكسبير أسلم سياسة لهم، فقد عيّنوا إبن سعود واليا على نجد. ولكننا لم نعرف بعد الشروط الخاصة بعلاقات إبن سعود بالاجانب. ان الكابتن شكسبير يتحدث من موقع الخبرة والمعرفة الاختصاصيّة، الاّ انني أميل الى الاعتقاد بأن أي اتحاد كونفدرالي يضم الادريسي والامام يحيى سيكون أبعد من الخيال»!!.

«٩» الوثيقة رقم FO 371/2123/E 10244

مؤرخة في السابع من مارس ١٩١٤. تقرير عن محادثات حقّي باشا مع باكستر، أعدّه الأخير لوزارة الخارجية.

«١٠» انظر الوثيقة رقم FO 371/2123/E 10569

مؤرخة في التاسع من مارس ١٩١٤. وانظر جلال كشك، مصدر سابق، ص ٣٦٠-٣٦٢.

«١١» هذه ليست أول ولا آخر إشارة من الأتراك بأنهم ركنوا الخيار العسكري جانبا.. ففي ٢٧ مارس ١٩١٤ أبلغ السفير البريطاني في القسطنطينية، القنصل البريطاني في البصرة، بأنه أقنع «بأن الأتراك لا ينوون القيام بعمل عسكري ضد عبد العزيز».. وسمع السفير تأكيداً لذلك من وزير الداخليّة التركي في ٢٤ مارس «بأن الترتيبات قد اتخذت عبر شيخي الكويت والمحمّرة، وأيضاً طالب النقيب، للوصول الى حل سلمي».

وحين استفسر القنصل البريطاني في البصرة من طالب عن هذا الأمر ، اكدّ الأخير ان الاتجاه هو نحو حل الأزمة سلميا ، وقال بأنه وشيخ الكويت يحاولان الوصول الى ترتيبات معيّنة ، وتوقع ان يتم الحل السلمي حتى لو رفض إبن سعود تواجد قوات تركية في الأحساء والقطيف .

(إنظر الوثيقة رقم FO 371/2123 ، برقيّة من نوكس الى حكومة الهند في التاسع من ابريل ١٩١٤) .

الطريف ان مسؤولي الوساطات التركية هم اصدقاء بريطانيا ، وهذا ما دعا جلال كشك للتعليق ساخرا على المفاوضات بأن «جورج الخامس يفاوض جورج الخامس» ! .. أمّا شكسبير فقال عن طالب النقيب «انه ينظر اليه وكأنه حلال كل المشاكل في شبه الجزيرة العربية .. ان إبن سعود والشيخ مبارك ، والشيخ خزعل يدفعون له جميعا الرواتب والاعانات ، شهريا أو سنويا بانتظام ، وذلك لحماية أنفسهم فقط من الطلبات الباذخة المسرفة التي ترافقها التهديدات . إلاّ أن أحدا من هؤلاء الزعماء لا يثق به مفاوضاً بالنيابة عنه» .. وهذا القول غير دقيق تماما ، كما دلّت على ذلك الاحداث فيما بعد .

«انظر رسالة شكسبير في الوثيقة رقم FO 371/2124/E28966 ، والمؤرخة في السادس والعشرين من يونيو ١٩١٤ .

«١٢» الوثيقة السابقة ، من وزارة الخارجية في التاسع من مارس ١٩١٤ .

«١٣» ، «١٤» الوثيقة رقم FO 371/2123/E 12320

مؤرخة في العشرين من مارس ١٩١٤ . من نائب الملك في الهند ، الى وزير الخارجية في ١٥ مارس ١٩١٤ . ومن وزير الخارجية الى نائب الملك في ١٦ مارس ١٩١٤ .

«١٥» تاريخ الكويت السياسي ، جزء٢ ، ص ٢٠٣ .

«١٦» الوثيقة رقم FO 371/2124/E 22424

مؤرخة في ١٩ مايو ١٩١٤ .

مرسلة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، امير نجد ، الى : أ . ب . تريفور ، المعتمد السياسي في البحرين . تاريخ ٦ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ «٢ ابريل ١٩١٤» .

«١٧» هذا المقطع تجد ترجمته في كتاب السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٣٦٣ . ولقد تساهل المؤلف بشأن الترجمة ! .

«١٨» تجد هذا المقطع في المصدر السابق ص ٣٦٣ ، وايضا انظر كتاب الحدود الشرقيّة ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

«١٩» انظر كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٦٣ . وانظر تساهله أيضاً في ترجمة هذا المقطع ، وحذفه لبعض الجمل وتحوير البعض الآخر .

«٢٠» يطلب إرشاده بشأن المفاوضات المقبلة .

«٢١» انظر الوثيقة FO 371/2124/E 22424

مؤرخة في ١٩ مايو ١٩١٤ .

«٢٢» اشارة الى اعتراض وزارة الخارجية ، التي رفضت ان يتم اي لقاء واتصال مع إبن سعود دون إذنها ممّا قيّد حركة وزارة المستعمرات ووزارة الهند .

«٢٣» انظر الوثيقة رقم FO 371/2124/E 22424

مؤرخة في ١٩ مايو ١٩١٤ .

«٢٤» الوثيقة رقم FO 371/2123

«٢٥» قالت وثيقة بريطانية صادرة من البصرة بعد إحتلالها انجليزيا : «كان اهتمامنا في ذلك الحين - اي أثناء المفاوضات بين الأتراك وإبن سعود - منصباً كليّة على إتمام المفاوضات التي طالت مع القسطنطينيّة ، والمتعلّقة بمصالحنا في منطقة ما بين النهرين وفي الخليج ، وهما منطقتان ذواتا أهميّة حيوية بالغة - يشير هنا الى اتفاقية الخط الازرق - ، وكنّا في ذلك الحين أقلّ ميلا ممّا نحن عليه الآن ، الى القيام بمغامرات داخل شبه الجزيرة العربية» . طبعا يدخل شريط الأحساء الساحلي ضمن الاهتمام البريطاني . راجع الوثيقة البريطانية المطولة رقم FO 371/3044/E 35392

والصادرة في الثاني عشر من يناير ١٩١٧ .

«٢٦» الوثيقة رقم FO 371/2123

من حكومة الهند الى الماركيز كراو ، برقية في ٢٢ ابريل ١٩١٤ .

«٢٧» الوثيقة رقم FO 371/2123/E 18123

مؤرخة في ٢٥ ابريل ١٩١٤ .

«٢٨» أبلغ والي البصرة ، شفيق الكمالي ، شيخ الكويت ، بأن الحكومة العثمانية أنعمت عليه بنيشان عثماني درجة اولى ، وأبلغه رغبته في زيارة الكويت لتقليده اياه .. لكن شيخ الكويت لا يتمنى ان يأتي الوالي الى بلده ، واقترح - مبارك على المعتمد البريطاني - ان يذهب الى الفاو ليقلّد هناك » .. وقد طلب مبارك رأي الحكومة البريطانية ، فسمح له بذلك ، على ان لا تجري احتفالات بهرجة في حفل التقليد .

انظر الوثيقة رقم FO 371/2123

رسالة من المقيم في بوشهر الى حكومة الهند في الثاني عشر من ابريل ١٩١٤ ، وأيضاً رسالة من حكومة الهند الى الماركيز كراو في ٢٢ ابريل ١٩١٤ .

«٢٩» انظر الوثيقة FO 371/2123-E 17501

والمؤرخة في ٢٢ ابريل ١٩١٤ .

«٣٠» انظر الوثيقة FO 371/2123-E 18193

والمؤرخة في الخامس والعشرين من ابريل ١٩١٤ .

«٣١» جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٤٠٤ .

«٣٢» الوثيقة رقم FO 371/2123

برقية من القنصل البريطاني في البصرة ، الى ل . ماليت في ٢٧ ابريل ١٩١٤ .

«٣٣» لم تتضمن شروط المعاهدة هكذا شروط بالمرّة . بل أن دخول الأجانب من عدمه قد خولت صلاحية البتّ فيه لابن سعود .

«٣٤» جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ . رسالة من الكولونيل غري ، المعتمد السياسي في الكويت ، الى المقيم في بوشهر ، بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩١٤ .

«٣٥» المصدر السابق .

«٣٦» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 25950

مؤرخة في العاشر من يونيو ١٩١٤ . رسالة من المعتمد السياسي في الكويت ، الكولونيل غري ، الى المقيم نوكس في بوشهر ، بتاريخ ٦ مايو ١٩١٤ .

«٣٧» الوثيقة السابقة .

«٣٨» هذا المقطع من الأصل الانجليزي . انظر الوثيقة السابقة .

«٣٩» الشيخ حسين خلف خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٦ .

«٤٠» الوثيقة السابقة ، رسالة من غري ، المعتمد السياسي في الكويت ، الى المقيم في بوشهر ، في السادس من مايو ١٩١٤ .

«٤١» الوثيقة السابقة .

«٤٢» الوثيقة رقم FO 371/2044-E 35392

تقرير مطول من الكابتن أ . ت . ويلسون ، في البصرة ، الى المدير العام لمكتب الاستخبارات العربية ، مؤرخ في ١٢ يناير ١٩١٧ .

«٤٣» انظر كشك ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ . وأيضاً خالد السعدون ، مصدر سابق ، ص ١٥١ .

«٤٤» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 25950

مؤرخة في العاشر من يونيو ١٩١٤ . تقرير من المعتمد السياسي في الكويت ، الكولونيل غري . ومرسل الى الى الميجور نوكس ، المقيم السياسي في الخليج الفارسي ، بتاريخ ٦ مايو ١٩١٤ .

وانظر أيضاً الوثيقة رقم FO 371/2123

وهي برقية من القنصل البريطاني في البصرة الى السفير في القسطنطينية في ١٥ مايو ١٩١٤ . ومن القسطنطينية الى وزير الخارجية في ١٥ مايو أيضاً .

«٤٥» الوثيقة رقم FO 371/2124

من المعتمد للمقيم في العاشر من مايو ١٩١٤ .

ومن المقيم الى كوكس في حكومة الهند ، في ١٩ مايو ١٩١٤ .

«٤٦» تاريخ الكويت السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢١١ .

«٤٧» الوثيقة رقم FO 371/2124

من حكومة الهند الى وزارة الخارجية في ٢٧ مايو ١٩١٤ .

«٤٨» كشك، مصدر سابق، ص ٢٦٥.

«٤٩» بعضهم يقول ١٥ مايو، غير أن التاريخ المذكور أعلاه أقرب الى الحقيقة.

«٥٠» كشك، مصدر سابق، ص ٣٦٦.

«٥١» في الوثيقة رقم FO 371/2144

هناك رسالة من الميجور نوكس الى حكومة الهند مؤرخة في الثالث من سبتمبر، فقرة «٥٨»، تقول: «التقارير التي وصلتنا من القطيف تفيد أنه في الجمعة الماضية، وبأمر من إبن سعود، رُفع العلم التركي هناك، وأنه سيرفع كل جمعة».

«٥٢» الوثيقة رقم E 28368

من ل. ماليت، الى إدوارد غري، برقية في الثالث والعشرين من يونيو ١٩١٤.

«٥٣» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 34347

مؤرخة في ٢٨ يوليو ١٩١٤. تقرير من المعتمد في الكويت، الى المقيم في بوشهر، في ٢٦ يونيو ١٩١٤.

«٥٤» الوثيقة السابقة، ومما جاء في الفرمان «ان جلالة السلطان واثق من حميّة ابن السعود وصدق عثمانيّته، وأنه يمنحه سلطة تجنيد الجنود وتسليحهم والمحافظة على الأمن والنظام في بلاد العرب، واجراء العدل بين القبائل، واكتساب ولائها للعرش العثماني» «انظر الخليج العربي- ١٨٤٠، ١٩١٤- ص ٣١٥».

«٥٥» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 31094

مؤرخة في ٩ يوليو ١٩١٤. مرسلة من وزير الخارجية البريطاني الى نائب الملك في الهند- الدائرة الخارجية، بتاريخ ٦ يوليو ١٩١٤.

«٥٦» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 34347

مؤرخة في ٢٨ يوليو ١٩١٤. ومرسلة من نوكس في بوشهر الى كوكس في حكومة الهند.

«٥٧» الوثيقة السابقة، وانظر كشك، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

«٥٨» واضح أن ابن سعود هو الذي أوصل خبر نتائج المفاوضات الى الانجليز سواء عبر مقبل او المنديل.

«٥٩» انظر الوثيقة رقم FO 371/2124

برقية من المعتمد في البحرين الى نوكس في بوشهر في ٣٠ يونيو ١٩١٤.

ومن نوكس الى حكومة الهند في نفس التاريخ.

«٦٠» الوثيقة رقم FO 371/2124

برقية من المعتمد في مسقط، الى حكومة الهند والى المقيم في بوشهر، في الاول من يوليو ١٩١٤.

«٦١» الوثيقة رقم FO 371/2124-E 31123

برقية من السير ادوارد غري، وزير الخارجية، الى السير ل. ماليت، السفير البريطاني في القسطنطينيّة. بتاريخ ١١ يوليو ١٩١٤. وانظر الحدود الشرقية، كيلي، ص ١٧١.

«٦٢» كان الانجليز يخشون ان يمنع ابن سعود- وبضغط تركي- الرعايا والتجار البريطانيين من دخول القطيف، وهذه هي الاتفاقية تتيح له السماح لهم بعد مراجعتهم له. وهكذا لم تكن شروط الاتراك معادية لهم- بسبب رفض ابن سعود- كما كانوا يتوقعون. وحتى القوات فلن تزيد عن ١٥ جنديا، يحمون العلم التركي مرفوعاً.

«٦٣» تجد نص المعاهدة في الوثيقة FO 371/2769-E 236112

مؤرخة في ٢٢ نوفمبر ١٩١٦. ومرسلة من قائد الحملة لاحتلال العراق، السير بيرسي كوكس، الى وزارة الخارجية.

وتجد ترجمة بعض بنود المعاهدة في، كشك، مصدر سابق، ص ٤٦٧.

«٦٤» في الواقع فان ٤ رجب ١٣٣٢ هـ يوافق ٢٨ مايو ١٩١٤.

«٦٥» لأمر ما قفز جلال كشك، عن المواد الخامسة والسادسة والثامنة والعاشرة واختزل المادة الحادية عشرة من المعاهدة. انظر ص ٤٦٧.

«٦٦» الوثيقة رقم FO 371/2044-E 35392

مؤرخة في ١٤ فبراير ١٩١٧.

٣

الحرب العالمية الأولى

وثورة العجمان في الاحساء

بسقوط الأحساء عام ١٩١٣م في قبضة ابن سعود ، وإعتراف الأتراك رسمياً بحكمه لها عام ١٩١٤ ، ضمّ الحاكم السعودي إليه صحراء شاسعة شملت الجافورة وواحة يبرين ، وحقيقة كل المناطق الواقعة بين الكويت وحتى عمان والى حدود اليمن الجنوبي .. واليوم تعد المنطقة الشرقية (الأحساء والقطيف) أكبر المناطق في المملكة مساحة ، وأهمها من حيث الموقع الاستراتيجي ، وقلب البلاد الاقتصادي .

وبإحتلال الأحساء ، أصبح إبن سعود قريباً من صناع أحداث المنطقة باعتباره واحداً منهم بعدما كان منزوياً في نجد ، وصار لزاماً على الآخرين أن يعترفوا به كقوة مؤثرة ، فارتفعت أسهمه السياسية سواء لدى القوى المحلية (قطر / البحرين / الكويت / امارات الساحل) أو لدى القوى الدولية (بريطانيا وتركيا » .

كان إحتلال الأحساء يعني السيطرة على الساحل البحري من الكويت الى ساحل إمارة (أبو ظبي) بما فيه من موانىء وجزائر كثيرة ، وثروات .

وكان يعني أيضاً السيطرة على أصلح المناطق الزراعية في شبه الجزيرة العربية ، وأكثرها نتاجاً ووفرة للمياه .

وجعل الاحتلال ابن سعود متصلاً بحدود طويلة مع العراق والكويت وقطر وعمّان والامارات واليمن (الجنوبي) وأمارة شرق الأردن ، إضافة الى البحرين التي يفصلها عن المنطقة أميال قليلة من البحر ..

وضمّ ابن سعود اليه العديد من الواحات ، ومساحات شاسعة من الصحارى التي تجود بالمراعي الخصبة قبل أن تجود ببحار من الذهب الأسود .

وقدمت الأحساء لإبن سعود بقراها ومدنها موارد مالية هائلة عززت مكانته السياسية في نجد والعالم المجاور ، وجعلت له ثقلاً محسوباً في النشاط

الاقتصادي لمنطقة الخليج .

لهذا كله أثار استيلاء ابن سعود على الأحساء القلق والحسد لدى القوى المحلية الصغيرة في الخليج .. أما القلق فلخوف هذه الامارات أن تُبتلع بسهولة نتيجة القوة السعودية المتزايدة والقريبة من أبوابها .. وهذا ما حدث لحاكم قطر ، ولحمدان بن زايد ـ حاكم أبوظبي ـ الذي بدأ فور احتلال الأحساء بتعزيز قواته واستيراد كميات كبيرة من السلاح والذخيرة[١] . وتشاور حمدان مع شيخ دبي حيث قرر هـذا دعوة أتباع الجانبين من البدو للاحتفاظ بموقع قوي في البريمي لمنع السعوديين من التمدد[٢] .

وفي السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تزايد الهلع ، وشمل شيوخ القبائل في البريمي وعمان الذين كانت لهم سلطات واسعة في العهد العثماني .. وتزايد الخلاف مع الكويت الى حدّ خوض المعارك ، وقيام المجازر ، كما حدث في الجهراء[٣] ، حيث تمّ بعدها إقتطاع ثلثي مساحة الكويت وضمّها لمملكة ابن سعود . وفي الحقيقة فإنه لولا مقاومة الأنجليز ، لاستطاع ابن سعود أن يضم الى مملكته كل الامارات الأخرى في الخليج ، بما فيها عمان والكويت والبحرين وقطر .. غير أنه يردّ على هذا القول : بأنه لولا الدعم البريطاني ، لما أسس ابن سعود وجوداً قوياً له في الأحساء ، وربما في غيرها أيضا .

مهما يكن من أمر ، فإن الوجود السعودي في الأحساء رفع من شأن البيت الحاكم على الصعيد المحلي والدولي .. ورغم التحذير لإبن سعود بأن لا يقترب من مصالح الحكومة البريطانية في مشيخات الساحل ، فإن المشاكل على الحدود تصاعدت بعد تفجّر النفط ، ودخول قوى دولية (أمريكا) في حلبة الصراع ، وقد نتج عنه الصراع على البريمي وغيرها . ولاتزال هذه المشاكل بؤراً تتفجر بين الحين والآخر بين كل الامارات . وبالنسبة للسعوديين فقد كانت الأحساء في قلب الصراع ، فمنها تُرسل الأموال لشراء ولاء القبائل ورؤسائها ، ومنها يتمّ إبتعاث الجواسيس وإيصال الاعانات والقوات المسلحة ، وبإسمها تُبنى المطالبات بضمّ المناطق الأخرى .

بيد أنه كان مهماًلإبن سعود أن يهضم الأحساء أولاً ، ثم ينطلق لغيرها متحيّناً الفرص ، ومؤكداً على « حقوق الآباء وملك الأجداد ! » .. والذي حدث أن الحرب العالمية الأولى شغلته الى حد ما عن التوسع ، خاصة وأن ابن رشيد لايزال المنافس القائم في نجد ، فضلاً عن أن هناك أولويات أخرى (عسير والحجاز) . وكانت الأحساء مسرحاً هاماً للاحداث التي رافقت الحرب العالمية وتداخلاتها .

كانت بريطانيا تسعى قبل اشتعال الحرب العالمية الأولى الى تهيئة الأوضاع

لصالحها في المستقبل ، فأسست واحتضنت الحركة القومية العربية ووجهتها بالصورة التي تخدم مصالحها ، واستطاعت أن تجعلها حركة قومية مقابل الاسلام الذي ترفع تركيا لواءه ، رغم أن الأخيرة أساءت الى العرب بمحاولاتها تتريكهم بالقوّة ، وراحت في أوقات الخطر ترفع الشعار الجامع وهو (الاسلام) . وأثناء إنشغال الدولة العثمانية في حروب البلقان ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ، عُقد مؤتمرٌ عربي برعاية بريطانية في مدينة المحمرة ، حضره خزعل ومبارك الصباح وطالب النقيب ، وذلك للبحث في مستقبل العراق[٤] .

وعقد مؤتمر آخر إشترك فيه أمراء العرب في الشرق ، وعقد على مقربة من الأحساء ، وبرعاية بريطانية أيضا ، وعرف بإسم (مؤتمر جزيرة العرب) ، وتناقش المؤتمرون في وسائل المحافظة على الامارات العربية في الخليج . ومن هذا يتضح أن بريطانيا حرصت على إحتضان الحركة العربية وتوجيهها الوجهة التي تريدها والتي تتفق مع مصلحتها ، خاصة في ظروف ملابسات الحرب العالمية الأولى .

لقد توالت المؤتمرات وتحوّلت من البحث في الإصلاح ضمن إطار الدولة العثمانية ، الى حركات انفصالية بفعل الانجليز ، وكان غرض جمع مشايخ الخليج ـ الذين هم من المجتهدين في الحفاظ على مصلحة بريطانيا ـ هو حشد القوى العربية ضد تركيا . والحقيقة أن هؤلاء الزعماء ـ كالرعايا ـ ، لم يفهموا حينها أي معنى للحركة القومية ، بل أن الشعوب لم تسمع فتتأثر بها .

إشتعلت الحرب العالميّة الأولى في رمضان ١٣٣٢هـ ـ أغسطس ١٩١٤م ، فالتزمت الدولة العثمانية الحياد العملي بين المعسكرين طيلة شهرين كاملين ، حتى بدأتها بريطانيا ضدّها دون مبرر سوى الشكوك من أن المعسكر الموالي لألمانيا في الحكومة العثمانية يدفع باتجاه المشاركة في الحرب . والواقع أن بريطانيا بيّتت النيّة للقضاء على دولة الخلافة وتمزيقها ، وكل تحركاتها السابقة واللاحقة تدلّ على أنها لم تكن تبحث عن مبرر لإعلان الحرب ضد الأتراك ، وإنما عن فرصة لتمزيق دولتهم . يدلنا على ذلك أن إشارات عديدة صدرت من السفارة بريطانية في تركيا ترجح عدم دخول تركيا الحرب ، وعدم رغبتها فيها .. وحتى استعدادات تركيا على حدود مصر للمحافظة على فلسطين وبلاد الشام ، فسّرها البريطانيون في السفارة على أنها « ليست بالضرورة معادية » ، كان ذلك قبل أن تُعلن بريطانيا الحرب على دولة الخلافة بأيام قلائل فقط ! .

وبمجرد اشتعال الحرب تحركت بريطانيا بشكل ملحوظ لكسب ودّ الزعماء استعداداً للمعركة المقبلة مع الأتراك .. والمشكلة لم تكن في الزعماء ، « فالرؤساء العرب كان معظمهم مهيئاً للصداقة البريطانية ، ولنذكر منهم ثلاثة

هم : خزعل خان حاكم المحمرة ، والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ، وعبد العزيز بن سعود سطان نجد والأحساء »[٥] .

ولكن القضية تتعلق « بموقف الشعوب وميل الغالبية للدولة العثمانية ، وقد تنبه أ . تشيسون ، الموكّل بالشؤون الخارجية في حكومة الهند ، الى أن معظم سكان الخليج من العرب متعلقون بالدولة العثمانية بحكم العاطفة الدينية »[٦] .

ويقدّم المقيم السياسي البريطاني في الخليج تقريراً يوضح الخطوة المقبلة بعد أن اشتعلت الحرب ، وقبل دخول الأتراك كطرف فيها .. يقول[٧] :

« في حال قيام حرب مع تركيا .. نستطيع الاعتماد على ولاء رؤساء الخليج في المحمرة والكويت ، وأعتقد أنه من المفيد لنا اذا قدمت تأكيدات لإبن سعود ، فسيأخذ نفس الموقف .. أما البحرين فأعتقد أنها لا تضر ولا تنفع[٨] .. وستكون مسقط في وضع تستطيع فيه الوقوف لمساعدة القوات البريطانية والتي تعسكر حاليا هناك » .

واقترح المقيم أن تهاجم القوات العربية البصرة ، وشرح بالتفصيل طريقة احتلالها ، وكيفية المحافظة على الأوربيين هناك بإخراجهم قبل أن تُعلن الحرب . واقترح المقيم بخبث توزيع رسالة الى مشايخ الخليج من حكام ورؤساء قبائل ، قدّم نصّها ، تقول بأن الحكومة التركية تعمل ضد التجار البريطانيين المسالمين ، وتورط نفسها في حرب مع بريطانيا وفرنسا وروسيا التي دخلت الحرب لحماية(!) أملاك تركيا . وتنصح الرسالة المقترحة بأن لا يتورط رؤساء العرب في الحرب الى جانب الألمان والأتراك لأنهم سيهزمون ! .

ثم تعدّد الرسالة مساوىء الأتراك ضد الشيوخ الحاكمين وضد (الاسلام !!) وأن حكومة بريطانيا لا تتدخل في شؤون المسلمين وعقائدهم ، وأنها أبقت دائما على السلام والخير في كل مكان وحسن الجوار مع الجيران . ويذكّر المقيم الشيوخ بأنه : كانت لكم علاقة سابقة وقديمة مع بريطانيا واذا ما قامت الحرب فانها « ستحفظ لكم دينكم وحريتكم . فلا تدعوا الحمقى من رعاياكم ، والذين لا يعون منافع الحماية البريطانية الكثيرة ، للاخلال بالأمن في اماراتكم أو التعرض لمصالح الحكومة البريطانية .. وبالتزام الصبر ستوفرون المشاكل والأضرار التي قد تلحق بالجميع ..وستكونون في المستقبل أكثر حرية وقوة من السابق . لا تدعوا الأشخاص الحمقى يرفعوا الكلام السخيف عن الجهاد .

إن هذه الحرب لا علاقة لها بشؤون الأديان ، بل انها لصالح الأديان ، هدفها تدمير التعالي والتكبر العنصري ، وتقوية الشعوب الصامته التي تحافظ على استقلالها وسلامها مع جيرانها »[٩] .

وحينما تقوم الحرب مع تركيا ـ يقول المقيم ـ « سأعد ابن سعود بالاستقلال مع تأمين ضد أي هجوم من ناحية البحر . وسأدفع شيخ الكويت لمهاجمة الحاميات التركية في جفيم(JAVIM) ، أم قصر ، صفوان وجزيرة بوبيان ، وسأحميه من النتائج المترتبة على ذلك .. وسأعطيه وعداً بإعفائه من الضرائب ، وسأمنحه حرية تصرف كاملة فيما يتعلق ببساتين النخيل التي يملكها في الضفة اليمنى من شط العرب .. أما فيما يتعلق بالمحمرة .... فنستطيع إعطاء وعد مطمئن لشيخها ، عبر إعلان عام بأنه يجب أن يحصل على كامل الحق في التصرف كقوة محلية مستقلة ... وله كامل الحرية فيما يتعلق ببساتين النخيل في الضفة اليمنى من شط العرب ، مثلما عرض على شيخ الكويت .. ومن المحتمل أيضاً أننا نستطيع التأثير على شريف مكة في نفس الاتجاه من خلال ابن سعود »[١٠] .

كانت هذه البداية ، وسرعان ما ووفق على ما طرحه المقيم « فأرسلت رسائل الى الأمراء والشيوخ ـ ومن بينهم ابن سعود ـ تخبرهم بوقوع الحرب ، وتؤكّد لهم بأن الأتراك سيدخلونها ، وأن بريطانيا تطلب دعمهم ومعونتهم مقابل وعود لهم (بالاستقلال ، والحرية ، والمال !) ، وأوصت كل شيخ بالمهمة الموكلة اليه ، فهذا يهاجم البصرة ، وآخر يقطع الامدادات التي قد تأتي من قبائل المنتفق وغيرها . وثالث مكلّف بحماية القوافل العسكرية والتموينية وكذلك الأرواح البريطانية .

وبالنسبة لإبن سعود ، فإن وزارة الخارجية البريطانية التي كانت على الدوام حريصة على التوازن في علاقاتها معه ومع الأتراك ، غيّرت رأيها بناء على اقتراح من السفارة البريطانية في القسطنطينية ، حيث أرسل السفير الى رؤسائه قائلاً : « أنه من الحكمة بلا شك أن نحاول إحياء صداقتنا مع ابن سعود .. ربما كان المقيم في بوشهر قد دخل في علاقات سابقة معه ، صحيح أنه في مطلع هذه السنة (١٩١٤) حين بدا أن الباب العالي كان يعمل بثقة ، فاني استنكرت الظهور بمظهر المتآمر مع ذلك الرئيس ، ولكن بالنظر الى ما حدث منذ نشوب الحرب ، أظن بأن لدينا مبرراً لاعادة علاقاتنا الودية معه »[١١] .

وكتب مبارك رسالة الى ابن سعود ـ بناء على أوامر المقيم البريطاني في بوشهر ـ يبلغه بقيام الحرب ويدعوه للوقوف الى جانب الانجليز .. قال :

« ولدنا العزيز ، دمت بخير وعز وسرور

« الله يسلمك واصلتك هل (هذه) الأحرف التي بالورقة .. مضمونها جاينا من باليوز بوشهر السابق كرنل كاكس الذي الآن في سملا ، ناظر خارجية الدولت (الدولة) البهية ، وهو الرجل المعلوم أولاً أنه محب لنا ولك ، والآن زمام الأمور

بيده ، وأنت اشيسلمك هل (هذه) الأحرف إقراها بالدقة التامة وتميز انشاالله معانيها ، ومثلما هو ذاكر على أسباب هذا (هذه) الحرب ، هو من حركاة (حركات) الجرمن واغو الترك معه ، الله يذلهم جميعهم .. والاّ ياولدي أفكار الجرمن يسلط الترك علينا وعليك وعلى جميع العرب . وأنت تعرف عداوة الترك للعرب ظاهرة ، والله سبحانه رحم العرب والاسلام بوجود الدولت (الدولة) البهية الانكليزية ، هما (هم) الذين محافظين على الاسلام (المسلمين) الذي عندهم بالهند ، ونحنا (ونحن) ياسلام (مسلمي) العرب ، ومنهم أنا وتبعي ، وأنت وتبعك وعموم العرب ، ترا (معروف) حنا اشيسلمك في هيبة الله ثم هيبة الدولت (الدولة) البهيّة ... يلزمنا أن نحافظ على الصداقة مع الدولت البهية ، اذا ماساعدناهم نعرض عن التداخل الاّ أن نميل لهم ، ولا نقبل أن نسمع تضويهاة (أي دعايات) الجرمن الباطلة ، ويلزمنا أن نتبع ارادة الدولت البهية باستراحتنا ، ويلزمنا أننا نشكر الدولت البهية ، لأن ياولدي الدولت البهيّة غنيّة عن مساعدتنا ، لاكن (لكن) نحنا ، أنا وأنت ، ماحنا (لسنا) غنيين عنها .. راحتنا وصلاحنا بالله ثم فيهم ، والذي (الذين) غيرهم الاّ يوليه يظرنا (يضرنا) وهم الترك ، والذي مقويهم الجرمن ، الله يذلهم . والدولت البهية وحلفائها الآن هم الغالبين ، وبعد انشاالله يذهبون الجرمن ، وهذه العباراة (العبارات) الذي جائنا (التي جاءتنا) من كرنل كاكس هي هم من مراجم الدولت البهية ، يبينون مقاصدهم الحسنة بنا وبعموم الاسلام ، ولا لهم راغبة (رغبة) في حرب الترك ، ويقولون على الممالك التي للترك ، ويمكن أن هذي عقوبة من الله على الترك من سوء نياتهم بالعرب ، فعاد (اذن) ياولدي الله يسلمك أنا وأنت يلزمنا اتباع نظر الدولت البهية لأجل صلاحنا وهو الواجب منا »[١٢] .

ردّ إبن سعود على رسالة مبارك الصباح هذه فقال : « ما عرف حظرتكم كان لدى ابنكم (ويقصد نفسه) معلوم .. ثم عرف حظرتكم من قبل إثارات الحرب بين هاالدول ، وأن الي (الذي) مع هالانكليز يصيرون غالبين ، والدولى (الدولة ، تركيا) في غايت (غاية) الخوف ، نرجو أن الله يجعل الغلبة لمن لنا وياكم فيه صلاح (المقصود بريطانيا) .. »[١٣] .

في نفس الفترة وبالسرعة المطلوبة استدعي الكابتن شكسبير على عجل من لندن ، حيث أبلغته وزارة الهند شفهياً بالمهمة الموكولة إليه ، بأن يذهب حالاً لإبن سعود ويمثل بريطانيا في بلاطه ، ويؤثر عليه في حال قيام بريطانيا بمهاجمة دولة الخلافة واعلان الحرب ضدها ، وفي الخامس من أكتوبر ١٩١٤م كتبت له وزارة الهند التالي :

« سيدي ،

تأكيداً للتعليمات التي نُقلت اليك شفهياً ، أمرني وزير شؤون الهند أن أبلغك بأنه قد تقرر استدعاؤك للخدمة فوراً ، وذلك لتنفيذ الإجراءات (التي أوضحت لك طبيعتها) والتي ستتخذ لحماية المصالح البريطانية في الخليج الفارسي ، وفي المناطق التي تسيطر عليها تركيا في الجزيرة العربيّة .

طبقاً لهذه التعليمات عليك أن تتوجه الى الخليج الفارسي دون أدنى تأخير ، وحينما تصل الى هناك ، يجب أن لا تضيع أي وقت ، بل تضع نفسك على تماس فوري بابن سعود ، أمير نجد .. والذي يجب عليك أن تمارس عليه أقصى ما عندك من نفوذ ، بهدف تأمين هدفين رئيسيين :

الأول : منع انفجار الاضطرابات أو القلاقل بين العرب نتيجة الاجراءات التي ذكرت آنفا .

الثاني : في حالة اندلاع الحرب بين بريطانيا وتركيا ، عليك أن تتأكد وتطمئن الى أن العرب لا يقدمون للجيوش التركية أية مساعدات .

حوّل المحاسب العام في هذه الوزارة صلاحية وضع مبلغ ١٠٠ جنيه تحت تصرفك لشراء هدايا (اللقاء مع الأمير) الخ ... كما أنك مخول بأن تسحب من خزينة بوشهر ما يلزمك من نفقات لرحلتك فيما وراء ذلك الميناء .

وستحسب خدماتك الفعليّة طبقاً للأحكام المطبقة على حالات الاستدعاء الإلزامي للضباط أثناء إجازاتهم ، بدءاً من العاشر من أكتوبر ١٩١٤ ، وهو التاريخ الذي علمنا أنك ستغادر فيه مبحراً من البلاد على ظهر الباخرة (ارابيا) .

ستصلك معلومات في الوقت المناسب عن طريق حكومة الهند ، فيما يتعلق براتبك وعلاواتك خلال الفترة المهمة الخاصة »[١٤] .

ولم تضيّع حكومة الهند الفرصة بانتظار شكسبير ، بل طلبت من مبارك أن يكتب بإسمها وإسمه رسائل لإبن سعود تحضه على دعم بريطانيا وحرب الأتراك ، وتبلغه بأن شكسبير (صديقه القديم) سيصله ، وهو الآن في الطريق مبحراً .

قال له مبارك : « ان الدولة البهية تبغي منا ومنك المساعدة الكاملة في جهدها لابقاء الصلح من تأثيرنا في أصدقائنا وعشائرنا والقبائل المتعلقة منا ، وأن نعرّف شريف مكة وابن شعلان بغواية الدولة الجرمانية حتى لا ينغووا بوعود باطلة ... وان الدولة ترسل اليكم كبتان شجسبير (الكابتن شكسبير) المعروف عند العرب جميعاً ، حتى يعرفكم بمقاصد الدولة البهيّة ونياتها ، والدولة البهيّة تبغي منكم أنت والشيوخ المقيمين على شط البحر وساحل الخليج ألّا تفعلوا شيئاً من

الحركاة (الحركات) حتى بعد تشبيب (نشوب) الحرب ، الاّ بعد ماصار (أن تصير) مقاصد الدولة البهيّة معلومة عندكم بالتفصيل »[١٥] .

كانت بريطانيا تعدّ عدّتها للحرب ، وكانت قواتها تتجمع في البحرين ، وكانت مؤشرات بدئها بالحرب واضحة ، لهذا طلبت من الجميع لزوم الصمت وعدم القيام بأي عمل ، الى أن تشعرهم هي بما ينبغي عليهم أن يفعلوه .

وكتب مبارك ايضا لإبن سعود طالباً منه الاحتفاء بشكسبير حين لقائه : « فأنت الله يسلمك انشاالله‌تباشره (تحتفي به) وتجاوبه بكلما (بكل ما) يطيب خاطره ، والأمل يعود من عندكم مسرور . لأن ياولدي أنا وأنت وربنا واحد على الخير والسرور انشاالله راحتنا واطمنانا (واطمئناننا) باتباع رظاهم (رضاهم ، أي الانجليز) »[١٦] .

رد ابن سعود على مبارك مبدياً استعداده لمعاونة بريطانيا ، وأنه تسلم رسائل من المقيم بهذا الاتجاه .. جاء في الرد : « ولا يقطع عقلكم (لا تتصوروا) أن عندنا أمر يخالف أمركم بهذا الخصوص . وقد عرفتكم أن أمري تابع أمركم ، ومن قبل الدولة البهيّة (بريطانيا) تعرف غايتنا عندكم وعندهم (هوانا معكم ومعهم) ، ولا غدينا في أمر الا معرفين (إي لم نباشر في عمل إلاّ وعرّفنا) صاحبهم الذي بطرفكم (الوكيل البريطاني في الكويت) بشيء ما يخفا (لا يخفى) على حضرتكم ، وحنا جانا (ونحن جاءنا) منه (اي المقيم البريطاني في بوشهر ، الميجور نوكس) كتاب على طريق البحرين مقابيل خطه هالذي جانا منك (مماثل الى كتابه الذي جاءنا منكم) ، على يد قنصل البحرين (المعتمد هناك) ، ورجعنا له جواب لايق ، ومبينين (وبينا) له غايتنا »[١٧] .

وقبل أن يصل شكسبير الى جهته ، أعلنت بريطانيا الحرب ، وأرسلت رسالة الى ابن سعود تحدّد له وقت وصول شكسبير الى البحرين ، وتعترف به حاكما على نجد والأحساء « وتضمن له الحماية ضد أيّة عمليات إنتقامية تأتي من البر أو البحر ، إذا تعهد والتزم بالانضمام إلى القائمة المعادية لتركيا »[١٨] وهو تعهّد قدّمه ابن سعود بعد اشتعال الحرب بصورة واضحة .

على أنه في ٤/١٠/١٩١٤ بعثت وزارة الخارجية في الهند الى الميجور نوكس ، المقيم في بوشهر ، برقية تطلب منه ارسال الرسالة التالية لإبن سعود : « سيغادر صديقك الكابتن شكسبير انجلترا متجهاً نحوك لمقابلتك في أمور هامة ، منتدبا من الحكومة البريطانية ، وذلك عن طريق البحرين ، وهو يرجو أن تجهز له الجمال في العقير حوالي ٤/ نوفمبر/ ١٩١٤ .. »[١٩] .

وفي ٨/١٠/١٩١٤ أبرقت وزارة الهند لنائب الملك في الهند ، ومنه الى المقيم ومن ثم لإبن سعود ، لتنقل له هذه الرسالة : « يعلم الشيخ ـ ابن سعود ـ أن

المانيا تستخدم الآن نفوذها على تركيا لتقوم بأعمال عدائية تضطر بريطانيا لخوض غمار حرب تودّ تفاديها(!) ، وحكومة جلالة الملك ، وهي مضطرة لاتخاذ احتياطات عسكرية في الخليج .. فهي تبعث الكابتن شكسبير لشرح نواياها »[٢٠] .

في ٢٤/١٠/١٩١٤ كتب ابن سعود رسالة الى شكسبير تنتظره الى حين قدومه في البحرين ، يقول فيها (الرسالة مؤرخة في ٤/ ذي الحجة ١٣٣٢هـ) بأنه أُبلغ عن طريق الميجور نوكس أنك (شكسبير) ستصل البحرين في ١٥/ ذي الحجة (٤/نوفمبر/١٩١٤) .. وقال أنه لن يكون في الأحساء ولا في الرياض في ذلك الحين « وقد أبلغت أخي (عبدالله بن جلوي) أمير الحسا ليتابع اتصالاته بك حول مسألة مقابلتك » ..ثم يطلب أن يكون إبن جلوي رابط الاتصال بين الطرفين ، لأنه موثوق من طرفه ويعرف برنامجه وخططه[٢١] .

وفي الرابع من نوفمبر ١٩١٤ (١٥ ذي الحجة ١٣٣٢) كتب ابن جلوي رسالة لشكسبير يقول فيها أنه « استلم رسالة من (الامام) لترسل اليك[٢٢] . مهما يكن الجواب فانني بانتظاره .. واذا كانت الاتصالات بينك وبين الامام أثناء اقامتك في البحرين .. أو اذا ما أصبحت المقابلة لا بدّ منها ، فأرجو اعلاميْ بذلك ، مع اعطائي مهلة أيام قلائل لتجهيز الجمال من أجل ذلك ... أرجو من اللهأن يحفظكم والسلام »[٢٣] .

أما ما جاء في رسالة ابن سعود لشكسبير الملحقة برسالة ابن جلوي فهو :

« عندما علمتُ من المقيم في الخليج أنك قادم ، رأيت أن اقترح عليك أمرين لتختار أحدهما ، ولكن الأفضل في نظري أن تجهز شفرة عربية ترسل اليّ مفتاحها لتكون المخاطبات بيننا بها عن طريق أخينا عبدالله بن جلوي في الأحساء ، بينما تظل أنت مقيماً في البحرين ، وذلك إتقاءً للقيل والقال ، حذرين الى حين وصولنا الى نتيجة ، فهذه أفضل طريقة بالنسبة لنا ولمصالحنا ، أما إذا رأيت أنه لا بدّ من المقابلة .. فإن ابن جلوي يقوم بهذه المهمة ، ولكن يجب أن يكون ميعاد سفرك سراً .. ولا يستطيع أن يعرف أحد اتجاهك ، وتلبس الملابس العربية » .

ويفسر ابن سعود في رسالة سبب عدم بقائه في الرياض أو الأحساء ، بأنه من أجل إيجاد الأعذار بعدم الاشتراك مع الأتراك في الحرب .. قال : « أعلنا الحرب على ابن الرشيد لسببين ، أولهما لنحول بينه وبين مساعدة الأتراك في سوريا ، وثانيهما ليكون لنا عذر من عدم مساعدتهم والانصياع لأمرهم ، وظلت رسلهم ـ رسل الأتراك ـ تتوافد عليّ للصلح بيني وبين ابن الرشيد ... وظللت أبدي المعاذير ، وعليه فقد غادرت الرياض الى منطقة القصيم لتدبير الأمر وتكملة

الأعذار »[٢٤] .

لكن شكسبير أصرّ على اللقاء ، فالمهمة خطيرة ، رغم أن ابن سعود يعلم أن وجوده معه يحول دونه ودون تكملة الأعذار ، وسيعرف الأتراك أنه انحاز علانية للانجليز .. هؤلاء لم يهمهم ذلك ، فسافر شكسبير اليه والتقى به واقام عنده أسابيع قلائل استطاع أن ينجز خلالها الكثير ، فقد أعدّ مسودة اتفاقية دارين ، وحارب الى جانب ابن سعود ضد الشمريين وهو يلبس (البرنيطة) وكامل العدّة الحربية البريطانية ، وأدار مدفعاً ضد العدو ، الى أن قتل في معركة جراب عام ١٩١٥ .

رد شكسبير على رسالة إبن جلوي في ٨/١١/١٩١٤ (١٩/١٢/١٣٣٢هـ) قائلاً[٢٥] : « وصلت الى هنا (البحرين) أمس ، ١٨/ ذي الحجة ١٣٣٢ (٧/ نوفمبر ١٩١٤) ، واستلمت بيد الصداقة رسالتكم المؤرخة في ١٥/ ذي الحجة ومرفقاتها التي من صديقي الامام عبدالعزيز حفظه الله .. إنني أجد من المستحيل أن أتأخر هنا لوضع الترتيبات من أجل الوصول الى الامام في القصيم ، ولذلك أعددت الترتيبات للذهاب الى الكويت حيث سأكون أقرب اليه . وقد طلبت منه ـ ابن سعود ـ أن يجيب على رسالتي ويرسلها الى الكويت » . وقال شكسبير أنه يتمنّى أن يمر من خلال الأحساء ، وأن يقابل ابن جلوي في المستقبل القريب ، وأخيراً طلب شكسبير من الإخير أن ينقل رسالة ردّه الى ابن سعود .

وكان مما جاء في رسالة شكسبير لإبن سعود ، أنه تسلم رسالتيه (٤ و ١٥ ذي الحجة ١٣٣٢) وكذلك رسالة ابن جلوي ، وفهم المضمون .. « الآن ياصديقي فقد استلمت رسالة المقيم في بوشهر وفهمت محتوياتها .. ان من الضروري أن اقابلك شخصياً ، وليس لدي شفرة عربية ، كما لا أعرف كيف أضعها » .. وأضاف بأنه « سيحدث تأخير كثير إذا ما انتظر جواب ابن جلوي ، ولذا قررت أن أذهب الى بوشهر ومنها الى الكويت ،وسأكون قريبا منك ، وإذا ما زحفت شمالاً بقواتك (لمعاونة الانجليز) فسألتقي بك ان شاء اللهعند أي بئر مياه تحب » . ثم يسأل عمّا إذا كان بإمكان ابن سعود تحديد مكان وتاريخ اللقاء . وحول ضرورة اللباس العربي التي أشار اليها ابن سعود ، أجاب شكسبير : « انني ممثل رسمي للحكومة الكريمة العظيمة (البريطانية !) عند سموكم ، وسيكون من المستحيل عليّ أن آتي متخفياً »[٢٦] . وكان جزاء عدم التخفي القتل بعد أقل من شهر ! .

موقف ابن سعود من الحرب

في أغسطس ١٩١٤ كتب له المقيم وكذلك قائد الحملة على العراق الميجور كوكس ، أن بريطانيا أعلنت الحرب ضد الحكومة العثمانية ، وأنه طلب التعاون من شيخي المحمرة والكويت[٢٧] ولذلك فهو يطلب المساعدة منه لمهاجمة البصرة (وتحريرها !) من الحكومة العثمانية ... وطلب كوكس من ابن سعود أيضاً أن يأتي الى البصرة ليمنع الامدادات عنها وحتى القرنة ، حتى تصل القوات البريطانية لتحتلها . وقال كوكس إن (تحرير !) البصرة من الاتراك وفصلها عن ممالكهم هو واحد من الأهداف الرئيسية ، ولذا فمن المهم أن يقوم بالتعاون مع الآخرين بمنع الاعتداء على أملاك وأرواح التجار البريطانيين فيها . وطلب منه أيضا أن يخرج الأتراك من الأحساء والقطيف (وحينها لم تكن هناك أية قوات كما ذكر ابن سعود في ردّه بغبطة) . وطلب منه فيما طلب أن (يستفيد) من سمعة بريطانيا (الطيبة) لدى الأصدقاء كلّما تطلّب الأمر ، وأن يبذل كل جهوده لمساعدة حلفاء بريطانيا من المشايخ .

ولقد كان ابن سعود أثناء الانزال البريطاني في البصرة في ١٩١٤/١١/٦ ومن ثم احتلالها ، مفيداً للغاية ، إذا أنه استطاع أن يبقي ابن الرشيد وقبيلة شمّر ، وعجمي السعدون والمنتفق بعيداً عن تهديد الجناح الأيسر للجيوش البريطانية حينما تقدمت شمالاً لإحتلال الفاو .

تعرض موقف ابن سعود من الحرب العالمية الأولى للغط شديد بين قائل أنه وقف على الحياد ، وبين من يقول أنه وضع كل امكاناته لخدمة المجهود الحربي البريطاني . وسبب اللغط يكمن في أن المتأخرين من الباحثين والكتاب القريبين من التوجه السياسي السعودي ، رأوا أن ما كان أمثالهم يتفاخرون به من حرب لدولة الخلافة وتمزيق لبلاد العرب والمسلمين وموالاة للنصارى ، اصبح سبّه عار ، فحاولوا إعادة كتابة التاريخ بما يتلاءم مع نتائج الحرب (ونتائج سايكس بيكو !) ، فاجتهدوا في اقتناص ما يدعم موقفهم ، مع أن الواضح من خلال كلام وأفعال ابن سعود ـ وبما لايدع أي مجال للشك ـ أنه اتخذ سبيل الحلفاء ومؤازرتهم ضد دولة الخلافة .

يقول الاستاذ جمال زكريا قاسم[٢٨] : « تعرض موقف ابن سعود في الحرب العالمية الأولى لجدل عنيف ، ولإختلاف وجهة نظر الكتّاب الذين عرضوا لهذا الموضوع ، فهناك من إعتبره إلتزم جانب الإنجليز ، وهناك من اعتبره قد وقف

على الحياد . وفي تقديرنا أن إبن سعود إنحاز فعلاً للإنجليز » . ويؤيد الاستاذ في رأيه هذا السير ريدر بولارد ، السفير البريطاني المفوض في جدة ، والذي يقول : ان ابن سعود انحاز للانجليز بأن أكد للمبعوث البريطاني شكسبير أنه التزم جانب بريطانيا « وقلبه مليء بالسرور من تلك الفرصة التي استوجبت تأسيس علاقات جديدة صحيحة بينه وبينها » .

وهكذا دخل ابن سعود في قائمة الأمراء الذين ساعدوا انجلترا خلال الحرب . وان الاخلاص الذي ساند به الانجليز ، ليعبر عنه بولارد بقوله : « لقد كانت مساعدة عبد العزيز قيّمة ، ولو كان تسلّم مقداراً أكبر من السلاح لكان حليفاً أكثر نفعا » .

ويرى كاتب موال : « ان الانجليز كانوا بحاجة الى قوة تثبت أو تحيّد شمّر ، حتى لا تعترض على الغزو البريطاني للعراق ، أو تدعم الحملة التركية على سيناء ، وقد حقق عبدالعزيز هذا الهدف ، ومن ثم يمكن القول بأنه قد ساهم في المجهود الحربي البريطاني »[٢٩] .

وقال كاتب بريطاني : « بقي الملك عبدالعزيز حليفاً دائماً لبريطانيا ، وعاضد البريطانيين وحلفاءهم ، ودرب جيشا اشترك في العمليات الحربية ضد الأتراك سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ »[٣٠] .

كان يفترض ـ ضمن الاتفاقية التركية / السعودية ، والتي لم يمض على توقيعها سوى أشهر قلائل ـ أن يدعم ابن سعود الاتراك وفقاً لنصوصها ، أو لا أقل وفقا لروح الأخوة والدين ، أو ثأراً للعرض والكرامة المنتهكة من قبل قوات الاحتلال . وفي أضعف الإيمان كان بإمكانه التعاطف قلبياً دون المشاركة العملية في المعارك ، بل كان بإمكانه الوقوف على الحياد ـ وان كانت ميوله انجليزية ـ مراعاة لمشاعر بقية المسلمين .

لكنه لم يفعل أياً من هذا ..

ففي البداية سارع الأتراك للاتصال به قبل أن تعلن بريطانيا الحرب ، استعداداً للموقف ، تماماً مثلما كما كان الانجليز أنفسهم يفعلون .

لما أعلن الانجليز الحرب على دولة الخلافة طلب أنور باشا من ابن سعود ـ وباسم دولة الخلافة ، وحسب الاتفاقية الموقّعة عام ١٩١٤ ـ أن يشترك في الدفاع عن البصرة ، فأجابه بأنه مشغول في حرب ابن الرشيد وسيواصلها الى أن يخضعه .. وقد اعترف إبن سعود بأن الحرب كانت لإيجاد المسوغات والمبررات . ومعلوم أن حرب ابن الرشيد في هذا الوقت ليس فقط تبرر لإبن سعود عدم مساعدة الأتراك ، بل وتُشغل ابن الرشيد عن صد الجيوش البريطانية القادمة من سيناء أو البصرة . وتقول وثيقة بريطانية سطرتها وزارة الهند في

١٩١٥/١/٣١ : « ان موقف ابن سعود حالياً سليم تجاه بريطانيا ، لأنه لم يف بالتزاماته لتركيا بموجب معاهدته معهم بارسال قوات مسلحة لمساعدتهم ، بل أنه منع ابن الرشيد من مساعدته للأتراك »[٣١] .

وانظر للمفارقة : فقد عرض شكسبير في لقائه الأول على ابن سعود أن يعاون الانجليز في احتلال البصرة ، فأجاب أنه « من طرف الانجليز ، وأنه يود من صميم قلبه تحرير البصرة من الحكم التركي ، ولكنه يرى أن تُعقد بينه وبين انجلترا معاهدة صريحة محددة الشروط والأهداف كي يستطيع القيام بعمل حاسم » .. واعترف ابن سعود لشكسبير بأنه تلقى عرضاً تركياً للدفاع عن البصرة .. شأنه في ذلك شأن كل حكام الجزيرة ، بإعلان الجهاد الاسلامي ضد البريطانيين ، وقد كان المخطط التركي قائماً على تخصيص قوات إبن سعود للدفاع عن البصرة وبغداد ضد أي هجوم بريطاني من الجنوب[٣٢] .

ويبرر أحد الكتاب سبب عدم وقوف ابن سعود مع الأتراك في العراق للدفاع عن أرضها ، بأن ذلك لن يغير من المعادلة شيئاً ، وأن الاسطول البريطاني كان سيحتل الأحساء !! ويضيف « هل كان بوسع ابن سعود أن يغير التاريخ ، لو انضمّ للاتراك في العراق ؟ » ويجيب « لا .. فقد كان الاسطول البريطاني سيحتل الأحساء » ! .

وهذا كلام أصحاب مصالح وليس أصحاب مبادىء .. ثم إن إمام اليمن لم يتحالف مع الانجليز ولم يفقد شيئا .. وكان بإمكان ابن سعود أن يفعل الكثير ـ تماما مثلما فعل للبريطانيين ـ ولو غير موقفه لتغير موقف كل سكان الجزيرة العربية وحتى حكامها .. فالشعوب كانت متحفزة وثائرة على حكامها (حدث ذلك في الكويت وعربستان وغيرها) ، وكان بإمكان الأتراك ضرب خاصرة الجيش البريطاني وتطويقه ، وتكون الأحساء منطلقاً لمهاجمة الانجليز في البحرين والكويت .. وكان بإمكانه على الأقل التحالف مع ابن الرشيد ـ أو تجميد المعارك ـ ليتفرغا للعدو الأكبر .. أو الحياد كأضعف الإيمان ..

لم يفعل ابن سعود أياً من هذا ، وحين طلب منه أنور باشا في محرم ١٣٣٣هـ نوفمبر ١٩١٤ بالتخلي عن حملته ضد ابن الرشيد ، وأن يجمع القوات تحت قيادته ويتوجه بها شمالاً للدفاع عن البصرة ، لم يستجب للطلب ، بل وزاد على ذلك بأن « سجن ضابطاً تركيا في الأحساء كان قد أُرسل إليه لتدريب قواته .. واعتقل أربعة من علماء بريدة من الذين يعيشون في كربلاء وبغداد ، أرسلتهم الحكومة التركية للحضّ على الجهاد »[٣٣] .

على أن الأتراك لم يبعثوا الضابط بصورة ساذجة .. فإبن سعود كان يراوغهم ويتحجج بحجج مختلفة .. خاصة وان المادة الثالثة من المعاهدة الموقّعة معه ،

أشارت الى استقدام ضباط لتدريب القوات المحلية . وأن المادة ١٢ أشارت الى وجوب محاربة ابن سعود الى جانب الدولة .

والطريف أن شكسبير هو الذي أمر ابن سعود باطلاق سراح الضابط التركي فأطلقه ! .

كان وضع الأتراك محرجاً بسبب مواقف ابن سعود ، فهي إذا كانت قادرة على الإستغناء عن جهوده ، فانها لا تستطيع الإستغناء عن قوات وجهود ابن الرشيد والقبائل الأخرى (المنتفق ، عنزة) وغيرها . لهذا فإن حالة الحرب بين الطرفين (السعودي والشمّري) ، كانت كافية لتضييع الجهود الأخرى . وقد حاول الأتراك جهدهم إيقاف الحرب ، لكن إبن سعود ـ وهو البادىء بالحرب ـ « قام بأعمال مكشوفة ضد خصمه .. وحاول انور باشا عبثا حث ابن سعود على التخلي عن الصراعات الشخصية ، وأرسل له هدية من الأموال كنفقات لتعاونه مع جيوش السلطان ، وأخيراً عُهد الى سيد طالب ـ الذي كان يجري في ذات الوقت صفقة فاشلة مع الانجليز ـ القيام بمهمة تحقيق وفاق .. فغادر البصرة الى معسكر ابن سعود عن طريق الزبير .. فاحتج الزعيم الوهابي ، بأنه لا يستطيع الاستغناء عن أي قوات لإرسالها الى العراق قبل أن يعيد ابن الرشيد الى حجمه الحقيقي والى الخضوع والعبودية »[٣٤] .

ولهذا السبب امتنع ابن الرشيد « في الوقت المناسب عن مساعدة الترك ، ويعزى الفضل في ذلك لإبن سعود ، الذي قدم مساعدة بطريق غير مباشر ، فقد رفض الدعوات المتكررة عليه من الترك لإعلان الجهاد ، والانضمام الى جانب تركيا ، واعتذر بأنه يجب أن يصفي حسابه مع ابن الرشيد . وان نشوب القتال بين ابن الرشيد وابن سعود قد جعل الأول وقبائله يدافعون عن أوطانهم ولا يستطيعون معاونة الأتراك »[٣٥] .

وقام ابن سعود بتجنيد العديد من القبائل لصالح الانجليز / مثلما فعل بالنسبة لقبيلة عنزة القوية .. وطلب من عجمي السعدون زعيم المنتفق أن ينضم للانجليز ، فاستغرب ورد عليه بأن الشرف والدين يمنعانه من ذلك ، وأنه كان يتوقع منه (من ابن سعود) أن يتخذ نفس الموقف .

ولم تفقد الحكومة العثمانية أملها في جلب ولاء ابن سعود ، فأرسلت له وفداً من أعضائه محمود شكري الألوسي مع عشرة آلاف ليرة ذهباً ، وطلب منه أن يتخذ جانب الدولة ، فأكد أنه لا يمكن مقاومة الانجليز[٣٦] . ومنذ نوفمبر ١٩١٤ بدا واضحاً أن ابن سعود انحاز كلياً للانجليز ، وذلك حينما أرسل له المقيم كوكس في ١٣٣٢/١٢/١٤هـ (١٩١٤/١١/٣م) رسالة يدعوه فيها لحرب الأتراك وتحدد له بالتفصيل ماهو مطلوب منه ، وتعهد كوكس له :

★ حمايته من انتقام العثمانيين .
★ حمايته من أي هجوم يقع عليه بحراًأو براً .
★ الاعتراف به حاكماً على الأحساء والقطيف ونجد ضمن معاهدة[٣٧] .

ردّ ابن سعود : « انني من أعظم المساعدين لحكومة بريطانيا العظمى ، وان شاء الله سوف تحصل على نتائج مرضية .. بالنسبة للجنود العثمانيين لم نسمح لأي واحد منهم بأن يبقى في الأحساء والقطيف بعد احتلالنا ، وطردتهم كلهم » .

وبالنسبة للتعهدات البريطانية الثلاثة المذكورة أعلاه فسيعتمد ذلك على قدومه الى الكويت للبحث في المعاهدة .. « سوف أغادر موقعي في هذا اليوم متوجهاً للكويت ، وسنقوم بالمفاوضات الضرورية »[٣٨] .

في التاسع من نوفمبر ١٩١٤ كتب شكسبير ـ قبل أن يلتقي ابن سعود ـ أنه طلب من ابن سعود (أن يزحف شمالاً مع كل قواته) لمحاربة الأتراك . وأضاف : « ما أعرفه عن هذا الرجل ، فانني أعتقد أنه سيربط مصيره بنا .. أنا أعتزم الوصول الى الكويت بأقصى سرعة ممكنة ، وحالما أسمع بمنطقة ما أستطيع أن أقابل عبد العزيز فيها ، فانني أعتزم التحرّك فوراً للحاق به .. ولبذل كل مجهود ممكن لتأمين تعاونه الكامل معنا »[٣٩] .

والتقى الكابتن شكسبير بابن سعود في معسكر الأخير بـ « الخفس »يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩١٤ الموافق ١٣٣٣/٢/١٤هـ وسجل أول انطباع عو موقف النجديين من الحرب في تقرير مسجل بتاريخ ١٩١٥/١/٤ جاء فيه : « على ضوء ما رأيته في المخيم يمكنني القول بأن الشعور العام وسط الجزيرة العربية متعاطف جداً مع بريطانيا العظمى ، ومعادٍ لألمانيا وكارهً للترك » .

وممّا ذكره شكسبير في تقريره الذي بعثه لرؤسائه من مخيم ابن سعود في الخفس ، ان الأخير « سيكون مستعداً للقيام بدور والٍ بريطاني »مقابل « طلب الحماية من الغرب والشمال » . ذلك أن الأتراك قد خسروا للتو البصرة ولاتزال قواتهم معسكرة في الشام والحجاز (مكة والمدينة) .

وقال الكابتن بأن ابن سعود « قدم دليلاً واضحاً على رغبته الصادقة في معاداة العثمانيين ، وجعل من نفسه قدوة للعالم العربي في التعاطف مع بريطانيا »[٤٠] .

وكان ابن سعود قد أرسل في ٣١ ديسمبر ١٩١٤ ، وهو اليوم الذي التقى فيه بصديقه شكسبير ، رسالة الى المقيم في بوشهر (كوكس) يعلن فيها أنه يقف الى جانب بريطانيا ، وأن تحرير البصرة من الحكم التركي ، يعتبر من أهم أهدافه .

على أنه لا يمكننا تقييم الموقف السعودي هذا تقييماً صحيحاً بدون معرفة

خارطة الأوضاع السياسية وموقف المسلمين من الحرب ، وانحيازهم التام الى جانب دولة الخلافة في مقابل الهجمة الصليبية على بلاد المسلمين .

لنستعرض بشكل سريع الموقف في الخليج واماراته .

بمجرد أن أعلنت بريطانيا الحرب كانت تعلم أن دولة الخلافة سوف تعلن النفير للجهاد الديني ضد (قوى الكفر) رغم ما شاب العلاقة بين دولة الخلافة ورعاياها من سوء .. فالخلاف بين العرب والعمثانيين كان داخليا اصلاحيا ، أي أنه خلاف ضمن المحيط والدائرة الاسلامية .. هكذا رأته الشعوب الاسلامية التي كانت تشعر بعدم الرضا عن الحكم التركي ، إلا انها لم تفكر بأكثريتها الساحقة في الانفصال عن دولة الخلافة[٤١] .

كان هدف الانجليز هو الاستعداد ـ حتى قبل الحرب ـ للتشكيك في مشروعية الجهاد الديني الذي رفعت لواءه دولة الخلافة ، وكان من رأي السير بيرسي كوكس ، قائد الحملة على العراق وبطل الاحتلال ، أنه « يمكن التغلب على حركة الجهاد الديني بـ :

★ احكام السيطرة البريطانية على الخليج ،

★ واستغلال الخلافات المذهبية ،

★ وتأجيج الخلافات المذهبية / السياسية القائمة بين فارس والدولة العثمانية من سبيل منع تدفق القوات العثمانية الى المقاطعات الفارسية في الجنوب »[٤٢] .

لهذا أرسلت بريطانيا حملة عسكرية الى شط العرب لحصر تأثير دعوة الجهاد الديني ، خاصة بين أبناء الطائفة الشيعية ذات الأغلبية السكانية هناك . فخوفاً على نفوذها من هذه الدعوة أن تؤثر على الكويت والمحمرة ، أرسلت حاميات عسكرية في شمال الخليج ، ساعدها على ذلك أن الرؤساء العرب ـ ومنهم ابن سعود ـ كانوا مهيئين للصداقة البريطانية[٤٣] .

أما موقف حكام الخليج وأمرائه ، فلم تكن منسجمة مع آراء الشعوب ومشاعرها ، فهذه الشعوب « وبدافع من شعورها العاطفي والروحي يميلون الى الدولة العثمانية بإعتبارها دولة الخلافة الاسلامية .. ومما يؤكد ذلك أن معظم القبائل في جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الانجليز ، كما تعرض كل من شيخ الكويت والمحمرة لردود فعل عنيفة من قبل مواطنيهم ، الذين ساءهم ولا شك انضمام شيوخهم صراحة الى جانب الانجليز »[٤٤] .

واشتعلت النقمة على بريطانيا والعطف على تركيا من المحمرة وفارس الى اليمن ،ومن ليبيا ومصر والشمال الأفريقي حتى الكويت والهند وباقي ديار المسلمين ، وبهت الانجليز أمام تضامن الشيعة في العراق ضدهم والحقوا بهم

هزائم متتالية . ومن هنا كانت بريطانيا بحاجة الى أسماء عربية للانضمام اليها ، فقد كان المطلوب ـ بالدرجة الاساس ـ التشكيك في مشروعية الجهاد التركي »[٤٥] .

وكاد مشايخ الخليج أن يتلقوا درساً قاسياً على يد شعوبهم لولا الحماية البريطانية .. ففي المحمرة ثار الشيعة ضد حاكمها الشيخ خزعل في ثورة عارمة أججها رجال الدين الشيعة ، وعرفت الثورة باسم ثورة (السادة) ، وخاف مبارك أن تنتقل الثورة الى الكويت ، فسارع لدعم صديقه بالقوات ، ولكن الكويتيين رفضوا القتال والذهاب للمحمرة ، واشتعلت بوادر ثورة وطنية اسلامية شارك فيها الشيعة والسنة ، فاضطر مبارك الى التراجع وتبرير مواقفه ، وقام بنفي العديد من القيادات السياسية المحلية والدينية الى الهند ومناطق أخرى . وأخيراً إضطر الى اغراء بعض الصحفيين بالمال لنشر المقالات التي تدافع عنه في الصحف المصرية ، وتمكن في النهاية من التغلّب على ميل غالبية السكان ، خاصة وأن بلاده أصبحت محطة التموين لحملة العراق وتركز فيها ثقل بريطاني غير قليل . أما حاكم المحمرة فاستسلم للمعارضة وامتنع عن حضور مؤتمر الكويت الذي دعت اليه بريطانيا في نهاية سنة ١٩١٤[٤٦] . في حين أضاف مبارك الى مساوئه أن قرر فرض ضريبة فادحة على الذين تزعموا التمرد ونفاهم ، واستدعى نفراً منهم بحضور المعتمد السياسي البريطاني في الكويت وأهانهم لاعتبارهم الخروج على الدولة العثمانية بمثابة ارتداد عن الاسلام[٤٧] .

وفي البحرين التي كانت مركز تجمع القوات البريطانية المسلحة ، والقاعدة الهامة التي استخدمت في الاعداد لحملة العراق ، كان موقف شيوخها ودياً تجاه الانجليز ، وقلدهم الأخيرون العديد من الأوسمة خلال الحرب وبعدها ، أما موقف السكان « فقد كانوا متأثرين بعاطفتهم تجاه دولة الخلافة »[٤٨] .

ولمكافحة عاطفة السكان ـ وكما أراد بيرسي كوكس ـ مارس آل خليفة اثناء الحرب الأولى أشد حملاتهم الطائفيّة ضد أغلبية السكان الشيعة سياسياً واقتصادياً لشغلهم عن الاهتمام بمجريات احتلال العراق والمقاومة التي نظمّها العلماء والمراجع الشيعة فيه وفي مناطق عديدة من جنوب ايران .. وقد ارتحل العديد من العلماء وطلاب العلوم الدينية الى النجف وانضموا الى حملة المقاومة ، واضطر البريطانيون بمعاونة حاكم البحرين لمنع رجال الدين الشيعة من دخول البحرين ، وطرد بعضهم ، خوفاً من أن يتضخم نشاط المعارضة ضدهم وضد الانجليز على حد سواء ..

ورغم كره إمام اليمن للاتراك إلّا انه ظل اثناء الحرب موالياً ، لعدم رغبته في الوقوع في تبعية الانجليز[٤٩] .. والامام يحيى شأنه شأن بقية المسلمين ، وقف

الى جانب دولة الخلافة ـ رغم مساوئها ـ حفاظاً على بيضة الاسلام من الانجليز وأعوانهم .. وهو موقف صحيح لا غبار عليه .

أما في نجد والأحساء اللتين يحكمهما ابن سعود فلم يحدث شيء مهم . فالأحساء والقطيف كانتا أثناء الحرب تئنان من ثقل الضغط الطائفي الوهابي الذي شمل كافة مجالات الحياة ، وكان الشيعة قد فقدوا للتوّ (منتصف عام ١٩١٤) زعيمهم السياسي المرحوم الشهيد عبد الحسين بن جمعة الذي قتله ابن سعود بحجة التعامل مع دولة الخلافة ، وقد هدّ ذلك من عزمهم للنفير من أجل حماية العراق ـ بلد المقدسات الشيعية ـ سيما وأن سيف ابن جلوي كان مصلتاً على رقاب الشعب .

لذا لم يكن هناك أكثر من تعاطف الشيعة مع اخوانهم في العراق الذين يقاومون الاحتلال جنباً الى جنب القوات التركية ، وقد شارك بعض طلبة العلم ورجال الدين القطيفيين والأحسائيين المتواجدين في الأماكن المقدسة (النجف الأشرف ، كربلاء) في حمل السلاح دفاعاً عن البصرة وغيرها ، كما فعل المرحوم العلامة المجتهد حسن علي البدر ، والعلامة المجاهد حسن القطيفي ، والشيخ موسى تقي آل زاير ، الذين كانوا قيادات عسكرية في الحرب ضد الإنجليز الغزاة . واستطاع بعض أفراد الشيعة من السفر خفية الى العراق لذات الغرض .

وإذا كانت دعوة الجهاد قد آتت ثمرتها في الكويت والمحمرة والعراق وغيرها دون الأحساء ، فليس ذلك راجع الى أن شيعة القطيف والأحساء أقلّ حماساً وحميّة من الآخرين ، وانما لأن الضغط الحكومي الممارس بحقهم كان كبيراً .. ومعلوم كم هي قسوة الوهابيين على الشيعة دونما سبب ، فكيف اذا ما إتخذ هؤلاء موقفا مؤيداً وصريحاًلعدو آل سعود اللدود (دولة الخلافة) ؟ .

لقد ساد الحزن ـ مثلاً ـ جميع الأوساط الاسلامية (خاصة الشيعة) حين بلغهم خبر الانزال البريطاني في البصرة وسقوطها (٢١/١١/١٩١٤) ، فأرسل ابن جلوي لزعماء الشيعة ـ في القطيف ـ مهدداً ومتوعداً من إقامة مراسم عزاء وحداد بالمناسبة ، بل وزاد بأن فرض غرامات باهظة لدعم ما أسماه (قوات الامام وجيش التوحيد) ! .

أما نجد ، ففي المناطق الواقعة تحت حكم ابن الرشيد ، كانت هناك محاولة شبه يائسة لمساعدة دولة الخلافة بسبب تحرشات ابن سعود العسكرية ، أما في المناطق الخاضعة للحكم السعودي ، فانها لم تستنكف التعاون مع الانجليز ، ولم تعترض على موقف ابن سعود ، ولم تر أن الاسلام يهاجم ، بل شمت حكامها بدولة الخلافة ، وأعلنوا عن كامل استعدادهم لمساعدة بريطانيا التي يصفها

كبير الاستعماريين كوكس أنها (الدولة الوحيدة المحبة لرقي البشر على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم) ، كما كتب مرة لابن سعود .

وفي الوقت الذي مات فيه الناس كمداً وحزناً على سقوط البصرة ، كان ابن سعود يطيّر برقية تهنئة لبيرسي كوكس ، ثم يزورها برفقة المحتلين ، ويطّلع على المعدّات الحديثة ! .

وفي الوقت الذي كان فيه علماء العراق يحشدون العشائر وسكان المدن لقتال الإنجليز الزاحفين نحو بغداد .. كان إبن سعود يتوسط للانجليز في إستمالة فهد الهذال ، أكبر زعماء عنزة ، للإنجليز . ويطلب في نفس الوقت من شيخ المنتفق عجمي السعدون أن ينضمّ مع البقيّة في محاربة دولة الخلافة .

وفي الوقت الذي كان فيه ابن سعود لا يرى غضاضة من محاربة عموم المسلمين ، بتهمة الكفر والشرك ، ويصف الأتراك بأنهم في نظره أسوأ من الكفار ، كان لا يجد غضاضة ـ هو ومشايخه ـ من التعامل مع بريطانيا وتسلم المال والسلاح منها .

بماذا نفسر كل هذا ! .

على أقل التقديرات ، لا بد أن يقال أن المفاهيم لدى عموم مشايخ الوهابية كانت مقلوبة ، وإلّا بأي منطق يمرّ تعامل ابن سعود مع الانجليز دون إثارة ضجة أو اعتراض ؟! .

وكيف يسكت هؤلاء عن إقامة معاهدة مع بريطانيا تجعلهم وبلادهم خاضعين للنصارى دون أن ينبسوا ببنت شفة ؟ ! .

وهذا ماحدا بأحد الباحثين للقول مستغرباً[٥٠] :

« لم يصادف ابن سعود نفس تلك المشكلات حينما مال الى التعاون مع البريطانيين ، فإن ارتباط دولته بالحركة الوهابية جعلها منذ القدم خصماً تقليديا للدولة العثمانية ، وهي ترفض زعامتها الروحية رفضاً باتاً » .. ويضيف : « هل كانت هذه الملابسات تبرر لإبن سعود أن يضع بلاده مختاراً تحت الحماية البريطانية ؟ .. وكيف يثير إعلان التبعية للعثمانيين ضجة عند الوهابيين في عهد عبدالله الفيصل في القرن التاسع عشر ، بينما لا نكاد نسمع اعتراضاً واحداً على معاهدة دارين التي وضعت الدولة السعودية في مصاف إمارات الخليج الواقعة تحت الحماية البريطانية ؟ » .

وكان شكسبير قد أرسل ذات مرة الى حكومته رسالة مرضية ـ كما يقول نائب الملك في الهند ـ يقول فيها « ان ابن سعود قد أعدّ العدّة للقيام بغارة هائلة ضد ابن الرشيد والذي تفيد التقارير أن ضباطاً أتراكاً يرافقونه مع قواته »[٥١] .

وقدم شكسبير ضمانات الحماية والاعتراف والاستعداد لتوقيع معاهدة الى

ابن سعود وهي « مشروطة بتعاونه مع شيخي الكويت والمحمرة لاحتلال البصرة ، وإذا لم ينجح في ذلك فهي مشروطة بتدبير عملية منع المساعدات التركية من الوصول الى البصرة ، وبحماية أرواح الأوربيين وأملاكهم هناك »[٥٢] .

بعد هذا شرع الكابتن في إعداد المعاهدة بين بلاده وابن سعود ، فقدم ابن سعود عروضه ، وقدم الانجليز عروضهم ، وفي هذه الأثناء يقتل شكسبير في معركة جراب[٥٣] ، وفي الثاني من فبراير ١٩١٥م وافقت الخارجية على بنود المعاهدة ، ثم جاء كوكس الى دارين ليوقعها مع ابن سعود في السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩١٥م .

وما يهمنا من نصوص معاهدة دارين ، الإشارة الى أن أهم نصّ أراد إبن سعود أن يثبته فيها ، هو أن يعترف به حاكماً للحسا والقطيف والجبيل وتوابعها ! وهذا ما نصت عليه المادة الأولى : « تقرّ الحكومة البريطانية وتعترف بأن نجداً والحسا والقطيف وجبيل وملحقاتها وموانيها على شواطيء الخليج الفارسي ، هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبله وبناءً عليه تعترف بابن سعود المذكور كحاكم مستقل لها » .

ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة لنجد فهي موطن السعوديين ، أما الأحساء فإن اعتبارها ملكا لآبائه فيه مغالطة للتاريخ والواقع ، وهو ما اثبتناه في مواقع سابقة من هذا الكتاب .

وتضمنت المادة الأولى ايضاً أن يكون ورثة ابن سعود هم الحكام شرط أن لا يكون الشخص الوريث معادياً للحكومة البريطانية بحال من الأحوال .

وتعهدت بريطانيا في المادة الثانية بالدفاع عن ابن سعود ضد أية دولة أجنبية ، بحيث تحدد هي مقدار الدعم والعون والدفاع .

ونصت المادة الثالثة على أن تتولى الحكومة البريطانية شؤون ابن سعود الخارجية ، بحيث لا يعقد معاهدة ولا يراسل أي دولة إلّا بإذنها ، وأن يطلعها على ما يرد من مراسلات ، وأن يتعهد ابن سعود على وجه الاطلاق بأن لا يمنح ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا يتخلى عن الأراضي المذكورة أو أي جزء منها ، ولا يعطي امتيازات لرعايا دولة أجنبية دون موافقة بريطانيا ، وأن يتبع نصائحها في ذلك .

ونصت المادّة الرابعة على حفظ طرق الحج ، والخامسة على عدم الاعتداء على البحرين وقطر والكويت وساحل عمان[٥٤] .

وترتب على هذه المعاهدة بأن حصل إبن سعود ـ كما يقول ديكسون ، المعتمد السياسي في الكويت ـ على :

★ ألف بندقية لمحاربة إبن الرشيد والعجمان .

★ تسهيل إستيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين ، حتى يستطيع أن يفي بإحتياجات الحملة الموجّهة ضدّ العجمان [٥٥] .

كما تعهدت بريطانيا بأن تقدم له راتبا شهريا مقداره خمسة آلاف جنيه ، غير المعونات من الاسلحة ودفعات مالية كلما تطلب الموقف السياسي والعسكري ذلك . والطريف أن ابن سعود اعتبر هذه الأموال ـ تمويهاً على عوام النجديين ـ أنها جزية يدفعها المسيحيون للمسلمين ، وقد أشار أكثر من مسؤول بريطاني لهذه النقطة في الوثائق والكتب[٥٦] .

أما مبررات هذه المعاهدة ، فقد اعتاد السعوديون القول بأنها شرّ لا بدّ منه ، وأنه لولاها لاحتل الانجليز الأحساء والقطيف .. بل أرجعوا موقف ابن سعود المتطرف في حربه لدولة الخلافة بأنه كان يستهدف الحفاظ على الأحساء والقطيف ضمن ممالكه (المستقلة) ! .

يا له من مبرر ، ويا له من استقلال ![٥٧] .

ويلاحظ أن كل المعاهدات (تقريبا) عقدت بالقرب من ساحل الأحساء والقطيف ، خشية أن يطلع عليها النجديون ، ولقربها من مواقع الاستعمار البريطاني .. بيد أن أهم ما حققته هذه المعاهدة ، معاهدة دارين :

□ أنها وُقّعت في القطيف ، وهي أول معاهدة رسمية تحتوي نصوصاً واضحة ، يوقعها ابن سعود مع الانجليز .

□ وأنها أعطت الشرعية لاحتلال ابن سعود للمنطقة .

ومها تكن تبريرات الكتاب المتعاطفين ، من أن الانجليز لن يعترفوا باحتلال الأحساء والقطيف وسائر الساحل بدون المعاهدة ، وأن موقف ابن سعود بعد وقعة جراب وحروب العجمان لا يساعده على التصلب والعناد ، فإن هذه المعاهدة لا تشرّف السعوديين ، وكل التبريرات لم تقنع أقرب المقربين من إبن سعود (مستشاريه)[٥٨] .

ثورة العجمان في الأحساء

شُغل ابن سعود طيلة عامي ١٩١٥م ـ ١٩١٦ بقمع ثورة أشعلتها قبيلة العجمان التي تتخذ من بادية الأحساء مقراً لها ، وهي قبيلة قوية وصعبة المراس ، إعتاد البدو على إطلاق صفة (ألمان العرب) على أفرادها .

لم تكن هناك مشكلة بين ابن سعود وهذه القبيلة حتى احتل الأخير الأحساء ، وضرب نفوذهم وقضى على امتيازاتهم فيها ، وكانوا قد تضايقوا من خيانته لهم ، حينما أمرهم بالاتجاه شمالاً لمحاربة أعدائه حتى يقتنص الفرصة لاحتلال

الأحساء بعيداً عنهم .

ويرى ابن سعود أن التمرد العجماني كان بتحريض ابن الرشيد ، وهذا غير صحيح ، ولم يصدقه الانجليز حين قالوا : « ولكن يشك كثيراً في صحّة آرائه » . وشكّك شيخ الكويت أيضاً في كلام إتهام إبن سعود قائلاً بأن المشكلة بدأت يوم احتلال الاحساء .. « فقد بقيت تلك القبيلة على علاقة جيدة مع ابن سعود حتى ذلك الوقت ، وكانت تعترف به سيداً لها بصورة عامة . إلّا أن امتداد سلطانه المباشر الى الأحساء ، وهي المقر الرئيسي لها ، قد أساء الى ولائها له . وقد سعى لفرض ضرائب على كل فرد من أفرادها (ضرائب شخصية) ، ومنعها من استيفاء الرسوم على القوافل النجارية المارّة عبر أراضيها ـ لأنه قد فرض ضرائب باهظة على هذه القوافل ـ »[٥٩] .

وبدأ ابن سعود بالتعرض لقبيلة العجمان بعد ستة أشهر من معركة جراب التي شارك فيها أفراد القبيلة من دون اقتناع وببرود ، مما جعله ناقماً على خذلهم إياه وانسحابهم من المعركة ، ونهبهم معسكر ابن سعود نفسه[٦٠] . لذا أصبح حريصاً على كسر شوكتهم بأسرع وقت ..

قدم ابن سعود من الرياض في يونيو ١٩١٥ / شعبان ١٣٣٣هـ ، الى منطقة الأحساء ، وجنّد بعض قبائلها خاصة بني هاجر ، وحشد أربعة آلاف رجل ، بينهم (٥٠٠) جاؤوا معه من نجد ، ثم طارد القبيلة الثائرة حتى موقع يقال له « كنزان » الذي يقع على بعد ٢٠ ميلاً غرب الهفوف .

وقبل المعركة بقليل جرت مفاوضات بين الطرفين ، أقنعت ابن سعود بالعدول عن القتال ، غير أنه قبل يوم من توقيع الاتفاق المزمع ، أقنع (سعد بن عبد الرحمن) أخاه ابن سعود بأن يغدر بالعجمان ويهاجمهم ليلاً ويفاجئهم على حين غرّة ، غير أنهم تلقوا تحذيراً مسبقاً ، فاستعدوا للمعركة ، ولقي سعد عقاب الغدر ـ كما قال الكاتب البريطاني روبرت ليسي في كتابه/ المملكة ـ فقتل هو وعدد كبير من القوات السعودية ، حيث ذبحوا بلا رحمة بعد أن أصلوهم ناراً حامية . وقد أُصيب إبن سعود بجراحات بالغة ، فقد أصابته رصاصة في كتفه الأيسر ، بقيت حتى تاريخ توقيع معاهدة دارين في ١٩١٥/١١/٢٦م[٦١] .

ولحسن حظ ابن سعود أنه استطاع الفرار الى الهفوف طلباً للأمان ، ومعه عدد من الجنود يكفي بالكاد للدفاع عن البلدة ، تاركين بقية المدن والقرى تحت سيطرة المهاجمين .. وأصبح ابن سعود من الناحية العمليّة أسيراً في الهفوف حتى وصلته الامدادات البريطانية من البحرين والكويت .. حيث اعتبرت وقعة كنزان أكبر هزيمة تحلّ بعبد العزيز على الإطلاق[٦٢] .

وأوضح تقرير بريطاني ماهيّة الدعم الذي قُدّم لإبن سعود وهو محاصر في

الهفوف بقوله « خلال العمليات وهذا الصراع قمنا نحن بتسهيل شحن وتوريد الذخيرة لإبن سعود ، وفعلنا كل ما كان باستطاعتنا للجم شيخ أبوظبي ومنعه من دعم العجمان ، وقدمنا عن طريق البحرين ألف بندقية كما قدمنا له مبلغاً قدره عشرين ألف جنيه استرليني .. وفي هذه الأثناء لم يكن الأتراك قد يئسوا بعد من إستمالة ابن سعود لجانبهم ، فأرسلوا له في شهر يوليو ١٩١٥ مبعوثا ـ هو صالح الشريف الحسني ـ ، الذيَ اتصل به وعرض عقد اجتماع معه ، لكن طلبه رُفض »[٦٣] .

كان هذا الدعم قبل توقيع المعاهدة ، أما بعدها « فقد اصبح عنده الآن دعم دولة عظمى لتعزيز سلطته الداخلية ،إذ أرسل له البريطانيون ٣٠٠ بندقية تركية ، وعشرة آلاف روبية عام ١٩١٥ ، وألف بندقية اضافية و٢٠٠ ألف رصاصة ، وعشرين ألف جنيه استرليني عام ١٩١٩م ، وتمكن بهذه المساعدة من اخضاع العجمان وإعادة النظام في الأحساء »[٦٤] .

وأشار هاري جون فيلبي الذي خلف شكسبير في تمثيل بلاده لدى البلاط السعودي ، الى أن ما حصل عليه ابن سعود عام ١٩١٦ من السلاح فقط هو : « ٤ مدافع ميكانيكية ـ ١٠٠٠ بندقية عيار ٣٠٣ ـ ٢٠٠ بندقية أوتوماتيكية » هذا غير الذخيرة والمال[٦٥] .

أما المساعدات التي قدمت من الكويت ، فهي عبارة عن حملة قادها ابن الشيخ مبارك (سالم) من بضع مئات من المقاتلين ، ساهمت مساهمة فعّالة في فك الحصار عن ابن سعود الذي دام ستة أشهر .. وفي ذات الوقت أرسل مبارك امدادات بالذخيرة والسلاح بحراً ، وبعد وصول كل هذه الامدادات والمقاتلين تراجع العجمان .. ولم تمض الايام الأولى من شهر ذي الحجة ١٣٣٣هـ / أكتوبر سنة ١٩١٥ حتى كان العجمان يولّون الأدبار شمالاً وجنوباً ـ كما قال ابن سعود في رسالته لبيرسي كوكس في العاشر من أكتوبر ١٩١٥ ـ . وتمكن الحاكم السعودي في ٢٢/١٢/١٣٣٣هـ / الأول من نوفمبر ١٩١٥ من محاصرة القسم الذي توجه شمالاً من ثلاثة جوانب ، بمساعدة القوة الكويتية وبعض القبائل المؤيدة ، وذلك عند نقطة من ساحل البحر الى الشمال من القطيف[٦٦] .

ولاحق محمد بن عبدالرحمن ـ أخو ابن سعود ـ ومعه بعض بني خالد ، العجمان حتى اضطرهم الى اللجوء للكويت ، وبقوا هناك حتى أواخر العام ، أي حتى وفاة مبارك في ٢٩ نوفمبر ١٩١٥[٦٧] . وكان مبارك قد استقبل قيادات العجمان في العشرين من نوفمبر وقبل لجوءهم ، وعزم ابن سعود على مهاجمة مبارك والعجمان على حد سواء ، ولكنه تراجع حفاظاً على علاقاته مع بريطانيا ، واكتفى بإرسال رسول لحليفه في ٢٢/١١/١٩١٥ ، راجياً مبارك عدم التعامل

مع أعدائه ، ولكن الاتفاق بين مبارك والعجمان قد أبرم ولم يكن من الممكن التراجع عنه .

لم يكن أمام ابن سعود إلّا الشكوى من حليفه ووالده (مبارك) لدى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين في ٢٧/١١/١٩١٥م ، لكن المعتمد السياسي في الكويت ، أشار الى دعم مبارك لإبن سعود في حرب العجمان وأنه لولا ذلك الدعم ما استطاع هزيمتهم . قال : « على الرغم مما يبدو في عمل مبارك من قسوة تجاه ابن سعود ، إلّا أن الأخير كان سيصبح بدون مساعدة الكويت ، عاجزاً عن مواصلة عملياته الحربية بعد تلك الهزيمة التي تعرض لها ، كما أن الوعود التي قطعها العجمان لمبارك ، والمتضمنة تعهداً بالخضوع لسلطة ابن سعود ، تمثّل تنازلاً كبيراً من جانبهم »[٦٨] .

بعد وفاة مبارك ألحّ ابن سعود على ابنه وخليفته جابر بأن يطرد شيوخ العجمان من الكويت ، فجاء رد جابر معتدلاً ، ونصح ابن سعود بأن ينهي عداءه الشخصي معهم ، ذلك أن طردهم قد يجعلهم يلجأون ويدعمون ابن الرشيد وعجمي السعدون ، لكن ابن سعود ردّ بأنه لن يسامحهم وأصرّ على إخراجهم ، فاضطر الشيخ جابر الى طردهم في فبراير ١٩١٦ . وكما توقع جابر ، فقد طلبوا الحماية من (عجمي) ثم من ابن رشيد ، ولكنهم في مايو ١٩١٦ طلبوا من شيخ الزبير أن يوافق على إقامتهم قرب (صفوان) فوافق بناء على طلب الانجليز لمراقبتهم ، ثم ما لبث أن تعاون زعماء العجمان معهم ، حيث « قدّم عدد من كبار الشيوخ ولاءهم لنا .. ولم تكن رغبة ابن سعود الجامحة في توجيه كل طاقته لاستئصال جذور هذه القبيلة بالأمر الذي يمكن أن يلقى أي تعاطف منّا في هذه الفترة من الزمن »[٦٩] .

استمرت مشكلة العجمان طوال عهد جابر ، ثم تفاقمت في عهد سالم الصباح الذي زاد من هوّة خلافه مع ابن سعود ، الاختلاف المذهبي ، وفي تلك الأثناء كانت قبائل ابن سعود تهاجم قبيلة العجمان وتسلبها ، فيما يرد أتباع هذه الأخيرة بهجمات مماثلة .. وعقدت أكثر من هدنة كان مصيرها الفشل لحقد ابن سعود وإصراره على استئصال شأفة العجمان .

ولم يرضخ العجمان إلّا في عام ١٩١٩م ، حيث قسّمهم ابن سعود الى عشرين قسماً ، ووضع كل قسم في احدى هجر الأخوان ، وبهذا شتّت شمل القبيلة ومزقها الى الأبد ، وقضى على أكثر زعمائها وقتل الآلاف من أفرادها تشفيّاً منها لقتلها أخيه في كنزان ، وليس فقط لأنها متمردة عليه .

في هذه الأثناء لم يتوقف ابن سعود عن مشاركته ـ قدر ما تتيح الظروف الداخلية ـ في دعم انجلترا ضد دولة الخلافة ، وراح ينسّق مع الشريف حسين

حاكم مكة الذي انضمّ للتوّ الى القائمة المعادية لدولة الخلافة . وأبلغ ابن سعود الكابتن شكسبير « ان الخلافة من وجهة نظره ، يجب أن تعود الى آل الرسول ، والتي كان الشريف يمثلها ، إذا أفلتت تلك الخلافة من يد سلطان تركيا » .

وكتب ابن سعود للشريف في أغسطس ١٩١٦ بعد أن طرد الأخير الأتراك من مكة ، أنه مستعد أن يقدم له كل المساعدة ، وفي سبتمبر من نفس العام تلقى ابن سعود رسالة من علي حيدر ، الضابط العسكري التركي في الحجاز ، والمقيم في المدينة ، تبلغه بأن الشريف خان الاسلام وارتمى في أحضان الانجليز ، وقال لإبن سعود بأن السلطان مستعدّ لتعيينه شريفاً على مكة ، شرط أن ينضم للجهاد ، إلاّ أن ابن سعود عبّر في ردّه عن غضبه واستيائه الذي يكنه لعلي حيدر والأتراك[٧٠] .

ولقد شغلت ثورة العجمان ابن سعود عن مطاردة ابن رشيد الى حين ، وقام إبنه تركي بحملات فاشلة على حائل ، واعترف طبيب ابن سعود في أكتوبر ١٩١٦ في رسالة حملها من سيده للمعتمد البريطاني في البحرين بأنه ـ اي ابن سعود ـ لا يستطيع فعل أي شيء ضد قبائل شمّر ، طالما بقيت قبائل عجمان المتمردة عليه تطوّق جناحه ، وأنه لا يشعر بالأمان والسلام داخل مناطق حكمه .

وفي ربيع وصيف عام ١٩١٦ ، زادت مصاعب ابن سعود ، حيث شُغل بإخماد ثورة أخرى قامت بها قبائل « المرّة » التي تسكن بادية القطيف ، وكانت جذور هذه الثورة مرتبطة بما جرى للعجمان ، وقد أخذ أفراد القبيلة يهددون طرق المواصلات ، ويتعدون على الأهالي وممتلكاتهم .. وفي تلك الأثناء سارع ابن رشيد وقبائله للإتجاه شمالاً للاشتراك مع قوات دولة الخلافة ضد الانجليز الذين يزحفون شمالاً لاحتلال بغداد ، منتهزاً فرصة إنشغال ابن سعود باخماد ثورة قبيلة المرّة .

وفي سبتمبر ١٩١٦ كتب ابن سعود للسلطات البريطانية ، بأنه سيكون سعيداً بلقاء شخصي مع كبير المعتمدين السياسيين (المقيم كوكس) لمناقشة موضوع التعاون مع الشريف حسين للقيام بهجوم ضد ابن رشيد .. وعاد فكرر الطلب بالحاح في اكتوبر ١٩١٦م ، وإذ ذاك رأى كوكس أن يلتقي بابن سعود بعد حوالي ١١ شهراً من لقائه الأول .. وجاء اللقاء هذه المرة أيضاً على شاطىء الأحساء في (العقير) في الحادي عشر من نوفمبر ١٩١٦ ، وهناك شكا ابن سعود لصديقه كوكس المصاعب المالية التي تجتاحه وأشار الى خسائرة الكثيرة من الرجال والمعدات ، في حروبه مع العجمان ثم ضد آل مرّة . وأوضح أن الحصار والتجويع الذي فرض على تركيا وحلفائها قد أضرّ بالنجديين الذين يقيمون علاقات تجارية مع الشام .. وبعد ذلك ناقش الطرفان خططهما لحرب

ابن الرشيد ، والوسائل التي تمكنهما من تجهيز حملة قوية ضده[٧١] .

ويدعي حافظ وهبة أن كوكس حاول أن يغري ابن سعود بالحرب ضد الأتراك ، فقال له سأكفيكم أنا ابن رشيد ، وقد وافق كوكس على ذلك .. ويضيف وهبة : « ويقول المرحوم الملك عبدالعزيز ، إن كوكس قد أعطاني القمر بيد والشمس باليد الأخرى » ! .

وفي العقير عبّر ابن سعود لكوكس عن رغبته لزيارة قصيرة للشيخ جابر قبل أن يعود للرياض ، وقد أحبّ كوكس الفكرة وشجعها بمزيد من الود ، وحمله على ظهر السفينة البريطانية الذي أسعده ركوبها لأول مرة ، وأوصى كوكس بأن يُمنح ابن سعود وسام (K.C.I.E) أثناء الاجتماع الذي سيعقد في ١٩١٦/١١/٢٠ في الكويت ، والذي دعا كوكس لحضوره كلاً من شيخ المحمرة وشيخ الكويت وحوالي (١٠٠) شيخ قبيلة ، بمن فيهم فرعان من قبيلة شمر (أسلم ، والظفير) . وكان المؤتمر برئاسة كوكس ، حيث ألقى كلمة إفتتاحية ، أظهر فيها حسن نوايا بلاده تجاه العرب ، ورغبة بريطانيا في أن يستعيدوا مجدهم الغابر (!!) ، وأعلن عن استعدادها وحرصها على وحدتهم لصد أي اعتداء خارجي[٧٢] .

وقد أُلقيت خطب عديدة في المؤتمر كان أقساها وأشدّها على الترك خطبة ابن سعود ، فبعد خطاب كوكس ، ألقى خزعل خطاباً حماسياً مؤيداً لبريطانيا وتبعه ابن سعود حيث « ضرب على الوتر الرئيسي ، في خطاب كان عفوياً بقدر ما كان مفاجئاً . قال ان الأتراك وضعوا أنفسهم خارج الاسلام بسبب المظالم والجور الذي ارتكبوه ضد المسلمين الآخرين . ثم أظهر ابن سعود الفوارق بين سياسة الأتراك وسياسة بريطانيا العظمى ، مبيناً أن الأتراك كانوا يسعون الى إضعاف العرب عن طريق تأجيج الخلافات بينهم ، في حين تشجّع بريطانيا العظمى العرب على الاتحاد لما فيه مصلحتهم . وامتدح تصرف الشريف حسين (في ثورته ضد دولة الخلافة) مؤكداً على التزام كل العرب بالتعاون معه في دفع القضية العربية الى الامام ، وحين انتهى من خطابه الى خاتمته البليغة ، أقسم الزعماء الثلاثة : زعيم الكويت ، وزعيم المحمرة وابن سعود ، على أن يعملوا معنا يداً بيد من أجل تحقيق الهدف المشترك »[٧٣] .

ولم يخف ابن سعود مواقفه ومشاعره ضد دولة الخلافة أينما حل وارتحل ، وقد شهدت الوثائق البريطانية أنه « خلال حفلات الاستقبال التي أقيمت في الكويت ، برهن في كل كلماته وأقواله عن مدى استيعابه الكامل للمبدأ الذي يُسيّر علاقاتنا مع شبه الجزيرة العربية ، وقدم مثالاً على سياستنا الكريمة والسخية نحو القضية العربية حقيقة وهو كوننا على استعداد لتشجيع وفاق بينه

وبين ابن الرشيد إذا تخلى الأخير عن مواقف العداء التي يظهرها حاليا ـ تجاه بريطانيا ـ »[٧٤] .

واشار حافظ وهبة ـ مستشار ابن سعود وأول سفير له في لندن فيما بعد ـ الى أن ابن سعود كان بعد المؤتمر شديد التهجم على الأتراك ، في أن عواطف الكويتيين والمسلمين معهم ، مما أسخطهم وخرجوا غاضبين .. يقول في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) : « عندما زار عبدالعزيز الكويت في سنة ١٩١٦م / ١٣٣٥هـ ، واجتمع كبار أهل الكويت لتحية الأمير ، كان كل حديثه أو خطابه تشديد النكير عى الأتراك والحطّ من شأنهم ، واتهامهم بما أصاب الاسلام من ضعف ، وتأييدهم لكل بدعة ، ثم ختم حديثه بأنه لو كان في بدنه قطرة من دم تميل الى الأتراك لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه .. » . فما كان من أهل الكويت إلّا أن « استاؤوا من تصريحاته هذه ، لأنهم ككثير من المسلمين في ذلك الوقت كانت عواطفهم مع الأتراك والالمان ، وكان الألمان منتصرين على الحلفاء في جميع الميادين ، ولقد انصرف أعيان الكويت من مجلس ابن سعود غير راضين عن خطابه »[٧٥] .

ويعلق كشك مبرراً سبب ميول النجديين وآل سعود لبريطانيا خلافاً للغالبية العظمى من المسلمين بقوله : « ان الشعور في نجد كان مختلفا .. فالمناطق التي كانت ترزح تحت الاحتلال البريطاني مثل مصر والكويت كانت كراهيتها منصبة على الانجليز ، وعواطفهم مع عدو عدوي .. أما نجد فلم تر انجليزيا ، والعدو التاريخي والحالي المستقر في الأذهان هم الترك . والنجديون واليمنيون هم أحدث العرب عهداً بمقاتلة الترك عشية الحرب العالمية[٧٦] .. ومع حركة البعث الوهابية ، كان الاعلام الديني السعودي يركز بالطبع على خطايا الحكم العثماني »[٧٧] .

وقبل أن ينفضّ مؤتمر الكويت حدثت تظاهرة ، الأولى بطلها ابن سعود وحده ، والثانية بطلاها (جابر شيخ الكويت ـ وابن سعود زعيم الوهابيين) . التظاهرة الأولى كانت حينما قدّم ابن سعود بصورة تظاهرية ٧٠٠ جمل لدعم القوات البريطانية ، استولى عليها من تاجر دمشقي يدعى محمد توفيق بن فرعون ، كانت الدولة العثمانية قد أرسلته ـ هكذا يقول الانجليز ـ لشراء الجمال لحسابهم . وتقول وثائق الانجليز أن ابن فرعون « صديق شخصي لإبن سعود . وكان قد زار نجد لنفس الغرض ـ شراء الجمال ـ في العام السابق . لكن في هذه المرة ضغطنا على الأمير بإلحاح ليمنعه من الحصول على الجمال . وبناء على ذلك ، قام إبن سعود بإعتقال ابن فرعون ، وصادر ٧٠٠ جملاً كان قد اشتراها من الداخل ، وأرسلها الى الكويت »[٧٨] .

وكانت للرعايا النجديين معاملات تجارية قوية مع سورية « والقبائل ـ في الجزيرة العربية ـ إعتادت أن تبيع جمالها لتجار دمشق ، ولهذا فإن الحصار الذي فرضه ابن سعود (ضد الأتراك) ـ حيث جاءت مصادرة جمال إبن فرعون شاهداً على حقيقته ـ أصبح مصدر سخط متزايد . فالنجديون يتذمّرون ، والقبائل قلقة مضطربة ، والكل يسأل : أين تكمن الفائدة من مواقف زعيمهم »[٧٩] . وجاء وصول الجمال المنهوبة أو المصادرة الى المسؤولين الانجليز في الكويت ، وكلها موسومة بوشم ذلك التاجر المعروف ، ليعطي تجمّع الشيوخ خاتمة درامية واكتمالاً عظيم الأثر[٨٠] ! .

التظاهرة الثانية ، أقامها الانجليز حينما قلّد كوكس ابن سعود والشيخ جابر وشاح نجمة الهند ! ، وما لبث أن أبرق الشريف حسين للمؤتمرين مباركاً للمؤتمرين حماسهم وغيرتهم على القضية العربية ، وليعرب في برقيته عن أسفه لأنه لم يتوفر له الوقت الكافي لإرسال ممثل عنه للكويت .

ولقد أعطى تجمّع الكويت ، وزيارة ابن سعود للبصرة بعدئذ ، أعطى قوّة للانجليز ، بل جعلهم في موقع فريد في قوته ـ كما يعترفون ـ . أما النتائج الفورية للإجتماع فهي :

« أولاً : وافق الجميع على حجم وطبيعة حصّة ابن سعود من أيّة أعمال عسكرية ضد ابن رشيد ، وقد تعهّد ابن سعود بوضع ٤٠٠٠ رجل تحت السلاح في حال استعداد دائم . فإذا تحرّك ابن رشيد بقواته باتجاه العراق ، يتحرك ابن سعود شمالاً أيضاً وبخط مواز له باتجاه الزبير ، وهناك ينضمّ للقبائل الصديقة ـ لبريطانيا ـ والى فصيل عسكري من الكويت . وقد أعلم ابن سعود الشيوخ الأصدقاء أنه سيساعدهم ويؤيدهم إذا هددّهم ابن رشيد ، وسيشن عليه هجوماً بقوات كبيرة . أما إذا بقي ابن رشيد في حائل فإنه سيضايقه ويهاجمه كلما سنحت له الفرصة . (ومقابل هذا) ونظراً للضائقة المالية التي عانى منها خلال العامين الماضيين ، منحت بريطانيا ابن سعود ٣٠٠٠ بندقية مع ذخيرتها ، إضافة الى أربعة مدافع رشاشة ، كما مُنح راتب دعم مقداره خمسة آلاف جنيه شهرياً ، ليغطّي نفقات الإبقاء على رجاله في ساحة المعركة » .

« ثانياً : كتب ابن سعود رسالة بإسم الزعماء الثلاثة الى عجمي السعدون ، يبيّن له فيها مدى الأذى والضرر الذي يلحقه بالقضية العربية نتيجة مواقفه الحالية ، ويدعوه الى الدخول في حوار معهم ، ويعده بدراسة وجهات نظره دراسة ودّية ، كما ويعرض عليه إعلان خضوعه ـ للإنجليز ـ باسلوب كريم مشرف »[٨١] .

ومن نتائج مؤتمر الكويت أن مشكلة العجمان قد حلّت أثناء الحرب ، وتم

الاتفاق على هدنة باشراف بريطانيا ، أثناء وجود ابن سعود في البصرة بعد انفضاض مؤتمر الكويت مباشرة في أواخر نوفمبر ١٩١٦ ، وقد وضع الانجليز مسودة التعليمات التي تحدد مواقع شيوخ العجمان . ولما وصل كوكس في نفس الفترة الى البصرة استدعى قادة العجمان الذين كانوا بالغي القلق والخوف من ظهور ابن سعود قربهم ، معتقدين بأن ذلك سيسبب لهم الشر والأذى ، لكن الرؤساء الكبار للعجمان التقوا بكوكس في الزبير ، وقبلوا ببنود الهدنة المقترحة . ومقابل ذلك وعدوا بعلاوة شهرية بحيث يكون الراتب مقارباً للراتب الذي يتلقاه شيوخ قبيلة الشامية . على أنه كان بعض الشيوخ من العجمان معترضين ، ومن بينهم أثنان كانا لايزالان مع عجمي السعدون ، ولم يكن الذين قابلوا كوكس واثقين من أن البقية ستنضم الى (الركب) بمجرد أن يسمعوا بالخبر السعيد ![٨٢] .

وكان ابن سعود قد توجه للبصرة المحتلة بعد الكويت ماراً بالمحمرة ، وقد وصلها مع الشيخ خزعل مساء ١٩١٦/١١/٢٦م ، وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ، قام كبير الضباط السياسيين ، يرافقه ممثلان عسكريان كبيران للقائد العام لقوات جيش العراق بزيارة اليخت . وهناك قُدّمت هدية لإبن سعود عبارة عن سيف تكريمي ، وأُلقيت كلمة ترحيب من قائد الجيش ، وأمضى ابن سعود طيلة يوم ١٩١٦/١١/٢٧ في اطلاع على معسكرات القاعدة ونظامها ، وآخر آلات الحرب والقتال بما فيها الطائرات التي أظهر اهتماماً شديداً بها[٨٣] .

في البصرة التقى ابن سعود مع ضاري بن طواله ، وحمود السويط (شيخا أسلم والظفير) وعدداً من وجهاء السنّة في البصرة ، كما التقى بالشيخ إبراهيم شيخ الزبير ، وفي تلك اللقاءات حثّ إبن سعود الملتقين به على دعم بريطانيا ، والعمل على كسب شيوخ القبائل الآخرين الى جانبها .. وقد كتب ابن سعود بنفسه رسالة الى فهد الهذّال ـ شيخ عنزة ـ تعلمه بلقاء الكويت وتدعوه للانضمام الى جامعة الزعماء العرب لطرد الأتراك . وكان كوكس قد تدخّل بنفسه وطلب من الأمير السعودي أن يعمل على كسب فهد الهذّال الى جانب الحلفاء ، وأن يجمعه به ، ونجح إبن سعود بمساعدة الشيخ خزعل أن يقنع فهد الهذّال بالأمر . ولكون هذا العمل مهم للغاية لأن قبيلة عنزة تسيطر على الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق ، فقد قررت حكومة الهند أن تصرف لإبن سعود مرتباً سنوياً يصل الى ١٠٠ ألف جنيه[٨٤] .

سعى الانجليز في بدايات عام ١٩١٧م لاحتواء ابن رشيد ـ على غرار ما فعلوا مع القبائل الأخرى ـ ، فكتب ابن سعود رسالة إليه في ٢٢ رجب ١٣٣٥هـ / ١٥ مايو ١٩١٧ م عارضاً فيها شروطه للسلام ، التي لم يكن بينها

شيء يتعلق باستعادة أرض أو ما شابه ، وانما رُبطت كلها بالولاء لبريطانيا وحلفائها العرب .. قال ابن سعود :

« ان السلام يمكن أن يتحقق بثلاثة شروط :

١ / أن تقطع كل صلة لك بتلك الحكومة الوضيعة التي سببت الخسارة لديننا ودنيانا ، وأعني بها الحكومة التركية التي لم تترك إثماً لم ترتكبه .

٢ / أن تصبح صديقاً مع الحكومة التي نحن حلفاء لها ـ يقصد الحكومة البريطانية ـ وإخوانك العرب ونحن متعاهدون على توحيد العرب .

٣ / أن تكون صديقاً للشريف وتساعده ، فأي عربي لا يساعده يجب أن نتجنبه ، لأن الشريف هو عضو في تحالفنا » .

رد ابن رشيد الذي كان مخلصاً في ولائه لدولة الخلافة ، باختصار شديد ، وذلك في ٢٨ رجب ١٣٣٥هـ ـ ٢١ مايو ١٩١٧م قائلاً :

« لقد تلقيت رسالتك .. وفهمت ما بها ، ان الشروط التي ذكرتها غير مقبولة ، لا لصالح ديننا ولا دنيانا . ولذا فالأمر على ما هو عليه »[٨٥] .

ولما أعيت بريطانيا الحيلة في إحتواء قبيلة شمّر ، لم يكن أمامها إلّا تمويل حملة عسكرية ضدّها في عام ١٩١٨م .

وحين طلب الانجليز من ابن سعود القيام بالمهمة . طلب أربعة مدافع ميدان وعشرة آلاف بندقية ، وذخيرة كافية ، وعشرين ألف جنيه كدفعة عاجلة لشراء الطعام وجمال للركوب ، إضافة الى خمسين ألف جنيه كمرتب شهري لعشرة آلاف رجل .

واضاف ابن سعود الى طلباته الكثيرة هذه ، طلباً آخر وهو تقليم أظافر قبيلة العجمان القاطنة جنوب العراق ، واجبارها على الخضوع له .. وقد تمّ ذلك له ، حيث إنصاعت القبيلة للأوامر الانجليزية في بداية العام التالي ١٩١٩ .

وافق الانجليز على الطلبات وأرسلوا له بعثة تحمل صناديق الذهب والسلاح بقيادة (جون فيلبي) .. إلّا أن (الأخوان) وهم جيش ابن سعود ، والذين بدأ دورهم العسكري بالتصاعد السريع ، رفضوا القيام بحملة على رأسها مسئول بريطاني ومموّلة بشكل فاضح من قبل الإنجليز .. وطالبوا بمحاربة الشريف حسين (حليف بريطانيا) .

رفض عبد العزيز الطلب ، وحاول تقديم التبريرات حول قبوله المساعدات من (الكفار) ، ثم مالبث أن استصدر فتوى من العلماء .. فجاء علماء الوشم وأفتوا أن ابن الرشيد هو العدو ، وعندها أجهش الأخوان بالبكاء ، واستغفروا الله على (شكّهم !) في الامام ابن سعود .

وانطلقت الحملة العسكرية بقيادة ابن سعود وفيلبي لحصار حائل عام

١٩١٨ ، ولكنها فشلت بسبب عدم قناعة (الأخوان) بالقتال ، إذ يشير فيلبي نفسه الى ذلك بقوله : « كان الشعور في أوساط الأخوان ، أن تعاون عبدالعزيز مع بريطانيا يحيد به عن طريق الاسلام »[٨٦] .

هوامش

(١) جمال زكريا قاسم ، الجزء الثاني / ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧

(٢) كيلي / المصدر السابق / ص ١٦٨ ـ ١٦٩

(٣) راجع كتاب معركة الجهراء للدكتور بدر الدين عباس الخصوصي / منشورات السلاسل ـ الكويت

(٤) جمال زكريا قاسم ، الجزء الثاني / مصدر سابق / ص ٤

(٥) التيارات السياسية / العقاد / ص ٢٢٢

(٦) المصدر السابق / ص ٢٢٢

(٧) من المقيم في بوشهر ، الى سكرتير حكومة الهند .. تقرير مطول أرسل برقيا في (١٩١٤/٨/٢٠) . انظر (FO.371–2124)

(٨) بل نفعت فمنها انطلقت القوات البريطانية بعد تحشّدها باتجاه البصرة لإحتلالها .

(٩) الوثيقة السابقة

(١٠) الوثيقة السابقة ، وانظر كشك / مصدر سابق / ص ٣٨٦

(١١) انظر نص الوثيقة وصورة منها في كتاب خالد السعدون / مصدر سابق / ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، برقية مرسلة من القسطنطينية الى خارجية لندن في ١٩١٤/٩/١

(١٢) وثيقة وزارة المستعمرات1914 NO.C–41 OF O.R, R/15/5/25.اوانظر السعدون ، مصدر سابق / ص ٣٣٦

(١٣) السعدون ، مصدر سابق / ص ٣٣٥

(١٤) الوثيقة (E 57141) تاريخ ١٩١٤/١٠/٨ رسالة من وزارة شؤون الهند الى الكابتن شكسبير في ١٩١٤/١٠/٥

وانظر (E 35392) FO. 371 / 3044

مؤرخة في الرابع عشر من فبراير ١٩١٧ ،وقد أبلغت وزارة الخارجية المقيم السياسي في بوشهر في برقية في ١٩١٤/١٠/١٩ موضحة المهمة المكلف بها شكسبير المبينة أعلاه . وانظر السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٥٤

(١٥) برقية من المعتمد السياسي في الكويت الى المقيم السياسي في بوشهر بتاريخ ١٩١٤/١٠/٢١ . وانظر السعدون / ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(١٦) المصدر السابق

(١٧) خالد السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٥٨ ـ ١٥٩ رسالة من ابن سعود لمبارك في ١٩١٤/١١/١٦

(١٨) (E 35392)FO. 371 / 3044

(١٩) قيام العرش السعودي ، ناصر الفرج / ص ٥٤

(٢٠) المصدر السابق

(٢١) انظر الوثيقة FO. 371 / 2479 رسالة من ابن سعود الى شكسبير في ٤ ذي الحجة (٢٤ اكتوبر ١٩١٤)
(٢٢) الامام هو ابن سعود ، وكان قد تبنى للتو حركة الأخوان ، فأصبح اماماً لها وبدأ تلقيبه بـ (الامام) منذ ذلك الحين وانتهى بانتهاء الحركة .
(٢٣) الوثيقة السابقة
(٢٤) الوثيقة FO. 371 / 2479 وانظر ، ناصر الفرج / مصدر سابق / ص ٥٤ ـ ٥٥ وأيضا / ص ٤٥
(٢٥) الوثيقة FO. 371 / 2479 رسالة من شكسبير لعبد الله بن جلوي في ٨ نوفمبر ١٩١٤م
(٢٦) FO. 371 / 2479 من الكابتن شكسبير الى الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في ١٩ ذي الحجة ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٤/١١/٨ . وانظر ناصر الفرج / مصدر سابق / ص ٥٥
(٢٧) أبدى مبارك استعداده للعون حين طلب منه ، فقال في رسالة للمعتمد في الكويت : « واني يا محبكم معكم ويتبعني جميع العشاير الذي (الذين) جنابكم رايتموهم ، وبكل اجتهادنا رجالنا وسفائننا تحت امركم » .. وقد أصبحت الكويت تمثل خط الدفاع الأول عن القوات البريطانية وتحميها من الخلف ـ كما أصبحت مركز تموين وتخزين للقوات الزاحفة لاحتلال العراق . وهذا الانحياز أدى الى اشتعال ثورة اسلامية وطنية ضد الشيخ أواخر ١٩١٤ كادت أن تطيح به ، بسبب العواطف الاسلامية لدى الكويتيين تجاه دولة الخلافة . وكان يغذي هذه العواطف رجال الدين الذين حكموا على كل من يدعم الانجليز بأنه مرتد عن الاسلام ، وحدث ذات الأمر للشيخ خزعل ، فقد أعلن استعداده لمساعدة الانجليز الى أقصى حد . وكتب له كوكس في ١٩١٤/١١/٢١ بأن الحكومة « امرتني أن أبلغ سعادتكم شكرها بولائكم ولعرضكم المساعدة ، وعليكم بعد ذلك أن تحاولوا بالتعاون مع صديقنا السير مبارك الصباح حاكم الكويت والأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، الهجوم على البصرة وتحريرها من العثمانيين ، فإذا كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم أن تجدوا الترتيبات للحيلولة دون وصول الامدادات التركية الى البصرة أو القرنة ، الى أن يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم في أقرب وقت ان شاء الله .. واني لأرجو كذلك أن تصل سفينتان من سفننا الحربية الى البصرة قبل وصول جنودكم اليها ، ومع أن هدفكم الأول سيكون تحرير البصرة ، إلّا اننا نرجوا أن تبذلوا كل ما لديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين في البصرة ، وأن تحمي الأوروبيين المقيمين فيها ، وتؤمنهم ضد اي خسارة واضطهاد » ! .

وثارت الثائرة على خزعل من قبل الشيعة وحاولوا الاطاحة به لولا الدعم البريطاني ، وعرفت الثورة تاريخياً باسم ثورة (السادة) ، وحاول مبارك مساعدته بالجنود فرفض الكويتيون وثاروا عليه ! .
(٢٨) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٠
(٢٩) كشك ـ مصدر سابق / ص ٢٤٦
(٣٠) ناصر الفرج ـ مصدر سابق / ص ٤٥
(٣١) FO. 371 / 2479
(٣٢) من تقرير لشكسبير في ١٩١٥/١/٤
(٣٣) FO. 371 / 2479 تقرير شكسبير عن لقائه مع ابن سعود في ١٩١٥/١/٤ . وانظر كشك ـ مصدر سابق / ص ٤٦٢ .

جاء في وثيقة بريطانية أن إبن سعود قال لشكسبير : « أنه ما يزال يعتقل أربعة مبعوثين أرسلهم الأتراك لحثه على الانضمام لابن رشيد في الجهاد ضدنا ، ولكن بعد استشارة الكابتن شكسبير ، أطلق سراح البعثة لتنقل ردّه ... وفي ١٩١٥/١/١٧ وصل رسول من مكة يحمل رسالة من ابن الشريف حسين (عبد الله) يقول فيها إنه قد طُلب من الشريف إعلان الجهاد ، وأنه ما يزال يطيل الأخذ والرد والمماطلة كسباً للوقت الى أن يعرف في أيّ اتجاه سيتجهه ابن سعود . رد ابن سعود بأنه لا يرى فائدة للعرب يجنونها من الانضمام الى الحكومة العثمانية ، وانه هو شخصياً قد طرد وفداً تركياً ... » . انظر (FO.371/3044(E 35392
(٣٤) (FO.371/3044(E 35392
وثيقة مؤرخة في ١٩١٧/٢/١٤ .
(٣٥) الوثيقة FO. 371/ 2446 .
(٣٦) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ١٩ ـ ٢٠

(٣٧) خالد السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٦٠
(٣٨) FO. 371 / 2479 رسالة ابن سعود للمقيم كوكس في ٩ محرم ١٣٣٣ هـ /٢٨ نوفمبر ١٩١٤
(٣٩) (E 5353) في ١٥ يناير ١٩١٥ . هناك تعليق على الوثيقة يقول : « من الواضح الجلي أن ابن سعود قد انصاع لنا .. ونحن محظوظون في أننا استطعنا استخدامه ضد ابن الرشيد ، باعتباره ساعداً من سواعد الأتراك » .
(٤٠) انظر مقتطفات من تقرير شكسبير المؤرخ في ١٩١٥/١/٤ في كتاب السعوديون والحل الاسلامي / ص ٣٧٤ و ص ٤٦١ . وانظر السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٦٢
(٤١) دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ـ د. مصطفى عبدالقادر النجار / ص ٧ ، يذكر سليمان فيضي أحد اقطاب الحركة العربية في كتابه (في غمرة النضال) / ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ، أنه التقى ولورنس في البصرة في ١٩١٦/٤/٧ في مكتب مور من دائرة الاستخبارات العسكرية ، وقال فيضي أنه رفض أن يقوم بثورة ضد الأتراك ، مما أدهش لورنس حينما قال للأخير : « انني شخصياً لست أرى مبرراً الى الانتقام من الترك . أما نضالنا في السر والعلن ضد الحكومة العثمانية ، فكان في نطاق الشؤون الداخلية ، ولغرض الحصول على بعض الحقوق المشروعة التي كانت الحكومة قد أنكرتها على الشعوب العربية وللمطالبة بالاصلاح الداخلي » .
(٤٢) جمال زكريا ـ الجزء الثاني / ص ٦
(٤٣) المصدر السابق / ص ٣
(٤٤) المصدر السابق / ص ٥
(٤٥) كشك ـ مصدر سابق / ص ٣٨٦
(٤٦) العقاد ـ مصدر سابق / ص ٢٢٤ ، لمزيد من التفاصيل عن العصيان الكويتي راجع كتاب عبدالعزيز الرشيد (تاريخ الكويت) ، وكتاب الشيخ خزعل (تاريخ الكويت السياسي) .
(٤٧) جمال زكريا ـ الجزء الثاني / ص ١٢
(٤٨) المصدر السابق / ص ٢٠٢
(٤٩) فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٦٧
(٥٠) العقاد ـ مصدر سابق / ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . وانظر أيضا جمال زكريا قاسم ـ مصدر سابق / ص ١٨ ـ ١٩ الذي اشر ايضا الى أن ابن رشيد صارح ابن سعود بأنه « من رجال الدولة المخلصين ، يحارب اذا حاربت ، ويصالح اذا صالحت » .
(٥١) برقية من نائب الملك في الهند مؤرخة في ١٩١٥/١/١٣م
(٥٢) ((FO. 2479 E 9973 وثيقة مؤرخة في ١٩١٥/١/٢٧م . وانظر قيام العرش السعودي ، ناصر الفرج / ص ٣٦ .

وفي ١٩١٥/١/٢٦ ابرق كوكس يقول أن معاهدة مؤرخة في ١٩١٤/٥/١٥ بين تركيا وابن سعود ، قد وجدت بين الملفات والوثائق التركية التي استولت عليها القوات البريطانية بعد احتلال البصرة ، وقد قام كوكس نفسه بترجمتها من العربية الى الانجليزية ، وعلق البريطانيون على شرط مساعدة ابن سعود لتركيا أثناء الحرب بقولهم : « يبدو أن دخول تركيا في حرب ضد دولة صديقة لابن سعود ـ المقصود بريطانيا !! ـ ودون أي مبرر أو استفزاز(!!!) ، سيكون مبرراً كافياً لعدم التزامه بهذه المعاهدة ، ومحاولته الدخول في معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية » !! .

(٥٣) انطلق شكسبير مع قوات ابن سعود لمقابلة ابن رشيد ، وكان يركب جملاً الى جانب الأمير السعودي ، وفي المساء طلب الأخير من الكابتن أن يغادر خوفاً على حياته ، لكنه أصرّ على البقاء وكتب الى كبيرة الاستعماريين غيرترود بل في العراق : « لن تكون مفاجأة لي اذا وصلت الى حائل خلال الشهر القادم (فبراير) أو نحو ذلك كمستشار سياسي لابن سعود » .

وتقول احدى الروايات أن ابن سعود رجا صديقه المسيحي أن يرتدي على الأقل ملابس عربية ولكنه رفض ذلك ، وارتدى زيّه العسكري الخاكي البريطاني في صبيحة ١٩١٥/١/٢٤ وركب جمله الى ميدان المعركة (جراب) ، وشارك في ادارة المدافع ضد آل الرشيد ، وراح يرقب العدو لآل سعود بمنظاره ، حتى دهموه ومزقوه بالرصاص ، وحمل آل الرشيد خوذته الشمسية وسلّموها للاتراك فعلقوها أمام أحد ابواب المدينة المنورة

كإثبات على أن ابن سعود يتعاون مع الكفار . وفيما بعد حينما سئل ابن سعود عن أروع رجل ـ غير مسلم ـ تعرّف عليه ، فأجاب بلا تردد : شكسبير . واستغرب (أبوحنيك) الكابتن غلوب باشا من اطلاع ابن سعود الكبير على الأدب الانجليزي ، متصوراً أن ابن سعود يقصد (وليم شكسبير) ولكن اتضح له أن الأمير انما يقصد الصديق العزيز (المرحوم !) الكابتن شكسبير . انظر كتاب المملكة ـ مصدر سابق / ص ٨٠ ـ ٨١ .
وعلق تقرير بريطاني على نتائج معركةجراب (وثيقة رقم (E 35392)FO. 371/3044 ومؤرخة في ١٩١٧/٢/١٤ بالقول : ان ابن سعود « وان لم يكن قد وجّه ضربة مؤلمة ومدمرة لابن رشيد ، فقد استطاع على الأقل إخراجه من المعركة وتعطليه ومنعه من الانضمام الى الاتراك ، كما كان سيفعل حتما لو انتصر . ربما يكون اشتراك ابن رشيد في الحرب في المراحل الأولى من حملة العراق قد زاد من مصاعبنا الى حد كبير ، ومع ذلك فإن موت شكسبير كان ثمناً باهظاً دفعناه مقابل شلّ قوات ابن رشيد » .
(٥٤) انظر نصوص المعاهدة في كتاب كشك ـ السعوديون والحل الاسلامي / ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧
(٥٥) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٠ . وتجدر الاشارة الى أن ابن سعود وأثناء توقيع المعاهدة ، اكد لكوكس حرصه الشديد على المصالح البريطانية ، وأن الولاة الذين يعيّنون في القطيف والهفوف لديهم تعليمات مشدّدة برعاية هذه المصالح / ص ٢٤ .
(٥٦) قال المؤرخ والمستشرق الروسي فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٤١ : (أن ابن سعود ابان الحرب العالمية الأولى وافق على الحماية البريطانية ، واستلم معونات شهرية ، وادعى بأن ذلك مجرد جزية كالتي كان المسيحيون يدفعونها للخلفاء الأوائل) ! .
(٥٧) اعتبر كشك المعاهدة المخزية هذه انها « ثمرة الاستراتيجية السعودية ، في فرض التحالف فرضاً على بريطانيا »مشيراً الى أن ابن سعود كان يطاردها منذ دخوله الرياض وحتى الحرب العامة من أجل توقيعها . في حين نعتها فؤاد حمزة (مستشار ابن سعود) بأنها « معاهدة جائرة » . وقال الزركلي عنها انها : « على غرار المعاهدات التي كان الانجليز يعقدونها مع امارات الخليج » .
(٥٨) يدّعي حافظ وهبة أن كوكس قال في القاهرة سنة ١٩١٨ : « ان ابن سعود يعرف جيداً أن الاحساء والقطيف ، وهما خير ممتلكاته تصبحان تحت رحمتنا ، إذا ما رسم لنفسه سياسة معارضة لمصالحنا ، فضلاً عن أن نجداً نفسها تستورد جميع حاجياتها من موانئنا » ، وموانيء الانجليز المقصودة هي (البحرين والكويت) ! .
(٥٩) (E 35392)FO. 371/3044 مؤرخة في ١٩١٧/٢/١٤
(٦٠) خالد السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٧٢ ، وانظر كتاب المملكة / ص ٨٦ ـ ٨٧
(٦١) ليسي ـ مصدر سابق / ص ٨٧ ، والسعدون ـ مصدر سابق / ص ١٧٣ .
(٦٢) انظر الوثيقة السابقة(E 35392)FO.371/3044 .. وافتخر الشاعر العجماني (نغيمش) بالانتصار الكاسح فقال :

ليل على ابن سعود يا ليل الندم ... ذبح الأصائل والعمار الغالية
اخوك ياعزيّز من الموت انكتم ... وراك تهرب منه وانت اتخايله
صابك وصاب أخوك من الموت السهم ... بالليل الأظلم .. ليتنا بالقايله !
عقب التدنجر ما تفكّون اللزم ... وارقابكم من ضرب الأيدي مايله

(٦٣) الوثيقة السابقة
(٦٤) ليسي ـ مصدر سابق / ص ٨٨
(٦٥) كشك ـ مصدر سابق / ص ٤٢٨
(٦٦) السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٧٥
(٦٧) المصدر السابق وانظر الوثيقة « (E 35392)FO. 371/3044 »
(٦٨) السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٧٧
(٦٩) الوثيقة السابقة ـ وانظر السعدون / ص ١٨٦ ـ ١٨٧
(٧٠) الوثيقة السابقة (FO. 371/3044)
(٧١) الوثيقة السابقة . وانظر جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٣ ـ ٣٤ ، وانظر أيضا الوثيقة رقم

FO. 371/2769رسالة من كوكس لحكومة الهند في ١٩١٦/١١/٢١ .

(٧٢) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٤ ـ ٣٥ . وانظر الوثيقة (FO. 371/2769)

(٧٣) انظر الوثيقة FO. 371/3044 وايضا الوثيقة (FO. 371/2769) وتجد في الأخيرة برقية موجهة من كوكس في ٢١ نوفمبر ١٩١٦ حول ذلك الاجتماع ، وقال فيها بالنص : أن الشيوخ الثلاثة اقسموا على العمل من أجلنا لتحقيق الهدف المشترك .

وتحوي برقية كوكس مقتطفات من خطاب ابن سعود الذي القاه مساء ٢٠ نوفمبر ١٩١٦ . وانظر ايضا ـ جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٤ ـ ٣٥ . وكشك ـ مصدر سابق / ص ٤٦١ ، وايضا فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٦٣ .

(٧٤) الوثيقة رقم (FO. 371/3044) ، مؤرخة في ١٩١٧/٢/١٤ .

(٧٥) انظر ايضاً ، كشك ـ مصدر سابق / ص ٤٦١ . وجمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٥ .

(٧٦) ولكن الامام يحيى لم يقف مع الانجليز مثل ابن سعود ؟

(٧٧) كشك ـ مصدر سابق /ص ٤٦١

(٧٨) الوثيقة (FO. 371/3044) تاريخ ١٩١٧/٢/١٤

(٧٩) (٨٠) (٨١) المصدر السابق . وانظر فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٦٣ ، وانظر ايضا (FO. 371/2769) رسالة من كوكس لحكومة الهند قي ١٩١٦/١١/٢٦ .

لم نحصل على نص رسالة ابن سعود لعجمي السعدون . ولكن نستطيع أن نتنبّا بمحتواها من خلال جواب عجمي على ابن سعود والذي نشرته غروترد بل (الشهيرة بمس بل ، أو الخاتونة !) في كتابها « فصول من تاريخ العراق القريب »والذي نصه : « أخي المبجل ، من المعلوم جيداً عندي بدرجة لا يتطرق اليها الشك ، أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة اللهالعليّ العظيم ، ولاعلاء اسم العرب باظهار الولاء لهم ، واي ولاء أعظم من أن أسارع باخلاص الى ما أمر به الله في كتابه المجيد بالجهاد ضد الكافرين أعداء اللهواعداء الدين ؟ .. ولا يمكن ان تأخذني في اللهلومة لائم ، أنا الذي اسعى لحب اللهونبيه وبلادنا ولحمايتها من أن يدنسها الكافرون .. وقد كان لي أمل كبير بتدينكم وحميّتكم العربية أن توافقوني رأيي ، وتؤيدوني فيما اقوم به ، من أجل اعلاء كلمة العرب .. وليس هذا بفضل اللهتمرداً ، انما هو موقف بسيط معروف ، واذا كانت الحكومة التركية تذبّ عن حوزة الاسلام فهي عضدي وعضد قبائلي ، وأنا حاكم مطلق بأمر الله وأمر الحكومة ، واني مقتنع ومعتقد بأني سائر في الطريق السويّ الذي يرضي اللهوالعرب ، سيراً مستمراً لا يثنيني عنه شيء ، وهذه هي الروح الاسلامية ، وهذا هو الوضع . واختم ما وجب عليّ قوله مستشهداً بكلام الله : ﴿ انك لاتهدي من أحببت ولكن اللهيهدي من يشاء ﴾ . اذا كنت قد أعطيت اي وعد لهم ـ للاتراك ـ في الماضي ، فيجب أن أتقيّد بتنفيذ ما وعدت به ، لكنني اعطيت عهداً بخدمة ديني وحكومتي وحميتي ، واللهتعالى أحسن من يكون في عوننا ، واذا حاججتموني بترك الدين جانباً ، فالواجب يدعوني الى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي من قبل لحكومتي ، وهذا ما تقتضيه شيمة العرب . وهذا ما وجب بيانه » .

(٨٢) الوثيقة (E 35392)FO. 371/3044

(٨٣) الوثيقة السابقة ، وانظر جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٣٦ ، والذي يقول أن غروترد بل (مس بل) كانت في استقبال ابن سعود .

(٨٤) المصدر السابق .. والغريب انه في كل هذا المعمعان ، كانت المقاومة الاسلامية في العراق تتصاعد ضد هجمة الاحتلال البريطاني ، ودفع عشرات المسلمين أرواحهم في الدفاع عن الاسلام ومقدساته . وكانت أغلب القبائل العربية تعمل تحت قيادة مراجع الدين في العراق ضد الاحتلال مما أدى في سنوات الحرب الأولى الى هزيمة الانجليز في الشعيبة . وعلّق كيرزون : « لقد كانت لنا أفضل الصداقات مع العرب ، ولذا بدا محيراً أن ينضم هؤلاء في بداية الحرب للترك . ويجب أن يكون في مقدمة عملنا الدبلوماسي ابعادهم عنهم واستئناف علاقتنا الطيبة معهم » .. وكان ابن سعود أحد الادوات الدبلوماسية المهمة في هذا المضمار فيما بعد . وناقش مجلس اللوردات في ١٩١٥/٤/٢٠ امر نجاح الأتراك في تجنيد القبائل العربية ، وقال وزير الدولة لشؤون الهند « في معركة الشعيبة اشترك ما لا يقل عن عشرة آلاف تركي ومثلهم من العرب . وربما كان سبقاً للأحداث ، توقعنا ثورة كل العرب على الاستغلال التركي فور انضمام تركيا للالمان . وبالنسبة لبدو الصحراء ، كان صحيحاً ، ولكن

ليس من السهل القول الى أي مدى ينطبق هذا الموقف على قبائل الحضر الذين يشكلون القوة العربية المقاتلة الآن ... ومن الحكمة القول بأن نسبة كبيرة منهم أبدت رغبة في الانضمام للترك . لأن هؤلاء أوحوا لهم بأن الاسلام يُهاجم .. »انظر كشك / ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، وبالطبع لم يكن ابن سعود يرى أن الاسلام يهاجم من قبل الكفر ، بل صّرح كما رأينا بأن دعم الانجليز نصر للاسلام وعز مكين للعرب ! .

(٨٥) كشك ـ مصدر سابق / ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .. وحين حصلت غروترد بل على الرسالتين من ابن سعود وزعتهما على المختصين البريطانيين في ١٩١٧/٨/٣ ـ ١٥ شوال ١٣٣٥ هـ

(٨٦) الاسلام والوثنية السعودية ـ فهد القحطاني / ص ٩٧ ـ ٩٨ ، وانظر كشك ـ مصدر سابق / ص ٣٨٩ .

٤

الشيعة والاخوان (١٩١٥ ـ ١٩٣٠)

تأسست حركة الإخوان على يد الشيخ عبد الكريم المغربي الذي كان المعلّم الأكبر لفالح باشا السعدون، شيخ المنتفق، وذلك قبل إحتلال إبن سعود للاحساء، ولكنه بعد إحتلالها إسترعت انتباهه فاحتواها وأعطاها الشكل والمضمون الذي يناسب توجهاته وأطماعه السياسية، وذلك في عام ١٩١٥.

ففي أواخر عام ١٩١٥ راع إبن سعود تضخّم هذه الحركة ممّا وضعه أمام حلّين: إمّا أن يقضي عليها، أو يصبح زعيما لها، وبالتالي تتاح له فرصة استغلال حماسة أتباعها في تدعيم نفوذه في الجزيرة العربية وسواحل الخليج. وقد اختار إبن سعود الأمر الثاني، رغم تحذيرات عبد الله بن جلوي حاكم الأحساء، الذي نصحه بالتخلّي عن هذه الحركة التي شبّهها بالنار تلتهم كل شيء أمامها. وفي عام ١٩١٦ أصدر إبن سعود أمره القاضي بانخراط جميع قبائل نجد في صفوف الحركة الجديدة، وأن يدفعوا له الزكاة بصفته إمامهم الشرعي (١).

ومنذ إحتواء هذه الحركة بدأ تلقيب إبن سعود بلقب الامام، وانتهى بانتهائهم وانتفاء الحاجة اليهم.

ولقد أراد الحاكم السعودي من احتواء هذه الحركة السيطرة على البدو وجعلهم قوّة عسكرية ضاربة تلبّي مطالبه التوسعيّة مع اعطائه غطاء دينيا، ذلك ان الحركة الإخوانية حملت صفتها الدينية.. وفي خلال سنة واحدة وجد إبن سعود لديه جيشا كبيرا قويّا متحمسا من رجاله يعتبرونه أداة الله المختارة، وجنودا يمكن أن يثق باستمرار ولائهم له، وتلبية ندائه كلّما نادى للحرب، وقد جعلت طبيعة الإخوان القلقة وعدم تسامحهم الديني، توّاقين الى شنّ الحروب على الكفار «ولأنّ الكافر في عيونهم، كان تقريبا كلّ من ليس من الأخوان، فان حركتهم أصبحت سلاحا في يد إبن سعود، يستطيع ان يشهره في وجوه أعدائه»(٢).

وأصبح واضحا أن كل منطقة يراد إحتلالها ، تُتّهم بالكفر والشرك والزندقة ، ثم يأتي المطاوعة بالفتاوى الداعية للحرب و «الجهاد !» الى ان تسقط تحت أقدام الغزاة . ويوضح امين الريحاني ، استغلال إبن سعود للاخوان في سبيل أطماعه بالقول : «ان عنده لكل من الأخوان وظيفة ومقاما : المعتدل للخدمة ، والمتساهل للتجارة والسياسة ، والمجنون للقتال»(٣) .

على أيّة حال ، كان الملك بحاجة الى «مجانين» كثر ، مشحونين بالعاطفة العمياء ، والقسوة التي لا يحيط بها وصف .. وقد تولّى مشايخ إبن سعود - ووفق توجهاته وتوجيهاته - تقديم شحنات «التكفير والتفسيق» للمسلمين كمقدمة لقتلهم واستحلال دمهم ونهب ممتلكاتهم وطردهم من البلاد ، وان كان عبد العزيز نفسه لا يؤمن بأغلب أفكار الأخوان .

ويرى المعتمد السياسي في الكويت «ديكسون» ان إبن سعود ينتقي العلماء المتجولين في «هجر» الإخوان من الموالين له .. «ومن التعاليم التي يرسخها هؤلاء العلماء في أذهان القبائل ، أن الإخوان فقط هم المسلمون الحقيقيون ، وأن بقيّة المسلمين كفرة وهراطقة»(٤) .

وأشار الريحاني الى افكار الإخوان وتكفيرهم لغيرهم ، ولكنه تحاشى الاشارة الى دور الموجّه «إبن سعود» .. فقال : «وهم في غلوّهم يعتقدون ان من كان خارجا عن مذهبهم ليس بمسلم ، فيشيرون الى ذلك في سلامهم بعضهم الى بعض - السلام عليكم يالإخوان ، حيّا الله المسلمين - »!! .

وكان محمد أسد في كتابه «الطريق الى مكة» صريحا الى حدّ ما حينما حمّل إبن سعود ومشايخه هذا الغلو .. فبعد أن يتحدث عن ان حماسة الإخوان وقوّتهم الحربيّة اصبحت أداة فعّلة في يد إبن سعود ، يشير الى ان تمسّكهم كان «تمسّكا لا يعرف اللين أو المهاودة .. وكثيرا ما كان يستحوذ عليهم شعور مغالى فيه من التقى والورع الشخصيين .. صحيح ان كثيرا من مفاهيمهم كانت بدائية ، وأن حماستهم الدينية كثيراً ما قاربت الغلو ، ولكنهم لو أُتيح لهم إرشاد وتعليم صحيحان ، فان ورعهم الديني كان خليقا به ان يمكنهم من توسيع أفقهم .. الاّ أن إبن سعود بقي قانعا بتعريف الإخوان الى أبسط مبادىء الثقافة الدينية والدنيوية ، والحق أنه لم يعرفهم الى شيء من هذا الاّ بالمقدار الذي بدا ضروريا للحفاظ على حماستهم وغيرتهم . بكلمة اخرى لم يرَ إبن سعود في حركة الإخوان الاّ وسيلة لبلوغه القوّة واستتباب الحكم»(٥) .

ما نريد ان نصل إليه هو أن ممارسات الإخوان التي ترتبت على عقيدتهم وافكارهم ، يعتبر إبن سعود مسؤولاً عنها بشكل جلي ، فنوعيّة الافكار والتوجيهات التي قدمت لهم ، كانت تجري حسب أوامره بالدقة . وهنا فان محاولة إلصاق أسباب تطرّف الإخوان وغلوهم - خاصة بعد أن قُضي عليهم - بالعلماء وحدهم هو أمر خاطىء . لأننا رأينا أن الملك هو الذي

يختارهم، وهو الذي يحدّد التوجيهات، وقد قال مرة لديكسون، أن الإخوانيّة هي أصفى وأنقى الديانات في العالم[٦] !.

وبعد عشر سنوات من هذا القول رُمي الإخوان بكل ما هو بغيض ومستنكر، وإن كان أغلب ما قيل فيهم صحيح، والسبب أنهم تحولوا الى قوّة متمرّدة على الدولة، وهذا أدّى الى تصفيتهم بشكل مريع.. لقد أصبحوا بعد عشر سنوات، هم «الغلاة الجفاة الذين يكفرون الآخرين، والمتزمتين الجهلة الذين يحاربون العلوم والمخترعات الحديثة.. الخ..».. وكل هذا كان تبريراً لتصفيتهم بعد أن أسّسوا الدولة السعودية الحالية.

والآن لننظر الى أفكار الإخوان التي زرّقهم إيّاها إبن سعود ومشايخه، والتي برّأ الكتاب إبن سعود منها. إن أهم فكرة حملها الإخوان بزعامة إبن سعود هي تكفير الآخرين.. وهذه الفكرة، إبتدعها الوهابيون في القرن الثامن عشر الميلادي.. فمَن ليس بوهابيّ يدخل في عداد المشركين الكافرين الواجب محاربتهم وقتلهم.

وأفكار الإخوان في هذا المضمار وغيره، هي أفكار الوهابية. فالملك إبن سعود رأى أنّ يكفّر الذين يحملون آراء لا تتعارض مع الوهابيّة من ابناء القبائل البدويّة حتى تستوطن في الهجر.. وشدّد على أن من لا يستوطن فهو كافر.. هذا التكفير هو من أجل دفع القبائل نحو الاستيطان، لضبطها والاستفادة منها كوقود للحرب.

أمّا تكفير أبناء الاسلام في البلدان الأخرى المحيطة بالجزيرة العربية، فهو من أجل إعطاء مشروعية للتوسّع والاحتلال.. وقد أدّى هذا التكفير دوره، فاخضعت حائل والحجاز وعسير وأجزاء من اليمن على يد الإخوان، إلاّ ان الأخيرين-وحسب المفاهيم التي شبّعوا بها-طالبوا بإحتلال العراق والاردن واليمن والكويت وهاجموها، لانها بلاد كفر يجب اخضاعها «لدين التوحيد» الذي لا يحدّه حدّ، ممّا اضطر إبن سعود المحكوم بالمعادلات السياسية الدوليّة الى اخضاعهم وانهائهم من الوجود.. وفيما بعد راحت الكتب السعودية تشهّر بالإخوان، أنّهم يكفرون الآخرين!، وتناسوا أن التكفير لايزال عقيدة رسمية للحكم السعودي، حتى الآن، وان خفّت بعض حدّته.. كما تناسوا ان آل سعود هم الذين اعلنوا هذا التكفير، وتأجيج مشاعر التعصّب لتبرير احتلالاتهم.

وقد استاء أحد الكتاب، وردّ بأن الإخوان يكفّرون-فعلاً-الآخرين، وإلاّ بأي مبرر قُتل الناس واستُحلّت دماؤهم.. يقول كشك بصلافة:

«تعليمهم أن غير الأخوان كفرة؟!.

نعم!.

وإلاّ فبأيّ حق يستحلّ دمهم ومالهم، ويجنّدون لقتالهم؟!، وكيف يستشهد الأخ-مفرد أخوان-خيّال التوحيد إلاّ في قتال الكفرة والمشركين.. هل لو

علّموهم أن غير الإخوان مسلمون، وهم يعرفون أن القاتل والمقتول في النار. وكُنْ عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل.. وكُنْ في الفتنة كابن لبون، لا ضرعاً فيحلب، ولا ظهرا فيركب.. أكان يقوم جيش الإخوان، أو تتحرر وتقوم مملكة ؟! .. ألم يتساءل الإخوان، إن كان أهل الكويت كفاراً فلماذا لا نقاتلهم، وإن كانوا مسلمين، فلماذا نقاطعهم ؟!» (٧).

لقد كان الإخوان يعتبرون العالم وسكانه فريقين : مؤمنين-الإخوان-، وكفارا-سائر الناس-، ويرون أن جميع الكفار يجب أن يعتنقوا الاسلام بحدّ السيف، وهذا التصور للعالم وسكانه خدم مقاصد إبن سعود من حيث تبرير وتوسيع سلطانه (٨).

إنّ هذا تأكيد على أن دولة السعوديين لم تقم الاّ على تكفير المسلمين، وهذه هي عقيدتهم حتى اليوم، وكتبهم تطفح بذلك.. وحدث أثناء إحتلال الطائف في السابع من صفر ١٣٤٣ هـ- ١٩٢٤م، أن أقام الإخوان مجزرة كبيرة قتل فيها النساء والاطفال (٩) ورجال الدين والأعيان، فبعد دخولهم مباشرة، يتحدث امين الريحاني عن شهود عيان(١٠) بالقول انّهم : «طفقوا يطلقون بنادقهم في الأسواق وهم يطوفون المدينة.. وراح العربان والإخوان يطرقون الأبواب ويكسرونها فيدخلون البيوت ثم يعملون فيها أيدي السلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب.. وقُتل مفتي الشافعيّة الشيخ الزواوي وأبناء الشيبي.. أمّا الشيخ عبد القادر الشيبي، سادن الكعبة، فقد نجا من الإخوان بحيلة ظريفة.. بكى عندما وقع في أيديهم، فسأله أحدهم وقد استلّ السيف فوق رأسه : وليش تبتسي «تبكي» يا تسافر «يا كافر» ؟. فأجابه الشيخ : أبكي والله من شدّة الفرح، أبكي يا إخوان لأنني قضيت حياتي كلّها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله أن أموت الاّ مؤمنا موحداً.. الله أكبر ! لا إله الاّ الله. وقد أثّر هذا الكلام في الإخوان، فبكوا لبكاء الشيخ، ثم طفقوا يقبّلونه ويهنّئونه بالاسلام» !.

ولذا يقول الريحاني أنّ ما يسمعه في الحجاز-قبل احتلاله-وفي العراق والشام ومصر عن الإخوان وابن سعود، هو : «إبن سعود بدوي جاهل، إبن سعود جلف، لا قلب له ولا دين له. هو من الخوارج، بل من الذي يخدعون وينافقون باسم الدين. والإخوان رجاله ذئاب تعصّب ضارية، يذبحون ويحمدون الله، يسلبون وينهبون ويكفّرون من لا يقتدي بهم، يشنّعون بالقتلى في الحرب ،ويرتكبون من الفظائع ما تقشعرّ منه الأبدان.. إن دعوة إبن سعود مذهبيّة، لذلك لا تنجح خارج نجد».. اما ما تقوله دار الوكالة البريطانية في بغداد عن الحاكم السعودي فهو «إبن سعود رجل كبير، هو نابغة بلاده، هو السياسي المحنّك والقائد الباسل، والحاكم العادل»(١١)!!.

وهنا تبدو المقارنة مهمّة بين هذه القسوة التي نقرأ عنها، وبين موقف الوهابيين-وبالخصوص آل سعود-من المسلمين، وبين موقفهم من المسيحيين

الكفار .. فقد سجّل والين منذ اكثر من قرن دهشته - ودهشتنا معه !! - من تسامح الوهابيين مع المسيحيين، وتشدّدهم مع المسلمين المخالفين لاجتهاداتهم .. وعاد فيلبي فسجّل نفس الظاهرة على لسان إبن سعود في الحوار الذي أجراه معه في صيف ١٩١٨ .. فقد قال إبن سعود لفيلبي : «إذا قدّمت أنت الانجليزي إبنتك لي كزوجة، سأتزوجها ... ولكنّي لا أتزوّج إبنة الشريف، ولا بنات أهل مكة، ولا غيرهم من المسلمين الذين نعتبرهم مشركين. وآكل اللحم الذي ذبحه المسيحيّون دون تردّد، ولكن المشرك الذي يعبد مع الله إلها آخر فهذا هو ما نبغضه (١٢).

انظر هذه الصفاقة، وهذه العقليّة المترمّتة والمتحجّرة التي طبّقوها بحرفيّتها على المسلمين جميعا، وشدّدوها على الشيعة بوجه خاص، ثم راجع التبريرات التي تستثني إبن سعود من الغلو والتطرّف وحصرها بالإخوان والمشايخ الذين لقّنوهم ذلك فحسب.

فهذا حافظ وهبة، مستشار الملك إبن سعود، وأول سفير له في لندن، يصف الاخوان بـ «سيوف الاسلام» أثناء احتلال الحجاز وإقامة مجازر الطائف وتربة (١٣). يعود فيتهجّم على مبادىء الإخوان «الوهابيّة» ويصفهم بالتالي : « لقد نال بعضهم - الإخوان - من الإمام عبدالعزيز، فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين، وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال، الى غير ذلك من ضروب الجهالة .. وان سريان هذه الروح المتمردة يرجع الى هؤلاء الجهلة، أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم، ولقنوهم هذه التعاليم، وحبّبوا اليهم التعصّب الذميم (١٤).

وبين ٢٩ يناير ١٩٢٠ و العشرين من فبراير من نفس العام، كان الميجور ديكسون، المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، ثم في الكويت، في زيارة للاحساء، وقدّم دراستين رائعتين عن حركة الإخوان - عن قرب -، اعتمد فيهما على المقابلات العديدة مع البدو وبعض الإخوان، وعلى العديد من الشخصيات السياسية والتجارية السنيّة، مثل : عبد العزيز القصيبي، فهد البسّام، سليمان الحوّاس، وابراهيم بن جمعة، الذي يعمل خادما شخصيا لابن سعود، و «رجّاله» المعتمد .. وأيضا أفراد الحرس الشخصي الذين وضعهم إبن سعود تحت تصرف ديكسون، ومحمد أفندي، وهو كردي، كان مسؤولا في العهد التركي، ثم اصبح مسؤولا في خزينة إبن جلوي في الأحساء، وادّعى انه اعتنق الإخوانية «وقد استطعت أن أقدّم له خدمة كبيرة، وزارني خمس مرّات على الاقل بعد حلول الظلام، وكان أفضل مخبر لي» كما يقول ديكسون(١٥)!.

وأشار ديكسون الى أن الإخوان يتألفون بصورة رئيسيّة من الطبقات الجاهلة من قبائل البدو، وأن أبناء المدن النجدية، وهم وهابيّون، لا يوافقون على بعض عقائد الإخوان، خاصة في فترات تعصّبها ومراحل عدم التسامح

في تاريخها، الاّ أنّهم يعتبرونها هبة من الله.

ويرى ديكسون أن التعصّب خفّت حدّته «صحيح أن الحركة الأصليّة أخذت شكلاً بالغ التعصّب.. ولكنّها في ظل توجيه إبن سعود فقدت معظم تعصّبها الأعمى ... بينما لم تكن أفكارهم في الماضي تتجه الاّ الى تغيير معتقدات الناس بالقوة، والتدخل في حياة الآخرين».

ان التعصّب نسبي، والحقيقة، فان تطرّف الحركة لم ينته الاّ بزوالها، وأن إبن سعود كان دائما يظهر بمظهر المعتدل المنفتح امام الزوّار الاجانب.. وهو، وان خضع لمعتقدات الإخوان ظاهريا، وهم وإن كانوا قد أنكروا عليه بعض الممارسات بين الحين والآخر، فان خضوعه لها يرجع الى أن الافكار السيئة هذه لا تحدّ من سلطاته السياسية، وحينما وصلوا الى الخط الاحمر، قصّهم إبن سعود-كما يسخر جلال كشك-.

أمّا أفكار الإخوان، فيلخصها ديكسون بالتالي:

١-تدخين التبغ خطيئة مميتة، وإذا رأى الأخ شخصاً يدخن، فإنّه يعتدي عليه بالضرب، وربّما قتله.

٢-يجب أن تكون المنازل من طابق واحد!.

٣-يجب أن يحافظ على بساطة العيش واللباس.

٤-يجب ارتداء عمامة بيضاء بدل العقال كعلامة على أنك من الإخوان. «وكل أتباع الامام الذين رأيتهم مؤخرا في الأحساء كانوا يرتدون العمامة البيضاء. أمّا الامام نفسه وحرسه الشخصي من العبيد فيرتدون العقال، وكذلك يفعل عسكر حامية الأحساء، مع أن هؤلاء اعترفوا لي حين سألتهم أنهم جميعاً من الإخوان الصادقين».

٥-لا يرد السلام والتحيّة الاّ لأخ آخر: « وكان هذا واضحا جلياً في الأحساء، فقد كان مرافقيّ من المسلمين السنّة البحرانيين يلقون التحيّة والسلام بانتظام على أي أخ يقابلونه في الشوارع، ولكنّي لم ألحظ الاّ مرّة واحدة رداً بـ «وعليكم السلام». وفي العادة كانت التحيّة تتجاهل تماماً».

٦-اذا التقى كافر أو مشرك-حسب تصنيفهم-بجماعة من الإخوان في الشارع، فان الاخيرين يغطّون وجوههم بأيديهم، بدل أن يفسدهم ويلوّثهم المشهد. «وقد حدث هذا لي في العديد من المناسبات في الهفوف، وحتى داخل منزل الامام نفسه، ومن قبل أفراد حرسه الشخصي، وكان هذا أكثر من باعث على الدهشة، لأن الامام نفسه كان دائما بالغ الودّ واللّطف، وكان يردّ على تحيّتي أمام جميع الناس».

«وفي كل مرّة أدخل فيها مجلساً كان فيه إخوان، كان هؤلاء يغادرون الغرفة فوراً وعلى شكل جماعة. إن التعصّب الأعمى لا يزال ظاهرة طاغية بين بعض الإخوان، ولولا نفوذ الامام الذي كان يحميني، لكنت عانيت من أوقات

عصيبة وأنا في الأحساء. وكم من مرّة، حينما كنت أمرّ بقرب أخ كنت أسمعه يهمهم ويدمدم في سرّه - لا حول ولا قوّة الاّ بالله - ...».

٧ - يعتبر الإخوان الوهابيون، إقامة القبور والأضرحة على قبور الموتى حرام ومنكر يجب إزالته. كما أن تقديم النذور، كما يمارسه الشيعة وبعض السنّة حرام وخطيئة لا تغتفر.

٨ - لا يجوز التوسّل والاستشفاع بالنبي وآله وصحابته، كأن يذكر مثلا اسم الحسن والحسين .. ويعتبر مرتكبه مشركا كافراً، تحلّ أمواله ودمه «حياته» ونساؤه مباحة «أي يستحلّ عرضه». ويقع الشيعة ضمن هذا التصنيف، كما يقول المعتمد البريطاني(١٦).

وبالطبع تزايدت مع الزمان فورات التعصّب في آراء الوهابيين، وفي شتى المجالات، فسرعان ما حرّموا التصوير بكافة اشكاله، وحرّموا استخدام السيارات والتلفونات والدراجات التي اعتبروها «حصان إبليس!». وأفتى إبن باز في وقت متأخر بكفر من قال بكرويّة الأرض وغير ذلك كثير.

والذي يدرس آراء الوهابيين اليوم سيكتشف بسهولة أن ما ذكر من أفكار خاصة بالإخوان لا تعدو افكار المذهب الوهابي، إذ ليس للاخوان افكار خاصة بهم، وانّما هي أفكار الوهابيين وآرائهم المتشنّجة. ولئن أخذ على الإخوان في كونهم أداة متربصة لاجبار الناس على اعتناق عقائدهم بالقوة، فقد أوجد آل سعود أداة أخرى موازية قبل فناء الإخوان، وهي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سيئة الصيت، والتي تطارد المواطنين في الشوارع بالعصي لأداء الصلوات وغلق المحلاّت، وقصّ شعر من أطال شعره، وما أشبه.

ولئن كان الوهابيون - الإخوان، بفكرهم المتزمّت هذا قد كفّروا كل المسلمين، فان خصومتهم مع الشيعة داخل البلاد أشدّ وأقسى وأعنف .. ولقد عاش الشيعة أعواما مضنية أليمة، خاصة أثناء لمعان نجم الأخوان، جيش إبن سعود.

ان ما رآه الإخوان ضد الشيعة، يعتقد به الوهابيون ومشايخهم اليوم، كما يعتقد به آل سعود أنفسهم، وان كان الاخيرون يغلّبون المصلحة السياسية على المعتقد في غالب الاحيان.

يوم جاء إبن سعود واحتل الأحساء والقطيف، لم يطلب شيئا من الشيعة، لأن أهم ما كان يريده هو اقتصاد المنطقة وثروتها، وكان علماء الشيعة هم الذين قدّموا طلباتهم، فجَرَت العهود التي وقعها إبن سعود نفسه، وهي تنص على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن ينشر العدل والاستقرار، وان يرسي أُسس الأمن المفقود، وأن لا يتدخل في شؤون الشيعة العقائديّة، وان لا يجبرهم على اعتناق ما لا يعتقدون به، ويتيح لهم حريّاتهم في أداء شعائر الدين، وفق اجتهاداتهم، وكل ذلك مقابل الامتثال والطاعة له.

في هذه الأثناء ظهر الإخوان، واضطر الحاكم السعودي الى مسايرتهم، فطلب من الشيعة، كما غيرهم، أن يدخلوا في سلك الوهابية، بمعناها الإخواني، وأعلن كفر من ليس بأخ، وأنه يحلّ ماله ودمه وعرضه.. كان ذلك سنة ١٩١٦.

ورغم ما يقال أن أشدّ الناس على الإخوان، كان عبد الله بن جلوي، حاكم الأحساء، الذي نصح إبن عمّه الملك بأن لا يتبنّى حركتهم.. فان الإخوان كانوا يمارسون اعتداءاتهم على الشيعة ويقتلونهم في بيوتهم، وفي الاسواق العامّة دونما سبب، اللهم الاّ تدخين سيجارة !!.. يقول حافظ وهبة، أنه سمع عبد الله بن جلوي «يقرّع رؤساء بني خالد وآل مرّة والعجمان على شدّتهم وغلوّهم، ويقول: أن حالتهم الاولى على ما فيها من شرور، خير من حالتهم هذه، وأن الدين ليس في العمائم»(١٧).

ولا ينكر الاّ مكابر أن إبن سعود، وابن جلوي، سمحا للاخوان بأن يضغطوا على الشيعة بقسوة بالغة، مراضاة لهم، واعترافا بموقعهم المتميّز في الدولة.

«ومن الثابت ـ كما يقول ديكسون ـ أن حركة الإخوان حين ظهرت لأول مرّة في شوارع الهفوف، عاصمة الأحساء، اعتدى أفرادها وجلدوا كل إمرأة وجدوها في الشارع، وأطلقوا النار على العديد من المواطنين الشيعة وأردوهم قتلى، دون أي خوف أو وجل، ولم يكن ذنب هؤلاء سوى أنّهم شوهدوا يدخنون السجائر»(١٨).

وعلى ذكر التدخين، فان الوهابيين لا يزالون يرون انه يحرم تعاطيه، ولهم الحق في أن يعتقدوا ما يرونه صحيحا.. ولهم الحق بأن لا يروا رأي الغالبية من المسلمين التي ترى كراهيته لضرره.. لكن ليس لهم الحق أبدا أن يبيحوا دماء المسلمين في أمر تافه كهذا، خصوصا أن وجهات النظر الدينية تختلف بشأنه.

على أن من الغريب أن المقربين من إبن سعود يدخنون، دون أن يمنعهم الملك من ذلك، فهذا مترجمه النجدي يقول: «كان من الصعب جدا على قادم جديد مثلي أن يبقى بعيداً عن المشاكل.. ولسوء حظّي كنت أدخن كثيرا، وكانت رؤية الإخوان لسيجارة في يد إنسان تعني جلده على الاقل، وكانت السجائر في جدّة تباع في السوق السوداء، وبقليل من الحذر استطعت أن أنغمس في رذيلتي.. الخ..»(١٩).

وينقل ديكسون في كتابه «الكويت وجاراتها» التالي: «إن أحداً من الذين عرفوا إبن سعود لا يستطيع أن يتّهمه شخصيا بالتعصب الوهابي، أو بالهيجان والاندفاع الديني الأعمى، الذي كان يحقن به أتباعه من الإخوان، فقد كان في المناسبات ـ وحسب ما يلائم أغراضه ـ يتظاهر أمام أتباعه بأن له نفس نظرتهم.

فعندما يجتمع بشيوخ القبائل في كل المناسبات، وحتى في حضوري، كان إبن سعود يندّد بالأجانب ويتكلّم ضدهم، ومثلاً على ذلك قال مرّة أن المساعدة الشهريّة ومقدارها ٧٥ ألف روبية، التي كانت تقدّمها له الحكومة البريطانية، والتي حملت قسطا منها اليه أثناء زيارتي، هي جزية كان يدفعها المسيحيون الى قادة الاسلام الأوائل، بدلا من الخدمة العسكرية» .. «وحذّرني في المجلس أن التبغ حرام وخطيئة مميتة، وأن من يدخنه في نجد يكون قد خرق القانون، وبذلك يعرض نفسه للأذى، ومع ذلك أرسل إليّ إبن سعود الموقّر - بعد حلول الظلام - علبتين من أفخر السجائر المصريّة بيد الدكتور عبد الله الدملوجي، طالباً منّي أن أدخنها في غرفتي»(٢٠).

ويصف الريحاني الحالة في بلاد إبن سعود والحساسيّة تجاه التدخين بقوله «التدخين ممنوع في نجد، بل في ملك إبن سعود كلّه، ولا أحد يدخن علناً في الاسواق، لا في الحسا، ولا في العارض، ولا في القصيم .. ولكنهم في الحسا وفي القصيم يدخنون في بيوتهم، والمشايخ يتساهلون أحيانا، وقد رأيت في الرياض من يدخن سرّاً حتى في حضور أقرب الناس الى السلطان، ذلك لأنّهم لا يرون في الدخان ما يراه المتعصّبون من العلماء».

«وفي الرياض حي يسكنه العلماء، وللعلماء حاسّة شمّ تخترق الجدران فتعرف ما وراءها من دخان، وتميّز بين الحلال منه والحرام. لذلك لا يجرؤ أحد في ذلك الحي أن يشعل سيكارة، لا سرّاً ولا في غرفة مظلمة تحت الأرض. واذا خاطر بنفسه واستهتر، فاكتشف أمره يحاكم أمام الشيخ، وعند إثبات الجرم يبسط في الحال لا محالة، فـ «يطقّه» - يجلده - العبيد بين ٤٠ الى ٨٠ جلدة حسب خطورة الذنب فيه»(٢١).

والدخان حرام تدخينه، ولكن الغريب أن بيعه حلال!، وأكثر من هذا أن الضرائب المحرّمة في الشرع أساساً تعتبر حلالاً بالنسبة للدخان وغيره.

فبعد احتلال جدّة في مطلع ١٩٢٦، أصدر خالد بن لؤي، احد قيادات الجيش السعودي المحتل، أمراً بحرق الدخان الموجود في مخازن جدّة. ولكن التجار شكوه للملك وأبلغوه بأن قيمة الدخان المراد حرقة تقدّر بمائة ألف جنيه، فاستعظم الملك المبلغ، وهو الذي يطالب بإعادة الراتب البريطاني الذي قطع عام ١٩٢٤ والبالغ خمسة آلاف جنيه شهريا، وهو الذي أعطى امتياز نفط البلاد كلّها بألفي جنيه - كما يقول كشك -، فسمح لهم ببيعه، بعد أن أوضحوا له ما سيجنيه من ضرائب. وبيعه يعني تدخينه «فلمّا لان الجو تشجّع التجّار فتحدثوا عن إيرادات الحكومة من الدخان والضرائب المستحقة لحكومة الملك علي، والتي أصبحت الآن من حقّ الامام!»، وبيّنوا له أنّها تشكل موردا أساسياً من موارد الدولة «لذلك أفتى بعضهم - بعض الوهابيين - بان الدخان مكروه وليس من الكبائر». ويعلّق فاسيلييف على الأمر «وسمح مرّة ثانية

باستيراده، ولكن استمر إيقاع العقوبة بالمدخنين»[٢٢].

في حين علّق آخر ساخرا: «شرب الدخان في جدّة لتمويل الهجر في نجد.. أو لدعم ميزانية الدولة التي بناها راعي البعير-نوار-الذي كان كلّما رأى الدخان في يد مشرك.. تلا: قل أعوذ برب الفلق»[٢٣].

غير ان الاخوان سارعوا الى إجبار الشيعة بالقوة على اعتناق المذهب الوهابي، وكان الإخوان- كالوهابيين في القديم والحديث-يكنّون كرها شديدا للشيعة عموماً، خاصة في الأحساء التي يعتبرونها مركزا للاتراك والعجمان-الذين حاربوا افكارهم-وظلّوا متمرّدين عليها، ولأنّ سكان الاقليم الحضر غالبيتهم من الشيعة، الذين اعتبرهم الإخوان من الكفرة، ولذا فان عليهم أن يبايعوا من جديد على دين الاسلام، اي أن يجدّدوا اسلامهم، وأن يُمنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية في المساجد والحسينيات، بل ويجب إجبارهم على الصلاة في مساجد السنّة خلف أئمة لا يثقون بعدالتهم، وهو شرط ضروري لصحّة الصلاة عند الشيعة، كما مُنع الشيعة من التدخين حتى في بيوتهم، وقتل منهم الكثير[٢٤].

في العشر سنوات التي تلت احتلال الأحساء من قبل السعوديين، أدخل السعوديون الوهابية اليها، وحاولوا اجبار السكان الشيعة والسنّة على اعتناقها، وكانت للاخوان اليد العليا فيها، وقد حرّموا على الشيعة ممارسة عبادتهم الدينية، ومن اقامة الاجتماعات، وتشير بعض المصادر المحليّة والاجنبية الى أن عددا من الذين استمروا في الاجتماع في حسينياتهم قتلوا، وحتى التدخين بصفة شخصية في المنازل كان ممنوعا..لقد اخذ الإخوان القانون بيدهم، وعاقبوا من رأوه مذنبا سواء من الرجال أم النساء[٢٥].

ويبرّر إبن سعود لديكسون ممارسات الإخوان بأنه «لم يكن يرضى بهذه الأعمال أبداً منذ البداية، ولكنه لم يكن قادراً على إيقاف الإخوان عند حدّهم حتى نهاية عام ١٩١٩..أمّا اليوم «١٩٢٠» فكل إجبار على الاعتناق بالاكراه، وكلّ محاولة لنشر الوهابيّة بحدّ السيف قد تمّ التخلّي عنها تماماً..وأخبرني إبن سعود-الحديث لديكسون-أنّه اضطرّ لتنفيذ حكم الاعدام بعدد من الإخوان لعصيانهم أوامره بهذا الخصوص، وقال أن الإخوان هم اليوم أفضل وأسلس إنقيادا ممّا كانوا عليه قبل عامين «١٩١٨» بمقدار ٩٠٪..ويقول إبن سعود أن شعبه النجدي يعتنق أصفى وأنقى أشكال الدين في عالم اليوم، وكلّ ما في الأمر أن الذين انصاعت افئدتهم لهذا الدين هم أكثر البشر جهلاً ووحشيّة»[٢٦].

ان هذا التبرير غير واقعي، فقد أجبر الوهابيون أهالي حائل وعسير والجنوب بأكمله ثم الحجاز «بين عامي ١٩٢٢-١٩٢٦» على الخضوع للمذهب الوهابي وبحدّ السيف ايضا، واذا تنصّل من أعمالهم قبل عام ١٩٢٠، فسنراه

فيما بعد يطلب من الشيعة أن يجدّدوا اسلامهم مرّة ثانية ، وأن يدفع بإبن جلوي لاجبار الشيعة وعلمائهم على الخضوع للتعاليم الوهابيّة .

وفي حين اعترف ديكسون في تقريره المؤرخ في يونيو ١٩٢٠ «بأنه يحرم على السكان الشيعة أن يدخنوا حتى داخل منازلهم ، أو أن يتلوا الذكر في الحسينيات ، وأن من يخالف هذه الاحكام يستتبعه عقوبة قاسية» .. ورغم أنه يعترف «بأن العديد من الشيعة اغتيلوا من قبل الإخوان» .. الاّ انه مع هذا يزعم بأن «الاحوال تغيّرت الآن ، وصار الشيعة يتمتّعون بحرية وحماية كاملة ، شريطة إلتزامهم بأحكام تحريم الدخان» .. ويبالغ ايضا في مزاعمه حين يقول : «ان حال الشيعة أفضل بكثر ممّا كان عليه الحال تحت حكم الأتراك [٢٧] ، لأنهم اليوم يتمتعون بالحماية من اعتداء البدو عليهم ، بينما في عهد الأتراك لم يكن الشيعة يستطيعون أن يسمّوا حياتهم ملكا لهم ، وأقل من ذلك بكثير أملاكهم»[٢٨] .

ولا بدّ أن ديكسون راجع أفكاره ومواقفه ، فبعد أشهر قلائل من زيارته للاحساء في المرّة الاولى ، كتب في شهر يوليو ١٩٢٠ تقييما للاوضاع في نجد والأحساء ، وبعث به الى المقيمية في بوشهر ، والى حكومة الهند ، جاء فيه «أن تقريراً وصل الى الكويت مؤخراً ، يقول إن الأحساء تعيش حالة من الثورة والتململ وأنها تستعدّ للثورة على إبن سعود» .

ثم ينفي صحّة الخبر ، أو على الأقل - قدرة الأهالي - على الثورة يومئذ ، فيقول : «إنّ حاكم الاحساء ، عبد الله بن جلوي مستمر في ممارسة حكم تعسفيّ ، وهو بهذا يدير الأمور بشكل حسن !! .. ربّما يكون منشأ الخبر هو أمر إبن جلوي بأن يجلد أحد أهالي الهفوف من الشيعة ، بالضرب حتى الموت ، لأنّه سبّ إبن سعود والإخوان وعقيدة الإخوان علنا» .

ولكي يخفف ديكسون من وقع هذه الحادثة يأتي بحادثة أخرى للمقارنة مع فارق كبير في نوعيّتها ، فيضيف : «في نفس الوقت - ومن باب الانصاف لابن جلوي - ، فاننا نذكر أنه خلال نفس الاسبوع أمر بقتل أحد الإخوان بنفس الطريقة لأنّه ضُبطَ وهو يحاول الاعتداء على إمرأة متزوّجة» ! .

ويتابع : «في القطيف ، ونتيجة لتصرّف بعض الإخوان الذين طالبوا بأن يتوقف الشيعة عن قراءاتهم في الحسينيات ، هناك غضب واستياء عظيم ، وغليان ضد الإخوان . وقد عاد الأمير عبد الرحمن بن سويلم - أمير القطيف - من الرياض ، ويمكن الوثوق من أن ساعده القوية ستُبقي على الأمور هادئة» .

وكان الشيعة في القطيف ، بوجه خاص ، قد إعتادوا الاحتجاج لدى السلطات المحليّة ضد أفعال الإخوان ، والممارسة الظالمة التي يقوم بها موظفو الدولة الطائفيّون ، ولمّا لم تنفع هذه الشكاوى في تخفيف غلواء الاعتداءات ، شكّلوا الوفود الى الرياض لملاقاة الملك والاحتاج لديه ، باعتبار أن السلطات المحلية

اصبحت طرفا في القضيّة ، وليست حَكَماً فيها . لكن الملك أيضا ، لم يول الأمر أهميّة ، وكان في تلك السنين الخوالي يحاول إرضاء الإخوان . فتحرّك الشيعة للشكاية والاحتجاج عند المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، باعتبار أن بريطانيا حليفة وصديقة للحكم السعودي ، وهناك وجدوا أن الانجليز ليست لهم الحماسة ولا القناعة في التدخل من أجل صيانة حقوق الشيعة ، اوالتخفيف من الضغط الممارس بحقّهم ، فمازال الحقد الانجليزي على شيعة العراق قائماً ومعروفاً حيث الثورة الاسلامية التي قادها المراجع ضدّهم «ثورة العشرين» ، كما أن الكثير من المشاكل واجهوها من شيعة البحرين ، غالبية السكان ، الذين كانوا يعانون من اضطهاد طائفيّ مماثل بتشجيع من الحكومة البريطانية مباشرة .

وهكذا وبدافع الحقد ضد الشيعة ، وبدافع مصلحتهم ومصلحة حلفائهم السعوديين ، رأى الانجليز فرصتهم للتشفّي من الشيعة بشكل عام . ويضاف الى هذا لم يكن البريطانيون على استعداد للدفاع عن «الضحيّة» ، فالضحايا لا يثيرون في الغالب وفي أقصى الحدود ، سوى الشفقة ، وليس أكثر ، فضلا عن أن الحكومة البريطانية لم ترد أن تتدخل في قضيّة تؤثر على علاقاتها ، ولو بنسبة ضئيلة مع الحاكم السعودي ، دون أن تحقق لها فائدة ما ، او تدفع عنها ضررا ما .

لذا يوضح ديكسون موقف بلاده من شكاوى الشيعة بعد أن يستعرض ما ذكرناه آنفا بقوله : «من الممكن أن يحاول شيعة القطيف ، وهم المعتادون على الايذاء والازعاج ، تقديم مذكرة الى هذه المعتمديّة ـ المعتمدية السياسية البريطانية في البحرين ـ توضح هذه المظالم التي لحقت بهم ، وإنّني آمل ألاّ يفعلوا» !(٢٩).

ومن الثابت أن أفعال الإخوان أدّت الى تململ واسع بين السكان في الداخل ، ليس في صفوف الشيعة فحسب ، بل في الحجاز وعسير أيضا ، هذا إضافة الى ردود الفعل الاسلامية القوية في الخارج ، خاصة من مسلمي الهند ومصر والعراق وايران .. فقد كان تمادي الإخوان في الحجاز ـ على سبيل المثال ـ في معاقبة السكان وإجبارهم على الخضوع لمعتقداتهم شديداً ، نتج عنه تأسيس معارضة وحزب شارك فيه الوجهاء قبل أن يقضى عليه ويسجن زعماؤه بعيد إنهاء ثورة الإخوان ، وأدّى كل هذا الى ايجاد بلبلة ادارية في الاقليم(٣٠).

وتعدّى نشاط الإخوان هذه الحدود ، فحاولوا قتل ثلاثة قناصل مسلمين في جدّة «القنصل الروسي ،والايراني ، والاندونيسي» ، ثم هاجموا المحمل المصري ، وأدّى الى مقتل عدد من الاشخاص ، وزاد السعوديون بأن أفسحوا المجال لثائرة الإخوان وتعصّبهم ، بأن تدمّر تراث المسلمين الجامع ، فهدموا قبور أئمة أهل البيت وصحابة الرسول وزوجاته وأولاده وأعمامه والكثير من

التابعين، ووصل الأمر الى محاولة هدم قبر الرسول عليه السلام، أسوة بما هدموه من مساجد وبيوت الهاشميين في المدينة، لولا ضجّة العالم الاسلامي في مصر وايران والهند. ويرى لورنس أن الإخوان لو تركوا الى أقصى الحدّ «لدمّروا كل ما أقامه الفن العربي في الجزيرة العربية ولأشعلوا النار والدماء فيها»(٣١).. والحقيقة فانهم فعلوا ذلك، فلم يبق الاّ القليل من التراث الاسلامي الجامع، اما الدماء فسالت أودية باعتراف الكتاب السعوديين أنفسهم!!.

غير أن هناك من يحاول أن يبرّر قسوة الإخوان، التي تذمّر منها حتى حضر نجد، وهم وهابيّون، بأنّها «الوسيلة الوحيدة لحفظ الأمن»، ومع ذلك «فابن جلوي حمى الشيعة من قسوة الإخوان، بالقسوة في الاجراءات ضدّهم، حتى سمّي جبار آل سعود» (٣٢). وهذا قول متساهل حيث أصبح الأمن والحفاظ عليه شمّاعة تعلّق عليها أردية الاستبداد والديكتاتوريّة.

ليس هناك من أدلّة تثبت أن إبن جلوي او إبن سويلم، عامل الإخوان بالقسوة نفسها، وهو انّما سُمّي «جبّار آل سعود» فلقسوته على أصحاب الجرائم الجنائيّة ـ وهم من غير الشيعة ـ حتى اصبح اسطورة في حياته، حيث أنام الرأفة، وأيقظ العقاب، يُهيّء النطع قبل صدور أحكامه، وتقوم الشبهة عنده مقام اليقين، حتى باتت الأمهات تخوف أطفالها به (٣٣).

ان الحكام السعوديين لا يحتاجون الى من يُسبغ عليهم شرف «حماية» و «الدفاع» عن الشيعة، فمواقفهم المنشورة تثبت أنهم يرون ما يراه الإخوان، من كفر وزندقة الشيعة، وللعبرة نسوق هذه الحادثة:

كان أمين الريحاني عام ١٩٢٢ يزور مملكة إبن سعود، وحضر معه اجتماع العقير الشهير، الذي التقى فيه الحاكم السعودي مع السير بيرسي كوكس. وكان ديكسون ايضا من بين الحضور، حيث روى حرص إبن سعود اثناء المؤتمر «على الدعاية لنفسه، ونكر انه لا يشجّع ما يقوم به متطرفو الإخوان من غارات.. ولكنه لا يستطيع ايقافهم.. وان الإخوان قتلوا الكثيرين من البحارنة الشيعة الذين يقطنون القطيف، ولكنه استطاع السيطرة على الموقف تماما، حتى أصبح مسموحاً للشيعة بالتدخين، وممارسة شعائرهم الدينية في أماكنهم الخاصة، طالما أبقوا على النظام في الاماكن العامة. وأشار الى أن الشيعة في مناطق الحكم السعودي أسعد حالا بما كانوا عليه في عهد الحكم التركي»(٣٤).

بعد المؤتمر أراد الريحاني توضيح سياسة إبن سعود المذهبية، فكتب:

«سألت ذات يوم أحد رجال السلطان إبن سعود، الانكياء، أن يصدقني الخبر، أو يجهر لي برأيه الخاص، فقلت: لا أنكر صدق عقيدة الشيوخ ـ ابن سعود ـ الدينية، فهو إمام الموحدين، ولكني حائر يا صديقي في أمر الإخوان، فهل تظنّه يعتقد أن على الإمام أن يحارب المشركين في كل مكان؟.. أن

يجاهدهم حتى يدينوا - بدين الإخوان - ؟ » .

«في نيّتي أن أسأل عظمته هذا السؤال ، فقال صديقي : لا تفعل ، والذي أراه أن السلطان يعتقد ذلك من الواجب . لم يرضني جواب الرجل ، فتطرقت ذات ليلة الى الموضوع ، ومّما قلت للسلطان على ما أنكر ، أني في حيرة لا يزيلها سواه ، وإذا سافرت من الرياض أحملها ساكتاً لا أكون راضيا عن نفسي ، وقد أُسيء إليه فيما أكتب ، فقال عظمته : إسألني كل ما تبغي ، وأنا أجيبك عليه . ولا أسامحك اذا سافرت من عندنا وفي نفسك حاجة نقضيها ، أو مسألة نجلي غامضها ، فقلت : هل ترون أن من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد ؟» .

«أجاب على الفور : لا .. لا .. وضرب الأرض ضربتين بعصاه ، ثم قال : هذا الحسا ، عندنا أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الشيعة ، وهم يعيشون آمنين لا يتعرّض لهم أحد ، إلاّ أننا نسألهم ألاّ يكثروا من المظاهرات في احتفالاتهم .. كن مطمئن البال يا أستاذ ، لسنا كما يرانا بعض الناس . فقلت اسمحوا لي بسؤال آخر - وكان يجب أن يكون سؤالي الأول - : هل ترون من الواجب الديني .. وهل ترون من الواجب السياسي أن تحاربوا المشركين حتى يدينوا ؟ .. فأجابني قائلاً : السياسة غير الدين .. ولكننا أهل نجد لا نبغي شيئاً لا يحلّله الدين ، فاذا حلّل الدين ما نبغيه ، فالسياسة التي نتخذها محلّلة ، وإذا عجزت السياسة فالحرب ، وكل شيء في الحرب يجوز [٣٥] . وقد فسّر حافظ وهبة الجملة الأخيرة للملك بأنه يأخذ بسياسة «الغاية تبرّر الواسطة» .

لقد أوقع الملك نفسه في أكثر من مشكل ، فلقد أراد أن يدافع عن سمعته الملوّثة باضطهاد الشيعة ، فصنّفهم في خانة المشركين ، ثم ما لبث أن أجاز لنفسه حربهم والسيطرة عليهم ، إمّا بالدين أو بغيره . وكانت ممارسات الإخوان وشيوخ الوهابية دعاية سيئة للدولة في الخارج ، خاصة عند سكان العراق والخليج وبلاد الشام ومصر ، وكثيرا ما كان السكان يهاجرون من أمكانهم اذا ما سمعوا بقدوم الإخوان [٣٦] .

وذكر الملك أن عدد الشيعة ثلاثون ألفاً ، في حين أن مستشاره حافظ وهبة قدّرهم في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين» بثلثي سكان الأحساء الحضر ، حيث أشار الى عدد الحضر بأنّهم ٩٠ ألفا ، بينهم ٦٠ ألفاً من الشيعة الامامية .. والتنقيص له دلالة على التهميش والتحقير [٣٧] .

استمرت أوضاع الشيعة على سوئها ، حيث عطّلت المآتم والحسينيات ومجالس الذكر والمساجد ، واضطر الأهالي الى إقامة التعزيات في منتصف الليل ، في السراديب ، ولا تزال آثار السنوات المظلمة تلك على حالها .

ففي تاروت - مثلا - ، كان الأهالي يرقصون العرضة - رقصة حرب - في المجلس ، للتغطية على ما يجري من التعزيات تحت السرداب . وفي صفوى

والقطيف وغيرها، كان الأهالي يقرأون التعزيات في الأزقّة المظلمة، ويضعون عند بوابات ـ دروازات ـ المدن والقرى رجالاً يراقبون القادمين، وقد ساعد وجود الاسوار القديمة المحيطة بالمنازل على ترتيب أوضاع أمنيّة كافية لاداء الشعائر والوعظ والارشاد.

أرسل المعتمد السياسي في البحرين في الثالث والعشرين من أبريل ١٩٢٠، الى المندوب السامب في بغداد تقريراً، جاء فيه تسجيل لحوادث ثلاث وقعت خلال أسبوع واحد، لم يعلّق المعتمد عليها أهميّة كبيرة، رغم أنها ـ كما قال ـ سبّبت الكثير من الأقاويل في البحرين. واعتبر الحوادث الثلاث، تعبيرا عن روح التعصّب الشديد لدى الاخوان(٣٨).

الحادثة الاولى: «في العاشر من أبريل ١٩٢٠، وفي بلدة الهفوف، كانت زوجة أخ إبن جلوي، وهي فتاة صبيّة، تغادر البلدة بعد زيارتها لشقيقتها، وهي ترتدي ثوباً حريرياً ملوناً. فما كان من أحد الإخوان البدو، الذي كان جالساً عند بوابة البلدة، إلاّ أن ضربها بالعصا ضربةً أفقدتها الوعي، حيث لبس الحرير جريمة لا تغتفر. وما أن سمع إبن جلوي بالحادثة حتى طوّق جميع الاخوان الموجودين في الهفوف، وكل الذين لهم علاقة قريبة او بعيدة بالشخص الذي ارتكب ذلك الاعتداء، وصادر جميع جمالهم، وجلد المجرم».

الحادثة الثانية: «وفي القطيف، شاهد بعض الإخوان يوم ١٤ أبريل ١٩٢٠، فتاة شيعيّة تغسل الثياب على شاطيء البحر، وقرّروا أنّها لم تكن تلبس ثياباً متواضعة ـ تُنبيء عن تقشف ـ بما فيه الكفاية، فانهالوا عليها بالضرب. اجتذبت صرخات الفتاة أقرباءها ووقع شجار عنيف. ويقوم إبن جلوي بمعالجة القضية!، وهناك ستة وثلاثون شخصاً ـ أكثرهم من الشيعة ـ في السجن بسبب الحادثة»!.

الحادثة الثالثة: «في الجبيل، حضر بعض الإخوان من المجمعة يوم ١٥ أبريل ١٩٢٠ لشراء الأرز من البلدة، فلم يعجبهم منظر رجل من البحرين أرخى شاربيه ولم يرخ لحيته، فألقوا القبض على الرجل وقصّوا الشارب المؤذي، وعندها تحرك أهل الجبيل في «فزعة» لنجدة الرجل، وبدأ بإطلاق الرصاص. الخسائر: أربعة قتلى من جبيل أبو العينين، بمن فيهم شقيق شيخ البلدة، بينما توفي إثنان من الإخوان متأثرين بجروحهما. استمر تبادل إطلاق النار، ولكن إقتراب قوات إبن جلوي، أجبر الطرفين على تناسي خلافاتهما الى وقت يستطيع الأمير فيه الفصل في القضية. ربما لن يكون إبن جلوي لطيفاً في أساليب الحل التي سيلجأ اليها»(٣٩).

وازداد تطرّف الإخوان بعد إحتلالهم الحجاز وتسلميه لابن سعود، الذي أعلن نفسه ملكا بعد حوالي اسبوعين من سقوط جدّة في يناير ١٩٢٦.. ومنذ ذلك الحين بدا في الأفق بوادر صدام بين الملك وجيشه الإخواني الذي يدين له

كاملاً في بناء مملكته ، ذلك أن الملك إحتلّ آخر منطقة أُريد له إحتلالها ، فلا يمكنه التوسّع شمالاً حيث إمارة شرق الأردن الوليدة والعراق الخاضعتان للنفوذ البريطاني المباشر .. ولا يمكنه التوسّع شرقا على حساب المحميّات البريطانية في الساحل ، وفي الغرب وصل الى البحر الاحمر ، أمّا الجنوب فلم يبق سوى الشمالي منه أما الجنوبي فخاضع للاحتلال البريطاني ، في حين أن اجزاء من الشمالي اقتطعت منه ، ولم يكن إبن سعود متحمسا لاحتلاله كاملاً ، لقناعته بأنه «عش الزنابير» كما قال مرّة للجاسوس البريطاني جون فيلبي .

ونشأت المشكلة بسبب أن إبن سعود لم يعد بحاجة الى تطرّف الإخوان من حيث هم قوّة مقاتلة ، بل أن تطرّفهم غدا خطرا محتملا على نظام حكمه ، ومن جهة اخرى كانت العقائد التي تربّى الإخوان عليها تقول بوجوب إدخال الآخرين في معتقدهم وإحتلال بلادهم باعتبارهم كفرة ، ولذا طالبوا بإتاحة الفرصة لهم لانهاء إمارة شرق الاردن ، ودولة العراق وامارة الكويت ، وهي مناطق لا يسمح الانجليز للحاكم السعودي بالوصول اليها ، وهو أمر لا يأبه به الإخوان . رفض الملك ذلك ، بل أنه سبق له أن وبّخهم لأنّهم اقتربوا ذات مرّة من الحدود الاردنية عام ١٩٢١ ، فسجن المهاجمين الذين لم يأخذوا رأيه وقال للاخوان وبمحضر من المسيحي الريحاني ، الذي كان يسجّل الحديث «لا تظنّوا يا اخوان أن لكم قيمة كبيرة عندنا ، لا تظنوا انكم ساعدتمونا ، وأننا نحتاج اليكم .. ولا تنسوا أن ما من رجل منكم إلاّ وذبحنا أباه أو أخاه أو إبن عمّه ، وما ملكناكم الاّ بالسيف . ترى الصحيح .. والسيف لا يزال بيدنا . اذا كنتم لا ترعون حقوق الناس . لا والله ، لا قيمة لكم عندنا .. أنتم مثل التراب .. أنتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً ، واني والله أعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله»(٤٠) !! .

بدأ الملك يظهر تحرّره عن الإخوان بعد أيّام من إحتلال الحجاز ، ودخل عليه ذات مرّة في مجلسه بالحجاز سلطان بن بجاد قائد الجيش الذي احتل الطائف ومكّة ، وشهر السيف بوجهه . وتقدّم الإخوان بطلبات عديدة من الملك مثل إلغاء الضرائب ، والسماح لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقطع علاقاته مع الانجليز ، ولكن أيّا من هذه المطالب لم تلبّى .

رجع الإخوان من الحجاز ساخطين الى نجد وعقدوا مؤتمرا أواخر العام في الارطاوية ، في ديسمبر ١٩٢٦ ، ووجهوا للملك فيه تهماً عديدة حصروها في سبع نقاط منها : اعتراضهم علي سفر الامير سعود ـ الملك فيما بعد ـ لبلد الشرك مصر ، وسفر فيصل ـ الملك فيما بعد ـ الى بلد الشرك بريطانيا ، واستخدام التلفون والتغراف والسيارة .

واعترضوا ايضا على فرض رسوم جمركية على «مسلمي نجد»(٤١) .

كما اعترضوا على ما أسموه تسامح الملك مع الشيعة في الاحساء والقطيف ،

وكان اعتقادهم أنه كان ينبغي إمّا أن يعتنقوا الوهابيّة وإمّا أن يقتلو [٤٢] واتهموا الشيعة بانهم من «الخوارج» ، وان الملك تغاضى عن إدخالهم في دين الجماعة .

ومن الاعتراضات ، عدم وضع حدود لبدو العراق الشيعة والسماح لهم بالرعي في بلاد المسلمين .

كما طالب الإخوان ، بهدم المسجد المقام على قبر عم النبي الحمزة بن عبد المطلب ، باعتباره مزارا شيعيا !! ، كما طالب الإخوان بمنع استخدام السيارات والتلفون ومنع المحمل المصري من دخول الاماكن المقدسة ، وطالبوا بتفسير المقاطعة الاقتصادية للكويت ، فان كانوا كفاراً فلماذا لا يحاربون؟ ، وان كانوا مسلمين فلماذا يقاطعون ؟[٤٣] .

حاول إبن سعود الالتفاف على مطالب الإخوان ، فعاد مسرعاً الى نجد خشية انقلاب الاوضاع ضدّه وإعلان الإخوان الثورة المسلّحة ، وحالما وصل ، دعا لمؤتمر في الخامس والعشرين من رجب ١٣٤٥هـ-يناير ١٩٢٧ ، انتهى باصدار فتوى تستجيب لمطالب الإخوان ، عدا مسألة اللاسلكي ، أما الضرائب فأُعيدت الى النجديين فقط . ولقد وقّع على الفتوى المؤرخة في الثامن من شعبان ١٣٤٥هـ ، أربعة عشر شيخا وهابيّاً ، منهم محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سمحان ، وقالوا فيها :

« .. أمّا بعد ، فقد ورد على الامام سؤال بعض الإخوان عن مسائل فطلب منّا الجواب عنها ، فأجبناه بما نصّه :

.. أمّا مسألة البرق والتلغراف فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان ، ولا نعلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالاباحة والتحريم يحتاج الى الوقوف على حقيقته .

.. وأمّا مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الامام ، وفّقه الله ، بهدمهما على القوم .

.. وأمّا الرافضة - الشيعة في الأحساء - : فأفتينا الامام أن يلزمهم البيعة على الاسلام ، ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل ، وعليه أن يلزم نائبه على الاحساء أن يحضرهم عند الشيخ إبن بشر [٤٤] ويبايعونه على دين الله ورسوله ، وترك الشرك من دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم على مآتمهم وغيرها ، ممّا يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ، ويمنعون من زيارة المشاهد - في العراق - ، ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس ، هم وغيرهم في المساجد ، ويرتّب الامام فيهم أئمة ومؤذنين ونواباً من أهل السنّة ، ويلزمون بتعلّم الثلاثة الأصول [٤٥] ، وتُهدم الاماكن المبنيّة لاقامة البدع فيها [٤٦] ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها ، ومن

أبى قبول ذلك يُنفى عن بلاد المسلمين.

..وأمّا رافضة القطيف : فيلزم الامام أيّده الله الشيخ إبن بشر ، أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا.

..وأمّا البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين ، فأفتينا الامام بأن يبعث اليهم دُعاة ومعلمين ، ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على إلزامهم بشرائع الاسلام.

..وأمّا رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين ، فأفتينا الامام بكفّهم عن الدخول في مواطن المسلمين وأرضهم[٤٧].

..وأمّا المكوس ، فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة ، فإن تركها من الواجب عليه ، وإن إمتنع فلا يجوز شقّ عصا المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها ». «حرّر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ»

هذا نموذج من فتاوى الوهابيين ، الذين يتوقفون في حكم التلغراف لأنه حادث ، ولأنهم لا يريدون القول على الله ورسوله بغير علم .. ولكنهم في نفس الوقت يتساهلون في المحرمات الظاهرة كالمكوس بحجّة شق عصا المسلمين ..وان هذا الورع الذي يدعوهم للتوقف في حكم التلغراف ، لم نرَ له أثراً في استباحة دماء المسلمين وتكفيرهم ، وطردهم من البلاد ، وهدم بيوت الله على رأس المتعبدين فيها .. استنادا على امور اجتهادية قابلة للخطأ ، وكان حريّا بهم أن يناقشوا الآخرين ، ويردّوا الحجّة ، وأن يقبلوا في ذات الوقت باجتهاد بقيّة المسلمين.

فالمسائل التي خالفوا فيها بقية المسلمين ليست ضرورية ، ومن أصول الدين ، والاجتهاد مفتوح للوهابيين ولغيرهم ، إلاّ أن الذي نراه في الفتوى ، هو إمضاء إجتهادهم بالعسف والقتل ونفي المواطن من دياره ، كما هو واضح في نصّ الفتوى ..ولقد قال الشيعة في الأحساء لابن جلوي على أثر تطبيقها : إن كان مذهبكم يجيز الاجتهاد في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم ، فدعوا علماء المسلمين الآخرين يجتهدون كما اجتهدتم ، وفي أمور أقلّ من التكفير ، وأقلّ من استباحة الدم المسلم .. دعوهم يؤدّون شعائر الدين حسب اجتهاداتهم ، لأنّ مذهبكم لا يحوي الحقّ كلّه ، وليس قرآنا ولا وحياً منزّلاً ، وانّما هو اجتهاد من الاجتهادات ، قد يخطيء وقد يصيب.

ومع هذا التكفير الصريح ، والتهديد بالقتل والنفي لكل من لا يعتنق المذهب الوهابي ، ترى رجلا مثل رشيد رضا ، الذي نصّب نفسه محاربا للشيعة ، وداعيا للمعادين لأهل البيت ، يقول : «ان السلطان إبن سعود لم يتعرض هو ولا عمّاله لحريّة رعيته من الشيعة في الأحساء ، ولا لتفضيل أهل السنّة عليهم في الحقوق» ..وجاء آخر بعده بأكثر من نصف قرن معلقاً على الفتوى قائلاً : «ليس من الانصاف إتهام عبد العزيز أو آل سعود باضطهاد الشيعة ،

فالصحيح أن عبد العزيز هو الذي حماهم، ووالیه إبن جلوي كان يحظر دخول الإخوان للاحساء. ولولا النظام السعودي لفتك الإخوان «برافضة» القطيف[٤٨]. كما كانوا يسمّونهم عن خطأ بالطبع. أمّا التفرقة والاتهامات المتبادلة، فهي ظاهرة عمرها سابق على النظام السعودي بألف سنة. وليس موقف المجتمع السعودي منها بأسوأ من أي نظام آخر في المنطقة كلّها[٤٩].

إنّ هذا القول ما هو الاّ تبرير للحكم السعودي باضطهاد الشيعة، إذ ليس من الانصاف إتهام المشايخ والإخوان وحدهم بممارسة هذا الاضطهاد، وكأن الحاكم لا دور له في هذا، وهو الملك المطلق الصلاحيات. ولا يخامرنا شك في أن إبن سعود كان حين طرح المواضيع لفتوى علمائه يدرك سلفاً موقفهم منها، ولهذا لم يطرح موضوع علاقاته مع الانجليز، ولا زيارة ابنائه لما يسمّى بلاد الشرك، ولا المقاطعة الاقتصادية للكويت وأهلها.

ثم إنّ من طبّق هذه الفتوى ضد الشيعة، وأخرجها الى حيّز الفعل والواقع، هو إبن سعود وعامله على الأحساء عبد الله بن جلوي، الذي قيل انه ضد الإخوان، وحامي حمى الشيعة!.. تماما مثلما نرى اليوم من خلفاء إبن سعود، فالفتاوى تصدر، وعمّال آل سعود وامراؤهم في الاقاليم، ووزراؤهم ينفذونها ويضيفون عليها ايضا.. ومن يدّعي بأن طائفيّة النظام السعودي اقل من الانظمة الاخرى في العالم الاسلامي فهو كاذب على نفسه وعلى غيره، لأنّ «معظم» الحروب الطائفيّة التي نشهدها في كل مكان في العالم، انّما موّلت بأموال النفط السعودي، بل أن الحروب السنوية في الباكستان، لم تثرها الا الجماعات المتحالفة والمدعومة من السعودية، وقد وصل اعلام آل سعود الطائفي الى كل الدنيا، اذ أن مهمّة المؤسسات الدينية الرسمية السعودية، ومهمة اعلام السعوديين، هو اثارة الفتنة والبلبلة في صفوف المسلمين، لكي يدّعوا بعدئذ أنهم حماة «للسنة» وما هم كذلك.

وللاسف، فان مستشرقاً فهم مضمون الفتوى وموّداها بأفضل ممّا فهمها الدّاعون للأنظمة الطائفيّة فقال «ان الوهابيين لا يعتبرون الشيعة مسلمين»، والحقيقة أنهم لا يعتبرون غيرهم مسلما، سواء كان سنيا أم شيعياً. وأضاف في موقع آخر: «كانت أوضاع الشيعة-في الأحساء والقطيف-صعبة في دولة وهابيّة خالصة، وفي عام ١٩٢٧، أصدر العلماء الوهابيون بضغط من الإخوان فتوى تطالب عبد العزيز بمنع الشيعة من أداء الصلاة في الاماكن العامّة، والدعاء لأهل بيت النبي، والاحتفال بذكرى وفاة النبي وأهل بيته، وزيارة كربلاء والنجف، وإرغامهم على أداء الصلوات الخمس في الجوامع-خلف مطاوعة الحكومة-. وأن على الشيعة أن يدرسوا دين الله على كتاب محمد بن عبد الوهاب-الاصول الثلاثة-.. ودعت الفتوى الى هدم الاضرحة الشيعية.. واعتبر الوهابيون شيعة المنطقة الشرقية كفاراً ومن أهل

على أثر هذه الفتوى مباشرة، هدم في «أحد»، خارج المدينة المنورة، مسجد عم النبي الحمزة بن عبد المطلب، رغم أن المسجد لا يخصّ الشيعة وحدهم، بل المسلمين جميعا، كما هدم مسجد ابي رشيد، ومنع دخول المحمل الشامي والمصري، الذي كما أشارت الفتوى بمنعه، رغم التظاهر بعدم اقتناع الملك بالفتوى والمنع .. اذا يشير حافظ وهبة الى حادثة المحمل المصري، وما تبعها من قتل وقطع علاقات بين مصر والسعودية يومها، فيقول: «لقد أمضيت أكثر من اسبوع بين الملك وبين أمير الحج المصري، محمود عزمي باشا، في نقاش وجدال، دفعاً لفتنة جديدة، فالإخوان عقولهم ضعيفة، وهم يملأون الحرم وطرق مكة، وهم ممتلئون حنقاً على المحمل وأهل المحمل».

«إذا صاح النفير قالوا: إن هذه دعوة للشيطان، فهاجوا وماجوا».

«طُلب منّي أن أطلب من أمير الحج أن يوقف صياح النفير، لا إعتقادا من الملك أو من رجال حكومته، بأن ذلك كان لدعوة الشيطان، وإنّما كان ذلك دفعاً لاثارة فتنة جماعة الإخوان الجهلاء. وإذا أُدخل المحمل الحرم، كما كان معتاداً، قامت قيامة الإخوان: كيف تأذن الحكومة بإدخال الاصنام الى الحرم، وهنا تقوم أزمة»(٥١).

أمّا شقّ الفتوى المتعلّق بإجبار الشيعة على قبول المذهب الرسمي «الوهابي»، فعلى أثرها كتب الملك لعبد الله بن جلوي مشدّدا على تنفيذها بحذافيرها دون إبطاء، وإن تطلّب الأمر استخدام الشدّة والقسوة والطرد من البلاد، مع أن عدداً غير قليل من المواطنين هجروا البلاد بمجرد أن سمعوا بها، واتجهوا الى البحرين والعراق والكويت.

وهكذا أجبر أعيان ووجهاء وعلماء الشيعة أن يحضروا بمجلس إبن جلوي ومجلس أمير القطيف إبن سويلم، لكي يثبتوا إسلامهم على يد المطوّع إبن بشر، ويكرّروا قول الشهادتين كإقرار بالاسلام، وان يتعهّدوا بممارسة الطقوس وفق المذهب الوهابي .. ثم سيق الرجال فرداً فرداً لعدّة أيام ليعيدوا ويجدّدوا إسلامهم، ويعترفوا بأنهم فيما سبق كانوا من المشركين!، وأن الله هداهم من جديد!.

ومع الضغط، لم تخل الأمور من بروز مشاكل، فقد بادر وجهاء وعلماء القطيف الى الكتابة الى الملك يذكّرونه بعهوده والقسم الذي أقسمه بأغلظ الايمان على كتاب الله المجيد، بحفظ حقوقهم وحدث نفس الأمر بالنسبة لبعض وجهاء الأحساء، لكن تلك المكاتيب كانت عديمة الفائدة، لأن الملك أوصى إبن سويلم وابن جلوي بتطبيق ما جاء في فتوى المشايخ في الحال، وكانت الاتصالات يومها صعبة حيث لا توجد وسيلة سوى الجمال.

ويتناقل الرواة، بان السيد ناصر السيد هاشم السيد أحمد الاحسائي، احد

كبار علماء الشيعة في الهفوف، ووالد السيد علي السيد ناصر، إمام الجمعة في الدمام حاليا.. ان السيد هذا رفض الأوامر، وجاء الى مجلس الجلاّد إبن جلوي محتجّا، وبمعيّته زعيم شيعة الأحساء آية الله الشيخ موسى بوخمسين.. فلمّا دخلا المجلس وجدا الشيخ إبن بشر جالساً الى جانب الأمير، وحانت إلتفاتة من الأخير، فأراد إهانة السيد ناصر وخاطبه:

«ليه ما بايعت.. إنتْ فيك خفّ وحافر»؟!.

كان إبن جلوي يريد استثارته، حتى يقتله، أو ينفيه من موطن آبائه وأجداده، ولمّا همّ السيّد بالردّ، أمسك الشيخ موسى بيده مهدّئاً له، وهو يقول: إهدأ.. أهدأ، قم وبايع، ما فينا خفّ ولا حافر، وسحب يده ليبايع خوفاً على حياته من بطش الطاغية.

ثم التفت الشيخ موسى وخاطب إبن جلوي بقوله: «الآن ضع في أذنيك قطنا»، أي لا تستمع لكلام المغرضين والطائفيين.

وعلى إثر الفتوى سيّر أميرا القطيف والأحساء بعض الجنود ومعهم المطاوعة، للقيام بجولات داخل المدن والقرى الشيعية، للتعرف على أماكن المساجد والحسينيات، تمهيداً لحصرها وهدم ما يراد هدمه منها. الاّ أن الاهالي ـ في الغالب ـ تحايلوا عليهم فأسكنوا بعض المواطنين في الحسينيات والمساجد، وحوّلوا بعض البيوت الى مساجد وحسينيات وغيرها من الحيل، حتى استطاعوا تجنيب دور العبادة الضرر، الاّ النزر القليل منها، في بعض قرى الأحساء.

وجاءت الخطوة التالية، حيث أمر الملك بناء على طلبات مشايخه، بأن يفرض على كل قرية ومدينة شيعيّة مطوعاً يصلّي بالناس، وفرض على تلكم القرى والمدن، ان يتكفلوا بنفقات المطوع وسكنه ومعاشه وراتبه الشهري، في حين أن أئمة الشيعة في الصلوات لا يتقاضون أيّ مقابل، وعملهم في هذا تطوعي ديني محض.

وكما حدث لمعظم مساجد الشيعة، جيء بمطوّع يقال «ابن زرعة» ليصلي في مسجد الشيخ موسى بوخمسين في الهفوف.. وحدث ذات يوم أن الشيخ موسى كان مسافرا الى إحدى القرى الاحسائية، فرفض إبن زرعة بطائفيته المشهورة، إمامة الناس في الصلاة، الاّ بحضور الشيخ موسى، ولمّا وصل الأخير، خاطبه إبن زرعة باستهجان «أنت لا تريد الصلاة وراء المسلمين»، ويقصد بالمسلمين نفسه!.

لم يتحمّل الحاج ابراهيم بوخمسين[٥٢] إهانة زعيم الشيعة، فجاوب إبن زرعة بالشتم له ولحكومته، وانقضّ عليه يريد خنقه، لكن الاخير هرب من المسجد طالبا النجاة، ولحق به الحاج في الشوارع ليظفر به. ولم يتدخّل الشيخ موسى في الأمر، بل أمر المصلّين بأن يتركوا الحاج، قائلا: «دعوه.. فهذه

آخر مرّة يأتيكم فيها إبن زرعة».

بعدها بادر الشيخ موسى بارسال جماعة لابن جلوي لشرح الموقف .. فسألهم : من تريدون ليحل محلّ إبن زرعة؟ ، قالوا : اذا كان الكلام موجها لنا ، فما نريد غير شيخنا .. قال : لكم شيخكم ! .

لم يكن مفاجئا جواب إبن جلوي ، ففي تلك الايام ، بدأت ثورة الإخوان المسلحة بالتفاقم ضد إبن سعود ، وبدأت في الاوساط النجديّة والحجازية ، وحتى في الأوساط الحكومية وبعض الاوساط الدينية حالة من الارتداد ما لبث ان تعاظمت ، ضد الأفكار الوهابيّة المتعصّبة التي يحملها الإخوان ، وعدد من المشايخ ، حتى وان كانت هذه الافكار تمثّل أسس الفكر الوهابي .. لهذا تجاوز إبن جلوي ، كما غيره الضغط الإخواني ، متجاوبا مع الاستياء العام في البلاد ، وكلّما تنامت الثورة المسلحة ، بدأت مؤشرات هذا الارتداد والنكوص ضد تلك الافكار ، وبدأت ملامح الحاجة الى التخلّص من ازعاج الجيش السعودي الوهابي ، الذي يمثّله الأخوان ، والذين التصقوا عميقا بالفكر الوهابي .

لقد تنبّه الملك الى ان توجيهاته القديمة للاخوان المتماشية مع الفكر الوهابي ومصلحته السياسية في تكفير المسلمين ، والتي كان يطلب من العلماء تلقينها للبدو في المساجد ، عن طريق الخطب في الصلاة والارشادات ، والدروس المذهبية التي تعقد بعد الصلاة ، حتى يصبح الحماس الديني من أقوى الوسائل لتعزيز قوته السياسية والعسكرية (٥٣) .. هذه التوجيهات تنبه الملك بعد أن حقّق أهدافه ، بأنها بدأت ترتد ضد مشروعه السياسي ، فشنّ هجوماً على المشايخ ، واصماً إيّاهم بالتطرّف ، أو كما وصفهم مستشاره بأنهم «أنصاف مثقفين» ، واضطر إبن سعود ان يغيّر العلماء - أداة التثقيف الإخواني - بآخرين أكثر استجابة لاحتياجات الدولة ومصالحها السياسية(٥٤) .

وحين رأى الملك أن استجابته لطلبات الإخوان لم تمنع ثورتهم ، حيث شعروا بأنه استخدمهم للوصول الى اهدافه (٥٥) ، ولم يقطع علاقاته مع بريطانيا ، دولة الكفار ، وهو أحد أهم المطالب الإخوانية ، ولما وجد ان الشيعة بالغي الاستياء من تصرفاته في إطلاق العنان لكلّ من اراد اهانتهم والاعتداء عليهم .. هنا وبدون قرار رسمي بُدىء بتجاوز المسائل القديمة الى حدّ ما ، بحيث لا يعطي مستمسكا للنجديين بأنه لا يعمل جاهداً من أجل استئصال الشيعة . وما لبث ان قارن الملك بين ضغط الشيعة والحاجة الى إسكاتهم ليتفرّغ لحركة الإخوان التي تهدد ملكه .

ضجّ الشيعة من قرارات إبن سعود بتطبيق فتاوى مشايخه لادخالهم في السلك الوهابي ، وكان المطاوعة المتواجدين في القرى والمدن الشيعية من عديمي الثقافة والوعي ، وكثيرا ما كان أفراد الشيعة العاديين يحاججونهم ويفحمونهم ، لكن سلطان القوة بيد المطوّع ، فما أن يتغلّب أحدهم عليه بالحجّة

والاقناع، حتى يبادر الى القوة متهماً الطرف المقابل بالزندقة والكفر وتعكير الأمن .. الخ ...

سأل أحد الأهالي مطوعا ذات مرّة : ما حكم من أخرج ريحاً في الصلاة ؟.

فأجابه ببيت من الشعر العامي يقول :

طقـــــع بطقـــــع فـــــلا طقـــــع بمـــــرشاق ابطـــــلا!

فصار ذلك البيت من الشعر، حديث المجالس، ينكر للتندّر المشحون بالغضب.

وينقل أن أهالي قرية بني معن الأحسائية بزعامة عمدتهم علي الحاج العطية، كانوا صعبي المراس، فكلّما جيء لهم بمطوّع، فانه لا يلبث ان يفارقهم بسبب «المقالب» العديدة التي يدبرها الاهالي ضده.. فكان هؤلاء الاخيرون يرون بأن المطوع لا بدّ وان يشقى ويتعب ويكدّ على نفسه وعياله، لا أن يعيش على أعطياتهم وعلى راتب من عندهم، ولذا فإنهم يدفعون بالمطوع الى تجهيز الحمير والاشراف على نقل السماد للنخيل، اضافة الى الاحتطاب وتوفير العلف للحيوانات، مقابل إطعامه وسكنه.. وبالطبع فان هذا النوع من العمل غير مريح البته!.

كما وينقل أن المرحوم الحاج محمد علي المرزوق في الهفوف، دبّر اكثر من مقلب للشيخ العليمي ،امام مسجد العليمي في دروازة الكوت، وكان سيء السيرة والسريرة، وكان ابنه يعتدي على البيوت وحرماتها، وفي ذات مرة قبض عليه مواطنان «أحمد الباشا، ومحمد السدران» متلبّسا بالجريمة، وجيء به الى زعيم الشيعة الشيخ موسى، واضطر إبن جلوي ان يسجنه بضعة أشهر فقط، لأنه محسوب على الشيوخ، ولأن والده شيخ وحارس دروازة الكوت(٥٦).

وفي تلك الاثناء، وبعد حوالي سنة كاملة من إنفاذ الفتوى، سافر وفد ضمّ ثلاث شخصيات بارزة هي «الشيخ منصور السيف من تاروت، والشيخ محمد علي الخنيزي من القطيف، ومحمد حسين الفرج من العوامية».. سافر الوفد الى مكة المكرمة، والتقى هناك بالملك، فأظهر لهم الودّ والاحترام، خاصة وأن الفرج كان قد أكرم الملك أواخر عام ١٩١٣ بعد احتلال القطيف، وأقام له وليمة ضخمة يومئذ.

تقدّم الشيخ منصور السيف، وخاطب الملك قائلا : إذا كنّا كفاراً، فالمطلوب أن تأخذوا منّا الجزية فقط، فلماذا تأخذون الزكاة، وضرائب الجهاد، والخمس، وما معنى أن يأتي المطاوعة فيفرضون علينا تجديد الاسلام والائتمام بهم في الصلاة ؟.

قال إبن سعود، بعد أن وصلت له أخبار تذمّر الأهالي وتحفّزهم للثورة - التي اندلعت فعلا ذلك العام - قال مبررا موقفه بكلام غريب قائلا :

«أنتم اسلام - أي مسلمون -، وأنا لم أسمح لهم بأن يصبحوا أئمة عليكم،

وإنّما في منطقتين فقط هما : المنيف «البدراني» ، والميناء «دارين» ... ثم إن حاجتكم مقضيّة منتهيّة ، وسأكتب لابن سويلم حول الموضوع»(٥٧).

وبالفعل تمّ الأمر كما وعد الملك ، فسحب المطاوعة الباقون ، لأن العديد منهم انسحبوا من تلقاء انفسهم ، حيث وجدوا ان الأرض الشيعية لا يمكن ان تنمو فيها بذور الوهابيّة .

بقيت مناطق الشيعة في اضطراب ، رغم انصراف الذهن الرسمي الى عدو أكثر خطورة ، وهم الإخوان .. وكانت الاحساء والقطيف قاعدة قوية للحكم السعودي في حربهم . خاصة وأن زعماء الثورة والقبائل الثائرة اتخذت من الحدود الشمالية للمقاطعة الشرقية مركز انطلاق وتموين للاغارة على وسط نجد .. وبذا فان عبد الله بن جلوي كان أحد أعمدة الحرب ضد الإخوان ، فارسل قوات بقيادة إبنه فهد لقتال العجمان ، حيث غدر بزعيمهم ضيدان بن حثلين وقتله ، وهذا أدّى الى مقتل فهد نفسه بطلقة عجمانية .

والقصة كما يرويها مترجم الملك «عبد العزيز محمد المانع» ، ان العجمان قرّروا التفاوض مع الحكومة ، وبعث رئيسهم ضيدان بن حثلين الى معسكر فهد بن جلوي يخبره بأنه يرغب في لقائه .. واتفق الطرفان على ان يأتي إبن حثلين الى معسكر فهد في مكان يسمى الصرار ، وظلّ الرجلان يتحادثان خلال معظم ساعات النهار ، ولكن الليل حلّ وهما لم يصلا الى اتفاق .

فطلب فهد من ضيدان أن يبقى عنده تلك الليلة ، لكن إبن حثلين قال له : أرجوك أن لا تبقيني ، لاني قد نكرت لاتباعي إن لم أعد ليهم عند منتصف الليل فليأتوا اليّ .

ولكن فهد الغادر ، أمر خدمه بأن يقيّدوا إبن حثلين ويبقوه في احدى الخيام ، ومرّة اخرى أنذر ضيدان فهدا بأن تصرفه معه غير حكيم ، ولا يمتّ الى الشرف العربي والمروءة ، وقال له : ان قبيلة العجمان برمّتها ستهجم عليك ، لأنهم سيظنّون ان شيئا ما حدث لي .

أجاب فهد : دعهم يأتوا .

وبعد منتصف الليل بقليل أتى العجمان فعلا .. وكانوا في حالة نفسية عنيفة جدا لا يرتدون الاّ مآزر ، مستعدين للموت من أجل رئيسهم ، واستيقظ فهد منزعجا بأصوات النيران أثناء الهجوم على معسكره ، فارتدى ملابس المعركة بسرعة ، وفي فورة من الغضب أمر بفكّ قيود إبن حثلين وقطع رأسه .

أما فهد نفسه فقد أسرع الى حصان ، وأمر خادمه بأن يفكّ رباطه ، لكن الخادم العجماني ، الذي شهد الخيانة ، بدلا من اطاعة امره ، التفت اليه وأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلا(٥٨).

وكان من رأي المقيم البريطاني في بوشهر ضرورة تقديم المساعدة لابن سعود للفتك بالإخوان بإرسال قوات هندية تتقدّم من الأحساء (٥٩) . وفي يونيو

١٩٢٩ كتب فيصل الدويش ـ أحد أبرز قيادات إبن سعود العسكرية ثم تحوّل الى الثورة عليه ـ كتب الى أمير الكويت رسالة يخبره فيها أنه ترك هجرة الارطاوية ، وانه يتّجه الى شمال الأحساء ، ويطلب منه التصريح له بأن يعسكر في الصبيحة مع قواته لاتخاذها قاعدة لمحاربة إبن سعود في الأحساء ، كما طلب منه ان يبلغ المعتمد السياسي البريطاني في الكويت أن لا يتدخل في الثورة ، لكن المعتمد أوعز لشيخ الكويت بأن يرفض هذه الطلبات جملة وتفصيلا (٦٠).

وفي أيلول سبتمبر من نفس العام ، دعا إبن سعود أمراء القطيف والأحساء وغيرهم الى تزويده بالمال والسلاح والرجال ، وتعرّض الشيعة الى حملة تجريد من كل ما يمتلكونه من اموال وخيول وأسلحة بحجّة الحرب ، وفي نفس الفترة وعد الانجليز الملك بأربع طائرات لقتال الإخوان يقودها طيارون انجليز ، وقد وصلت بالفعل الى سواحل الأحساء في نهاية عام ١٩٢٩ (٦١).

وقصّة نهاية الإخوان محزنة الى أبعد الحدود .. فهؤلاء لم يكونوا يفقهون في السياسة شيئا .. والمُلك عقيم ، تستباح من أجله الدماء ، وتنهب الأموال ، وتنتهك الأعراض ، إذا ما قرّر المنتصر ذلك ، وهو ما حدث بالفعل .. ألم يقل إبن سعود : كل شيء في الحرب يجوز ؟!.

ضربة معركة السبلة الشهيرة عام ١٩٢٩ لم تقض على الدويش ، فبعد استسلامه لم يستطع إبن سعود اعتقاله ، وحسب مترجم الملك الذي شهد الواقعة فإن ما منع إبن سعود من اعتقاله ، ليس تقرير طبيب الملك بأن الدويش لن يعيش الاّ قليلا ، ولكن لأن جماعته كانوا يحيطون بمعسكر الملك .

وكما في قصّة فهد بن جلوي ، والخيانة التي ارتكبها ، حدث ذلك الأمر مع الدويش الاّ انه كان حذرا فنجا ، أما سلطان بن بجاد ، فاتح الحجاز ، فيحكي مترجم الملك قصة اعتقاله وانهاء دوره في الثورة الإخوانية ، بالشكل الذي تبرز منه الخيانة والغدر .. قال : «أرسل عبد العزيز الى إبن بجاد يطلب منه ان يقابله في بلدة شقراء ، وحينئذ اتجه هو وحاشيته الى المجمعة حيث بقينا يومين .. وقد نزل الملك هناك لدى الشيخ ابراهيم العنقري ، الذي كان أحد العلماء المشهورين وقاضي منطقة سدير .. ثم سرنا الى شقراء التي كانت تبعد حوالي خمسين ميلا جنوبا بغرب ، وانتظرنا بصبر لنرى ما إذا كان إبن بجاد سيستجيب لطلب الملك أم لا ، وكان إبن بجاد رئيس قبيلة عتيبة التي تمتد مناطقها من الرياض الى مكة المكرمة ، والتي كانت اكبر كثيرا من قبيلة الدويش .. وقد تلقّى الطعم وقدم الى شقراء مع حوالي خمسين رجلا من قبيلته .. فأخذ عبد العزيز يوبخه بقوله : أنت لست شيئا يا إبن بجاد .. ثم ألقى القبض عليه ومن معه وأرسلوا مقيدين الى الرياض ، وهناك قتلوا .. »(٦٢)!.

ويعلّق ديكسون ، المعتمد السياسي البريطاني ، وهو احد أهم من شاركوا

في إنهاء الإخوان من الوجود، يعلّق على هذا الامر وعلى الطريقة التي حورب بها الإخوان، بقوله في كتابه «الكويت وجاراتها» : «شتت إبن سعود أتباعهم بعمل وصفه اصدقاؤه بانه عقاب حق، ووصفه اعداؤه بأنه الغدر بعينه، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت إبن سعود كثيرا الى هذه الحيلة الملكية لأن العربي لا ينسى»(٦٣).

ومع هذا نهض الدويش من كبوته وتشافى من جراحه، وقاد المعركة من جديد، ودارت معارك عديدة قتل في إحداها عزيّز إبن فيصل الدويش ففتّ ذلك في عضد والده.. وفي هذه الأثناء اتفق الانجليز مع إبن سعود على محاصرة الإخوان في المثلث الشمالي الشرقي من حدود المملكة، بحيث لا يستطيعون الهرب الى الاردن، ولا الالتجاء الى العراق والكويت، وقد وصف غلوب باشا من موقعه في امارة شرق الاردن تفاصيل عديدة وطويلة جدّا لنهاية الإخوان، من حقّ القارىء على الاقل الاشارة اليها.

لقد جاءت نهاية الإخوان على يد قوات غير الملك، وذلك في صباح التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٢٩ حيث هاجم محسن الفرم ومشعل إبن طوالة والعجيمي بن سويط معسكر الدويش الذي كان هادئا قبل الفجر بساعتين.

يقول غلوب باشا «في اللحظة التي كان فيها رجال قبائل المطير يقفزون واقفين، كان أول ما خطر ببالهم، ان مهاجمهم هو إبن سعود، الذي كانوا يعرفون ان اعداد قواته تفوق اعدادهم بكثير.. وربما لم يكونوا ينوون قتاله اصلا. وبغريزة البدو الأولى، اندفع رجال مطير الى جمالهم، وسرعان ما كانت ثرواتهم وقطعانهم تهوي باتجاه الباطن بأقصى سرعتها، تاركين خيامهم للاعداء.. ولم تكن هناك مقاومة تذكر، ومن هنا فقد كانت المذابح محدودة : ربما لم يزد عدد الذين ذبحوا ـ دون مقاومة ـ على خمسين رجلا وصبيّا»(٦٤)!.

هرب الدويش وأعوانه الى العراق، وخيّم الملك عند الدبدبة قرب الكويت مطالبا تسليم المتمردين، وتوسط ديكسون الذي اخذ ينتقل بين الدبدبة والبصرة، حيث وضع قادة الإخوان على ظهر البارجة لوبن، وأخيرا عقد اجتماع بين إبن سعود والمقيم السياسي في منطقة الخليج، ورئيس اركان القوة الجوية البريطانية في بغداد، تقرّر فيه تسليم قادة الإخوان الى إبن سعود، وطرد قبائل المتمردين اللاجئين في العراق او الكويت، وإعادتهم الى حدود نجد عند المناقيش، وقد تمّ الطرد في شهر فبراير ١٩٣٠.

ويقول غلوب باشا في تقرير مطول له بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٠ «لقد أثار قرار تسليم الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي لابن سعود دهشة كبيرة بين قبائل العراق. قليلون ان وجدوا، هم الذين كانوا يتصورون او يخطر على بالهم ان الحكومة البريطانية يمكن ان تسلّم اولئك الذين سلّموا انفسهم لها

راغبين وبملء ارادتهم . الرأي العام يميل الى الاعتقاد بأن الزعماء المتمردين ربما كانوا سينفون او تسجنهم الحكومة البريطانية ، مع القبول بأن القبائل نفسها قد تعاد الى نجد بعد ان يكون قد أخذ منها كل جمال وماشية الكويت والعراق التي كانت بحوزتها» .

ويعود غلوب باشا في تقريره المؤرخ في الاول من مارس ١٩٣٠ ليكمل الحكاية .. يقول : «بعد ان انتهى المؤتمر بين المقيم السياسي البريطاني في الخليج الفارسي وابن سعود ، بدأت القوات البريطانية بسوق القبائل الهاربة - استعمل كلمة سوقها ، كما تُساق القطعان - باتجاه حدود نجد ، وقد مرّت القبائل ببطء قرب الجهراء باتجاه منطقة المناقيش ، حيث سلّمت الى ممثلي ابن سعود» .

وبعد ان يتحدث غلوب باشا عن مصادرة ما يمتلكه ابناء القبائل من ماشية وجمال وخيول ، يقول «ان فيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر ابن لامي ، حين وصلوا الى معسكر ابن سعود عن طريق الجو ، سيقوا جميعاً لاستعراضهم أمام الملك ، وعلى مرأى من المجلس الحاشد . وقد أُحضر كل واحد منهم امامه ليسألهم عن سبب تمرّدهم . قال الدويش بصراحة وجرأة أن هدفه كان الاطاحة بحكم عائلة ابن سعود ، امّا ابن حثلين فيقال انه هزّ كتفيه وأجاب : قسمة ونصيب ، وأمّا جاسر ابن لامي ، فقد اشار الى الدويش قائلا : هذا هو الرجل الذي ضيّعنا»(٦٥) .

ويمضي غلوب باشا - ابو حنيك - فيكمل الرواية المؤثرة «وضع السجناء في سيارة وارسلوا الى الرياض وهم مقيّدون بالسلاسل والقيود . ويقال انه لدى وصولهم أُدخلوا الى الزنزانة واحدا بعد الآخر ،حيث وجدوا سلطان إبن حميد - إبن بجاد - مقيّدا بأغلاله وقيوده ، فطلب منهم أن يحيّوا صديقهم .. تقول الروايات أن الدويش وابن حميد تعانقا وهما يبكيان ، لكن نايف بن حثلين رفض دخول الزنزانة الى أن أجبره الحرس ودفعوه داخلها بالقوّة ، وبعد هذا المشهد ، عُزل السجناء عن بعضهم ووضع كل منهم في زنزانة منفردة» .

وبعد أن يصف غلوب مشاهد الاستيلاء على ممتلكات الثوار ، يضيف هذه الفقرة المزرية : «وكآخر علامة من علامات الانتصار ، فان إبن سعود نفسه تزوج وهو في «قرية» زوجة المرحوم عزيّز - إبن فيصل الدويش - ، الذي قتل في معركة دارت بينه وبين قوات إبن مساعد - بن جلوي - قبل ستة أشهر . يبدو أن أخذ زوجة العدو عادة مألوفة يمارسها إبن سعود ، لأنّه بعد استيلائه على حائل أخذ زوجة إبن رشيد بنفس الطريقة»(٦٦)! .

لقد أراد الملك قتل سجنائه قتلا بطيئا ، بالتعذيب والتجويع ، الاّ أن حياتهم كما يبدو طالت بالنسبة للملك ، فأرسلهم الى إبن جلوي لينهي وجودهم ، دون أن يعلم أحد أين قبورهم .

وبالنسبة للانجليز فان تقارير المعاملة السيئة للسجناء تتردّد عليهم ، الاّ

انهم لم يحركوا ساكنا ، ولم يكلّفوا انفسهم حتى مخاطبة الملك بالنسبة لوعوده إليهم بإبقاء السجناء أحياء .

في الثاني من سبتمبر عام ١٩٣٠ ، زار الشيخ إبن مقراد ، شيخ فرع المحفوظ من قبيلة العجمان ، المعتمد السياسي في الكويت ـ ديكسون ـ ، وابن مقراد مقرّب من إبن سعود نفسه ومن حاكم الأحساء الجزّار عبد الله بن جلوي ، وقد علم ديكسون من إبن مقراد «ان حالة الدويش وابن حثلين وابن لامي تزداد قساوة وشدّة يوما بعد آخر ، وأنهم يعاملون بقسوة أشدّ من المعاملة الماضية بكثير ، وان المعتقلين لم يعودوا قادرين هذه الايام على الحركة وممارسة التمارين الرياضية كما كان يسمح لهم من قبل ، وبالاضافة الى تقييدهم بالأغلال والسلاسل ، فقد ربطوا الى أدوات تعذيب خشبية ثقيلة» .

ويعلّق ديكسون على هذه الاخبار ، بقوله : مع أن الحذر مطلوب في قبول هذه الرواية ، فانها تحمل خاتم الحقيقة والصدق ، خاصة وان إبن مقراد من المخلصين والموالين المعروفين لابن سعود ، ومن اصدقائه ايضا .. كما المح إبن مقراد الى أن الوقت قد حان لتحرك الحكومة البريطانية ، ودفع إبن سعود لكي يعامل سجناءه باحترام أكبر ، خاصة وانه معروف في جميع انحاء نجد أن الملك قد وعد الحكومة البريطانية ، وعدا خطيّا بأن يعامل هؤلاء بطريقة انسانية» .

وعلم ديكسون منه أن إبن مقراد جاء برفقة والد زوجة فهد الحثلين ، وإسمه حسين ـ أو حزين ـ الحثلين ، وخالد المحمد «من فرع سمحان» والذي لجأ الى العراق ، وقد ابلغ حزين المعتمد السياسي أن عائلة خالد موجودة في الرياض حاليا ، وان إبن سعود قد تزوج إثنتين من شقيقاته ، تماما كما فعل هو ـ اي إبن سعود ـ واخوه حين أخذا زوجات العزيزي إبن الدويش بعد مقتله .. أما هدف حسين الحثلين ، فهو إعادة عائلة فهد الحثلين ، والمؤلفة من شقيقته ووالدته وطفله ، الى الرياض ، لكن السيدتين رفضتا مرافقته ، وقد نصبتا خيامهما خارج مدينة الكويت ، قرب آبار الشامية .

ماذا كان تعليق الخارجية البريطانية على هذه الاخبار .

قال باكستر من وزارة الخارجية : قرار ، لا يتخذ أي اجراء ! .

وشرح الامر بقوله :«اذا كانت رواية إبن مقراد صحيحة ، فان إبن سعود لا يكون من الذين يقدّرون الحفاظ على الوعد والوفاء به .

واضح أن من مصلحتنا أن يوفي إبن سعود بوعده ، ورغم أن الدليل يثبت العكس ، فانه لا يكفي لتقديم مبرر لنا لنقدّم اي احتجاج رسمي لحكومة الحجاز .. الاّ انه يمكن للمستر هوب جل أن يذكر المسألة في احدى المناسبات»(٦٧) !! .

في النصف الثاني بدأت الاخبار ترد الى الإنجليز عن موت فيصل الدويش ،

الذي قيل أن السرطان اصاب حلقه، وقيلت اشياء اخرى، لكن تبيّن في النهاية أن الملك سلّم قادة الإخوان لابن عمّه عبد الله إبن جلوي فأعدمهم.

في الرابع من نوفمبر ١٩٣١ ارسلت المعتمدية البريطانية في الكويت نبأ عن مقتل الدويش في السجن، وحينما استفسر الإنجليز بشكل عابر عن الامر، روى السعوديون ظروف موته بأنها كانت طبيعية واعتيادية، وحتف أنفه!.

وفي الثاني عشر من الشهر نفسه ارسل هوب جل من جدّة تقريرا الى وزير الخارجية البريطانية يحمل عنوان «اعتقال عدد من أهالي الحجاز في الرياض» تضمّن فقرة تصف سجن قادة الإخوان شاهدها عن قرب أحد المعتقلين، تقول الفقرة: أن السجون السعودية «تذكر بسجون الملك حسين، فهي سجون كلّها تحت الارض، بلا نوافذ، وهي على نوعين، نوع له حفرة صغيرة تقوم مقام المدخل، تفتح مرّة واحدة في اليوم لادخال الطعام، أما النوع الآخر فلها باب يفتح خمس مرات في اليوم في مواعيد الصلاة.. ويعتقد بأن فيصل الدويش قد وضع في سجن من النوع الأول، وأنه لم يعش بعدها الاّ خمسة ايام. أمّا إبن بجاد وثلاثة من رفاقه، وكذلك ابو كلاب التركي-نايف بن حثلين-، فيعتقد بأنهم ما يزالون على قيد الحياة في سجن من النوع الثاني».

أبدت وزارة الخارجية دهشتها للتقرير، لماذا؟.

«الموضوع ذو أهميّة قليلة، لأنّ وزارة المستعمرات كانت تعارض تسليم قادة المتمردين النجديين، ولم توافق على ذلك الاّ بعد اشتراط حصولنا على تأكيدات من إبن سعود بأنهم لن يعاملوا معاملة بربريّة» كما يقول مسؤول قسم السعودية في وزارة الخارجية، ج. و. رندل الذي طلب تفاصيل اخرى.

ردّ جل في ١٤ نوفمبر، بان وقت وفاة الدويش غير معروف، ربما بعد ثمانية اشهر من اعتقاله.. ولكن وصف سجون الرياض لم يكن فيه أيّة مبالغة.

«لقد وضع فيصل الدويش في أظلم وأحلك الحفر، وأنه كان مقيّدا بالأغلال الحديدية، وأن أوامر إبن سعود تقول بألاّ يسمح لمثل هذا السجين بالخروج من تلك الحفرة ولو للحظة واحدة لقضاء حاجة طبيعية. ولكن اذا كان فيصل قد بقي على قيد الحياة حتى ثمانية أشهر، فلا بدّ أن تكون القيود والأوامر قد تمّ تخفيفها».

واضاف جل: «كما أن إبن حثلين وابن لامي وغيرهما، وجميعهم من شيوخ عجمان، موجودون في زنازين من النوع الثاني والأغلال في أعناقهم وأقدامهم، ولكن يسمح لهم بالخروج في أوقات الصلاة.. أما إبن بجاد، فقد كان من كبار زعماء قبيلة العتيبة حين ثارت في عام ١٩٢٩.. وقال الشيخ باجبير-احد السجناء الحجازيين الذين افرج عنهم-أن إبن بجاد موضوع ايضا في الأغلال الحديدية ،لكن باب زنزانته يبقى مفتوحا، ويستطيع التجوّل في أرجاء السجن.[٦٨]

وفي سبتمبر ١٩٣٣ تأكّد البريطانيون أن إبن سعود قتل جميع المعتقلين السياسيين .. فشتموه ولكن في اوراقهم الخاصة فقط ، ولم يتقدّموا بأيّة احتجاج او اعتراض ، او حتى اشارة .

من تقرير الكويت الاستخباري لشهر اكتوبر ١٩٣٣ وردت المعلومة التالية قدّمها احد افراد قبيلة العجمان الى شيخ الكويت «افاد هذا الشخص العجماني بأنه أصبح من المؤكد أن سجناء الرياض الذين عمّت شهرتهم الآفاق الآن ، وهم : نايف بن حثلين ، وابن لامي ، وابن حميد ، قد قتلوا بناء على أوامر إبن سعود . يظهر أنهم أرسلوا في ثلاث سيارات شاحنة ، ظاهرا الى الهفوف ، وذلك استجابة لطلب تقدّم به إبن جلوي منذ طويل ، بأن يترك له أمر التصرف بالمساجين ، ولكن يبدو أن السيارات الشاحنة لم تصل الى الهفوف أبدا ، ولكنها عادت فارغة الى الرياض في اليوم التالي . ولقد شاع في كل مكان في الرياض أن السجناء قد اطلق عليهم الرصاص ، ثم دفنوا في رمال الدهناء على يد جماعة أرسلها إبن جلوي لاستلام السجناء» .

وعلّق احد الإنجليز بالقول : «إن قصّة قتل هؤلاء البؤساء سيئي الحظ ، قد وصلت الى الكويت من عدد كبير من المصادر خلال شهري سبتمبر واكتوبر الى درجة لا يسعني معها الاّ التوصل الى النتيجة المؤسفة وهي أن هذه القصّة صحيحة .

أما قبائل عجمان والمطير ، والتي كانت ماتزال تأمل بأن يكون زعيماهما : إبن حثلين وابن لامي ، على قيد الحياة ، فقد رفضت أن تصدق ان يسمح إبن سعود لنفسة باقتراف عمل جبان خسيس كهذا ، الاّ انه حتى تلك القبائل قد استسلمت لتصديق ما يبدو انه الحقيقة اخيرا» .

واضاف التقرير الاستخباري «يقال انه لم يرافق السجناء سوى حرس إبن سعود الشخصي من العبيد حين انطلقوا في الشاحنات ، وانه حتى سائقو السيارات كانوا من العبيد ، ولهذا لم يكن هناك شهود عيان عرب على هذه الفعلة ، فالعبيد لا يتكلمون ابدا . وعلى كل حال فان هناك ثلاثة اشياء مؤكدة ، تأكدت ايضا من تقارير قبائل عجمان والمطير العديدة ، هذه الاشياء هي :

١ ـ أن السجناء انطلقوا فعلا صوب الهفوف وأنهم شوهدوا .

٢ ـ المرأة العجمانية المسنّة التي كانت تطبخ طعامالسجناء وترسله إليهم في السجن يوميا ، أُخبرت بأنه لم يعد هناك حاجة لخدماتها ، لان السجناء توجهوا في اليوم السابق الى الاحساء .

٣ ـ أن السجناء لم يصلوا الى الهفوف ابدا .

«لقد اقسم إبن جلوي عدة مرات ، وامام الملأ ، بأنه سيقضي على حياة نايف إبن حثلين ، للدور الذي لعبه في مقتل ابنه فهد إبن جلوي عام ١٩٢٩ ، وان يعدم إبن لامي وابن حميد اذا ما وقعا يوما في يده .. كما أنّ ترفّق الملك بحال

هؤلاء السجناء«!!»، قد سبّب فتورا في العلاقات بين حاكم الأحساء وسيّده» .

«وبالنظر الى التعهد الخطي الذي قدّمه إبن سعود الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، بواسطة الراحل بيسكو ، في خباري وضحة في أعقاب انهاء تمرّد الإخوان ، والذي يقضي بألاّ يقتل إبن حثلين أو ابن لامي ، وأن يوضع فيصل الدويش في السجن لفترة معقولة ، إذا ما سلمت الحكومة البريطانية هؤلاء له ، فانني آمل أن تولي السفارة في جدة اهتمامها وتجري استفسارات دقيقة وشاملة حول حقيقة القصة المدونة اعلاه . فالحادثة ذات أهميّة عظمى في أنظار البدو ، إذ أن الكل يعرفون الوعد الذي قطعه الملك للحكومة البريطانية ، وستتهم انجلترا بأنها خرقت عهدها بشكل خطير إذا ثبت أن هؤلاء السجناء قد صفّوا جسديّاً» (٦٩) .

ويتحدث تقرير الكويت الاستخباري عن شهر نوفمبر ١٩٣٣ ، والذي أعدّه كما يبدو - المعتمد البريطاني في الكويت - عن معلومات تلقتها المعتمدية من سائق الملك إبن سعود ويدعى جمعة .

يقول التقرير (٧٠) الذي يحمل عنوان «مصير السجناء السياسيين في الرياض» : «زارني سائق سيارة إبن سعود الثانية ، وهو صومالي يدعى جمعة محمد يحيى يوم السادس والعشرين من نوفمبر وقدّم لي المعلومات الهامّة التالية ، والتي أعتقد انها موثوقة :

غادر جمعة الرياض في ١٥ نوفمبر بالسيارة ومعه إبن ابراهيم بن معمر . في اليوم السابق لذلك ، غادر إبن سعود الرياض متوجهاً الى ركبة فيما بدا أنها رحلة لصيد الغزلان ، ولكنها كانت في الواقع زيارة لمناطق العتيبة ، في طريقه للاطلاع على ما يمكن عمله لتهدئة تلك القبيلة التي يقال أنها مهتزة الولاء ، وان الامام يحيى قد استمالها .

وأخبرني جمعة أنه كان حاضرا حين نقل السجناء من سجن الرياض ، قبل اسبوع واحد من وصول شيخ قطر الى العاصمة الرياض في الاول من سبتمبر .. الظروف كانت كالتالي :

ست سيارات شاحنة ، وسيارة شيفروليت واحدة وصلت الى الرياض من الهفوف ، وهي تحمل زوجة الأمير فيصل - الملك فيما بعد - وهي حفيدة إبن جلوي .

اغتنم إبن سعود الفرصة لارسال السجناء التالية أسماؤهم الى الهفوف بالسيارات نفسها ، وهم : سلطان إبن حميد ، ونايف إبن حثلين ، وابن لامي ، و١٤ شيخاً عربياً آخرين من شيوخ القبائل .

خلال عمليّة النقل مورست أقصى السرية المطلقة ، وجرت في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً .. وقد وضعت حراسة مشدّدة على كل الطرقات المؤدية الى السجن ، ومُنع السائقون من استخدام أبواق سياراتهم سواء في

الرياض أو في الهفوف حين الوصول.

حين أُخرج السجناء من زنازينهم بدا عليهم المرض والاعياء الشديد، وكانت ذراع إبن حثلين اليسرى ما تزال في الجبائر نتيجة ما تعرض له من الضرب والجلد حين اشتبه بأن له ضلعاً في محاولة هروب شيخ العتيبة في الصيف الماضي (٧١).

تحركت السيارات عند منتصف الليل تحت حراسة ثمانية عشر من العبيد المختارين بعناية، من عبيد إبن جلوي، حيث سارت سيارة الشيفروليت في المقدمة، والسيارات الشاحنة الأربع في الوسط، ثم سيارة بيويك كبيرة في المؤخرة.

دخلت القافلة الهفوف عند منتصف الليل ايضا وبسريّة مطلقة، حيث وضع السجناء في سجن القلعة «الكوت» في زنازين تحت الارض.

تلقّى جمعة تفاصيل أخبار الرحلة من السائق الصومالي لسيارة البيويك الكبيرة، وهو صديق جمعة، والذي عاد الى الرياض بعد ثمانية أيام من مغادرته الرياض، وذلك برفقة عبد الله بن ثاني، شيخ قطر.

وقد اخبر السائق جمعة أن السجناء إن لم يكونوا قد أُعدموا سراً من قبل إبن جلوي. ويرى الحرس من العبيد انهم سيعدمون. فإنهم لن يبقوا على قيد الحياة لعدم قدرتهم على تحمّل حياة زنازن السراديب، حيث لا يدخل ضوء على الاطلاق اليها.

يرى جمعة أن الملك أراد لهم أن يصفّوا جسدياً بالسر، ولهذا ارسلهم الى إبن جلوي».

ويعتقد معدّ التقرير أن هذه القصّة هي من أوثق ما وصل اليه عن سجناء الإخوان، «كما انني أعتقد أن هؤلاء السجناء لا يمكن أن تتوفر لهم فرصة من الأمل، مهما قلت، بمجرد أن يقعوا بين يدي إبن جلوي، امير الأحساء غير الكريمتين».

وكما يبدو فان آخر تدخّل من قبل الانجليز في القضيّة هو ما قام به اندرو رايان، الوزير البريطاني المفوض في جدّة، والذي أبدى رأيه في الموضوع بأنه لا يعتقد أن إبن سعود سيخلف وعده للانجليز بعدم قتل السجناء، ومع هذا سأل فؤاد حمزة، مستشار الملك، في ٢٩ ديسمبر ١٩٣٣ عنهم، فردّ عليه بان وعد الملك لا ينطبق على «ابن بجاد»، وان إبن سعود لا يقدر على الاخلاف بوعده.

وفي العاشر من يناير ١٩٣٤ حمل فؤاد حمزة لاندرو رايان تطمينات الملك بأن إبن لامي وابن حثلين فقط لا يزالان على قيد الحياة.. ورفض أن يؤكد اخبار نقل السجناء الى الأحساء.. حيث ان الاخبار تقول بانهم نقلوا الى سجن العبيد بالهفوف، الذي يعتبر الداخل فيه مفقود.

ونصح رايان بعدم متابعة القضيّة «لأنّ عملا كهذا قد يؤدي الى ظهور برود واضح في العلاقات بين إبن سعود وبين حكومة صاحب الجلالة .. وانا شخصيا لا أحبّ هذا ... وأشك الى حد ما بأنهما نقلا الى الهفوف ، وأعتقد أن إبن جلوي سجّان قاس وظالم .. وفي رأيي فان ما فعلته حتى الآن سيكون كافيا .. وأثناء أحاديثي مع فؤاد استغللت الفرصة لأقترح بأن الملك ، وبعد مضي هذه الفترة الطويلة من الزمن ، يمكن أن يخفف من قسوته وبطشه ، وأن يعامل هؤلاء السجناء كما يعامل الكثيرين الذين يوضعون تحت نوع من أنواع الاعتقال المفتوح - الاقامة الجبرية - ولكني لست متأكدا أن ينقل فؤاد للملك هذا الاقتراح ، وان أحسن أمل لهؤلاء الرجال سيئي الحظ هو في أن يخفف إبن سعود من غلواء قسوته بعض الشيء ... لقد اخبرني فؤاد بشكل عفوي بأن استعطافاً قد رُفع الى الملك من أجل إبن بجاد ، ولكن هذا الاستعطاف لم ينجح» (٧٢) .

لقد كانت بريطانيا مسؤولة بشكل مباشر واساسي عن إفناء الإخوان ، فقد رأت أن ثورتهم أخذت شكلا مزعجا لها وللسلطات المحليّة في الكويت والعراق وشرق الاردن ، فاتخذت موقفا متشدّدا منها ، وساعدت الملك إبن سعود في ضرب فرق الإخوان بقنابل طائراتها ، كما انها رتبت تعاونا مع شيخ الكويت من اجل استعماله القوة ضد الثوار ، كما أن القائد البريطاني غلوب باشا ، قائد جيش شرقي الاردن ، قدّم خدمات عسكرية لحكومته وللعراق وللسعودية ضد الإخوان . واتفقت بريطانيا مع إبن سعود على محاصرة الثوار من الحدود الكويتية والعراقية . ولمّا دخل الثوار حدود العراق مستسلمين ، سلّمتهم بريطانيا للملك عن طريق الكولونيل بيسكو وديكسون ، وأرسلت رسالة تهنئة للملك بعد نجاحه في القضاء على الثورة .

«والواقع أن ثورة الإخوان كادت تعصف بحكم الملك لولا مساندة بريطانيا له باستخدامها قوتها الجوية ووضعها قوّة كبيرة على الحدود الكويتية ، ولولا هذه الاعمال لما تمكن الملك من سحق الثورة بهذه السهولة ، ولتعرّض البيت السعودي لأخطر النتائج ... وقال الملك لما قضى على الثورة : من اليوم سنحيا حياة جديدة» (٧٣) .

وفعلا بدأت المملكة حياة جديدة ، وتخلّص الملك من بعض التعصّب الذي هدّد كيان الدولة الناشئة .

غير أن الشيعة الذين هم أول ضحايا الأخوان لم يبدأوا مسيرة جديدة تتّسم بالعدل والانصاف والتسامح المذهبي .. صحيح أن حدّة التعصب خفّت الى حدّ ما ، لكن أساس التعصّب الذي حمل الإخوان لواءه ضد الشيعة ، يعتقد به الملك ومعظم مشايخ المؤسسة الدينية الرسمية .. ولو أن الإخوان لم يتجاوزوا الخط السياسي الأحمر ، لما تعرّضوا للتصفية .

وستوضح الصفحات التالية أن مسألة التعصّب المذهبي ضد الشيعة لم تكن

وليدة الإخوان فانتهت بانتهائهم، وانّما تكمن بذورها في مختلف طبقات المجتمع النجدي المشبّع بالمعتقدات الطائفيّة، كما هي مكرّسة في عقول الحكام ايضا، مما جعل المسألة الطائفيّة تثور بين الفينة والاخرى، وتأخذ مداها الواسع حسب ارتضاء الحاكم، ورؤيته، الناقصة في الغالب، لمصلحته ومصلحة النظام الذي يتولاّه.

(١) جمال زكريا قاسم ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
(٢) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ، ط ١ ١٤٠٤ هـ ، ص ٧١ ، ١١٢ .
(٣) ملوك العرب ، الجزء الثاني ، امين الريحاني ، ص ٥٧٢ .
(٤) الكويت وجاراتها ، هـ . ر . ب . ديكسون ، المعتمد البريطاني في الكويت .
(٥) الاسلام والوثنية السعودية ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٦) الاصلاح الاجتماعي ، ص ١٥٤ .
(٧) جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٦٠٧ .
(٨) الدين والدولة في المملكة العربية السعودية ، أيمن الياسيني ، ص ٦٢ .
(٩) ذكر ديكسون في كتابه عرب الصحراء ، انه (لم تعامل المرأة طيلة التاريخ العربي ، الا لفترات قصيرة ، خلافا لقواعد الشهامة والاحترام) ، ثم يتحدث عمّا فعله الأخوان الى ان يقول (ووصلوا الى ذروة قوتهم ، واخذوا يغيرون على العراق والكويت وقبائل شرق الاردن ، ويذبحون الفئات المتفرقة من عشائر المنتفق ورعاة الخزاعل في الصحراء الجنوبية للعراق . وكان الاخوان يذبحون في هجماتهم بلا رحمة أو شفقة الاعداد الكثيرة من النسوة والاطفال . وقد يقال تخفيفا عن جرائمهم : أن معظم النسوة والاطفال ، كانوا يقتلون عندما يطلق الاخوان أول رصاصهم على المضارب تمهيدا للهجوم عليها ، كما كانت عادتهم بالسيوف والخناجر) ، انظر جي . بي . كيلي ، مصدر سابق ص ١٧٨ .
(١٠) الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٣٢٣ .
(١١) ملوك العرب ، الريحاني ، ص ٥١١ .
(١٢) جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٦٠٨ . تجدر الاشارة الى انه في مطلع عام ١٤٠٩ هـ عمّمت وزارة البلديات والشؤون القروية السعودية قرارا على المسالخ في المنطقة الشرقية من البلاد ، فتوى الشيخ ابن باز القاضية بمنع الشيعة من الذبح وإخراج العاملين من المسالخ . وقد نفذت هذه الفتوى في الحال ، وكتب أعيان الشيعة عدة رسائل شكوى الى الملك فهد ، تستغرب هذه العقليّة السانجة التي تبيح لكل اللحوم المستوردة من بلاد الكفار ، بينما تحرّم ذبيحة المسلم الشيعي الذي يقرّ بالشهادتين .
(١٣) ينقل الريحاني وصفا لمذبحة تربة التي وقعت في ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٥هـ في كتابه نجد وملحقاتها ص ٢٥٦ نقلا عن شاهد عيان هو الشريف عودة بن هاشم الذي قال : (رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنّها والله حمراء ، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن أقع من الشبّاك) . ووصف احد السعوديين المجزرة بقوله : (بعد ساعات من المسير نزلت وادي تربة .. وهناك فوجئت بالمشهد الذي لم تمحه من ذاكرتي عشرات السنين .. لم أكن قبل تلك اللحظة قد رأيت جثة قتيل ، فاذا بي أمام الوادي وكأنما فرشت بجثث القتلى متناثرة بين شجر العشر الذي يملأ الوادي والدماء متجمّدة حولها ، ولم يكن هناك جذع شجرة إلاّ وبجانبه جثة او جثتان !!.. وكلّما توغلتُ في الوادي ازدادت اعداد الجثث ، وقد بدأ السواد يغطّي جلدها من حرارة الشمس .
وواصلت السير ، وقد تملكتني الرغبة في الهروب من المكان .. ولكن الى أين ؟ .. وجاء الفرج .. شاهدت

قافلة من بضعة عشر جملا ، ما أن شاهدتها حتى أسرعت أعدو وكأنني أطير ! حتى لحقت بها ، وكانت كل جمالها مردوفة عدا واحدا ، ورغم اني لم اكن في حياتي - حتى تلك السن - قد علوت جملا إلاّ بمساعدة رجل أو حبل ، إلاّ اني في تلك اللحظة استطعت ان أعتلي الجمل في لمح البصر بدون مساعدة ، ونظر اليّ صاحبه نظرة حانية مهدّئا من روعي .

ورحت وقد استويت فوق ظهر الجمل أتطلّع لأرى المزيد من الجثث في كل مكان .

وعندما وصلت القافلة الى معسكر تربة وجدناه مليئاً بالجثث المكدّسة بعضها فوق بعض ، كما وجدنا جثثا أخرى فوق أسرتها لم يستطع أصحابها مغادرتها عندما فوجئوا بالهجوم ، وأخرى شاهدناها حول المدافع التي لم يستطع أصحابها اطلاقها .. وبعد أيام قليلة انتقل عبد العزيز السعود الى تربة ، وكان لا بدّ أن يقوم الرجال بحفر حفر كبيرة لدفن بعض الجثث لاخلاء مكان لنصب الخيام ومنعا للروائح الكريهة المنبعثة من الجثث المهترئة المتعفنة) .. انظر كتاب أسود آل سعود ، ابراهيم عبد الرحمن آل خميس ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

١٤، حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين .

١٥، انظر الوثيقة (E 6289/9/44) صادرة في ١١ يونيو ١٩٢٠ ، ومرسلة من وزارة شؤون الهند الى وزارة الخارجية بلندن .. اعدّ الدراسة - الوثيقة ، الميجور ديكسون اثناء زيارته للاحساء في الفترة ما بين ٢٩ يناير و ٢٠ فبراير من عام ١٩٢٠ .

١٦، الوثيقة السابقة .

١٧، حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين .

١٨، الوثيقة السابقة .

١٩، محمد المانع ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

٢٠، الاسلام والوثنية السعودية ، ص ٥٥ .

٢١، ملوك العرب ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

٢٢، فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٣٠٠ .

٢٣، جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٦٢٤ .

٢٤، الاصلاح الاجتماعي ، ص ١٥٥ .

٢٥، Shi'ism and Social Protest,
Edited By Juan R. I. Cole & Nikki R. Keddie,
Yale University Press 1986,P233.234

٢٦، الوثيقة السابقة (E6289) .

٢٧، راجع فصل العهد التركي ، للتعرف على حقيقة الاوضاع يومئذ .

٢٨، الوثيقة السابقة .

٢٩، المصدر السابق .

٣٠، الاصلاح الاجتماعي ، ص ١٥٥ .

٣١، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

٣٢، جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٦١٠ .

٣٣، الزركلي ، مصدر سابق ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

٣٤، جمال زكريا قاسم ، الجزء الثاني ، ص ٨٣ .

٣٥، الريحاني ، ملوك العرب ، ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ . وانظر
Juan R. Cole & Nikki R. Keddie , P236

٣٦، الاصلاح الاجتماعي ، ص ١٦٦ . وحافظ وهبة ، ص ٢٩٣ .

٣٧، الغريب ان كشك تعرّض للحادثة من بعيد ، واعتبر جواب الملك رغم خشونته (تطبيقا متسامحا للتعايش بين مختلف الاديان ، وإدراك ضروريات السياسة وحكمة التعدّد ، أو على الاقل قبول الأمر الواقع بحتميّة التعدّد) ! .

وكان الملك قد اشار الى عدم الاكثار من المظاهرات في احتفالات الشيعة ، فقال كشك (وعنده حق كرجل دولة ، فكل الحكومات تخشى المظاهرات ، لانها فرصة الطائفيين والمتعصبين والمندسين لاثارة المتاعب والاحتكاكات .. وان المصلحة أن لا يتحدّى الشيعة الشعور العام)(انظر كشك ، ص ٤٨ ، ٤٩) .

لقد تصوّر كشك بأن المظاهرات (العزاء) هي مظاهرات سياسيّة يحق للحاكم ان يخاف منها ، وهي التي

تجري في الاغلب داخل الحسينيات والمساجد.. واعجب من ذلك حديثه عن تحدّي الشعور العام في مناطق شيعية خالصة كالقطيف ونواحيها، وكالاحساء حيث اغلب القرى ونصف المدن على الأقل من الشيعة، فأيّ تحدّ مزعوم هذا؟!.

«٣٨» الوثيقة رقم FO 371/5261 E8538 مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٢٠، منكرة سريّة رقم ١٠٦ وتاريخ ٢٣-٢٦ ابريل ١٩٢٠، ومرسلة من المعتمد السياسي في البحرين الى المندوب السامي في بغداد.

«٣٩» الوثيقة FO 371/5261 E8538 مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٢٠.

«٤٠» الريحاني، ملوك العرب، ص ٥٧٦.

«٤١» فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣٠٥، ٣٠٦. وانظر كشك، مصدر سابق ص ٦٢٢، ٦٢٣.

«٤٢» ايمن الياسيني، مصدر سابق، ص ٦٤.

«٤٣» الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن ناصر بن حسن آل بشر، ولد في الرياض سنة ١٢٧٥ هـ، ونشأ بها. ولاّه ابن سعود قضاء بريدة سنة ١٣٢٧هـ، ثم نقله الى اقليم الاحساء سنة ١٣٣٩هـ ومكث بها حتى سنة ١٣٥٧هـ. انظر مشاهير علماء نجد، ص ٢٢٥.

«٤٤» وهي تمثل الرؤية الوهابية المختصرة في العقائد، وهي رسالة من تأليف مؤسس المذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

«٤٥» المقصود هو الحسينيات.

«٤٦» المقصود بالبدع هنا، هو قراءة التعزية وسيرة الرسول وائمة اهل البيت، وكذلك قراءة المواعظ الدينية المعتادة والمعروفة.

«٤٦» المقصود بالمسلمين هم الوهابيون لا غيرهم.. ويستدلّ من هذا أنهم لا يعترفون باسلام من خالفهم في المذهب.

«٤٧» ليس هناك اي دليل على ان الاخوان كانوا ممنوعين من دخول الاحساء.

«٤٨» تجدر الاشارة الى ان لفظة الرافضة، هي الاسم الرسمي الذي تطلقه الحكومة السعودية على شيعة أهل البيت.

«٤٩» جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٢٥.

«٥٠» فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣٠٦، ٣٥٠.

«٥١» حافظ وهبة، مصدر سابق، ص ١٤٥.

«٥٢» توفي الى رحمة الله في محرم ١٤٠٨هـ.

«٥٣» الاصلاح الاجتماعي، ص ١٤٨.

«٥٤» المصدر السابق، ص ١٦٩.

«٥٥» المصدر السابق، ص ١٥٩.

«٥٦» لقاء مع م.ب.خ في السابع عشر من صفر ١٤١٠هـ.

«٥٧» هذه المعلومات الخاصة حصل عليها المؤلف من خلال مقابلات عديدة أجراها مع شخصيات عاصرت تلك الاحداث.

«٥٨» محمد المانع، مصدر سابق، ص ١٦١، ١٦٢.

«٥٩» جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، ص ٩٦.

«٦٠» المصدر السابق، ص ٩٧، ٩٨.

«٦١» فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣١٥.

«٦٢» محمد المانع، مصدر سابق، ص ١٥٢، ١٥٣.

«٦٣» ويقول ديكسون عن خيانة فهد بن جلوي لزعيم العجمان ضيدان بن حثلين، انه حين التقى الاخوان من العجمان بقوات فهد بن جلوي في موقع يقال له «الصرار»، أرسل الاخير الى ضيدان كتاب أمان بخط يده، وطلب منه موافاته في معسكره من أجل البحث سلميًا لانهاء النزاع، وحين استشار ضيدان جماعته، أشاروا عليه بألاّ يذهب، وعلى حد قول ديكسون: «نصحوه بعدم الذهاب الى عواينة-معسكر ابن جلوي-لأن رائحة الغدر تفحّ من الرسالة».

ولهذا اتفق معهم على الذهاب ليعود في وقت محدّد، والاّ فليعلموا انه غُدر به.. وهكذا «ذهب ضيدان ومعه اثنا عشر رجلا، فاستقبله فهد بحفاوة بالغة، ولكنه عندما نهض ليغادر المكان أُلقي القبض عليه وكبّل بالأصفاد.. واضاف ديكسون «وانتشرت أنباء الاغتيال المخجل كالنار، وحرّكت المشاعر في شمال شرقي

الجزيرة العربية ، وانقلب الكثيرون على ابن سعود» .

«٦٤» تقرير سرّي مطول أعدّه غلوب باشا ، مؤرخ في ١٦ ابريل ١٩٣٠ ، يغطي الفترة الواقعة بين الاول من ديسمبر ١٩٢٩ ، وحتى منتصف يناير ، اي حتى نهاية الثورة . انظر الوثيقة E2578/1/91 مؤرخة في ١٩ مايو ١٩٣٠ ، ومرسلة من وزارة شؤون الهند الى وزارة الخارجية .

«٦٥» من المجازر التي ارتكبت بحق القبائل المستسلمة التي سيقت من الكويت ما اورده احمد عبد الغفور عطار في كتابه «صقر الجزيرة» ص ٥٩٢ ، اذ يحكي هذه المأساة :

«وكان ابن سعود في طريقه يؤدّب كل من صادف من العصاة أو اتباعهم ، حتى اذا كان في اليوم العاشر من شعبان في «بنية عيفان» راكبا سيارته الخاصة . وكان معه الشيخ يوسف يس ، والشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، والدكتور مدحت شيخ الارض ، وسائق السيارة الهندي .. أبصر سربا من الظباء يبلغ الخمسمائة ، فأمر السائق بأن يعدو بالسيارة خلفها ، وصاد أربعة منها وطار الخامس ، فطارت خلفه السيارة ، الاّ ان الظبي المذعور مال في عدوه الى اليمين منحرفا عن طريق السيارة المطاردة ، فمالت هي ايضا . فرأى ابن سعود جمعا كثيرا ، ولم يحقق النظر فيه لاشتغاله بالظبي الفار ، حتى أصابه وصاده ، ثم انثنى يرقب الجمع ، فظنّه في باديء الامر بعض جنده ، غير انه التفت الى جانب منه فرأى نساء واطفالا وأغناما ممّا نفى ظنّه ، لأنه ليس مع جنده نساء وأطفال .

ولم يكن أحد معه غير رفاقه الذين هم بالسيارة وغير سائقها ، فخشي من كثرتهم فارتدّ بسيارته الى الوراء فأبصر سيارة ابنه محمد قادمة اليه ، فأركب فيها أحد رجال مطير ـ قبيلة الدويش ـ ليكشف له الأمر .

راح المطيري واذا بالجمع اطفال ونساء قبيلة الصقهان ، احد بطون العجمان ، وكانت قد خرجت على ابن سعود ، وفر الرجال الى الكويت .

وما كاد الامير محمد ابن جلالة الملك يسمع جواب الرسول حتى تحمّس لقتالهم ، فمنعه أبوه ، ولكنه أصرّ وقاد رتلا من السيارات المسلّحة وعليها بعض آل سعود الشجعان ، واسرع اطفال ونساء الصقهان ومطير فقابلوه لضيافته ، وما هي الاّ دقائق .. أبيد بعدها النساء والاطفال .

وكان ابن سعود في المعسكر يهيّء المدد لنجدة ابنه ، ثم أسرع بسيارته الى المعركة يشهد سيرها ، ولكنه وجد ابنه محمدا راجعا ومعه قلّة ضئيلة من النساء والاطفال والغنائم ، وكان عمر محمد حينئذ ثمانية عشر عاما .

وكان كل ما تبقى من الاطفال والنساء خمسة اطفال ذكور ، وثلاث نساء وأربع فتيات أعمارهن بين التاسعة والعاشرة .. ولكي يواسي ابن سعود الاطفال ، أعطى لابنه محمدا فتاة وامرأة .. وتزوج الملك بالبنات الثلاث ، وتسرّر امرأتين .. ووضع الذكور الخمسة في خدمته الخاصة .. وصادر الاغنام والابل وعددها الف رأس .. اما ضحايا المعركة فكان ٧٤٣» !! .

«٦٦» هل يمكن تهنئة ابن سعود على هذا النصر أم الانجليز ، ام الاثنين معا؟! .. لقد بعث القائم بالاعمال البريطاني في جدة «و . ل . بوند» رسالة تهنئة للملك لقضائه على الثورة ، وذلك بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٣٠ جاء فيها : «لقد سرّني كثيرا أن أقرأ عن الفرحة الغمرة والشاملة التي ملأت قلوب رعايا جلالة الملك ابن سعود المخلصين لانتهاء الاضطرابات الاخيرة في نجد .. واسمحوا لي بأن أضيف تهانيّ الى جلالته على النجاح الذي توّج جهوده لتحقيق هذا الغرض ... واني على ثقة من أن الامة البريطانية تردّد صدى هذا الأمل ـ أمل توطيد السلام والأمن ـ» . انظر الوثيقة E1380/1/90 مؤرخة في ١٧ مارس ١٩٣٠ .

«٦٧» الوثيقة رقم E5776 /1/91 مؤرخة في ٢٤ اكتوبر ١٩٣٠ ، ومرسلة من وزارة شؤون الهند الى وزارة الخارجية .. وتتضمن الوثيقة نص تقرير المعتمد ديكسون المرسل الى المقيم في بوشهر بتاريخ ٣ / ٩ / ١٩٣٠ .

«٦٨» انظر الوثيقة E5264/62/25 ، من المستر هوب جل ، جدة . الى وزير الخارجية بلندن ، في ١٩ سبتمبر ١٩٣٢ . ومن ج . و . رندل من خارجية لندن في ٢٧ اكتوبر الى هوب جل في جدّة . ومن هوب جل الى رندل في ١٤ نوفمبر ١٩٣٢ .

«٦٩» الوثيقتان E7560/884/91 , E6693/884/91 مؤرختان في ٢/١١ و ٧/١٢/ ١٩٣٣ ومرسلتان من وزارة شؤون الهند الى وزارة الخارجية .

«٧٠» الوثيقة E185/185/25 مؤرخة في الثالث من يناير ١٩٣٤ .

«٧١» المقصود هنا هو شيخ صقير ، احد افرع قبيلة العتيبة ، وكان قد أودع في سجون الرياض ضمن قادة الاخوان ، وقد حاول الهرب من السجن ، لكن محاولته باءت بالفشل ، إذ انقطع الحبل الذي استخدمه للهبوط

من أعلى السور، وحينها قتل الشيخ رميا بالرصاص امام الجميع في الساحة العامة. انظر الوثيقة E1780/884/91 والمؤرخة في الرابع من ابريل ١٩٣٣.

«٧٢» الوثيقة رقم E 983/85/25 صادرة في ٢٥ يناير ١٩٣٤. ومسجّلة في ١٣ فبراير ١٩٣٤، وهي مرسلة من الوزير المفوض في جدّة السير اندرو رايان الى السير جون سيمون في خارجية لندن، وتحمل الوثيقة عنوان «اعدام سجناء الدولة في الرياض».

«٧٣» الاصلاح الاجتماعي، ص ١٦٣، ١٦٤.

٥

شيعة المملكة

والفتنة الطائفية في البحرين (١٩٢٣)

يعتقد عدد من الباحثين أن المشكلة الطائفية في البحرين ترجع في جذورها الى تاريخ غزو آل خليفة وحلفائهم من القبائل « السنيّة » للبحرين التي قطنتها غالبيّة شيعيّة على مرّ التاريخ .. ومن ثم قيام « الغزاة » ولأكثر من قرنين باحتقار الشيعة سكان الجزر الأصليين ، لاعتبارات قبليّة في الأساس .. ذلك أن الغزاة اعتبروا الجزر غنيمة تعود عليهم بالربح الوفير ، ويحقّ لهم بمنطق المنتصر ، التصرّف في أرضها وأهلها ، بأيّ شكل كان ..

ويبدو أن « المسألة الطائفية » لم تكن واضحة يوم غزا آل خليفة البحرين وسيطروا عليها في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي .. على الأقل بالنسبة « للغزاة » .. ذلك أن البدو أقلّ إلتصاقاً بالإسلام ـ فهماً وممارسة ـ من الحضر فضلاً عن أنهم كانوا بعيدين عن فهم مسائل الخلاف بين المذاهب الاسلامية .. ولذا يرجّح أن الفرز الطائفي لم يتحقق إلّا بعد الاستيلاء على البحرين ، حيث استخدم كوسيلة من ضمن الوسائل الأخرى لتبرير سيطرة الأقليّة على مقدرات (الجزر) واضطهاد أهلها .

وعلى الأرجح ـ أيضا ـ ، فإن آل خليفة لم يتنبّهوا الى « الخلاف » المذهبي ، إلّا بعد أن إحتل الوهابيّون البحرين ، بعد نحو ثلاثة عقود من سيطرتهم على البحرين ، بقيادة ابراهيم بن عفيصان ، وبعد أن فرض على عدد من آل خليفة الإقامة الجبرية في العاصمة السعودية الأولى « الدرعية » ، وحين عادت السيطرة على البحرين لآل خليفة ، وجدوا عدداً من القوانين التي وضعها الوهابيون على أساس طائفي بحيث تخدم مصالحهم ، فتوسّعوا في تطبيقها ، رغم الحروب الطويلة والدامية مع السكان الأصليين ، الى حدّ أن نحو نصف السكان هجروا مدنهم وقراهم الى الساحل الآخر للخليج ، وقدّرت المدن والقرى التي أزيلت من الخارطة بنحو ١٥٠ قرية ومدينة .

ومع أن آل خليفة لا يُعتبرون ـ بنظر الوهابيين ـ من المسلمين الصادقين ، بل كانوا بنظر أولئك ـ شأنهم شأن الشيعة ـ كفرة وهراطقة .. إلّا أن الروح الطائفيّة التي مورست في البحرين كانت مغالية في التطرّف خاصة إذا كانت ممارسة من قبل الأقليّة ضد الأكثرية .

لقد حُرم الشيعة في البحرين من كل حقوقهم .. فلم تبق لهم أرض إلّا وصودرت ، وكان حصادهم الأكبر : « ضرائب » مختلفة الأشكال والألوان ، بل لم يسلم المواطنون على أرواحهم ، حيث تعرّضوا لهجمات متتالية أوقعت بينهم العديد من القتلى دونما سبب .. هذا غير العمل بالسخرة وتعرّضهم للطرد من « الوطن ! » وتمييزهم في القضاء ، وغير ذلك .

ومع إرتباط البحرين بالإنجليز وخضوع الأولى للثانية منذ عام ١٨٢٠ ، تغاضى البريطانيون عن ممارسات حلفائهم الطائفية ، إن لم يكونوا قد شجّعوها .. حيث أكّد الانجليز في تقاريرهم أنهم تدخّلوا وقمعوا ثورات الشيعة بالسلاح .. يقول المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مخاطباً الملك عبدالعزيز في يونيو ١٩٢٣ ، أي بعد وقوع الفتنة الطائفية ، رداً على اتهام الأخير بأن الانجليز وقفوا مع الشيعة ضدّ النجديين والشيخ المعزول عيسى بن علي : « من المعروف جيداً لسموّكم أن موقف ومركز بريطانيا العظمى في البحرين هو مركز الخصوصيّة والصعوبة .. فمركزها هناك يعود الى ما قبل تاريخ الذاكرة الحيّة .. ولكن يكفي أن أذكّر سموّكم بهذا الخصوص بالحقيقة القائلة ، بأن الحكومة البريطانية هي التي أخمدت الاضطرابات أثناء القتال الضاري وما تبعه من فوضى ، وهي التي دعت الشيخ عيسى آل خليفة ـ وكان يومها فاراً طريداً ـ الى تسنّم مشيخة البحرين قبل خمسين عاماً .. فقد قُتل والده في ذلك القتال الذي أدّى الى تدخّل حكومة صاحب الجلالة تدخلاً عسكرياً لإخماده » .

« وخلال تلك الفترة الطويلة من الحكم والتي استمرت خمسين عاماً ، كانت الحكومة البريطانية هي التي أبقت الشيخ عيسى شيخاً للبحرين ، وهي التي لجأت الى قوّة السلاح في أكثر من مناسبة لتحقيق ذلك .. وليس سرّاً أن حماية الحكومة البريطانية للشيخ عيسى ، هي التي ساعدته ، وأكثر من مرة ، ليس ضدّ الاعتداءات الخارجيّة فحسب ، وإنمّا ضدّ رعاياه أنفسهم ، أي البحارنة ـ الشيعة ـ الذين يتعرضون منذ زمن طويل للإضطهاد والقمع ، ويشعرون بالاستياء المطلق من الأوضاع » .

بين ١٨٢٠ ـ ١٩٢٠ ، وعلى امتداد قرن كامل ، لم يتدخل الانجليز مرّة واحدة لصالح غالبيّة السكان المضطهدين في « جزر »البحرين .. ولكن مع تطوّر حركة المعارضة ضد حكم آل خليفة ، وإنعكاس ذلك على البريطانيين أنفسهم ،

حاول الأخيرون إصلاح الوضع لتدوم سيادتهم .. وبدأت الدعوة الى الاصلاح تظهر منذ عام ١٩٢٠ تقريباً ، وكان الانجليز حريصين على إصلاح الوضع الطائفي بالطرق السلميّة ، وان كان بصورة غير جذريّة ، إذ لا يمكن أن يستمرّ حكم الأقليّة بالصورة الطائفية المركّزة الى الأبد .. ولكن شيخ البحرين ـ الكبير في السن ـ لم يدرك ما أدركه الانجليز ، الذين أرجعوا الأسباب التي تدفعهم للإصلاح الى تنامي وعي الشيعة الذين كانت تصلهم الإنتاجات الثقافية من مصر والعراق ، والتي تدور حول الديمقراطية .. والى أن حكام البحرين هم أكثر جهلاً من كثير من رعاياهم ، والى أن الحكام يمارسون أبشع الممارسات الطائفية التي ضاق منها السكان .

زار المقيم السياسي البريطاني في بوشهر « تريفور »البحرين في ديسمبر ١٩٢١ ، وهناك تقدم إليه الشيعة بشكوى قالوا فيها : « ان طائفة الشيعة تعيش حياة ملؤها الذلّ ، وهي عرضة للمذابح الجماعيّة ، وليس لها من ملجأ .. كما أن شهادة أي من أفرادها لا تُقبل في المحاكم ، إضافة الى أن ممتلكاتها عرضة للسلب والنهب ، عدا عن كون أفرادها معرّضين للمعاملة السيئة في أي وقت » .. وقال تريفور ، ان الشيعة أخبروه بأنه إذا لم يكن البريطانيون على استعداد لإقناع الشيخ بإيقاف الاضطهاد الذي يتعرضون له ، وبتشكيل حكومة أكفأ من الحاليّة ، فإن من واجبهم خلعه ، وإقناع الحكام العرب الآخرين بحكم البلاد بدلاً منه[١] .

وفي نفس الفترة ـ أواخر عام ١٩٢١ ـ ، إزدادت المظالم ، وإزداد التذمّر والشكوى ، بل أن عدداًمن الشيعة لجأوا الى المعتمد السياسي في البحرين الكولونيل « ديلي » .. وكان « فداوية »الشيخ خالد بن علي (أخ الحاكم) وحاكم سترة وتوابعها ، قد قاموا بمهاجمة عائلة شيعية ، فقتلوا الأب ، وجرحوا الإبن الذي تعافى وطلب الحماية ! ! ، مع أن هذا المعتمد كان في واقع الأمر « حاكم الجزيرة ـ البحرين » الأوحد ! .

مع بدايات عام ١٩٢٢ ، تأكّد لدى شيعة البحرين أن الانجليز لن يتدخلوا ، فصمّم زعماؤهم على القيام بمبادرة ضغط ، أسفرت عن تقديم مطالب لشيخ البحرين ـ عيسى ـ في ١٩٢٢/٢/١٦ ، كان من بينها تعديل إجراءات القضاء ، وإيقاف العمل بنظام السخرة ، وإلغاء ضريبة « الرقبيّة » المفروضة على الشيعة وحدهم ، وإصلاح السجون .. وحين تشاور الشيخ مع أفراد العائلة الحاكمة ، وافق من حيث المبدأ على المطالب مع تحفظات على « وضع السجناء » وعلى « ضريبة الرقبية » التي قال انها يجب أن تستمر « حسبما جرت العادة في زمن أسلافه » ، والتي يستلمها أخوه الشيخ علي[٢] .

لم تقبل النخبة السنيّة بمساواة المواطنين في الضرائب ، ولا بإعادة ـ ولو جزء قليل ـ من الأراضي المنهوبة ، ولا حتى بتعديل القضاء ..

« فقبيلة الدواسر المستقلّة في البديع عارضت الفكرة منذ بدايتها ، ولم تكن تقبل في أي حال بدفع الضرائب ... حتى الشيخ حمد ـ ابن الشيخ عيسى ـ لم يكن راضيا .. وبدا للكثيرين من السنّة أن فكرة المساواة في جباية الضرائب تدخّل بريطاني في شؤون البلاد .. وبدأت قبيلة الدواسر بالاتصال بابن سعود »[٣] .

وابن سعود نفسه كان من أشدّ المعادين للإصلاح ، خوفاً من إنعكاس ذلك على شيعة الأحساء والقطيف الذين يعاملون على قدم المساواة مع إخوانهم في البحرين .. تقول وثيقة بريطانية أن مطالبة السنّة في البحرين بعدم التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية (الاستقلال الداخلي) يعني (بالنسبة لرجال القبائل غير المتعلمين صلاحية القيام بأشياء كثيرة لا نوافق عليها .. إنه يعني إدارة هذه الجزر لما فيه فائدة ومصلحة زعماء القبيلة التي ينتمي اليها هؤلاء ، وهو يعني إستغلال الشعب ـ الشيعة ـ لصالح الحكام .. ويعني بالنسبة للسنّي المتعصبّ ، معاملة الشيعة ، وكأنهم طبقة لا حقوق لها .. وهو ما نشاهده اليوم في بلاد ابن سعود ، التي لا تبعد أكثر من خمسين ميلاً عن البحرين .. ويعني ايضاً التلاعب بالعدالة بهدف خدمة مصالح القبائل الحاكمة ومركزها »[٤] .

وتشير وثيقة أخرى الى أسباب عدم سرور ابن سعود بمطالبة شيعة البحرين بالانصاف ، فتقول[٥] : « من المحتمل أن يكون الموقف الأخير والأكثر حسماً والذي وقفه شيعة البحرين لرفع الاضطهاد عن أنفسهم لا يسرّ إبن سعود .. وأعتقد أن هذا هو موقف وكيله هنا ـ القصيبي ـ بالنسبة للمسألة .. ذلك أن لإبن سعود رعايا من الشيعة في القطيف ، على علاقة قويّة بالبحرانيين ، ويفرض ابن سعود ضرائب عليهم لا تتناسب ابداً مع ثرواتهم ، بل تستنفد معظمها . وقد تلقينا تقارير في مناسبة أو مناسبتين ماضيتين ، تثبت أن رعاياه الشيعة مستاؤون من هذه المعاملة ، وفي إحدى المرات التي أبلغناكم عنها ، وأبلغنا المندوب السامي في العراق ، حاول رعايا ابن سعود الشيعة ، الإتصال بي ، لكني ثنيتهم عن ذلك ، لأنه لم يكن لدينا رغبة في التدخّل في شؤون سلطان نجد .. ويتضح بصورة متزايدة ، أن ابن سعود راغب أشدّ الرغبة في أن يدسّ أنفه في شؤون البحرين . وأعتقد أن المعتمد السياسي في الكويت قد لاحظ نفس الموقف .. ولذلك فسيكون من مصلحة ابن سعود أن تستمر الإدارة غير الكفوءة في البحرين ، لأن هذا يمكنه من إقامة تحالفات مع القبائل المستقلّة ، مثل الدواسر .. أما الاصلاحات التي تستتبع فرض ضرائب متساوية ، فانها تعني

دعم حكومة البحرين في السيطرة على القبائل السنيّة والشيعة على حدّ سواء » .

لهذه الأسباب تحالف ابن سعود مع الدواسر ، وقد انغمس في الشأن البحراني طيلة عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ ..

ومن الثابت أنه منذ طرح موضوع الاصلاح على بساط البحث في الأروقة الرسميّة البريطانية ، تكثفّت الإتصالات بين ابن سعود وزعماء الدواسر في البحرين عبر وكيله ، عبد الله القصيبي .. واشار المعتمد السياسي في البحرين (ديلي) في إحدى رسائله لرؤسائه في السادس عشر من يوليو ١٩٢٢ ، الى أن شيخ الدواسر قام بزيارتين لابن سعود .. الأولى كانت أثناء المباحثات التي كانت تجري بخصوص الاصلاحات ، والثانية بعد ذلك بقليل .. وأشار الى أن شيوخ البحرين لم تصلهم أخبار تحالف ابن سعود مع الدواسر إلّا متأخراً ، وانهم ما كانوا يعتقدون أن السنّة سيعارضونها بشدّة ، خاصة وانها قائمة على أساس وضعهم في موضع مساواة كاملة مع الشيعة ..

وفي ١٣/٧/١٩٢٢م أرسل (ديلي) مرة أخرى الى رؤسائه تقريراً مطولاً عن وضع الدواسر وعلاقتهم بابن سعود جاء فيه[٦] :

« كما أفدتكم سابقاً ، قام شيخ الدواسر ، يرافقه شخص يدعى أحمد اللاحق ، وهو مختار قبيلة سنيّة صغيرة أخرى ودساس مشهور ، بزيارة ابن سعود منذ مدة .

ليس من الممكن طبعاً معرفة ما دار بينهم ، لكن الشيخ حمد بن عيسى أخبرني سراً بما يبدو أن ابن سعود عرضه ، وبما علمه هو ، وما سمعه من مصادر عليمة أخرى . يبدو أن ابن سعود عرض مساعدته لهم في أية مقاومة يبدونها ضد محاولة حكام البحرين فرض الضرائب عليهم ، أو إخضاعهم للسيطرة الفعّالة . ويقال إنه وعد بأحد خيارين :

١ / استخدام نفوذه لدعمهم ومساندتهم في حال مقاومتهم للحكام .

٢ / أو ، إذا كانوا يفضّلون ، تقديم موقع إقامة لهم في أراضيه ، بحيث يستطيع الدواسر التهديد بمغادرة البحرين ، وأن ينفذوا تهديدهم إذا اقتضى الأمر .

الوضع بالنسبة لهذه القبيلة هو كما يلي : مع أنها تعترف إسمياً بسلطة الشيخ عيسى ، فقد رفضت دائماً في الماضي الاعتراف بالشيخ حمد خلفاً حتمياً له . ويعتقد أن أفرادها يأملون في السيطرة على البحرين بأنفسهم في المستقبل . ربما لا يعلم ابن سعود بهذه المخططات . قبل عدة سنوات كان الدواسر يدفعون ضريبة غوص صغيرة مخففة . ولكن حتى في تلك الحالة رفضوا دفع الضرائب المباشرة . وتوقفوا عن دفع تلك الضريبة البسيطة منذ عدة أعوام ، والحاكم

يخشى من مغبة الضغط والإلحاح عليهم .

كان الحاكم في الماضي يعتمد على الدواسر والقبائل السنيّة الأخرى في ممارساته القمعية ضد البحارنة الشيعة ، وكان يطلق يدهم بدون حدود في تعاملهم مع الأخيرين . في العام الماضي ، حين أصبح البحارنة في حالة قلق واضطراب متزايد ألحّ الدواسر على الشيخ حمد مراراً بإتخاذ إجراءات قمعية ضدهم . إلّا أن الشيوخ أخذ منهم الجزع كل مأخذ ، وكانوا يخشون من دفع الأمور الى المدى الذي كان يطالب به الدواسر . وقد طلب هؤلاء السماح لهم بتصفية الحسابات مع بعض البحرانيين بأنفسهم ، لكن الشيخ حمد رفض ذلك .. فحتى مركزه هو حساس وهش بسبب مؤمرات ودسائس (أخيه) عبد الله ، وهو يدرك تماماً أن الاضطرابات إذا وقعت فسيعدّ هو المسؤول ، وسيستفيد عبد الله من ذلك الوضع فائدة كبيرة .

انتقد الدواسر بمرارة هذا الموقف ، لكنهم كانوا يخافون أيضاً من أخذ زمام الأمور بأيديهم ، لأنهم لا يثقون بالشيوخ ، ويعتقدون أو يظنون أنه إذا سبب عملهم هذا إضطرابات وقلاقل ، فسينحى باللائمة عليهم لتبرئة الشيوخ وتبييض صفحتهم . وهم يحاولون منذ ذلك الوقت الضغط على الشيخ حمد عن طريق خلق الشجارات مع البحارنة ، ومن امثلة ذلك حادثة « بربر » التي أبلغناكم بها في حينه . ولم تحلّ هذه القضية حتى الآن . ومع أن الحكام لا يتجرأون على الاعتراف بهذا ، فإنهم يعلمون جيداً أن الدواسر هم الذين تعمدوا خلق هذه الحادثة . وآل خليفة على أتم الاستعداد للتضحية بالبحارنة للصق التهم بالدواسر الذين لا يتوقفون عن المطالبة « بالإنصاف » ، ولكنهم (أي آل خليفة) يخشون أن يؤدي مثل هذا العمل الى ثورة بين الشيعة . ولهذا فإنهم يؤخرون باستمرار إجراء تحقيق كامل .

لقد مرّ على استقرار الدواسر في البحرين زمن طويل ، حتى صار يعترف بهم كرعايا بحرانيين . أما في علاقاتهم بالشيوخ فإنهم لا يحصلون على الوساطة الحميدة للمعتمدية ، التي يتمتع بها كل رعايا اين سعود المعترف بهم . وبما أنهم مستقلون عملياً تقريباً فإنهم لا يحتاجون الى المساعدة .

ولقد تبنى حكام البحرين مؤخراً موقفاً أكثر عدلاً تجاه الشيعة ، ربما نتيجة التحذيرات والإنذارات التي قدمتها الحكومة (البريطانية) للدواسر ، ولكن يبدو أنهم بدأوا في الفترة الأخيرة يختبرون قوتهم ويستعرضون عضلاتهم في هذا المجال ، وعملاً بتعليمات الحكومة تحاشيت أنا التدخل قدر الإمكان ، وهم لذلك يشعرون بثقة متزايدة بالنفس . أما البحرانيون (الشيعة) أنفسهم ، فمنقسمون ، وبعض قادتهم يشعرون بخيبة الأمل وهبوط العزيمة لفشلهم في

الحصول على دعم حكومة صاحب الجلالة بناء على العرائض والمرفوعات التي قدموها ، بينما ينادي قادة آخرون بإعلان ثورة مكشوفة في حال تصاعد القمع والاضطهاد مرّة أخرى ، وقد علمنا أنهم استوردوا الأسلحة من الخارج .

معظم أفراد القبائل السنيّة يعملون « نواخذه » صيد لؤلؤ . وهناك اضطهاد كبير في قطاع الغوص لصيد اللؤلؤ ، ومعظم المضطهدين المظلومين من الشيعة .. وترفض القبائل السنيّة كل أشكال الإصلاح ، خشية أن تؤدي البدايات الصغيرة الى اصلاحات في قطاع الغوص أيضاً .

وأود أن أشير هنا الى أن الإصلاحات التي أدخلها الشيوخ ربما تكون شيئاً مفيداً بالرغم من النقص في تصميمها وتنفيذها ، وسيكون الأمر مختلفاً إذا أدخلت تلك الاصلاحات تحت ضغط حكومة صاحب الجلالة . ففي تلك الحالة سيتم اكتشاف كل خطأ وكل هفوة ، وسيجري استغلالها استغلالاً واسعاً ، وبناء عليه فإنني أقترح أن أُعطى وقتاً كافياً ، قبل الشروع في تنفيذ مثل هذه السياسة ، لأقوم بدراسة دقيقة للأوضاع الضريبية الحالية ، وطبيعة آثار التحسينات التي قد تدخل عليها ، خاصة تلك التي اقترحها الشيوخ أصلاً .

سنكون في وضع لا نحسد عليه إن نحن أصررنا على إصلاحات لا تزيل الظلم والاضطهاد فعلاً ، في حال تطبيقها .

باستثناء مسألة الضرائب ، هناك حاجة ماسة لإقامة نظام ما يحقق العدالة والإنصاف بين السنة والشيعة ، فهذه المظالم هي التي يحتمل أن تؤثر على الآراء والمواقف في الأقطار الشيعية المجاورة .

نحن الآن في موسم صيد اللؤلؤ ، وإن أية استفسارات تجري الآن ، مهما كان مبلغ حذرها وحصافتها ، لا بدّ وأن تثير أعظم الشكوك بين صيادي اللؤلؤ السنّة . وأعتقد أنه بالإمكان إجراء دراسة كاملة لهذه المسائل بعد انتهاء الموسم ، بدون إثار الشبهات وردود الفعل .

وكما ابلغتكم سابقاً ، فأنا على وشك الانتهاء من المفاوضات التي آمل أن تتوج بمصالحة بين الشيخ عبد اللهوالشيخ حمد ـ أبناء الشيخ عيسى ـ . وسيكون من المفيد اختيار موقف عبد اللهمدة من الزمن ، فإذا برهن على أنه مستعد فعلاً لمساعدة حمد على إدخال الإصلاحات ، فإن إجراءها سيصبح أكثر سهولة نوعاً ما . وإلّا فسنكون مضطرين ، مع الأسف ،لأن نصفّي حسابنا معه ، لأنه سينضمّ الى القبائل السنيّة ضد حمد لمقاومة الاصلاحات ، وسيؤدي ذلك الى الشقاق داخل العائلة الحاكمة ، ويجعل من المستحيل إمكان ممارستهم للسلطة الفاعلة » .

وفيما كان البريطانيون يعدّون الاسرة الخليفية الحاكمة لقبول الاصلاح ،

اشتعلت الفتنة الطائفية بين النجديين المقيمين في البحرين ، الذين يبلغ عددهم ٥٠٠ شخص ، وبين الشيعة .. ثم توسّعت لتتحول الى صراع بين آل خليفة والسنّة البحرينيين والنجديين من جهة ، وبين الشيعة من جهة أخرى .

وقيل أن سبب المشكلة التي وقعت في بداية شهر رمضان تعود الى خلاف بين نجدي وايراني حول « إصلاح » ساعة لا تزيد قيمتها عن ثلاثة ريالات .. بينما يدعي النجديون أن الايراني (مصلّح ساعات) سرق ساعة النجدي ، وهكذا وقعت الفتنة وعمّ الشغب الذي أججّه وكيل ابن سعود عبد الله القصيبي ، ووقع بسببه عدد من القتلى والجرحى ، وأدّى الى تدخّل عسكري بريطاني ففرض الإصلاح بالقوة ، وعُزل الشيخ عيسى ـ شيخ البحرين ـ ليتولّى إبنه حمد الحكم [٧] ..

كما نتج عن الفتنة طرد وكيل ابن سعود من البحرين ، والى هجرة الدواسر للأراضي السعودية ، حيث قام الحاكم السعودي بالإستفادة منهم في مخططه تجاه البحرين التي كان يأمل أن يسيطر عليها في يوم من الأيام .

معظم الباحثين يؤيدّون الرأي القائل بأن الفتنة الطائفية كانت مفتعلة وأنها قامت بتخطيط من القصيبي ، وكيل إبن سعود السياسي والتجاري في البحرين ، وهم بهذا يؤيدّون الإتهامات البريطانية للحاكم السعودي الذي انتقم من « أعدائه » بضرب رعاياه الشيعة في القطيف والأحساء ! .

يقول الأستاذ جمال زكريا قاسم[٨] : إن صراعاً وقع بين أهالي قرية عالي وقرية البديع ، نُظر اليه على أنه صراع بين العرب والفرس : « والحقيقة فإن هذه الصراعات قد تكرّرت ليس باعتبارها صراعات عنصرية ، ولكن بكونها صراعات مذهبية ، لأن سكان عالي من الشيعة ، وقد تعرّضوا في هذه المناسبة لاعتداءات الدواسر ، ومن المؤكد أن ذلك كان بتحريض من ابن سعود .. كما كثرت اعتداءات الدواسر أيضاً على البحارنة ـ الشيعة ـ خلال موسم صيد اللؤلؤ .**وكانت الأسلحة والذخائر تصل إليهم من القطيف والعقير ـ اي من الحكومة السعودية ـ وتشير التقارير البريطانية بصدد ذلك الى أن إبن سعود امر بإتخاذ وسائل القمع ضدّ شيعة القطيف الذين كانت تربطهم عرى الصداقة والتحالف مع شيعة البحرين** » .

لقد استمر الشغب لثلاثة أيام ، بين ١٠ ـ ١٣ مايو ١٩٢٣م ، نتج عنه مقتل خمسة أشخاص .. وفي ١٥ مايو وصل الوكولنيل نوكس ـ نائب تريفور في مقيميّة بوشهر ـ الى البحرين على ظهر سفينتين حربيتين هما (هاترايد وكروكوس) وقام بأول خطوة ، وهي الإعداد لطرد القصيبي الى مملكة ابن سعود[٩] . وعلى الرغم من أن وكيل ابن سعود اعترف بمسؤوليته عن الاضطرابات التي نشبت في

سوق المنامة وعمّت كل البحرين ، وأبدى استعداده لدفع تعويض عاجل ، إلّا أن بريطانيا انتهزت الفرصة لطرده .. وكان من رأي نوكس « ضرورة القبض على القصيبي وترحيله الى الكويت ، وتسليمه هناك الى وكيل ابن سعود التجاري ، لأن الخطر الحقيقي في البحرين يأتي من القبائل الموالية لإبن سعود » . وسبق لنوكس أن أرسل لإبن سعود يبلغه أن وكيله « سبّب اضطراباً في البحرين ، وأنه مسؤول عن إراقة الدماء التي وقعت هناك »[١٠] .

وصل الكولونيل تريفور ،المقيم في بوشهر ، والذي كان في رحلة ، الى البحرين للتحقيق في الاضطرابات ، فاستدعى القصيبي ، وسلّمه رسالة الى ابن سعود شرح فيها الأحداث التي وقعت ، وحمّل القصيبي مسؤولية إثارة الفوضى ، وطلب من ابن سعود أن لا يُرسل وكيلاً الى البحرين دون إستشارة الحكومة البريطانية[١١] .

في ٢٦ مايو ١٩٢٣ ، دعا نوكس الى اجتماع حضره رجالات المجتمع البحراني قدّر عددهم بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ شخص .. وفي الاجتماع أعلن نوكس « خلع !! »الشيخ عيسى رسمياً عن الحكم ، وعيّن ابنه حمد .. الذي قال في الاجتماع : « إنني نزولاً منّي عند أوامر الحكومة العليّة ، أصبح على عاتقي اليوم مسئولية حكم هذا البلد » .. ثم قام نوكس يعظ ويحذّر جميع الأطراف ..

بدأ حديثه فقال : « أن الأحداث البغيضة التي جرت مؤخراً قد أكّدت دون شك ، وزادت من حدّة الحاجة الى إصلاح الإدارة على أسس عصريّة .. وأرجو صادقاً أن تُفلح إجراءات الإصلاح التي نتوخّاها الآن في إحداث تقارب بين طائفة السنّة وبين بقيّة فئات المجتمع ـ الشيعة ـ » .. ثم التفت الى قاضيي السنّة والشيعة محذراً : « إذا سمح أي منكما بتدخل ذوي النفوذ أو تابعيهم في مسائل الشرع ، فسوف يُفصل من عمله ، سواء كان سنيّاً أم شيعيّاً » ..

ثم خاطب نوكس آل خليفة فقال وكأنه يؤدّب أولاده الصغار : « إن من واجبي أن أحذّركم أن كونكم في موقع الحكم هذا ، لا يُجيز لكم العيش على حساب بقيّة فئات المجتمع ، سواء عن طريق منح تأخذونها من العائدات الجمركيّة في البلاد ، أو باستغلال الفقراء والبائسين » ! .

ثم توجه مخاطباً زعماء الدواسر مهدداً بأن يتركوا الجزر : « فإذا كنتم عازمين على ذلك ، فاذهبوا بحق الله ، ولكن لا تندهشوا إذا رأيتم أراضيكم ومنازلكم يحجز عليها ، وتُعطى لأناس آخرين غيركم » .. ويلاحظ أن الكثير مما لدى الدواسر من أراض وأملاك ، إنّما نُهبت من السكان الأصليين الشيعة .

وأخيراً أخذ نوكس بتهديد أعيان الشيعة في المجلس ، وحذّرهم إنهم لن يحصلوا على المساواة ، وإن هم طالبوا بها فسيفقدهم ذلك ما سيحصلون عليه

من فوائد في العهد الجديد .. قال : « إنني لا أؤيد الفكرة القائلة بأن سوء الإدارة مؤخراً ، كان اكثر ظلماً أو اكثر فظاعة مما كان عليه في الماضي .. ويجب أن لا تتوقعوا مساواتكم بالسنّة بشكل تامّ (! ! !) ، لأن إمتيازات السنّة لا يمكن إلغاؤها إذا كان ذلك ممكناً بالمرّة .. ولقد أصبح لكم مؤخراً صوت مسموع ، دأب الواعظون الأجانب (!!) على تعليمكم كيفيّة إستغلاله .. ولكن عليكم أن تحذروا من أن تخسروا الفوائد التي يمكن أن تحصلوا عليها مع بدء نظام الحكم الجديد ، وذلك من خلال مطالبتكم بالمساواة » ! ! [١٢] .

ورغم الوعود بالإصلاح ، إلّا أن الأمور لم تمرّ بسلام ..

ففي ١٩ مايو ١٩٢٣ قام عدد من الدواسر بمهاجمة قرية عالي الشيعية وقتلوا شخصين من أهاليها ، وحين طلبت الحكومة منهم دفع غرامة (١٥ ألف روبية) رفضوا وشكوا لـ « تريفور » جور الحكم .. وبعد عدّة أشهر جرت حادثة مماثلة ، حيث قام أحد اتباع الشيخ خالد بن علي بقتل رجل شيعي في جزيرة سترة ، فغرّم خالد مبلغ « ألفي روبية » فقط .

ومع أن الاصلاحات بُدىء بتطبيق شيء منها في يناير ١٩٢٤ م ، إلّا أن حوادث القتل للشيعة استمرت .. ففي ليلة ٨ يناير سنة ١٩٢٤ قامت مجموعة من الرجال يحميهم الشيخ خالد بن علي آل خليفة ، بالهجوم على قرية (واديان) قرب سترة ، وقتلوا رجلاً وامرأة .. ثم جاءت حادثة توبلي التي قتل فيها عدد من الشيعة ، فكانت الغرامة (ألفي روبيّة) ، رفض الشيعة المعتدى عليهم استلامها[١٣] .

أما الاصلاحات الموعودة ، فلم تبدأ ـ كما قلنا ـ إلّا في يناير ١٩٢٤ ، حيث اصبح مسؤول الجمارك بريطانياً ، ثم في عام ١٩٢٦ عيّن ديلي شخص « بلجريف » ليكون مستشاراً للأمير وبقي في منصبه نحو ثلاثين عاماً ، كان خلالها حاكم البحرين الأوحد .. وكان بلجريف يتمتع بسلطات واسعة . ثم عيّن الإنجليز شخصاً بريطانيا ليصبح مستشار الحاكم مالياً ، كذلك أصبح المشرف على البوليس بريطانياً .. في حين تخطت صلاحيات بلجراف كل الحدود ، حتى أن أحد الكتاب البريطانيين الذين زاروا البحرين في الخمسينات كتب عن سلطاته قائلاً : « كان باستطاعته القبض على أي شخص باعتباره رئيساً لسلك البوليس .. ومحاكمته في المحاكم القضائية باعتباره رئيس سلك القضاء . واصدار الحكم عليه ، والنظر في طلب الاستئناف المقدّم منه ضد الحكم باعتباره رئيس الاستئناف » ! .

أما موضوع الاصلاحات نفسه ، فقد لخّصه المقيم البريطاني في بوشهر « تريفور »في رسالة الى حكومته في مايو ١٩٢٣ ، حين قال بأن الموقف لم

يتحسّن ، فالمظالم واقعة على الشيعة البحارنة من قبل الشيخ وأعضاء أسرته ، وهذا يؤدي الى إثارة النفوس ضد الأسرة الحاكمة ، وهي أمور تستغلّها فارس للتدخل في شؤون البحرين .. ولخص تريفور المشكلة على النحو التالي :

★ عدم العدالة في توزيع الضرائب بين السنّة والشيعة .

★ ان الشيعة يتعرضون للسجن أو أيّة عقوبة أخرى بمجرد إشارة بسيطة من الحاكم أو أحد أفراد أسرته .

★ علاج نُظُم الغوص .

لقد قام مشروع الإصلاح على أساس نزع فتيل الثورة من الأغلبيّة السكانيّة الشيعية ، والحفاظ على سمعة الأنجليز في الأماكن التي لهم نفوذ فيها .. ففي ٧ ديسمبر ١٩٢٢ ، أعلم مكتب الشؤون الخارجية في لندن ، أعلم مكتب الهند برغبته « في اتخاذ الاجراءات اللازمة فوراً ـ !! ـ لتنفيذ الاصلاحات الكفيلة بمعاملة الشيعة على قدم المساواة مع السنّة » . وذلك بعد أن سكت الانجليز أكثر من قرن على ذلك الاضطهاد .. فما هو السبب ؟ .. تشرح حكومة الهند دوافع تلك الرغبة للمقيم في بوشهر من أجل تنفيذها ، بالقول : « ان اضطهاد السنّة للشيعة قد يؤدي الى إثارة المشاعر ضد بريطانيا في ايران أو في أي مكان آخر ، ولذلك يجب اتخاذ الاجراءات لمواجهة مثل هذا الاحتمال »[١٤] .

وفي يناير ١٩٢٣ أوضح المقيم في بوشهر أن أسباب عدم الاستقرار في البحرين عديدة منها :

« ★ الازدياد الكبير في ثروة العائلة الحاكمة من جراء زيادة الرسوم الجمركية والاستيلاء بالقوة على ممتلكات الشيعة .

★ ان الاحداث التي جرت مؤخراً في العراق ـ ثورة العشرين ـ والهند ومصر ، قد ولّدت المزيد من الأفكار الإيجابية حول الديمقراطية .

★ ان الحكام أكثر جهلاً وأقلّ خبرة من كثير من رعاياهم »[١٥] .

ولهذا رأى تريفور « أن الادارة في البحرين بحاجة ملحّة الى التحسين ، وذلك لحفظ مصالح طائفة الشيعة ، وللإبقاء على إسمنا محموداً هناك » .

والجملة الأخيرة ، هي بيت القصيد ، وبقاء الاسم محموداً ضروري ليس في البحرين وحدها ، وانما في ايران المحتلّة ، وفي العراق الذي تديره « الخاتونة » المس بل والتي تدير الملك فيصل الأوّل .

ولذا إتفق تريفور مع ديلي على أن يشمل الاصلاح :

★ المساواة في جباية الضرائب بين الشيعة والسنّة .

★ إنشاء المحاكم المناسبة (شيعيّة وسنيّة) لتحقيق عدالة القضاء .

★ وضع قوانين للغوص .

ويضاف إلى هذا ، تسجيل ملكيّة الأراضي .. حيث « ظهر أن هذه الخطوة تستهدف تجريد أسرة آل خليفة وأثرياء السنّة من ملكيّة الأراضي ، باعتبار أن مساحات كبيرة منها إنتزعت من البحارنة الأصليين ـ الشيعة ـ . وقد صدر قانون يقضي بأنه اذا استطاع أي شخص أن يثبت ملكيته لمدة عشر سنوات سابقة ، فإن حقّه في الملكيّة يصبح نافذاً ، وإلّا صودرت الأراضي »[١٦] .

على هذا قام مشروع الإصلاح البريطاني الهادف الى نزع فتيل الثورة من الشيعة ، وتخفيف السخط العام المتأجّج ، إلّا أن هذا لم يكن ليعني تحقيق المساواة الكاملة بين المواطنين ، ولاتزال البحرين وحتى اليوم تمارس فيها الأقليّة الحاكمة إضطهاداً وتمييزاً طائفياً بحقّ الأكثرية « الشيعيّة » . وحتى الجزء القليل الذي تحقّق ، ما كان ليتمّ لولا « طرد »أو « هجرة »الدواسر من البحرين الى حيث استضافهم ابن سعود في مقاطعة القطيف .. ولولا تخلّص الشيخ حمد بمساعدة ديلي من زعماء معارضة الاصلاح الذين جمعوا المال للمقاومة ، حيث جرى ترحيلهم الى بومباي وعدن .

أما أحمد الدوسري ، زعيم الدواسر ، فإنّه حين قرّر الرحيل ، وبدأت قبيلته بزيادة اعتداءاتها ، أنذرهم تريفور أواخر نوفمبر ١٩٢٣ باخلاء قرية (البديع) تماماً خلال عشرة أيام ، وإلّا قصفها بمن فيها ، وقد إنصاعت القبيلة ورحلت ـ كما هو مخطط ـ الى الأراضي السعودية ، وكان ابن سعود يأمل في استغلال الدواسر للتدخل في شؤون البحرين[١٧] .

وبرحيل الدواسر بدأت المشاكل تأتي من الخارج ـ اي من الأراضي السعودية ـ ليس فقط مهدّدة البحرين ، وانما قطر أيضا .. فقد كان الغواصون الدواسر يقومون بأعمال قرب البحرين ، وهناك كانوا يمارسون اعتداءاتهم على الشيعة .. كما أن ابن سعود حرّض الدواسر ـ رغم التحذيرات البريطانية ـ على مهاجمة مشيخة قطر والبحرين ، واقترح المقيم البريطاني في الخليج « قصف »الدمام ، لوقف التهديدات السعودية ، ولكن وزارة المستعمرات عارضت ذلك « ما لم تكن هناك ضرورة قصوى »[١٨] .

في عام ١٩٢٤ ، أذاع الدواسر من ملجئهم بالدمام ، أن ابن سعود أخبر زعماءهم بأنه لن يسمح بمصادرة ممتلكاتهم أو بيعها ، وأنه سيعمل على إعادتهم الى البحرين من جديد .. فأرسل المقيم البريطاني « تريفور » الى ابن سعود يعلمه بمؤامرات الدواسر وان « الحكومة البريطانية علمت أن بعض رؤساء هذه القبيلة ، أجروا اتصالات معكم ، وأخذوا يشيعون أنكم وعدتموهم بأن ممتلكاتهم لن تباع أو تصادر ، وأنكم تؤيدونهم في العودة وهذا شجّعهم على التهديد بغزو البحرين » .. وذكّر تريفور الحاكم السعودي بنصوص معاهدة

القطيف (دارين) ، وطلب منه : ١/ أن لا يستخدم الدواسر الدمام ، وأن أي إغارة سيكون هو مسؤولاً عنها مباشرة .. ٢/ أن يرحل الدواسر الى الجبيل ، لأن الدمام قريبة من البحرين ، وبإمكانهم مفاجأتها بالغزو[١٩] .

وقبل ابن سعود بالنصيحة ـ أو التحذير ـ « لذلك بدأ يتخاذل عن قضيّة الدواسر »الذين شعروا بعد أن نقلهم ابن سعود الى المناطق الداخلية بحراجة موقفهم .. خاصّة وأنهم كانوا شبه مستقلين في البحرين ولا يدفعون أيّة ضرائب ، بينما عانوا الكثير من المتاعب التي سببتها الضرائب التي سنّها إبن سعود وفرضها عليهم ، مما دفعهم للمطالبة بالعودة الى البحرين ، وذلك عام ١٩٢٧ ، بعد أن أعلنوا استعدادهم لدفع الضرائب المترتبة عليهم منذ خروجهم في نوفمبر ١٩٢٣ .. ووافق الانجليز على عودتهم شرط أن يكونوا مواطنين عاديين ، يستردّون ممتلكاتهم ويؤدون ما عليهم .

ومنذ ذلك الحين انتهت مشكلة الدواسر .. وإن لم تنته المشكلة الطائفية ! .

مفاوضات إبن سعود والمقيم في بوشهر حول أحداث البحرين

بعد وقوع الفتنة الطائفية في البحرين ، أرسل ابن سعود ممثلاً له للقاء (نوكس) المقيم في بوشهر نيابة عن « تريفور » ، وكان ذلك الممثل هو السيد هاشم ابن السيد أحمد الرفاعي ، وذلك بهدف الشكوى ضد تصرفات الميجور ديلي ، المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، ولتبرير تصرفات ممثله القصيبي والمطالبة بعودته .

فيما يلي نص تقرير رفعه الميجور نوكس لوزير المستعمرات البريطاني ، والذي حوى نصوص رسائل الاتصالات بين الطرفين ، والمواضيع التي نوقشت ، والتي كان من بينها موضوع الجواز « النجدي » ، وموضوع « الدواسر »[٢٠] .

● **أولاً : تقرير عن المفاوضات مع السيد هاشم ، مبعوث سلطان نجد ، والتي جرت مابين ١١ و٢٠ يونيو ١٩٢٣ .**

« قبل أن أغادر الكويت في الرابع من يونيو الماضي ، تلقيت برقية من المعتمد السياسي في البحرين تفيد بأن سلطان نجد أرسل مبعوثاً موثوقاً يدعى السيد هاشم ، ليتباحث معي بخصوص المسائل الناشئة عن الاضطرابات التي وقعت مؤخراً في البحرين ، وبقدر ما تؤثر هذه الأحداث على رعاياه المقيمين في تلك

الجزر . واستفسر المعتمد السياسي عما إذا كنت أرغب في أن يلحق بي السيد هاشم الى الكويت على الفور ، وإذا لم يكن ذلك ممكناً ، فما هي التوجيهات التي يجب على المعتمد السياسي إعطاءها للسيد هاشم لكي تتوفر له الفرصة لمقابلتي ؟ .

كنتُ على وشك مغادرة الكويت للقيام برحلة مستعجلة الى المحمرة والأهواز ، وكنت أتوقع أن أعود الى مقر القيادة في بوشهر خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة التالية . وبناءاً على ذلك فقد طلبت أن يتوجه السيد هاشم الى بوشهر على الفور وينتظرني هناك . كما أبرقت الى سكرتيري في بوشهر أطلب منه أن يقدّم كل مظاهر الكرم والاعتناء بمبعوث سموه حال وصوله وبإنتظار عودتي .

عدتُ الى بوشهر مساء يوم الثامن من يونيو وأجريت مقابلتي الأولى مع السيد هاشم صباح يوم الأثنين ، الحادي عشر من يونيو ١٩٢٣ .

السيّد هاشم ، شاب يتراوح عمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عاماً ، وهو من أصل كويتي ، وعلى صلة قرابة قويّة بصديق لي في الكويت ، هو الشيخ موسى بن عبد الرزاق ، وهو تاجر ثري ومحترم من تلك البلدة ، كان قد توفي قبل بضع سنوات .

أبلغني السيد هاشم انه كان صبيّاً صغيراً حين كنتُ أنا مسؤولاً في الكويت ، ولكنه يتذكّرني جيداً ويتذكّر زياراتي لديوانية الشيخ موسى في مناسبات العيد ، واللقاء هناك بالشيخ مبارك الصباح .

ونظراً لوجود هذه الحلقة من الصلة بيننا ، فقد ذاب الجليد على الفور ، ووجدت السيد هاشم رجلاً مهذّباً وكفئاً وسريع الفهم والبديهة ومدركاً لمصالح سيّده ، وتوّاقاً في نفس الوقت لأن يقيم علاقات تفاهم وديّة ، والإبقاء على علاقات طيّبة معنا .

● ثانياً : رسالة من : الشيخ السير عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود ، أمير نجد الخ ..

إلى : سعادة المحترم س. ج. نوكس

المقيم السياسي في الخليج الفارسي .

بتاريخ : الخامس من شوال ١٣٤١هـ

(٢٢ مايو ١٩٢٣)

بعد التحيات

لي الشرف بأن أعلمكم بأنني تكاتبت مع سلفكم المحترم ، الكولونيل تريفور ، حول موضوع الجواز (جواز السفر) الذي كنت أعتزم تعميمه على رعاياي بواسطة المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، الميجور ديلي . وافق ديلي على

ذلك ، وقد تلقيت أخيراً رسالة مؤرخة في ٢٣ شعبان من ديلي يطلب مني فيها أن أرسل له ١٢ نسخة من ذلك الجواز ، حسب رغبة حضرتكم ، وقد أرسلتها له بالفعل . ولمّا كان قد مرّ زمن طويل دون أن أتلقى أية نتيجة نهائية ، ولما كان السيد هاشم ، الذي تربطني به القرابة ، وهو أحد أتباعي الخاصين ، سيتوجه لمقابلة سعادتكم ، فقد رأيت من الضروري أن أذكّركم بالمسألة . آملاً أن تعطوها كامل عنايتكم واهتمامكم . وإني على ثقة من أنكم ستعطون المذكور رسالة مرضية حول هذه القضية التافهة حال عودته الى بلاده .

وتقبلوا فائق شكري واحترامي سلفاً والله يحفظكم ..

● **ثالثاً : رسالة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود**

إلى : حضرة الليفتنانت ـ كولونيل س. ج. نوكس ، المقيم السياسي في الخليج الفارسي

بتاريخ : الخامس من شوال ١٣٤٢ هـ

(٢٢ مايو ١٩٢٣)

بعد التحيّة ،

لي الشرف بأن ألفت انتباهكم الى المشاكل التي حدثت بين الفرس المقيمين في البحرين وبين رعاياي هناك ، والتي قتل وجرح من جرائها الكثيرون ، وقد تأكّد لي من مصادر موثوقة يمكن الاعتماد عليها ، أن المعتدي والمدبر لهذه المشاكل كان الفرس ، وذلك بدليل اشتراك وجهاء الفرس في هذه الفتنة ، وعلى رأسهم محمد شريف ، الذي لا يخفى عليكم موقعه الرسمي ، لأنه رئيس بلدية البحرين ، وهو الذي يشرف على قوات الشرطة ، خلافاً لرجال نجد المعروفين الذين امتنعوا عن المشاركة في هذه الاضطرابات ، ومارسوا ضبط النفس والحياد التام رغم الخسائر التي تكبدوها ، والقهر الذي تعرضوا له ، وقد برهن ذلك على رغبتهم الأكيدة بالسلام والهدوء .

لكن القضية المدهشة هي أن رجال الشرطة ، الذين أوكل إليهم حفظ القانون والنظام ، قد انحازوا ، كما يبدو ، الى الجانب الفارسي بسبب تعصّبهم الديني وجنسيتهم الفارسية ، وأطلقوا النار على النجديين . أثناء ذلك ، كان المعتمد السياسي لبريطانيا العظمى في البحرين ، الميجور ديلي ، يتفرّج على هذه الاضطرابات بلا اكتراث ، ولم يكلّف نفسه عناء إيقافها وكأنها لا تهمّه . إن موقفه هذا هو الذي أثار دهشتي واستغرابي ، وكنت آمل على الأقل بأنه سيطمئنني ، ولو برسالة واحدة ، حول هذه المشاكل التي اندلعت في مطلع شهر رمضان .

وتظهر آخر الأخبار التي تلقيتها حول الموضوع أنها لم تحل ، ولا أعرف ماذا

حصل وماذا ستكون النتائج . ولكن يؤسفني أنه لم يفعل ذلك . ولذلك أرجو أن تعذروني حين أذكر لسموكم بأنني مستاء جداً من موقفه ذاك ، وإنني آمل من صديقتي بريطانيا العظمى ـ التي لم ولن أتوقف أبداً عن المحافظة على صداقتي المخلصة لها ، والتي نطمع بصداقتها وحبها ـ أن تعيّن وسيط وحدة بيننا وبينها يكون حريصاً وغيوراً على مصالحي ، كما كانت بريطانيا دائماً .

هذا وقد قررنا أن نرسل هذه الرسالة مع السيد هاشم ، أحد أتباعنا المخلصين ، نيابة عنا ، لتسليم الرسالة لسموكم ، وللتحقيق والاستفسار عن تلك الاضطرابات ، آملاً من سموكم أن تعينوا أحد رجالكم الموثوقين الذين تعتمدون عليهم ، لكي يرافق تابعي المذكور الى البحرين ، حتى يقوما بالتحقيق والاستفسار والتأكّد معاً من الأسباب ، لكي تأخذ العدالة الحقّة مجراها الطبيعي . ولي وطيد الأمل بأن تنظروا سموكم في هذه المسألة ، كما هو متوقع من بعد نظركم وحكمتكم ، وأن تعطوها ما تستحق من الانتباه والعناية .

● **رابعاً : رسالة من المقيمية والقنصلية العامة البريطانية بوشهر**

١٥ يونيو ١٩٢٣م

إلى : سمو الشيخ السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، سلطان نجد وملحقاتها .

بعد التحيات ..

سمو السلطان ،

يسرني أن أُعلمكم أنني ، وأنا أكتب رسالتي هذه ، أتطلّع الى زيارة سكرتير سموكم ، السيد هاشم ، الذي يتوقع وصوله الى هذه المقيمية خلال نصف ساعة من الآن .

لم أعد الى بوشهر إلّامنذ يومين فقط ، لأنني وجدت نفسي مضطراً للتوجه الى الكويت ومنها الى المحمرة والأهواز .

كل هذه الأسفار جعلت من المستحيل عليّ ، حتى الآن ، إطلاع سموكم على الأحداث التي وقعت في البحرين منذ أن كتبت رسالتي لسموكم المؤرخة في ١٨ مايو ١٩٢٣ . أما الآن ، وبعد أن توفر لي الوقت اللازم ، فإنني أسارع لإبلاغ سموكم بهذه المسائل التي أعلم يقيناً أنها ذات أهمية بالغة بالنسبة لكم . وإنني أميل ميلاً أكبر لاطلاعكم عليها الآن ، بسبب وجود سكرتير سموكم الخاص الذي سينقل بلا شك رسائلي الى سموكم بطريقة موثوقة وسريعة .

على امتداد فترة طويلة في الماضي ، كانت الأحوال في البحرين غير مرضية . فسنّ الشيخ عيسى الكبير جعل من المستحيل عليه ممارسة الإشراف اليقظ

على تسيير الأمور ، وهو أمر بالغ الضرورة في دولة عربية ، ونظراً لهذا الضعف ، تمكّن العديد من الطغاة عديمي المسؤولية من النمو والترعرع في البحرين ، خاصة أولئك الأفراد عديمي المسؤولية من عائلة آل خليفة ، الذين اضطهدوا البحارنة (الشيعة) اضطهاداً عظيماً .

والأكثر من ذلك ، أن الذكاء المتنامي عند الطبقات الأدنى التي تقرأ الصحف باستمرار ، والتي يحرّضها العديد من المحرضين لغاياتهم الذاتية ، قد جعل هذه الطبقات أقلّ صبراً في ظلّ الحكم السيء والاضطهاد الذي تعاني منه مما كانت عليه في الماضي ، وهذه الطبقات كبيرة العدد ، وكان هناك خطر دائم في أن تستغل كبر عددها هذا وتثور على أسيادها ، حين يصبح التعاطف الأجنبي ، خاصة التعاطف الفارسي والشيعي ، عائقاً يجعل من الصعب على بريطانيا تقديم الدعم لآل خليفة ، خاصة وأنه لم يكن هناك أدنى شك في أن البحارنة (الشيعة) كانوا يعانون من مظالم حقيقية . ونظراً لضعف حكم الشيخ عيسى ، فإن حقوق شيخ البحرين كانت تتلاشى تدريجياً ، أو تتهاوى وتختفي عن طريق اقتسامها بين اشخاص عديدين لا يحق لهم ممارسة تلك الحقوق بأي حال .

لم تتمكن الحكومة البريطانية من تحمّل هذه الأوضاع أو السكوت عليها . وكان من العقيم جـــداً أن نتوقع من الشيخ عيسى ، نظرا لتقدمه في السن ، أن يطرق الطريق الوعر ، طريق الاصلاح . وكانت لدى الحكومة البريطانية الرغبة القوية المخلصة ، في أن يدرك الشيخ عيسى ، لما فيه مصلحته هو ، الحكمة من تنازله عن الحكم ، ولكن من سوء الحظ أن صديقنا القديم لم يقتنع بذلك ، فكان لا بدّ لي ، وبتوجيه من حكومتي ، أن أبلغه بأنه ، في حين يستطيع البقاء في البحرين والاحتفاظ بلقبه الإسمي كشيخ لها ، فإن عليه أن يتنحّى ويسمح لولي عهده ، الشيخ حمد ، بمحاولة تصحيح الأوضاع في البحرين ، ويرفع مستوى تلك الحكومة الى مرتبة الحضارة الحديثة بدون تدخل أو إملاء من أي نوع يمليه عليه والده .

هذا هو الوضع . ما يزال الشيخ عيسى شيخاً للبحرين ، ولكن تسيير الأمور انتقل الى الشيخ حمد باعتباره وكيلاً كامل الصلاحيات لوالده الذي هو غير ملزم باستشارته بأية صورة من الصور .

لقد أثقلت على سموكم بهذا الوصف المطول ، على أمل أن تعتمد الحكومة البريطانية على صداقتكم المخلصة والدائمة في قبولكم للأوضاع الحالية ، وفي إيضاح الأمور للآخرين ذوي الاهتمام والمصلحة فيها . وإننا نعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الخطوات التي اضطرت الحكومة البريطانية لاتخاذها ، بعد تردد ، ستؤدي في نهاية الأمر الى تحقيق استقرار حكم آل خليفة ، وسيحول دون

التدخل الأجنبي (!!) ، وستبقى على النفوذ السنّي السائد في إدارة الجزر (!!) ، وتحافظ على تقدم وإزدهار كل العناصر السنيّة بين السكان . وإنني على ثقة من أن سموكم ستؤيدون الأهداف والمرامي التي تسعى الحكومة البهيّة لتحقيقها ، وأنكم ستمارسون نفوذكم المعنوي بالغ القوّة والقيمة للمساعدة على تحقيق تلك الأهداف .

● **خامساً : رسالة من المقيمية والقنصلية العامّة البريطانيّة في بوشهر ١٨ يونيو ١٩٢٣ .**

إلى : سمو الإمام السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها

بعد التحيات

ايها الصديق العزيز ! .

لقد تباحثت مطولاً مع مبعوثكم السيد هاشم ، حول موضوع جوازات السفر ، وقد تدارسنا كل الأبعاد والإمكانيات ، ولكننا لم نستطع إيجاد مخرج أو التوصّل الى أيّة اتفاقيات أو ترتيبات يمكن أن أعتبرها أنا مرضية تماماً لكم .

سنكون بالغي السعادة لو أمكن التوصل الى مثل هذه الترتيبات ، ولكن من سوء الحظ يجب علينا أن نفكّر في هذه المسألة ، ليس فقط من أجل أصدقائنا ، ولكن من أجل منتقدينا أيضاً .

أنا لا أمانع في توقيعكم أنتم وتوقيع من تخولونهم على جوازات سفر النجديين المقيمين في البحرين ، شريطة أن يتمّ ذلك ضمن أراضيكم التي تحكمونها . أما الذين يسافرون من بلادكم مباشرة الى الأقطار الأخرى فلا يحتاجون الى تأشيرة المعتمد السياسي في البحرين .

وأما الذين يمرّون عبر البحرين فلا بدّ من وضع تأشيرة المعتمد السياسي في البحرين على جوازات سفرهم ، وسيتقاضى المعتمد من حامل جواز السفر النجدي ما يتقاضاه مقابل تلك التأشيرة من حامل أية جنسية أخرى ، إذا كان النجدي يريد المرور والسفر الى أية ممتلكات أو مناطق بريطانية ، أو الى بلدان تمارس بريطانيا العظمى حق الانتداب عليها .

ولا مانع لدينا ايضاً في أن يرسل النجديون المقيمون في البحرين طلبات الحصول على جوازات سفر ، بواسطة رسول كفء ومؤهل ، الى سموكم أو الى معتمديكم المخولين في الحسا . سيقبل المعتمد السياسي مثل هذه الجوازات ، شريطة أن تتفق الأوصاف مع أوصاف حامل الجواز ، بدون أي اعتراض ، وسيمنحه التأشيرة ، وإذا كنتم تفضّلون ، فإن المعتمد سيرفض إعطاء أي جواز سفر أو تأشيرة الى أي نجدي لا يحمل جواز سفر موقّع من قبل سموكم أو من

قبل معتمديكم المخولين أصولاً .

وبهذا الخصوص ، حين يتعامل المعتمد السياسي مع الأجانب ، فإنه من بالغ الأهمية أن يعامل الجميع ، مهما كانت جنسيتهم ، على قدم المساواة .

● **سادساً: رسالة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود**
إلى : حضرة الليفتنانت ـ كولونيل س. ج. نوكس ، المقيم السياسي في الخليج الفارسي
تاريخ : ١٠ شوال ١٣٤١ هـ
(٢٧ مايو ١٩٢٣)

بعد التحية

نرسل لجنابكم هذه السطور لنبلغكم بأنني أرسلت قبل خمسة أيام من إرسال هذه الرسالة ، أحد رجالي الخاصين ، هو السيد هاشم ، ليحمل رسالة منا إليكم بخصوص المشاكل التي وقعت بين الفرس المقيمين في البحرين وبين جميع رعايانا ، وقد أوضحت الحقائق لكم . وكنت آمل أن أحصل على القناعة الكاملة منكم بخصوص هذه الحادثة الخطيرة المتعلقة برعاياي ، والتي جعلت من الكثيرين منهم « شهداء »(كذا) . نعم ، ولقد كنت آمل أن أحصل على هذا الاقتناع الحق ، وذلك لمعرفتي بقدرات رجال بريطانيا العظمى على تقدير موقفي الذي يستحق الثناء ، وصداقتي القلبية المخلصة ، وروابط المحبة التي نبذل أقصى ما في وسعنا للمحافظة عليها .

ولكني ، مع بالغ الأسف ، علمتُ وفهمت من فحوى رسالتكم المحترمة المؤرخة في ١٨ مايو ١٩٢٣ أن سموكم أجبرتم وكيلي ومعتمدي عبد الله القصيبي ، على التغيّب عن البحرين ، متهمين إياه بإشعال نيران هذه الاضطرابات البغيضة ، واستخدمتم ضدّه كلمات محقّرة مهينة لا أعتقد أنكم تدركون كم هي جارحة لكرامتي . والغريب في الأمر هو أن تلك الإجراءات التي اتخذتموها بسرعة وبدون اعتبار للآثار التي قد تتركها علي ، إنما تستند الى تقارير وأخبار وصلتكم من جانب واحد فقط ، دون أن تعيروا إنتباهاً للحجج والأقوال التي أدلى بها الجانب الآخر . وأنا على يقين من أنكم لو درستم الحقائق بعناية ودقة لاتضح لكم ولأدركتم أن المشكلة كلها كانت مؤامرة خططت ضد شعب نجد ، كما تبرهن حقيقة أن الشرطة ، وهم جميعاً من أصول فارسية ، وقد عهد إليهم الحفاظ على الهدوء والسلام في البلدة ، وواجبهم الرئيسي هو عدم الانحياز الى جانب دون الآخر ، هم الذين استخدموا أسلحة الحكومة ضد أهل نجد ودعماً للفرس ، ومن هذا التعصّب الديني والعرقي يتضح لكم ، وتدركون من هو الجانب الذي يجب أن توجه إليه تهمة التعصّب الأعمى .

كما فهمت من محتويات رسالتكم أنكم تنكرون على عبد الله‌القصيبي مركزه الرسمي في البحرين ، مع أن هذا الرجل وأخاه كانا يعملان في هذا المنصب وبالتناوب ، منذ أن بدأت العلاقات والوحدة بين حكومة بريطانيا العظمى وبيني ، أي منذ حوالي خمسة عشر عاماً ، وكان الأَخَوَان طوال تلك الفترة الطويلة ، عقدة الوحدة بينا وبين الضباط السياسيين (البريطانيين) في البحرين . وكانا يحملان الرسائل الرسمية ويتلقيان الردود عليها ، ويستشاران في كل ما يتعلق بشؤوننا السياسية ، وكانا مكرسين نفسيهما للمحافظة على حقوق رعايانا .

خلال هذه الفترة الطويلة لم نتلق أي اعتراض مهما ضؤل على مركزهما من الحكومة البريطانية ، بل على العكس ، فقد كانت (الحكومة البريطاينة) تعتمد عليهما في مراسلاتها معي ، وفي كل ما يتعلق بشؤون رعاياي في البحرين ، ومن هذا لا أرى مجالاً لأي شك في مركز عبد الله‌القصيبي ، وحتى لو افترضنا أنه ، ومن وجهة نظركم ، وقع منه ما يؤذي ويضرّ أثناء أدائه لواجبه ، ألم يكن من الضروري إبلاغي به قبل إتخاذكم لهذه الإجراءات الحادّة ؟ .

وها نحن نرسل هذه الرسالة لسموكم على أمل أن تصل الى مبعوثي الذي أوكلنا إليه مهمة تسليم الرسالة الأولى ، لأن رسالتكم التي تعالج المسألة سبقت رسالتي تلك . آمل أن تعيدوا النظر في هذه المسألة وتتدارسوها مع الشخص الذي عنيته والمذكور أعلاه ، حتى يمكن تسوية هذه المسألة بطريقة تعيد اليّ الشرف والكرامة والاحترام الذي اشعر أنني (استحقه) ، وأنا لم أتوقف ، ولن أتوقف ، عن الأمل بتسوية لهذه المسألة بطريقة لا تدع مجالاً لسوء التفاهم بين الحكومتين الصديقتين ، داعياً الله أن يديم الى الأبد العلاقات الودية بين الحكومتين ، وأن يزيد من قوّة وعزّة الحكومة البريطانية ، وكلي أمل أن يأتي الخير من عظمتكم وسلطانكم .

هذا مالزم قوله ، وختاماً تفضلوا بقبول فائق احترامي ، والله يحفظكم ..

● **سابعاً : رسالة من المقيميّة والقنصلية العامة البريطانية بوشهر**

١٤ ـ ٢٠ يونيو ١٩٢٣

رقم ١٧٢ لعام ١٩٢٣

إلى : سمو الإمام السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، سلطان نجد وملحقاتها

بعد التحية

ايها الصديق ! .

استلمت من مبعوث سموكم ، السيد هاشم ، رسالتيكم المؤرختين في ٥ و ١٠ شوال ١٣٤١هـ المتعلقتين بأحداث الشغب التي وقعت في البحرين بين النجديين والفرس .

اسمحوا لي ، أولاً ، أن أرحب بتأكيدكم للصداقة الدائمة بين سموكم والحكومة البريطانية ، وهي الصداقة التي تؤكدون عليها سموكم تأكيداً خاصاً في رسالتيكم المشار إليهما أعلاه ، وإنني أؤكد لسموكم أنني راغب في دوام العلاقات الطيبة القائمة الآن بين سموكم وبين الحكومة البريطانية ، والتي لا يمكن أن تصدقوا سموكم ولا أصدق أنا أن الاضطرابات (الطائفية) الأخيرة في البحرين يمكن أن تؤثر عليها تأثيراً سلبياً ، بالرغم من مأساوية هذه الاضطرابات ، لأن علاقات الصداقة القديمة ، ووحدة المصالح توحّد بيننا بقوة وفي مجالات عديدة . كما أرحب بتبادل الآراء الكامل والودي فيما بيننا حول مسألة البحرين الصعبة ، واثقاً من أن الايضاحات الصريحة بيننا لن تضعف ، بل ستقوي ، الروابط بين سموكم وبين ممثلي حكومة صاحب الجلالة .

من المعروف جيداً لسموكم أن موقف ومركز بريطانيا العظمى في البحرين ، هو مركز بالغ الخصوصية والصعوبة ، فمركزها هناك يعود الى ما قبل تاريخ الذاكرة الحيّة ، ولكن يكفي أن أُذكّر سموّكم بالحقيقة القائلة بأن الحكومة البريطانيّة هي التي أخمدت الإضطرابات أثناء القتال الضاري وما تبعه من فوضى ، وهي التي دَعَت الشيخ عيسى آل خليفة ، وكان يومها فارّاً طريداً ، الى تسنّم مشيخة البحرين قبل خمسين عاماً . فقد قُتل والده في ذلك القتال الذي ادّى الى تدخّل حكومة صاحب الجلالة تدخّلاً عسكرياً لإخماده .

خلال تلك الفترة الطويلة من الحكم والتي إستمرت خمسين عاماً ، كانت الحكومة البريطانية هي التي أبقت على الشيخ عيسى شيخاً للبحرين ، ولجأت الى قوّة السلاح في أكثر من مناسبة لتحقيق ذلك ، وليس سرّاً أن حماية الحكومة البريطانية للشيخ عيسى هي التي ساعدته ، وأكثر من مرّة ، ليس ضد الإعتداءات الخارجيّة فحسب ، وإنّما ضدّ رعاياه أنفسهم ، أي البحارنة ـ الشيعة ـ ، الذين يتعرضون منذ زمن طويل للإضطهاد والقمع ، ويشعرون بالإستياء المطلق من الأوضاع .

كما رفضت الحكومة البريطانية ، في العديد من المناسبات ، السماح بإقامة معتمدين أجانب ، خاصة من فارس وتركيا ، في البحرين ، ولم تسمح بوجود معتمد آخر غير معتمدها هي .

واستندت الحكومة في موقفها هذا الى التعهّد الذي أعطاه الشيخ عيسى آل خليفة عند تعيينه شيخاً على البحرين عام ١٨٨٠ ، وثبت عام ١٨٩٢ ، حين

تعهد الشيخ تعهداً قاطعاً بما يلي :

أولاً : ألّا يدخل في أية اتفاقيات تحت أي ظرف من الظروف أو يتراسل مع أية دولة سوى الحكومة البريطانية .

ثانياً : وألّا يوافق على إقامة أي معتمد لأية حكومة أخرى في أراضيه بدون موافقة الحكومة البريطانية .

توضيحاً للشكاوى العادلة التي يرفعها الأجانب ضد سوء الإدارة والحكم الذي يمارسه الشيوخ ، والذي أدى الى إثارة مطالبة فارس وتركيا بحق وجود معتمدين لهما في البحرين ، اضطرت الحكومة البريطانية الى ممارسة الضغط على الشيخ عيسى ، مما أدّى ، في ٢٨ جمادى الثاني ١٣٢٧ هجرية ، الى تقديم الشيخ عيسى تأكيداً للميجور مكنزي بخصوص الترتيبات التي كان قد شرع بتنفيذها في عهد الميجور بريدو (Prideaux) والتي كانت تُحال بموجبها القضايا المتعلقة بالأجانب الى المعتمد السياسي للفصل فيها ، وبموجب هذه الترتيبات نفسها قمتُ أنا شخصياً بالفصل في المشاكل بين النجديين والفرس ، وبالفصل أيضاً في أعمال الشغب التي وقعت مؤخراً والتي لا أشك في أن كلينا يستنكرها ويشجبها .

وإضافة الى ذلك ، فلا شكّ أن سموكم تعلمون أنكم قد وضعتم رعاياكم النجديين المقيمين في البحرين تحت حماية الحكومة البريطانية ، وهذه إحدى المهام الرئيسية للمعتمد السياسي في البحرين ، الميجور ديلي ، الذي يؤسفني أن ألاحظ أن سموكم مستاء منه . إنني واثق من أن هذا يرجع الى سوء تفاهم ، لأن الميجور ديلي ضابط تثق به حكومة صاحب الجلالة ثقة كاملة ، ويقوم بمهامّه الدقيقة والحسّاسة بحماس لا يفتر وحياد لا غبار عليه .

هذه المقدمة من جانبي كانت ضرورية لكي أبين لسموكم ـ وأنا هنا أتكلم بموافقة حكومتي الكاملة والمطلقة وبعد التشاور معها ـ مدى استحالة الموافقة من جانبي على بعض المقترحات التي تطرحونها في رسالتيكم المذكورتين أعلاه . وقد شاركني سلفي ، الكولنيل تريفور ، قلقي ، كما أن السير بيرسي كوكس ، وافق معنا حين استشير بشأن جوازات السفر ، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على وجهات نظرنا ، وطمأنتنا وزارة المستعمرات الى دعمها الكامل لهذه الآراء .

أنا أوافق على قول سموكم أن عائلة القصيبي المقيمة في البحرين تقوم منذ زمن طويل بتسيير أموركم في البحرين ، ولكن نشاطاتهم لم تضعهم في حالة صراع مع المعتمد السياسي البريطاني في البحرين إلّا مؤخراً ، وتحديداً منذ مطلع هذا العام . وقد قام المعتمد بواجبه أصولاً حين أعلمنا بأن موقف القصيبي يسيء الى مركز بريطانيا في البحرين ، ويفتح الباب أمام مطالب يصعب

صدّها ، مطالب تدعو الى وضع معتمدين أجانب آخرين على قدم المساواة مع معتمد سموكم سلطان نجد .

تطلبون سموكم في رسالتكم المؤرخة في الخامس من شوال ١٣٤١ « أن أعيّن انا شخصاً اثق به واعتمد عليه لكي يذهب برفقة تابعكم المذكور آنفاً الى البحرين حتى يحققا ويتأكدا معاً من هذه المشاكل ويطلعا على أسبابها ، حتى تأخذ العدالة مجراها الطبيعي » .

ولكن الا ترون سموكم الى أين سيؤدي هذا الأمر ، ومدى استحالة قبوله بالنسبة لي ؟ فكيف أرد على الحكومة الفارسية التي ستطالب بلا شكّ بأن يحضر مبعوث من طرفها ويقوم بتحقيقات خاصة ويراقب الأمور مع مبعوثكم ، وأنا إذا ما قبلت باقتراحكم فلن أستطيع أن أرفض بحق مطلب الفرس ، وسنجد بيننا مبعوثاً فارسياً يتآمر على شيخ البحرين وعلى المعتمد السياسي معاً . وأود أن اؤكد لسموكم أن مبعوثاً كهذا لن يهدأ له بال ـ ولو بدون حق ـ حتى يصبح مركز التآمر والدس وخلق الفوضى والاضطرابات بين سكان الحسا الشيعة . وبغض النظر عن قلقي الطبيعي تجاه المصالح البريطانية في البحرين ، ورغبتي في المحافظة على حكم آل خليفة الوراثي ، فإنه من بالغ الأهمية ، بالنسبة لمصالح سموكم ومصالحنا ، أن يكون الباب مغلقاً بإحكام في وجه التدخّل الأجنبي والذي بدأنا نشهد بوادره التي ستكون الفوضى والاضطراب ، والذي لا يستطيع أحد التنبؤ بنهايته .

من الاعتبارات آنفة الذكر ، يمكن لسموكم أن تروا ما توقعته بوضوح في اللحظة التي وضع فيها ملف البحرين أمامي ، وهو أن نشاطات القصيبي الأخيرة كانت من النوع بالغ الخطورة واللؤم ، وأن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تسمح بأية حماية أجنبية للنجديين المقيمين في البحرين ، سوى الحماية التي تقدمها هي ، ولهذا السبب حصل التأخير في حل مسألة جوازات السفر ، وهي المسألة التي سأكتب لكم رسالة منفصلة حولها ، ولهذا اضطررت أنا لمطابلة عبد الله القصيبي بمغادرة الجزر ، بناء على الأساس الذي يخدم مصالح سموكم ويحفظ سمعتكم الطيبة وشرفكم ، حيث أعلنتُ ـ ظاهرياً ـ أنه غادر وهو يحمل رسائل هامة مني إليكم . لهذه المسألة أهمية خاصة تكمن في نطاق خارج سلوك عبد الله الشخصي ، وهو أمر صغير نسبياً ، وخارج نطاق سوء سلوكه بالأحرى . ولا بدّ لي من الأصرار بحزم على أن الحكومة البريطانية ، ومن باب الحرص على مصالحكم ولأسباب هامة أخرى حاولت عرضها في هذه الرسالة ، لا يمكن أن توافق رسمياً على وجود أي معتمد نجدي لسموكم هناك ، ما لم :

١ / يكن ذلك المعتمد مقبولاً شخصياً بالنسبة للحكومة البريطانية .

٢ / يتعهد بكل إخلاص بألّا يتدخّل بأية صورة من الصور في إدارة وحكم الجزر ، سواء بحجّة حماية مصالح النجديين ، الخاصة أو العامة (باستثناء مصالحه الخاصة هو والمصالح الخاصة لسموكم) أو لأي سبب آخر .

تبقى مسألة أخرى صغيرة يتوجب علي الرد عليها ، وأشرتم سموكم إليها ، وهي مسألة التركيب الفارسي لقوة الشرطة التابعة للبلدية . هذا صحيح ، ولا أستطيع القول بأن طلقات نارية لم تُطلق من قبلهم ، وحين نشبت الاضطرابات بين الطرفين ، سُحبت الأسلحة النارية من الشرطة ، وصرفوا من أعمالهم الى أن هدأت الاضطرابات . ثم عادوا الى وظائفهم . سترون سموكم من هذا أننا نعترف ونقر بلطخة مخجلة ، وهي أن معظم رجال الشرطة هم من الفرس . إن هذا مصدر أسف عميق ، سواء بالنسبة للمعتمد السياسي أم للبلدية التي تفضّل ألف مرة أن تكون قوة الشرطة قوّة مختلطة ، تجنّد بالتساوي من بين الفرس والنجديين والسنيين . ولكن من سوء الحظ وجد أنه من المستحيل تجنيد رجال من الفئتين الأخيريتين ، والذين تطوعوا منهم سرعان ما تركوا الخدمة . إن تطوعهم وخدمتهم المخلصة سيكون أمراً نرحب به ونقدم المكافآت المجزية عليه .

وختاماً اسمحوا لي بأن أؤكد لسموكم أن المعتمد السياسي لن يألو جهداً ، وبمساعدة الشيخ حمد ، في إحقاق العدالة بين الطرفين المتخاصمين في أحداث الشغب الأخيرة . يبدو أن الخسائر من الطرفين كانت متساوية تقريباً ، ولن تكون هناك صعوبة كبيرة في التوصل الى حـــل وسط .. أما النزاع الذي سبب الاضطرابات فكان أمراً بالغ التفاهة ، وهو إصلاح ساعة لا تتجاوز قيمتها الثلاثة ريالات ، أما المشكلة الحقيقية فكانت التعصّب الديني الأعمى خلال فترة صيام رمضان العصيبة . لم يكن المعتمد السياسي ولا الحكومة البريطانية في أية لحظة غير آبهين ولا مكترثين لهذه المشاكل ، ولم يقصروا في إدارك مدى خطورتها ، والبرهان على ذلك هو أنه ، مع أنني أنا شخصياً سارعت الى مسرح الأحداث ومعي سفينتان حربيتان ، فإن الميجور ديلي نجح في إخماد الاضطرابات قبل وصولي ، وبمساعدة الشيخين حمد وعبد الله ، استطاع إخماد فتنة كان يمكن أن تتضاعف مخاطرها ، وكانت تزخر بأخطر الاحتمالات .

إن هذا لا يؤيد وجهة نظر سموكم التي لا أشك في أنها ستصحح بعد أن تعيدوا نظركم في الرأي القائل بأن الميجور ديلي هو ضابط متخاذل ، أو أنه ينظر بلا إكتراث الى الاضطرابات التي يعد هو مسؤولاً عن إخمادها . وإني أسارع شخصياً الى طمأنة سموكم الى أنه لا أحد ممن يعرف الميجور ديلي يمكن أن يشارككم رأيكم فيه .

لاحظت أن إحدى الشكاوى التي توردونها ضد الميجور ديلي هي أنه لم يكتب

لسموكم ويستشركم بشأن الاضطرابات في البحرين عندما اندلعت .إنني أعتقد أنكم بعد قراءتكم لهذه الرسالة ستدركون أنه كان من المستحيل على المعتمد السياسي ـ والذي مايزال معتمداً خاضعاً لرؤسائه المباشرين ، وبالرغم من كل الثقة الموضوعة فيه ـ أن يكتب لسموكم حول مسألة سياسية بالغة الخطورة ، كانت تصرفات عبد الله القصيبي تثيرها وتحرّض عليها . حتى أنا كنت متردداً في الخوض في نقاش هذه المسائل الهامة بدون التشاور الكامل مع حكومة صاحب الجلالة ، ولم أتمكن من الكتابة الى سموكم إلّا بعد إجراء مشاورات كاملة مع حكومة صاحب الجلالة . وكان من غير اللائق ولا المشروع مطلقاً أن يفعل الميجور ديلي مثل هذا الأمر ، لأنه ربما كان بذلك ، وبدون قصد ، سيلزم حكومة صاحب الجلالة بسياسة لا تستطيع الموافقة عليها .

● **ثامناً : رسالة من المقيم نوكس الى المعتمد في البحرين س. ك. ديلي**

المقيمية البريطانية

بوشهر

١٩ يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

يعتقد السيد هاشم أن ابن سعود سيسرّ إذا سُمح لعبد الله القصيبي بالعودة الى البحرين ، ليس بصفته الرسمية طبعاً ، ولكن لممارسة أعماله ومتابعتها باعتباره فرداً عادياً . بناءاً على هذه الشروط أنا لا أرى مانعاً لعودته ، وسأكون مسروراً إذا استطعت أنت تسهيل هذه العودة .

● **تاسعاً : رسالة من نوكس الى ديلي**

المقيمية البريطانية

بوشهر

١٩ يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

في الرسائل التي تلي هذه ، سترون أن ابن سعود قد أثار ضجة كبيرة حول محمد شريف . فهو يعترض على مركزه المزدوج كرئيس للبوليس وعضو في مجلس البلدية . من الواضح أن عبد العزيز والسيد هاشم يعتقدان أنه رئيس البلدية ، وأنا متأكد من أن الأمر ليس كذلك ، لأنني فهمت أن الشيخ حمد هو رئيس البلدية . بالطبع كان عبدالعزيز متحمساً جداً ، أثناء المحادثات ، لطرد محمد شريف على أساس أن ذلك سيكون نوعاً من الموازنة مع الإجراء الذي اتخذناه ضد عبد الله القصيبي .

أنت وأنا مقتنعان اقتناعاً راسخاً بأن جريمة محمد شريف ، إن كان له ذنب ،

لا تقارن بحال من الأحوال بمسؤولية القصيبي عما جرى . ربما أنك على غير استعداد للاعتراف بوقوع أي ذنب من طرف محمد شريف ، وعلى أي حال فإن إجراء تحقيق حول مسؤولية كل منهما في تلك الأحداث لن يؤدي إلا الى إثارة أزمة بدأت تهدأ .

ولكني أعتقد أنه لن يضر شيئاً إن أنت استدعيت محمد شريف ، وحذرته عمّا قد يكون على معرفة به ، وأنه الآن أصبح موضع رصد ، ويعتبره النجديون مسؤولاً عما جرى لهم . وأنه من الأفضل له ، بناء على ذلك ، أن يتحرك بحذر وانتباه لفترة عدة أشهر على الأقل . ربما سيكون هذا كافياً .

● **عاشراً : رسالة من نوكس الى ديلي**

المقيمية البريطانية

بوشهر

٢٠ يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

أرسل طيّه نسخاً من مراسلات حسب اللائحة المرفقة .. خلال المباحثات جرى حديث طويل حول عبد الله القصيبي ، وضغط عليّ السيد هاشم ضغطاً قوياً لأعطيه رسالة موجهة الى سلطان نجد ، اقول فيها إن عبدالعزيز القصيبي شخص مقبول لدى الحكومة البريطانية شريطة أن يلتزم بالشرطين الواردين في الرسالة رقم /٧/ . أبلغت السيد هاشم لأنه في حين أن رأيي الشخصي هو أن عبدالعزيز القصيبي سيكون شخصاً مقبولاً تماماً لدى الحكومة البريطانية شريطة الالتزام بالشرطين ، فإنني لا أستطيع الالتزام بهذا برسالة رسمية قبل الرجوع الى المعتمد السياسي في البحرين ، والى الهند ، والى لندن .

فإذا قرّر سلطان نجد أن يكتب اليّ رسالة يسألني فيها رسمياً عما إذا كان القصيبي سيكون مقبولاً بهذه الصفة ، فسأستشير السلطات المعنيّة ، وآمل أن يستجاب لطلبي هذا . فأنا لا أمانع شخصياً بعودته .

إلّا أنني أدرك تماماً أن سلطان نجد ربما يكون كارهاً لذلك ، وقد يعتبر تقديم مثل هذا الاستسلام الكامل غير لائق بمقامه وكرامته . في هذه الحالة ، اقترحت أن يكتب السلطان رسالة شخصية الى عبد العزيز القصيبي يبلغه فيها بالشروط التي سيكون تعيينه كوكيل شخصي لمصالح ابن سعود مقبولاً بموجبها لدى حكومة صاحب الجلالة ، وأن يأمر عبد العزيز بأن يلتزم الهدوء لفترة من الزمن ثم يعود للظهور والنمو تدريجياً . وقد لجأت الى ابتسامة تشجيع لطمأنة بال المبعوث ، وقلتُ له إنه إذا التزم عبد العزيز بنصائحنا وتعلمياتنا ، فسرعان ما سيجد أنه يستطيع إناخة جمل في مضاف المعتمد السياسي ، بينما سيجد

عبد الله من المستحيل ، حسب ممارساته السابقة ، أن يُدخل فأراً ملفوفاً في ورقة الى زاوية من معسكر المعتمد السياسي .

آمل أن يجعل ذلك الأمور واضحة لك ، وأن أرسل لك نسخة من تقريري الرسمي بشأن هذه المسائل بالبريد التالي .

● الحادي عشر : دسائس ابن سعود في البحرين

برقية من : المقيم السياسي في بوشهر

إلى : وزير المستعمرات

تاريخ : ٩ نوفمبر ١٩٢٣ [٢١]

رسلة إلى وزير المستعمرات تحت رقم ٩٩٤ وتاريخ ٩ نوفمبر ، ومكررة إلى بغداد وحكومة الهند .

في الإسبوع الماضي ، وخلال زيارتي للبحرين ، عثرت على أسباب وجيهة تدعو إلى الاعتقاد بأن ابن سعود يحيك الدسائس والمؤامرات مع القبائل السنيّة المحلية (البحرانية) بهدف دفعها إلى الهجرة إلى أراضيه . بالنسبة لقبيلة الدواسر التي غادرت البحرين ، تكللت مؤامرات ابن سعود بالنجاح . أنا على وشك رفع توصية ، في حال عدم ممانعة حكومة صاحب الجلالة ، تقضي بأن تذكّر (الحكومة البريطانية) ابن سعود بأنه ما يزال لديها الوسائل للضغط عليه ، وذلك بالحدّ من المواد التموينية القادمة من العراق والهند ، علماً بأن راتب الدعم قد أُوقف ، وأنها (الحكومة البريطانية) قد تجد نفسها مضطرة لتنفيذ هذه الإجراءات إذا تجاهل هو المادة /٦/ من معاهدته مع حكومة صاحب الجلالة بشكل متواصل .

في هذه الظروف ، أسمح لنفسي بأن أدعم التوصية التي رفعها المندوب السامي (البريطاني في بغداد) التي تقضي بإرسال إنذار حاسم لابن سعود .

هذه البرقية هي رد على برقية بغداد رقم ٥٩٦ .

تريفور

● ثاني عشر : مطالبة ابن اسعود بعدم إيواء الهاربين من البحرين [٢٢]

من : وزارة شؤون الهند

لندن

١٣ نوفمبر ١٩٢٣

إلى : معاون وزير المستعمرات

سيدي ،

بالإشارة إلى برقيات حكومة الهند المرفق طيّه نسخ منها ، والمتعلقة بموضوع الإجراءات التي يتوجب اتخاذها ضد المحرّضين الذين يعارضون إدخال

الإصلاحات في البحرين ، فقد أمرني وزير شؤون الهند أن أقترح ، في حال عدم وجود مانع لدى وزير المستعمرات ، أن ترسل رسالة إلى ابن سعود ، تشير إلى قضية أحمد الدوسري ، وتطلب منه ألّا يستقبل أو يؤوي الهاربين من البحرين الذين سيسيئون حتماً استغلال كرم ضيافته بتحويل بلاده إلى قاعدة للتآمر على حاكم البحرين الذي يتمتع بتأييد ودعم حكومة صاحب الجلالة .

خادمكم المطيع

ل . د . ويكلي

هوامش

(١) د . رميحي ـ مصدر سابق / ص ٢٧٩
(٢) المصدر السابق / ص ٢٨٠ ـ ٢٨١
(٣) المصدر السابق / ص ٢٨٤
(٤) الوثيقة (E 4499)FO. 406/60 مرسلة من الكولونيل ل. هوارث في بوشهر الى سكرتير حكومة الهند في ١٩٢٧/٩/١
(٥) الوثيقة (E 8918)FO. 371/7721 مرسلة من المعتمدية البريطانية في البحرين الى المقيم في بوشهر في ١٩٢٢/٧/١٣م
(٦) الوثيقة (E 8918)FO. 371/7721
(٧) (E 8476)FO. 371/8947 (E 11004) (E 10914)
(٨) الخليج العربي ، الجزء الأول ، مصدر سابق / ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨
(٩)الرميحي ـ مصدر سابق / ص ٢٨٩
(١٠) جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربي الجزء الأول / ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧
(١١) المصدر السابق / ص ٢٢٦
(١٢) الرميحي ـ مصدر سابق / ص ٢٢٩ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١
(١٣) المصدر السابق / ص ٢٩٣ ، ص ٣٠٤
(١٤) الرميحي ـ مصدر سابق / ص ٢١٠ ، ص ٢٨٥
(١٥) المصدر السابق / ص ٢٨٦
(١٦) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الأول / ص ٢١٩
(١٧) المصدر السابق / ص ٢٢٨
(١٨) المصدر السابق / ص ٢٧٤
(١٩) المصدر السابق / ص ٢٣١
(٢٠) الوثيقة رقم (E 8476)FO. 371/8947 مؤرخة في ١٩٢٣/٨/٢٣
(٢١) الوثيقة (E 10914)FO. 371/8942 مؤرخة في ١٩٢٣/١١/١٢
(٢٢) الوثيقة البريطانية (E 11004)FO. 371/8942 مؤرخة في ١٩٢٣/١١/١٤

٦

تدمير الآثار التاريخية في الأماكن المقدسة

من أكثر الأمور التي نتجت عن سيطرة الملك عبدالعزيز على الحجاز أهميّة .. سماحه لأتباعه بتدمير الآثار الإسلامية ، والذي تجلّى في تدمير مقبرة المعلّى في مكّة المكرمة ، والبقيع في المدينة المنورة .. حيث يُعدّ الأخير أكثر أهمية من سابقه ، لأنه يضمّ رفات الآلاف من الصحابة والتابعين .

والبقيع تعني الأرض المزروعة بأنواع الشجر .. وسمي « بقيع الغرقد » لأن الأشجار الغالبة فيه هي من نوع « الغرقد » . ويطلق الكثيرون خصوصاً مسلمو القارة الهندية على البقيع إسم « جنة البقيع » ، ربما لأنهم عدّوه روضة من رياض الجنة لكثرة من دفن فيه من الصحابة والتابعين ، وربما كانت التسمية راجعة إلى الزرع المنتشر حيث كان المكان جنّة خضراء .

ولم تكن للبقيع قيمة إلّا بعد أن أصبح مقبرة تضم رفات خيرة الصحابة والأئمة والأولياء والصالحين والشهداء .. وأول من دفن فيه هو الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، وهو أول صحابي يتوفى من المهاجرين ، وكان ذلك في الثالث من شعبان للسنة الثالثة من الهجرة ـ كما تقول الروايات ـ .. ويومها أمر رسول الله ﷺ بأن تُقطع بعض أشجار الغرقد ليدفن ابن مظعون في وسطها ، ووضع ﷺ بيديه حجرين شاهدين عند رأسه وقدمه ، أزالهما فيما بعد والي معاوية على المدينة مروان بن الحكم لإلقاء الشبهة بين قبره وقبر الخليفة عثمان الذي دفن خارج البقيع ، وقد لقي هذا الفعل إستهجان البقيّة الخيّرة من الصحابة ، ثم ما لبث أن أعيد الاعتبار لقبر عثمان بن مظعون

وابتنيت قبة عليه .

في السنوات التالية توفي ابن رسول الله ﷺ (إبراهيم) . ودفنه سلام الله عليه بيديه وبكى عليه ، وعلّم القبر .. فأصبح البقيع مع الأيام مدفناً لأهل يثرب ، حيث رغب الناس في أن يدفنوا موتاهم في تلك البقة المباركة التي كان رسول الله قد دفن خيرة أصحابه فيها ، والتي كان يزورها في آخر الليل ويستغفر لأهلها بقوله « سلام عليكم دار قوم مؤمنين .. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وهكذا اتسعت مساحة البقيع ، التي حوت ما يزيد على قبور سبعة آلاف صحابي ، عدا من دفن فيها من أهل البيت والكثير من التابعين .. ففيها دفن الامام الحسن عليه السلام بعد أن منع الامويون دفنه إلى جانب جده رسول الله ورشقوا جنازته بالنبل ، وقبله دُفنت الزهراء عليها السلام ـ على أقرب الروايات الى الصحة ـ ، ودفن فيها الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، والامامان محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام . وضمّ البقيع رفات زوجات النبي وأبنائه الآخرين وعماته وأعمامه .. فهناك قبر صفية بنت عبد المطلب ، وقبر العباس بن عبد المطلب ، وقبر فاطمة بنت أسد أم الامام علي ، وكان قد كُتب على قبرها الى ما قبل تدمير الوهابيين له : « ما ضمّ قبر أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها وعن بنيها » . وأيضا قبر عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .. هذا اضافة الى قبر حليمة السعدية مرضعة الرسول ، وقبر الخليفة عثمان الذي كان خارج البقيع فوّسع ليدخل فيه ، وقبر الامام مالك بن أنس ونافع شيخ القرّاء .. وكذلك قبور الآلاف من التابعين الذين رأوا أنّ دفن رفاتهم في تلك المقبرة المباركة فضلاً كبيراً وأجر عظيم .

وعلى مرّ القرون ، كان البقيع ـ كما مقبرة المعلّى بمكة المكرمة ـ معظماً لدى المسلمين الذين أشادوا القبب على قبور الصحابة والائمة والأولياء إحتراماً وتكريماً وتقديساً لمن صنعوا التاريخ ومجد الاسلام . ولم يتعرّض البقيع للأذى ، ولرفات هؤلاء بالإنتقاص والإمتهان إلا في عهد الوهابيين .

يصف الرحالة عمر بن جبير البقيع أثناء زيارته له بالتالي : « ان بقيع الغرقد واقع شرقي المدينة ، تخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع .. وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المذكور مشهد صفية عمّة النبي ﷺ .. وأمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الامام المدني ، رضي الله عنه ، وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء ، وأمامه قبر السلالة الطاهرة : ابراهيم ابن النبي ﷺ ، وعليه قبة بيضاء وعلى اليمين منها تربة إبن لعمر بن الخطاب (رض) إسمه عبدالرحمن الاوسط ، وهو المعروف بأبي شحمة ، وهو الذي جلده أبوه الحدّ

فمرض ومات . وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب (رض) وعبدالله بن جعفر الطيار (رض) وبإزائهم روضة فيها قبور أزواج النبي (ص) ، وتليها روضة العباس بن عبدالمطلب (رض) ، والحسن بن علي (ع) وهي قبة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه ، ورأس الحسن (ع) إلى رجلي العباس (رض) وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق ، مرصعة بصفائح الصفر ومكوكبة بمسامير على أبدع صفة وأجمل منظر ، وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم ابن النبي ﷺ ، ويلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، يعرف بـ « بيت الحزن » ، يقال أنه البيت الذي آوت إليه ، والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى ﷺ . وفي آخر البقيع قبر الخليفة عثمان (رض) وعليه قبة صغيرة مختصرة ، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب (ع) ..[1] .

وبعد حوالي قرن ونصف ، يصف إبن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار)[2] البقيع بوصف يشابه إلى حد بعيد وصف ابن جبير ، فيقول : « بقيع الغرقد ، وهو بشرقي المدينة المكرمة ، ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع . فأول ما يلقى الخارج إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبدالمطلب رضي الله عنها ، وهي عمة رسول الله ﷺ ، وأم الزبير بن العوام ، وأمامها قبر مالك بن أنس (رض) وعليه قبة صغيرة البناء . وأمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة ، ابراهيم بن رسول الله ﷺ وعليه قبة بيضاء . وعن يمينها تربة عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب (رض) ، وبإزائه قبر عقيل بن عبدالمطلب (رض) وقبر عبدالله بن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب (رض) . وبازائهم روضة يذكر أن قبور أمهات المؤمنين بها رضي الله عنهن . ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وهي قبة ذاهبة في الهواء ، بديعة الاحكام عن يمين الخارج من باب القيع » .. الى أن يقول « وبالبقيع قبور المهاجرين والأنصار ، وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، إلا أنه لا يعرف أكثرها » .

وبقى البقيع على حاله هذه تقريباً ، مع ملاحظة تعميره بين مدة وأخرى .. إلى أن جاءت نكبة الوهابيين في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي فدمروا المشاهد وأهانوا الموتى والشهداء والصالحين ، وتعرضوا لبقية المسلمين بالتكفير والحرب والقتال ، بما لم يفعله مسلم ولا كافر في التاريخ من قبل .

نكبة البقيع الأولى

يرى الوهابيون أن تعظيم قبور الأنبياء وائمة أهل البيت والصحابة والأولياء يعني عبادة أصحاب هذه القبور وهو شرك بالله ، بل هو كفر صريح وزندقة ، يستحق معظّمها القتل وإهدار الدم وسلب أمواله وسبي ذراريه ، وكانوا ـ ولا زالوا ـ يطلقون على المسلمين القائلين بتعظيم القبور وأهلها الصالحين لفظة « القبوريين » التي تعني عبّاد القبور ، مقارنين بينها وبين فعل الجاهليين تجاه أوثانهم . وقد خالفوا بآرائهم هذه جمهور المسلمين ، الذين يرون أن من حق « المسلم » أن يجتهد ، ولكن ليس الى حد تكفير أخيه وإهدار دمه وسبي ذريّته .. ولم يتحفّظ الوهابيون في تبيان آرائهم ، بل شرعوا في تطبيقها على الجمهور الأعظم من المسلمين بقوة الحديد والنار .

إن مجمل الفكر الوهابي يعتبر تعظيم أصحاب القبور من الأنبياء والصالحين ضلالة ، وأن الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي كفراً ، لأنه ميّت وبالتالي لا قيمة له ، أو كما قال أحدهم بأن عصاه افضل من الرسول وقبره .

أما بقية المسلمين الذين خالفوا الوهابيين في آرائهم فيعتقدون بتكريم وتبجيل القبر الذي هو في حقيقة الأمر تبجيل لصاحبه الساكن به .. واستشهدوا على ذلك بأن الخليفتين أبا بكر وعمر أوصيا بأن يدفنا بجوار النبي ﷺ ، وعُدّ دفنهما الى جواره من أعظم مناقبهما ، ولما أراد بنو هاشم دفن الامام الحسن السبط عند قبر جدّه ، تصدّى الأمويون لجنازته ورشقوها بالسهام وقالوا : أيدفن عثمان في أقصى البقيع ، ويدفن الحسن عند جده ، لا والله لا يكون ! ! .

وكما رأى الوهابيون أن القبور لا حرمة لها ولا فضل ، أيا كان المدفون فيها ، فساووها بالتراب بحجة أن المسلمين يعبدونها من دون الله[٣] ، فانهم تبعاً لذلك منعوا الاستشفاع بالرسول والتوسل به ، وتزيد المؤلفات التي ردّت على أفكار الوهابيين هذه على الألف كتاب ، بعض من ألّفها من الحنابلة الذين يقول الوهابيون أنهم ينتسبون إليهم .

ولقد انصبّ الجهد الوهابي في كل مكان سيطروا عليه ، على هدم قبور الصحابة والتابعين وخيرة أهل بيت النبي الذين طهرهم الله من الرجس تطهيرا .. وكانت المدينتان المقدستان « مكة والمدينة »ولكثرة ما بهما من آثار دينية ، من أكثر المدن تعرضاً لهذه المحنة العصيبة ، التي أدمت قلوب المسلمين وقطعتهم عن تراثهم وماضيهم التليد .

بين عامي ١٢٠٥هـ ـ ١٢١٧هـ ، حاول الوهابيون السيطرة على الحجاز ـ قلب العالم الاسلامي ـ في حروب لم تتوقف ، زادت على الخمسين حرباً ،

ولكنهم فشلوا في مساعيهم وكان الصلح بينهم وبين الاشراف ـ حكام الحجاز ـ يُعقد ثم ما يلبث أن ينتقض . وفي أواخر عام ١٢١٧هـ احتل الوهابيون الطائف وأقاموا مجزرتهم الدامية المشهورة .. وفي عام ١٢١٨هـ احتلوا مكة بدون حرب وأعملوا في الأماكن المقدسة هدماً وتدميراً ، وانصب سخطهم على تدمير كل القبب المقامة ، حتى تلك التي كانت على بئر زمزم فساووها بالأرض .. إلا أن الشريف غالب حاكم الحجاز الذي عقد الصلح مع الوهابيين خوفاً على الاماكن المقدسة ، لم يستمر في المهادنة ، فانتقض الصلح ، الأمر الذي دفع الوهابيين لاعادة احتلال مكة مرة أخرى سنة ١٢٢٠ هـ .

وفي عام ١٢٢١هـ احتل الوهابيون مدينة الرسول ، فلم يبقوا في البقيع ولا خارجه حجراً على حجر ، حتى المساجد هدموها ، وحاولوا مرارا هدم قبة الرسول (ص) إلا أنهم غيّروا رأيهم .. وفي ذات الوقت منعوا جميع المسلمين من الحج إلا أتباعهم ـ وهم قلة قليلة ـ .. ففي عام (١٢٢٠هـ) انقطع الحج العراقي والايراني ، وبعد عام واحد (١٢٢١هـ) انقطع الحج الشامي ، وفي عام (١٢٢٢هـ) انقطع الحج المصري .. والسبب في هذا كله أن سعود الكبير أراد أن يجبر الحجاج على اعتناق مذهبه والالتزام بدعوته ، ولما رفض المسلمون ذلك ، منعهم من الحج واعتبرهم هراطقة كفرة .

لقد خرب الوهابيون ودمروا قبور شهداء أحد ، والمسجد المقام على قبر سيد الشهداء الحمزة بن عبدالمطلب ، ودمروا المساجد التي خارج البقيع ، مثل مسجد الزهراء (فاطمة) ، ومسجد المنارتين ، ومسجد المائدة ـ وهو الموقع الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ سورة المائدة ـ ، وكذلك مسجد الثنايا الذي دفنت فيه ثنايا رسول الله ﷺ التي تكسّرت في معركة أحد .

أما البقيع فأصبح قاعاً صفصفاً ، لم يبق به أية قبة ، وأصبح ذلك المزار المهيب على مرّ القرون للملايين من المسلمين مجرّد مزبلة ، لا يكاد يعرف الزائر بوجود قبر فيه ، فضلاً عن أن يعرف صاحبه .

لم يكتف الوهابيون الأوائل بكل هذا .. بل « طلب ـ الحاكم السعودي ـ سعود الكبير ، الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي فقال : أريد منكم الدلالة على خزائن النبي ، فقالوا بأجمعهم : نحن لا نوليك عليها ولا نسلّطك ، فأمر بضربهم وحبسهم ، حتى اضطروا الى الاجابة ، فدلّوه على بعض من ذلك فأخذ كل ما فيها ، وكان فيها من النقود ما لا يحصى ، وفيها تاج كسرى أنو شروان الذي صار عند المسلمين لما فتحت المدائن ، وفيها سيف هارون الرشيد وعقد كان لزبيدة زوجته ، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته ﷺ . وأخذ قناديل الذهب ، وجواهر عديدة .. »[٤] .

ويذكر الجبرتي في تاريخه أن سعود الكبير : « استولى على المدينة ، وأخذ تلك الذخائر ، فيقال أنه عبىء(سحاحير)من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر ، وفي ذلك أربعة شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة الماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام ، ونحو مائة سيف قرابتها ملبسة بالذهب الخالص ، ومنزل عليها الماس وياقوت ، ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك ، وسلاحها من الحديد الموصوف ، كل سيف منها لا قيمة له (أي لا يقدّر بثمن) وعليها دمغات بإسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك » .

ان هذا التجاسر على حجرة الرسول وقبره ، قد صدم المسلمين مهما كانت التبريرات بأن رؤساء المذاهب أفتوا سعود الكبير بالجواز ، فهذا مستبعد لأن أتباع المذاهب بنظر الوهابيين كفرة ، ثم من الذي يرشدنا الى أن الفتوى كانت بدون قهر ؟ .

ويدعي البعض أن أموال الحجرة أُنفقت على الفقراء والمساكين ! ، ولكن الذي لا شكّ فيه هو أن آل سعود وأتباعهم تناهبوها وتقاسموها ، حتى أن عبدالله بن سعود الذي خلف أباه في الحكم ، ولما سقطت الدرعية عام ١٢٣٣هـ على يد القوات المصرية ، جيء به أسيراً الى مصر وهو يحمل بعضاً من تلك الثروات المنهوبة ليسلمها الى محمد علي باشا من أجل إنقاذ رأسه .. فـ « وصل عبدالله بن سعود أسيراً ، وسلّم ما بحوزة أبيه من مجوهرات الحجرة النبوية ، ثم رحّلوه الى الآستانة وأُعدم »[٥] .

أدى استيلاء الوهابيين على الاماكن المقدسة ومنعهم المسلمين من أداء فريضة الحج وإجبار المسلمين على إقتفاء أفكارهم وآرائهم الدينية ، أدّى الى هروب عشرات الآلاف من المدينة ومكة فراراً من الاضطهاد العقائدي ، وتردي الوضع السياسي والاقتصادي ، وبدأ المسلمون يتذمرون ، وراح الرأي العام يضغط على دولة الخلافة لتتولّى مهمّة تحرير الحرمين والسماح للمسلمين بالحج وإعادة إعمار العتبات المقدسة ، فجهزت حملة محمد علي باشا التي ما أن وصلت الى يابسة الحجاز ، حتى سارعت القبائل وأهالي المدن الى دعمها ، فأُعيدت السيطرة على المدينة ثم مكة ، حيث لم تكن فرحة الاستيلاء عليها في مصر والآستانة بأقلّ من فرحة الاستيلاء على المدينة ، ويذكر الجبرتي أن القاهرة احتفلت على أثر وصول نبأ فتح مكّة إليها خمسة أيام متواليات[٦] .

واقيمت الأفراح والاحتفالات في كل بلاد العالم الاسلامي . ولا يختلف باحثان على أن أهم أسباب انهيار دولة السعوديين الأولى هو (منع الحجيج) و (هدم الأمكان المقدسة)[٧] .

وخير من يصف البقيع في نكبته الأولى الرحالة السويسري لويس بورخارت

الذي ادعى الاسلام ، وسمى نفسه ابراهيم ، وقدم على محمد علي في مصر ثم رافقه في حملته لاستئصال الوهابيين سنة ١٨١٥م ، وكان من بين ما قاله الرحالة عن مقبرة البقيع التالي :

« هي عبارة عن مربع كبير تبلغ سعته مئات من الخطوات ، محاط بجدار يتصل من الجهة الجنوبية بضاحية البلدة ، وبسساتين النخيل الأخرى . وتبدو المقبرة حقيرة جداً لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها . وقد تكون أقذر وأتعس من أية مقبرة موجود في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها . فهي تخلو من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً ، وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب ، يحدّ كل منها عدد من الاحجار الموضوعة فوقها .. ويُعزى تخريب المقبرة الى الوهابيين » .. ثم يأتي بورخارت الى وصف بقايا القبب والمباني الصغيرة التي تعرضت للتخريب كقبور ائمة أهل البيت ، وقبر العباس ، وعمات النبي وعثمان ، ليصل الى نتيجة : « فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر وحفر عريضة ، ومزابل ... »[٨] .

ثم يصف بورخارت زيارته لجبل أحد ، حيث وجد المسجد الذي شُيّد على قبر الحمزة وغيره من شهداء أحد ، مثل مصعب بن عمير وجعفر بن شماس وعبدالله بن جحش قد هدمه الوهابيين .. إلا أنه أشار الى أن قبر الحمزة لم يعبث به كغيره .. وعلى مسافة من هذا المسجد وجد قبة مهدمة مخربة وصغيرة تشير الى المكان الذي أصيبَ فيه الرسول ﷺ في أحد .. وعلى مسافة وجد قبور اثنى عشر صحابيا من شهداء أحد « وقد خرب الوهابيون قبورهم وعبثوا بها »[٩] .

ومن المهم الاشارة هنا الى أن الوهابيين عيّنوا ضابطاً عثمانياً فاسقاً ودموياً حاكماً للمدينة اسمه حسن القلعي ، الذي استطاع قبل سيطرة الوهابيين أن يصبح سيّد المدينة غير المنازع ، وكان في خدمته فوج من الحرس المختلط من البدو والمغاربة ، فاستبدّ بالناس وظلم الحجاج وابتزّهم وصادر ممتلكاتهم .. وحينما هاجم الوهابيون المدينة ، استسلم لهم شرط بقائه في منصبه فوعدوه بذلك ، وهكذا سقطت الحامية التي دُعمت فيما بعد بجنود وهابيين ، وحينها راح القلعي يتطرّف في تحمسه للمذهب الوهابي ، ويضغط على السكان في سبيل اعتناقه بأقصى الوسائل وأعنف الطرق ، وتشدّد في استيفاء الأموال والضرائب من أهل المدينة ، الذين يقول بورخارت أنهم غير محبوبين من الحاكم السعودي .. لكن حينما جاءت القوات المصرية لتحرير الحجاز ، رأى القلعي أن يلعب ذات اللعبة السابقة ، غير أن القوات المصرية الغازية قبضت عليه مع (مذيان) قائد الوهابيين في المدينة ، وأرسلتهما للقاهرة ومنها الى استنبول حيث

نالا جزاءهما [١٠] .

وبعد هزيمة الوهابيين ، بُدىء في عام ١٨١٨م ، وفي عهد السلطان العثماني عبدالمجيد ثم في عهد السلطانين عبدالحميد ومحمود ،باعادة الاعمار للحرم المدني وللبقيع ولتراث المسلمين الخالد في أحد .. ثم جُدّدت الأبنية كما يبدو بين عام ١٨٤٨ ـ ١٨٦٠م ، وصُرفت مبالغ هائلة قدّرت بسبعمائة ألف جنيه استرليني بعضها من أموال الحجرة النبوية .

محنة الأماكن المقدسة للمرّة الثانية

أشاد العثمانيون القبب والمساجد بشكل فني رائع ، وقد ذكر مؤلف (مرآة الحرمين) هذه الأضرحة والقبب ، وصوّرها في كتابه قبل أن يدمّرها الوهابيون للمرة الثانية .

في النصف الثاني من عام ١٨٥٣م ، وفي زيارة خاصة له للبقيع ، أشار الرحالة البريطاني ريتشارد بورتون ، والذي انتحل الجنسية الأفغانية وسمى نفسه عبدالله .. اشار الى الروايات القائلة ، بأن البقيع يضمّ رفات سبعين ألف قديس ، أو مائة الف ، بينهم ٧ ـ ١٠ آلف صحابي وعدد آخر لا يحصى من « السادة »دفنوا فيه واندرست قبورهم . وأضاف بأنه دخل المقبرة وقرأ الزيارة العامة التي حظر الوهابيون قراءتها ، وأعقبها بقراءة سور من القرآن .. وتابع :

« حينما سرنا في ممر ضيق يؤدي من جهة البقيع الغربية الى الجهة الشرقية ، دخلنا مرقداً متواضعاً أقيم فوق قبر الخليفة عثمان .. وبعد هذا سرنا خطوات قليلة الى الشمال وتوجهنا نحو الشرق فزرنا أبا سعيد الخدري ـ صاحب النبي ـ الذي يقع قبره خارج البقيع .. وكان المكان الثالث الذي زرناه قبة تضم قبر السيدة حليمة مرضعة النبي .. ومن هناك توجهنا الى الشمال فوقفنا أمام مبنى صغير يحوي اشكالاً بيضاوية من الاحجار ، وهي قبور شهداء البقيع الذين قتلهم « مسلم » قائد كبير الفاسقين يزيد[١١] . أما الوقفة الخامسة فكانت بالقرب من وسط المقبرة على قبر ابراهيم ابن النبي ... وزرنا بعد هذا نافع بن عمر المسمى نافع القارىء ، والى جنبه مالك بن أنس .. وكانت الوقفة الثامنة على قبر عقيل بن أبي طالب أخي الامام علي .. وزرنا بعد هذه البقعة التي دفنت فيها أزواج النبي جميعا ـ عدا خديجة التي دفنت بمكة ـ ، وبعد أمهات المؤمنين قرأنا الفاتحة على قبور بنات النبي »[١٢] .

وأضاف بورتون « وقبل أن نترك البقيع وقفنا وقفتنا الحادية عشرة عند القبة العباسية ، أو قبة العباس عم النبي ، وهي أكبر وأجمل جميع القبب الأخرى ..

وتوجد في القسم الشرقي قبور الحسن بن علي سبط النبي ، والامام زين العابدين بن الحسين ، وابنه محمد الباقر ، ثم ابنه الامام جعفر الصادق ، وهؤلاء جميعاً من نسل النبي ، وقد دفنوا في نفس المرقد الذي دفن فيه العباس .. وبعد أن خرجنا وتخلّصنا من أيدي الشحاذين الصغار ، وجّهنا وجهنا نحو الجدار الجنوبي الذي يوجد بقربه قبر ينسب الى السيدة فاطمة وقرأنا الدعاء المعروف » .. وفصّل بورتون مسألة غموض موقع قبر الزهراء ولكنه أكدّ أن الاخفاء كان بوصيّة منها .. وتابع « أتينا على قبة صغيرة تحوي قبور عمّات النبي ، ولاسيما صفية بنت عبدالمطلب أخت الحمزة ، وإحدى بطلات الاسلام في أول عهده » .

وحسبما يذكر بورتون أن في المدينة ٥٥ مسجداً وبقعة مقدسة ، عددّ أكثرها وأشار الى القبب المقامة عليها ، ومن بينها « قبة المصرع » وهو المكان الذي خرّ فيه الحمزة صريعاً ..

هذا هو حال المدينة وبقيعها بعد تعميره .. وقبل تدميره من جديد على يد الوهابيين . وفي الوقت الذي وصف فيه المغامر الانجليزي جون كين المدينة أثناء حج عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨م بأنها تشبه استانبول أو أية مدينة أخرى من المدن الجميلة في العالم ، حيث تبدو أسوارها البيضاء ، ومنائرها العديدة المطلية بالذهب ، ووصفها حين تشرق الشمس على حقولها الخضراء المحيطة بها كجوهرة متلألئة محاطة بفسيسفاء من اللؤلؤ .. جاء (ايلدون رتر) ليصف قراها المحيطة بها بعد المحنة التي عصفت بها على يد غلاة الوهابيين ، بأن القرى والبيوت الواقعة بين محيط المزارع وأشجار النخيل مهجورة خربة ، وأن الحقول أصبحت جرداء غير عامرة بالزرع بسبب الحصار الذي فرضه الوهابيون على المدينة قبل سقوطها .. ولاحظ رتر خارج السور عدداً غير يسير من المباني والقصور التي كانت منيفة قبل تهديدات الوهابيين .

وأشار رتر الى حصار الوهابيين للمدينة الذي استمر خمسة عشر شهراً ،حيث ألجأ السكان البالغ عددهم بين ٧٠ ـ ٨٠ ألف نسمة الى الفرار ، فلم يتبقّ منهم سوى ستة آلاف نسمة فقط . وفي حين وصف جون كين المدينة بأنها « محظوظة »لأنها تحتوي على جميع ما يمكن أن يريده العقل الشرقي ويرتاح إليه ، من البيوت المنظمة ، والحقول النضرة ، والمياه الجارية وغيرها .. إضافة الى شوارعها النظيفة المنتظمة جدا والرفاه والازدهار وغيره .. يأتي رتر ليقدم الصورة المناقضة ، فـ « الشوارع والأزقّة فارغة والبيوت متهدّمة » ، وملامح الإعياء بادية ظاهرة ، وكأن الزلزال أصابها[١٢] .

أما البقيع فقد وصفه رتر وصفاً مروعاً فقال : « حينما دخلت إليه وجدت

منظره كأنه منظر بلدة قد خربت عن آخرها . فلم يكن في أنحاء المقبرة كلّها ما يمكن أن يشاهد ، سوى احجار مبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها ، وقطع من الخشب ، مع كتل كثيرة من الحجر والآجر المنكسر هنا وهناك ، وقد كان ذلك أشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها » .

« وألفيت بجانب السور الغربي للمقبرة أكواماً كبيرة من ألواح الخشب القديمة ، والكتل الحجرية وقضبان الحديد .. وقد أزيلت الأنقاض من بعض الممرات الضيقة .. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يدلّ على شيء من الانتظام ، فقد كان كل شيء عبارة عن وعورة تتخللها مواد الابنية المهدَّمة وشواهد القبور المبعثرة ، ولم يحدث هذا بفعل الزمن وعوارض الطبيعة ، بل صنعته يد الانسان عن عمد وتقصد »[١٤] .

ويضيف : « لقد هدمت وأختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي وقبر الخليفة الثالث عثمان ، وقبر الامام مالك وغيرهم .. وأصاب القبور الأخرى نفس المصير ، فسُحقت وهُشّمت ، حتى الأقفاص المصنوعة من أعواد الجريد التي كانت تغطي قبور الفقراء من الناس عُزلت جانباً أو أحرقت .. وحينما توغلنا داخل المقبرة لمشاهدة الأكوام التي تدل في يومنا هذا على قبور المسلمين الأوائل الذين صنعوا التاريخ الحافل ، سمعت دليلي يكرر يهمس : أستغفر الله ، أستغفر الله ، لا حول ولا قوة إلّا بالله . وكان القلّة ممن بقي من سدنة القبور التي بقيت معالمها شاخصة للعيان يقفون أو يجلسون بجنبها بأوجه غير معبرة ، ومن دون أن تبدر منهم أيّة حركة .. فلم يطلبوا الصدقة ، ولم يتكلموا بشيء سوى بعض الكلمات الخافتة ، برغم عدم وجود أحد من الوهابيين على مقربة منهم ، غير إثنين من عبيد ابن سبهان بالباب » .

ويتابع : « وسرنا في ممر ضيّق ، نُظّف من بين الزبل المبعثر نحو قبر عثمان الواقع في الجهة الشرقية من المقبرة .. وفيما كنا نخطو هذه المسافة خطواً متأنياً ، إلتقينا بجماعة من الهنود راجعين من زيارة هذا القبر .. وكان الذين يتقدمهم رجلاً مسناً ذا لحية طويلة قد وَخَط الشيب سوادها ، وكان وهو يمشي منتصب الرأس لا يحرّك عينيه يمنة ولا يسرة ، بل كان ينظر الى الامام على الدوام والدموع تنحدر منهما بتيار مستمر »[١٥] ..

★★★

لقد انطلق الوهابيون في صفر ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ لاحتلال الحجاز بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي ، والتقى الاشراف بالأخوان في تربة فكانت مجزرة رهيبة حلّت بالجيش الحجازي ، وبعدها تمّت المجزرة الثانية في الطائف ،

فبعد هزيمة الجيش الحجازي دخل الأخوان الطائف كالسيل الجارف فقتلوا من وجدوه في الشوارع والطرقات ، واقتحموا البيوت ونهبوها ، كما قُتل العديد من رجال الدين والنساء والاطفال .. وقد وصف أحد الأشراف (عون بن هاشم) المجزرة (في تربة) بقوله : « رأيت الدم فيها يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنّها والله حمراء »[١٦] .

ويقول الريحاني أن الأخوان الوهابيين حينما دخلوا الطائف : « طفقوا يطلقون بنادقهم في الأسواق ، وهم يطوفون المدينة فقتلوا عدداً من الأبرياء الذين لم يسارعوا الى بيوتهم مستأمنين ، وكان قد تخلّف في المدينة جماعات من عرب البقوم والنمور والطويرق وغيرهم ، فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول والفجع ، راح العربان والأخوان يطرقون الأبواب ويكسرونها فيدخلون البيوت ، ثم يعملون فيها أيدي السلب ، وكانوا يقتلون في سبيل السلب .

وقتل مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وابناء الشيبي .. أما الشيخ عبدالقادر الشيبي سادن الكعبة ، فقد نجا من الأخوان بحيلة ظريفة .. بكى عندما وقع في أيديهم ، فسأله أحدهم وقد إستلّ السيف فوق رأسه .. « وليس تبتسي يا تسافر ؟ » ـ أي لماذا تبكي يا كافر ؟ ! ـ .. فأجابه الشيخ « أبكي والله من شدة الفرح ، أبكي يا إخوان لأني قضيت حياتي كلّها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله أن أموت إلا مؤمناً موحداً .. الله أكبر . لا إله إلا الله » .. وقد أثّر هذا الكلام في الأخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالاسلام »[١٧] .

وفي اليوم التالي أُخرج الأهالي نساءً وأطفالاً وشيوخاً من مدينة الطائف ، وسيقوا الى حديقة شبرا وحبسوا هناك ثلاثة أيام ، وكانت النساء سافرات لأول مرة مع الرجال ، ومكثوا أياماً بدون طعام أو ماء ـ كما يقر بذلك « العطار » صاحب مؤلف صقر الجزيرة ـ .

وكان رد ابن سعود على المذبحة كما يقول هو « وصلني وأنا في الرياض خبر المذبحة في الطائف فبكيت حتى تبللت لحيتي .. ولما قدمت مكة عزمت أولياء القتلى وأعطيت كل واحد عشرة ريالات فرنسية وصاعاً من القمح !! » .. وهذه قيمة الانسان ؟ ! .

أما الريحاني فيقول أن عبدالعزيز دفع نحو عشرة الآف ليرة من التعويضات ، وربما كان يقصد عشرة آلاف ريال .. وبالحساب البسيط ، يكون عدد القتلى ألف شخص من الأهالي الأبرياء ، عدا آلاف من العسكر الهاشمي[١٨] .

كان ابن سعود هو المخطط للمذبحة كما فعل أسلافه ، فاحتلال مكة لا يكون سلماً إلا بعد ترويع السكان بارتكاب مجزرة بالقرب منهم ، فكانت الطائف ساحة

المجازر كلما أراد الوهابيون احتلال الحجاز ، على أن الحاكم السعودي تبرّأ ممّا فعل جيشه الذي لم يكن على رأس قيادته لهدف واضح ، والنتيجة أن سقطت مكة ودمرت كل آثارها الدينية ، تماماً مثلما فعلوا بالطائف التي دمروا فيها قبر ابن عباس ، وكما فعلوا في جدة التي سقطت بعد حصار طويل فدّمروا قبر أمّنا حواء ، وغير ذلك .

وكان سقوط المدينة قد تمّ في أواخر ديسمبر ١٩٢٥ م ، وسمح للوهابيين أن يمارسوا ما يبتغونه من العنف في تخريب الأضرحة والاثار الاسلامية .. ولم يسلم سوى قبر الرسول الذي استطاع ابن سعود بدهائه السياسي الحيلولة دون هدمه ، خوفاً من رد فعل العالم الإسلامي العنيف ، وكان فعله هذا مخالف لقواعد المذهب الوهابي .. وانك لتجد حتى اليوم أسفاً لدى الوهابيين بأن القبّة المشادة على القبر الكريم لم تدمّر .. يقول إبراهيم الجبهان : « نحن لا ننكر أن بقاء البنية التي على قبر الرسول مخالف لما أمر به .. وان إدخال قبره في المسجد أشدّ إثماً وأعظم مخالفة »[١٩] .

ولما كان قبر الحمزة ، والمسجد المشاد عليه ، وكذلك قبور شهداء أحد ، خارج المينة المنورة التي كانت تحت الحصار ، فقد أصبحت أول الأماكن التي دمّرها الوهابيون عن آخرها ، كما تعرضت قبة المسجد النبوي الشريف للقصف المدفعي ، ويومها أرسل أعضاء مسلمون من الجمعية التشريعية في الهند تلغرافاً لابن اسعود يطلبون فيه معلومات أصليّة عن تقارير تدمير أضرحة الصحابة .. ومما جاء في التلغراف المرسل بتاريخ ١٩٢٥/٨/٢٧ الآتي : « ان مسلمي الهند مهتمون للتقارير القائلة بأن قبة المسجد التي فوق ضريح الرسول دمّرت ، وأن مسجد الحمزة أزيل من الاساس ، وذلك اثناء قصف المدينة من قبل قواتكم »[٢٠] .

وثارت ثائرة العالم الاسلامي خاصة في الهند ومصر وايران ، لسماعهم أخبار تدمير الاماكن المقدسة في مكة . وثار نقاش طويل في الهند بقيادة جمعية الخلافة ، وفي ايران ناقش البرلمان مسائل التدمير هذه وأرسل وفداً الى مكة وصلها في اكتوبر ١٩٢٥ لمناقشة ابن سعود في أفعال قواته .. ولكن الحاكم السعودي ـ وبما يتمتع به من دهاء ـ أكد للوفد بأنه سيقدم خدماته لمساعدة الحجاج الايرانيين وغيرهم لاعادة بناء الأضرحة المدمرة ، وقدّم وعداً بذلك ، فانصرف الوفد الفارسي راضياً[٢١] .

ومن جهة ثانية كان ابن سعود وطوال عام ١٩٢٥م يؤكد بأنه سيجعل الحجاز تحت أيدي المسلمين ليقرروا مصيره ، لعلمه بأن العالم الاسلامي ـ خاصة مصر ـ ترفض سيطرة الوهابيين ، ودعا ابن سعود لمؤتمر يقرر مصير الحجاز بعد

أن تسقط جدة والمدينة في قبضته .. ولكنه وبعد أقل من اسبوعين من سقوط جدة ، أعلن نفسه ملكاً على الحجاز ، ولم يعقد مؤتمراً إلا بعد أشهر ، ولكن ليس لمناقشة مصير الحجاز ، وإنما كيفية تحسين الاوضاع الاقتصادية والخدماتية ، مما جعل أكثر الوفود تنسحب وتعتذر عن المشاركة ! .

لقد امتعضت مصر من تصرفات الوهابيين فقاطعت الحج ، وعمّمت بلاغاً عاماً بررت فيه فعلها ، بأن أرواح الحجاج غير مضمونة في ظل السيطرة الوهابية الجديدة . وفي العراق وايران أقيمت شعائر الحزن وعطلت المدارس احتجاجا على تدمير البقيع والاماكن المقدسة الأخرى ، ومُنع الحج ريثما تحصل الحكومتان على ضمانات أمنية كافية .

وصادف أن وفداً من جمعية الخلافة وقبيل سقوط جدة والمدينة كان يؤدي فريضة الحج ، وقيل أنه جاء بقصد التأكد من مصير الاماكن المقدسة والاطمئنان على مستقبلها .. فكتب أعضاؤه التالي : « أُبلغنا من مصادر موثوقة ، أن الوهابيين بدأوا بالهجوم على المدينة المنورة ، وقد أُلحقت الأضرار بقبّة الرسول ﷺ ، كما أن مسجد سيدنا الحمزة قد أُزيل نهائياً »[٢٢] . أما مكة التي كانوا فيها فقالوا عنها : « دمرت في مكة مقبرة المعلّى ، والبيت الذي ولد فيه الرسول .. وتزعم الحكومة النجدية لنا أنه لن يحدث نفس الأمر للمدينة »[٢٣] . ويقول فيلبي أن هذا الوفد غادر الديار المقدسة في يناير ١٩٢٦ وهو نصف مقتنع بمستقبل الحجاز المضمون .

وفي مايو ١٩٢٦ عاد الوفد ثانية الى الحجاز ، وكانت المدينة المنورة قد ضربها الزلزال الوهابي للتوّ ، فقضى على كل آثارها .. وجاء في تقرير الوفد : « في ٢٢ مايو ١٩٢٦ م وصلت الى جدة السفينة أكبري ، حيث سمعنا أول أنباء سيئة للغاية عن التدمير المحزن لقبب البقيع والاماكن الاخرى .. لقد ترددنا في تصديق ذلك ، لأن الملك أكّد لنا خطيّاً في لقاء سابق بأن قبب المدينة وغيرها من الآثار سوف تبقى على حالها » .

« وحال دخولنا مدينة جدة ، كان أول عمل لنا هو مقابلة الشيخ الحكومي عبد العزيز العتيقي والاستفام منه حول الأمر ، فأكد الأخبار التي سمعناها ، وقال بأن النجديين اعتبروا القبب وغيرها بدعة وكفراً ، وأضاف : نحن في هذا الأمر لا نهتم بالرأي العام الاسلامي ، أو أن المسلمين يعجبهم ذلك أم لا ؟ ! »

« اننا نشعر بالحزن لابلاغكم ـ خطاب موجّه للمسلمين الهنود ـ بأن مثل مكة المعظمة ومساجد المدينة المنورة لم تُحفظ حرمتها ، وأن مثل قبب المساجد قد أُزيلت نهائياً .. وهذه قائمة المساجد المدمرة : مسجد فاطمة أُلحق بمسجد قبا ، مسجد الثنايا ، مسجد المنارتين ، مسجد المائدة ، مسجد الإجابة »[٢٤] .

واعتبر يوم الثامن من شوال ١٣٤٤ هـ يوماً أسود بالنسبة للمسلمين ، ففي ذلك اليوم بدأ الوهابيون تدمير البقيع بناء على فتاوى الشيخ عبد الله بن بليهد .. والوهابيون الذين يحتفظون اليوم بآثار العائلة المالكة السعودية ويصرفون الملايين عليها (كما هو حال المصمك) ، لا شك يدركون حجم الكارثة التي سببها تدميرهم للآثار الاسلامية ..

لم يعبأ الوهابيون بانزعاج العالم الاسلامي ، فالمهم تطبيق عقيدتهم وفرضها على الآخرين ، تماشياً مع سيطرتهم السياسية على الديار المقدسة .. ولما جاء وفد اسلامي من الهند يمثّل « جمعية خدام الحرمين » حاملاً معه ستين ألف روبية لمساعدة الضحايا ، وأعلن تصلّبه وعداءه الصريح للحكم الوهابي ، طرد ابن سعود أعضاء الوفد ، وحملهم على اول سفينة أبحرت من الساحل الحجازي في ١٩٢٦/٣/١ .. وكانت إنتقادات الوفد تتركز على مسألة أكثر حساسية وهي : خضوع ابن سعود للنفوذ البريطاني ، وطالبوا بالاطلاع على نص معاهدتي (الحدة وبحرة) والملاحق السرية .. وتساءل أعضاء الوفد : كيف تكون الديار المقدسة في مأمن وهي خاضعة للتاج البريطاني ؟ .

ولما تزايدت الإنتقادات ضد الوهابيين ، راح أتباع ابن سعود يلقون الملامة على الجيش السعودي (الاخوان) ، وكان هذا الجيش قد صُفّي بالسلاح لتمرده بعد احتلال الحجاز .. ولكن لم يتغيّر الأمر حتى الآن ، وليست هناك أيّة نيّة لدى الوهابيين في إعادة إعمار الآثار المقدسة ، ويدّعي حافظ وهبة مستشار ابن سعود في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) بأن حماس الأخوان الجهلة للوهابية ، كان أكبر ما إبتليت به الدعوة .. وان الاخوان أزالوا بجهلهم ـ المشهد المقام عند موضع ولادة الرسول ، وهدموا منزل خديجة وأبي بكر .. في حين أشار فيلبي ـ الذي حج سنة ١٩٣١ بعد أن إدّعى الإسلام ـ الى هدم كل الأضرحة والقباب في الحجاز ، وذكر أن ذلك سيجعل الأجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الأماكن[٢٥] .

ومصيبة الحجاز ، لم تكن فقط بهدم القباب والقبور ، بل كل الآثار الاسلامية الأخرى ، كمنازل الصحابة وبني هاشم ، فاذا كان عذر الوهابيين بأن القبور تُعبد ، فهل المساجد تُعبد من دون الله ، وهل بيت الرسول ، ومنزل السيدة خديجة ، وفاطمة الزهراء ، ومنزل الحمزة ، وسقيفة بني ساعدة ، ودار الأرقم بن أبي الأرقم ، ومكان العريش التاريخي في بدر الذي أشرف منه الرسول على المعركة ، هل مثل هذه الأمكنة يمكن تبرير تدميرها بمثل ما برره الوهابيون ؟ ! .

ويتألّم مؤلف (في ظلال الحرمين) من تدمير الآثار الاسلامية ، فرغم تأييده

للسعوديين ، إلّا أن نفسه لم تطاوعه في مدحهم على ما اقترفوه في البقيع .. فقد حجّ المؤلف سنة ١٣٧٣ هـ ، وقال عن البقيع أنه يضمّ « قبور عشرة آلاف من الصحابة والشهداء والائمة وأهل بيت النبوة ، أولئك الذين سطروا بدمائهم وأرواحهم آيات البطولة والاستشهاد في سبيل الله ، وأقاموا بتضحياتهم الفذّة وإيمانهم العميق دعائم الدين الحنيف .. على أنك لا تستطيع أن تتبيّن قبراً واحداً من أولئك الصحابة الشهداء والائمة وأهل البيت ، إلا إذا صَحبَك الدليل .. ذلك لأن جميع هذه القبور قد سُوّيت مبانيها ومعالمها بالارض كما سُوّيت قبور المعلّى بمكة ، وهو ما عيب على الحكومة السعودية .. وكان يجدر أن يظل على كل قبر شاهد يحمل اسم صاحبه للذكرى ، فليس في نشدان الذكرى والترحّم على الصحابة والشهداء والائمة وأهل البيت وغيرهم ما يتنافى مع ما أوصى به الرسول وشرعه في زيارة القبور » .. ثم يتحدث عن فعله ﷺ حينما قَبَرَ إبنه ابراهيم ، ويعود فيركز على جرائم (الاخوان) وليس على زمرة المُفتين الذين بفتاواهم السابقة والحالية ، تمّ تدمير تراث المسلمين المجيد ، يقول : « فما كان أحرى غلاة الاخوان الذين هدموا معالم البقيع ، كما هدموا معالم المعلاة ، أن يُقيموا على قبورها علامات ـ على الأقل ـ كتلك التي أقامها محمد على قبر ابراهيم ، وألا يدعوا هذه القبور التي تضم بين صفائحها الكثير من أهل الجنة ، مُجهلة لا يهتدي إليها الزائر إلّا أن يصحبه المزوّر أو الدليل »[٢٦] .

أما الدكتور محمد حسين هيكل فأشار الى تسوية القبور بالارض وإلى أن بعض الاحجار تميزها « ولولا هذه الاحجار لخلتها ـ أي المقبرة ـ فضاءً مسوّراً لا شيء فيه ألبتة » .

فرض المذهب الوهابي

بعد احتلال ابن سعود لمكة الكرمة ، أصدر بلاغات عديدة تفيد بأنه يسعى الى تطبيق الشريعة الاسلامية حسب المذاهب الأربعة ، وذلك تهدئة لنفوس المسلمين المثارة تجاه الوهابيين الذين يعرف العالم الاسلامي أنهم لا يقبلون ولا يعترفون باسلام من خالفهم في المذهب .. وما قصده الملك من تلك البلاغات بالتحديد هو : التهدئة السياسية ، لأن المذاهب الأربعة كانت مطبّقة عملاً وعلماً ودراسة في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .. ومن الناحية النظرية فإن الوهابيين تراجعوا واعترفوا بالمذاهب الأربعة ، لكن المطبقّ ـ في الوقت الحالي ـ هو المذهب الحنبلي وحده ، فما وافقه من المذاهب الأخرى مقبول ، وما اعترضه مرفوض . على أن رجال المذهب الوهابي في نجد هم يعدّون أنفسهم قيّمين على المذاهب الأخرى ، فهم الذين يتولون تحديد ما هو حلال وما هو حرام

ـ بنظرهم ـ ، وبامكانهم معاقبة رجال وزعماء المذاهب الأخرى ان أبدوا المخالفة ، كما حدث للشيخ علوي المالكي الذي وُضع تحت الاقامة الجبرية ، وسُجن العديد من أتباعه ، وأُلفّت الكتب بتكفيره .

والوهابيون أشدّ الناس تعصّباً لمذهبهم ، وما كانوا ـ وحتى اليوم ـ على إيمان باجتهاد علماء المسلمين ان خالف اجتهادهم .. ويوم سيطر الحاكم السعودي على مكة ، ورث ـ ضمن ما ورث صحيفة أم القرى ، ولم تكن بنجد يومها صحف ولا مطابع ، فاستخدمها للدعاية التي تحدّثت عن تحرّر النجديين المذهبي ، وأرخى العنان بتساهل للكتاب ، بأن يكتبوا عن ذلك ، فيما كان الجيش السعودي وفي نفس الوقت يحمل معاول الهدم ضد كل شيء يمتّ الى حضارة المسلمين .

ففي مقال افتتاحي لأم القرى في ٥ رمضان سنة ١٣٤٤هـ ، الموافق ١٩٢٦/٣/١٩ كتب الشيخ المعتدل ! عبدالعزيز العتيقي أن المذاهب الأربعة ، ومذهب الامام زيد بن علي بن الحسين ، والامام جعفر الصادق ، ومذهب الاوزاعي وغيره .. مذاهب تلقتها الأمة بالقبول .. ثم راح يذم التعصب « .. حتى جرّ بعضهم ـ أي التعصب ـ الى القول بأنه يجوز الاقتداء بمخالف في المذهب . وقال بعضهم : ويجوز لحنفي أن يتزوج شافعية ، قياساً على زواج المسلم بالكتابية ... » .

وفي ١٣٤٣/١٢/٢٨هـ ، صدر بلاغ حكومي يفيد بأن الشريعة الاسلامية هي القانون العام ، وان الائمة الأربعة هم القدوة ، وعلى أساس مثل هذه البلاغات الفقاعية أرسى المؤيدون حكمهم بأن الحكم الوهابي اتبع سياسة التسامح المذهبي ، وادعوا بأن المذهب الوهابي الذي هو مذهب الدولة الرسمي لا يلغي المذاهب الأخرى من التطبيق العملي ..وهذا بلا شك غير صحيح [٢٧] .

وفي الوقت الذي منع فيه تدريس آراء المذاهب الاسلامية في الحرمين الشريفين ، صدر أمر ملكي حول « نظام التدريس العام في المسجد الحرام »أدخل تدريس العقائد الوهابية ـ فرضاً ـ وبالأخص كتاب « التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتقول (أم القرى) في ١٩٢٦/١٠/٢٢ الموافق ١٣٤٥/٤/١٥هـ ان الأمر الملكي أمر بقراءة فقه المذاهب الأربعة ، واستبعاد تدريس فقه بقيّة المذاهب الاسلامية ، وكذلك أمر بتدريس العلوم العربية ، وان يدرس التوحيد (بالمنظار الوهابي) وأيضاً التفسير والحديث من خلال ذلك المنظار .

وهكذا أصبح ما يدرس عملياً هو المذهب الوهابي ، ولم يسمح لبقية المذاهب بتدريس فقهها بحرية ، وشيئاً فشيئاً أُلغيت الدروس ، وسيطر الوهابيون على كل

المدارس المصادرة لاتباع المذاهب والتي رفضت تعديل مناهج التدريس وفق الرؤية الوهابية . وفي مجال القضاء ، وبعد أن انتهت سياسة ارضاء الرأي العام الاسلامي التي اتبعها الوهابيون ، صادق الملك في ١٣٤٧/٣/٢٤هـ على قرار الهيئة القضائية الصادر في ١٣٤٧/١/١٧ على « أن يكون مجرى القضاء في جميع المحاكم منطبقا على المفتى به من مذهب الامام أحمد بن حنبل » .. أما الحجّة المضحكة التي بررت ذلك فهي « نظراً لسهولة مراجعة كتبه ، والتزام المؤلفين على مذهبه ذكر الأدلة اثر مسائله » ! ! ، وأكثر من هذا أُجبر علماء المذاهب على مغادرة البلاد أو الخضوع والصمت ، فكان ابن سعود يحمل علماء مكة على التنازل لعلماء الرياض ، وبشكل دائم [٢٨] .

استمرت الضغوط الوهابية على الحجاج وعلى الأهالي لترويضهم لقبول المذهب الرسمي ، وكان المطاوعة كثيري التحرّش بهم وايذائهم ، ولا تزال هذه الممارسات مطبقة حتى اليوم بشكل يلحظه كل زائر للديار المقدسة ، وقد كانت هذه الممارسات ، خاصة المتعلقة بفرض الطقوس الوهابية على الحجاج واحتقار الوهابيين للمقامات والاضرحة الاسلامية ، تثير غضب المسلمين في كل بقاع العالم[٢٩] .

ويُذكر ان الاخوان حينما يأتون لزيارة هذه الديار المقدسة ، يعتدون بالضرب والشتم والجلد على كل من يجدونه مخالفاً لرأيهم ، وكمثال على هذا ان سلطان بن بجاد ـ أحد قيادات الاخوان ـ وحينما زار المدينة في يوليو ١٩٢٧ ، تحرّش هو وأتباعه بالحجاج وآذوهم أشد الإيذاء [٣٠] .. وفي اكتوبر ١٩٢٧ قطع الوهابيون جميع الاشجار التي في المسجد النبوي ، وطمروا بئر الماء الموجودة فيه ، وأصدرت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشديداً صارماً على الأهالي بعدم البكاء على الموتى ، وبوجوب الصلاة في أوقاتها خلف الائمة النجديين .. كما أن « الشاب الخليع المنحل حسين محمد نصيف وضع قوانين الالتزام الاخلاقي للنساء ... » ، كما يقول تقرير السفارة البريطانية في جدة لشهر اكتوبر ١٩٢٧ [٣١] .

كما استمر تتبع وملاحقة الحجاج الذين يزورون الصحابة وآل البيت بصيغة لا ترضي الوهابيين .. ويشير (رتر) الذي اجتمع مع ابن سعود في الحجاز ، الى أن صيغة الزيارة الطويلة المفصّلة التي قرأها المزوّر معه كان يحرّمها الوهابيون .. وقبل أن يبدأ ذلك المزور بقرائتها أخبره ـ همساً ـ بأنه سيزوّره القبر المقدّس على طريقة المسلمين الذين يحبون رسول الله ﷺ .. واعتبر (رتر) ان المزوّر مغامر ، لان فعله سيعرّضه اذا ما انتبه الوهابيون لعنفهم ، وأوضح بأن الزيارة تتضمن طلب شفاعة النبي وآله ، وهو ما لا يرضى به الوهابيون

ويعتبرونه بدعة [٣٢] .

من جهة أخرى أشار رتر الى أن كثيرا من طلبة العلوم الدينية الذين كانوا يقيمون في المدينة قبل سيطرة الوهابيين ، فرّوا هاربين الى بلاد آمنة مع شيوخهم ، وقد ظلّ عدد قليل منهم فيها .. ولكنهم اضطروا ـ أي الطلبة ـ الى دراسة العقائد الوهابية على يد ابن تركي في الحرم المدني الشريف . وإبن تركي هذا ـ يعرفه رتر ـ بأنه نجدي سلفي معتدل .. أما علماء المدينة الأخرون ـ ومنهم أحمد الطنطاوي المصري ـ فقد مُنعوا من التدريس في الحرم منذ قدوم الوهابيين الى المدينة ، وراح طلبته يراجعونه في بيته [٣٣] ..

وصادر الوهابيون المدارس المالكية والشافعية وغيّروا مناهجها ، رغم أنها قائمة على أموال الأوقاف ، وأصبحت هذه المدارس تختص بالمذهب الحنبلي وفق الرؤية الوهابية .. وقد اشتكى علماء المذاهب وضجّوا وقدموا احتجاجاتهم لحكامهم وللبريطانيين ، باعتبار الأخيرين يحكمون الهند ، وباعتبار أن كلمتهم مسموعة جداً في الأروقة الرسمية والسياسية السعودية .

في ١٩٣١/٨/٣١ كتب محمد عمر خان ، مسئول المدارس الحنفية في المدينة المنورة ، مذكرة شكوى للمفوضية البريطانية بسبب تدخلات السلطات الوهابية في أمور هذه المدارس .. وعمر خان هذا كان يعمل محاسباً عاماً لدى نظام حيدر أباد في الهند ، وجاء في موسم حاج عام ١٩٣١ م الى الحجاز وأقام في المدينة ، وكانت مهمته الرسمية تنحصر في الإشراف على قوافل الحجاج ، ومراقبة المؤسسات الخيرية التي تقيمها وتدعمها مادياً حكومة حيدر أباد ، وان يضع التقارير عن نشاطاتها ويقدم لها المساعدات الممكنة .

وبناء على ما رآه قال : « وجدت تدخّلاً دينياً مكشوفاً يمارسه الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ » ، وطالب باتخاذ الخطوات المناسبة لمنع هذا التدخل الديني ، والسماح باعتماد المناهج الحنفية للمدارس ، كما كانت في السابق .

وهذا نص المذكرة المقدمة للمفوضية البريطانية في جدّة :

« توجد في المدينة مدرسة تسمى المدرسة النظامية ، تقدّم التعليم العالي الى الطلبة المتقدمين في الدراسات الدينية في التفسير والحديث طبقاً للمذهب الحنفي ، وتنفق عليها دائرة الشؤون الدينية في حكومة حضرة صاحب السعادة نظام حيدر أباد . ومدير هذه المدرسة هو مولانا الشيخ عبد الباقي ، وهو عالم مرموق من علماء المذهب الحنفي ، ومن العائلة المعروفة بعلمائها ، من فرنجي محل ـ لكنو .

قبل ثلاثين عاماً جاء مولانا عبد الباقي الى الحجاز واستقر في المدينة .

واعترافاً من السلطات التركية في المدينة المنورة بطاقات وقدرات مولانا عبدالباقي ، فقد سمح له بالقاء الدروس والمحاضرات الدينية على طلاب المراحل المتقدمة ، في حرم المدينة ، وذلك بعد وصوله الى هناك مباشرة . أما الحكومة الشريفية التي حلت محل النظام التركي ، فقد سمحت له هي الأخرى بالاستمرار في جهوده الثقافية . وقد واصل مولانا عبدالباقي عمله هذا دون أية مساعدة من الخارج حتى عام ١٣٤٣ للهجرة . ففي ذلك العام عرضت حكومة حضرة صاحب السعادة ، نظام حيدر أباد ،المساعدة المالية على مولانا عبد الباقي ، لكي يؤسس مدرسة في المدينة المنورة ، ويوظّف بعض العلماء الأحناف لمساعدته في عمله الذي كان يقوم به لوحده حتى ذلك التاريخ . وقد قبل هذا العرض ، وسميت المؤسسة بالنظامية .

حين أتت الحكومة الحالية الى السلطة في الحجاز ، لم يكن هناك أية مدرسة حكومية ، وعلى مدى عام كامل تقريباً ، لتعليم الصبيان القرآن الشريف ، وقد شعر مولانا عبدالباقي بضرورة فتح فصل لتعليم القرآن الشريف للصبيان ، ففتح ذلك الفصل . هذا الفصل الخاص بالأولاد ألغي في اللحظة التي افتتحت فيها المدرسة الحكومية . وقبل إلغاء فصل الأولاد في المدرسة النظامية بزمن طويل ، أمرت سلطات مكة مولانا عبدالباقي بأن يقبل معلّماً في مدرسته ، عيّنته الحكومة ، لتدريس « التوحيد »(وهو كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب يمثل خلاصة أفكار الوهابيين) ، ولكن حين عرض الأمر على أمير المدينة ، أُعفيت المدرسة النظامية من ذلك ، على أساس أنه لم يكن هناك أولاد يدرسون فيها ، وكل طلابها كانوا من الكبار البالغين الراشدين الذين أكملوا دراساتهم الدينية ، ويحضرون دراساتهم العليا . وظلت المدرسة تقوم بعملها دون تدخل من قبل الحكومة السعودية حتى بداية هذا الشهر ، (أغسطس ١٩٣١) ، حين قدم الشيخ عبد الله بن حسن ، الى المدينة ، وأمر مولانا عبد الباقي بقبول معلم عيّنته الحكومة لتدريس « التوحيد » لاساتذة وطلبة مدرسته . وإلا فإن المدرسة ستغلق .

اعتبر مولانا عبد الباقي الأمر مهيناً لزملائه ومركز طلابه ورفض قبوله . وبناءً على ذلك ، أمره عبد الله بن حسن بإغلاق مدرسته .

هناك أكثر من ثلاثين طالباً في المدرسة من الهند وافغانستان وبخارى وتركستان أو من أجزاء أخرى من العالم ، وكلهم من العلماء المرموقين المشهود لهم في بلادهم ، وقد أتوا الى هنا للحصول على دبلوم الدراسات العليا من هذه المدرسة في علوم التفسير والحديث .

منهاج الدراسة في هذه المدرسة قُرّر على أسس المذهب الحنفي في الاسلام ،

ويتمتع بموافقة وتأييد ومباركة حكومة « نظام »(في حيدر أباد) . والحكومة السعودية تدّعي دائماً بأنها تعترف بالمذاهب السنيّة الأربعة ، أي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، إلا أن أوامر الشيخ عبد الله بن حسن تعتبر تدخّلاً مباشراً ومكشوفاً في عقائد وتعاليم المذهب الحنفي ، وإكراه على اتباع التعاليم الوهابية . ان مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزان لكلّ المذاهب الاسلامية ، وسكانها من مختلف الطوائف والمذاهب ، والحجاج من مختلف والطوائف الاسلامية يزورون هذه الأماكن (المقدسة) كل عام . فإذا كان أمر كهذا سيفرض بالاكراه من قبل الحكومة السعودية لاجبار اتباع المذاهب الأخرى على القبول بالتعاليم الوهابية واتباعها ، فإن النتيجة المحتّمة ستكون إساءة للمشاعر عظيمة ، وهي نتيجة قد تؤدي الى مغالاة في الظلم والطغيان والمعاناة .

ان حرية الفكر والدين ، يعترف بها ويقرّها القانون الدولي ، وان للرعايا المسلمين التابعين للحكومات الأجنبية كلّ الحق في أن يتوقعوا من حكوماتهم تلك أن تعطيهم الحماية الضرورية في هذه المسائل وفي هاتين المدينتين المقدستين الاسلاميتين » .

محمد عمر خان
٣١/ ٨/ ١٩٣١

ردت المفوضية البريطانية في جدة على المذكرة في ١٢/٩/١٩٣١ ، بأنه ليس بامكانها التدخّل في القضايا الدينية ، وان التدخّل يعني خروجاً عن السياسة الثابتة للحكومة البريطانية[٣٤] . وهذا الرد لا يقنع أحداً ، لأن بريطانيا تدخّلت في كل شيء ، وفي كل مكان من البلدان التي وقعت تحت قبضتها ، والجميع يدرك مقدار النفوذ البريطاني لدى ابن سعود في المسائل التي تريدها هي .. ولكننا نرجح أن الحكومة البريطانية لم تكن تريد أن توتر علاقاتها مع الصديق (الأوحد) ابن سعود . ولربما وجدت تلك الحكومة في أفعال الوهابيين في الأماكن المقدسة ما يريحها لنزعات صليبية قديمة .

وضمن هذا السياق ـ وكما أشار رتر ـ كانت المدينة المنورة ـ كما مكة المكرمة ـ تشتهر بخزانات كتبها منذ زمن طويل ، ولكن مجموعات ثمينة من كتبها إختفت بمجرّد أن إحتلّ الوهابيون المدينة ، ولم يعرف لها أثر ، وقيل أن مكتبة السلطان محمود الكائنة بجوار باب السلام بقيت دون تعرض من أتباع الوهابية ، لكن رتر وجدها مغلقة بأمرهم ومنع من ارتيادها .. أما مكتبة بشير آغا الشهيرة ، ومكتبات الشفاء والسلطان عبدالحميد وعمر أفندي فلم يعد لها وجود في المدينة ، وقد نُهبت معظم الكتب ، وأحرق الوهابيون الكتب التي لم تعجبهم

منها ، وباعوا قسماً آخر نظير المال ، ولم تبق من المكتبات في الواقع سوى مكتبة الشيخ عارف حكمت [٣٥] ..

تتابع الإحتجاجات

شكّلت في الهند التي كانت تمثل أكبر ثقل سكاني للمسلمين في العالم ، والتي كانت قبل تقسيمها تضم (بنغلادش والباكستان) ، شُكلت عشرات الهيئات من قبل أتباع مختلف المذاهب الاسلامية للتنديد بهدم الأماكن المقدسة ولجمع التبرعات لاعادة الاعمار ، وقامت هذه الهيئات بتشكيل الوفود وارسال البرقيات للضغط على الحكومة السعودية .. وكانت بعض هذه الهيئات تعمل تحت مظلّة جمعية الخلافة في بومباي برئاسة شوكت علي ، والبعض الآخر عمل تحت مظلة المؤتمر الشيعي لعموم الهند الذي كان سكرتيره العام س . مصطفى رضي المحامي والذي إتخذ من لكنو مقراً له .

وقدم هذا الأخير في الأول من ابريل ١٩٣٠ مذكرة احتجاج الى نائب الملك والحاكم العام للهند ، البارون ايروين ، ومما جاء في المذكرة[٣٦] :

« منذ أن أقيمت حكومة ابن سعود في الحجاز ، يدعمها عدد كبير من الناس يدعون بأنهم تلك الفئة المتطهرة من المسلمين ، المعروفين باسم الوهابيين ، داس هؤلاء على أحاسيس ومشاعر المسلمين من المذاهب الأخرى ، عن عمد وباستمرار ، وفرضت عقائد الوهابيين على الذين لم ينصاعوا ، عن طريق المذابح الجماعية التي يرتكبونها دون وازعٍ من ضمير ، وصادروا أملاك أصحابها ، وأغلقوا أماكن العبادة كالحسينيات والمساجد ، ودنّسوا قبور أوليائهم ، كما دنسوا وخربوا عدة أماكن مقدسة أخرى يتوجه اليها الحجاج ، ومنعوهم من اظهار الاحترام والتعظيم للاماكن المقدسة الخاصة بعقيدتهم ، وبانزال العقاب بمن يقوم منهم بالشعائر الدينية الخاصة بزيارة هذه الاماكن . هذه الأعمال البربرية وغير الانسانية قد أثارت بالطبع شعوراً عاماً بالغضب والاستياء في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، إلا أن مشاعر المسلمين في الهند ، خاصة الشيعة منهم ، كانت الأشد هياجاً تجاه هذه المسألة .. فالاغنياء والفقراء والعلماء وغير العلماء والفلاحون وأصحاب الأراضي ، والمحافظون والمعتدلون ، كلهم بدون استثناء ، رفعوا أصوات الاستنكار والاحتجاج ، وعبّروا عن شعور الألم والالتياع لنحر حرياتهم الدينية في الحجاز ولهدم القبور المقدسة .

ولهذا دعوا الى عقد مؤتمر عموم الهند في لكنو عام ١٩٢٦ ، الذي حضره ممثلون عن مختلف فئات المسلمين وعلماء من مختلف المذاهب الاسلامية ، وعقدت اجتماعات حضرتها جماهير غفيرة في جميع أنحاء الهند ، وشرعوا في

وضع خطة عمل لرفع المظالم التي وقعت عليهم في الحجاز ، ونظّموا فرقاً من المتطوعين المختارين ، المعروفين باسم (رضى كار جنّة البقيع ، وخادم الحرمين) لوقف أي خرق أو اعتداء على حرياتهم الدينية ، ولتصحيح أخطاء الماضي ، واصطحبوا معهم الاعلام ومواكب الحداد الأخرى في ذكرى الأحداث الأليمة التي وقعت في الحجاز ، خاصة تدمير جنة البقيع ، وأخيراً وضعوا وتبنوا برنامجاً من انكار الذات والتضحيات من أجل جمع الأموال لاعادة القبور المقدسة لحالتها الطبيعية ، ولمنع وقوع مثل هذه المظالم والاساءات في المستقبل .

تلقّت أول دعوة للالتحاق بـ « رضى كار جنّة البقيع » التجاوب الواسع من قبل الشيعة في جميع أنحاء الهند ، بما في ذلك بلوشستان ، والمقاطعات الغربية ، الى درجة أن آلافاً من المتطوعين قد التحقوا بها للدفاع عن حريتهم الدينية .

اننا لا نستطيع ان نعرض بالتفصيل لكل المظالم التي لحقت بنا من النشاطات العدائية التي تقوم بها حكومة ابن سعود في هذا الاحتجاج ، ولكن يمكن للفائدة تصنيفها تحت العناوين التالية :

١ ـ تدنيس وتدمير الأبنية المقدسة ، مثل مولد النبي ، وقبور بني هاشم في مكة ، وجنّة البقيع (المقبرة المقدسة التي تضم رفات آل البيت والصحابة) ، واستخدام ما كان في تلك المقبرة من مواد وما عليها من كتبات ونقوش في الاماكن القذرة وغير الطاهرة .

٢ ـ منع الزيارات الى هذه الأماكن المقدسة المدمرة ومنع قراءة الفاتحة ، وكذلك منع تقبيل القبور والأضرحة المقدسة .

٣ ـ هدم أماكن العبادة كالمساجد مثل ، مسجد الحمزة ومسجد أبو رشيد والأضرحة ومقامات الأئمة الأخرى ، واحتلال هذه الأماكن من قبل القوات السعودية .

٤ ـ التدخّل في أداء الشعائر المعتادة في موسم أداء فريضة الحج .

٥ ـ إجبار غير الوهابيين على إتباع شعائر وأحكام وممارسات المذهب الوهابي ، وإجبارهم على اتباع الأئمة الدينيين الوهابيين .

٦ ـ إساءة المعاملة والاضطهاد وإقامة المذابح والنفي الذي لحق بالسادة (الاشراف ـ من عائلة الرسول) في الطائف والمدينة والاحساء والقطيف .

٧ ـ من كل الحوادث المنكرة التي وقعت ، سبّب تدنيس جنّة البقيع الكثير من القلق والاضطراب والحزن العميق في قلوب الشيعة ، ودفعهم الى المطالبة بالحفاظ على قبر النبي والائمة الآخرين ، وحماية تلك القبور من الاساءات في المستقبل » .

وفي ختام المذكرة ، تجد مطالبة للحكومة البريطانية التي تحكم الهند ، بأن

تتدخل وعبر نفوذها الدبلوماسي لدى ابن سعود لاعادة تعمير الاماكن المقدسة وضمان أمن الحجاج ، وعدم الاعتداء عليهم أثناء أداء طقوسهم الدينية ، وان تعاد حرية العبادة الى حالتها القديمة .. وقدّمت المذكرة استعداد مؤتمر عموم الهند لصرف مئات الآلاف من الروبيات لاعادة الآثار المحطمة .

ومع ان الحكومة البريطانية تدخّلت مراراً في شؤون الحج ، ومنعت ابن سعود ايام عهد الشريف حسين بعدم الحج حفاظاً على الأمن ، وأعطته الأموال مقابل عدم حج الوهابيين ، ورغم أن الحكومة البريطانية اشترطت على عائلة الشريف وعلى آل سعود احترام وتأمين طرق الحج وسلامة الحجاج في نصوص مكتوبة .. إلا أن ردّ نائب الملك البريطاني كان كسابقه : « لن يكون بامكانه اتخاذ أي إجراء ، وذلك انسجاماً مع السياسة الثابتة التي تتبناها الحكومة البريطانية ، وهي سياسة الحياد ، في المسائل الدينية ، وعدم التدخّل في قضايا الأماكن المقدسة »[٣٧] .

واعترضت الحكومة البريطانية رسالتين أرسلهما مؤتمر عموم الشيعة في الهند الى الحكومة الايرانية ، الأولى مؤرّخة في ١٩٣٠/٥/٢٤ ، والثانية في ١٩٣٠/٥/٣١ ، تحثان تلك الحكومة على « الحصول على وعد من حكومة ابن سعود بالسماح في إعادة بناء الأضرحة الدينية المقدسة ، ورفع المظالم الأخرى »[٣٨] .

وفي اجتماعات حاشدة للشيعة في العديد من المدن الهندية « تلهان سُكُّر ، لكنو ، باتنا ، كالكتا ، أمروهه ، مرشد أباد » لغرض فرض ضغوط على الحكومة البريطانية لتتدخل في الأمر ، أجاب المسؤولون بأن هذا التدخل غير ممكن و « غير مرغوب في الوقت الحالي »[٣٩] ..

وانتقلت الاحتجاجات في عام ١٩٣١ الى البنغال ، فقد أرسل رئيس وزراء حكومة البنغال (المحلية) الى وزير خارجية حكومة الهند ، رسالة احتجاج في السادس عشر من يوليو ١٩٣١ على أعمال ابن سعود التدنيسية للاماكن المقدسة .. وقبلها صدر عن مكتب جمعية عائلة نظامات / مرشد أباد احتجاج مماثل في الأول من يوليو ١٩٣١ ، اتخذ في اجتماع عام في الحادي والعشرين من يونيو ١٩٣١ . جاء في الاحتجاج : « ان ابن سعود ما أن وضع يده على أقدس الأماكن الاسلامية في مكة والمدينة ، حتى هدمت ودنست وانتهكت قدسية قبور وأضرحة آل البيت الموجودة في جنة البقيع بناء على أوامره ، جارحاً بذلك المشاعر الدينية للمسلمين عامة ، وللشيعة بوجه خاص .. ان هذا العمل التدنيسي الذي ارتكبه ابن سعود قد أرسل قشعريرة وموجة من الرعب والغضب الجامح في جميع أنحاء العالم الاسلامي الذي سعى بكل وسيلة شرعية متاحة لوضع

القضية أمام أنظار ابن سعود ، وتوجيه انتباهه اليها ولكن دون طائل .. انني أرجو من حكومة الهند أن تستخدم نفوذها لدى حكومة ابن سعود ليصلح ما سبّبه من خسائر للعالم الاسلامي بعمله التندنيسي هذا ، وان يعيد الأضرحة المقدسة الى حالتها الطبيعية .. وبدون تحقق هذا الاصلاح فإن مشاعر المسلمين لن تهدأ ، وان نفوسهم لن ترتاح » .

ردّت حكومة الهند على حكومة البنغال وعلى جمعية نظامات بأن سياسة بريطانيا « قائمة على عدم التدخل ... وذلك يمنع من تقديم أي احتجاج لحكومة الحجاز حول ما (زُعم !) من تدنيس وانتهاك قدسية وتدمير بعض الأضرحة المقدسة في الأماكن الاسلامية »[٤٠] .

في ذات الفترة قدّم أحد قضاة الشيعة في الهند من مقاطعة (بيهار) احتجاجاً لدى المفوضية البريطانية في جدة .. فقد حجّ القاضي اسحار حسين عام ١٩٣١ ، وشاهد عن قرب افعال الوهابيين وسيطرتهم وفرض طقوسهم على الحجاج عامة ، ومغالاتهم في ايذاء الحجاج الشيعة الذين يأتون من كل بقاع العالم بشكل خاص ، وايجاد التفرقة في صفوف المسلمين ..

وفصّل القاضي في مسائل الايذاء اثناء الصلاة وتدخل المطاوعة ، واجبارهم للحجاج على السجود على غير الحصر وانما على السجاد ، ومنع الشيعة من زيارة ائمة أهل البيت ، وعدم السماح لهم بالاقتراب من (بيت الأحزان) ، ومن أضرحة وقبور عمات الرسول وقبر زوجته خديجة في مكة .. الخ ، واشار الى أن ابن سعود اعتاد على إقامة حفل سنوي للمطوفين لا يدعو فيه الحجاج الشيعة الذين يشكلون أكثر من ثلث عدد الحجاج ، واعتبر السيد اسحار حسين ان هذا التمييز الانقسامي « يزيد في حدةّ التحامل الطائفي سواء بين رعاياه أو في الخارج »[٤١] .

إن الاحتجاجات لم تقتصر على اتباع مذهب اسلامي دون سواه ، ولا على شعب دون غيره من الشعوب الاسلامية ، ففي ايران والعراق ومصر واندونيسيا وتركيا وغيرها ، وهي الدول ذات الثقل السكاني الاسلامي الأكبر ، وُجد من يتعرض ويحتج ، ويندّد بأفعال الوهابيين في الأماكن المقدسة ، بل أن العديد من العلماء المسلمين ألّفوا كتباً نقديّة بهذا الشأن ، من بينها كتاب الشيخ الظواهري ، شيخ الأزهر ، الذي ألف كتاباً أسماه « يهود لا حنابلة » .

واستمرت الاحتجاجات طوال السنين الماضية وحتى الوقت الحالي ، ورغم مرور أكثر من ٦٧ عاماً على إحتلال مكة المكرمة ، ورغم قسوة الوهابيين ، إلا أن الحجاج المسلمين لازالوا يتعرضون للأذى ، ولازالت الحكومة السعودية بحاجة الى جيش من المطاوعة وحَمَلَة العصيّ لفرض طقوس مذهبها .. وما يزال الحجاج

العائدون كل عام من مختلف بقاع العالم الاسلامي يسردون قصصاً أغرب من الخيال ـ في أكثر الأحيان ـ عن تصرفات مطاوعة الوهابية وإهانتهم للحجيج ، ويلحظون أن أقدس بقاع العالم الاسلامي ، وأكثر الأماكن قدسية ، قد تراجعت أمام حضارة « الكونكريت » .. فكل شيء تغيّر الى الأحسن ، إلّا تلك الأماكن العظيمة التي تذكّر بحضارة المسلمين الأولى . وفي الوقت الذي بدأ فيه السعوديون بحفظ تاريخ وتراث العائلة الملكة السعودية ، وبصرف الملايين من الدولارات لإبقائها حيّة وبشكلها القديم ، لا ترى في رحاب الديار المقدسة سوى بُقعاً جرداء ممحيّة المعالم ، لا تكاد الأجيال الجديدة تتذكر من تاريخها شيئاً .

ان مسألة إعادة بناء الأماكن المقدسة في الحجاز ، وإعادة الاعتبار لمختلف الآثار الاسلامية ، تعتبر من أهم الأمور التي تتفق بشأنها الغالبية العظمى من المسلمين ، الذين يجمعهم التاريخ المشترك والاجلال للشخصيات الاسلامية التي ثوت في تلك البقاع الطاهرة .. وبات من الضروري ان تُعاد لتلك الاماكن قدسيتها ورونقها واحترامها لتذكر الاجيال الناشئة المتجهة نحو الاسلام بتاريخها وتراثها التليد ، وهذا لا يكون إلّا بعقد العزم وبذل الجهد لتعريف المسلمين بهذا التراث ، وما حلّ به من نكبات بسبب التعصّب المقيت .. وبتسخير الطاقات للضغط على الحكومة السعودية لإعادة تعمير ما هدم وخرب .

هوامش

(١) رحلة ابن جبير ـ ط القاهرة /ص ١٥٣ ـ ١٥٤

(٢) رحلة ابن بطوطة ـ دار الكتاب اللبناني / ص ٨٦

(٣) كانت مجمل تصرفات الوهابيين نابعة من زيادة الحرص والخوف وليس من العقيدة ، فكانوا مغالين في التشدد دونما اساس عقائدي .. ولهذا فسّر بعضهم هدم المساجد (وليس القبور) بقولهم انهم يخافون ان تُعبد هذه المساجد من دون الله !! هذا المنطق برّره محمد اسد في كتابه (الطريق الى مكة) بقوله « كان عرب نجد أكثر بعداً عن الاسلام من أيّة مجموعة اخرى في العالم الاسلامي » .. وهذا تبرير واهن لا يمكن ارساء قاعدة عليه .. إلّا ان جلال كشك لفت في كتابه « السعوديون والحل الاسلامي ص ١٠٧ »الانتباه الى حقيقة هامة حينما قال : « يجب التحفّظ على دعاية الوهابيين الذين يبالغون في تصوير حجم الهداية التي تمّت على أيديهم ، من خلال المبالغة في تصوير ـ ما يسمّونه ـ الجاهلية » ! .

(٤) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ـ تحقيق أحمد مصطفى ابو حاكمة / ص ١٠٨ ـ ١٠٩ . وانظر الدولة السعودية الاولى ، للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم /ص ١٣٦ .

(٥) جلال كشك ـ مصدر سابق / ص ١٨٧

(٦) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ـ مصدر سابق / ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨

(٧) تجدر الاشارة الى أن الوهابيين هجموا على كربلاء سنة ١٢١٦ هـ وقتلوا بضعة آلاف ممن وجدوه من الاهالي في الاسواق والشوارع ، وهدموا قبة الامام الحسين عليه السلام ، حتى أن أحدهم إفتخر بأن هدمها لم يزد عن ثمان ساعات حتى سوّيت بالارض ، وكذلك نهب الوهابيون ـ على قول صاحب لمع الشهاب ـ « خزائن كثيرة كانت هناك من الذهب والجواهر النفيسة ، وأخذ ـ سعود الكبير ـ مقدار ست مائة الف ريال ، وقتل مقدار ثلاثة آلاف نفس من ذكر وانثى وكبير وصغير .. وبقى هناك يوماً واحداً لا غير » .

وجاء في رسالة رد لسعود الكبير على شخص يدين افعاله فقال ، بضرس قاطع : « وقولك إننا أخذنا كربلاء وذبحنا اهلها ، وأخذنا اموالها ، فالحمد لله رب العالمين ، ولا نعتذر عن ذلك ، ونقول للكافرين أمثالها .. واقمنا بها عشرة أيام ، وذبحنا ودمرنا ما بلغك علمه » ـ كشك / ص ١٩٧ .

لقد ندب الوهابيون ومؤرخوهم تدمير الدرعية ، وبالغوا في وصف قسوة قوات محمد علي باشا ، بينما يذكرون بتفاخر وبصريح العبارة أفعالهم في المسلمين وذبحهم إياهم ، ويعدونها احدى المفاخر ! .

ويلاحظ كشك / ص ١٢١ ، أن هدم « قبة الحسين ـ بزعمه ـ ليس عملاً طائفياً موجهاً ضد الشيعة ، فقد هدموا قبة طلحة والزبير وزيد بن الخطاب وامنا حواء ! وقاموا بقتل أهل الطائف مقتلة لها شهرة تفوق مقتلة كربلاء . أما أخذ أموال القبة والمزار فقد تم وفقاً للمفاهيم الوهابية ، تماماً كما أخذت أموال القبة النبوية ذاتها » . ان افعال الوهابيين تجاه الشيعة والسنة انما هو بدافع مذهبي ، أما تخصيص الوهابيين للشيعة بالأذى أكثر من غيرهم ، فلا يحتاج أساساً الى نقاش ، وان كانت افعالهم مع المذاهب السنيّة الأخرى مهولة في قسوتها وفظاعتها .

(٨) موسوعة العتبات المقدسة ـ جزء المدينة المنورة ـ الاستاذ جعفر الخليلي ـ مؤسسة الأعلمي / ١٩٨٧ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

(٩) المصدر السابق / ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(١٠) المصدر السابق / ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩

(١١) أشار بورتون هنا الى أن الامام الشافعي يسمح بسب يزيد بن معاوية الذي جعلت قساوته مع آل البيت ، وجرائمه وموبقاته ، يهودا الاسخريوطي المسلم ، وقد سمع بورتون مسلمين أحنافاً يسبّون يزيداً كذلك .

(١٢) الخليلي ـ قسم المدينة / ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .. ما ذكره الرحالة بورتون مستقى من كتابه ، وقد ترجمه الاستاذ الخليلي ، والمعلومات الواردة عن الرحلة مستقاه من الترجمة .. انظر الصفحات / من ٢٨٤ الى ٢٨٧ .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) المصدر السابق / ص ٣٢٩ .

(١٥) المصدر السابق / ص ٣٣٠ .

(١٦) أمين الريحاني ـ نجد وملحقاته / ص ٢٥٦ .

(١٧) المصدر السابق / ص ٣٣٣ ، كان من بين القتلى عبد الله الزواوي مفتي الشافعية والعديد من بني شيبة سدنة الكعبة .

(١٨) الاسلام والوثنية السعودية ـ فهد القحطاني / ص ١١٦

(١٩) تبديد الظلام ـ لابراهيم الجبهان / ص ٣٨٩ .

(٢٠) الوثيقة البريطانية (E 5107)FO. 371/10809 مؤرخة في ١٩٢٥/٨/٢٨م

(٢١) الوثيقة البريطانية (E 6647)FO. 371/10810 مؤرخة في ١٩٢٥/١٠/٣٠م

(٢٢) من تقرير جمعية الخلافة حول تدمير الاماكن المقدسة وهو يقع في ٩٠ صفحة ، انظر / ص ٣٠ من التقرير .

(٢٣) المصدر السابق / ص ٣٣ .

(٢٤) المصدر السابق / ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢٥) إليكسي فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٩٩ . تجدر الاشارة الى أن الأخوان أرادوا جلد الزعيم الديني والجهادي السيد أحمد السنوسي لأنه اعترض على هدم قبر خديجة (رض) .

(٢٦) في ظلال الحرمين ـ محمد كامل حتة ـ ط دار المعارف بمصر / ص ١٥١ .

(٢٧) التطور التشريعي في المملكة العربية السعودية ـ د. محمد عبدالجواد محمد ـ استاذ بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ـ ط القاهرة / ١٩٧٧ ص ٧٥ .

(٢٨) فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٩٧ .

(٢٩) الوثيقة البريطانية E 2429/680/25 في ١٩٣٢/٥/٢٠ . من التقرير السنوي عن السعودية لعام ١٩٣١ .

(٣٠) الوثيقة E 3714 في ١٩٢٧/٨/٢٩

(٣١) الوثيقة E 5083/644/91 في ١٩٢٧/١١/٦ . من القنصل جاكنز بجدة ، الى السير أوستن تشامبرلين بلندن .

(٣٢) الخليلي ـ قسم المدينة المنورة / ص ٣٢٢ .

(٣٣) المصدر السابق / ص ٣٢٦ .

(٣٤) انظر الوثيقة البريطانية رقم E 5035/4173/25والمؤرخة في ١٩٣١/٩/١٢ ، من المستر هوب جل في جدة الى وزارة الخارجية بلندن .

(٣٥) الخليلي ـ قسم المدينة ـ مصدر سابق / ص ٣٢٧

(٣٦) الوثيقة (E 3838)FO. 371/14482 مؤرخة في ١٧/ يوليو/ ١٩٣٠ .

(٣٧) الرد في ١٩٣٠/٥/٨ . انظر الوثيقة السابقة .

(٣٨) الوثيقة (E 4534)FO. 371/14482 مؤرخة في ١٩٣٠/٨/٢٠ .

(٣٩) (E 5191)FO. 371/14482 ، مؤرخة في ١٩٣٠/٩/٢٧ وعناوين الوثائق هي « الاماكن الشيعية المقدسة في الحجاز » .

(٤٠) الوثيقة البريطانية (E 4483)FO. 371/15301 في ١٩٣١/٨/٣١ وعنوان الوثيقة هو « تدمير القبور والاضرحة في الحجاز » .

(٤١) رسالة القاضي اسحار حسين في ١٩٣١/٦/٦ ، ورد عليها من السفارة البريطانية في جدة (س. ج. هوب جل) في ١٩٣١/٧/١٤ مؤكدا عدم التدخل في الشؤون الدينية . انظر الوثيقة ذات العنوان (معاملة الشيعة في الحجاز) والمرقمة / (E 4173)FO. 371/15301 والمؤرخة في ١٩٣١/٨/١٢ .

٧

الأوضاع الاقتصادية

في الأحساء والقطيف (١٩١٣ ـ ١٩٤٠)

ما يؤلم الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة، أن منطقتهم من أغنى مناطق العالم اليوم، ولكنها تغيش رغم هذا حياة الفقر والتخلّف في كافة المجالات.

قبل عهد النفط كانت مناطق الشيعة أغنى مناطق شبه الجزيرة العربية، ولم تظهر قبل النفط ولا بعده منطقة من مناطق الجزيرة العربية تنافسها الصدارة.. ولهذا السبب كانت الأحساء والقطيف قلب المملكة الاقتصادي منذ احتلالها عام ١٩١٣ وحتى اليوم، وكان ضياعها من يد السعوديين عام ١٨٧١ أحد أهم أسباب نهاية دولتهم وسيطرة ابن الرشيد على كامل التراب النجدي.

تقول رسالة لوجهاء وأعيان الشيعة موجّهة لأمير المنطقة الشرقية السابق عبد المحسن بن جلوي، يقارنون فيها حالهم قبل قيام الدولة السعودية الحالية وبعدها: «أنه حينما كانت حياة سكان المملكة تعتمد على الزراعة والمراعي والماشية كمورد أساسي لحياتها الأقتصادية، كانت القطيف تعيش في بحبوحة ورفاهية تفوق اكثر المناطق ثروة وازدهارا، لأنها لا تعتمد فقط على الزراعة، وانما الى جانب زراعتها وحقول نخيلها الممتدة-حوالي مليون نخلة في القطيف، ومليوني نخلة في الأحساء-كانت تعتمد على مورد استخراج اللؤلؤ، وكانت أسواقه رائجة وتجارته مربحة، وقوافل السفن تملأ ساحل جزيرة تاروت، وكانت البلاد-القطيف-تحتفل في كل عام بموسم تنشط وتزدهر فيه الحركة التجارية، ويؤم البلاد مختلف أبناء الخليج وتجار الهنود.

والى جانب هذا الموسم-تضيف الرسالة-كانت هناك مواسم عديدة: موسم تصدير السلوق من ميناء القطيف التاريخي، وموسم البادية، حيث تموّن البلاد بما تحتاجه من الأغنام ومنتجاتها، في حين يشتري البدو التمور والألبسة والأطعمة المختلفة. ولم تكن التمور والزراعة وقفاً على الاستهلاك المحلّي، بل

كان يكفي حاجة البلاد وما جاورها من مناطق الخليج، ومن بين ما تصدّره الليمون والأترج والبطيخ، وكانت في اكتفاء ذاتي من الرمان والتين والموز والخوخ وأصناف أخرى من الفاكهة (١).

وتحدثت الرسالة عن مستوى القطيف الصحّي وأنه أفضل من بقيّة المناطق رغم وجود بعض الأمراض المزمنة كالتراخوما. وأمّا المواصلات، فان المنطقة كانت ترتبط بشبكة من الطرق التي تعتبر يومها من أحسن الطرق وأصلحها، وكان لدى الأهالي ثروة من الخيل والحمير التي كانت الواسطة الوحيدة للمواصلات. وأما التعليم فانه ينتشر بواسطة الكتاتيب التي تملأ المدن والقرى (٢).

ولا شكّ أن وضع الأحساء لا يختلف عن القطيف - إن لم يكن أفضل - فهناك ميناء العقير، ومحصول الأرز الذي اشتهرت به إضافة الى التمر. وقد ذكر مدحت باشا بعد زيارته للأحساء، بأن قراها الخمسين مملوءة بالبساتين والمزارع، ويكثر هناك محصول الأرز والتمر، ثم اضيفت الحنطة، وزرعت بكثافة هائلة.

والى جانب هذا فقد نالت الفاكهة حظّها من الاهتمام، كالعنب والتين والخوخ والاترج والليمون والبرتقال والتفاح والتوت والنبق والمشمش، وكذلك الخضروات كالباميا والطماطم واللوبيا والسمسم والبطاطا والثوم والقرع والدبا وغير ذلك (٣)، وهذا جعل من إقليم الأحساء أخصب إقليم عرفته الجزيرة العربية لكثرة حاصلاته التي غمرت الأقاليم المجاورة، خاصة من الأرز والتمر، كما يقول حمد الجاسر (٤).

وقبيل تدفق النفط قدّرت ارامكو، المساحة المزروعة بأربعين ألف هكتار «٣٠ ألفا في الأحساء، وعشرة في القطيف»، وقدّر عدد النخيل في الأحساء وحدها بثلاثة ملايين نخلة، في حين قدر فيدل قيمة انتاج الأحساء من التمر بحوالي «١٠٥٠» مليون جنيه، أي اكثر من مليار، وقدر انتاجها من الأرز سنويا بـ «٤١» مليون رطل سنويا، وأن انتاج القمح يقارب ألف مليون رطل سنويا (٥).

لقد اعتمدت الدولة السعودية قبل عهد النفط على المعونات الأجنبية من جهة، وعلى الضرائب المختلفة والمتنوعة «الزكاة، الجهاد، الجمارك، وغيرها».. وكانت الدولة الناشئة بحاجة الى المال لتجييش الجيوش وشراء السلاح والرجال ولشدّ لحمة العائلة المالكة بضخّ الأموال اليها.. وقد دفع ضريبة هذا الأمر بشكل خاص الحضر، وبالأخص الشيعة باعتبارهم الحلقة الأضعف في الترتيب القبلي والمذهبي، ولاعتبارات سياسية اخرى.

المعونة الأجنبية

لم تأخذ المعونة الأجنبية صفتها الرسمية كراتب دعم من قبل البريطانيين للحكم السعودي الاّ في عام ١٩١٧ ، واستمرت حتى عام ١٩٢٤ ..ففي السنوات الأولى لحكم ابن سعود ، تلقّى الدعم المباشر من بريطانيا في الكويت على شكل مال وسلاح وتسهيلات ضرائبية اخرى ، والسماح له بتقاضي الزكاة من مناطق يحكمها الانجليز من أجل انعاش وضعه الداخلي .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى ، وفكّ ابن سعود ارتباطه الرسمي مع الاتراك ، وعدم التزامه بالمعاهدة التي وقعها معهم ، بدأت شحنات السلاح ودفعات المال تأتيه بشكل مباشر عبر الشريف حسين أحيانا ، أو عن طريق موانئة في الخليج ، أو بواسطة بعثات بريطانية قادمة من العراق المحتل بريطانياً .

يذكر فيلبي ما حصل عليه ابن سعود من سلاح أثناء الحرب العالمية الأولى ، والذي وفّر عليه مبالغ هائلة من المال ، كالتالي :

سبتمبر ١٩١٥	٣٠٠ بندقية
ديسمبر ١٩١٦	٤ مدافع ميكانيكية
ديسمبر ١٩١٦	الف بندقية عيار ٣٠٣
ديسمبر ١٩١٦	الفي بندقية اوتوماتيكية
أبريل ١٩١٧	مدفعان تركيان استولى عليهما الانجليز
يوليو ١٩١٨	الف بندقية
اكتوبر ١٩١٨	الف بندقية

كما يذكر صلاح الدين المختار (٦) ، ان الشريف حسين وبعد أن أعلن ثورته على الاتراك فيما عرف بالثورة العربية الكبرى ! ، راح الذهب الانجليزي يتدفق على جدّة عن طريق بور سودان مصحوبا بكميّات من العتاد الحربي ، وكان الذهب يصل في صناديق خاصة لينفقه الشريف بمعرفته لتجنيد العرب وإستمالة امرائهم ورؤسائهم ، وأرسل في آخر سنة ١٣٣٥هـ-١٩١٦ صرّة من المال الى ابن سعود تحوي آلاف الجنيهات الانجليزية ، وأتبعها في السنة التالية بثلاث صرر في كل واحدة منها خمسة آلاف جنيه انجليزي ذهبا .

بعدها أرسل ابن سعود الى ابن الشريف حسين «الملك عبد الله» يطلب مالا يتقوّى به من المعلومين «الانجليز» ، قال :

«أمّا اذا ترون مساعدة لنا سواء من سيادتكم أو من المعلومين ، نضبط بها داخليتنا .. ونتقوى بها على الجهاد .. فذلك هو المطلوب» .. وأرسل له عبد الله صرّة بألف جنيه مع اعتذار بأن الحالة معلومة ، وعرض عليه ما شاء من البنادق والمدافع ، بمجرد ان يعرفه ابن سعود بحاجته اليها (٧) .

بعد توقيع ابن سعود لمعاهدة دارين سنة ١٩١٥ وعده الانجليز براتب دعم سنوي مقابل وقوفه الى جانب بريطانيا في حربه ضد دولة الخلافة، وقد بدأ الراتب ـ كما أشرنا بصورة رسمية سنة ١٩١٧ ... وتشير وثيقة بريطانية الى ان «مجموع تكاليف رواتب الحكومة البريطانية المقدمة للملك خلال هذه السنوات هي ٥٤٢ ألف جنيه». وأضافت الوثيقة : «في البداية أُعطي الراتب للمساعدة التي قدّمها ابن سعود في الحرب ضد تركيا. أما الرواتب اللاحقة للحرب فقد قدّمت لاستقرار السلام، وتأمين طرق الحج في الجزيرة العربية» (٨).

وبالطبع كانت هناك دفعات مالية لا تدخل ضمن الراتب الشهري، وإنما مرهونة بظرف ما، مثال ذلك ما حدث سنة ١٩١٧ حينما قدم فيلبي من العراق محمّلاً بالمال، لتموين حملة ضد ابن الرشيد في حائل، قبل ابن سعود القيام بها شرط توفير المال والسلاح اللازم.

كان ابن سعود بحاجة لتبرير استلامه المعونة البريطانية، وقد وصل الى حلّ طريف طالما أشارت اليه المصادر المهمّة والوثائق، وهو ان الملك يستدعي الأخوان والمشايخ حينما تصل المعونة، ويقول لهم بأن «الجزية» من الكفار قد وصلت الى المسلمين الصادقين!.

وفي احدى المرات ذكّر الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة، ابن حاكم البحرين، المعتمد البريطاني هناك ـ ديكسون ـ بما يحدث للمعونة فقال : «أنتم الانجليز ارتكبتم خطأ فادحاً بدعمكم لابن سعود بالشكل الذي تقومون به الآن. أنا واثق، ثقتي بأن إسمي هو عبد الله بن عيسى، أنكم ستعيشون لتندبوا وتلعنوا ذلك اليوم الذي فعلتم فيه ذلك، وستضطرون في آخر الأمر الى تحطيم ابن سعود عن طريق الحرب .. هل تعلمون ماذا يحدث للـ ٧٥ ألف روبية التي تقدمونها له كل شهر ؟، انها حين تصل الرياض، فان ابن سعود يرفع راياته ورايات الاسلام. ويجمع اتباعه، ثم يعلن على الملأ أن الجزية من الكفار المسيحيين قد وصلت» (٩).

بالطبع فان ديكسون، وهو صديق ابن سعود، اعتبر ما قاله عبد الله بأنه : كلام فارغ!، رغم ان المعلومة صحيحة، وقد اشار اليها ديكسون في مذكراته المترجمة الى العربية، وفي الرسائل التي يرفعها لرؤسائه .. وربما كان تحليل عبدالله بن عيسى خاطئا فيما يتعلق بتمرد ابن سعود على الارادة البريطانية، لهذا يوضح ديكسون وجهة نظره الشخصية بقوله : «من ناحيتي أعتبر راتب الدعم الذي نقدّمه لابن سعود هو مال يكسبه عن جدارة واستحقاق، وان النتائج التي حصلنا عليها تفوق أضعافاً مضاعفة ما أنفقناه من اموال عليه. وأنا اتمنى أن يُزاد راتب الدعم هذا الى ستة آلاف جنيه شهريا»(١٠).

على ان لابن سعود ورقة ضغط لعبها بكفاءة وبراعة، الا وهي القبائل

البدوية التي إن لم يقدّم لها المال فانها لن تكون منضبطة، وبالتالي ستهاجم أماكن وأمارات خاضعة للنفوذ البريطاني.

بين ٢٩ يناير ١٩٢٠ و ٢٠ فبراير من نفس العام، كان ديكسون في زيارة للأحساء، والتقى هناك بابن سعود الذي أخبره «أن عائداته لم تكن تغطي نفقاته، ولا يدري ماذا سيفعل إذا خفضت حكومة صاحب الجلالة راتب الدعم الذي تقدمه له، انه حينها سيواجه حالة من الخروج على القانون»(١١).

ومفهوم هنا مغزى «الخروج على القانون»، ولكن ابن سعود لم يترك مجالا للشك في التفسير أو سوء فهمه.. ففي العاشر من فبراير ١٩٢٠ كتب ديكسون من الهفوف قائلا بأن شيئين لدى ابن سعود بهراه ..«الأول، كفاءة جهاز مخابراته، فهو على اطلاع وثيق بأخبار مصر وسورية والحجاز والهند والعراق، وأن عملاءه ومخبريه هم في معظمهم من التجار النجديين المنتشرين في جميع انحاء الشرق الاوسط والهند.. أما الأمر الآخر فهو قوة مشاعر وعواطف إبن سعود الجيّاشة تجاه كل ما هو بريطاني، وثقته العمياء، بل المثيرة للشفقة تقريبا بحكومة صاحب الجلالة».. ومن النقاط التي قال ديكسون أنها معشعشة في ذهن صاحبه.. ان : «الامتناع عن صرف راتب الدعم الخاص-والذي تأخر بضعة أشهر-يعبر عن شك وعدم ثقة بكلمة العهد والشرف التي يعطيها».. وشكا أنه أشدّ فقراً هذه الأيام-بعد الحرب العامة الاولى-من قبلها، رغم ان كوكس وعده بأن يرفعه الى السماء (١٢).

وأضاف ديكسون في تقريره : «ان ابن سعود في أمسّ الحاجة الى المال، ولم يكن يعرف الى أي جهة يتجه، وهو يحافظ على انضباط شعبه وخاصة الاخوان عن طريق الهبات السخيّة والهدايا، وهو يريد ان يزداد راتب الدعم الخاص به ان أمكن، وهو يدرك مدى الصعوبات التي تواجه الحكومة البريطانية، ولكنه يناشدنا بأن راتبه يعني الابقاء على نجد موحدة، والحفاظ على القانون والنظام.. ان شعبه الآن يخضع لاشرافه وضبطه، ولكنه اضطرّ الى استدانه الاموال، وهو يأمل ان يحسّن الأمور فيما بعد بافتتاح ميناء الجبيل، وتلقّي عائدات جمركية أكبر.. أما الآن فلا يستطيع الاستغناء عن المساعدة البريطانية، كما لا يستطيع أن يقف وحده على قدميه، ولهذا فهو يأمل أن تواصل حكومة صاحب الجلالة تبنّي نمو وتطوّر حكومته الوليدة عن طريق المساعدات»(١٣).

وحول ديون ابن سعود، قال ديكسون انها تسبب له قلقاً شديداً، وأنه مدين لتجار القصيم بحوالي ستمائة ألف روبيّة.. بينما هو مدين في البحرين وحدها بمبلغ مائة ألف روبية لعبد العزيز القصيبي الذي زاد قلقه على أمواله. وتوقع ديكسون «أن يطلب ابن سعود مرة اخرى وعن قريب من حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تزيد راتب الدعم الذي تقدمه له، وستكون حجته : أنه بأموال

الحكومة البريطانية يحافظ على السلام في الجزيرة العربية ، وذلك بسيطرته على الاخوان ومنعهم من إجتياح الحجاز» ، وقد أيّد ديكسون زيادة الراتب الى ستة آلاف جنية في الشهر (١٤) .

وكما توقع ديكسون ، فقد استلم رسالة من ابن سعود مؤرخة في الثاني من اغسطس ١٩٢٠ تحث الحكومة البريطانية على زيادة راتب الدعم «وكنت أتوقع أن يأتي مثل هذا الطلب عاجلا أم آجلا» .. وبناء على هذا قررت الحكومة البريطانية تقديم هدية لابن سعود هي خمسة آلاف جنيه ، اعترافاً بمسلكه الذي يليق برجل حكم متفوق ، حينما امتنع عن أداء فريضة الحج لعام ١٩٢٠ ، وقد أخبر ديكسون بذلك في برقية من المندوب السامي ببغداد في الحادي عشر من اغسطس من نفس العام .

ويبدو ان طلب ابن سعود الفوري للمال على علاقة باحتلاله لأبها ، عاصمة عسير ، كما يقول ديكسون ، والذي وصف الغزوة بأنها ناجحة ، وأن الغزاة عادوا بالأموال ومائة وستين عبداً لابن سعود وحده ، كما أشار الى احتلال ثلاث مدن صغيرة ثم أحرقت عن بكرة أبيها في وداي نجران(١٥).

وأعد ديكسون ، المعتمد في البحرين مذكرة في الثاني عشر من اغسطس حول الوضع المالي لابن سعود قال فيها : «هناك شيء واحد سيصيب مقتلا حتميّا وقاطعاً لخطط ابن سعود ، والواقع انني اعتقد شخصيا انه سيصيب دماره ونهايته . يجب ان لا نوقف راتب الدعم الذي نقدّمه له ، ان مبلغ الخمسة آلاف جنيه التي يحصل عليها ابن سعود شهريا الآن ، عن طريق البحرين يصرفها على شكل رواتب أقل حجماً لشيوخ نجد الأقوياء ، مثلهم في ذلك مثل كل العرب ، سواء كانوا بدوا او حضرا ، فانك تستطيع ان تفعل بهم أي شيء تريده اذا ما قدّمت لزعمائهم رواتب مناسبة مهما كانت قليلة .. ان ابن سعود يدرك ذلك تماماً ، ويدرك انه صحيح خاصة بالنسبة لقبائل نجد .. ان ما يحتاجه ابن سعود منا اليوم وبالحاح هو الدعم الزائد والواضح ، فاذا لم يكن بامكاننا اعطاءه المال ، فان علينا ان نظهر له بقدر ما نستطيع بأننا ننوي فعلا ان نقف الى جانبه وندعمه ، وان ليس في نيّتنا ان نسمح لدول صغيرة هزيلة مثل الكويت والبحرين بأن تضايقه أو تزعجه متذرعة بالحماية البريطانية ، ان القرار الجمركي الذي صدر مؤخرا في البحرين لصالح ابن سعود هو مثال جيد على الكيفية التي نستطيع بها أن ندعم ابن سعود»(١٦).

على أنه وبعد احتلال حائل وإسقاط امارة آل رشيد سنة ، ١٩٢٢ بدأت المشاكل المالية تتصاعد ، وعمّت موجة من السخط القبائل الاخوانية في نجد .. وأشار امير الكويت حينها ان العديد من القبائل هذه على استعداد للهجرة الى العراق لولا خوفها من أن يمارس ابن سعود الضغط وينجح في إعادتها (١٧) ، والحقيقة كان هذا مبررا معقولا لعدم الهجرة ، إذ سبق لبريطانيا ان

ضغطت على العجمان وأعادتهم الى الحظيرة السعودية من الكويت ، كما ضغطت بريطانيا على قبائل العطيّة على حدود شرقي الاردن لنفس الغرض .

وحين ألغت بريطانيا راتب الدعم عن حلفائها ـ وبينهم ابن سعود ـ نتج عن ذلك مسائل خطيرة فيما يمس الوضع الاقتصادي والسياسة الخارجية الذي أخذ في انتهاجها ، خاصة فيما يتعلق بالحجاز ، حتى قيل ان قطع راتب الدعم اطلق يد ابن سعود لاحتلال الحجاز للسيطرة على موارده ، والاستفراد بالضرائب المفروضة على الحجاج .. لكن لا شك ان بريطانيا كانت يومها مهتمة بانهاء الحليف المزعج وغير المهادن بشأن فلسطين ، الشريف حسين .

واكدت تقارير المقيمية البريطانية في بوشهر بأن هناك عدم ارتياح من حكم ابن سعود من قبل تجار الاحساء الذين أخذوا يعانون من زيادة عبء الضرائب بعد انقطاع راتب الدعم ، كما بدأت القبائل تتخلّى عن ولائها لابن سعود لأنه لم يعد في مقدوره استمرار دفع اموال اليها(١٨) .

والحق فان الانجليز وان قطعوا راتب الدعم السنوي ، الاّ انهم كانوا يمدّون ابن سعود بين الفينة والاخرى بكميات من الاسلحة والذخيرة اضافة الى المال ، ضمن رؤية تقول بأن نقص المال المدفوع لشراء قبائل الاخوان يحرّضهم على مهاجمة امارة شرق الاردن او الكويت او العراق ، وهو الذي حدث فعلا . ومن المهم ، من وجهة نظر السلطات البريطانية ، مساعدة الملك في إحكام قبضته على هذه القبائل ، والاّ فان العاقبة ستكون وخيمة .. غير ان البخل البريطاني المعروف ، أعطى لابن سعود حجّة ـ أو جعله في موقف ضعف ـ حينما هاجمت قبائله الاخوانية البادية الجنوبية للعراق والاردن لتنهب وتقتل كيفما تشاء ، رغم ان ابن سعود «انصاع بكل اخلاص لسياسة الحكومة البريطانية من اجل التوصل لتسوية بينه وبين الأمير عبد الله ، لادراك الاول بانه مهما قلّ حجم المساعدات المادية التي يحصل عليها من بريطانيا ، فان عداءها له سيعني دماره» كما تشير الى ذلك وثيقة بريطانية(١٩) .

الزكاة

اعتبر الحكام السعوديون أن تطبيق فريضة الزكاة نتيجة العودة الى الدين ، غير انها في واقع الأمر تحوّلت الى أمر جبري ، وأصبح الجهاد لغاية واحدة هي جمع الزكاة التي فرضت على كل من طالته اليد الوهابية ، وبذا اتخذت الزكاة صفة الالزام القسري لا صورة العمل المشير الى التقوى الدينية ، ولم يميّز الوهابيون بين الزكاة المأخوذة غصبا أو طوعا ، وسواء من المؤيدين او المعارضين الرافضين للحكم والمذهب(٢٠)

ان الزكاة في التاريخ السعودي الغابر والى ما قبل عهد النفط ، لم تكن اكثر

من عملية ابتزاز يفرضها حاكم قوي على رعاياه، أو جيرانه الضعفاء «امارات الساحل» ويدعمها بالتهديد والفرق المسلحة.

وفضلا عن طابع الاخضاع والقسر والتهديد، فان طرق تحصيل الزكاة ومقدراها وموارد صرفها بعيدة كل البعد عمّا أقرّته الشريعة الاسلامية .. في حين اعتبر السعوديون ان كل منطقة دفعت الزكاة إليهم هي منطقة تابعة لهم، وقد استخدموا دفاتر الزكاة كأحد أهم الادلة لاثبات دعاواهم في البريمي .. بينما كان البريطانيون ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يؤكّدون الفصل بين الاثنين، بالنسبة للمناطق الخاضعة لاشرافهم في الخليج .. فهم وان قبلوا بأن يدفع أتباعهم زكاة سنوية «او مقدارا من المال تحت اي مسمّى»، فانهم أكّدوا للحكام السعوديين ـ كما فعل بيلي ـ أن ذلك لا علاقة له بالسيطرة والحكم .. ولان السعوديين كان يهمّهم المال قبل اي شيء آخر، فقد رضخوا للأمر الواقع.

واعتبر كيلي ـ احد موظفي الحكومة البريطانية ـ انه حينما «تدفع الزكاة نتيجة القسر والارهاب، كما هو الوضع بالنسبة لسلطان مسقط وشيخ البحرين، فان طبيعتهما تغدو أكثر من مجرّد جزية تُستخلص تحت وطأة التهديد بالغزو، وهي لهذا لا تحمل أي معنى للسيادة الاقليمية، وانّما تفوق في القوة من جانب الذي يبتزّها»(٢١).

ووقع وطء الزكاة بطرقها المغالية في الايذاء على جهتين أساسيتين من الرعايا : مالكي الزرع والبساتين، وهم الشيعة في الغالب .. والبدو الذين لا بدّ وان يدفعوا زكاة أغنامهم وإبلهم، وهم بدو لا يتبعون سلك الاخوانية، خاصة بدو الشرق والحجاز، اما الاخوان فانهم أنصاف حضر تخلّوا عن البداوة وباعوا إبلهم وانشغلوا بالقتال في جيش الملك واعتمدوا على الغنائم والهبات كوسيلة للعيش.

وهناك جهة ثالثة هي الامارات المجاورة التي يجب عليها ان تدفع مقدارا سنويا من المال .. قد يسمّى الزكاة، وقد يسمّى الجزية، وقد سبب استحصال هذا المال مشاكل سياسية عويصة، وترك جروحا لم تندمل حتى هذا اليوم بين قبائل المناطق الخاضعة لسلطات غير سعودية في الخليج.

من جهة اخرى، فان كل ما ألغاه الحكم التركي من ممارسات مخالفة للشرع بشأن الزكاة، كان السعوديون يطبقونها، كزيادة الخرص، واخذ الرشوات، واتباع اسلوب المصادرات لاملاك من لا يقدر على دفع الزكاة .. عادت من جديد بعد غياب نصف قرن بمجرد ان سيطر ابن سعود على الاحساء، حيث أسّس ادارة مالية فيها، تكون مرجعا لموظفي ماليات العقير والجبيل، وبقيت القطيف ذات ادارة مالية مستقلة.

واعتادت ادارة المالية حصر النخيل وأعدادها وأسماء ملاّكها، ومن ثم إرسال مجموعة من «الخرّاصين» لتقدير ثمر النخيل قبل نضوجه بمدّة،

ويقيّدون ذلك في دفاتر خاصة ، ويقررون في الحال كم تكون الزكاة الواجب اخراجها .

وكما كان معتادا ، فان الخرّاصين - ولطبيعة مسلكهم الطائفي - يزيدون في الخرص ، ويضعون توقعات مغالية لحجم الانتاج ، من اجل ارهاق السكان ، وفضلا عن هذا فان الادارة المالية بتحيّزها تجد الوسيلة والتبرير اللازمين لتجاوز حدّ الزكاة الشرعي ، بحجّة ان الملك بحاجة الى المال ، او أن القحط اصاب نجد وربوعها .

ويشترط مأمورو الزكاة على الأهالي توصيل زكواتهم الى ادارة المالية ، وعليهم - اضافة الى تحمّل نفقات النقل - الانتظار اياما عديدة لتسليم ما لديهم ، لتبدأ محنة جديدة ، حين يبدأ المسؤلون وزن «قلال» التمر .

وقد اثارت التعديات في الخرص سخط وتذمر السكان ، وفتحت أبواباً واسعة للفساد الاداري وانتشار الرشوة - لمن يجيدها - ، والمشكلة هنا ان الكثر من الفلاحين يستأجرون النخيل مقابل مقدار معلوم من التمر او المال ، وفي الغالب يعجز هؤلاء عن اداء ما عليهم ، فتتراكم الديون ، وفي العادة يبادر المأمورون ببيع المنازل وحبس المزارع ايضا .

وحدث عام ١٣٤٩ و ١٣٥٠ هـ ، ان الأزمة الاقتصادية بدأت تأخذ بخناق العالم ، وكان للقطيف والاحساء منها أوفر نصيب ، إذ كلّما اشتدت الامور على الحكومة المركزية ، تبدأ بالضغط على الاهالي بزيادة الضرائب وتوسيع حلقة المصادرات على الجهات الأضعف ، ونعني بهم الشيعة ، وكانت أسعار التمور في تلك السنوات قد هبطت ، وهي طعام السكان الاساسي وموردهم الرئيسي ، بحيث لم يكن الوارد السنوي كافيا لاصلاح النخيل وتأدية الزكاة الحكومية ، وهذا جعل الزكوات تتخلّف وتدور من عام لعام بصورة ديون متراكمة على الأهالي . وأخيرا وجد الجميع انفسهم عاجزين عن الدفع ، ولمّا لم يكن بوسع الادارة المحليّة ان تتغاضى عن المطالبة بالزكوات المتخلّفة ، ولم يكن بدّ من الالحاف ، صار الأهالي في أزمة حادّة ، اضطرت الكثير منهم الى مغادرة البلاد الى البحرين بشكل خاص والاستقرار فيها نهائيا .

حينها كتب وجهاء الشيعة ، وفي مقدمته الشيخ علي بن حسن بن علي الخنيزي الى الملك راجين منه إسقاط الديون او تخفيفها من اجل ايقاف الهجرة الجماعية والتذمر العام الذي فجّر عام ١٣٤٨هـ انتفاضة العوامية الشهيرة ، فرد الملك الى الشيخ الخنيزي بالتالي :

«عدد : ٨٨٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، الى الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي وكافة أهالي القطيف .

بعده ، قد اطلعنا على العريضة المقدمة منكم المؤرخة في ٤ شوال سنة

١٣٥٠هـ، بشأن استرحامكم في خصوص الديون التي عليكم للمالية من بواقي الزكاة.. نفيدكم أننا نظرنا لما شرحتموه، ورغبة في مساعدتكم وتسهيل أموركم، فقد أمرنا بالسماح عنكم في ديون الزكاة العائدة للسنتين الماضية التي قبل عام ١٣٤٩-١٣٥٠ هـ، وقدرها ٢٣ ألفا ومائتين وسبعة وستين روبية. أما بقية زكاة هذه السنة، فقد أمرنا أن تؤجل عليكم الى حصول حاصلاتكم. في ٢٨ شوال سنة ١٣٥٠هـ.

ختم (٢٢)

ومن ناحية البدو فانهم غالبا ما يحاولون التهرب من دفع الزكاة، وكثيرا ما كان يصحب عمليات جمع الزكاة وجباية الضرائب العنف وعمليات التأديب للقبائل المتمرّدة التي رفضت الدفع للسلطة المركزية.. ان تمردات القبائل لها ما يبررها لانها من طبيعة البدو، ولان القبائل لم تلمس نشاطا من الدولة من اجل تحسين اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.. بل كانت ترى أن اموال الزكاة والضرائب تذهب سدى (٢٣).. وهذا أمر يلمسه جميع السكان، إذ أن المال يجمع الى السلطة المركزية في الرياض وهناك توزّع على الاصحاب والقبائل والحاشية.. بمعنى ان الزكاة التي يفترض فيها ان تؤخذ من الاغنياء وتنفق على الفقراء، أصبحت عبئاً هائلا على اكتاف الجميع، ووضعتهم دون مستوى حزام الفقر. وفي كتابات الباحثين اشارات الى ان الزكاة التي يتقاضاها ابن سعود هو وأسلافه غير اسلامية، وانه لا يتصرف فيها كما يجب في الاسلام، ويوردون مثالا على ذلك أنه يأخذها من الاحساء والقطيف ولا يوزع منها شيئا على الفقراء الكثيرين فيهما(٢٤).

الضرائب والجمارك

وهما وجهان لعملة واحدة، ولقد مرّ معنا كيف ان ابن سعود خطّط لرفع الضرائب وزيادتها قبل ان يجلي الترك عن المنطقة، بل أنه روّج إشاعة بأن الاتراك سيتركون له حكم المنطقة لأنهم كانوا عاجزين عن جباية الضرائب.

ان اول ما يلمسه الباحث بالنسبة للضرائب والجمارك، أنها لا تستند على أسس شرعية، وقد كان ذلك أحد أسباب ثورة الاخوان، بل أنهم نجحوا في تخفيفها والغاء بعضها عن المسلمين - والمقصود بهم الاخوان - اما بقيّة المناطق فبقيت الضرائب قائمة. والمسألة الاخرى هي عدم العدالة في توزيع الضرائب بين السنّة والشيعة، فمن المعلوم ان جميع الحضر في الحجاز والاحساء والقطيف وربما بعض مدن القصيم عانوا من ضرائب ابن سعود المتصاعدة، غير ان الوطأة كانت على الشيعة بشكل أشدّ، خاصة وأن الموانىء الاساسية كانت في مناطقهم، وما يتبعها من حركة تجارية نشطة.

فور سيطرته على الأحساء فرض الحاكم السعودي رسوما جمركية مقدارها ٨٪ على كل الواردات التي تصل الى الاقليم الشرقي بحرا ، وكانت الجمارك والى عهد النفط تؤلّف جزء هاما من الواردات السنوية ، كما يذكر فؤاد حمزة مستشار ابن سعود . والغريب ان ادارة الجمارك تحسب الرسوم الجمركية على اساس قيمتها في السوق السعودية ، وليس على اساس قيمتها الحقيقية ، ومن اجل تعيين القيمة لم يكن يُكتفى بالفواتير المقدمة من التجار ، بل على التثمين المستند على اسعار الحاجيات في السوق . وهكذا فالمهم ليس قيمة شراء البضاعة ، وانما بكم تبيعها ؟! ، والغريب ايضا ان فؤاد حمزة يتفاخر بأن نظام الجمارك السعودي اقتبس من أحدث الانظمة في البلاد الراقية(٢٥) .

وكانت القطيف مضرب المثل في الضرائب تقاس بها البلدان الاخرى ، ففي عام ١٨٦٥ ـ اي في عهد فيصل بن تركي ـ ارتفعت الضرائب الجمركية بصورة مؤقتة في الكويت ، ولم تكن هناك حاجة لمعرفة مقدارها ، إذ يكفي القول بأنها تماثل ما تحصّله حكومة القطيف .. وفي أواخر عهد مبارك الصباح ، رفع الاخير الضريبة الجمركية على الواردات الى ٥٪ ، فاضطر تجار الكويت الى هجر بلدهم والانتقال الى البحرين ، امثال هلال المطيري ، وشملان بن علي ، احتجاجا على زيادة الرسوم .. ولما تولّى سالم الصباح الحكم «١٩١٧ ـ ١٩٢١» كانت باكورة أعماله تخفيف الجمارك الى ٤٪ ، وأعفى الصادرات من الضرائب (٢٦) .. في حين ان ابن سعود لم يكتف بنسبة ٨٪ التي هي في الواقع تزيد على العشرين بالمائة ، باعتبار احتساب نسبة الضريبة على قيمة البضاعة في السوق المحلية ، بل رفعها الى ١٣٪ في عام ١٩١٧ ، وكانت ضريبة الصادرات في ذات العام ٥ر٩٪ .

ويقرّ المؤرخون بأنه كان للاضطهاد الضرائبي الذي مارسته الدولة المركزية عبء كبير بالنسبة للجماهير ، رغم ان مستوى تطور القوى المنتجة لا يسمح بالمغالاة في جباية الضرائب(٢٧) ، وفي حين قدّر فيلبي الرسوم الجمركية على واردات موانىء الاحساء بـ ٨٪ ، وهي نسبة فرضت فور السيطرة السعودية على المنطقة الشرقية ، أشار الى ان رسوم الدخان «المحرم تعاطيه عند الوهابيين الذين يجلدون الناس بسببه» بلغت ٢٠٪ ، كما أشار الى ان الجزية فرضت على الشيعة والمسيحيين واليهود في الاحساء ، كما كانت تفعل الحكومات السعودية السابقة(٢٨) ، ولأن المسيحيين واليهود لا وجود لهم في المنطقة بتاتاً ، فان المعني بالجزية هم الشيعة لا غير ، ومع هذا فواضح ان تصنيف الوهابيين للشيعة ، يضعهم في خانة واحدة مع النصارى واليهود ! .

وفي الحقيقة لا يمكن اعتبار ما جرى للشيعة منفصلا عن سياسة الملك السعودي ، فلا شك انه يشارك الوهابيين آراءهم ، فضلا عن ان مسألة «المالية» يشرف عليها هو شخصيا وبشكل مباشر ، باعتبارها أهم الادارات في

الحكومة، وقد أشار ديكسون أثناء زيارته للاحساء في اواخر يناير ١٩٢٠ الى ان حكام المقاطعات يقومون بمسؤولية جمع الزكاة والضرائب والميرة من السكان المستقرين والحضر.. «ولا يسمح ابن سعود لأحد سواه بالتدخل في هذه المسائل، باعتبارها قضايا سياسية يضعها هو»(٢٩).

ولنأت الى أنوا الضرائب:

السمّاكية: وهي ضريبة تؤخذ من صيادي الأسماك، وهم في معظمهم من الشيعة، حيث يتصدى رجال الضرائب للصيادين وهم في طريق عودتهم، بعد يوم مضن من العمل الشاق، لمصادرة خُمسي الاسماك، ثم يبيعها هؤلاء في الاسواق بأسعار زهيدة، ترغيبا للأهالي الفقراء في شرائها، ذلك ان العامة تعتبر هذه الاسماك منهوبة لا يجوز شرعا شراؤها ومعاونة الظالمين في ظلمهم وغيّهم.

أمّا طريقة الحكومة في تحصيل الضرائب بشكل عام، فانها تتفق مع احد التجار على تولي المسألة مقابل مبلغ سنوي معلوم يتفق بشأنه، ثم يقوم هذا التاجر «يسمّى الضامن» وبمعاونة الادارات المحليّة والشرطة باستحصال الضرائب دون رقيب، فيرهق الاهالي ويستحصل ضعف المبلغ الذي اتفق مع الحكومة بشأنه(٣٠).

ويمكن القول ان ضريبة السمك «السمّاكية» من الضرائب المفروضة على الشيعة، ذلك ان القليل من السنّة في الاقليم الشرقي كان يمارس هذه المهنة، وكان هؤلاء يجدون الطريقة المناسبة للتهرب منها، وهذا بعينه ما كان يجري لشيعة البحرين التي يحكمها آل خليفة.

الجهاد: وعرّفها احد مستشار الملك ابن سعود بقوله: «وهو ما يدفعه المكلّفون بالجهاد من رجال القبائل حينما لا يؤدّونه بأشخاصهم (٣١).. بمعنى ان من لا يشترك في حروب الملك، فان عليه ان يدفع مقدارا من المال.. ولكن هل هذا يعني تحويل كل الرعايا الى محاربين في أيّة حرب صغيرة كانت أم كبيرة؟ أم هل كان الملك السعودي بحاجة الى النساء والصبيان والعجزة؟ ثم على أيّة أرضية إبتُني هذا القانون؟.

حسب معرفتنا، فان الملك حينما يريد القيام بحرب ما، فانه يطلب من كل قبيلة عددا محددا من المقاتلين، اذ لا يمكن تجييش كل الشعب، والاّ خَلَت البلاد من كل من يقوم بالخدمة الاجتماعية والاقتصادية فيها. ولم نسمع أو نقرأ ان النجديين- على سبيل المثال- ممّن لا يشاركون في الحروب يدفعون هذه الضريبة، وكذلك نساؤهم وأطفالهم، ولم نسمع ان تجارهم ومزارعيهم وموظفيهم ممّن لا يحاربون كانوا يدفعون ضريبة الجهاد!.

بل أن الكتاب الموالين اشاروا الى تعدّد مجالات العمل، حينما اشار احدهم الى الاخوان، وان «عند ابن سعود لكل منهم وظيفة ومقاماً: المعتدل للخدمة،

والمتساهل للتجارة والسياسة، والمجنون للقتال»(٣٢).. ولا نشك ان المعتدلين والمتساهلين كانوا من الذين لا يدفعون ضريبة الجهاد.. نعم هناك حالات استثنائيّة ولاسباب سياسية، يلزم الملك فيها بعض رجال القبائل بدفع مبالغ تحت مسمّى الجهاد.

اما الذين تحدثوا عن فرض ضريبة الجهاد على الشيعة، فانهم يبرّرونها بأن ذلك مقابل حمايتهم، وهي تقوم ـ ضمن هذا المنطق ـ مقام الجزية التي تفرض على النصارى واليهود في الدولة الاسلامية.. في حين برّر بعضهم الأمر بأنه مقابل «الخدمة العسكرية التي أُعفوا منها»(٣٣)!.

ولا نظن بأن التبرير الاخير يبدو عقلائيا، فالحكام السعوديون لو أرادوا من الشعية الخدمة العسكرية لما تعسّر فرض ذلك عليهم، وكل وسائل الفرض والجبر موجودة ومطبّقة على الآخرين.

لكن الواضح هو ان الحكم السعودي، كان بحاجة الى ابتزاز ما لدى الشيعة من امكانات مالية واقتصادية، اكثر من حاجته اليهم في الحرب، خاصة انه لم يتعوّد ان يثق بهذه الشريحة من المواطنين حتى الوقت الحالي، حيث يمنع الشيعة من الخدمة العسكرية والانخراط في الجيش.

والضريبة «الجهاد» هي اسم مخفف للجزية، لكنها في واقعها أسوأ من الجزية، لان الجزية تؤخذ من الرجل البالغ الذَكَر، لا الصبي ولا المرأة.. بينما لم يستثن «جهاد السعوديين» صغيراً أو كبيراً، ذكرا أو انثى من الشيعة ... وغير هذا فان الجزية تدفع مرّة في العام ـ حسب ما يقرّه الدين الاسلامي ـ، اما السعوديون فانهم يأخذونها متى شاؤوا مرة واثنتين وثلاث واكثر في السنة، فعرف الجهاد «المطبوق» اي المضاعف، وعرف الجهاد «المربوع» الذي يدفع أربع مرات في العام الواحد. واكثر من هذا فان مقدار ضريبة الجهاد مجهولة وغير محددة، وانما هي متروكة لمزاج الحاكم، بحيث انه يغالي في زيادتها، ويمارس اعنف الوسائل لاستيفائها، حتى اضطر بعض الاهالي لعرض ابنائهم في سوق النخاسة!.

لقد أُدخل المئات من المواطنين السجون لأنهم لم يستطيعوا دفع ضريبة الجهاد ـ والتي يطلق عليها أحيانا «روسيّة»، باعتبارها مفروضة على كل رأس بشري! ـ واستحدثت عشرات المعتقلات، كانت عبارة عن قصور قديمة وخرائب متهالكة، لتستوعب الاعداد الجديدة من المعتقلين.. واضطرت النساء لبيع حليهن لتسديد الضريبة واخراج ازواجهن من السجون، بل وباع الكثيرون أثاثهم واراضيهم وحيواناتهم وحتى قدورهم، وأقسم أحدهم بأغلظ الايمان انه باع حتى ملابسه لتسديد «الروسيّة»!(٣٤).

وتحرّك وجهاء الشيعة، وبعثوا الوفود الى الرياض، والتقوا بالملك وقالوا له:

ـلم يبقَ الاّ إزهاق الأرواح!.
فأجابهم بصلافة : «إنتو ـ أنتم ـ ما تستحوا»!!.
ردّوا عليه : السائل ما يستحي!.
وهكذا عاد الوفد خائباً، مما زاد من هجرة المواطنين لمدنهم وقراهم، باتجاه البحرين في الأغلب، ريثما تهدأ الأمور .. على أن النفوس كانت مهتاجة ومتحفزة للثورة، وقد زادها عودة الوفود خالية الوفاض ألماً على ألم، خاصة وان الادراة المحلية زادت من حدّة رعونتها وصلافتها، وجَهّزت الدوريات لتدخل بيوت المواطنين لتفتشها وتصادر ما بها من قوت وماشية .. ويدلّك على بشاعة ما كان يجري القصص التي لا يزال يتذكرها المعمّرون ممّن اكتووا بنارها .. من هذه القصص ان محمد بن جبران، أحد سَكَنَة حيّ الرقيّات بالهفوف، جاءه «خوي» مطالباً إيّاه بتسليم ضريبة الجهاد، وكان المقرّر عليه «٢٠ ريالا»، فقال له أنه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وطلب إمهاله يوماً لعلّه يجد من يقرضه المبلغ ـ وهو أمر غير مؤكد ـ، فما كان من الخوي الاّ أن ضربه بـ «مشعاب / هراوة» على خاصرته، فتقيّأ دماً وأصابه نزف داخلي ومات في اليوم التالي.

وحين سمع محمد حسن دحيم العامر «وهو من نفس محلّة الرقيّات» بالأمر، وكان حاله هو الآخر لا يختلف عن حال الضحية التي سبقته، وقد فرض عليه «٤٠ ريالاً»، أخرج إبنته عصراً لبيعها في سوق النخاسة بالهفوف مقابل دروازة الكوت، فثارت ثائرة الناس، وحدث هرج ومرج تناهى بعض منه الى سَمْع الطاغية سعود بن جلوي، الذي أمر باحضار الدحيم .. فلما وصل شتمه وأهانه، ولم يكن بمقدور الأمير قتله بعد الاثارة التي قامت، وسأل عن سبب قيامه بعرض ابنته للبيع، فأجاب : ان أفعالكم دفعتني لذلك .. فأمر الأمير برفع الضريبة عنه، بعد تفتيش منزله، إذ لم يجد الجلاوزة سوى «مصخنة» مكسورة (٣٥) وقدر من الفخار للطبخ.

تجدر الاشارة الى ان الدحيم هذا لا يزال حيّاً يرزق حتى كتابة هذه السطور (٣٦).

وممّا هو مشهور عن ابن جلوي ورجال ضرائبه، انه كان يرسل خوياه او عبيده الى المواطنين الذين لم يتمكنوا من دفع الضريبة، واذا ما التقاهم الشخص المطلوب في الطريق واعتذر بأنه لا يملك شيئا، أوقفوه في مكانه، وخطّوا دائرة مكان وقوفه على الارض، مهدديه بالقتل ان هو ابتعد عن الدائرة المرسومة، ثم يذهب هؤلاء الى منزله لاقتحامه وتفتيشه وليأخذوا ما يشاؤون منه، حتى الصبيان يؤخذون للخدمة عند الأمير، وإذا لم يجدوا شيئاً فمصير المواطن السجن.

وينقل أن أحد المواطنين في الأحساء، واسمه علي بن صالح، جاء الى دائرة

الضرائب في الأمارة ، ليثبت لهم انه لا يملك شيئا وليس لديه اطفال للخدمة ، ويبدو ان الرجل تحدث بلغة لا ترضي الأمير ، فما كان من الأخير الاّ ان أمر بربطه بحبل أوثق بحصان ركبه أحد العبيد لجرّه في الطرقات ، وبعد مضي بضع ساعات مات الرجل (٣٧) .

وتتفاقم المشكلة بالنسبة للمعتقلين الذين كانوا يعذبون ويعاملون معاملة الرقيق ، ولم يكن السجّانون يطعمونهم ، بل ان الأهالي يجمعون لهم القليل من التمر لسدّ رمقهم ، خاصة وأن المجاعة تفاقمت في بلد الثلاثة ملايين نخلة ! ، وغالباً ما كانت النساء تقوم بهذا الدور .. قالت إحداهن أنها رأت العشرات من السجناء في قصر ابن جمعة في مدينة صفوى ، وهو أحد القصور التي صادرها ابن سعود بعد قتل صاحبها ، وحوّل بعضها الى سجون .. كما رأت وساهمت في رمي الطعام من النوافذ «الرواشن» ، إذ يمنع السجانون من تسلّم الطعام باليد .. ولأنّ النوافذ تطلّ من أماكن عالية تقارب السقف ، فان عملية قذف التمر تكون غير دقيقة ، ويضطر السجناء لالتقاطه من الأرض بعد ان يتلوّث بالتراب (٣٨)

ولربما قيل ان ما أصاب شيعة القطيف أشد ممّا أصاب الشيعة في الأحساء ، ولعلّ السبب يكمن في حقيقة ان المعارضة السياسية للشيعة وزعامتهم كانت طوال قرنين قد تمركزت في القطيف ، ولذا كان اختيار ابن سعود لابن عمّه عبد الله بن جلوي ، المشهور بالقسوة والارهاب ، حاكماً للمنطقة بشكل عام لغرض إركاعهم ، حيث لم يضيّع ابن سعود الوقت بعد احتلاله «فأخذ يروّض الشيعة ، وعهد لعبد الله بن جلوي حكم الاحساء ، حيث أخذ هذا ينكّل بنشطائهم دون رحمة ، وخصوصاً في القطيف»(٣٩)

ووصل الأمر ان متعهدي ضريبة الجهاد لدى الحكومة ، وبمعونة العبيد والخويا ، أخذوا يهجمون على البيوت ليلا ، ويهتكون سترها ، ويهينون عائلها ويقتادونه ذليلا الى المعتقل .. ولو شئنا ذكر الأسماء لفعلنا ، ولعددنا اسماء المهاجمين والضحايا على حدّ سواء(٤٠) .

بقي ان نشير الى ان ضريبة الجهاد «الروسيّة» طبقتها كل الدويلات السعودية المتعاقبة ، ولم تنته الاّ في الأربعينات الميلادية بعد ان تدفق المال من الاميركيين كمساعدات للملك أثناء الحرب العالمية الثانية .. والغريب ان آل خليفة في البحرين فرضوا هذا الضريبة ، ويسمونها هناك «الرقبيّة» ويبدوا أنها من إرث السنوات القليلة التي احتل فيها السعوديون البحرين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري .. وبالرغم من ان آل خليفة لا يعدّون مسلمين بنظر الوهابيين ، الاّ انهم مع هذا تعاملوا مع الشيعة بذات عقلية الوهابيين ، وقد «كان الشيخ خالد بن علي ، شقيق الشيخ عيسى ، يعتمد في معظم دخله على جباية ضريبة الرقبيّة التي فرضها على قرى الشيعة الواقعة ضمن نفوذه ، وخصوصا

قرى منطقة سترة .. ولم يكن راغبا في التخلّي عن جبايتها ، شأنه شأن الكثيرين من أفراد الأسرة الحاكمة الكبار .. وبالأضافة الى ضريبتي الرقبية وبساتين النخيل ، كانت هناك ـ في البحرين ـ ضريبة السمك ، وهذه الضرائب الثلاث كانت مفروضة على طائفة الشيعة فقط»(٤١) .. مع ملاحظة ان الشيعة في البحرين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان ! .

الضرائب الأخرى

فرض السعوديون ضريبة على الحيوانات تسمى «باج» ، وهذه الكلمة ذات أصل فارسي يعني الضريبة ، حيث يتوجب على البائع والمشتري دفع نسبة من قيمة الحيوان المباع ، تتراوح بين ٥ ـ ٨٪ .. وقد أثّر هذا بشكل حاد على شريحة واسعة من المواطنين .. على ان هذه الضريبة تختص بالشيعة ، وبعض قبائل المنطقة الشرقية المعادية تقليدياً للحكم السعودي كالعجمان والخوالد .

وهناك ضرائب قُرّرت على وسائط النقل كالجمال والحمير والبغال .. ومن ثم العدد القليل جداً من السيارات ، وقد عدّ فؤاد حمزة ـ مستشار الملك عبد العزيز ـ هذا النوع من الضرائب كأحد واردات الدولة حينما ألّف كتابه سنة ١٩٣٢ (٤٢) .

والمعروف ان الحمير الحساوية هي من أجود الأنواع ، وذات شهرة عالمية منذ القدم ، وكان الطلب عليها كبيرا في العراق والبحرين ومصر وايران ، وكان سعرها عام ١٩٤٠ يصل الى «١٥٠٠ ريال» ، انخفض عام ١٩٥١ الى «٦٠٠ ريال» بسبب توفر المواصلات الحديثة (٤٣) .

وفرض ابن سعود ضريبة تسمّى «أرضيّة» على أصحاب المهن أيّاً كانت ، والمعروف ان الشيعة هم أغلب من يمارس هذه المهن ، باعتبار ان البدو يستنكفون العمل بأيديهم ، وينتقصون فيما مضى العاملين في هذا المضمار .. وهكذا فرضت الضريبة على الحدّادين ، والصفّارين ، والصاغة والنجّارين ، والعاملين في حقل الخياطة والحياكة ، وكذلك العاملين في الصيدلة والطبابة الشعبية ، ومختلف المهن التي كانت حكراً على الشيعة .. هذا اضافة الى ما فرض على أصحاب الحوانيت والمحلاّت من رسوم .

وفرض ابن سعود ضرائب على الغوّاصين ، وكان الغوص مهماً لحياة السكان في القطيف .. وأمر الحاكم السعودي نائبه بفرض ضريبة على كل مركب غوص ، مع اضافة ضرائب واردات الأهالي من صيد اللؤلؤ .. وكانت الضريبة مرتفعة ، وتسمّى «المطرحانية» ، قدّرها أحد العاملين السابقين في هذا الحقل بـ ٥ر٩٪ (٤٤)

ويضاف على هذه رسوم متنوعة لكتاب العدل ورجال القضاء ، ورسوم

إيجارات الأملاك، وحين شرّع ابن سعود نظام الجوازات سنة ١٣٤٦ هـ، كان ذلك أول إجراء تتخذه دولة أو إمارة مشرقيّة عربية، وكان سنّ هذا النظام لهدف واحد فقط هو استحصال المال، حيث فرض على المواطن ان يدفع جنيهاً انجليزيا ذهباً، وكان المواطنون يسمّونه «باون»، وهي كلمة مأخوذة من الأصل الانجليزي «Pound».. واحتسب فؤاد حمزة ثمن الجوازات، كأحد أهم المداخيل للدولة.. ويومها اضطرّ الأهالي لبيع حلي نسائهم بأرخص الأسعار للتخلّص من الفقر والجوع، فبيع المثقال بـ «٢، ٣ روبيات»، واشترى تاجر ايراني في يوم واحد ذهباً رخيصاً بما مقداره «٨٠ ألف روبية»(٤٥).

المصادرات

فور سقوط الأحساء، تمّت مصادرة جميع الأراضي التابعة للدائرة السنيّة التركية، كما صودرت كل حقول النخيل والمنازل التي هجرها أصحابها خوفاً من البطش، بعد أن سلّموها لأقربائهم او جيرانهم أو أصدقائهم للاعتناء بها.. ومع تصاعد قوة حركة الأخوان، وبسبب شحن أفرادها بأن غير الأخوان كفرة تحلّ أموالهم ودماؤهم وأعراضهم، كان من الطبيعي ان يفسح الطريق لغلو المغالين والجائرين والطامعين من الأمراء والحكام للنهب.. وكان الحاكم السعودي في الأحساء او القطيف يصادر املاك الشيعة لأتفه الأسباب، او يضع غرامات فادحة على من يعتقد ان لديه ملكا.. مثال ذلك ان أمرأة تدعى زينب البقشي، وكانت تسكن محلّة الرفعة بالقرب من النعاثل، تدخلت لفضّ شجار نسوي، وصادف ان احدى المتشاجرات كانت سنيّة المذهب، فأخذها الفداوية وسجنوها، وحين تدخل أهلها لأطلاق سراحها رفض الأمير ذلك، وطلب منهم ان يدفعوا غرامة ثلاثة آلاف ريال «وهي تعادل ثلاثة ارباع المليون اليوم».. فاضطرّ اهلها الى بيع بستان نخلهم ويدعى «قرفوص»، وهو من اكبر البساتين وأعظمها على احد التجار الأغنياء من آل العجاجي ويدعى محمد، وذلك لتسديد الغرامة(٤٦).

واسلوب المصادرات ليس بدعاً في التاريخ السعودي، ولقد توسّع في ممارستة في الدولة السعودية الأولى والثانية، وكانت ممارسة حكومة العهد الحالي له استمرارا لمسيرة السلف الماضي. ويذكر الأهالي اسماء العديد من البساتين المصادرة في الأحساء، ومن بينها: الحقل، العمار، الشراع، الشهيبي، ابو سحيل، الشطيط، السحمية، القرين، سمحة، الدليقة، والمهرام، الصقيهية، والفاخرية، وقد أهدي بعضها للشيخ علي بن ثاني، وعدد آخر من شيوخ قطر (٤٧).

ومن المصادرات الشهيرة، مصادرة الحكومة لمنطقة «جاوان» الشهيرة

بآثارها الموغلة في القدم، وكان جد المرحوم حسين بن صالح ـ أحد سكنة مدينة صفوى ـ، قد اشترى هذه المنطقة سنة ١٢٧٦ هـ، من رجل يدعى «ابن بعيجة»، وكانت المساحة المشتراة اكثر من ٣٠ كيلومتراً مربعاً، هي مجرّد صحراء جرداء .. وأيضا مصادرة «رحيمة» التي أصبحت بلدة بالقرب من ميناء رأس تنورة، وهذه كانت بقعة جرداء تقريبا، اشتراها المرحوم محمد تقي اليوسف بأكملها، في حدود سنة ١٢٩٥ هـ، وقد صادرت الحكومة هذه الأرض، وأعطيت لشركة ارامكو في بداية تأسيسها للصناعة النفطية في البلاد، رغم ان الرجل يملك صكوكاً شرعية تثبت تملّكه لها، ولا زالت موجودة عند أبنائه .. وقد حاول المالك طوال عمره المديد، الذي بلغ «١٣٠ عاما» أن يستعيد أملاكه، أو يحصل على تعويض جزئي عنها، ولكنه فشل .. وكان الى مطلع الثمانينات الميلادية حاضر الذهن يتحدث عن مظلوميته أينما حلّ وارتحل، وقد توفي الى رحمة الله في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ، الموافق لشهر يوليو ١٩٨٩ .

مصادرات املاك ابن جمعة

على أن أشهر المصادرات في القطيف، ما تمّ لاملاك المرحوم عبد الحسين بن جمعة، وعائلة آل جمعة بشكل عام .. وقد تحدثنا عن المرحوم منصور بن جمعة في مواقع مختلفة من الكتاب، والحديث هنا عن أخيه عبد الحسين الجمعة الذي لم يكن محباً لدخول السعوديين للقطيف واحتلالها، ولكن مجرى الحوادث اجبره على التسليم، وحين جاء ابن سعود للقطيف، أقام له ابن جمعة وليمة كبيرة وأهداه مائة جوال من الحجم الكبير تحوي قهوة، ونحو ٥٠٠ جوال من الأرز «نوع فرماشي»، و٣٠٠ رأس من الغنم، فاندهش ابن سعود لكثرة املاكه، واهتبل فرصة وقتله واستولى على قصوره ونخيله العديدة التي كانت أجرتها السنوية «٨٠ ألف قلّة من التمر»(٤٨).

أمّا سبب قتله ومن ثم نهب أمواله، فهو ان ابن جمعة كاتب الاتراك مشجّعاًايّاهم لإعادة السيطرة على المنطقة وطرد ابن سعود منها .. ويشير احد الكتاب(٤٩) الى ان قلم الاستخبارات البريطاني حصل على مجموعة من المراسلات التي تمّت بين الطرفين، وسلّمها الى ابن سعود، فما كان من الأخير الاّ ان اعدمه.

لكن الرواية الأقرب للصحّة، تشير الى ان طالب النقيب، المتعاون مع قوات الاحتلال البريطاني، والذي يتمتع بصداقة ابن سعود، والذي يحمل ارثاً من العداء لابن جمعة منذ ان كان طالب والياً للاتراك على الاحساء سنة ١٣٢٠ هـ، استطاع ان يحصل على مراسلات ابن جمعة مع الاتراك بفضل شبكة علاقاته مع عدد من المسؤولين الاتراك في البصرة، فسلّمها لابن سعود وحصل على

المكافأة .

وكان السيد طالب وسيطاً بين الاتراك وابن سعود في المفاوضات التي تلت احتلال الاحساء والقطيف ، ورغم انه كان من الناحية الرسمية موظفاً تركيا ، الاّ انه كان في الحقيقة يعمل لحساب ابن سعود ، ويقبض منه المصاريف السريّة .. فقد ورد في تقرير المعتمد البريطاني في البحرين «مايو ١٩١٤ ـ ١٣٢٢ هـ» ان السيد طالب سلّم ابن سعود خطابات مرسلة للاتراك من عبد الحسين بن جمعة من تجار القطيف ، ممّا أدّى الى إعدامه بتهمة التجسّس .. ويقول التقرير ان عبد اللطيف المنديل ، وكيل ابن سعود في البصرة ، دفع للسيد طالب عشرين الف روبيّة ، بالاضافة الى اربعين الف اخرى سلّمت له في الكويت (٥٠) .

وفي شهر يوليو ارسل الميجور نوكس ، المقيم البريطاني في بوشهر ، الى وزير خارجية حكومة الهند يبلغه خبر اعدام ابن جمعة ، ثم أرسل له تأكيدات لاحقة في شهر اغسطس ، حينما عاد الدكتور هاريسون من زيارة له الى القطيف وأكدّ له النبأ .. كما اشار الى السبب وهو ان طالب النقيب اوصل لابن سعود مراسلات ابن جمعة مع الاتراك (٥١) .

ويحكي احد المطلعين (٥٢) قصّة اعتقاله نقلاً ، عن خاله المرحوم محمد علي الغريافي ، على النحو التالي :

في احدى الليالي ، وبعد صلاة العشاء ، جاء مجموعة من الفداوية وطرقوا قصر ابن جمعة في القطيف ، وقالوا له بأن الشيوخ «ابن سعود» يريدونك في الأحساء ، فذهب معهم هو وخاله ، وبقوا هناك في بيت خاص بضعة أيّام دون ان يُسأل عنه ، وكان تحت النظر طوال هذه الأيام .. وفي احدى الامسيات جاءه بدوي يسأل عنه ، وطلب منه مبلغاً من المال يقدّر بنحو «٣٠» روبيّة ليأخذه في الحال الى قطر ، وأبلغه بأن «القوم يأتمرون بك ليقتلوك» ، وأن ابن سعود عازم على «ذبحك» .. لكن ابن جمعة لم يهتمّ بالأمر ، ربما لأنه لم يكن يعتقد بأنه فعل أمراً يستحق الاعدام ، وطرد البدوي الهاجري .

وتكرّر الأمر ـ كما يذكر خال ابن جمعة ـ ثلاث مرات ، والبدوي يزيد في الالحاح ، وكان خاله الغريافي قد شعر من خلال الاستقبال أن هناك أمراً مدبراً ، فأشار على ابن اخته اكثر من مرّة : أطع الهاجري ، ولكنه أصر على رأيه ، وقال لخاله : حتى أنت خائف ، قم وارحل عنّي ! .

وبعد يومين من تلك الحادثة جاءه فداوي وقال له : الشيوخ يريدونك ، فقام وأراد ان يأخذ عباءته ، فقال الفداوي : لا حاجة اليها وسترجع سريعاً ، وخرج ابن جمعة ولم يعد ، فقد قتل ودفن في مكان ما في الأحساء .. في حين يتناقل المواطنون بأن المرحوم أخذ ليلاقي حتفه ، ولم يكن يرتدي سوى «إزار» ودفن حيّاً !! .

ونعى الشاعر الشعبي الشهير عيسى بن محسن ، المرحوم ابن جمعة بقوله :

اهل الديار ارحلو بليل مسراهم
ساقوا ظعنهم ومادري وين منواهم
مدري هجر لو نجد ملفاهم

★ ★

يا سايج الظعن ريّض انا باسالك
عنّي تجافوا وخلّوا دمعتي سايله
قالوا منايا تحادي ظعون مسراهم

يا دار ما تخبري وين الاشخاص ارحلوا
من بعد دولة حكم عافوا الوطن وارحلوا
وجدي على من ولوه اعداه ما له احد
انهض وهو يعتزي باشما له احد
من ذا الذي غسّله يا هو حفر له لحد
وش خلّفوا بدور لهم بوم تصيح ارحلوا

وتشرّدت عائلة ابن جمعة بين العراق والبحرين ، بعد ان سُلب كلّ ما لديها من نخيل وبساتين وقصور ، وحتى الوقت الحاضر لا تخلو مدينة او قرية في القطيف الاّ وهناك اثر ملموس لهذه الاملاك ، اما قصر حوّل الى سجن ، أو نخل ملكته الدولة واهمل لأن الناس رفضوا تأجيره باعتباره مغصوبا ، واما اوقاف ابتلعت ولا تزال معروفة كأملاك لآل جمعة .

الطريف ان احد المؤرخين (٥٣) اشار الى ان من اسباب خلاف الملك عبد العزيز ومبارك الصباح ، ما كان دائراً حول املاك المرحوم ابن جمعة المصادرة «ان الشيخ عبد اللطيف آل عبد الرزاق ، وهو احد تجار الكويت الكبار ، كان له اربعة وعشرون الفاً من الروبيات طلباً على ابن جمعة في القطيف ، وكتب مبارك كتابين الى ابن سعود الذي استولى اخيرا على اموال بن جمعة يستحثّه على إعطاء الكويتي حقّه فلم يجبه الاّ بعد ان اتبعهما بثالث ، وقد قال ابن سعود في الجواب ، انا سنعطي صاحبكم حقّه من ثمرة نخيل ابن جمعة لا غير ، ولكن مباركاً قال ان صاحب الدين لا يقبل الاّ نقوداً.. الخ» .

ومع بداية العشرينات الميلادية ، قام اولاد ابن جمعة بمحاولة لكي يعودوا الى البلاد ، او على الاقل ليحصلوا على بعض املاكهم ، ولكن الملك رفض الامر ، وبعد شكايات عديدة قدّمها اهالي البحرين نيابة عن آل جمعة الى المعتمد السياسي البريطاني هناك باعتبار العلاقة الوطيدة بين الملك عبد العزيز والسلطات البريطانية ، استجاب الملك فأرجع بعض الاملاك ، وهي النزر التافه ، وذلك انه في تلك السنين الخوالي ، كان الملك يمرّ بضائقة مالية شديدة ، وكان الحصار جاريا على موانيء الكويت والبحرين في خلاف حول الضرائب .

وامامنا هنا احدى الشكايات تضمنتها وثيقة بريطانية موقّع عليها من قبل

عدد من وجهاء البحرين، ومما يلفت النظر ان هؤلاء اعتبروا منصوراً وأخاه عبد الحسين من اهالي البحرين، لان العوائل من الناحية الواقعية متداخلة، ولأن تاريخ البلدين واحد حتى جاء الاستعمار البرتغالي، وايضا لانه لم تكن هناك حواجز اقليمية، وكان بامكان اي شخص ان يسكن البحرين او القطيف، ولا تزال العلاقة مع اهالي البحرين علاقة اخوّة في الدين والنسب.. جاء في الوثيقة:

«الى وزير شؤون الهند ـ لندن

نحن الموقعين أدناه تجار وسكان البحرين، نتقدّم بكل التواضع والاحترام لنضع بين يدي سعادتكم، الاسطر القليلة القادمة، مع الامل الكبير بأن رسالتنا ستلقى الاهتمام والعطف من سعادتكم.

ان المرحوم الحاج منصور الباشا، وشقيقه عبد الحسين الجمعة، وكلاهما من بلدة البحرين (٥٤). ولكنهما يقيمان في القطيف، هما رجلان من ذوي الشأن والنفوذ الكبير، يحترمهما ويجلّهما جميع اهل البحرين والقطيف والاحساء، وبلاد ما بين النهرين والعلماء والمجتهدون.. وكذلك المسؤولون في فارس.

ويمتلك هذان الرجلان عقارات وأملاكاً عظيمة في القطيف وبلاد ما بين النهرين، كما كانا يمتلكان مؤسسات خيرية عديدة، حيث كان كل المحتاجين من البحرين والمناطق المجاورة يتلقون المساعدة والعون والمعاملة الحسنة، فسمعتهما في حقل اعمال الخير والصدقات معروفة لكل اهالي البحرين وما بين النهرين وفارس.

وعلى اثر احتلال ابن سعود، سلطان نجد، لكل من القطيف والاحساء، وبتحريض من اعداء هذين الرجلين، ومن آخرين مغرضين، امر سلطان نجد بالقاء القبض علي الحاج عبد الحسين الجمعة ـ وكان منصور قد توفي قبل هذه الحادثة ـ وقتله سرّا.. كما صادر كل ممتلكاته في القطيف، وأمر قواته بنهبها، وفي اعقاب هذه الحادثة هرب ابناء هذين الرجلين من القطيف، ثم رفعوا العديد من الطلبات والعرائض الى سلطان نجد لاعادة املاكهم المصادرة في القطيف، ولكن دون جدوى.. وبعد ان يئس ابناء هذين المتوفيين، من استعادة املاكهم في القطيف من سلطان نجد، ومن اجل الحفاظ على كرامتهم وهيبتهم، بدأوا يبيعون ما تبقى من املاكهم الموجودة في العراق للانفاق على معيشتهم، وهم الآن في حالة تستدرّ اعظم الشفقة، وليس معهم شروى نقير.

على انه، بعد وفاة هذين الشخصين، فان الحرية الدينية التي كان اهالي القطيف والاحساء يتمتعون بها، قضي عليها، وان اهالي هذه المناطق ـ الأحساء والقطيف ـ كانوا وما يزالون يعاملون أسوأ معاملة على يدي سلطان نجد.

أما وقد وضعنا الحقائق المذكورة اعلاه بين يدي سعادتكم، فاننا نطلب

بتواضع واحترام ان تتفضلوا بعمل شيء من اجل ابناء هذين الرجلين ، والذين هم في ضيق عظيم ، على أمل أن يستعيدوا أملاكهم في القطيف من سلطان نجد ، واننا واثقون من ان جهودكم ستكلل بالنجاح الكامل .

انا لا نقدّم هذه العريضة نيابة عن انفسنا فقط ، ولكن بالنيابة عن اهل الاحساء والقطيف ، والذين لا يستطيعون الانضمام الينا علناً في عريضتنا هذه خوفا من سلطان نجد .. واننا مرة اخرى نعبّر لكم عن ثقتنا بأن جهود سعادتكم ستعطي الثمار الطيبة»(٥٥) .

لم تبت وزارة شؤون الهند في الأمر ، حيث فوّض الوزير وزارة المستعمرات النظر في القضيّة ، وذلك في السادس والعشرين من ابريل ١٩٢٣ ، وقال انه لا يملك «أيّة معلومات حول الاحداث التي تدعي العريضة انها وقعت» .. ويبدو ان الانجليز لا يقرأون وثائقهم ، خاصة وان الرجل لم يكن مجهولا عندهم .

تجدر الاشارة الى ان الوزير البريطاني «إمري» علّق على العريضة بخط يده في الثلاثين من نفس الشهر قائلا : «اذا كان هناك اي صحّة في هذه العريضة ، فانها تكون حالة من حالات الاضطهاد والتي يمارسها الوهابيون» ! .

مصادرة السلاح والخيول

كما في نجد وسائر أنحاء الجزيرة العربية ، فان اقتناء السلاح وحمله يعتبر عنوانا للرجولة ، ولا تزال هذه الطباع متأصّلة في هذه التجمّعات ، وتعتبر السعودية واحدة من اكثر الدول تشديداً على امتلاك السلاح ، ولكن الشعب يعدّ من اكثر شعوب العالم إقتناءً له ، رغم المخاطر والمحاذير .. وتشير تقديرات لمطلعين سنة ١٩٨٤ ، ان مجموع ما هرّب من بنادق ومسدسات ورشّاشات الى السعودية في ذلك العام يقارب ما استوردته الدولة من الاسلحة الخفيفة للحرس الوطني لنفس المدة .

وقد اعتاد المواطنون وحرصوا على تعليم ابنائهم استخدام السلاح منذ الصغر ، فكان كل بالغ لا بدّ وان يكون لديه سلاحاً ، أما الذي يتزوج وهو لا يملك واحدة منها ، فانه لا يُعدّ رجلاً ، ويعيّر بذلك .. وقد نقل ابن سعود في مطلع العشرينات الميلادية لديكسون ، ان كل شخص في نجد يملك بندقية ، بل وأن الطفل يحمل السلاح ، ولا نعتقد ان ذلك الكلام مبالغ فيه .

غير ان الحكم السعودي ، كان يجد المبرّر دائماً للاستيلاء على أسلحة الشيعة ، رغم ان الملك لم يكن في حاجة ماسّة اليها ، وكانت التبريرات تدور في الغالب حول ان الملك مقبل على معارك ، وبحاجة الى السلاح ، وكذلك الى الخيول .. ويبدو ان ابن سعود كان يخشى من وجود السلاح لدى الشيعة اكثر من حاجته اليه ، والذي عادة ما يمنحه لرجال القبائل بدلا من اعطيات المال ،

الذي لم يكن متوفراً في كثير من الاحيان .. والمدهش ان معظم المصادرات قد تمت بعد احتلال الحجاز وهي الفترة التي كانت فيها معارك الملك جدّ ضئيلة قياسا لما كان يجري سابقا ، ممّا عزّز الانطباع بأن المصادرات كانت ذات أهداف سياسية .

وبالطبع لم تخل عمليّة مصادرات انواع السلاح المختلفة «ميزر ، غتمة ، صمعة» من مصادمات أثناء تفتيش البيوت من اجل الاستيلاء عليها وعلى الخيول .. وكانت مصادرة السلاح أحد أهم أسباب ثورة الشيخ محمد النمر ، وعلّق احد المعاصرين لتلك الاحداث الرهيبة ، بأن الحكومة «لا تريد ان يكون لدينا سكينة بصل» ! . (٥٦)

وهكذا لم تستثن المصادرات شيئاً ابتداء من المنازل والنخيل وانتهاء بالسلاح والخيول ، مرورا بالضرائب المنهكة بمختلف انواعها ، مما جعل الحياة جحيما لا يطاق ، خاصة اذا اضفنا الى كل هذا الاضطهاد العقائدي الذي رافق الابتزاز الاقتصادي .

في نفس الوقت كان آل خليفة في البحرين يسيرون على ذات الطريق الذي عبّده آل سعود .. ويرى احد الباحثين ان أهم سبب لتدهور الزراعة في البحرين - وهذا ينطبق على شرق مملكة آل سعود - ان الاراضي الزراعية صودرت من البحارنة «الشيعة» ، وان آل خليفة استخدموا نظام التوكيل الذي كانت تكمن بداخله المشكلة الاجتماعية .. وينقل عن بلجريف قوله : «ان الارض الزراعية كانت مملوكة قبل مجيء آل خليفة الى البحارنة ، وبعد احتلالهم للجزر ، اعتبروا كل الارض ملكاً لهم عن طريق احتلالها .. وبالتالي فانه يمكن للحاكم المنتصر ان يتصرّف فيها كما يشاء (٥٧) .. ويقول كيلي ان «آل عبد الله - أحد أفرع آل خليفة - طالبوا بحصتهم من القرى في البحرين في منتصف القرن التاسع عشر» (٥٨) .. وأنه منذ احتلال آل خليفة «اعتبرت الارض في العادة ملكا للحاكم ، فهو يأخذ ويعطي ويؤجر ويتصرف فيها كما يرى .. واستيلاء آل خليفة على الارض الزراعية بالذات ، جاء بطبيعة الحال نتيجة لهجرة اصحابها بسبب المضايقات والظلم الذي كان يحيق بهم» ، وحتى «الفئة التي تشبّثت بأرضها الزراعية ، فقد عانت من ارتفاع الضرائب المفروضة على افرادها ، واستئجارهم الأرض الصالحة بإيجارات مرتفعة (٥٩) .

واستمرت الحال حتى عهد قريب ، فخلال حكم الشيخ عيسى بن علي «١٨٦٩ - ١٩٢٣» كان الشيخ «وانطلاقا من المبدأ القائل بأن الارض ملك له ، فانه كثيرا ما كان يعطي أو يبيع أراضي لم يكن يملكها ، وكثيرا ما كان يبيع الأرض مرتين» .. ومن الطبيعي ان سياسة الانجليز العامة ، وهم الحكام الحقيقيون للبحرين «تحبّذ ان تبقى الأرض في يد آل خليفة» (٦٠) .. ذلك ان الانجليز كانوا وعلى الدوام يجدون في الشيعة أخطر عدو ، وكانوا للتو قد قاسوا من شتى

الآلام والمصاعب في العراق منذ احتلالهم له.

وهكذا، وعلى اساس حق المنتصر اصبحت العائلة المالكة في البحرين، وحلفاؤها الآخرين، يمتلكون معظم الثروة والاراضي في الجزيرة «وبذلك تحوّل السكان الأصليّون الى مواطنين من الدرجة الثانية.. وكانت الحكومة الخليفية توزع ما تنهبه من اراضي على القبائل الحليفة كهبة، مما خلق طبقة ملاّك أراض جديدة»، ولذا ايضا «شكّل سكان الريف الشيعة الاصليين أقلّ الطبقات شأنا في المجتمع، وأصبح الناس بسبب سياسة آل خليفة الطائفيّة، يصنّفون على اساس المذهب»(٦١).

وبعد نهب الاراضي، فرض على الشيعة في البحرين، العمل بالسخرة للشيوخ، ونظراً لأن مصادر الرزق كانت محدودة، وخصوصاً للشيعة، ولأنهم في الغوص كانوا يجدون المنافسة، فلم يكن هناك من خيار الاّ ان يتوجهوا للزراعة كمصدر رزق، رغم الضيق والمضايقة، حتى ان عائلة الفلاح كانت تعيش تحت تهديد مستمر بالحرمان حتى من هذا العمل، فكان عدم الأمن مواكباً لها، حتى ان المؤجر كان يفرض في كثير من الأوقات شروطاً لم يكن قد اتفق عليها(٦٢).

ويعترف الانجليز بأن المزارعين «الذين لم تنتزع أراضيهم بالقوة، كانوا يعاقبون بفرض ضرائب مرتفعة عليهم، حتى يضطروا لترك اراضيهم»(٦٣).. وسبق للميجور ديلي، المعتمد البريطاني في البحرين، ان كتب للمقيم في بوشهر في الحادي عشر من ابريل ١٩٢٢ يخبره بأن «الضريبة على النخيل تجمع على نحو تعسّفي، وبحسب الشيوخ الصغار وميلهم للظلم، في المناطق التي تقع تحت نفوذهم، وهذه تجمع عملياً من الشيعة فقط»(٦٤).

ويعزو ديكسون عدم رضا الشيعة في البحرين الى: حرمانهم من تملّك الاراضي، وإلزامهم بتقديم العلف لحيوانات الاسرة الحاكمة مجانا، وتقديم الطعام مجانا لأي شخص عابر حول قريتهم من الاسرة الحاكمة، وخضوعهم للعمل الاجباري - السخرة - متى شاءت الاسرة الحاكمة، وما فرض على كل قرية من تقديم الاسماك والتمور والخضروات الى مطبخ الشيخ الحاكم»!.

وبالطبع فالمسألة ليست إقتصاداً وعلفاً !!، فقد كتب الكابتن براي، في السابع والعشرين من مايو ١٩١٩، وهو في طريقه الى لندن: «هناك - في البحرين - شعور بالضيق تجاهنا، وذلك لأسباب دينية واقتصادية وشخصية ولأمور تتعلق بالحرب.. وهناك فئة كبيرة - وهي الشيعة - معادية للشيخ، وبالتالي فهي معادية لنا (٦٥).

وعلى ذكر العلف، فقد كان هناك شيئا شبيها له في الاحساء، فقد اعتاد ابن جلوي ان يدفع عددا من الماشية والابل الى المزارعين الشيعة لتقديم العلف اليها ومراعاتها، ولم يكن امام هؤلاء غير التسليم، بل ان التقصير قد يؤدي

الى العقاب الشديد .

ينقل احد المعاصرين لتلك الحقبة انه كان لدى عبد الله بن جلوي مجموعة من الأفراس وزّعها على افراد من الشيعة ، وأجبرهم على تقديم العلف اليها ورعايتها ، وكان نصيب أحد كبار قرية «الدالوة» في الاحساء ويدعى السيد هاشم ثلاثة افراس .. وكانت الافراس تستعرض اسبوعيا ليراها «الشيوخ» ويكشفوا عليها .

وصادف ان فرساً كانت ترعى في الحقل ، فأصابتها شوكة أعمت احدى عينيها ، فاستقدم ابن جلوي السيد هاشم وأمر بوخز عينه بشوكة الى ان عميت ، لأنه لم يهتم كثيرا بأفراس الشيوخ (٦٦)! .

الاحتجاج والمقاومة

في بلد كالسعودية ، حيث لا دستور ولا قانون ، وحيث الحكم للمزاج الشخصي الذي يميل الى العنف والقسوة والإيغال في الدماء ، كان صعباً على أبناء الشعب أن يعبّروا عن معارضتهم وامتعاضهم كما يجب ، وقد فضّلت الغالبية المقاومة السلبيّة ــ إن صحّ التعبير ــ ، سواء كان ذلك في الحجاز أو في الأحساء أو حتى في أعماق نجد نفسها .. وبالنسبة للشيعة فقد سلك وجهاؤهم وأعيانهم سبيل الحوار والنقاش والاحتجاج السلمي ، وتحمّلوا عنجهيات السلطة وإداريها المحليين بصبر وأناة ، أملاً في الوصول الى مخارج للأزمة الإقتصاديّة والسياسيّة .. وقد تطوّرت الأمور في بعض الأحيان وتحوّلت الى عصيان شبه مسلّح .

فبين عامي ١٩١٣ ــ ١٩٢٤ م ، كانت الوفود والرسائل تترى على ابن سعود تشكوه سوء الأحوال ، ولكن الملك لم يهتمّ حتى بالردّ ، فكان غارقاً في مجاراة الإخوان ــ حلفائه الجدد ــ الذين شكّلوا جيشه الذي فتح به كل المناطق .. ويبدو أن الشيعة ــ وبعد تجربة هذه السنوات ــ توقّعوا أنّ الأمور ستستمر من سيّء الى أسوء ، فتألّف في القطيف مجلس شعبي سنة ١٩٢٥ ، برئاسة محمد علي بن أحمد الجشّي ، وسكرتاريّة علي بن حسن أبو السعود ، وكان من أعضائه البارزين حسن الشماسي ، وأحمد حسن علي الخنيزي ، ومهدي أحمد الجشّي .. وقد تأسّس المجلس في ظروف بالغة الصعوبة حيث الاستنزاف الاقتصادي المفرط للأهالي في شكل زكوات مضاعفة ، وجهاد مطبوق ، وسُلف غير مستردّة ، ومصادرات جائرة ، وغرامات ظالمة ، نشرت الفقر والجوع بين الأهالي ، وملأت السجون بالعاجزين عن دفع الضرائب .

أمّا هدف المجلس ، فهو الوقوف أمام هذه الأفعال بإرسال الوفود والرسائل مستنكرين ما آلت إليه البلاد ، ومطالبين بإسقاط الضرائب وإطلاق سراح السجناء ، وقد أثمرت جهود المجلس بصورة جزئيّة في القضايا الفرديّة التي تدخّل فيها ، وأطلق سراح بعض السجناء بكفالة أعضاء المجلس ، والتي كانت في الواقع كفالة صوريّة .

لم تمض سوى ثلاث سنوات من عمل المجلس ليتبيّن أن الضغط الذي مارسه الوجهاء لم يكن بالمستوى المطلوب ، الذي يمكن ان يؤثّر على الاوضاع بصورة فعّالة ، فبعد احتلال الحجاز ، وبسبب ضغط الإخوان وثورتهم وإصرارهم على إيذاء الشيعة عقائديّاًوإقتصاديّاً ، حيث تبع ذلك « تجديد » إسلام الشيعة على يد مطاوعة الوهابيّة ، ومصادرة العديد من الأملاك ، والتوسّع في جباية الضرائب ، ومصادرة السلاح والخيل وغير ذلك .

وبدأت المقاومة أولاً برفض دفع الضرائب ، وتمرّدوا على الدولة ، وطردوا مندوبيها الذين كانوا يقومون بجباية الضرائب ، وحملوا السلاح دفاعاً عن النفس ، وكانت كل من مدينة صفوى والعواميّة والقديح وسيهات ومدن وقرى أخرى مركزا لهذا التمرّد .

وفي نفس الوقت ، فرّت جماعات كثيرة من قرى مختلفة الى البحرين ، وهناك اتصل بعضهم بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج عن طريق المعتمد في البحرين بغرض حمايتهم ، وقيل ان بعضهم طلب من المقيم ان يقنع حكومته بالسيطرة على الاحساء والقطيف .

وروى أحد الفارين ان ما لا يقل عن ثلث مدينة صفوى هرب الى البحرين ، وقال آخر ان ما لا يقل عن ١٨٠٠ شخص هربوا أواخر عام ١٣٤٧ هـ من القطيف وحدها ، أمّا الأحساء فكانت أكثر المناطق المهجورة من أهاليها .

في البحرين ، سكن الكثير من أهالي القطيف في حسينية الحاج أحمد بن خميس في قرية (سنابس) ، وصار صاحب الحسينيّة يقدّم لهم كل يوم أكثر من عشرة جوالات من الرز لإطعامهم .. في حين أن أهالي مدينة صفوى تبرّع باستضافتهم عمدة المدينة سلمان بن عبد الهادي ، الذي سافر الى البحرين واتفق مع أحد تجار البحرين ــ يوسف فخرو ــ بأن يهيّىء لهم المسكن والطعام .

من جهتهم ، لم يرحب البريطانيون بالنزوح الجماعي من شيعة الاحساء والقطيف ، وكانوا يميلون بوضوح الى الملك عبد العزيز ، وحاولوا اقناع المواطنين بالعودة الى بلادهم .. وفي الحقيقة كان هناك امر آخر خشي منه الإنجليز .. وهو ان هذا العدد يشكّل عبئا نفسياً وسياسياً على حكم آل خليفة الذين ينتهجون ذات السياسة الطائفية بدعم من الانجليز ، وقد يؤدي وجود الاعداد

الكبيرة الى إثارة المشاكل الكامنة ، ليس فقط ضدّ آل خليفة بل وضدّهم هم أيضاً ، كيف لا ، وهم الحكام الحقيقيون لمستعمرة البحرين .

وللأسف فان موقف الزعامة الدينية التقليدية والتي كانت متمركزة في القلعة ــ عاصمة القطيف ــ ، هي التي أحبطت الانتفاضة المسلّحة التي قادها المرحوم الشيخ محمد النمر ، والذي كان العقل المدبّر لها من معقله في مدينة العوامية .. ورغم ان الانتفاضة شملت كل المناطق تقريبا ، الاّ ان القطيف نفسها وبسبب موقف الزعامات التقليدية لم تتحرك .

ويومها حاصر الثائرون قصر الامارة في القطيف ، كما حوصر الأمير نفسه (محمد بن عبد الرحمن بن سويلم) ، وظلّ الرصاص يلعلع ليلاً نهاراً ، وقد شكّل الثوار قيادة لهم ، وقرّروا إقامة أمارة مستقلّة على غرار امارة الكويت وقطر . غير أنّ الانجليز سارعوا ففرضوا الحصار الاقتصادي على القطيف ، ومنعوا سفن الغوص من الابحار ، واتخذت دارين مقراً لاحدى طائراتهم لتقوم بإلقاء المنشورات الموقّعة من قبل الملك ، والتي تتضمّن تهديد المواطنين من جهة ، ووعدهم بالانصاف من جهة ثانية .

لم يقدّر عدد من زعماء القطيف أبعاد وحجم الانتفاضة المسلّحة ، وراعهم التهديد السعودي بالقتل الذريع لكل من يشارك فيها ، وخافوا من حدوث مجزرة كبيرة ، خاصة وان ابن سويلم استغلّ الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنّة ، واستدعى عدداً من السنّة من أم الساهك ، ودارين ، كما استدعى بعض رجال البدو الذين يقيمون في بيوت الشعر بالمقربة من المدن ، وأسكنهم جميعا في داخل المساجد والحسينيّات في مدينة القلعة وضواحيها ، وأمرهم باطلاق الرصاص في الهواء ليلاً ونهاراً لارهاب الناس ، وان يستعرضوا قوتهم في الشوارع .. كما قام ابن سويلم الذي اتّسم علاجه للمشكلة بالطيش والتهوّر ، باعتقال عوائل وأبناء ــ بل وأخوان وأصدقاء ــ بعض الشخصيات والعمد الذين سافروا الى البحرين .

هنا حاول اولئك الزعماء ثني زعيم الانتفاضة الشيخ محمد النمر مراراً ولكنهم فشلوا .. وينقل أحد المشاركين في تلك الاجتماعات ، ان وجهاء الشيعة في القطيف زاروا النمر في مجلسه بالعوامية وكان محتشداً بالجمهور الحامل للسلاح ، وحاولوا إقناعه بأن الممارسات الخاطئة التي تقوم بها الحكومة ، انّما هي « تصرفات شخصيّة قام بها بعض الموظفين دون علم من المراجع العليا » .. ولكن النمر لم يقتنع ، وخاطب أحدهم : «اذا كنتَ خائفاً على زوجتك (فلانة) ، فبإمكانك ان تأخذها معك الى القطيف » ، وقال لآخر : «ان أسلافكم ومنذ أن سكنوا العوامية لم ينقص من أهلها شيء » .. وهنا خرج أحد أعضاء الوفد ليقول للأهالي بأن من يموت في هذه المعارك ليس شهيداً ، ولأن المعارضة مرتكزة على أساس ديني ،

فقد اضطرّ العديد من الأهالي الى إلقاء السلاح ، خلافا لرغبتهم ، ولرغبة الزعيم النمر ، الذي لم يلبث أن مات مقهوراً بسبب فشل الانتفاضة .

وفي نفس الفترة قام الشيخ علي الخنيزي ــ القاضي الرسمي آنئذ ــ بالكتابة الى الملك عبد العزيز شارحاً له الوضع وخطورته ، ومبيّنا الاسباب والظروف الصعبة التي دفعت الأهالي الى القيام بما قاموا به ، ثم طالبه بإسم وجهاء المنطقة ان يعالج الموقف بحنكة وروية ، محذّرين في نفس الوقت من ممارسات أميره على القطيف محمد إبن سويلم ، وما قد يؤدّي إليه موقفه الطائش من عواقب وخيمة .

لم يكن الملك جاهلاً بما يجري ، فقد شعر بخطورة إنفلات المنطقة من يده في وقت هو أحوج ما يكون اليها ، فهي لاتزال ــ رغم سقمها ومرضها ــ البقرة الحلوب لمعظم إيرادات مملكته ، وابن سعود يعرف بحكم خبرته الطويلة مع بريطانيا ، انها وإنْ وقفت معه هذه المرّة كما في المرات السابقة ، الاّ انّها قد تنتهز الفرصة بما يتناسب ومصالحها ، وقد يعطي وجود المعارضين في البحرين فرصة لذلك .

هنا كتب الملك ردّاً على رسالة الخنيزي مهدّداً ومقترحاً إرسال وفد رفيع المستوى يضمّ حافظ وهبة ومحمد العجاجي وفؤاد حمزة لحلّ الأمر ، وطالب بتهدئة السكان .. وهذا هو نص الرسالة :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، الى جناب الشيخ علي الخنيزي ، والسيد ماجد والسيد حسين (٦٧)، وعبد الله بن نصر ، وعبد الله بن راشد ، ومهدي الجشّي ، وحسن الشماسي ، ومنصور الزاير ، السلام .

وبعد .. تلقينا خبر أهل العوامية . أظنّ أن هذا دبور من أهل القطيف أو فسقة ، لأنّ ممشاهم هالزمان ممشى المغرور . ولكن من عادتنا التروّي في الأمر ، وأيضا ابن سويلم طلبنا في الأمر الفائت أن نتركه . والمسألة الأخيرة كثير كدّرت خاطري ، واحتميت بالفعل اللازم ، وثبت عندي لو أن هالجهال فيهم خير كان سلكوا طريقتكم ، وأخذوا نصائحكم (٦٨) ، موجب أنّي أخبر سيرتكم مع الولاية ، ونصحكم الذي ما يخفى علينا . بموجب ذلك عمدنا الشيخ حافظ وفؤاد حمزة ومحمد العجاجي ، تنظرون أنتم وإيّاهم في المسألة .. إن كان الأمر انه بغير الصورة التي توقعناها ، فأنا مفوضهم في الأمر ، وأنتم محلّ الروح لا بدّ تراجعون في الأمر الذي فيه صلاح للولاية والرعيّة . فان كان الأمر غوغاء وبطر ، فدوى ذلك عندنا ونعرفه إن شاء الله (٦٩) .

المقصود أخبرت الجماعة يعجّلون علي الخبر ، غاية لأنّي علي جناح سفر ، وأيضاً التحيّز ما نحب نتمادى فيه ، إذا ما كان له سنع . إحسموا الأمر وإياهم بما

فيه ان شاء الله صلاح للولاية ، وستر لأهل القطيف ، وإلاّ نُعذر (وربما صحّت الأبدان بالعلل) ، ولا يتحسّف الاّ فاعل السوء . هذا والسلام .

٥٣٠ سنة ١٣٤٨ هـ

(ختم)(٧٠)

وتبع هذا ان جاء الملك عبد العزيز بنفسه الى الجبيل ــ شمال القطيف ــ ، واستدعى أميره عليها وكذلك بعض أعيان القطيف ، واستمع اليهم واستمعوا إليه ، ثم قرّر ان يصدر عفواً عاماً عمّن سافر الى البحرين ، كما أمر بإعادة النظر في مجمل الضرائب ، وأصدر عفواً عن المشاركين في الانتفاضة المسلّحة ، شرط ان يسلّموا السلاح على مراحل الى الحكومة .

وطلب الملك من عُمد المدن والقرى بالسفر الى البحرين لاقناع الهاربين بالعودة ، فرجع بعضهم ورفض البعض الآخر إلاّ اذا ضمنت بريطانيا الاتفاق ، وقد منحت بريطانيا وثائق حماية لبعض الهاربين كضمان لعدم التعرّض اليهم بسوء ، ولكنّه ثبت انها عديمة الجدوى ، حيث كان همّ المعتمد البريطاني في البحرين التخلّص من النازحين بأيّ صورة كانت ، منعاً لتفجّر الاوضاع في البحرين نفسها .

فأمير القطيف الأرعن لم يقم فقط بسجن الذين شملهم العفو من المشاركين في الانتفاضة ، بل وقام بجلدهم امام الملأ العام أيضاً .. وزاد على ذلك أنّ من جاء بمذكرات الحماية تمّ جلده ايضا بـ« خضر » النخيل ، حتى ان بعضهم ماتوا تحت التعذيب ، ومن بينهم المرحوم عبد الرحيم بن أحمد من (أم الحمام) .

وتذكر وثيقة بريطانية أنّه في أوائل ١٩٣٠ (أواخر ١٣٤٨ هـ) كان العديد من السكان في الأحساء قد هربوا الى البحرين في أعقاب «فرض ضرائب منهكة ــ مزعومة عليهم ! ــ ، وبعد أن تمّ ترقيع الأمور وتسويتها بشكل مؤقت ، عاد اللاجئون الى بلادهم ، وكان بعضهم يحمل أوراق هويّة بحرانية مُنحت لمن اعتبر منهم مؤهّلاً للاعتراف به مواطناً بحرانياً . بعد هذا نشأت حالات من سوء المعاملة والمصادرة بالاكراه ، قامت بها السلطات النجديّة للاستيلاء على الهويّات الصادرة في البحرين ، وفي إحدى الحالات قيل أنّ أحد الاشخاص إعتُقل وجُلد لأسباب كاذبة ، وقد تمّ إطلاق سراح هذا الشخص نتيجة نشاط محلّي ــ أي بناء على نشاط من قبل الأهالي ــ » . (٧١)

وبالطبع هناك قسم ثالث رفض العودة لعدم ثقته بوعود الملك وبوعود الانجليز ، وفضّل البقاء في البحرين ، منهم على سبيل المثال محمد بن صالح عجاج (صفوى) ، والذي توفي في البحرين عام ١٩٨٦ وأقيمت له الفاتحة في حسينية المهديّة في مسقط رأسه .

ومن بين من رفض العودة من نفس المدينة ، علي محمد قريش ، وسلمان بن أحمد قريش ، وعبد الله بن عبد اللطيف ــ ابن عم التاجر المعروف المرحوم علي لطيف .. ومنهم أشخاص من آل فريد وآل مؤمن .. وبقي من القطيف كثيرون في البحرين من عائلة الجشي والشمّاسي ، وغيرهما من الأسر المشهورة .

وردّاً على عنجهيّة أمير القطيف ابن سويلم ، والتي واجه بها الأهالي .. سافر وفد من أهالي القطيف ضمّ فيمن ضم : حسين بن علي بن سلمان الفرج ، وأمين بن علي بن ناصر النمر ، وعلي بن حسن الزاهر ، وكلهم من العوامية .. كما سافرت وفود أخرى من القطيف هدفها الضغط على الملك لعزل أميره محمد بن سويلم .. فأمر الملك رغبة في إستباب الوضع ان يقيل أميره على القطيف ، وأن يصدر عفواً عامّاً عن السجناء .. وهكذا انتهت الانتفاضة ولم تحقّق الاّ أمراً واحداً : هو تخفيف الضغط الضرائبي الرهيب الذي تحمّله الأهالي لعقود طويلة من الزمن .

الحصار الإقتصادي للكويت (١٩٢١ ــ ١٩٤١)

إن أغلب البضائع القادمة لمملكة إبن سعود تأتي عن طريق البحرين والكويت ، وكانت الكويت تفرض على صادراتها لنجد ضريبة مقدارها ٤٪ ، وعلى البضائع العابرة ــ الترانزيت ــ الى نجد ٢,٥٪ (٧٢) .. أمّا البحرين فكانت تفرض ١٠٪ على بضائعها المصدرة لمينائي القطيف والعقير أيّام العهد التركي ، وحين إحتلّ إبن سعود الأحساء ، فإن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أعاد الضريبة كما كانت سابقاً لتصل في أقصى الأحوال ٥٪ ، فكانت في الواقع بين ٢ ــ ٥٪ .. أمّا البضائع المعاد تصديرها ، فإنّها لم تزد عن ٢٪ . وكان تخفيض الضريبة «مساعدة من الشيخ عيسى لإبن سعود» ، ومع هذا فإن الأخير وجد أن الضريبة كبيرة ، فأراد في الظاهر أن يخفّف على التجار السعوديين على حساب عيسى بن علي ، فطلب من الميجور ديكسون أن يقنع الشيخ عيسى بأن يخفّض الضريبة الى ٢,٥٪ (٧٣) . فاذا ما خفّض شيخ البحرين الضريبة ، فإنها ستذهب تلقائيا لجيب إبن سعود ، وليس الى المستهلك أو التاجر .

على أن من المهم الإشارة الى انه بعد سقوط الأحساء واستقرار حكمه فيها ، فكّر إبن سعود بإنعاش الموانىء في القطيف والعقير والجبيل ، وكانت الحجّة أن الكويت والبحرين تتسلمان ضرائب كبيرة ، وأنّه سيبني ميناء الجبيل في عمق جيّد من أجل زيادة ضرائبه (٧٤) . وتأزّم الموقف بين إبن سعود والشيخ عيسى لأنّ الأخير لم يعف بضائع الملك الخاصّة من الضرائب ، ولأنّ ابن سعود كان يريد

إلغاء ضرائب الترانزيت ،وهذا جعل فؤاد حمزة يهدّد بإنشاء ميناء رأس تنورة كعقاب ، واشتكى إبن سعود لدى المقيم في بوشهر (بيسكو) من هذه الضرائب (٧٥) .

وأمام إصرار الشيخ عيسى ، بدأ إبن سعود بالتدخل في شئون البحرين ، واستغلّ فيما بعد مشكلة الدواسر وتعدياتهم ضدّ الغالبية السكانيّة في الجزيرة .. وحتى ذلك الحين كان لدى وزارة المستعمرات البريطانية أوراق ضغط عديدة منها راتب الدعم الذي لم ينقطع بعد ، ومنها خنق موانىء إبن سعود بمنع وصول السفن المحمّلة بالبضائع الى موانئه .. لكنن وزارة الهند رأت أن تدخّل ابن سعود في شئون البحرين إنّما يرجع أساساً الى تأزّمه المالي وحاجته الى موانىء بلاده .. واقترحت ان تخطر شركات البواخر البريطانية باتخاذ ميناء القطيف مركزاً لها ، وإنْ كان ذلك سيؤثر على مصالح الكويت والبحرين (٧٦) .

وأخيرا وبضغط بريطاني قوي ، وافق الشيخ عيسى في مارس ١٩٣٥ على إعفاء بضائع الملك من الضرائب ، وعلى إلغاء الضرائب التي لا تطأ برّ البحرين ، أمّا التي يعاد تصديرها بعد نزولها البرّ ، فلا تزيد ضريبتها عن ٢٪ ، ثم عاد الملك وطالب بتخفيض نسبي في ضرائب الترانزيت ، وأن يؤخذ بنظام المانفيست (٧٧) .

هذا بالنسبة للبحرين ، أمّا الكويت فمشاكلها كانت أكبر ، ووقعها على المواطنين أشدّ .. فالعلاقات السعودية ــ الكويتية توترت بشدّة أواخر عهد مبارك الصباح ، وقيل ان ما منع الحرب بين البلدين هو موت مبارك نفسه .. ولمّا تولّى سالم الصباح الحكم ، تفاقمت الأمور لأسباب مذهبيّة واقتصادية وحدوديّة .. فالمعروف عن سالم أنه كان يكره الوهابيين وتعصّبهم ، وكان أكثر إلتزاماً من أبيه ، وشهد أكثر من مؤرخ له بالحميّة الدينيّة ، وفي عهده نشأ الخلاف حول قرية ودوحة بلبول واللتان ترى الكويت ان حدودها تنتهي عندهما ، بينما إعتبرها إبن سعود «من أراضي القطيف» ، وأسرع فابتنى فيها هجرة لقبيلة مطير سنة ١٩١٩ م ، ثم جاءت معارك حمض والجهراء سنة ١٩٢٠ بين البلدين ، حيث حوصرت القوات الكويتية في القصر الأحمر ، وعرض فيصل الدويش شروطاً للصلح أولها : ترحيل الشيعة من الكويت ، والعودة الى الاسلام ، وترك التدخين ، وتكفير الترك ، رغم إنهزام الإمبراطورية العثمانية وانتهائها ، وهدم المستشفى الاميركي ، وإخراج القنصل البريطاني .. وبعد إتصالات بين الانجليز وسالم الصباح دامت ثلاثة أيّام ، وافقت بريطانيا على إرسال قوات بحريّة وجويّة لحماية الكويت .

وقبل ان يوافق بيرسي كوكس في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٢ على إعطاء ثلثي الكويت لإبن سعود ، كتب الأخير رسالة الى الشيخ أحمد الجابر سنة ١٩٢١ (رجب ١٣٤٠ هـ) موضحا عزمه على منع رعاياه وقبائله من (مسابلة) الكويت

وصرفهم الى مسابلة موانئه التابعة له في الأحساء ، وأشار الى اضطراره لهذا الأمر ، وأنّه لن يتنازل عن عزمه الاّ اذا وافق شيخ الكويت على إستقبال موظفين يجبون الضرائب على البضائع المصدرة لبلاده ، وخيّر الشيخ بين ثلاثة أمور : أن يعيّن موظفين سعوديين يعملون لحساب إبن سعود يجبون الضرائب له ، أو أن يدفع من خزينته مقابل قيمة الرسوم ، أو أن يتم تعيين موظفين من عنده لجبي الضريبة (٧٨) .

وواضح أن طلبات إبن سعود غير منطقيّة ، الاّ اذا كانت الكويت جزءا من مملكة إبن سعود ، وقد رفضها شيخ الكويت حماية لمصالح بلاده ، في حين اختلف تجار الكويت حول الأمر ــ وإنْ كانت الأكثريّة لم تشأ أن تفتح الكويت للأخوان لأنهم سيشيعون الفوضى والاضطراب ، وكانت هذه الأكثريّة تخشى ان يكون هدفه أبعد من الرسومات(٧٩) .

أمّا خلفيّة القرار ، فانّ أحد التجار من آل القصيبي إلتزم بجمرك الأحساء ، مقابل دفع مبلغ للملك يقدر بـ ٧٢ ألف جنيه سنوياً ، شرط ان يمنع التجارة مع الكويت ، فأجيب طلبه . وكان لأسرة القصيبي الأثر الأكبر في الضغوط على إبن سعود للتشدّد في سياسة الحصار الاقتصادي مقابل تحويل التعامل التجاري الى موانىء المنطقة لصالحها .

وواضح ان سياسة الحصار للكويت ذات تأثير سلبي على الطرفين ، ولكن إبن سعود المندفع لتحقيق مصالحه الشخصيّة ، لم يهتم بما يجري من بلاء على مواطنيه ولا الى ما يصابون به من بوار ، فالملك لم يكن يعنيه إنعاش الموانىء وإنّما خزينته ، ولربما قيل أن حركة التجارة قد تضاعفت ، ولكن ضريبة الملك تضاعفت في الحقيقة حتى وصلت السلع في أسعارها الى أربعة أضعاف ما كانت عليه . ومن الطبيعي أن أمر ابن سعود البات بمنع التعامل ، وحتى مجرّد زيارة الكويت ، وتهديده بقمع المخالفين ، ومصادرة بضائعهم .. قد سبّب إستياءا شديداً لدى جميع الرعايا ، بل «أن التجار النجديين كانوا هم الذين يخترقون أنظمة إبن سعود وعامله عبد الله جلوي» . ويشار هنا الى أن الحصار أدّى الى أن «طفرت الزيادة في إيرادات جمارك الأحساء في القطيف والجبيل ودارين الى عشرة أضعافها ، وبلغ الأمر بعبد الله بن جلوي عامل ابن سعود في الأحساء ، أنه كان يرسل فِرَقاً مسلّحة من رجاله الى الجهرء وغيرها من المقاطعات الكويتية لمصادرة قوافل التجارة النجدية» (٨٠) .. وكان لطفرة إيرادات الجمارك الى عشرة أضعافها دور كبير في تعنّت ابن سعود ، فحين أرسل حاكم الكويت ولي عهده عبد الله السالم لمفاوضة ابن سعود ، أصرّ الأخير على أن يحصل على نصف رسوم الجمارك الكويتية .. بل أن فيلبي الذي يعبّر في مواقفه وتصرفاته عن رأي ابن

سعود أعلنها صراحة في لندن حين التقى بديكسون في اكتوبر ١٩٣٢ ، بأن من السخف أن يظن بأن إبن سعود سيرفع الحصار ، وان الملك لن يتزحزح قيد أنملة إلاّ اذا وافق حاكم الكويت بأن تكون إمارته تحت السيادة السعودية (٨١) .

وحتى الإخوان ــ جيش التوحيد ! ــ كانوا من أشدّ معارضي سياسة فرض الحصار ، ومعلوم ما قاله الزعيم الإخواني فيصل الدويش للملك : اذا كان الكويتيون مسلمين فلماذا نقاطعهم ، واذا كانوا كفاراً فلماذا لا نحاربهم ؟ .. كما رفض الإخوان إقامة مراكز حدودية في هجرهم ، ولمّا اندلعت ثورتهم أصبح ابن سعود أقلّ ميلاً في فرضها عليهم تهدئة لثائرتهم ، ولكن وبمجرد أن هزمهم تحوّلت هجرة قرية العليا الى مركز جمركي بين الكويت ونجد .

لم يكتف ابن سعود بهذا فحسب ، فبعد أقل من عامين ، وطمعاً في زيادة الايرادات ، أبلغ حاكم الكويت في رمضان ١٣٤١ هـ ، أنه سيضع رسماً على سفن الغواصين الذين ترسو سفنهم في القطيف ودارين والجبيل ، ففاوض الأمير الكويتي أصحاب الغوص ، ووجد أنهم لم يهتموا بالأمر لأنّهم ليسوا مضطرّين للنزول .. وقد أطلق ابن سعود على ضريبته هذه اسم «المطرحانية» ، وكانت تشكّل عبئاً كبيراً على من يضطر لدفعها ، إذ بلغت مائة روبية هندية على كل سفينة كويتية ، كما أنها لم تقتصر على السفن القادمة لموانىء ابن سعود ، بل تعدتها الى الموانىء الداخلة ضمن الحدود الكويتية ، إذ كان محصّلو هذه الضريبة من السعوديين يصلون الى رأس مشعاب ، الذي أصبح في الوقت الحالي تابعاً للمملكة السعودية .. كما فرضت المطرحانية على الطواشين (تجار اللؤلؤ) والغواصين ، الأمر الذي أدّى الى انقطاع السفن الكويتية عن المجيء الى موانىء الحاكم السعودي ، فألغاها في العام التالي(٨٢) .

وغني عن القول بأن تشدّد ابن سعود في الضرائب على غير رعاياه ، هو أقلّ بكثير مما كان يجريه على رعاياه أنفسهم .

وجرت محاولات عديدة لفكّ الحصار فشلت أمام إصرار الحاكم السعودي .. وفي فبراير ١٩٣٢ التقى المقيم البريطاني في بوشهر ــ الكولونيل بيسكو ــ مع إبن سعود في العقير ، وناقشا مسألة الحصار ، فأوضح المقيم بأن الوضع الاقتصادي في الكويت كاد يصل الى دمار شامل ، وان عائدات الجمارك انخفضت من ٨ الى ٢ لاكه سنويا ، وهنا ابدى ابن سعود «شدّة احتياجه للمال على الرغم من أنه يقتصد في نفقاته ونفقات أسرته التي لا يسمح لها الاّ بمخصصات ضئيلة .. وأقسم أنه لا يملك مالاً كافياً لطعامه أو ملابسه» (٨٣)! .

وفشلت محاولة أخرى لحلّ الأزمة في يوليو ١٩٣٢ ، حينما زار الأمير فيصل وفؤاد حمزة الكويت ، ولم يمض سوى شهر ونصف على الزيارة ، حتى زادت

إجراءات التشديد أثناء ثورة إبن رفادة ، ووصلت قوات عسكرية من ابن جلوي الى قرية العليا لمطاردة القبائل المتجهة للكويت (٨٤) . وفي نفس العام اقترح شيخ الكويت إعتماد نظام المانيفست ، وحينها سيصبح من السهولة على حاكم الرياض جباية الضريبة من القوافل النجدية حينما تعود من الكويت ، ولكن ابن سعود رفض الأمر ،وهذا دعا المقيم أن يطلب من وزارة المستعمرات ان تضغط بحصار موانيء ابن سعود ، ومنع السفن التجارية من دخولها والتوقف فيها .

عادت الأمور وتأزّمت من جديد حينما أعاد ابن سعود عام ١٩٣٣ الضرائب المفروضة على سفن الغوص الكويتية ، وظهرت منه عدّة تصريحات يبين فيها عزمه على إلحاق ضربة إقتصادية بالكويت معتمداً في ذلك على رعاياه من النجديين المقيمين فيها . وأعلن صراحة أنه بدأ حصاره التجاري بهدف تحطيم الكويت «ولكنها لازالت قائمة رغم الإعياء الشديد .. وهو لذلك سيتخذ الوسائل اللازمة لارغام الكويت وشيخها على الخضوع لسيادته» (٨٥) .. ومن جانبه فان شيخ الكويت أبلغ المعتمد البريطاني لديه (ديكسون) ، أنه حينما يموت إبن سعود ، فسيضع يده على جميع الجزء الشمالي الشرقي من الأحساء حتى دوحة بلبول ، وان ابن سعود وحتى لو مكّن للاميركيين في هذه الجهات ، فانه ــ أي شيخ الكويت ــ سيطردهم منها» (٨٦) !.

وكان من رأي ديكسون : ان حكام الكويت عمدوا الى تخفيض الضرائب التي يتحصلون عليها لتشجيع حركة التجارة في بلادهم ، إذ أنهم لا يفرضون اكثر من ٤٪ ، حتى لا تتحول التجارة عن موانئهم ، كما يفعل ابن سعود في الموانيء التي خضعت لسيطرته على سواحل الأحساء . وأشار ديكسون الى أن أي شخص لديه إلمام بالظروف المحلية يعرف جيداً أن استمرار الحصار السعودي للكويت سيكون اكثر قبولاً لتجار الكويت من إذعانهم لمطالب ابن سعود الخاصة باحكام سيطرته على الكويت ، إذ ان هؤلاء التجار ــ تحت نظام الحصار السعودي القائم ــ في إمكانهم رغم ذلك ممارسة نشاطات تجارية ، حتى لو تحولت هذه النشاطات الى تجارة للتهريب ، ولكنهم سيفقدون هذه التجارة من أساسها وستتعرض مصالحهم للضياع تماماً في حالة خضوع الكويت للسيطرة السعودية المباشرة(٨٧) .

مهما تكن الحال ، فان ابن سعود بقي على إصراره حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وتدفق المساعدات البريطانية والاميركية .. ويومها بدأ الوضع الاقتصادي يختلف بشكل كلّي عن وضعه التقليدي السابق ، وحينها فكّ الحصار الذي لم يكن يعني شيئاً في ذلك الوقت ، فقد استُنفذت أغراضه حتى النهاية عام ١٩٤٢ م .

أزمات تتابع

مع نهاية العشرينات الميلادية ، بدأت ملامح الأزمة الأقتصادية والكساد العالميين تلقي بظلالها السوداء على مختلف بلدان العالم .. وبالنسبة لمملكة إبن سعود ، فان هذه الأزمة قد نقلتها الى مدارج الافلاس التام ، ساعدها على ذلك الاضطرابات السياسية التي لم تشهد البلاد ــ وحتى ذلك التاريخ ــ مثيلاً لها ، إضافة الى سوء الادارة وتفشي الفساد والرشوة ، وإنهيار العديد من أعمدة الدخل الرئيسية .

فبين عامي ١٩٢٨ ــ ١٩٣٣ وهي سني الأزمة الأقتصادية العالمية ، وقعت ثورة الإخوان ، وثورة النمر في القطيف ، وثورة إبن رفادة شمالي الحجاز ، كما قامت الحرب السعودية اليمنية حول نجران وعسير ، وانهارت مهنة صيد اللؤلؤ بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي ، وانخفض عدد الحجاج الذين كانت ضرائبهم ــ ومنذ احتلال الحجاز سنة ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ــ تنعش خزينة الملك ، بعد إلغاء راتب الدعم البريطاني عنه .. الى غير ذلك من المشاكل الاقتصادية .

وأدّى انهيار أسعار اللؤلؤ عام ١٩٢٨ الى تسديد ضربة قاصمة للنشاط الاقتصادي في المنطقة ، فمحصول اللؤلؤ كان يدرّ حوالي أربعة ملايين وستمائة ألف روبية سنوياً ، وكان هذا الدخل يغري المزارعين في المواسم الى العمل في الغوص ، مما يسبب أزمة في الأيدي العاملة . ويصور الاستاذ محمد سعيد المسلم (٨٨) الحالة قبل الكساد وبعده بقوله ان تجارة اللؤلؤ كانت نشطة ، وكان التجار يحصلون على أرباح خيالية منها ، ويؤلفون الطبقة الرأسمالية في البلاد .. فهم الذين يزودون الطبقة العاملة في الغوص بالمال والمؤونة ، وهم الذين يبتاعون محصولهم من اللؤلؤ ، وهم الذين يصدرونه الى الهند فيعودون بالمال الوفير معبّأ في صناديق وكأنه بضاعة مستوردة .. ولكن القدر نكبهم حينما نشطت زراعة اللؤلؤ الصناعي في اليابان ، فقضي عليهم قضاءً مبرماً وأصبح أغلبهم غارقاً في الديون لا يملك شروى نقير ، كما قضي بالتالي على هذا المورد الاقتصادي الهام ، وأصبحت الطبقة العاملة في الغوص والتي كانت ترفل في بحبوحة من الرخاء طبقة معدمة بائسة (٨٩).

لقد كانت البلاد تعيش طوال سني حكم الملك ابن سعود حالة من الفقر المدقع ، ولم تكن المشاكل الأقتصادية العالمية ذات أثر قليل على الغالبية من السكان الذين كانوا لا يملكون قوت يومهم .. والحقيقة ان منطقة من المناطق لم تسلم من انهيار البلاد الاقتصادي ، حتى نجد ، المنطقة المدلّلة بالنسبة للحكم السعودي ــ . وقد

كان الاستياء فيما سبق يعمّ مناطق الشيعة وحدها ، ولكن مع بداية الثلاثينات لم تكن هناك منطقة الاّ وكانت تعيش تململاً واضطراباً بسبب سوء الأحوال .

في عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ ، لم تظهر بعد آثار المشاكل في الحجاز ونجد ، فلازال الحجاج يتدفقون ، ولازالت مناطق الشرق قابلة للعصر والابتزاز .. وقد قدّرت ضرائب الملك الإجمالية سنة ١٩٢٧ بمليون ونصف المليون من الجنيهات الاسترلينية ، كان نصفها تقريباً قد جاء من الأحساء والقطيف .

غير أنه وفي العام التالي ، بدأت ثورة القبائل الإخوانية بالاتساع والتمدّد ، وراحت تنهب وتهاجم القبائل القاطنة على الحدود العراقية والكويتية ، وانضمّ اليها الكثيرون بهدف الحصول على الغنائم من (الكفار والمشركين !) .. أمّا ابن سعود ، ومنعاً لتسرّب قواته ، فقد كان لزاماً عليه ان يجد المال لإبقائها موالية ، وليس هناك غير الحضر ــ وبالأخصّ الشيعة ــ . ولمّا لم يكف ذلك كان على الإنجليز تقديم الدعم ، والاّ إنفلتت القبائل من عقالها ، وهاجمت العراق والكويت وشرقي الاردن . وهكذا أعطي ابن سعود السلاح والمال ، وحتى الطائرات بغرض قمع الاخوان .

وباستسلام قادة الاخوان ، بعد إفناء قواتهم وسجن زعمائهم ، سيقت القبائل الهاربة باتجاه الحدود النجدية من قبل القوات البريطانية ، وقد استخدمت وثيقة انجليزية كلمة «سوقها» كما تساق القطعان الى منطقة المناقيش بالقرب من الكويت وسلّمت لإبن سعود . ومع أن الغالبية العظمى كانوا من النسوة والصبية ، فقد قتل العديد منهم وصودرت أملاكهم ، حيث أمر هؤلاء باخراج ما بحوزتهم من حيوانات فبلغت عدّة آلاف من الجمال .. «ثم طوّق رجال ابن سعود ما تبقّى من قطعان المتمردين ، وفحصت بشكل دقيق ، ثم تمّت مصادرة كل الجمال الصالح للركوب ، وأمروا بتسليم كلّ ما لديهم من خيل وصودر السلاح .. وجُمعت من القبائل بصفة غرامة وعقاب ما يزيد على الألفين والستمائة منها . وبناء على هذه الأرقام يكون ابن سعود قد استولى على ثلثي الجمال التي كانت بحوزة القبائل الهاربة والعائدة من الكويت ، وبما ان الحيوانات المصادرة كانت الأعظم قيمة ، فمن المحتمل ان تكون القيمة النقدية التي صودرت منها تعادل قيمة ثلاثة أرباع قطعانها .. وبهذا فقد عطّلت قدرة القبائل على الحركة نهائيا . أمّا قطيع الدويش ــ قائد الاخوان ــ المشهور من الجمال السوداء المعروفة بـ (الشرف) والتي كانت تشكّل نقطة التجمّع الرئيسيّة لقبيلة مطير أثناء الحرب ، فقد استولى ابن سعود على حوالي مائة جملٍ منها ، أهداها لإبنه محمد ، ولم يبق منها لدى الدوشان سوى عشرين منها» (٩٠) .

وعاد ابن سعود في فبراير ١٩٣٠ وصادر ١٧٠٠ جمل من هجرة (قرية) شمالي القطيف ، والتي سكنتها بعض أفرع مطير .. وزاد على ذلك ان ابن سعود

(صادر !) زوجة أحد الزعماء «فكآخر علامة من علامات الانتصار ، تزوّج ابن سعود في قرية ، زوجة المرحوم عزيّز ابن فيصل الدويش الذي قتل قبل ستة أشهر من ذلك التاريخ . ويبدو أن أخذ زوجة العدو هي عادة يمارسها ابن سعود لأنّه بعد استيلائه على حائل أخذ زوجة ابن رشيد بنفس الطريقة (٩١) .. وكما أخذ الحاكم السعودي وأخوه زوجات عزيّز ، أخذ وتزوج في ذات الفترة أختين لخالد بن محمد السمحان ، وهو لاجيء في بغداد ، ولما جاء والد زوجة فهد بن حثلين لاعادة عائلة ابنه فهد ، وهو أحد قيادات التمرد ، والمكونة من شقيقته ووالدته وطفله ، رفضت السيدتان العودة ، ونصبتا خيامهما قرب آبار الشاميّة خارج الكويت (٩٢) .

وهكذا اصبحت القبائل مهيضة الجناح بعد هزيمة الإخوان ، غير قادرة على الاحتجاج او إعلان التذمّر .. فبعد بضعة اشهر من الهزيمة ، قام الشيخ ابن مقراد زعيم فرع (المحفوظ) من قبيلة العجمان بجمع الزكاة من أبناء قبيلته بناء على أوامر عبد الله بن جلوي ، فتمّ جمع الزكاة بنجاح تام ، أي بدون مشاكل ، وحاول ابن مقراد إقناع قادة العجمان بملاقاة ابن جلوي في الهفوف الاّ أنهم رفضوا خشية القتل (٩٣) .

خلال هذه الفترة لم يبد تحسّن في معاملة الشيعة بعد الإتفاق الذي عقده حافظ وهبة وفؤاد حمزة مع أعيانهم في أعقاب انتفاضة الشيخ محمد النمر .. فكتب مجموعة من الوجهاء الى الملك في ١٥ رمضان سنة ١٣٥٠ هـ / أوائل سنة ١٩٣١م ، يشكونه سوء الأحوال ، فردّ عليهم بأنه فهم الأمر وليس بإمكانه عمل شيء .. وهذا نص جوابه :

«عدد ٧٦٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، الى جناب المكرم عبدالله بن نصر الله ، وعبد الله بن حسين بن نصر .. أهل سيهات ، وأحمد بن حسين الفرج .. أهل العوامية ، سلّمهم الله تعالى .

السلام عليكم ، ثم وصلت عريضتكم المؤرخة في ١٩ شهر رمضان سنة ١٣٥٠ ، واطلعنا عليها ، وما ذكرتم عن الاحوال عندكم فهمناه ، ونحن يهمّنا جداً النظر في أحوالكم وما يصلحها ، وهذا شيء جاعلينه على البال ، ولكن هذا الوقت لا يمكننا عمل شيء ....(٩٤) أحوال الوقت كما ترون على الناس عامة ، ولا بدّ ان شاء الله بالوقت المناسب ننظر في أحوالكم جميعها ويكون ما فيه الخير وراحة للجميع . ان شاء الله نرجو الله يقدر ما فيه الخير وحسن العاقبة . هذا ما لزم بيانه والسلام . ٢١ شهر رمضان سنة ١٣٥٠ هـ» .

استفحلت الأزمة الأقتصادية عام ١٩٣١ ، وتزايدت التقارير التي تتحدث عن

روح قلقة ثائرة شمال الحجاز وحائل ، اضافة الى جدّة ومكّة المكرمة والمدينة المنورة ، وعدّ البريطانيون هذه المدن مراكز محتملة ومهيّأة للثورة ، لأسباب دينيّة واقتصادية .. «فابن سعود بنظر وهابيي المدرسة القديمة ليس متطرّفاً بما فيه الكفاية ، وهو مفرط بالغلو الوهابي بنظر الحجازيين وغالبية المسلمين الذين يؤمّون الحجاز للحج ، وان تدنيس الأضرحة والمقامات وانتهاك قدسيتها منذ الغزو الوهابي ، هو مصدر شعور عارم بالغضب» (٩٥) .

أمّا الضائقة الاقتصادية فلم تفلت الحجاز من آثارها العالمية ، حيث انخفض عدد الحجاج عام ١٩٣١ الى أقل من نصفهم عن العام الذي سبقه ، بحيث لا يمكن للملك بأن يستوفي ضرائب اضافية من مواطنيه المدقعين ، تعادل ما كان يقبضه من ضرائب الحجاج .. ومشكلة الملك انه كان يصرف أكثر ممّا يأتيه من دخل ، «فهو وعائلته مبذّرون مسرفون ، مما يسبّب الكثير من التعليقات المضادّة . وقد علّق أحد الحجاج على سوء الإضاءة في مكة وقارنها بأجهزة الإضاءة في القصور الملكية ، وتساءل عن المستند الشرعي الذي يسوغ للملك بأن يتقاضى للاغراض المتفرقة ولسداد نفقات الدولة ، أموالاً يأتي بها المسلمون لأداء واجب ديني هو الحج . ان البذخ والاسراف الملكي في مجال الانفاق الشخصي كان يمكن أن يمرّ بدون ملاحظة ، لولا ان الطلبات الملكيّة للاغراض الأخرى هي من الضخامة بحيث تستنزف كل مورد» (٩٦) .

ونتذكّر هنا ان هذا الاسراف كان قبل ظهور النفط ، فما كان يؤخذ من المواطنين بالقسر والجبر والاكراه ، ينفق على العائلة المالكة وحاشيتها ، وبدل ان تذهب الضرائب المفروضة على الحجاج لتعمير الأماكن المقدسة ، كانت تصرف على الملذات واللهو . على ان هذه الضرائب كانت تلقى الكثير من التذمّر من حجاج كانوا يجمعون بعض المال لعشرات السنين من اجل أداء الفريضة ، فيأخذها ابن سعود بحجة او بأخرى .. وكان تذمّر الحجاج الشيعة أكبر ، ذلك ان التمييز الطائفي فرض عليهم ان يدفعوا أكثر من غيرهم بمقدار سبع روبيات ، وهو مبلغ كبير بحساب ذلك الوقت ، وبلحاظ فقر هؤلاء الساحق . وقد اشتكى أحد القضاة الشيعة الهنود واسمه (إسحار حسين) من أن الحكومة السعودية تتقاضى مبلغ سبع روبيات إضافية من كل حاج شيعي بحجّة «أننا بحاجة الى حماية أكبر . فاذا كانت مثل هذه الحماية ضرورية نتيجة سلوكنا وتصرفاتنا ، فانه من الممكن تبريرها .. أمّا اذا كانت الحاجة اليها تنبع من تعصّب وتحامل الطائفة الوهابيّة الأخرى ، فان تلك الطائفة وليس الشيعة هي التي يجب ان تفرض عليها الغرامات» (٩٧) .

وأعدّ نائب مساعد القنصل البريطاني في جدة إحسان الله ، وهو هندي ، تقريراً

مخابراتياً عن الأوضاع في مكة قال فيه : أن حالة الضيق النفسي بادية على محيّا السكان «يزيد في حدّتها فرض الضرائب الإضافية على الحجاج ، مما أدّى الى تقلّص أعدادهم فتأثرت حركة السوق ، وحُرم الناس من مداخيلهم .. وبقدر ما فان كل شخص في مكة يعتمد بصورة مباشرة أم غير مباشرة على الحج كوسيلة من وسائل حياته وإعالته ، وقد وُضع الناس في حالة من المصاعب الى الحدّ الذي دفعهم للحقد بسبب نهب أموال الحجاز وإرسالها الى نجد» . وقال مساعد نائب القنصل «أن هذه المشكلة الاقتصادية الحادّة والمأساوية استحوذت على كل انتباه السكان .. وان ابن سعود وبدلاً من التعاطف مع رعاياه وإيجاد وسائل لتحسين أحوالهم ، راح يجرح مشاعرهم عن طريق إحياء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٩٨) .

«أمّا التبغ والسجائر التي تفرض عليها الحكومة الوهابية رسوماً جمركية باهظة ، فهي مصدر مشكلة أخرى يعاني منها أصحاب المحلات وزبائنهم ، فما أن يعثر على هؤلاء يشترون او يبيعون هذه البضائع المحرّمة ، حتى يقعوا ضحية الغضب النجدي والاهانة والتحقير . من الصعب فهم المنطق الوهابي ، وما يقولونه عن مبدئهم الغريب هذا .. من الغريب المدهش انك تلاحظ أنهم في حين يمنعون بيع التبغ في الحجاز ، فانهم لا يترددون من ناحية اخرى في جني الأرباح والعائدات من الضرائب المفروضة عليه ، ثم يعرّضون المشتغلين في هذه التجارة القانونية لمعاناة التحقير والإهانة» (٩٩) .

وقال إحسان الله بأن الظلم والطغيان والاضطهاد لا يعرف حدوداً وفي كل اتجاه ، وان افراد الشعب بدأوا بالنشاطات السرية ، وقدّم نموذجاً من المنشورات التي وزّعت في مكّة قائلاً بأن غضب واستياء الشعب قد بلغ أقصى مداه ، وأن كل الحجازيين ــ البدو والحضر ــ هائجون بغضبة عارمة ، وان شرارة صغيرة واحدة قد تسبب حريقاً هائلاً .

وكتب الوزير المفوض لبريطانيا في جدّة ، السير أندرو رايان ، الى السير جون سيمون في خارجية لندن في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٣١ ، تقريرا عن الوضع السياسي في مملكة ابن سعود ، قائلا بان الأخير وجّه نداءا قويا في يونيو ١٩٣١ الى السلطات البريطانية ، حاثًا إيّاها بأن تشجّع أحد البنوك البريطانية لمنحه مساعدات مالية ، وقد طرق الملك أبواباً أوروبيّة أخرى بما فيها المانيا والاتحاد السوفياتي وهولندا ، وقد تأكّد الملك أن بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى ـ عدا الاتحاد السوفيتي ــ لن تبدي أية استعداد لمساعدته ، وقد فشل تسوله ــ كما تقول الوثيقة البريطانية ــ لبناء قوة جويّة له (١٠٠)

وقال رايان ، بأن المدن لها من أسباب التذمّر ما يكفي ويزيد ، وكذلك القبائل

التي بدأت تعبّر عن استيائها وعدم رضاها ، بل أن سيطرة ابن سعود على نجد ليست كما كانت في الماضي ، وهي المنطقة التي يحكمها بسخاء شديد . وقد بدأ السخط والإستياء يعمّها ، وهناك روايات مؤكّدة عن حالات سخط «بسبب الضرائب الاضطهادية الباهظة والمرهقة ، وبسبب عدم دفع رواتب الجنود النجديين العاملين في المناطق الاخرى كتبوك ، وايضا بسبب فرض الأتاوات العينية على التجار ، ومحاولة فرض استخدام الريال الحجازي غير المحبوب للتداول . وأخيرا بسبب ما سمّي بالاصلاحات التي سنّتها بعثة الطويل في الأحساء»(١٠١).

واذا كان هذا حال نجد الموالية ، فكيف بحال مقاطعتي الأحساء والقطيف ، واللتان تحملتا من المشاكل الاقتصادية ، والإرهاق المادي أكثر من أيّ منطقة أخرى ؟ ، وبحسب تعبير أحد الكتاب بأن المنطقتين «كان لهما أوفر نصيب من الأزمة»(١٠٢). لقد أعاد الملك ضريبة الجهاد وبمبالغ أكبر مما سبق ، رغم اتفاق مستشاريه مع أعيان الشيعة بإلغائها .. بل أن الملك الذي راح يخزن الذهب والحلي والجواهر والريالات الحجازية ، فرض ضريبة الجهاد لأول مرّة على قبائل الحجاز وقبائل الشمال ، رغم أنه ليست هناك حرب ، بل وفرضها على بعض سكان نجد ، رغم ان الضريبة كانت بالنسبة لهؤلاء الأقلّ بين الجميع .

فبينما فرضت عشرة ريالات على الشخص الواحد من النجديين من أبناء القبائل ، فان ما فرض على الشيعة وصل الى سبعين ريالاً ، وفرض مبلغ ٤٠٠ ألف ريال على المقيمين في المنطقة المحيطة بالطائف وحدها ، إضافة الى مبالغ أخرى من سكان المناطق الشمالية . وقد «احتجّ سكان الشمال لدى الأمير فيصل بسبب فقرهم المدقع ، وعرضوا تقديم الرجال والجمال ــ للحرب ــ بدل الضريبة النقدية .. لكن الملك لم يقبل العرض لقلّة ثقته بالقبائل الحجازية» .

أمّا التجار في الأحساء « آل القصيبي » ، وكذلك تجار عنيزة وبريدة ، فقد كان لهم ديون مستحقّة على الملك مقدارها ٦٠ ألف جنيه استرليني ، ولم يكن هناك أيّ إحتمال لاستعادتها ، رغم أن ثمانية منهم ذهبوا الى مكة لملاقاة الملك هناك لتحريك قضية مظالمهم هذه .. في حين أكّد المستر (هوب جل) نائب رايان ، بأن ابن سعود جمع احتياطي من المال «عن طريق الإبتزاز والإغتصاب »(١٠٣) .

لم يكن أمام إبن سعود من حلّ لأزماته الإقتصادية إلاّ أحد أمرين : إمّا مواصلة الحروب ضدّ «الكفار» وما يتبع ذلك من غنائم للقبائل الجامحة .. والكفار هنا هم أهل العراق وشرقي الأردن الذين تحكمهما العائلة المالكة الهاشمية ، وكذلك أهل اليمن الذين تحكمهم الإمامة الزيدية .. والخيار الثاني هو الإستقراض من الخارج ، غير أن الدول كما التجار ليست على إستعداد لإقراض ملك مفلس ، اللهم إلاّ

الإتحاد السوفياتي الذي لم يقطع علاقاته بالملك بعد .

بالنسبة للخيار الأول ، لم يكن الملك على إستعداد للمجازفة بمصادمة البريطانيين في مواقعهم القوية في الخليج والعراق وشرقي الأردن .. فأراد الاستفادة من علاقاته مع الروس للضغط على البريطانيين لإعادة راتب الدعم السابق ، مقابل قطع العلاقات مع موسكو .. وفي البدء تلكّأ الملك في طرح ما يريده بصراحة مقابل تحجيم أو قطع دابر الوجود السوفياتي من أساسه ، لكن حافظ وهبة وفي مارس ١٩٢٨ أبلغ البريطانيين «أن ما يريده إبن سعود هو راتب دعم ، وأن وضع الملك ضمن واقع الأمور الحالي يزداد صعوبة ، فالبدو وقبائل نجد تعيش على الغزو والإقتتال ، ولكن هذا إنتهى بعد سيطرة الملك على معظم البلاد ، ولم يعد مسموحاً له أن يهاجم الدول شمالاً أو شرقاً أو جنوباً ، لأن كل هذه الدول واقعة تحت الإنتداب أو الإحتلال البريطاني المباشر .. وهكذا لا بدّ من فعل شيء لإرضاء العناصر القبلية الجائعة . إن أكثر ما يبقي القبائل خاضعة للنظام هو الهدايا ، ومما لا شك فيه بأن راتب الدعم السابق الذي كان يدفع لإبن سعود ، لن يكلف حكومة جلالة الملك البريطاني إلاّ أقل من النفقات التي يستلزمها نقل القوات والطائرات والسيارات المدرعة وغير ذلك من الإجراءات الدفاعية ضدّ قبائل نجد الجامحة ، والتي يواجه إبن سعود حاليا مصاعب كبيرة في التحكّم بها وضبطها (١٠٤) .

إستطاع إبن سعود في أواخر ١٩٣١ أن يعقد صفقة مع الإتحاد السوفياتي بقيمة ثلاثين ألف جنيه استرليني ، تشمل تزويد الحكومة السعودية بالبنزين والكيروسين ، على ان يسدّد المبلغ على شكل أربعة أقساط يفصل بين كل واحد منها شهران .. وقد استطاع الروس تأمين رفع حظر جزئي عن البضائع الروسيّة ، وهو الحظر الذي كان يقوم به الملك مجاناً لصالح البضائع البريطانية القادمة من الهند ، والتي لا تستطيع منافسة أسعار البضائع الروسية ، إلاّ ان الملك ومع رفع الحظر الجزئي هذا ، أخضع البضائع الروسية الى رسوم تعادل أربعة أضعاف الرسوم المعتادة (١٠٥)

والحقيقة أن مستشاري الملك كانت لهم مصلحة شخصية لعقد الصفقة مع الروس ، خاصة وزير المالية عبد الله السليمان الحمدان ، الذي إنفرد كما يبدو بمعظم أرباح الصفقة ، فتشكّل لوبي من المستشارين الآخرين لطرده .. حتى فيلبي غضب لأن « دائرة المالية سرقت مخزونه الخاص من البنزين ، ووجد أن وضعه المالي أسوأ ممّا كان يظن . فكتب فوراً الى عبد الله السليمان بأن جزاء السرقة في هذا البلد ، هو قطع اليد . وقال فيلبي ان عبد الله هذا يستحق ان يقطّع كل جسده قطعاً صغيرة » .

في نفس الوقت تضامن الأمير فيصل وفؤاد حمزة والأخوين الفضل (ابراهيم وعبد الله) لتحطيم موقع عبد الله السليمان ، ليس لانه كان يخفيهم جميعاً تحت ظلّه المديد فحسب ، بل « لأنه كان قد أفقرهم جميعاً وحرمهم من المدخولات ، وقد اضطر فيصل الى تأجيل نقل ديوانه الصيفي عام ١٩٣١ ومنزله الى الطائف ، بسبب نقص الأموال النقدية . أما فؤاد فلم يتسلّم راتبه منذ ثمانية أشهر ، وأخبر أحد موظفي السفارة البريطانية بأنه يخجل أن يطالب موظفيه في وزارة الخارجية بالعمل ، لانهم أيضاً لم يتلقوا أي راتب منذ أشهر عديدة »(١٠٦).

واضطرّ الأمير فيصل وفؤاد حمزة ــ وبعد ان رفض الانجليز تقديم القروض ــ الى السفر الى موسكو في عام ١٩٣٢ لمناقشة إمكانية الحصول على قرض بمبلغ مليون جنيه استرليني ، واشترط الروس تقديم القرض على شكل بضائع ، وان تعقد معاهدتا صداقة وتجارة بين البلدين ، إضافة الى تخفيف القيود على البضائع الروسية ، ومعاملتها على قدم المساواة مع البضائع القادمة من استراليا والهند . وكان لدى الروس شعور بالضيق من عدم دفع الملك أقساط الدين السابق ، ولكن الوزير المفوض للاتحاد السوفياتي في جدّة ، استطاع ان يؤمّن رفع حظر جزئي عن البضائع الروسية ، وأن يسدّد الدين القديم عن طريق الالغاء الجزئي أو الكلّي للرسوم الجمركية على البضائع المستوردة حديثاً ، وهو أسلوب في الدفع كانت تلجأ اليه الحكومة السعودية مع دائنيها(١٠٧)

وفي منتصف عام ١٩٣٢ ناشدت بعثة سعودية الحكومة البريطانية تقديم قرض بمبلغ نصف مليون جنيه ، أو مساعدتها في جمع قرض من سوق لندن المالي .. واعتذرت الحكومة البريطانية في اجتماع لها مع البعثة السعودية عقد في بنك انجلترا في الثالث عشر من مايو ١٩٣٢ ، عن عدم قدرتها على تلبية الطلب . وكرّر إبن سعود مناشدته بعد شهر ، حيث سلّم يوسف ياسين الى السير أندروا رايان رسالة شخصية من الملك يجدّد فيها مناشدته لبريطانيا لتقديم مساعدة مالية ، وان كانت أقلّ مما اقترحتها البعثة .. وأشار الملك الى العرض الروسي لتقديم البضائع وليس النقد ، وانه «لا يرغب في قبول هذه المساعدة» .. ومع ذلك لم تُثِر عروض إبن سعود إهتماماً لدى البريطانيين لمساعدته .

والطريف انه وبعد حوالي سبع سنوات ، استطاع الروس استلام مبلغ الثلاثين ألف جنيه ، وحالما انتهوا من ذلك ، حزموا حقائبهم ورحلوا عن البلاد نهائياً .

واستمرت حالة الضيق العامة التي سادت سنة ١٩٣١ ، طوال عام ١٩٣٢ ، حيث طغيان الفقر والمجاعة التي أصابت القبائل والمدن .. وجاء موسم الحج الذي كان أضعف من أي موسم مضى ليزيد الطين بلّة ، ويومها هبطت صادرات البلاد من المواشي والجلود والتمور ، وتقلّص عدد الحجاج من ١٩١ ألفاً عام ١٩٢٦ الى

٢٩ ألفاً فقط عام ١٩٣٢ .. وخوت خزينة الملك ، فلم تكن قادرة حتى على دفع رواتب الموظفين الذين لا يزيدون عن بضع مئات ، واجتاح الجوع البلاد من أدناها الى أقصاها .

ورغم أن الشائعات عن الاضطرابات تردّدت في كل مكان ، الاّ ان من المؤكد حدوثها في الهفوف والقطيف ، اضافة الى منطقة نجران ، وهي مناطق شيعية .. ويومها ارسلت الحكومة قوّة بقيادة خالد بن لؤي لقمع الاضطرابات في الجنوب ــ نجران ــ ، كما تحركت قوة ردع لمحاربة قبيلة المرّة ولتطويق المخالفين الذين قطعت أيديهم وأرجلهم في الأحساء وباديتها(١٠٨). وأيضا لمصادرة الجمال والاملاك لإرسالها الى الرياض من أجل الإعداد لحملة عسكرية في الجنوب(١٠٩).

في شهر اغسطس ١٩٣٣ منع ابن سعود تصدير التمور من الأحساء والقطيف (١١٠)واستمر المنع مدّة ١٨ عاماً أي حتى عام ١٩٥١ ، فأصيبت المنطقة بانهيار شبه تام في السنوات الأربع التي تلت المنع .. ومع ان الملك برّر إجراءه بان المجاعة تجتاح البلاد ، ولا بدّ من تخفيض سعر التمور ــ بمنع التصدير ــ الى الحدّ الأدنى حتى تتمكّن الفئات المعدمة من سدّ رمقها .. غير ان الوقائع تثبت بأن الملك كان يهدف الى أمر آخر ، وهو مصادرة ما تطاله يده من إنتاج الفلاّحين ، وقد جهّز عامله ابن جلوي دوريات لهذا الغرض تطوف البيوت وتبحث عن (قلال) التمر لمصادرتها(١١١).

وحتى ذلك الوقت لم تزل جميع الضرائب وبأشكالها المختلفة قائمة ، ولايزال الحصار الاقتصادي للكويت قائماً ، والاعدامات جارية على قدم وساق لكلّ من يتعامل مع سوق الكويت وتجارها .. وخلال الاسبوع الأول من شهر اكتوبر ١٩٣٣ أعدم ابن جلوي أربعة من رجال قبائل المطير (اثنان منهم من الجبلان ، والآخران من فرع البريح) ، كما أعدم رجلاً حضرياً من نجد ، بتهمة شراء بضائع من الكويت ، وتهريبها عبر الحدود السعودية الكويتية(١١٢).

وتتابعت السنوات والأوضاع الإقتصادية على حالها ، والاضطرابات ما تلبث ان تقوم حتى تخمد بقوّة السلاح . في مارس ١٩٣٦ تحدّثت تقارير المعتمدين البريطانيين عن سخط واحتجاجات واضطرابات في الاحساء لأسباب إقتصادية ، وأبرق المعتمد السياسي في البحرين لرؤسائه يبلغهم بأنه تمّ استيفاء سبعين ألف دولار كضرائب آنيّة على الأهالي في المقاطعة ، حيث أثار استيفاؤها غلياناً شديداً لدى الأهالي الذين قدّموا احتجاجات وشكاوى والتماسات لابن جلوي رفعها الأخير للملك . وقيل بأن جواب الملك كان كالتالي : «على أمير الأحساء أن ينفّذ الأوامر دونما تأخير ، وإلاّ استبدل بغيره»(١١٣).

خلال السنوات : ٣٦ ، ٣٧ ، ١٩٣٨ ، ارتفع عدد الحجاج بصورة قليلة ، ولم

تعد هناك أمال كبيرة يمكن التعويل عليها .. اللهم الاّ على احتمال اكتشاف النفط في الأحساء . ولكن حتى ذلك الوقت (يناير ١٩٣٨) لم تستخرج كميات نفطية تجارية ، فضلاً عن ان التجارة لا تزال ضعيفة ، ويعزو الحجازيون ذلك الى سياسة الحكومة القائمة على اقتطاع جزء كبير من عائدات الحج واحتكارها لنفسها ، مع ان الملك ابن سعود يدرك ما تسبّبه هذه الضريبة المرهقة على الحجاج من تشويه لسمعته في الخارج (١١٤).

ووضعت الحكومة مشروعاً أسمته (مشروع القرش) ، وحثّت السكان والحجاج للمساهمة فيه لتحسين أوضاع الأماكن المقدّسة ، ولكن المشروع فشل لعدم الثقة في المتبنين له ، ولم يعط المشروع سوى ٥٠٠ جنيه تقريباً في أول عام من تأسيسه ، وقد كانت تلك نهاية المشروع . على ان مشروع القرش كان يعتمد أساساً على بيع علب صغيرة من التمور الى الحجاج كتذكار لهم من الأراضي المقدّسة ، والمعلوم أن التمور التي ينتج معظمها الشيعة في المنطقة الشرقية ، والتي منع تصديرها ثم جرى مصادرتها كانت الأساس الذي اعتمد عليه ، اضافة الى تمور المدينة المنورة والتي يشرف على انتاج معظمها شيعة المدينة المعروفين باسم «النخاولة»(١١٥)

هذا ولا يزال هناك فارق غير مقبول بين حالة الفقر العام التي يعاني منها الشعب وبين بذخ الملك وعائلته ورهطه .. إذ لم تكن هناك أيّة قيود أو إشراف على الإنفاق الملكي ، والتنافس بين الابناء وبين نسائهم يقود الى البذخ والاسراف «فقائمة السيارات التي يملكها الأبناء الأربعة الكبار فقط مذهلة صاعقة . وأمين الخزانة الملكية سافر الى الهند جوّاً ليشتري بعض الأشياء لسيدات القصر ، في حين تعاني رواتب الموظفين من الأنخفاض ، وحتى هذه الرواتب المنخفضة لا يستلمونها بانتظام» .

وأصبح لعبيد الأسرة المالكة(١١٦) وخدمهم صولة وجولة ، فكانوا في الواقع هم السادة وأصحاب المال والحظوة ، في حين تقطع أيدي العشرات من المواطنين كل أسبوع وتعلّق على أبواب المساجد بعد صلاة الجمعة ، بتهمة سرقة رغيف خبز يسدّ رمق الجياع ، وفي حين يعدم العديدون بالرصاص بتهمة تهريب بضاعة من المنطقة المحظورة «الكويت !» . بل أن حالقي اللحى «وفّروا مبالغ لا بأس بها لخزينة ابن سعود ، وقد استوفيت منهم كغرامات لحلقهم لحاهم» !(١١٧). هذا اضافة الى تلقّيهم الجلد والإهانة أمام العامّة .

وراح وزراء ابن سعود ورجاله «يستغلّون كلّ فرصة تسنح لهم لملء جيوبهم ، يساعدهم في ذلك عدد من الموظفين الصغار الذين لا همّة لهم على الأطلاق ، ويتلقّى هؤلاء رواتب قليلة غالباً تأتي متأخرة» (١١٨) فيكملونها بنهب المواطنين

بحجة القانون .

ولو لم يتدفق النفط لهلك الناس جوعا .. فقد تدفّق النفط بكميات تجارية سنة ١٩٣٨ بعد خمس سنوات من البحث والتنقيب ، ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ففازت بلاد ابن السعود بالقروض الأجنبية والمساعدات المختلفة خاصة من الاميركيين كتعويض عن توقف النفط ، وكمكافأة على مواقف ابن سعود تجاه الحلفاء في الحرب . وفي أواخر الاربعينيات قفزت مداخيل الحكومة وبدأت حقبة النفط .

هوامش

(١)رسالة من وجهاء الشيعة في القطيف الى الأمير عبد المحسن بن جلوي في ٢٢ جمادى الأول ١٣٧٩ هـ .
(٢)المصدر السابق .
(٣)آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ٥٢ .
(٤)المصدر السابق ، المقدمة ، ص ي .
(٥)د . السبيعي ، النفط وأثره على الحياة الأقتصادية في المنطقة الشرقية ، ص ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ . ان انتاجا بهذ الغزارة يستحق التأسف عليه ، خاصة وأن الشيعة خسروا هذا الأنتاج دون أن يحصلوا على البديل من خيرات النفط .
(٦)المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، صلاح الدين المختار ، جزء ٢ ، ص ٨١ .
(٧)كشك ، مصدر سابق ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .
(٨) الوثيقة رقم E1336F0371-13012 .مؤرخة في ١٤ مارس ١٩٢٨ .
وانظر : جمال زكريا قاسم ، مصدر سابق ، ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .
(٩)(E 12852) مؤرخة في ١٨ اكتوبر ١٩٢٠ . مذكرة أعدها المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، وأرسلها الى المندوب السامي في بغداد ، عن اوضاع الجزيرة العربية لشهر يوليو ١٩٢٠ ، وتاريخ تحريرها ١٢ اغسطس من نفس العام .
(١٠)الوثيقة السابقة .
(١١)تقرير لديكسون ، أعده حول زيارته للأحساء . انظر E٦٢٨٩ بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٠ .
(١٢)الوثيقة السابقة .
(١٣)المصدر السابق .
(١٤)الوثيقة E 12852 حررت في ١٢ اغسطس ١٩٢٠ ، وسجلت في ١٨ اكتوبر من نفس العام .
(١٥)الوثيقة السابقة ، وهذه القرية شيعية إسماعيلية على ما يبدو .
(١٦)الوثيقة رقم E 12852 مؤرخة في ١٨ اكتوبر ١٩٢٠ .
(١٧)الوثيقة رقم E 10403-678-91 ، مؤرخة في ٢٢ اكتوبر ١٩٢٣ .
(١٨)جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، ص ٥٣٠ .
(١٩)الوثيقة رقم E 3126-3126-25 ، مؤرخة في الخامس عشر من مايو ١٩٣٤ . انظر التقرير السنوي للسعودية عن عام ١٩٣٣ م .
(٢٠)كيلي ، الحدود الشرقية ، ص ١١٩ .
(٢١)المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
(٢٢)ذكرى الزعيم الخنيزي ، الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي . تأليف عبد الله الشيخ علي الخنيزي ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ .
(٢٣)الاصلاح الأجتماعي ، ص ٢٦ .
(٢٤)كيلي ، مصدر سابق ، من ص ٤٢٥ الى ص ٤٢٨ .

(٢٥)البلاد العربية السعودية ، فؤاد حمزة ، ط ٢ عام ١٩٦٨ ، ص ١٧٣ .
(٢٦)د . محمد رشيد الفيل ، مصدر سابق ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .
(٢٧)فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٣٥٧ .
(٢٨)المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .
(٢٩) الوثيقة E 6289 ، مؤرخة في ١٧ مارس ١٩٢٠ .
(٣٠)لقاء مع (هـ . س . ص) في ٢٨ شوال ١٤٠٩ هـ .
(٣١)البلاد العربية السعودية ، ص ١٧٦ .
(٣٢)ملوك العرب ، مصدر سابق ، ص ٥٧٢ .
(٣٣)انظر الوضع الاقتصادي في العهد التركي .
(٣٤)لقاء مع (ح . ن . س) في ١٣ صفر ١٤١٠ هـ .
(٣٥)المصخنة ، وعاء من الفخار يبرّد فيه الماء للشرب .
(٣٦)لقاء مع (م . ب . خ) في ١٣ صفر ١٤١٠هـ .
(٣٧)لقاء مع (م . ب . خ) في ١٣ صفر ١٤١٠ هـ .
(٣٨)لقاء مع السيدة (ش . س . ص) في ١٤ محرم ١٤٠٨ هـ .
(٣٩)فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٢٤٢ .
(٤٠)طلب سعود بن جلوي من الحاج علي الطاهر بوخمسين في الهفوف ان يوزّع ضريبة الجهاد المربوع ، وتوزيع الضريبة يعني أن الأمير أو الملك يقرّر مبلغاً من المال على الشيعة ، ثم يأمر فرداً او مجموعة من الاعيان بتقسيمها على السكان حسب معرفته بغنى هذا الشخص او عدمه . غير ان الحاج علي الطاهر رفض القيام بالمهمة ، لأن العاملين في هذا المجال كان ينصبّ عليهم غضب وسخط الناس باعتبارهم أيدي الظالمين ، فما كان من سعود بن جلوي الاّ ان رفس الحاج علي وأسقطه أرضا ، ومزّق العباءة التي كان يلبسها ، ثم طلب من مسئولي الزكاة ان يوزّعوها مثل (عبد الرحمن المبرّزي ، وموسى القضيب ، ومحمد الأشقر) . والمعروف ان مسئولي الزكاة من القساة العتاة الظلمة ، وكانوا يأخذون الزكاة ويفرضون مبالغ ورشاوي يجب ان تدفع بالكامل . ويحكى في هذا الصدد ان رجلا من قرية (الجبيل) الأحسائية بقي عليه ثلث ريال كدين من مخلّفات الزكاة ، فأمر مدير المالية محمد الطويل أحد (الفداوية) بأن يذهب الى الرجل ليتقاضى منه المبلغ ، واستأجر له حمارا من رجل يدعى (ابن حميضان) بمبلغ ثلاثة ريالات . وحين وصل الفداوي الى الجبيل ذهب الى عمدتها (سيد عبد الله الابراهيم) الذي قام بإكرامه وذبح له شاة ، ظانّاً ان الرجل جاء لأمر هام ، فلما سأله عن سبب مجيئه وعرف الأمر منه ، أعطاه الثلث ريال وقال : لن أروّع الفقير من أجل هذا المبلغ التافه ، ثم اننا خسرنا عليك أكثر من هذا ولكنك «ما تستاهل !» . (أخذت هذه المعلومات من مقابلتين مع م . ب . خ ، في ١٥ صفر ١٤١٠هـ و ١٨ من نفس الشهر والسنة) .
(٤١)الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٢٨٣ .
(٤٢)البلاد العربية السعودية ، ص ١٧٦ .
(٤٣)الدكتور السبيعي ، النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، ص ٢٢٥ .
(٤٤)لقاء مع (ن . ع . ع) في العاشر من رجب ١٤٠٩ هـ .
(٤٥)لقاء مع (س . ج . ع) في ٧ محرم ١٤٠٩ هـ .
(٤٦)لقاء مع (م . ب . خ) في الاول من صفر ١٤١٠ هـ .
(٤٧)انظر تاريخ آل سعود ، ناصر السعيد ، ص ١٤٧ . أشار فيدال الى أن سمحة يملكه وزير المالية عبد الله السليمان ، وأما الفاخرية فيملكه امير المنطقة سعود بن جلوي . انظر السبيعي ، النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، ص ٧١ .
(٤٨) لقاء مع (س . ح . ع) في العاشر من ذي الحجة ١٤٠٩ هـ .
(٤٩) انظر كتاب ساحل الذهب الاسود للاستاذ محمد سعيد المسلم .
(٥٠)انظر كشك ، مصدر سابق ، ص ٤٦٦ . وانظر أيضا الوثيقة البريطانية رقم F 0371 – 2140 E 55472 ، والمؤرخة في شهر اكتوبر ١٩١٤ .
(٥١)الوثيقة السابقة .
(٥٢)لقاء مع (ع . ح . ق) في الرابع من صفر ١٤٠٩ هـ .
(٥٣)عبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٢١٤ .

(٥٤)لو كان ابن جمعة يحمل الجنسية البحرانية لما تجرّأ ابن سعود على إعدامه ، على الاقل لاعتباره أحد الرعايا البريطانيين .

(٥٥) انظر الوثيقة F 0371 – 8954 E 4268 ، والمؤرخة في ٢٨ ابريل ١٩٢٣ .

أمّا الموقعون على العريضة فهم . الحاج احمد بن علي بن شمانة ، احمد بن احمد تفتي ، الحاج يوسف بن علي ، السيد محمد مختار ، السيد حسين مختار ، السيد احمد مختار ، السيد ماجد مختار ، الحاج حسين بن حمد بن رحمين ، السيد حسن بن علوي ، عبد الرضا بن محمد بن علي العطار ، عبد النبي بن محمد الشيراخي ، الحاج ابراهيم بن حسين فردان ، احمد بن محمد السماهيجي ، السيد ناصر بن خليفة سليمان ، عبد الحسين بن احمد الشيراخي ، الحاج محمد بن الحاج قاسم ، الحاج حسن بن ناصر ، السيد خليل بن السيد ابراهيم ، حسن بن الحاج عبد العلي ، خليف بن طاهر قرنول ، الحاج حسين المضب ، الحاج محسن الخور ، السيد محمد البلادي ، عبد الرسول بن مجيب ، عبد الله مال نوخذا ، حسن بن احمد بن شمانس ، الحاج حسن البصري ، احمد البصري ، ابراهيم البصري ، الحاج محمود بن عباس ، الحاج السهلاوي ، الحاج عبد الله ابو طيب .

(٥٦)لقاء مع (هـ . س . ص) في ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ .

(٥٧)الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٨٧ .

(٥٨)المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٥٩)المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٦٠)المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦١)المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٦٢)المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٦٣)المصدر السابق ، ص ٨٩ . رسالة من المعتمد السياسي في البحرين الى المقيم في بوشهر (بيسكو) في ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ .

(٦٤)المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦٥)المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٦٦)لقاء مع الحاج (م . ب . خ) في ١٢ صفر ١٤١٠هـ . وينقل المصدر هذا مثالاً للمصادرات فيقول ان ابن جلوي كان يفرض على الشيعة بيع مقادير كبيرة من التمر الى الاخوان بسعر بخس . وفي احدى المرات فرض على المرحوم محمد الأحمد البراهيم بوخمسين ، ان يبيع لأحد البداة مقدار خمسة أمنان أحسائية من التمر ، لكنه لم يكن يملك الاّ ثلاثة منها جعلها طعاماً له ولعياله . ولمّا كان لا بدّ من تنفيذ الطلب او السجن ، ذهب الحاج علي الطاهر بوخمسين الى سعود بن جلوي متوسّطاً ومعتذراً لعدم الإمكانيّة ، فما كان من سعود الاّ ان أومأ برمي الحاج من مقرّ الأمارة من طابق علوي ، وشاءت إرادة الله أن يسقط على بطن خوي الشيوخ سويلم بن خميس ، وكان عنده صقر اميري يطعمه ، فمات سويلم من ساعته ونجا الحاج علي من الموت !.

(٦٧)هما السيد ماجد العوامي وشقيقه السيد حسين العوامي المولود سنة ١٢٧٨هـ والمتوفى سنة ١٣٥٨هـ .

(٦٨)المقصود انه كان من الأفضل زيادة العرائض الى المسئولين والحديث اليهم لرفع الظلم . وهذا النوع من الحديث لا يزال يردده أبناء الملك . غير ان الكثيرين يتساءلون عمّا جناه المواطنون من رفع العرائض والالتماسات واللقاءات خلال السبعين عاماً الماضية ؟ .. فلو كان هناك عزم لحلحلة الأمر لتم منذ زمن بعيد ، وما كانت انتفاضة المرحوم الشيخ النمر ولا الانتفاضات المتعاقبة الاّ بسبب إنسداد طرق الحل أمام المواطنين .

(٦٩)أي ان دواء ذلك عندنا ونعرفه ، وهو القمع بالسلاح !.

(٧٠)في ذكرى الزعيم ، مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

(٧١)الوثيقة E 2485 مؤرخة في ١٨ ابريل ١٩٣١ وموجهة من وزير بريطانيا المفوض في جدّة السير أندرو رايان الى وزير الخارجية البريطاني أ . هندرسون . وكان رايان قد طُلب منه ان يثير موضوع احترام هويات الأمارات الواقعة تحت النفوذ البريطاني المباشر .

(٧٢)الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ، ص ١٠٨ .

(٧٣)انظر الوثيقة FO 371 – 2766B . من المعتمد السياسي في البصرة بتاريخ ١٤ اغسطس ١٩١٦ وعنوانها (البضائع بين الكويت والبحرين ونجد) . وانظر الرميحي ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(٧٤)الوثيقة السابقة ، وانظر الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ، ص ٢٣٣ .

(٧٥)الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ، ص ١٠٦ .

(٧٦)المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .
(٧٧)المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .
(٧٨)عبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ . وانظر الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ص ١٠٧ .
(٧٩)المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٨٠)الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ص ١١٠ .
(٨١)المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٨٢)المصدر السابق ، ص ١٠٩ . وعبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٢٨٣ .
(٨٣)المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
(٨٤)المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٨٥)المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٨٦)رسالة من ديكسون الى المقيم في بوشهر في الثلاثين من يونيو ١٩٣٣ .
(٨٧)المصدر السابق .
(٨٨)محمد سعيد المسلم ، ص ٢١٣ ، ٢١٣ .
(٨٩)النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، الدكتور السبيعي ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(٩٠)الوثيقة 91 - 1 - E 2578 ، تقرير مؤرخ في ١٩ مايو ١٩٣٠ ، ويغطّي الفترة الواقعة بين الأول من ديسمبر ١٩٢٩ ، وحتى الخامس عشر من يناير للعام التالي ، وضعه الكابتن غلوب باشا عن هزيمة الإخوان .
(٩١)المصدر السابق .
(٩٢)الوثيقة 91 - 1 - E 5776 في ٢٤ اكتوبر ١٩٣٠ . من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت (ديكسون) الى المقيم في بوشهر في ٣ سبتمبر ١٩٣٠ .
(٩٣)المصدر السابق .
(٩٤)كلمة غير مفهومة .
(٩٥)الوثيقة 25 - 1600 - E 3267 ، تقرير مؤرخ في ٢٣ يونيو ١٩٣١ ، أرسله الوزير البريطاني المفوض في جدة السير أندرو رايان الى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٨ مايو ١٩٣١ .
(٩٦)الوثيقة السابقة .
(٩٧)الوثيقة 25 - E 4173 ، مؤرخة في ١٢ اغسطس ١٩٣١ . وتتضمن الوثيقة شكوى إسحار حسين الى القنصل البريطاني في جدّة والمؤرخة في ٦ يونيو ١٩٣١ . وعنوان الوثيقة «معاملة الحجاج الشيعة في الحجاز» .
(٩٨)الوثيقة 25 - 1600 - E 4597 ، مؤرخة في الثامن من سبتمبر ١٩٣١ . تقرير احسان الله مؤرخ في ١٤ اغسطس ١٩٣١ .
(٩٩) الوثيقة السابقة .
(١٠٠)الوثيقة 25 - 62 - E 166 ، في الحادي عشر من يناير ١٩٣٢ .
(١٠١)الوثيقة السابقة .
(١٠٢)في ذكرى الزعيم ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ .
(١٠٣)الوثيقة السابقة .
(١٠٤)الوثيقة 91 - 381 - E 1668 ، مؤرخة في ٢٢ مارس ١٩٢٨ ، ومرسلة من سلوين لويد في القاهرة ، الى السير أوستن تشامبرلين في خارجية لندن . وانظر كتاب شيوعيون في السعودية ، الاستاذ فهد القحطاني ، فهو يحوي تفاصيل رائعة عن أوضاع السعودية الاقتصادية وارتباطها بالبريطانيين والسوفييت .
(١٠٥)الوثيقة 25 - 680 - E 2429 ، ومؤرخة في ١٨ مايو ١٩٣٢ .
(١٠٦)الوثيقة 25 - 2064 - E 5799 ، مؤرخة في ١٢ نوفمبر ١٩٣١ . وانظر كتاب «شيوعيون في السعودية» ص ١٨٠ الى ص ١٨٦ .
(١٠٧)شيوعيون في السعودية ، ص ١٨٥ .
(١٠٨)فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٣٢٠ . وانظر الوثيقة البريطانية E ١٤٨٧ - ٢٥ والمؤرخة في ٢١ مارس ١٩٣٣ . التقرير السنوي عن السعودية لعام ١٩٣٢ ، أعدّه السير اندرو رايان في ٢٦ فبراير ١٩٣٣ .
(١٠٩)الوثيقة 91 - E 884 ، مؤرخة في ١٤ فبراير ١٩٣٣ . تقرير الكويت الاستخباري ، من وزارة

المستعمرات الى وزارة الخارجية في ١٣ فبراير ١٩٣٣ .

(١١٠)**الوثيقة** E 5680 – 2227 – 25 ، مؤرخة في ٢٦ سبتمبر ١٩٣٣ . ويشير الاستاذ الدكتور عبد الله السبيعي في كتابه «النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية» ص ٧٤ ، الى ان «القطيف كانت شديدة الاعتماد على تصدير التمور ، وقد شجّع من اعتمادها عليه ان الطلب على تمورها كان عظيما لدرجة كان معها تمور الأحساء تباع في القطيف» . وحين ألغى الملك قرار منع التصدير كان كل شيء قد تغير ، حيث انخفض الطلب المحلي بسبب تغيّر أنماط التغذية لدى السكان ، وبسبب غزو المعلبات والاطعمة التي أدخلتها شركة ارامكو ، كما انخفض الطلب العالمي عليه بأكثر مما تصوّر الفلاحون الذين لم يعودوا يجنون أموالا كافية لاصلاح الزرع نفسه . وللمقارنة فان ثمن قلّة تمر «الرزيز» سنة ١٩٤٨ بلغ خمسين ريالا ، وفي عام ١٩٥٢ كان سعرها ١٧ ريالا فقط .

(١١١)لقاء مع (هـ . س . ص) في ١٢ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ .

(١١٢)الوثيقة E 7560–884–91 ، والوثيقة E ٧٥٦٠ – ٨٨٤ – ٩١ ، تاريخ تسجيلهما على التوالي ٣ نوفمبر ١٩٣٣ و ٨ ديسمبر ١٩٣٣ . تقريران استخباريان صدرا من الكويت عن شهري سبتمبر واكتوبر لنفس العام ، أعدّهما الميجور ديكسون . وقالت معلومات البريطانيين انه لو حدثت انتفاضة فستبدأ على شكل الامتناع عن دفع الضرائب .

(١١٣)الوثيقة E 2227 – 25 ، مؤرخة في ٢٤ ابريل ١٩٣٦ ، وعنوانها «اضطرابات في الأحساء» .

(١١٤)**الوثيقة** E 2338 – 25 .

(١١٥)الوثيقة السابقة .

(١١٦)لم يلغ الرق في المملكة السعودية الأ عام ١٩٦٤ ، وبعد ضغوط دولية . ويذكر عبد الرحمن الباكر في كتابه «من البحرين الى المنفى» ص ٣١ : «ان عبداً مملوكا لشيخ من شيوخ البحرين يمكن ان يقف على باب دكان يملكه أحد الشيعة ويقول : عصايا تريد كذا وكذا . واذا لم يستجب بسرعة لتلبية رغبات العصا ، فانها تنزل عليه بالضرب في لمح البصر ، ويأخذ ما يريده عنوة» . وهذا النموذج صالح للتطبيق في مملكة ابن سعود في تلك الايام الخوالي .

(١١٧)الوثيقة السابقة .

(١١٨) لوثيقة E 2782 – 196 – 25 ، مؤرخة في ١٦ مايو ١٩٣٨ . من ريدر بولارد في جدة الى الفايكونت هاليفاكس في خارجية لندن ، بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣٨ .

٨

الشيعة

في عصر النفط (١٩٣٨ - ١٩٩٠)

قفزت أهميّة الشيعة بظهور النفط في مناطق وجودهم ، وتضاعفت هذه الأهميّة بتضاعف أسعار النفط ، وأصبحت هـذه المنـاطـق قلـب المملكة النابض الذي يغذي سائر الأطراف بالحياة . فدون النفط ودون العمال الشيعة لا يمكن ان تقوم للمملكة قائمة .

لقد أصبحت المنطقة الشرقية أهم منطقة في البلاد ، حيث تضمّ مخزون النفط الذي لا يوجد له مثيل في العالم ، كما تقام على أراضيها كل صناعة النفط وإنتاجه ومعظم تصديره .. ولأن النفط هو المورد الأول والأخير للدخل القومي ، فقد أصبحت حساسيّة السلطات السعودية تجاه الشيعة مضاعفة ، لوجود النفط في مناطقهم ، ولكونهم شيعة ينظر إليهم كعنصر إضطراب في أكثر المناطق حيويّة . أضف الى ذلك فإنهم ولتماسهم مع صناعة النفط ومشاركتهم فيها منذ البداية أصبحوا يشكّلون ٦٥ ــ ٧٠٪ من العمالة النفطية السعودية في الوقت الحاضر . وبدونهم لا يمكن لنقطة نفط أن تصدّر ، وهذا ما دفع بالسلطات الى التصرّف بعصبيّة تجاههم ، خاصة وأنّهم كانوا في قلب الحركات العماليّة والسياسيّة المعارضة والمطالبة بتحسين الأوضاع المعاشية . وقد سعت الدولة ومنذ مطلع عام ١٩٨٧ الى عدم توظيف الشيعة في صناعة النفط بغض النظر عن كفاءة المتقدمين الى العمل ، ولا يزال هذا القرار ساري المفعول حتى الوقت الحاضر .

وعلى غير عادة السعوديين ذوي الأصول البدوية القريبة ، فإن الشيعة كان لديهم استعداد للعمل اليدوي ، وعلى مرّ السنين أصبحوا العمود الفقري لقوى أرامكو المؤهلة والنصف مؤهلة .. وكانت تقديرات متواضعة قد قالت في بداية الثمانينات أن ثلث قوى أرامكو العاملة من سعوديين وغيرهم يحتلها الشيعة ، ومع ذلك بقوا كمواطنين من الدرجة الثانية وفي أسفل النظام الأقتصادي [1] .

إن غالبية العمال في معامل التكرير برأس تنورة وغيرها ، وكذلك في حقول

النفط بحثاً وانتاجاً ، وفي مشروع الهيئة الملكية بالجبيل هم من الشيعة ويؤدّون أعمالاً مهنية أساسية ، والقليل منهم نجح في النفاذ الى مستوى الإدارة ، وحتى هؤلاء أعيدوا الى مراتب أدنى ، وأصبح مؤكدا لدى المهتمين أن التمييز ضد الشيعة صريح وواضح «وأنهم مميزون في كل موقع في صناعة النفط ، وكل الأدلّة تثبت بأنهم لم يسمح لهم بأن يتعدّوا مستوى العمال المهنيين» [٢] .

في عام ١٩٣٣ ، وفيما كان الملك ابن سعود يئنّ من الأزمة الأقتصادية الخانقة ، وبعد أن فشل في عام ١٩٣٢ في إقناع الانجليز بشراء إمتياز النفط ، وهي المهمّة التي اضطلع بها الأمير فيصل أثناء زيارته للندن في ذلك العام ، سأل إبن سعود مستشاره فيلبي ، بأنه «إذا وجدت من يعطيني مليون جنيه ، فأنا أعطيه كلّ الإمتيازات التي يطلبها» . فردّ فيلبي بأن أحداً لا يعطي مليون جنيه قبل تحرّ مبدئي لمصادر الثروة في البلاد ، واقترح على الملك ان يدعو الشركات النفطية الاميركية لإنقاذه من أزمته [٣] .

وبعد وساطات تقدّم بها فيلبي ، إستقدم الجيولوجي الاميركي تويتشل للبحث عن المعادن ، وكان كل إهتمامه مركزاً على الأحساء القريبة من البحرين والتي إستخرج منها النفط بالفعل وهي لا تبعد سوى أميال قليلة عنها . إذن فإن إحتماليات وجود النفط في الأحساء قائمة . وهكذا طلب من الملك ان يعطيه رسالة الى واليه في الأحساء لتسهيل أمر بعثته . وحين باشر العمل ، وخلال أشهر قلائل أثبت وجود النفط في المنطقة .

والحقيقة فان الاتراك وقبل رحيلهم أكّدوا وجود النفط في القطيف ، وكان المعتمد البريطاني ديكسون قد زار القطيف عام ١٩١٩ بحثا عن بقع نفطية ، واطلع على تقرير عثماني يؤكد هذه الحقيقة .. إلاّ ان الانجليز لم يكونوا ميّالين كثيراً للبحث عن النفط في مملكة ابن سعود [٤] .

وأعدّ تويشل تقريره وأطلع ابن سعود عليه ، ولكن الأخير لم يكن مبالياً به ، إذ ان كل همّه كان مركّزا على الحصول على قرض أو هبة . وأوكل لمستشاره يوسف ياسين بأن يطلب من الجيولوجي تدبير قرض من شركات النفط الأميركية ، بدل إضاعة الوقت في كتابة التقارير ، والحديث عن الغنى والرفاه الذي سيعمّ المملكة اذا ما تعاون الملك مع الشركات الاميركية [٥] .

لم يغادر تويتشل الرياض إلاّ وفي جيبه توكيل من الملك يخوّله الحديث بالنيابة عنه أمام شركات البترول الأميركية ، فحاول مع شركة «بترول تكساس / تكساكو» و «اكسون» و «جولف» ، فاعتذرت كل واحدة بحجة مختلفة ، ولكنه وجد في النهاية ترحيباً حاراً من لويد هاملتون ، أحد كبار رجال شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا ، الذي قال بأنه مستعدّ للسفر حالاً الى السعودية فور تلقّيه دعوة من ابن

سعود . وقد أبرق الأخير إليه داعيا إياه لزيارة مملكته ، فاصطحب هاملتون معه تويتشل الى جدة ، وشكّلت جلسات المباحثات التي قادها عبد الله السليمان الحمدان وزير المالية السعودي ، وبعضوية عبد الله الفضل وحسن القصيبي ومحمد المانع كمترجم .

أبدى عبد الله السليمان استعداده المسبق للموافق على أيّة شروط تضعها شركة ستاندارد اذا ما قدّمت قرضا بـ (١٠٠ ألف جنيه) يسدّد من حصّة الحكومة في البترول المنتظر إنتاجه ، فيما أبدى هاملتون الاستعداد لدفع (٢٥ ألف جنيه) .. وفي هذه المرحلة من المفاوضات وصل الوفد البريطاني الممثل لشركات النفط البريطانية لمنع الاختراق الاميركي ، وللحصول على الامتياز الذي لم يكونوا راغبين فيه أساساً . وحاول هؤلاء إجتذاب فيلبي ، وهو أحد رجال الساسة والمخابرات البريطانيين ، لكنه لم يستطع مقاومة الاغراءات الاميركية ، حيث وعده هاملتون بألف جنيه سنويا مدى الحياة ، وأنه سيحصل على هدايا مجزية عند توقيع الاتفاقية ، فوافق على ذلك طالباً الكتمان .

كما قدّم الاميركيون رشوات (إغراءات) اخرى الى مستشاري الملك ، وبالأخص الى يوسف ياسين وعبد الله السليمان ، الذي وعد بعدّة سيارات فاخرة وبضعة آلاف من الجنيهات . على أن الثمن الذي عرضه الاميركيون ثمناً للامتياز كان (٣٠ ألف جنيه استرليني ذهبا كقرض عاجل ، وأجرة سنوية مقدارها ٥٠٠٠ جنيه سنويا ، إضافة الى ٢٠ ألف جنيه يدفع بعد ١٨ شهراً كقرض) .. وهنا لم تستطع الشركات البريطانية المنافسة ، بسبب «البخل» المعهود لدى الانجليز ، فضلاً أن عروضهم رغم صغرها والتي قدمتها شركة نفط العراق كانت تشترط الدفع بالروبية الهندية ، وهو أمر لم يكن محبباً لدى الملك السعودي [٦] .

ويروي الاستاذ مازن البندك ظروف توقيع الاتفاقية كالتالي :

«بعد مفاوضات غير قصيرة ، توصّل الطرفان : الحكومة السعودية ويمثلها وزير المالية عبد الله السليمان ، وشركة ستاندارد ويمثلها لويد هاملتون الى الإتفاق على إعطاء الشركة حق التنقيب عن البترول ، وذهب وزير المالية ليقرأ الإتفاقية على الملك ويأخذ موافقته . ولم يكن الملك يعرف شيئاً عن شئون النفط ، فقد وضع ثقته في فيلبي ، وكان يستعجل إستلام ثمن الإمتياز . ويذكر فيلبي ان الملك كانت تأخذه الغفوة أثناء قراءة الوزير للإتفاقية ، وحين صحا الملك من غفوته كان الوزير لا يزال يقرأ ، فالتفت الى فيلبي وسأله رأيه ، وحين أبدى موافقته ورضاه ، أمر الملك وزير المالية بتوقيعها قائلاً : (ثق بالله ووقّع) ، فوثق وزير المالية بالله ووقّع عليها ، وصدر المرسوم الملكي رقم ١١٣٥ بإعطاء شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا الامتياز ، وكان ذلك بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٣٣ ، الموافق ٤ صفر

١٣٥٢ هـ، [٧] .

كان هذا الاستطراد ضرورياً لإعطاء خلفيّة عن قصة النفط في السعودية وتطورها .

بدأت شركة ستاندارد (والتي إنضمّ اليها شركاء آخرون وتحوّل إسمها الى أرامكو) بالعمل ، فجذبت اليها الأيدي العاملة الشيعية ، باعتبار ان الشيعة هم سكنة الحواضر ، ولأنّ الشركة تعمل في مناطق شيعية ، وأيضا لأنّ البدو غير مستقرين ولا يحبون الأعمال المهنية التي يعتبرونها إنتقاصاً من قدرهم . ولم يكن لدى الشركة في تلك الايام أفكاراً محدّدة تجاه المعتقدات الدينية ، وقد شعر الشيعة بشيء من الارتياح إذ وجدوا ربّ عمل ليست لديه حساسية دينية أو مذهبيّة .

غير ان ذلك لم يكن يعني عدم التعالي واحتقار الأهالي باعتبارهم بشراً غير متحضّرين على الطريقة الغربيّة . حكى أحد العاملين القدماء ، بأن ارامكو كانت تجمع المئات من الراغبين في العمل في إحدى ساحات القطيف ، وهناك يجري الكشف الصحّي عليهم ــ كما تجرى على الحيوانات ــ فينظرون الى أسنانهم وعيونهم وآذانهم وأبعد من ذلك . وهذا بنظرهم «اختبار صحّي» ! . ولم يكن أمام الناس الذين يريدون سدّ رمقهم الاّ القبول ، بل ودفع الرشوة ، رغم العوز ، للظفر بالنجاح والقبول ، وكان هؤلاء كثيراً ما يخفون أعمارهم الحقيقية حتى لا يفوتهم قطار العمل [٨] .

من جهتها كانت ارامكو بحاجة الى الشيعة ، الفئة الوحيدة التي كانت لا تمانع من العمل المهني .. وفي بداية التأسيس كان هناك طلب ملحّ على القوى العاملة الشيعية ، ولم تنجح ارامكو الاّ في استقطاب عدد جدّ محدود من العوازم والدواسر القاطنين في محيط المدن والقرى الشيعية [٩] . وخبرة الشركة تقول بأن الشيعة أبدوا استعدادهم ورغبتهم لقبول المخاطر والتأهيل وغيرها اكثر من السنّة من بدو المنطقة [١٠] . ولهذا السبب دون غيره ، احتلّ الشيعة مواقعهم في ارامكو ، وان كانت هذه المواقع ــ وبقرار سياسي ــ لا تصل الى الادارة والمراتب العليا ، ولكنّها شديدة التأثير في كل المواقع الأخرى ، ولا يمكن لارامكو على مدى العشرين سنة القادمة الاستغناء عن الشيعة ، الاّ اذا قرّرت عدم تصدير النفط من أساسه .

بعد سنوات خمس من العمل الشاقّ ، تفجّر النفط في مارس ١٩٣٨ من البئر رقم ٧ ، وفي العام التالي تفجّرت الحرب العالمية الثانية ، فدخلت البلاد في دوامة اقتصادية جديدة وعاصفة كانت الأقسى على الاطلاق ، ولم تفد مسارعة الاميركيين والانجليز لمعونة الملك لكسب تأييده في الحرب ، ومن أجل تدخّله في إبقاء الدول العربية هادئة ــ خاصة في فلسطين ــ من إيقاف غائلة المجاعة وما

تبعها من هجرة واسعة النطاق من كل أنحاء البلاد الى البلدان المجاورة هربا من الموت .

لقد تدفق البترول في أشدّ فترات البلاد تأزّماً وحرجاً ، فقد جاء في فترة كساد صناعة اللؤلؤ والذي بدأ سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، وفي فترة كساد عالمي بدأ منذ أواخر عام ١٩٢٨ ، وما تبع ذلك من انخفاض عدد الحجاج الذين يزودون خزينة الملك بالمال ، كما جاء تدفق النفط في فترة انهيار تجاري عام ، فقلّت رسوم الجمارك . وما كاد الملك يتنفّس الصعداء حتى اشتعلت الحرب العالمية الثانية لتزيد الأمور سوءا ولينخفض عدد الحجاج الى أقلّ المستويات .

خلال الفترة من ١٩٣٩ الى ١٩٤٨ ارتفعت أسعار المعيشة بنسبة ٦٠٠٪ ، في ظلّ تضخم جنوني جعل من عائدات الملك قليلة القيمة . وحتى أفراد العائلة المالكة وحواشيها الذين تمتعوا في السنوات السابقة بحياة ليّنة وإنفاق متعاظم على أسباب الرفاه والكماليات المستوردة بفضل عوائد البترول التي تدفقت الى جيوبهم ، حتى هؤلاء تألموا من هذه الأزمة ، فكان عليهم ــ وإن لم يكونوا قد تعوّدوا ــ أن يحاولوا التقليل من إسرافهم وتبذيرهم .

أمّا على الصعيد الشعبي فقد انخفض المخزون الرئيسي من التمر والأرز والحنطة ، وارتفعت أسعارها الى الذروة ، وشهدت المناطق الزراعية عودة جماعية للاعتماد على النباتات الحقلية كغذاء رئيسي . أما المناطق الصحراوية فقد وصلت بها الحال الى مرحلة مأساوية ، واتّجه العديد من ابنائها الى الرياض طالبين الغوث من الحكومة ، في حين عاد عمال ارامكو الى زراعتهم المهجورة وحرفهم الصغيرة ، وقد كان هؤلاء أكثر المتضررين من الظروف الجديدة ، حيث بقيت مرتباتهم عند مستواها السابق ، ولم تستطع مسايرة تيار الغلاء الجارف ، وهكذا دبّ التذمّر في صفوفهم ، وسرت موجة من التخلّي عن العمل دون إنذار مسبق ، بل ان ارامكو نفسها قامت بتسريح العديد من العمال واعدة إيّاهم بإعادتهم في حال توقّف الحرب .. لكن هجرة العمل في ارامكو زادت عن حدّها ، فاضطرّت الشركة في اكتوبر ١٩٤٥ لوعد العمّال بتحسين ظروف العمل بعد إضراب بدائي قاموا به . وكانت ارامكو قد قدّمت وعودا سابقة بتحسين أوضاع عمّالها ، بعد الهجوم الايطالي على الظهران .

ففي ليلة الخامس عشر من رمضان ١٣٥٩هـ / ١٩ اكتوبر ١٩٤٠ ، شنّت أربع طائرات ايطالية من طراز (SOVOIA MARSHETTI S ٨٢٥) وبقرار شخصي من موسوليني ، هجوماً على آبار النفط في الظهران وبالقرب من المنطقة السكنيّة ، وقد أحدثت القنابل أصواتاً رعديّة مخيفة ، وأصابت أنبوبين للنفط وذا أحدث هلعاً في أفئدة العمال . وقد اعتذر موسوليني في حديث مذاع للملك عبد العزيز متذرّعاً

بأنّه لم يكن يقصد مهاجمة الظهران ، وإنّما معمل تكرير النفط في البحرين .. وقد كان مقرّراً ان يتم بعد القصف للمعمل أن تعود الطائرات التي انطلقت من جزيرة رودس عبر الاجواء السعودية لتهبط في الحبشة ، ولكن أحد الطيّارين فقد الاتصال مع بقيّة السرب ، فلاحت له أنوار الظهران ، فظنّها الهدف وأفرغ حمولة طائرته من القنابل [١١] .

قال أحد العمّال ممّن شهد الهجوم بأن «النصارى كانوا يعيشون في رعب ، وقد طلبوا منّا أن نقيم ملاجىء تحت الأرض ، فأعددنا ثلاثة منها للأميركيين الذين رغم التحصينات كانوا يفضّلون النوم في الصحراء مع عوائلهم .. أمّا نحن ، فكنّا نسكن في البرستيات في اكواخ من السعف ، وحفرت لنا حفرة لا تغطّي الركبة مع أوامر تقول : اذا سمعتم الصفارة ، إختبئوا في الحفرة ! . وما ان يحلّ وقت المغرب حتى تطفأ الأنوار ، وقد طليت أنوار السيارات باللون الأزرق ، والويل لنا إن أشعلنا النار لطبخ العشاء أو للتدفئة .. على أننا ـ العمال السعوديين ـ نبتعد بعد صلاة العشاء عن منطقة المنشآت الى نهيدين [١٢] . وفي احدى الليالي سمعنا أصوات الإنفجارات فأرعبتنا ، ورأينا النار تشتعل ، ولكننا لم نجرؤ على الاقتراب من موقع الانفجارات حتى الصباح حيث بدأت الجرافات بحجز النفط الخام والذي غطّى مساحة واسعة من الأرض ، فيما أوقف العمال مرور النفط في الإنبوبين المصابين .. وهناك رأينا قذيفتين لم تنفجرا ، احداهما عند المطبخ العام والاخرى بالقرب من السوبر ماركت» [١٣] .

بعد هذا الهجوم كاد العمل ان يتوقّف كلياً ، حيث تمّ ترحيل العائلات الاميركية والعديد من العمّال الاميركيين على ظهر سفينة أقلّتهم الى بومباي ، ومنها أبحروا الى الولايات المتحدة في ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ على متن الباخرة (PRESIDENT GARFIELD) . وكان آخر فوج يغادر الظهران في منتصف ١٩٤١ ، ولم يبق سوى أقلّ من مائة من العمال الاميركيين . لم يكن هذا حال الاميركيين فحسب ، بل ان العمال السعوديين الذين رأوا تساهل الشركة بحياتهم ، تركوا العمل بشكل جماعي ، الأمر الذي دعا الشركة الى المسارعة في حفر وبناء ٢٥ ملجأ تحت الأرض في رأس تنورة والظهران ، في محاولة لتشجيع العاملين على البقاء ، كما رُشّت الطرقات بالنفط المحروق ، وأقيم جهاز إنذار على قمّة جبل الظهران ، وأصدرت الحكومة ـ بناء على طلب من ارامكو ـ حظراً على خروج الأهالي بالفوانيس ، كما وضعت ارامكو خطّة للطوارىء لحماية الأجهزة الثمينة ، والمخازن وآبار النفط ، في حين توسّعت الشركة في استخدام الحمير والجمال لنقل المعدّات بسبب شحّة قطع الغيار ، واستمرت الأمور على هذه الحال حتى عام ١٩٤٣ [١٤] .

طلب الملك من ارامكو في عام ١٩٣٩ قرضاً بستة ملايين دولار لخمس سنوات ، وقد وافقت الشركة على دفع ثلاثة ملايين ريثما تنظّم الحكومة الاميركية طريقة للمساعدة ، ودفعت المبلغ ولكن بعد لأي شديد عام ١٩٤١ . في حين انخفضت مدفوعات الشركة للملك من ٣,٢ مليون دولار عام ١٩٣٩ ، الى ٢,٥ مليون في عام ١٩٤٠ ، ثم الى مليوني دولار ابتداءا من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٤ .

وأقنعت الشركة الرئيس روزفلت عبر مندوبها «جيمس موفت» بأن يوسّع نطاق قانون الإعارة والتأجير ليشمل السعودية ، حيث أبدى روزفلت قلقه من إثارة المتاعب لدى الكونغرس الذي اشترط قصر المساعدات على الحكومات الديمقراطية من الحلفاء ، بينما يوصف حكم ابن سعود دائما بالقبليّة والفرديّة والاستبداد .. وهكذا جرى تعديل الطرح بأن تدفع المساعدات لبريطانيا «عبر القانون هذا» ، ثم تتولّى هي تسليم ابن سعود حصّته . وعلى اثر ذلك زاد الانجليز دعمهم للملك من المال الاميركي الى ٥,٣ مليون دولار عام ١٩٤١ ، اي بما يعادل ١٣ ضعف المساعدة التي حصل عليها في السنة السابقة[١٥] ، وقدّر مجموع ما حصلت عليه الحكومة السعودية في العام التالي ١٩٤٢ بـ ١٢ مليون وتسعين ألف دولار . واستمر الدفع الاميركي بفضل ارامكو على شكل قروض مكبّلة لم يستطع الملك ان يدفعها ، ووصل مقدار القرض الذي استلمه الملك سنة ١٩٤٤ إلى عشرة ملايين دولار [١٦] .

في هذه السنوات انتشرت المجاعة بين السكان ، وعرف الناس سنة «البطاقة» حيث كانت المواد الغذائية توزّع بالحصص لبعض الأماكن . وظهرت إشاعات في القطيف ونواحيها بأن الحكومة ستصادر جميع ما لدى الأهالي من تمور ، فصدّق بعضهم الاشاعة وأخذوا احتياطاتهم ، فنقلوا ما لديهم الى أمكنة لا تراها أعين الرقباء .. وأما الآخرون فقد ابتلوا وصودر جميع ما لديهم فأصبحوا يجلسون في الشوارع يمدّون أيديهم يسألون الأحسان . على ان الغالبية لم تكن تعلم بأن الملك ــ وعبر جلاّده ابن جلوي ــ سيصل بهم الأمر الى هذا الحدّ ، بأن ينهبوا طعامهم ، فهذا لم تعرفه المنطقة في تاريخها القديم او الحديث .

لقد بعث الملك بهيئة مع فرق شرطة تفتش البيوت بيتاً بيتاً وصادروا ما وجدوه .. حكى أحد المعاصرين لتلك الاحداث الرهيبة ، بأنه كان لديه (١٢ من قلال التمر) هي كل ما لديه في الحياة ، وقال انه فوجيء بطرق الباب ففتحه ، وتدفق رجال الهيئة كالكلاب المسعورة تبحث في جميع انحاء البيت ، وأشار الى ان جاره أبلغه صبيحة ذلك اليوم بأن هؤلاء سيقدمون ، فلم يأخذ استعداده فيخفي ما لديه من طعام ، وكل ما فعله انه فتح هذه القلال ، فلما رأوها قال لهم : انها تحوي

تمراً فاسداً ، فمدّ المسؤول يده والتقط واحدة منها فوجدها فاسدة ــ صدفة ــ فتركوه . واشار هذا المعاصر للحدث ، الى ان جاره صودر منه ٨٠ قلّة تمر ولم يتركوا له واحدة منها ، وكان هذا الجار قد أخفاها في باحة منزله حيث دفنها وأهال عليها التراب ، ولكن رجال الهيئة وبواسطة قضيب حديدي خاص يغرزونه في الأرض كإحدى أدوات التفتيش ، اكتشفوها وصادروها ووجهوا له اللطمات والسباب والإهانات [١٧] .

أيّام قلائل مضت ، وإذا بالبكاء والعويل يرتفع من النساء والأطفال بسبب الجوع ، وكان هناك تزاحم منقطع النظير لشراء التمر الذي اصبح سعر الكيلو منه ريالاً ، وهو مبلغ ضخم .. وقال أحد المعاصرين انه رأى بعينه طوابير تتزاحم في مكان كان والى ما قبل سنوات خمس يعرف باسم المربعة في مدينة صفوى لشراء التمر . ولأن الغالبية لا تملك المال ، فقد اضطرت النساء لبيع أي شيء يوجد لديهن من أسورة وحلي وغيرها ، وأضاف : «رأيت بعيني الناس يتصارعون على ظرف قلّة التمر ــ الخصفة ــ علّهم يجدون بها شيئا من التمر ملتصقاً بها [١٨] .

ومنذ أواخر عام ١٩٤٣ لم تعد شحنات الأرز تصل كما كانت من بورما ، فاتخذ الملك ابن سعود قراراً بالتعويض عنها من تمور وأرز الأحساء والقطيف بالمصادرة والإكراه . وسيّر الملك منذ فبراير ١٩٤٤ شاحنات من الهفوف الى الرياض لنقل المواد الغذائيّة ، وقدّرت الكميات التي نقلت عام ١٩٤٤ بحوالي ثلاثة آلاف طن ، ثم زيد عدد الشاحنات في يوليو ١٩٤٥ لنقل المزيد من التمور والأرز من المقاطعتين الشرقيتين [١٩] .

هذا في الوقت الذي كان فيه الملك وأولاده وحفدته وبناته ومستشاروه يتلاعبون بمال الإعانة الأميركية ، وكان وزير المالية ــ كما يقول حافظ وهبة ــ يختلس ذهب المعونة الاميركية من الجنيهات «ويبيعه جهاراً في أسواق القاهرة خلال الحرب» ، ولكن الملك سكت عنه «ولقد كان هذا العفو ــ كما يضيف وهبة ــ تشجيعاً مباشراً للصوص والمختلسين والمرتشين ، فاذا كان هذا جائزا في حكومة لا تدين بالشريعة الاسلامية ، فانه كثير على دولة دينية» [٢٠] . في حين ان ابن جلوي كان يومها يقطع أيدي الجياع ولأتفه الأسباب .

مضت سنوات الحرب ثقيلة مؤلمة حتى إذا ما حلّ عام ١٩٤٥ وشارفت الحرب على نهايتها ، بادر عمال أرامكو بإظهار امتعاضهم الذي تراكم طوال سني الحرب التي تحمّلوا آلامها وأهوالها . وبالطبع لم يكن وضع العمال مريحاً في أي وقت ، وكان الاميركيون ينظرون الى المواطنين باعتبارهم قوة عمل رخيصة بإمكانها إنجاز الكثير من الأعمال بأجور بسيطة ، وكان أجر العامل السعودي ١٥ قرشاً يومياً ، أما راتب الهندي فكان أربعة ريالات . وارتفع الأجر الى ١,٢٢ ريال ،

وفي عام ١٩٤ الى ريال ونصف .

وبمقارنة بسيطة يتضح لنا مقدار الغبن ، فالعامل السعودي كان يحصل على ٤٠ سنتاً اميركياً عام ١٩٤٥ ، ارتفع الى ٨١ سنتاً عام ١٩٥٠ ثم الى ٢,٣ دولار عام ١٩٥٨ . أما أجر العامل في أميركا فكان ٩,٥ دولار عام ١٩٤٨ ارتفع الى ١٥,٦ عام ١٩٥٨ ، وفي فنزويلا كان الحدّ الأدنى للأجر اليومي دولارين عام ١٩٥٠ ، ارتفع الى ٣,٧ دولار عام ١٩٥٩ (٢١) .

أمّا الوضع المعيشي فكان بالغ السوء من حيث السكن والمواصلات ، وكان للكمب السعودي (الحي السعودي) شهرة عالمية ولا نقول محليّة ، حيث كان هذا الحي يحوي غرفاً من السعف والخشب يتأجّرها العمال ، وكان منظرها بالمقارنة مع مباني إدارة أرامكو القريب منها يصعق الزوّار المتحضّرين ! . وبسبب ارتفاع نسبة التضخم وزيادة ساعات العمل ترك العديد من العمال عمله دون سابق إشعار ، وبصورة غير منتظمة توقف ، وحاول العمال انتخاب ممثلين عنهم لمباحثة الشركة ، ولكنها رفضت ذلك خشية بروز زعامة نقابية ، وأصرّت على أن تكون الحكومة السعودية ممثلة للعمّال ، لكن هذه الحكومة لا تمثل الاّ نفسها ، حيث استغفلتها الشركة ، ولم يبد ممثل الحكومة «خالد السديري» إهتماماً بحق المواطنين وهذا خلق شعوراً متزايداً بعجز الحكومة أمام الشركة (٢٢) .

وبعد مفاوضات سهلة بين الحكومة والشركة ، اصدرت الأخيرة بياناً قالت فيه أنها ستقدم علاوة خدمة قدرها ثلاثة قروش يومياً بعد إكمال العامل سنة من الخدمة ، تزداد الى ريال واحد بعد عشر سنوات .. وقررت أن يكون الراتب الأوّلي للعامل ريالاً ونصف ، وبعد ان يمضي سنة كاملة يصبح الراتب ريالين يومياً . كما تعهدت الشركة ببناء غرف من الاسمنت لعمالها بدل الخيام والعشش ، إضافة الى اعتبار العطل الرسمية ثلاثة أيام فقط هي «يوم عيد الفطر ، وعيد الاضحى ، ويوم جلوس الملك على العرش !!» .

ويبدو واضحاً ان الاضراب البدائي في الظهران كان متأثراً بإضراب عمّال النفط في البحرين والذي بدأ في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٣ واستمر حتى بداية عام ١٩٤٤ ، وذلك احتجاجاً على تدنّي الأجور وحالة العمل السيئة .. وكان رد فعل الإنجليز وشركة النفط عنيفاً في ظل ظروف الحرب العالمية حيث كان مجهود الحلفاء الحربي في المحيط الهندي وجنوب آسيا يعتمد على نفط البحرين . وفي البداية قدّم المستشار «بلجريف» الوعود لفكّ الاضراب ، ولكن دونما فائدة ، وقد كان أحد مطالب عمال البحرين اعتبار يوم الجمعة يوم راحة مدفوعة الأجر وليس الأحد . وحينما تعاطف شيخ البحرين سلمان بن حمد آل خليفة مع المضربين هدّده بلجريف والمعتمد «هكتبتم» بأن «وقف العمل في المصفاة سوف يعني نقصاً في

الأموال التي يتسلمها عظمته !» ، فتخلّى عن التأييد حتى لأن يكون يوم الجمعة هو العطلة الرسمية ، وقال لمهدّده «ان المضربين كلّهم من الشيعة ، وأنه لا يؤيد أي شكل من أشكال الإضراب وبخاصة اذا كان يضرّ بمصالح الدولة البريطانية» [٢٣] .

ونتج عن هذا أن أعطى الشيخ سلمان لمستشاره وقائد شرطته في نفس الوقت «بلجريف» التصرّف بأي شكل لانهاء الاضراب ، فاعتقل قادة المضربين ، ففقد العمال ترابطهم ، نتيجة احتجاز قادتهم ولاحتياجاتهم للنقود حتى يقيموا أود صغارهم ، ولم يمض الاسبوع الأول من يناير ١٩٤٤ حتى كان معظم العمال قد عادوا ، وفصل قادة الإضراب ، وأعطت الشركة من عاد قبل الثلاثين من ديسمبر ١٩٤٣ علاوة الحرب .

إضرابات اخرى

لقد تزعّم العمال في حقول النفط الكثير من المواقف ، بعضها ذو صفة نقابيّة متعلّقة بمشاكل العمال المادية ـ كما هو إضراب عام ١٩٤٤ ـ والبعض الآخر ذو صفة سياسيّة ، حيث تطوّرت الأوضاع في الساحة العربيّة ، وكان العمّال في المنطقة الشرقيّة أكثر ملامسة لحقائق الظروف المستجدة ، فقادوا التحرك الوطني مدّة من الزمن .

بعد إضراب عام ١٩٤٤ شكّل العمّال عام ١٩٥٢ لجنة هي كنقابة ، وفي العام التالي ، وبالتحديد في ١٧ / ١٠ / ١٩٥٣ بدأ العمال بالإضراب عن العمل الذي شارك فيه نحو ٢٠ ألف عامل محلّي وعربي « وقد أعرب سكان المنطقة الشرقية عن تعاطفهم مع المضربين ، إذ كان الموقف من الأميركيين وثرائهم ونمط حياتهم سلبيّاً أو عدائيّاً .. وحينها أعلنت الحكومة الأحكام العرفية في حقول النفط ، وتمّ نقل آلاف الجنود للمنطقة ، لكن هؤلاء ـ شأنهم شأن رجال الشرطة المحليين ـ لم يتحمّسوا لتنفيذ الأوامر بقمع المضربين » [٢٤] . ولذا إضطرّت الحكومة لمفاوضة اللجنة العمالية التي شكّلها العمال كممثل لهم ، وقبلت بزيادة الأجور بنسبة تصل الى ٢٠ ٪ ، وأُطلق سراح المعتقلين من أعضاء اللجنة ـ أكثر من مائة شخص ـ ، وانتهى الإضراب في الأول من نوفمبر ١٩٥٣ .

ويعتقد الكثيرون أن التأثيرات السياسيّة القادمة من الخارج ـ تصاعد نشاط التيار القومي ـ ، قد ساعد على إجبار الحكومة السعودية وشركة أرامكو على تحسين أوضاع العمال المحليين والعرب [٢٥] . وبالطبع لم ترضخ الحكومة

وأرامكو بسرعة لتلبية مطالب العمال ، ففي البداية تمنّعت الجهات المسؤولة ، ورفضت ملاقاة اللجنة العمالية ، وأمر ولي العهد ـ الأمير فيصل ـ المضربين بالعودة الى العمل تحت طائلة العقاب والطرد ، لكن العمال قد استثيروا بسبب إعتقال زعمائهم ، فأصرّوا على مواقفهم حيث تحوّل الإضراب من خلاف مهني محض الى تحدٍ للنظام السياسي القائم . وكانت نتيجة الإصرار أن أقدمت أرامكو على تحقيق إصلاحات إجتماعية وإقتصادية فورية ، منها تحسين الوضع السكني ، وزيادة الأجور ، وتحسين شروط الترقية ، وبناء مدرسة لأطفال العمال [٢٦] .

وإذا كان إضراب عام ١٩٥٣ قد حرّكته دوافع إقتصادية ـ مع أنه يحمل في طيّاته نزعة سياسيّة معارضة ـ ، فإن المعارضة السياسيّة بدأت تشتدّ في العامين التاليين ، ففي تقرير للقائم بالإعمال البريطاني في جدّة المستر فيلبس ، ارسله لوزير الخارجية البريطاني هارولد ماكميلان ، تحدّث فيه عن أسباب القلاقل السياسيّة في المملكة ، وأشار الى إنفاق الملك سعود لملايين الجنيهات على القصور ومظاهر الترف التي يغدقها على شخصه وحاشيته ، وقال أن زوار هذه القصور المطلية بالذهب يرون أنه « لا يمكن أن تستمر بالتعايش مدة طويلة جنباً الى جنب مع خيام البدو الرحل وأكواخ الطين » .. وقال القائم بالإعمال إن هناك حركة توزيع منشورات وإشاعات تتداولها الطبقة العليا الملتصقة بالحكم ، وأفاد بأن هناك إعتقالات غير قليلة في جدة والرياض والظهران ، وأن من بين المعتقلين رئيس مكتب علاقات العمل الحكومي في المنطقة الشرقية ، وقد وضعت الحكومة مكانه تركي العطيشان « صاحب الشهرة البريميّة » ، وتابع بأنه تمّ إطلاق سراح المعتقلين ، ولكنهم تعرّضوا للضرب المبرح والتعذيب رغم أنه لم يثبت ضدّهم ما يدينهم [٢٧] .

في ١٣ مايو ١٩٥٥ تحدثت تقارير أميركية وبريطانية عن وقوع إضطرابات وإعتقالات في منطقة الأحساء ، ورغم إختلاف الروايات الاّ أنها تتفق على أنه تمّ إعتقال عدد من الأشخاص ، يؤكد هذا كبير ضباط البحرية الأميركية الذي كان في الظهران يوم العاشر من مايو ١٩٥٥ .. وتوحي الإستفسارات التي قام بها أحد الطيارين البريطانيين العاملين في شركة طيران الخليج ، ومن خلال إتصالات أجراها في مطار الظهران ، أن بعض الأشخاص المشمولين بالإعتقالات على الأقل ، هم من العاملين في إدارة علاقات العمل بالدمام [٢٨] .

في ١٦ مايو ١٩٥٥ ، أفاد المستر فيلبس من جدة في برقية أرسلها الى وزارة الخارجية البريطانية ، بأنه « لم تقع أيّة إضطرابات » ، ولكن الاعتقالات في حقول النفط وغيرها طالت ستين شخصاً ، بتهمة القيام بنشاطات معادية للعائلة

المالكة [٢٩] .

في ١٦ مايو أيضاً أرسل بيرنارد باروز المقيم السياسي البريطاني في الخليج ـ البحرين ، الى وزارة الخارجية ـ الدائرة الشرقية ، أرسل معلومات جديدة حول الإضطرابات الأخيرة ، إعتماداً على معلومات قدّمها القنصل الأميركي في الظهران والذي كان في زيارة الى البحرين . قال : أن عمليّة الإعتقالات الرئيسية كانت لرئيس مكتب علاقات العمال الحكومي في الدمام، وقد سيق الى الظهران ، كما إعتقل آخرون في الأحساء ، وقيل أنه تمّ إعدام أربعة أشخاص « وهناك حالة توتر وإضطرابات خفيفة بين العمال في بقيق ، وهو أحد الحقول النفطية المنتجة الواقعة على مسافة غير بعيدة غربي الظهران ، حيث قاطع العمال السعوديون خدمات النقل التي أدخلتها الشركة ـ ارامكو ـ حديثاً ، بحجّة أن الحافلات ليست مريحة ولا منتظمة ، مثل حافلات الأميركيين ، وقد مضى نحو شهر على المقاطعة .. إن القضيّة ليست ذات أهميّة بحدّ ذاتها ، ولكنها مهمّة كظاهرة مقاومة سلبيّة للسلطة ، وكتعبير عن التنظيم المتواصل بين العمال » [٣٠] .

وفي ١٠ يونيو ١٩٥٥ كتب هارولد بيلي في السفارة البريطانية بجدّة الى الدائرة الشرقية ـ دائرة الإستخبارات ـ في وزارة الخارجية البريطانية يقول : « إن الحكومة قد إعتقلت عدداً من الأشخاص يشتبه بأنهم مسؤولون عن توزيع منشورات تحضّ على الفتنة ... وأن منشورات أُرسلت مباشرة الى العائلة المالكة بواسطة البريد وتم إدخال أعداد كبيرة من المنشورات من خارج المملكة ووزّعت داخلها » .. وقال بيلي أن الحكومة نفّذت حملة طرد واسعة ضدّ عدد من العمال السوريين واللبنانيين والفلسطينيين في شركة الزيت العربية ـ الأميركية وفي مؤسسة الخطوط الحديدية ، رغم أنهم لم يشتركوا أو يتورّطوا فعلاً في هذه القضية .. وأضاف بأن الحكومة ردّت على مزاعم صحافي عراقي بأن إثنين من الشيوعيين قد تمّ إعتقالهما « وهي التغطية الملائمة والسهلة لما أصبح واضحاً أنه وضع محرج للحكومة » [٣١] .

في حين أن الحكومة السعودية تشعر بأن التنظيم يشكّل خطراً عليها ، وترى أن المطالب التي يقدمها العمال يكمن وراءها رغبة في أن يكون هناك تمثيل جماعي ، والحكومة تدرك بأنه إذا ما أُتيح لقياديي العمال التحكم والسيطرة على النقابات العمالية في أرامكو ، فإنهم سيكونون قد أمسكوا بسلاح بالغ القوة .. والمسألة هنا لا تتعلّق بأرامكو وحدها في رفض أو قبول إدخال نظام النقابات العمالية « فهذا من إختصاص الحكومة .. والحكومة حالياً ضد النقابات العمالية حتى الموت » ، كما يقول مسؤول العلاقات العمالية الأميركي في أرامكو

الى مسؤول بريطاني في مقيميّة قطر [٣٢] .

في عام ١٩٥٦ تحوّل الإضراب العمالي الى مواجهة سياسية سافرة مع الحكومة السعودية .. ففي شهر مايو قاد العمال حملة احتجاج واستنكار على محاولة الحكم السعودي تجديد إتفاقيّة تأجير قاعدة الظهران للقوات الأميركية ، وقد وقّع عدد من المواطنين في المنطقة الشرقيّة بلغوا ستمائة شخصيّة ، أكثرهم من الشيعة ، وقّعوا على عريضة إحتجاج شجبوا فيها تجديد الإتفاقيّة .

وحين أُطلع سعود بن جلوي ، أمير المنطقة الشرقية ، على قائمة الموقعين ، إكتشف أسماء أهل القطيف ، وأبلغ الأمير مساعد بن عبد الرحمن ـ عم الملك سعود ، والذي أرسله الملك للتحقيق في مطالب العمال ـ بها ، فـأدى الى قيام الأخير بإستجواب أولئك المسؤولين عن العريضة في القطيف ورأس تنورة والظهران . واعتقلت السلطة معظم الموقّعين عليها لبرهة من الزمن ، وأجبرتهم سلطات الأمن على التعهّد بأن لا يتدخلوا في السياسة ، التي هي من شأن الحكومة وحدها .

أما السفير الأميركي ـ والذي كان في المنطقة الشرقية في ذلك الوقت ، فقد إرتاب بوجود أيدٍ شيوعيّة في تلك العريضة ، وحصل على إذن لكي يرسل مساعده العربي الى القطيف لإستجواب الأمير مساعد نفسه ، وقد حاول الأخير طمأنة السفير الأميركي ، وقال له بأن موقعي العرائض ـ خاصة أهالي القطيف ـ إنّما كانوا يأملون بإدخال السرور الى قلب الملك بإقحامهم إسم القاعدة الجوية الأميركية في الظهران ، والتي ظنّ هؤلاء الموقعون أن للملك آراء مشابهة لآرائهم [٣٣] ! .

وأفاد تقرير قدّمه المقيم السياسي البريطاني في الخليج السير بيرنارد باروز ، مؤرّخ في الثاني من يونيو ١٩٥٦ ، وحمل عنوان (إضطرابات القطيف) ، بأن «أحد المواطنين الشيعة وصل الى البحرين يوم ٣١ مايو ـ ١٩٥٦ ـ قادماً من العربية السعودية ، وأورد خبراً عن وقوع إضطرابات خلال الأيام الثلاثة الماضية بين الأغلبية الكبيرة من السكان الشيعة في القطيف ، والذين ينحدرون من أصول بحرانية ، ويقيمون صلات وثيقة بالشيعة هنا . قال أن ما يزيد على الثلاثمائة شخص قد أُلقي القبض عليهم ، وأن النساء حملن السلاح في بعض الحالات لمنع السلطات السعودية من الوصول الى القرى » [٣٤] .

تطوّرت الأمور في بداية يونيو ١٩٥٦ حيث بدأ العمال بإضراب ذي مغزى سياسي واضح ، وأقاموا مظاهرة صاخبة حين زار الملك سعود الظهران كي يستعد للقاء رئيسي سوريا ومصر في الدمام . وقد رفع العمال شعارات وطنيّة لا تتفق مع الإتجاه العام لسياسة الدولة ، وحينها استبدّ الخوف بالملك سعود

لمجرد حدوث هذه الظاهرة غير المألوفة ، خاصة وأن المتظاهرين حملوا لافتات كتبت عليها شعارات سياسية ضد الإستعمار ، وضد القاعدة الجويّة الأميركية في الظهران ، وهتفوا أمام الملك بسقوط الإستعمار الأميركي ، ورجموا سيارته بالحجارة .. لهذا كانت ردّة فعل الملك قويّة وقمعيّة ، حيث أودع قادة المضربين والمتظاهرين السجن ـ قدّر عددهم بنحو ٦٠ شخصاً ـ وأعلنت الحكومة حظر الإضرابات ومنع تكوين النقابات ، وصدر مرسوم ملكي في ١٢ يونيو ١٩٥٦ ـ وصفته الوثائق البريطانية بأنه قمعي ووحشي وذو طبيعة فاشية ـ يحظر الإضرابات تحت طائلة السجن [٣٥] .

ومما جاء في المرسوم الملكي (رقم ٢٦٣٩/٢٣/٢/١٢) والمؤرخ في ١٣٧٥/١١/٣ هـ ، ما يلي « **المادّة الأولى** : يحرم على جميع موظفي وعمال الشركات صاحبة الإمتياز ، وكذلك على جميع المؤسسات الخاصة التي تمارس أي نشاط في المرافق العامة ـ او التي تتعهد بتنفيذ مشاريع حكوميّة عامّة ، أن يغادروا أعمالهم أو يمتنعوا عن تنفيذها ، إذا كان مثل هذا الموقف ناتجاً عن إتفاق بين ثلاثة منهم أو أكثر ، وسيعاقب المذنب بالسجن لمدة أسبوع واحد . وكل شخص ثبتت بحقّه جريمة تحريض الموظفين عن أعمالهم ، تفرض بحقه عقوبة السجن لمدة عام واحد ، حتى لو لم تنجح عملية التحريض ، أو التوقف المشار اليه » .

« **المادّة الثانية** : لا يحق لموظفي وعمال الشركات والمؤسسات والمصالح المذكورة في المادة الأولى الإشتراك في أي تظاهرة أو إضراب القصد منه دعم أيّة مطالب ، أو مطالب عُرضت في الماضي ، حتى ولو كان مثل هذا الإشتراك قد رتّب مسبقاً . ويعاقب كل مخالف بالسجن لمدّة لا تقلّ عن عام واحد . وكل شخص تثبت إدانته في تحريض الموظفين والعمال المشار إليهم ، سواء بالقول أو بالفعل على التظاهر أو الإضراب ، وحتى لو لم ينجح التحريض في تحقيق التظاهر أو الإضراب ، يسجن لمدة لا تقلّ عن عامين » .

« **المادة الثالثة** : كل شخص تثبت إدانته بإستخدام القوة أو الإرهاب أو التهديد أو التخريب أو أية وسيلة أخرى من وسائل العنف غير القانوني ، سواء كان ذلك بهدف تسهيل إرتكاب إحدى الجرائم المذكورة في المادتين السابقتين ، أو بغرض منع الموظفين والعمال المذكورين في المادتين السابقتين من الإستمرار في أداء أعمالهم ، أو بغرض إبتزاز وإجبار الشركات والمصالح المشار اليها في الفقرتين السابقتين ، لإستخدام أو الإمتناع عن إستخدام أي موظف أو عامل ، أو لتسبيب إغلاق الشركات والمصالح ، يعاقب بالسجن لمدة لا تقلّ عن عامين . وكل شخص تثبت إدانته ، سواء بالقول أو بالفعل بتهمة تحريض آخرين على

إرتكاب أي من الجرائم المشار اليها في المادة الأولى يُعاقب بالسجن لمدة لا تقل عن ثلاثة أعوام ، حتى ولو لم ينتج عن هذا التحريض إرتكاب فعلي للجريمة » .

« **المادة الرابعة** : يحقّ لربّ لعمل أن يطرد مستخدماً أو عاملاً يعاقب لإرتكابه أي من الجرائم المذكورة في المواد الثلاث السابقة » .

« **المادة الخامسة** : يحق لأمير المنطقة المعنيّة أن يقرّر وأن يطلب من ربّ العمل إذا إقتضى الأمر أن يطرد مستخدماً أو عاملاً عوقب لإرتكابه إحدى الجرائم المشار إليها . كما يستطيع أمير المنطقة أن يقرّر وينفّذ طرد أي شخص من المنطقة (النفي) ، ولمدة يراها ضرورية ، إذا كان قد أدين بأيّ من الجرائم المشار اليها » .

وأشار المسؤولون البريطانيون في البحرين الى تقارير تفيد بقيام السلطات السعودية « بإعتقالات في منطقتي القطيف والهفوف من المنطقة الشرقية . وأن بعض هذه الإعتقالات مرتبط بالعرائض الثلاث التي رُفعت الى الملك سعود والتي احتجّت إحداها على إستمرار تأجير القاعدة الجويّة الأميركية في الظهران » .

كما أشار الدبلوماسيون البريطانيون الذين رصدوا حركة الأحداث السياسية يومئذ ، الى أن عمال ارامكو قاموا بمظاهرة بمناسبة زيارة الملك لمقرّ شركة أرامكو في الظهران في التاسع من يونيو ١٩٥٦ ، وأن المظاهرة كانت موجّهة ضدّ الشركة ، وقد طالب المتظاهرون بتحسين وسائل النقل ، وتقديم رواتب للعمال السعوديين تتوازى مع رواتب الأجانب ـ الأميركيين والأوروبيين ـ التي تزيد كثيراً عن رواتبهم [٣٦] .

إن ما أثار العمال السعوديين هو أن نظام ارامكو يضع الأميركيين في القمّة ، كما ويضع السعوديين في الحضيض .. ورغم أن وضع العمال المادي قد تحسّن كثيراً بعد فورة النفط ، إلّا أن ذلك لا يعمي أبصارهم عن رؤية التباين الهائل الذي ما يزال قائماً بين مستوى معيشتهم ومستوى حياة السادة الأميركيين ، ومثل هذا العامل يسهل إقناعه بالحديث عن عدم المساواة ، والإستغلال ، والإمبرياليّة ـ كما يقول محللو المخابرات في السفارة البريطانية في جدة ـ [٣٧] .

وكانت خلافات قد نشبت بين شركة أرامكو ومكتب العمل المحلي الذي وضعت الحكومة وأرامكو تركي العطيشان ـ سيء الصيت ـ مديراً له ، وكان من رأي العمال السعوديين أن إستخدام النجارين واللحامين الأميركيين والفنيين الآخرين أمر غير منطقي ،لأنه يتوفّر الكثير من السعوديين القادرين على ملء هذه الوظائف ، ولذا حاول قيادات العمال إقناع تركي العطيشان بأن الأميركيين لم يؤت بهم من مسافات بعيدة وتتكلّف الشركة نفقات كبيرة من أجل أداء عمل غير إختصاصي ، بل أن هناك أهدافاً أخرى من إستقدامهم .

كما أن مكتب العمل قال بأن أرامكو سرّحت نحو ألفين من السائقين ، في حين إدّعت أرامكو بأنها نقلت بين ٢٠ ـ ٣٠ سائقاً الى فرع آخر من فروع الشركة ، وقد شجّعت قيادات العمال في مكتب العمل على مقاطعة وسائط النقل ، لكن المشكلة حلّت فيما بعد بتسيير متعهدين محليين حافلات جيدة وبإدارة حسنة [٣٨] .

في منتصف يونيو ١٩٥٦ ، عقد العمال وعدد من الشخصيات الوطنيّة حفلاً سياسياً في أحد بساتين القطيف ، أُلقيت فيه الخطب الثورية المعارضة ، وفي اليوم التالي جرت إعتقالات واسعة في صفوف المشاركين ، وقيل أن الأمير سعود بن جلوي ـ أمير المنطقة الشرقية ـ حقّق بنفسه مع بعض المعتقلين .. وينقل على سبيل الطرفة أن الأمير سأل أحد المعتقلين عمّن قال (إذا الشعب يوماً أراد الحياة / فلا بدّ أن يستجيب القدَر) .. فردّ عليه إنه أبو القاسم الشابي ، وحينها أمر الأمير جلاوزته بإعتقال أبي القاسم وإحضاره إليه ! .

واندلعت مظاهرات أخرى يوم ١٧ يونيو ، وتمّ منع الملك من مغادرة المنطقة الشرقية الى الرياض « ويقال أن جلالته قدّم وعوداً كثيرة قبل أن يتمكّن من الإنفلات . جرت بعد ذلك إعتقالات ويفيد أحد المصادر بأن الحجارة أُلقيت على سيارات جلالته ، كما وقعت مشاجرات في دار السينما في رأس تنورة ، ووقع إضراب في الظهران يقال إنه إنتشر الى معسكرات ارامكو الأخرى » [٣٩] .

لقد دُعي الملك الى حفلة عشاء يكون فيها ضيف أرامكو « وعندما إقترب من البوابة الرئيسيّة المؤدية الى معسكر الظهران ، تجمّع عدد كبر من السكان المحليين ، ويبدو أن التجمّع كان منظّماً تنظيماً جيّداً ، لأنّ الناس وصلوا هناك من المقاطعات الثلاث الكبرى ـ الظهران ، بقيق ، رأس تنورة ـ ، وبينما كان الملك يقترب ، رفضت الجموع أن تسمح له بالمرور إلاّ بعد أن يستمع ، على الأقل ، الى عرائضهم ومطالبهم التي كانت كما يلي : شروط حياة أفضل ، ووسائل نقل أفضل ، والتحكم بأسعار السلع الرئيسيّة ، وطرد جميع الأجانب والسماح للسكان المحليين بإدارة جميع المؤسسات ـ بما في ذلك أرامكو ـ ، وطرد جميع العناصر الهندية » [٤٠] .

ويعلّق المخبر الإنجليزي على هذه المطالب بأنها « كانت شبيهة بمجملها لمطالب الإيرانيين قبل بضعة أعوام » ، في إشارة الى قضيّة تأميم النفط التي قامت بها الحركة الوطنية الإيرانية عام ١٩٥٢ .

« أما الملك ومرافقوه فإنهم وبعد صعوبات جمّة ، تمكّنوا من شقّ طريقهم ـ عبر الغوغاء ـ والوصول الى الأمان النسبي في قاعة العشاء . وفي تلك الأثناء ـ وبينما كان الملك يتناول طعام العشاء مع كبار مسؤولي أرامكو ـ كانت

الجماهير قد إقتحمت حرمة مجمع ارامكو وتجمّعت حول أبواب قاعة العشاء ، وعند المخرج الدي كان على الملك أن يخرج منه للوصول الى سيارته » .

« بعد العشاء ، وبعد أن وصل الملك الى سيارته ، رفضت الحشود الجماهيرية مرة أخرى أن تسمح له بالمرور ـ قدّر مسؤول قسم العربية السعودية في وزارة الخارجية الأميركية ، ديفيد نيوسوم ، عددهم بألفي شخص ـ .. وعندها تدخّل أمير المنطقة ـ سعود بن جلوي ـ شخصياً ، واستدعى على الفور قائد الشرطة في المنطقة ، الذي وجّه له الأمير الإهانة ، والحقيقة أنه رفسه ثم صفعه على وجهه أمام الملأ ، مما أدخل السرور الى قلوب الجماهير المحتشدة ، وقد كان لذلك التصرّف أثره الكبير في تهدئة الغوغاء ، على الأقل الى أن يتمكّن الملك وأتباعه من شقّ طريقهم عبر الحشود حيث غدروا المكان الى الدمام » [٤١] .

أما ردّة الفعل الحكومية فتصوّرها الوثيقة بالتالي : « منذ أن غادر الملك المنطقة الى الرياض ، إستمر إجراء العديد من التحقيقات في محاولة للتأكّد من أسماء قادة الحركة . وفي كل مساء تقوم قوات الجيش المدجّجة بالسلاح بالمرابطة على بوابة ارامكو الرئيسّة بانتظار خروج الموظفين في الشاحنات وعلى الأقدام . حيث يتمّ فرزهم ، وقد سيق عدد كبير من العمال الى السجن ، وبعض من تمكّن الجنود من التعرّف عليهم جلدوهم بقسوة ، وكان الجلد والضرب في بعض الحالات مميتاً » .

« والطريقة المستحدثة الآن لإنتزاع المعلومات من الأشخاص الذين يتردّدون في إعطاء المعلومات للأمير وأعوانه ، هي قلع أظافر السجين ، ظفراً بعد الآخر ، الى أن يقرّر السجين الإعتراف ـ وهم عادة يقررون الإعتراف بعد أن يصل السجّان الى الظفر الثالث ـ إلّا أنه يبدو أن قالعي الأظافر يتلذّذون بما يقومون به ،لأنهم عادة يواصلون قلع الأظافر الى آخر ظفر بيد السجين ، وقد تتصور ـ حديث موجّه لمسؤول في دائرة الإستخبارات التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ـ أن كلّ ما رويته آنفاً من وحي الخيال ولا يمكن أن يحدث ، وإنني أُسارع هنا الى التأكيد لك بأنه ليس من وحي الخيال ، وأنه حدث فعلاً في الفترة الأخيرة » .

ويضيف كاتب التقرير « على مدى الأيام القليلة الماضية ، حصل إضراب عام هنا ، وقام البوليس أمس ـ ١٨ يونيو ١٩٥٦ ـ بزيارة منطقة المعسكرات المحليّة المعروفة بإسم ، الحي السعودي ، وهم يحملون عدداً كبيراً من أغصان النخيل . والهدف إستخدامها كأداة للضرب والجلد .. جلد السكان المقيمين في الحي السعودي إذا لم ينصاعوا لعدد من المطالب التي وجهها رجال الشرطة

إليهم ، والتي تتلخص بما يلي : إذهب الى عملك أو استقل وغادر المنزل ، أو إبقَ مضرباً عن العمل وتلقى الضرب والجلد . وقد تعرّض عدد منهم بالفعل للضرب والجلد ، حيث أنهم رفضوا العودة للعمل تحت أي ظرف من الظروف الى أن تلبّى مطالبهم » [٤٢] .

تجدر الإشارة الى أن إضراباً غير رسمي أعلنه عمال أرامكو في ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، شارك فيه ما نسبته ١٠ ٪ من عمال رأس تنورة ، و ٢٥ ٪ من مجموع العاملين في الظهران . ويعزو المحللون ضعف المشاركة في الإضراب الى حدّة القمع التي مارستها الحكومة في الأيام السالفة والتي راح ضحيّتها عدد من الأشخاص ، والتي لم تؤثّر فحسب على العمال المضربين ، بل أثّرت على مجمل سكان المنطقة الشرقية [٤٣] .

في التاسع عشر من يونيو ١٩٥٦ أفادت شركة نفط البحرين بعد إتصالها بشركة أرامكو بأن « العمال في الظهران قد عادوا الى عملهم ، وأن إبن جلوي يمارس إجراءات قمعيّة بالغة القسوة بما في ذلك الجلد العلني الذي يقال إنه انتهى بموت الذين جُلدوا » [٤٤] .

وأفاد تقرير لدائرة الإستخبارات في السفارة البريطانية في جدة ، مرسل الى الدائرة الشرقية بخارجية لندن ، بأن « الملك سعود أبلغ أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي ـ في أعقاب إضطرابات الظهران ـ بأن هذا النوع من الأعمال يجب أن يتوقّف . وغنيّ عن القول بأنه قد توقّف تماماً . ففي اليوم التالي لإعلان المرسوم المتعلّق بالإضراب ، وصلت نسبة الدوام بين عمّال أرامكو ، حسبما قيل الى ١٠٢ ٪ ! ! ، ومن الواضح أن حكم طاغية مستبدّ هو الذي حقّق هذا الأمر » [٤٥] .

ويذكر التقرير نماذج التعذيب بقوله أنه بعد الإضطرابات التي حدثت في رأس تنورة على مدى ليلتين « أطبق أتباع إبن جلوي على ١٢ من قادة الإضطرابات وجلدوهم في لظى الظهيرة الحارق أمام الجامع ، إمّا بسعف النخيل ـ كما ذكرت إحدى الروايات ـ أو بأنابيب الفولاذ (سمك نصف بوصة) ـ كما ذكرت رواية أخرى . وعلى أية حال فقد مات من هؤلاء إثنان في الحال ، ومات إثنان آخران بعد ذلك من جراحهما وهما في الطريق الى المستشفى . وهناك إثنان في المستشفى الآن لا يتوقّع أن يعيشا طويلاً ، إلّا أن القائد الرئيسي للإضطرابات هرب ، ويقال أنه موجود في الكويت » .

« وبالإضافة الى ذلك ، أُلقي القبض على حوالي ستين شخصاً وزجّ بهم في سجن القطيف ، المشهور بأنه أفظع سجن في كل المنطقة الشرقية ، كما أن عدداً من مثيري الإضطرابات الشيعة من القطيف نفسها موجودون في ذلك السجن .

وقد علمنا أن بعضاً منهم قد تعرّض للتعذيب ، وقلعت أظافر أصابعهم ، وما إلى ذلك .. ونحن نتوقّع أن تكون إجراءات القمع التي مورست خلال الأسابيع القليلة الماضية كافية للحيلولة دون قيام أية مظاهرات جديدة .. ومما لا شكّ فيه أن أساليب إبن جلوي وإجراءاته قد غرست هيبة مجددة لسلطته في منطقة الأحساء » [٤٦] .

هدأت الأحوال قليلاً بسبب القبضة القمعيّة العنفيّة التي مارسها الأمير سعود بن جلوي ، إلّا أن النار كانت تحت الرماد : ففي يوم ٢٢ سبتمبر ، إنتهز المواطنون في المنطقة الشرقية ، بمن فيهم العمال والموظفون الحكوميون فرصة زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر الى الدمام ، فقاموا بمظاهرة شعبيّة شارك فيها نحو ٥٠ ـ ٧٠ ألف متظاهر ، حيّوا فيه الرئيس عبد الناصر ونضال مصر ، وهتفوا بالموت للخونة والإستعمار وأذنابهم .. فسارع الأمير فيصل الذي رافق الرئيس جمال عبد الناصر الى الدمام ، بأن طلب من الجماهير أن تهتف للجامعة العربية ، إلّا أن الجماهير إستمرت في هتافاتها منددّة بالإستبداد والرجعيّة والإستعمار ، ولم يكن الأمر بحاجة لمعرفة من هم المقصودون [٤٧] .

في عام ١٩٦٣ ، أضرب عمال النفط في المنطقة المحايدة مطالبين بتقليص أسبوع العمل من ٤٨ الى ٤٠ ساعة . وفي عام ١٩٦٦ قدّم نحو ٩٠٠ شخص شكاوى الى مكتب العمل في الدمام تتضمن مطالب إقتصادية [٤٨] .

وعلى إثر قيام حرب حزيران ١٩٦٧ ، بادر العمال الى إيقاف النفط والإضراب عن العمل بالقوة ، ومنعوا شركة أرامكو من ضخّه أو نقله ، وقد خضع النظام السعودي مرغماً خوفاً من أن يؤدّي ذلك الى تدمير منشآت النفط .. ولكنه أرسل في الوقت نفسه قوة كبيرة من مجندي البدو والقبائل من مناطق المملكة الأخرى لحراسة حقول النفط ، ولضرب المظاهرات الضخمة والهيجان الجماهيري الذي إستمر يومي ٥ و ٦ يونيو واتسم بالعنف في بعض الأحيان . وقد شملت المظاهرات معظم مدن وقرى المنطقة الشرقية بما فيها القطيف والدمام وصفوى وسيهات والخبر ورأس تنورة ، والظهران (التي هوجمت فيها القنصلية الأميركية) . واستمر الإضراب عن العمل حتى قرر مؤتمر الخرطوم ـ مؤتمر اللاءات الثلاث ! ـ ضخّ النفط من جديد لدعم دول المواجهة ! [٤٩] .

وكانت حصيلة المظاهرات والإضرابات إعتقال مئات من المواطنين رزح الكثير منهم في السجون سنين طويلة ، وقضى آخرون نحبهم داخل السجن ، ولم تسلّم جثثهم لذويهم .. وما يميّز إضراب ومظاهرات عام ١٩٦٧ عن سابقتها أن الأحداث الأخيرة وقعت في عهد الملك فيصل ، الذي يعتبر عهده من أشد العهود قسوة وطغياناً في العنف ، وكان الأمير فهد ـ الملك حالياً ـ وزيراً للداخليّة .

إهمال المناطق الشيعيّة

لقد قامت منشآت أرامكو في جزء هام منها على أكتاف المواطنين الشيعة ، فكانت كل الأعمال التي تتطلّب جهوداً جسديّة مضنية تحوّل عليهم للقيام بها .. بدءا من أعمال الحفر ، الى أعمال التكرير .. مروراً بالصيانة والتنقيب والتشغيل ، الى آخر قائمة الأعمال الدونيّة الشاقة . ومع هذا كان حصادهم من كل ذلك قليلاً لا يتناسب بأيّ حال مع الجهد المبذول ..

ليس المهم ــ في بحثنا هذا ــ كم كانت أرامكو تحقّق من أرباح ، وهي لا شك أرقام خياليـة ، منحتهـا إيّاها إتفاقية الملك العرجاء ، كما ليس مهماً التحقيق في عائدات الحكومـة السعـوديـة ، فهذه العائدات التي كانت تلتهم بكل سهولة أثناء الحرب وبعدها بقليل من قبل الحاشية والأسـرة المالكة ، بقي منها فيما بعد شيء يسير يُصرف على الخدمـات ، رغم ان الجزء الأكبر من الميزانية التي كانت معدومة طول عهد ابن سعود ، وشبه معدومة في عهد سعود ، يذهب الى جيوب المرتشين والحاشية ورجال الأسرة المالكة [٥٠].

تصاعدت أسعار النفط في الستينات والسبعينات ، وتصاعدت حصّة الحكومة من الإيرادات تبعاً لذلك .. وبدأت الحكومة بالإنفاق العام وبصورة شبه إعتباطية على بعض الخدمات الأوليّة « مدارس ، مستوصفات ، شوارع » ، وأنفق بعض المال بشكل مبعثر على رجال القبائل ضمن مخصصات معيّنة ، وأحيانا كثيرة ــ كما يهوى الملك سعود ــ يتمّ رمي الذهب والنقود من نافذة سيارته !.

ولم تنتظم الأمور الى حد ما ، الاّ في عهد الملك فيصل ، فقد غطّى تصـاعد الايرادات على الفساد والرشوة ، كما غطّى على النهب المتصاعد ، وأخرس المال وتحسّن الخدمات الجزئي الألسن وربطها عن الحديث حول أمور السياسة ونقد الأسرة المالكة وبذخها وإسرافها .

وحدهم الشيعـة الذين تحملـوا الجـزء الأكبر من العناء قبل النفط .. ووحدهم الذين حصدوا الريح من عائداته ، رغم أنهم ينتجون ثروة البلاد الرئيسية ، وأن أرضهم منبع الثراء .

وحدهم الشيعـة الذين حـرمـوا من خيـرات أرضهم ، فكانوا في آخر الركب مـواطنين من الدرجـة الثـانية ، أو على حد قول أحد المواطنين الشيعة لصحيفة نيويورك تايمز : « بالمنظار السعودي ، يأتي السنّة في أول القائمة من الأهتمام ، يليهم المسيحيون ، ثم اليهود ، ونحن الشيعة نأتي بعد اليهود في القائمة » [٥١] .

أو كما قال أحد الغربيين ، بأن النجديين يتمتعون بأعلى مقام وهيبة في المملكة ،

وينظرون الى أنفسهم على أنهم أرفع من غيرهم في المنزلة . وبسيطرة الوهابية تعزّز هذا الشعور . وفي نظر النجديين يأتي بعدهم في المرتبة الثانية سنّة الخليج العرب ، ثم الحجازيون (توجد في مكّة المكرمة أعداد كبيرة من المواطنين من أصل هندي وأندونيسي وتركي ومن آسيا الوسطى) ، ثم الهنود والإيرانيون السنّة ، ويأتي أخيرا في مرتبة أدنى من الهنود والايرانيين ، الشيعة الذين يشكّلون أدنى فئات المجتمع في الخليج [٥٢] .

ان الإهمال الذي تعرضت له مناطق الشيعة كان مستهدفاً .. فالمنطقة الشرقية التي أدارها عبد الله بن جلوي وأبناؤه منذ عام ١٩١٣ وحتى ١٩٨٥ وكأنها إقطاعية من أملاكهم «إعتاد آل سعود الإبقاء عليها مطيعة مروّضة ، ولكن ضعيفة التنمية والتطوير» [٥٣] . وآل سعود ومسؤوليهم لا يخجلون في الاعلان بصريح العبارة لممثلي الطائفة الشيعية بأنهم لا يجب أن يتوقعوا المساواة إقتصادياً واجتماعياً مع بقيّة المواطنين ، بل ويعبّرون عن انزعاجهم ودهشتهم في جرأة الشيعة على طرح موضوع المساواة هذا ! .

ان كل من زار السعودية لحظ التفرقة بأبشع صورها ضد الشيعة ، واذا كان المسؤولون لا يهتمون برأي المواطن الشيعي وشكواه ، وأحياناً كثيرة يكذّبونه مدّعين بأن شيئاً من التمييز والإهمال غير موجود على الإطلاق .. فلربما كان يهمّهم سماع رأي الغربيين الذين يعملون في البلاد ، أو على الأقل يلفت ما يكتبونه انتباههم .. أما حكاية ان الملك لا يعلم بما يجري وكذلك الأمير الفلاني وغيره ، فان مثل هذه الحجج التي عادة ما يتذرّع بها المسؤولون اذا ما أعيتهم الحيل ، لا يمكن ان تكون مقبولة . خاصة وان المشكلة مضى عليها أكثر من سبعين عاماً .

لقد قام أعيان الشيعة بالمستحيل طوال هذه المدّة ، لشرح آلام مواطنيهم لدى المسؤولين ، إبتداءً من الملك ، وإنتهاءً بأصغر أمير يُظنّ أن بإمكانه تخفيف غلواء هذه التفرقة . لقد كانت الوفود والرسائل والبرقيات واللقاءات الشخصيّة المتكررة ، شواهد صارخة على هذا التمييز وهذه المظلومية التي إبتلي بها قطاع غير قليل من المواطنين .

فيما يلي أربعة نماذج من الشكاوى التي قدّمها أعيان الشيعة للمسؤولين السعوديين ، لم تظفر أيّ منها بالاهتمام ، أرسلت على فترات متباعدة توصل الى نتيجة واحدة ، هي أن ما طالب به الشيعة منذ ثلاثة عقود على الأقل مازالوا يطالبون به حالياً .

أولا : في ٢٢ جمادى الأول سنة ١٣٧٩ هـ ، كتب الوجهاء رسالة مفصّلة الى أمير المنطقة الشرقية ، وبعد أن شرحوا له وضع المنطقةالمتقدمفي كافة الميادين فيما مضى من السنين ، أصبحت اليوم بعد ظهور النفط في آخر الركب . وأشاروا

الى أن «المسئولين لم يستطيعوا ــ وهم على أعتاب حياة جديدة ــ أن يولوا القطيف إهتماماً ، فلم تظفر بما ظفرت به أخواتها من مدن وقرى المملكة . واذا نالت شيئا ، فانه لا يقف في وجه إندحارها وتقهقرها .. وبهذا أصبحت القطيف في حالة شبة إنعزالية تحيا حياة إنطوائية جانبية ، لا نصيب لها في مضمار العلم والتقدم والسبق في الميادين . وقد تجمّد نشاطها في حقل الانتاج الزراعي الى حدّ أفقدها الاعتماد على إنتاج الخضار لكفاية الاستهلاك المحلّي ، كما أفقدها قسماً كبيراً من الارض ، والبقية سوف لا يكون مصيرها بأحسن ممّا فقد ، ان لم يتدارك الأمر» .

ثم تمضي الرسالة معدّدة أسباب تدهور الزراعة ، بينها هجرة سكان الريف للعمل في صناعة النفط ، وعدم حماية الانتاج الزراعي المحلّي أو مساعدته على منافسة المستورد ، ونضوب المياه بسبب حقن حقول النفط بالمياه العذبة ، وفرض الهند قيوداً على استيراد التمور والسلوق من القطيف وغيرها .

وتشكو الرسالة الوضع الصحي فتقول :

«القطيف تتكون من ٢٦ مدينة وقرية ، تفصل بينها أبعاد ومسافات ، وسكانها يزيدون على مائتين وخمسين ألف نسمة . هذه القرى وهؤلاء السكان ليس لديهم إلاّ مستوصف واحد في القطيف ذو عيادة خارجية، وآخر مثله في تاروت .. أما العمليات الجراحية والولادة والحالات المستعجلة والاسعافات والوحدات الطبيّة ، فليس لديها شيء مطلقاً . وكلّ ما تعتمد عليه هو العلاج في العيادات الخاصة في كل من القطيف والدمام والخبر وسيهات ،وهذا بمبالغ طائلة ينفقها الأهالي على العيادات الخاصة . ولقد كانت ارامكو والى وقت غير بعيد تقبل المرضى والمراجعين ، إلاّ أنّها أوصدت الأبواب في وجوههم . ثم أن مستشفيات الخبر والدمام ليست من التجهيز والسعة بحيث تكفي حاجة الجميع . وحتى لو كانت كافية ، فان المناطق البعيدة من القطيف يصعب عليها الاستشفاء هناك ، ولاسيما في الحالات الضرورية ، مع الأخذ بالملاحظة وعورة الطرق» .

وعن التعليم قال الوجهاء :

«والحديث عن التعليم يشبه الى حدّ بعيد الحديث عن نواقص الصحة ، وان كان هناك إهتمام ونشاط ملحوظان من وزارة المعارف في فتح المدارس ، الاّ أن هذا الإهتمام يكاد يكون سلبيّاً في بعض المناطق ، ومفقوداً في مناطق أخرى . وعلى وجه المثال نوضح ان منطقة سوق القطيف ، وهي تشمل القلعة وباب الشمال والجراري والمدارس ومياس والشريعة والدبابية والكويكب والشويكة .. هذه كلّها ليس بها الاّمدرستان إبتدائيتان، هما المدرسة القديمة التي بنيت عام ١٣٦٥ هـ ، وبها ٣٨٠ تلميذاً ، والمدرسة الجديدة وبها ٤٧٥ تلميذاً . فهل تكفي هاتان المدرستان أبناء هذه المنطقة .. والمدرستان الحاليتان رغم عدم كفايتهما فانهما مع

ذلك تفتقدان كافة اللوازم التأثيثيّة حتى فراش الأرض ، إذ أن أكثرية الطلبة يجلسون على الأرض دون حصير . واذا تخطينا منطقة السوق نجد أن كلاً من قرى التوبي والخويلدية والجارودية وحلّة محيش والبحاري والأوجام ليست بها مدارس أساساً» .

«أمّا المواصلات ، فانها لم تنل أدنى إهتمام أو عناية من قبل الحكومة .. فعلى الرغم من ان شارع القطيف العام الذي يربطها بسائر أجزاء المنطقة الشرقية يعتبر عاملاً مهماً في تنشيط الحركة التجارية وفي انخفاض أجور النقل ، اذا ما عبّد .. وعلى الرغم من صدور الأوامر الملكية العديدة بوجوب رصفه ، فانه حتى الآن على ما كان عليه ، وطالما انقطع المرور فيه أيّام الأمطار ، وتوقفت حركة النقل والبيع والشراء . والى جانب هذا الشارع توجد شوارع فرعية مهمة تصل بين القطيف وبين قراها ، كشارع البدراني الذي ينتهي في الغرب بشارع رأس تنورة ــ الظهران ، وشارع القديح الذي يدرس الآن في المدارس السعودية انّه رصف بالاسفلت ! ، وجسر تاروت الذي يربط كامل الجزيرة بالقطيف ، وقد نفذ قسم منه ــ حوالي الربع ــ ثم توقف العمل . وثالثة الأثافي هي الميناء ، حيث رأت الحكومة ضرورة إصلاحه منذ عام ١٣٦٤هـ ، وحدتها الرغبة الى وضعه بالمناقصة . غير ان أي شيء بعد ذلك لم يتم . وقد نشأ عن إهمال الميناء ان اضطر تجار البلاد للتوريد على جهات اخرى تكلفها مشقة النقل وأجورها ومددا من الوقت أطول» .

«والغريب في الأمر ان لا يكون نصيب القطيف في حرمانها ضمن هذه النقاط الأربع ، وهي الصحة والتعليم والانتاج والمواصلات .. وإنّما تشاء الصدفة ! أن تكون محرومة من كل شيء وفي كل المرافق . إنّها تنكب سنوياً بما يزيد على ستين مرّة يشبّ فيها الحريق في القرى والمدن ، فيأتي على الأخضر واليابس ، ويفقد الناس أعز ما لديهم .. وطالما تلفت أرواح وأزهقت نفوس ، ومع ذلك لم تحظ البلاد بفرقة إطفاء رغم الأوامر الصادرة بسرعة انفاذ ذلك» .

«إن الأهالي لم يقفوا عند حدّ السكوت والتفرج ، وإنّما شعروا بأن الوضع يهدّد كيان البلاد ، وينذر مستقبها بالخطر ، ويتركها تعيش منزوية مجهولة ، رغم ماضيها المجيد وتاريخها العريق ، ورغم كونها تشكّل حيّزا لا يستهان به في خريطة المملكة .. لهذا بادروا بإشعار الجهات المسئولة ، وطالبوا وكرّروا الطلب والرجاء في شتى المواضيع ومختلف الحاجات ، وقد وجدوا استجابة حسنة ولفتة كريمة من قبل المسئولين ، وعلى رأسهم صاحب الجلالة ، وحصلوا على أوامر تنفيذية عديدة ، غير أن أكثرها لم ينل نصيباً من التنفيذ» ! .

وفي ختام الرسالة وضعت طلبات محدّدة بشأن الصحة العامة والتعليم وغير

ذلك .

ثانياً : أرسل أعيان الشيعة في القطيف برقية برقم ٢٥٩٢٤١ في ٣٠ رجب ١٣٩٧ هـ ، الى ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز ، هذا نصّه [٥٤] :

«إذا كان أحدٌ من المسئولين الذين بيدهم شيء من الحلّ والعقد لا يريد لنا الخير ، ويستكثر علينا نعمة العطاء ، كالتي ينعم بها الأباعد والأقربون في عهد الحكم السعودي الزاهر .. فان لنا في الحاكمين من أبناء المغفور له الملك عبد العزيز ، وعلى رأسهم جلالة الملك المفدى خالد ، وسموكم الكريم .. لنا فيكم السند الذي نستند إليه ، والركن الذي نأوي إليه ... نقول هذا لأننا نتطلّع الى أن تساير بلادنا ركب التقدّم والإصلاح الذي عمّت فروعه كل نواحي المملكة وتخطّاها الى غيرها . بينما القطيف إذا ما قورنت بغيرها ، برزت في أقصى درجات التخلّف ، فنخيلها وحقولها وبساتينها التي كانت مصدر ثروتها ، أصبحت عبئاً ينوء به أهلها ، وخطراً لا يعرفون التخلّص من أوبائه . وطرقها لضيقها وخرابها صارت السبب الأول في حوادث السير وتلف الأرواح والأموال . وحتى المرافق القائمة كالمدارس والمستشفيات [٥٥] والادارات الأخرى ، يبرز فيها النقص في الكمّ والكيف بما يملأ النفوس أسفاً . وعامان ماليّان لم تنل بلدية القطيف فيهما مشروعاً حيوياً يعيد النشاط للبلاد ، ويقضي على ذلك الجمود» .

«وزاد الطين بلّة ، الضربة القاضية التي عطّلت مفعول الصكوك الصادرة من قضاة الشيعة ، فأصبحت دوائر الدولة ومؤسساتها والشركات والبنوك ترفضها رفضاً باتاً ، وحتى الفترة الوجيزة التي أمر سموكم فيها بتعليق العمل باللائحة التي كانت السبب المباشر في طعن الشيعة وقضائهم ، لم تتسع لما هناك من قضايا تجمّدت ثلاث سنوات وتراكمت ، سواء في البلديات أم في الزراعة أم في سواهما» .

«فهل كل تلك الأوضاع الشاذّة والتأخّر الفظيع الذي منيت به القطيف عدل يرضى به سموكم والمسؤولون من أبناء عبد العزيز ؟ ... لذا نناشد شخص سموكم الانسان بما عرف من إنسانيته ، والمسلم بما عرف من مواقفه ، والراعي بما عرف من مسئوليته وعدله ، النظرة الشاملة للبلاد بما يعيد لها كرامتها وقوتها المادية ، وكيانها الاقتصادي ، ورفعة مستواها العمراني ، بوضع خطّ إنمائيّة خمسيّة تشمل التمور ومشتقاتها ، والحقول ومنتجاتها ، وأخرى للمشاريع ، مع التفضّل برفع الحيف عنّا . والأمر الكريم بإعتماد صكوك قضاتنا كأي صكوك أخرى تصدر من المحاكم كما كان سابقا . وارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ...» ! .

أصابت الوجهاء الدهشة بالمفاجأة الجميلة ، فقد أمر ولي العهد ــ الملك الحالي

ـ بتشكيل لجنة يشارك فيها مندوبو الوزارات (الداخلية ، البلديات ، العدل ، الزراعة ، المالية ، المعارف) للنظر في احتياجات القطيف على ضوء برقية الوجهاء .. وماذا بعد هذا ؟ !

قَدِمَت اللجنة الى القطيف وهي مؤلفة من محمد بن زين ، مندوباً عن ديوان المظالم ، ومحمد مفيلح مندوباً عن وزارة المعارف ، وسليمان الفالح عن وزارة الداخلية ، وسليمان الحجّي عن وزارة العدل ، وباطلاع عبد الرحمن الشهيل من وزارة البلديات ، والمهندس فواز أخضر من وزارة الزراعة . وكان قدوم اللجنة في شهر ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ ، أي بعد حوالي تسعة أشهر من إرسال البرقية .. لكن هذا لا يهمّ ، فالذي إنتظر عشرات السنين قادر على تحمّل الأشهر ! .

اجتمعت اللجنة بناء على طلبها بكل من السيد حسن العوامي ، ونصر الشيخ علي ، وحسين بن صالح ، وعبد الله المطوع ، والسيد جعفر الماجد ، وقد رافق هؤلاء أعضاء اللجنة في جولتهم على المدن والقرى المحيطة [٥٦] ، كما ناقش أعضاء اللجنة الأعيان والوجهاء ، وقدّم الأخيرون رسالة إجمالية خطيّة بموضوع البرقية التي رفعوها للأمير فهد مرفقة بمذكرة مطوّلة تشرح الاحتياجات .

قال الوجهاء فيها [٥٧] بشكل مجمل بأن «الواقع المشاهد أكبر ممّا سنذكره في البيانات ، ولا أثر بعد عين ! .. وقديماً قيل : توضيح الواضحات من أعقد المعضلات . وإذ نرفق لكم البيانات بالأشياء التي نراها ضروريّة وملحّة ، فإنّنا نثق بأنكم ـ أعضاء اللجنة ـ تدركون ما هو أكثر منها مما تحتاجه هذه البلاد التي تخلّفت حين تقدّم سواها ... ولا يفوتنا أن نبيّن لحضراتكم ان القطيف تعيش على الذيل من هامش الحياة في جوانبها الاقتصادية والعمرانية والصحيّة والتعليمية وغيرها من سائر المرافق ، اذا ما نظرنا الى ما تتمتع به مناطق المملكة من عناية ، والى الاهتمام الكبير المتواصل الذي توليه الدولة للغير فضلاً عن أبنائها» .

«وشيء يحزّ في نفوسنا ـ قال الوجهاء ـ أن ننظر اليها ـ اي الى القطيف وتوابعها ـ بين بيوت أكثرها قديمة ومتداعية ، وأزقّة ضيّقة متعرّجة ، وطرق تعتبر أنها شوارع مفتوحة ، واذا هي تبدأ بحفرة لا تكاد تنتهي بأخرى ، وانما مجموعة من الحفر والنتوءات والأرصفة المتهدّمة .. ومياه المجاري تزكم الأنوف ، ومناظر تشمئز منها النفوس . واذا تساءل أحد عن هذه الانسيابات التي لا تعرف حدوداً ، قيل أنها (أوتاك) ؟ .. يعني أن شركة أوتاك تقوم بعميلة بناء شبكة المجاري . وهل أوتاك أمدّ غير محدود ؟ وهل جيء بها لتصلح أو لتفسد ؟ » .

«والحقيقة المؤلمة أنه قد إختلطت الأمور بعضها ببعض لكثرة الخراب ، حتى المشاريع التي نفذت من ذي قبل لم تدرس الاّ من خلال منظار مرحلي ، وليس على أساس مستقبلي يلحظ فيه نمو السكان وزيادة الحركة وتوسّع العمران .. ولا

أدلّ على ذلك من الطرق المفتوحة ، والطرق الداخلية . لقد أحصت إدارة المرور عدد السيارات التي تمرّ في شارع القطيف / الدمام خلال أربع وعشرين ساعة فبلغت ٢٢ ألف سيارة .. منها الصغيرة والحافلة والناقلات الكبيرة التي تمرّ في شارع عرضه عشرة أمتار ، بين بيوت متراصّة ، وليس هناك مواقف إضطراريّة ، أو إشارات سير ، أو فواصل أو حواجز تنبّه الأطفال . ألا يحدث التصادم وتلف الأموال والأرواح التي هي أغلى من المال ؟ . ان احصائيّة الحوادث يعلم بها الله ثم ادارة المرور .. إذ لا يكاد يمرّ يوم الاّ ونسمع عن حادثين أو أكثر» .

وأضاف الوجهاء في مذكرتهم : «أمّا إذا ألقينا نظرة على بقيّة مدن وقرى القطيف ، فالأمر أسوأ حالاً وأكثر بلاءً .. فلا طرق مفتوحة ، ولا مدارس كافية ، ولا مستوصفات ، وإنّما القمامة تملأ الأزقّة ، والمستنقعات تحوط القرى ، والإهمال يشاهد رأي العين .. وحتى المدن التي إستحدثت فيها بلديات بقصد رفع مستواها ، فليس لها أي أثر من العمل . ولو تكرّمتم بالقيام بجولة على المناطق لتأكدتم من صحّة ما نقول» .

بعد هذا تأتي المذكرة التفصيلية وقد بوبت حسب المواضيع . جاء في مقدمتها موضوع قضاء وقضاة الشيعة الذي اعتبر مشكلة المشاكل التي وقفت عثرة في كلّ طريق . ثم جاء دور البلديات ، فعدّدت المذكرة عشرات المشاريع التي ووفق على إنشائها ولم ترَ النور أساساً ، حيث ابتلعت الأموال المرصودة للمنتزهات والشوارع والحدائق ومراكز الصحة والاسواق ، ومشاريع المجاري .. وتخلص المذكرة الى أن البلديات في كل مكان يفترض ان تخلق صورة مشرّفة للبلاد ، الاّ انها عندنا تفتقد ذلك افتقاداً باتاً .

وحول التعليم جاء التالي : «عدم كفاية المدارس الحالية بجميع مراحلها في جميع مدن وقرى القطيف ، وعدم توفّر المناخ الدراسي ، وعدم توفّر وسائل النقل للبنات ، بينما نعرف ان المناطق الأخرى مكتملة من هذا الجانب ، وعدم توفّر دورات المياه الصحيّة ، وعدم وجود مياه للشرب أصلاً في المدارس ، وزيادة عدد الطلاب والطالبات في اكثر الفصول وفوق المعدلات المفروضة ، وعدم صيانة المدارس ... الخ» .

وعن الصحّة حيث الحاجة ماسّة الى «إيجاد مستوصفات في القرى ، وصيانة المستشفى الوحيد والمستوصفات القائمة .. وهناك مستشفيات[٥٨] انهدمت منذ مدّة طويلة ولم يعد بناؤها ، رغم كثرة المطالبة ، ورغم حاجة البلاد اليها كمستشفى القطيف ومستشفى تاروت ، رغم أنه قد حجزت قطعتا أرض لإقامة مستشفيين فيهما .. الاّ ان الوزارة لم تحرّك ساكناً رغم المدّة الطويلة . هذا فضلاً عن عدم تزويد المستوصفات والمستشفى بحاجاتها العلاجية من الاجهزة والفنيين» .

أمّا الزراعة والمياه ، فقد توسّعت المذكرة في الحديث عنهما ، إذ أن البلاد تطوّرت وكان يجب ان يواكب الوضع العام للحقول والبساتين والانتاج الزراعي بمجمله حالة التطور .. «إلاّ ان ما حدث هو العكس تماماً ... فأهملت الحقول وأصبح ٨٥٪ منها لا يقام على فلاحته . ومهما بالغنا في الوصف فإننا لا نصل الى صورة واضحة تفي بالشرح» .. ولهذا كرّرت المذكرة طلبات الوجهاء فيما يتعلق بإيجاد مصنع للتمور ، وإعانة المزارعين للعودة الى حقولهم .. «ومن الأشياء التي مازالت موضع عناء كبير لجميع المواطنين هي مياه الشرب التي عزّت ...» .

أمّا الكهرباء وخطوط التلفون فهي ربما من الكماليات ، ثمّ قدّمت اقتراحات في شتى المجالات ، وقدّم أعيان كل مدينة وقرية احتياجاتهم الى اللجنة الحكومية ، وبناء على ذلك رفعت اللجنة توصياتها لوزير الداخلية ومنه الى ولي العهد ــ الملك حالياً ــ فوافق عليها ، وقد تضمّنت الموافقة على الآتي :

١ ــ سرعة إنهاء المشاريع المتعلّقة بالبلديات ، وتسلم مشاريع مياه الشرب ، وإنشاء شركات مجاري ، وتحسين الشوارع ، وإقامة الأسواق المركزية .

٢ ــ تكملة مشروع الري والصرف لقرى القطيف .

٣ــ إعانة مزارعي القطيف على مسح واستصلاح مزارعهم ونخيلهم .

٤ ــ إيجاد مصنع لتعبئة التمور .

٥ ــ إنشاء مباني حكومية لمدارس البنين والبنات ، بدلاً من البيوت المستأجرة لعدم كفايتها وقدرتها على الاستيعاب ، وتوفير مياه الشرب في جميع المدارس ، وفتح مدارس جديدة .

٦ ــ تطوير الخدمات الصحيّة ورفع كفاءة المستوصفات ، وإنشاء مستشفى تاروت ، وتوسعة المستشفى القائم ، وبناء مستوصفات حكومية تكون بالمستوى اللائق .. الخ .

وقد أرسلت نسخة من موافقة الملك الى معظم الوزارات ، كما أرسل نائب وزير الداخلية الأمير أحمد بن عبد العزيز نسخة منها الى أمير المنطقة الشرقية (عبد المحسن بن جلوي) مرفقة برسالة سريّة تقول «نبعث لسموكم طيّه الأمر السامي رقم ١٤٧٤٠ ، تاريخ ١٨ جمادى الأول ١٣٩٨هـ ، الصادر بالموافقة على توصيات اللجنة المشكّلة لدراسة ما تعانيه منطقة القطيف من التخلّف والتأخّر في جميع المجالات ... نودّ الاطلاع على الموضوع والتأكيد على الجهة المختصة لديكم والجهات المعنيّة بما يخصّها ، وإبلاغ المبرقين للمقام السامي من أهالي القطيف بما إنتهى اليه الأمر» .

لا شك أن الوجهاء اذا ما تفحصوا هذه القرارات اليوم ، وبعد مضي ١٣ عاماً عليها ، سيلحظون أن ما طبّق منها لا يزيد على ٢٥٪ ، في حين ان الدمام أصبحت

مدينة ، بل عاصمة المنطقة الشرقية خلال ١٣ عاماً فقط ، ففي عام ١٩٣٩ لم يكن هناك سوى بيت حجري واحد لأمير الدمام ، وفي عام ١٩٤٨ صدر أمر ملكي بنقل الامارة الى الدمام ، وقد انتقلت عام ١٩٥٢ .. ألا يشعر الشيعة بعد هذا بالحيف والغبن ، وبعدم جديّة السلطات في تحقيق أمور أساسية هي تافهة في عصر طفرة النفط ، خاصة وأن المنطقة دخلت أعتاب الثمانينات الميلادية ، وهي بدون ماء وكهرباء ومدارس وطرق ومستشفيات ؟! .

ثالثاً : بعد التحوّل التاريخي بانتفاضة الشيعة ضد القهر والظلم في محرم ١٤٠٠ هـ .. كتب وجهاء الشيعة في القطيف[٥٩] رسالة الى الملك خالد في نفس الشهر ، موضّحين له كيف وقعت المجزرة التي نفّذها الحرس الوطني ، وبعض فصائل الجيش بحقّ المواطنين ، وذكّروا الملك بحرمان الشيعة واضطهادهم في عقائدهم ومعاشهم ، وقالوا : «ان الواقع العملي فيه تفريق واضح للعيان ــ تمييز ــ حتى على صعيد الوظائف . ان القطيف وسكانها الذين يربو عددهم على الثلاثمائة ألف نسمة ، وفيهم ذوو الخبرات والمواهب ، وحَمَلَة الشهادات العليا ، لا تستحق حتى أن يكون رؤساء بلدياتها منها ، فضلاً عن التدرّج لما هو أعلى .. ان الدولة ولله الحمد والفضل من أغنى دول العالم ، لكن القطيف من أفقر مدن المملكة في عمرانها ، مشاريعها ، طرقها ، احتياجاتها العامّة .. وتقدّم الدراسات ، وتصدر التوصيات . وتقف عند هذا الحدّ .. أمّا التنفيذ فدونه التعب الشديد ... ولطالما رفعنا الى المسئولين وأوضحنا كثيراً من الحقائق ، وطرحنا الكثير من الحلول ، ولكن دون جدوى» .

«ليس هذا وحده .. إن إبن البلاد يرى بأم عينيه أن الكثير من الأراضي البيضاء تذهب هنا وهناك ، وتُعطى هذا وذاك وهو محروم منها ، ثم يشتريها بأغلى الأثمان من هذا الذي وُهبت له .. بينما يُنازع أصحاب الأملاك الحقيقيون في أملاكهم في كثير من الحالات . ان بعضاً ــ يا صاحب الجلالة ــ كاد يلتحف السماء ويفترش الأرض ، وكثير كثير يعيش بالإيجار ، وأكثر منه أن معظم بيوت المدن والقرى لا تصلح حتى للحيوان مسكناً ، فضلاً عن الإنسان الذي كرّمه الله . هذه وأمثاله وأشباهها هي التي يحسّها ابن البلد ويعايشها ، فتتراكم الصور في ذهنه ، وتثير فيه الشعور بعدم إنصافه ، وعدم مساواته بإخوانه الاخرين .. ولنا ثقة بأن يعالج جلالتكم تلك الأوضاع بالحنكة والحكمة ، علاجاً ناجعاً يقضي على كل أسباب الشكوى والتذمّر .. لتزول تلك الفوارق بيننا وبين إخواننا في الدين والوطن» .

رابعاً : في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ، قدّم الوجهاء بيانات بحاجات منطقة القطيف من المشاريع والاصلاحات في ست صفحات ، فكانت مسحاً شاملاً لكلّ الاحتياجات الضرورية ، إبتداءا من شقّ الطرقات وتوفير الماء والكهرباء

والنظافة ، ومروراً ببناء المدارس والمستشفيات وإزالة المستنقعات ، وإصلاح العيون والاعتناء بالزراعة ، وإيجاد أسواق وحدائق عامّة .. وانتهاءً بافتتاح كليّات وإقامة متحف للآثار باعتبار أن المنطقة الشرقية هي أهم المناطق الأثرية في المملكة على الإطلاق ، وكذلك إصلاح المجاري .. ثم عدّدت رسالةالوجهاء احتياجات كلّ قرية ومدينة بالتفصيل . ولا تزال شكاوى الأهالي حتى اليوم تعزف على النغمة القديمة قبل نصف قرن !.

ان كل من زار السعودية لاحظ بسرعة تخلّف مناطق النفط عن باقي مدن المملكة ، وهو أمر مثير منذ الخمسينات الميلادية ، وقد تسارع هذا التخلّف بشكل مذهل خلال السنوات الأخيرة .. وحينما وقعت الانتفاضة في أوساط الشيعة في نوفمبر ١٩٧٩ / محرم ١٤٠٠هـ ، كان سهلاً على الأجانب وأجهزة المخابرات العالمية أن تتبيّن خلفيّات الحدث .. فالإضطهاد السياسي والعقائدي ، وطائفيّة الدولة كانت وراء المشكلة ، مما استتبع ذلك تمييز الشيعة ومناطقهم وجعلها متخلّفة في كلّ شيء .

أحد الغربيين مكث في السعودية خمس سنوات وتعلّم العربية ، ثم كتب كتابه الذي جاء فيه «ان الشيعة يقومون بمعظم الأعمال اليدوية في حقول النفط ، ويشكّلون حوالى ٤٠٪ من مجموع القوى العاملة في شركة أرامكو .. وان مصيرهم وقدرهم وهم يحقّقون وينتجون ثروة المملكة كلّها ، يكادون لا يتمتعون بشيء منها ، وهو رمز لعدم التوازن الذي يشكو منه معظم الشرقيين . وخلال اضطرابات وقلاقل نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ ، أظهر رسم كاريكاتوري جريء ، جملاً هائل الحجم يقف على إمتداد الجزيرة العربية . كان الجمل يرعى في الشرق ، بينما يحلب لبنه شخص تجاري الملامح في الغرب ، ويقدّم الحليب الى شخص كسول يجلس في الوسط ، تماماً حيث تقع الرياض . فالقصور الجديدة والوزارات والطرقات السريعة الحديثة والمستشفيات تُبنى بأموال قادمة من المقاطعة الشرقية ، لكن المقاطعة الشرقية نفسها ليس فيها ما تفخر به» .

وقال في موقع آخر أن «إضطرابات المنطقة الشرقية جاءت تعبيراً عن مظالم وآلام الشيعة المسلمين الذين يعيشون في بلدة القطيف وحولها منذ قرون عديدة ، وأعادت ذكريات ما قبل سبعين عاماً مضت ، حين كان ساحل الجزيرة العربية الشرقي مستقلاً عن نجد ، وأثبتت ان المشاعر الإقليمية ما تزال تتأجّج في الأعماق . ولو لم يتمّ فتح المنطقة الشرقية لكانت ثروتها النفطية الهائلة قد جعلت منها دولة مزدهرة بحدّ ذاتها ، بل وأغنى من أيّة دولة أخرى في الخليج .. ولكن في عام ١٩٨١ لا يمكن لأي من مدن المنطقة الشرقية ان يقارن بالتطور الذي أنجزته الكويت .. ومايزال شيعة المنطقة الشرقية يعيشون في حالة فقر ، إذا ما قورنوا

بالأحوال التي يتمتع بها السعوديون في المناطق الأخرى في المملكة» (٦٠) .

وتقول الصحفيّة روبن رايت في كتابها «الغضب المقدّس» ، أنه وبعد عام ١٩٧٣ إزدادت أهميّة الشيعة في الخليج بنفس معدل زيادة أسعار النفط . وان الشيعة في السعودية يشكّلون المصدر الرئيسي للقوى العاملة في مصافي النفط ، غير انه وحتى «عام ١٩٧٩ لم يحصد الشيعة إلاّ فوائد قليلة من الأرض التي يعدونها أرضهم ، بينما بلايين الدولارات تجد طريقها الى مناطق البلاد الأخرى ، والى أبراج الفولاذ والزجاج ، والى الطرق السريعة ذات الثماني مسارات في الرياض ، والى القصور في جدّة ، والى مشاريع التنمية في المقاطعتين الوسطى والغربية ، والى المطارات الخيالية التي تبلغ مساحة الواحد منها مساحة مدينة أميركية بأكملها ، والى قواعد عسكرية تُبنى في الشمال وتستطيع ان تستوعب من الجنود والمعدّات أضعاف ما يمكن لآل سعود أن يوفروه منهما ... بينما بقيت الأحساء جرداء شمطاء مهلهلة ، تفتقر الى المستشفيات والطرقات الجيّدة ، وحتى الى المدارس .. مرّة أخرى يشعر الشيعة بأنهم يقاسون من الظلم والإستغلال» (٦١) .

وترى الكاتبة بأن تحت سطح الاضطرابات كان يكمن غضب الشيعة وسخطهم ، وأن هذه الانتفاضات يجب «النظر اليها على أنها ردّة فعل على الإهمال والإضطهاد والقمع الذي ولّده التحامل الوهابي ، والقائم حالياً وبشكل من أشكال إضطهاد القرون الوسطى في المملكة الوهابيّة على وجه الخصوص .. وكان على كبار عائلة آل سعود أن يكونوا واعين للمخاطر الناشئة عن وجود فئة ساخطة ناقمة قبل الآن بوقت طويل» .

واعتبر غربيون آخرون أن أحداث ١٩٧٩ هي حصيلة خمسين عاماً من الاضطهاد .. «ان ذلك الحسّ بالإحباط المتواصل على مدى خمسين عاماً ، وجد التعبير عنه أخيرا . وقد أرسل نايف ــ وزير الداخلية ــ نائبه أحمد الى القطيف وهو يحمل تعليمات بأن يحتوي الوضع مهما كلّف الأمر . وقام الأخير بجولة في المدينة وزار مدرسة ، وفي حديث جرى بينه وبين الأهالي ، إعترف بأن الشيعة قد عانوا الكثير ، وبهذا يكون أحمد أول فرد من آل سعود يصرّح بمثل هذا الاعتراف . وقال بأن الشيعة لم يزدهروا قدر إزدهار الآخرين ، وأنه لم تتحسّن أوضاعهم فيما يتعلق بالخدمات التي تقدّمها الدولة ، وحتى نساؤهم لم يتلقين الإحترام الذي تتوقعه النساء المسلمات . وقال بأنه مما لا شك فيه ان المدارس والمستشفيات لم تكن ملائمة ولا كافية» (٦٢) .

واذا كان الأمراء السعوديون مهتمين بأقوال الغرب ــ وليس رأي مواطنيهم ــ فليقرأوا ما يكتب .. يقول أحدهم : «عانى الشيعة من الظلم معظم الأحيان منذ

الإحتلال السعودي للمنطقة الشرقية ، وكانت مواكب المحرم ممنوعة حتى المدّة الأخيرة . وقد استثني الشيعة من القوات المسلحة ومن الحكومة الى درجة انه لم يكن في المملكة عام ١٩٨٢ سوى اثنين من الشيعة في مناصب رفيعة . كما أن عدد رجال الأعمال الشيعة أقل بالمقارنة النسبية . ورجل الأعمال الشيعي البارز والوحيد في المنطقة الشرقية هو عبد الله المطرود الذي يملك مزرعة كبيرة ومخبزاً أوتوماتيكياً ومغسلة (٦٣) . وكانت المدن والقرى الشيعية في نهاية الطابور بالنسبة الى بناء المدارس وتوفير الخدمات الصحيّة» (٦٤) .

وأشار باحثون آخرون بأنه في الفترة ما بين ١٩٢٩ ــ ١٩٧٩ ، كانت مناطق سكن الشيعة هادئة تقريبا ، أمّا التذمّر الإقتصادي والاجتماعي فقد بقي متعاظماً ، ولعدم وجود دعم خارجي لأهدافهم ، فان شيعة الأحساء تعرّضوا للإرهاب والتخويف بقوة النظام السعودي ، وأداروا شؤونهم بطريقة حذرة (٦٥) . وهناك ملاحظات على مسألة هدوء الشيعة ليس هنا مكان بحثها .

وقال هؤلاء ــ كغيرهم ــ بأن الشيعة السعوديين ممثلون هامشيون في النظام الاقتصادي السعودي ، وأنهم وبسبب التمييز الطائفي حصلوا على أقل الفرص ، وهم يشعرون بأنهم لم يحصلوا الاّ على ناتج جدّ ضئيل من الخدمات والإنشاءات .. «ان الشعور يتصاعد بأن القرى والمدن الشيعية مثل الهفوف والقطيف أهملت ولم تتطوّر قياساً الى الدمام والجبيل والخبر ــ فضلا عن الرياض وجدة وغيرهما ــ ، بالاضافة الى ذلك فانهم يشكون من قلّة المخصصات للمصاريف ، وبالتالي فهم يعانون من إفتقار الانشاءات والخدمات العامّة الأوليّة كالمدارس والمستوصفات والمستشفيات والطرق المرصوفة وغيرها» (٦٦) .

وأشاروا بأن «مرتبة الشيعة الدونيّة كمواطنين من الدرجة الثانية أصبحت أكثر إلفاتاً للنظر ووضوحاً وإزعاجاً حينما يشعر هؤلاء بأن مصادر الثراء السعودي تتواجد في وسط منطقتهم ، ولكنّهم لم يحصلوا على فرصة جني المنافع بمساواتهم مع بقيّة السعوديين» (٦٧) .

وفي تقرير وزارة الخارجية الاميركية لعام ١٩٨٧ ، والمقدّم للكونغرس حول حقوق الانسان في دول العالم المختلفة ، يشير القسم الخاص بالسعودية الى أن «الشيعة في المنطقة الشرقية يشكّلون أقليّة مذهبيّة تتعرّض للتمييز الأقتصادي والاجتماعي .. ويتعرض هؤلاء الى المراقبة وتقييد حريّة السفر ، كما أن العديد منهم قد اعتقل واحتجز دون توجيه إتهامات ، ويستمر ذلك لأشهر أحيانا » (٦٨) .

لم تتغيّر الأوضاع بعد ثلاث سنوات ، ففي تقرير الخارجية الاميركية عن عام ١٩٩٠ .. جاء ما نصّه : «يواجه السعوديون الشيعة تمييزاً في الوظائف الحكومية والمهنيّة ، وخاصة في الأعمال ذات الحساسية الأمنيّة ، وهي غير معرّفة ..

وتذكر التقارير ان شركة ارامكو السعودية التي توفّر فرصاً كبيرة لتوظيف الشيعة ، كانت قد تسلّمت تعليمات تأمرها بالتوقف عن توظيف الشيعة ، إضافة الى تبديل مراتب الموظفين الشيعة من ذوي المناصب الهامة الى مناصب أقلّ .. كما يواجه الشيعة بعض القيود في الاستفادة من الخدمات الإجتماعية على الرغم من محاولات الحكومة لتطوير الخدمات في المناطق ذات الأغلبية السكانية الشيعية .. ومنذ قيام الثورة الإيرانية ، فان الشيعة واجهوا وبصورة منتظمة مضايقات وقيود في السفر للخارج » .

وفي تقرير منظمة «المادة ١٩» والتي تتخذ من لندن مقرّا لها ، والمهتمة بقضايا حرية التعبير عن الرأي في دول العالم ، في تقريرها لعام ١٩٩١ ، قالت عن الأوضاع في السعودية فيما يتعلّق بالتمييز الطائفي : «ثمّة أقليّة من المسلمين الشيعة تسكن في المنطقة الشرقية من المملكة ، ويزيد عددهم الإجمالي عن نصف مليون نسمة .. ويتعرّض هؤلاء للتمييز الاجتماعي والإقتصادي ، كما أنهم مضطهدون سياسياً ، ويخضعون لمراقبة ثابتة ، وتضع السلطات السعودية قيوداً على حريتهم في التحرّك والسفر ، وقد اعتقل العديد منهم لممارستهم حرياتهم الدينية ، وهم ممنوعون من حلّ مشاكلهم الداخلية عبر مؤسساتهم الخاصة ، ولا تقدّم الحكومة أيّ دعم مالي للمؤسسات الدينية الشيعية او للقضاة الشيعة» .

وفي التقرير السنوي للمنظمة العربية لحقوق الانسان لعام ١٩٨٧ جاء التالي : «إنّ الأقليّة الشيعيّة التي يقدّر عددها بنحو ٤٠٠ ألف شخص ، تتعرّض لمظاهر التمييز على المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، كما تتعرّض لقيود في مجال الحق في التنقل والسفر خارج البلاد ، بل وتشير بعض التقارير لمظاهر أخرى من التعسّف تشمل الترحيل في بعض الحالات» (٦٩) .

لا يبدو ان الشيعة يأملون تحسناً أساسياً في أوضاعهم المعاشية طالما أن الدولة قائمة على أسس مذهبية طائفيّة .. ان المهمّ بنظر الشيعة هو إلغاء جذر المشكلة وهو التمييز بين المواطنين على الأسس المذهبية ، والتعامل مع المواطن كمواطن دون النظر الى مذهبه وطائفته . المطلوب هو إلغاء طائفية السلطة ، الذي يختزن كل المشاكل ويفجّرها في الشارع على شكل اضطهاد اقتصادي واجتماعي وعقائدي وسياسي .

ولعلّ الشيعة شعروا بعد انتفاضتهم التاريخية العارمة ، بمحاولة تحسين الأوضاع الاقتصادية في مطلع الثمانينات وحتى عام ١٩٨٣ ، من جانب الحكومة .. ولكنهم يدركون تمام الإدراك بأن ذلك ما هو إلاّ محصّلة لجهدهم ، وثمناً للدماء المراقة من شبابهم على أرضهم برصاص الجند الطائفي . ولم يكن الاهتمام الحكومي راجعا الى إحساس جهاز الدولة بأن ذلك من حقّ الشيعة ، ولا الى

شعورهم بخطأ المسار الماضي ، وانّما خوفاً من العواقب . أو كما تقول روبن رايت « ليس من باب الغيرة كانت محاولة إسترضاء آل سعود للشيعة ، ولكن لقلقهم على مصدر دخلهم الأساسي : النفط » .. فقد كانت حادثة الحرم كارثة ومصيبة لمن يصفون أنفسهم بحماة الإسلام ، لكن العائلة الحاكمة بدت وكأنها تستطيع التعامل مع الأصوليين السنّة من خلال رجال الدين الخاصين بهم .. أمّا الشيعة فكانوا قضية مختلفة .. وتضيف الكاتبة بأنه حين حقق المسئولون في مظالم الشيعة ، توصّلوا الى قناعات كانت واضحة جليّة للدبلوماسيين الأجانب في المملكة منذ وقت طويل ، وكذلك للعمال الأجانب في أرامكو ــ أكبر شركة نفط في العالم ، والتي تقوم منشآتها في وسط المعاقل الشيعية ــ ، وردّ آل سعود على خلاصة تقرير المسئولين بصبّ الأموال على بناء المدارس والطرق ، وبدأ أفراد العائلة المالكة يتجولون في المنطقة للاجتماع بالوفود الشيعية لمحاولة تهدئتهم[٧٠] .

لكن هذه المحاولات رغم جزئيتها ، ورغم صرف الذهن عن دوافعها ، لم تكن لتلغي تراكمات نصف قرن من الحرمان والاضطهاد .. فضلاً عن ان الحكومة سرعان ما اعتمدت العصا كحلّ أساسي وبدأت بتنفيذ سياسة عنيفة تجاه الشيعة ، ووسّعت مجالات الاضطهاد لتشمل كل شيء .. فكانت السنوات العشر الماضية من أسوأ ما مرّ بتاريخ المنطقة منذ الاحتلال السعودي لها عام ١٩١٣ .

طائفيّة التوظيف

لقد شعرت الحكومة السعودية بأن الشيعة وخلال السنوات ١٩٧٥ ــ ١٩٨٤ قد إنتعشوا وتطوروا ، وصارت لهم الجرأة والتحدّي .. كما بدأت تتشكّل قواهم الذاتية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وإنّ أمراً كهذا ــ بنظر الحكومة ــ يخرج الشيعة من قبضتها وتطويعها وضبطها ، فارتدّت الى سياسة الملك فيصل ــ المعروف بمغالاته الطائفيّة ــ والتي كانت رغم تبدّل الاوضاع السياسية والفكرية في العالم من أسوأ الفترات ، لا يعادلها في السوء الاّ العهد الحالي الذي طوّر سياسات فيصل ووسّعها وأعطاها الدفع بهدف ارجاع الشيعة الى حجمهم السابق ، لينطووا على أنفسهم وينعزلوا عن مجرى الحياة العامّة للمملكة .

في مجال التوظيف ــ مثلا ــ فقد أصبح عدم توظيف الشيعة في المؤسسات الأمنية والعسكرية أمراً مسلّماً به لا نقاش فيه ولا جدل .. ولربما قيل أن الشيعة لا يحبون العمل في مؤسسات تورّطهم في ممارسات قمعية تتعارض مع الشرع الكريم ، كما هو الحال بالنسبة لأجهزة الأمن ، وهذا الى حدّ ما صحيح .

غير أنّ إصدار قرار رسمي بذلك من الحكومة له معنى طائفي فاقع .. ومن

الصحيح ان هناك الكثيرين الذين يتوقون للانخراط في الخدمة العسكرية وغيرها من أجل حماية الوطن ، وقد برهنت أحداث الغزو العراقي للكويت في أغسطس ١٩٩٠ على ذلك .

غير ان مجموعات قليلة إنخرطت في العمل العسكري شكليّاً ، حيث أدمجوا ضمن أقسام الصيانة ، واستطاع أفراد يعدّون على الأصابع من النفوذ، ولكنهم أقيلوا وطردوا من الخدمة ، والقليل منهم أحيل على التقاعد ، وقد تمّ طرد العسكريين الشيعة بين السنوات ١٩٨٣ ــ ١٩٨٥ .. وحتى اولئك الذين يعملون في أقسام الصيانة في القاعدة العسكرية بالظهران والذين كان عددهم يقارب الأربعمائة شخص ، طرد الكثير منهم وتعرّض الباقون للمضايقة ، حيث سُحبت جوازات سفرهم في ذي القعدة ١٤٠٦هـ ، ثم خُتمت بالمنع من السفر ، وأُجبر العديد منهم على العمل في أعمال مهينة مخالفة للقانون العسكري ، كتنظيف المراحيض والحمامات ، وغسل سيارات رؤساء الأقسام .

وفي نفس شهر ذي القعدة أصدر وزير الدفاع الأمير سلطان بمنع الشيعة من مغادرة أقسام العمل ، وتمّ استجواب العاملين في القاعدة حول ميولهم الدينية والسياسية ونشاطاتهم الاجتماعية وأسفارهم السابقة للخارج ، وغير ذلك .. كما ألزموا بالاستماع للمحاضرات الطائفية التي تهين معتقداتهم وتتعرّض لهم بالتجريح ، وأيضا منعوا من الإتصال بالجنود الباكستانيين الذين استقدمتهم الحكومة ، خاصة الشيعة منهم والعاملين في نفس الحقل وفي نفس المكان بحجج أمنيّة واهية .. هذا عدا الإهانات اليومية المتكررة .

قد تطغى الحجج الأمنيّة في قضيّة إنخراط الشيعة في المجال العسكري ليصبحوا جنوداً أو ضباطاً أو حتى مخبرين .. لكن هنالك عشرات المناصب المدنيّة والتي لا علاقة لها بالأمن (٧١) لا يمكن للشيعة الوصول اليها . فالمعروف ان إمارات المناطق الكبرى كلّها بيد أمراء من الأسرة المالكة أو أصهارهم ، وضمن النظام أو العرف يجري تعيين أمراء صغار في كل مدينة وقرية يتبعون أمير المقاطعة . ويفترض كما في مناطق البلاد الأخرى أن يعيّن هؤلاء من أهل البلاد نفسها ، وهذا لا ينطبق على المدن والقرى الشيعية .. إذ لا بدّ أن يأتوا لها بأمير من خارجها يمثّل التوجّه المذهبي الحكومي .. وهؤلاء وبسبب طائفيّة السلطة يأتون مشبّعين بالحقد على الأهالي ، فيجرون صنوف التعديات في كل أمر يرون أنه يدخل ضمن صلاحياتهم .. فضلاً عن أنهم لايفهمون هذه القرى والمدن وسكانها ولا طبائعهم وخصوصياتهم ، وفي كثير من الأحيان ينخرطون في ممارسات طائفيّة صريحة .

خذ مثالاً على ذلك ، الأمير محمد الشريف ، أمير القطيف .. فقد طبع على نفقته

و «لوجه الله تعالى !! » كتاب الوهابي المتطرّف إبراهيم الجبهان «تبديد الظلام وتنبيه النيام ، الى خطر الشيعة والتشيّع على المسلمين والإسلام» .. والكتاب لا يتعرض لعقائد الشيعة بالافتراء ، ويشتم علماء القطيف والاحساء فحسب ، حتى اولئك الذين ماتوا قبل نصف قرن ، وهم يدعون في كتبهم ومؤلفاتهم الى الوحدة بين المسلمين .. بل يصفهم في مئات من المواقع في الكتاب بأنّهم « كلاب وخنازير وكفار ويهود ، وأنهم يتزوجون أمهاتهم ، وأن لهم أذناباً كالحيوانات» ، إضافة الى الكمّ الهائل من التحريض للشعب وللحكومة على الشيعة . وقد تولّت إمارة القطيف توزيع هذا الكتاب وكتاب آخر على المراجعين الشيعة !.

ان السنّة المعتادة هي أن لا يصل المواطن الشيعي الى منصب الوزارة ولا الى وكالة الوزارة او ان يصبح مديرا عاماً لها ، بل لا يمكنه ان يصبح مديراً لبلدية قرية شيعيّة ، وحتى الى ما دون ذلك ايضاً .. لقد استثني الشيعة من كل المناصب الآ تلك التي في مستوى أعمال الكتبة الصغار في الخدمة البيروقراطية [٧٢] .. وقد يردد البعض مبررات ذلك ، بأنه طالما ان الدولة وهابيّة المذهب ، فان من حقّها ــ وفق حكم الأغلبيّة ــ أن تضع من تريده في المناصب العليا والسفلى .. ويجب هنا الالتفات الى حقيقة ان تمذهب السلطة يعطى الأقليّة المذهبيّة في أي بلد الحقّ في أن تطالب بحصتها في الحكم ، وأن يكون لهاممثلون في مؤسسات الدولة بحجم نسبتهم من السكان .. أو يتمّ إلغاء التمييز وينظر الى الكفاءة والخبرة ، وحينها سيكسر الطوق المفروض على المواطنين الشيعة والذي يحجزهم عن الوصول الى المناصب المهمّة .

ويشمل التمييز كل مجالات الحياة العامة .. ففي الحقل الدبلوماسي ، لا يمكن للمواطن الشيعي أن يصبح سفيراً او قنصلاً او حتى ملحقاً لسفارة من السفارات السعودية ، ولم يبلغ علمنا ان هناك إمكانية بأن يعمل كموظف عادي في إحدى سفارات البلاد العديدة .

في المجال الصحافي ، هناك صعوبات وعراقيل عديدة توضع أمام الكتاب والصحافيين الشيعة ، حتى أنه لم يعد هناك سوى صحافي شيعي بارز واحد ، فيما انعزلت أعداد غفيرة منهم بسبب نظرات الريبة والشك والقيود المتنوعة . وحتى الآن لا يحق للشيعي أن يصبح رئيساً للتحرير ، ولا يمكن له أن يحصل على إمتياز إصدار صحيفة او جريدة .. وحدث إبان صراع الملك سعود وفيصل أن اصبح أحد المواطنين الشيعة رئيسا لتحرير صحيفة اسبوعية ، وقد صدر منها بضعة أعداد ثم أغلقت واعتقل رئيس التحرير لبضع سنوات . وقبل هذا تقدّم أحد شباب القطيف المثقفين عام ١٩٥٣ بطلب إصدار صحيفة في القطيف بإسم «الجزيرة» ولكن الملك سعود شخصياً رفض الطلب ، بحجّة أن إسمه في القائمة السوداء ! .

وطوال عهد فيصل وجزء من عهد الملك خالد ، لم يكن يسمح للفتاة الشيعيّة بالتدريس ، وحين كسر الحاجز قبل بضعة سنوات ، لم يكن الكسر إلاّ جزئيّا محدوداً .. فحتى الآن لا يمكن للفتاةالشيعية تدريس المادة الدينية شأنها شأن المدرس الشيعي ، بل لا يمكنهما التسجيل في كليّة الشريعة في أيّة جامعة سعودية ، وان كان الشيعة أنفسهم قلّما يحبون الانخراط في هذه الكليات . ومن الصعب جداً في هذا الوقت ان يصبح أحد المواطنين الشيعة في الأحساء مديراً لمدرسة ، أو وكيلاً لها ، أو أن تخترق الفتيات معهد تربية المعلمات وغيره .

ان التدريس ــ وهي إحدى مهنتين يسمح للمرأة السعودية بالإنخراط فيهما ــ «حرمت المرأة الشيعية منها بأمر السلطات ، وهذا التفريق جعل الشيعة يدركون ــ بحسب قول أحد الأجانب ــ بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، ولهذا حرموا من المساواة الاجتماعية وتساوي الفرص الإقتصادية» .

«إن هذا الحرمان تعزّزه الحقيقة أنه في السنوات الأخيرة الخمس من عهد الملك فيصل ، لم يزر الأخير الأحساء ولو لمرة واحدة . والشيعة ليس فقط شعروا بأن أي شيء لم يفعل للتغلّب على التمييز ضدّهم ، ولكن أيضاً ، أن أيّ جهد لم يبذل لدمجهم في المجتمع» (٧٣) .

ومهنة الطبّ هي الأخرى شبه مسدودة أمام الفتيات والفتيان الشيعة .. ذلك ان المسئولين في جهازي تعليم البنات والمعارف ، اكتشفوا تفوّق الطلبة الشيعة ليس على مستوى المنطقة الشرقية ، بل وعلى مستوى المملكة . فغاظهم ذلك ، وأساؤوا فهم السبب الذي نرى أنه يعود الى حالة التحدّي في التجمّع الشيعيّ المرفوض من قبل أجهزة السلطة .. وبناء على هذا التفوق ، إنخرط العديد من المواطنين الشيعة في كليات الطب التي تتطلّب معدلات عالية .. وهنا مرّة أخرى إتخذت قرارات بأن يقلّص عدد الشيعة المتقدمين لكليات الطب من الفتيان والفتيات الشيعة الى أقلّ عدد ممكن .. فأحيانا يقبل المسؤولون خمسة او ستة أفراد ، وفي بعض الأحيان لا يقبلون أحداً بتاتاً ، مهما كان معدّل المتقدم أو المتقدمة من الدرجات . بل وصل الأمر في السنوات الاخيرة ان فصل العديد من الفتيات والفتيان بحجّة ان معدلاتهم الدراسية ضعيفة ، وهي ليست كذلك .. وأضاعوا على الطلبة ثلاث أو أربع سنوات من الدراسة مجاناً ، وإرضاءً لأحقاد طائفيّة لا تضرّ بالشيعة كأفراد فحسب ، بل تضرّ بشعب المملكة في عمومه ، والذي يعتمد بشكل كبير على الأطبّاء الأجانب .

وعلى سبيل المثال ، رفضت كليّة الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام قبول أي طالب شيعي عام ١٩٨٨ ، وبعد لأي ونقاش ووساطات قبل ثلاثة طلاّب فقط من أصل ٩٤ متقدّم يحمل معدلاً عالياً .. وكذلك فعلت جامعة الملك سعود بالرياض

التي قامت بتحويل من تقدّم اليها الى كليّة الصيدلة .. وحتى المتقدّمون للمعهد الصحي تجري محاولات لـ «نخلهم ! » ، وتقام لهم جلسات التحقيق ، عن آرائهم السياسية في الحكومة وفي مذهبها الرسمي ، ويُسأل المتقدمون عن قصص التاريخ التي اختلف الشيعة في تفسيرها مع غيرهم الخ .

وقد توسّع المسؤولون الحكوميون في هذه الممارسات حتى في الدراسات غير المهمّة ، ومثال ذلك ما قام به معهد البريد في الدمام ، الذي رفض معظم الطلبات التي تقدّم بها ابناء الطائفة الشيعية في المنطقة الشرقية .

طائفيّة أرامكو

لم يكن أمام شركة أرامكو والحكومة السعودية من خيار في توظيفها الشيعة في بداية تأسيس المنشآت النفطية .. فقد كانت الشركة بحاجة الى الى الأيدي العاملة الرخيصة ، وكانت معظم القبائل البدوية لم تستوطن بعد وهي لا ترغب في مثل هذا النوع من الأعمال ، فأصبح الشيعة منذ ذلك الحين يمثلون أكبر نسبة من العمالة الوطنية في حقول النفط .

ولم يأتِ الأميركيون بأفواجهم الكبيرة بعد اكتشاف النفط في مارس ١٩٣٨ ، وبدء تصديره في مايو ١٩٣٨ ، الاّ بعد أن شيّد الشيعة أساس العمل ، إضافة الى أسرى الحرب الايطاليين الذين بنوا أوّل معسكر للنفط في الظهران ، وكذلك الهنود والعراقيون الذين هيّأوا المباني المكيّفة والمحصّنة ضد الذباب والحشرات الأخرى [٧٤] .

وقد استحوذ الأميركيون على كلّ الإمتيازات ، فلهم أحياؤهم الخاصة التي هي قطعة من الولايات المتحدة ، لها نظامها الخاص ، وأمنها الخاص .. ويمارس الأميركيون كل ما اعتادوا عليه في بلادهم . ان ارامكو ليست شركة ، وإنّما هي دولة داخل الدولة .. فلها صحافتها بالعربية والانجليزية ، ولها محطة تلفزيونية خاصة باللغة الانجليزية ، وصلت برامجها للمواطن السعودي قبل المحطّة الرسمية من الرياض ! ، كما لارامكو برامج إذاعيّة تبث أنغامها على موجات الـ «F.M» ، ولها دورالسينماالمحرمة في كل المملكة حتى اليوم ، يصلها آخر انتاج هوليود ، إضافة الى مراكز الترفيه العديدة «برك سباحة مختلطة ، ملاعب غولف ، تنس أرضي ، وغيرها» . وأصبح لأرامكو فوق هذا آلاف الكيلومترات المربعة من الأراضي ملكّتها إيّاها الدولة ، ولها مطاراتها وطائراتها الخاصة .. كما أنها تقوم مقام الدولة في بناء المدارس والإشراف على صيانتها ، وإنشاء المستشفيات والمعاهد ومراكز البحث .. كل هذا يضاف الى تدخلاتها السياسية ، بما يثبت أن

ارامكو كانت ولا تزال ــ رغم إدّعاء تملّكها من قبل الحكومة السعودية ــ انها دولة وليست شركة .

وكان الموظفون السعوديون ولا زالوا مسخّرين لخدمة الأميركي تقريبا .. فإضافة الى الأعمال الشاقّة ، كانوا «خَدَماً» في البيوت «هاوس بوي» ويرعون الحدائق وينظفون المرافق .. وقد وصف أحد مسئولي الشركة هذه المعاملة بأنها معاملة بالوسائل المستنيرة ! .

وامتيازات الأميركيين لاتقف عند حدّ ، فرواتبهم ضخمة لا يتحدثون عنها ولا عن شهاداتهم التي لا تدلّ على مستوى رفيع ، ولا عن وظائفهم السابقة لأنهم بشكل أو بآخر إمّا جواسيس للمخابرات الاميركية أو من مخلّفات حروب التورّط الاميركي في مكان ما من العالم .. ذلك أن الأولويّة تعطى لهؤلاء للعمل في السعودية . ويتمتع الاميركي بسكن مريح ومجاني للعزاب والمتزوجين ، ويتلقون العلاج المجّاني ، وبدل قساوة المعيشة «لأنهم يعملون في السعودية !» تصل الى ربع الراتب ، وإجازات سفرهم السنويّة ثلاث مدفوعة الأجر والتذاكر ، وهم الوحيدون المسموح لهم باستقدام زوجاتهم وإسكانهم مجاناً (٧٥) .

وبمرور الزمن أُضيف للتعالي والإمتهان الاميركيين للعمالة الوطنية صفة التمييز الطائفي ، خاصة بعد إضراب عام ١٩٤٥ .. حيث شعر رؤساء أرامكو ومخابراتها بخطر الشيعة بعد تجارب مماثلة في العراق والبحرين .. وتسارع حثّ أرامكو والحكومة للمواطنين الآخرين ــ خاصة في نجد ــ للقدوم والعمل في المنطقة الشرقية ، تحسّباً للمستقبل ، وللرهان بهم في الظروف الطارئة حيث استخدمت ارامكو فيما بعد السنّة ضد الشيعة .. وبسرعة البرق ظهرت المدن الجديدة «الخبر والدمام وابقيق وغيرها» لتصبح الدمام عاصمة للمنطقة الشرقية بدل الهفوف ، ولتصبح القطيف مدينة ثانوية ، بعد ان نقلت منها مؤسسات الدولة ، وبعد ان حرمت من كل المشاريع التطويرية (٧٦) .

ومع أن الشيعة كانوا يشكّلون أغلبية العمال ، فقد منعتهم الشركة من ممارسة شعائرهم الدينية ، وكان من الامور المحظورة الغياب في المناسبات الشيعية ، بينما يعطون فرصة الغياب في المناسبات المسيحية كأعياد الميلاد ورأس السنة (٧٧) .

تعاظم إحساس أرامكو والحكومة على حدّ سواء بخطر الموظفين الشيعة ، بعد الاضرابات السياسية التي عمّت المنطقة في الخمسينيات والستينيات كما في الاربعينيات .. هذا الإحساس رافقه إعتراف صريح بأن الموظفين الشيعة أكثر إخلاصاً وإتقاناً لعملهم .. وقد جرّبت الحكومة في الفترة الوجيزة الماضية نقل الشيعة عن مواقعهم ، فثبت لديها انها ستكون محتاجة على الدوام للايدي الشيعية الماهرة لادارة العمل .

ومنذ عام ١٩٨٥ تحرّكت أرامكو ــ التي أصبحت سعودية بالكامل كما يقال ! ــ ضمن خطوات محدّدة لتقليص دور الشيعة في مناطق عملها ، فأحالت على التقاعد في مطلع عام ١٩٨٥ ، عشرين بالمائة من موظفيها الذين بلغت أعمارهم الستين عاماً على التقاعد .. وهذا القرار يتأثر به الشيعة أكثر من غيرهم .. ولم يكن الدافع هو الصحّة او العمر ، حيث كان الأميركي يستطيع العمل في الشركة حتى سنّ الخامسة والستين (٧٨) .

ثم تتابعت الإقالات الفردية والجماعية لأتفه الأسباب ، واتخذت الحكومة قرارات بتحويل الكثير من رؤساء الأقسام الشيعة الى وظائف أدنى دونما سبب ، واستبدل طاقم الأمن الصناعي الذي كان يعمل به مئات الشيعة بطاقم سنّي جديد ، ووصلت الحال الى نقطة الحسم .. ففي عام ١٩٨٧ اتخذ الملك فهد ــ بناء على اقتراح الامير نايف وزير الداخلية ــ بمنع توظيف الشيعة في أي وظيفة بأرامكو .. وإليك هذه الوقائع :

ــ في أواخر يونيو ١٩٨٨ عرضت أرامكو ألفي وظيفة شاغرة ، فتقدّم المواطنون الشيعة ولم تقبل منهم شخصاً واحداً .. فمن خلال الاسم او منطقة السكن ضُمن إبعاد الشيعة .. وصادف أن العديد من المواطنين السنّة رفضوا لتشابه الأسماء ، أو للإشتباه بأنهم من أتباع المذهب الشيعي .. تبع ذلك توظيف ٧٠٠ شخص في دائرة الأمن الصناعي ليحلّوا محلّ الشيعة في أعمالهم .

ــ عقد اجتماع في شهر أبريل ١٩٨٨ حضره مدير شركة أرامكو (علي النعيمي) وأمير المنطقة الشرقية محمد بن فهد ، وأحد المسئولين الاميركيين ، جرى فيه بحث تنفيذ قرار وزير الداخلية باستثناء الشيعة من العمل في جهاز الأمن الصناعي ، وقد صدر قرار رسمي بذلك عقب الاجتماع . وكان الامير محمد بن فهد قد اقترح بحث إمكانيّة إبعاد كل الشيعة الذين يحتلون مناصب وسطية ، لكنّه أُبلغ بأن ذلك غير ممكن في الوقت الحالي خوفاً من أن تتعرض اعمال الشركة لانهيارات .

ــ لم تمض سوى أشهر قلائل حتى أقيل نحو ٣٠٠ شخص من المواطنين الشيعة بتبريرات واهية ، كان من بينهم عدد من رؤساء الأقسام .

ــ في شهر مارس ١٩٨٩ أقيل العشرات من أقسام الصيانة بأرامكو والتي يشكل العمال الشيعة حوالي ٨٥٪ من مجموع عامليها .. وجرت محاولات لتوظيف مجموعات كبيرة ليحلّوا محلّ الموظفين الشيعة داخل المناطق البحرية والتي يعمل بها حوالي ٩٥٪ من الشيعة .. لكن ولأن الغالبية من العمال الجدد لم تتحمّل مشاقّ العمل الجسدي ، فقد تركته وبحثت عن أعمال مكتبية سهلة .

ــ في يوليو ١٩٨٩ صدر قرار بتعطيل ترقيات العمال الشيعة قدر الامكان

دون الالتفات الى جدارتهم وكفاءاتهم واستحقاقاتهم للترقيات أم لا .. وفي نفس الفترة جرت تبديلات ملفتة للنظر لعدد محدّد من المسؤولين الشيعة ، ورافق ذلك الكثير من الضغوط والاهانات ، اضطر على اثرها الكثيرون الى ترك أعمالهم بعد عشرات السنين من الخدمة ، قدّر عددهم بنحو ٣٥٠ شخصاً .

ــ بعد الغزو العراقي للكويت ، استمرّ الشيعة في عملهم ، فيما هرب الكثيرون من العمال الأجانب ، ومن العمالة الوطنية القادمة من مناطق اخرى من المملكة ، الامر الذي اضطرّ ارامكو الى ان تزيد الرواتب ١٥٪ أملاً في إيقاف حالة ترك العمل الجماعية ، خاصة وان ارامكو كانت تضغط من أجل زيادة الانتاج للتعويض عمّا فقدته السوق النفطية من انتاج العراق والكويت ، وذلك حتى لا يتضرر الغربيون بارتفاع الاسعار ، ولكي تتمكن الحكومة من جني بعض المال لسداد نفقات الحرب .

في تلك الاثناء أعلنت أرامكو عن وظائف شاغرة ، فتقدّم المواطنون الشيعة الذين حرموا من العمل فيها لسنوات عديدة حتى تفشّت البطالة في صفوفهم .. وكان الأمل يحدوهم بأن شيئاً ما تغيّر بعد الغزو العراقي للكويت ، وأن الحكومة يفترض ان تعيد النظر في منهج تعاملها السابق مع الشيعة الذين صدقت مواقفهم تجاه صديق المملكة السابق وعدوها الحالي «صدام» .. غير ان أحداً من مئات المواطنين المتقدمين للعمل لم يبلّغوا بالقبول ! .

وطوال السنين الماضية تعدّدت المقابلات مع رئيس شركة ارامكو لسؤاله عن أسباب رفض الشيعة ، وفي كلّ مرة كان يقول بدون تحفّظ بأن هناك قراراً رسمياً بهذا الشأن من الملك فهد لا يمكن له ان يتجاوزه ، وانه اذا كان لدى السائلين ايّ اعتراض ، فليتقدّموا به الى الملك مباشرة . ان اوامره الصريحة هي رفض توظيف الشيعة حتى ولو استكمل المتقدمون جميع الشروط وحازوا على كل المؤهلات المطلوبة .. ان عدم الانتماء الى المذهب الشيعي اصبح شرطاً إضافياً رسمياً لكل ملتحق جديد بالعمل في حقول النفط !.

من جانبهم ــ وكالمعتاد ! ــ أرسل وجهاء الشيعة رسالة الملك في شهر صفر ١٤٠٩هـ ، قالوا فيها ضمن حديث طويل : «كنّا نطالب بشيء من الإلتفات الى البلاد ــ القطيف ــ في المشاريع ، والى المواطنين في توزيع الأراضي على ذوي الدخل المحدود ، وعلى الجامعيين[٧٩] ، وكذلك الأراضي الزراعية ، وهلّم جرا .. إنّها اشياء نطالب بها كمواطنين ثقة منا بعدل حكومتنا .. وكانت الاجتماعات مع الهيئات المنتدبة ، وكانت المرفوعات وكانت المقابلات ، وكنّا دائماً في موقف المنتظر المتفائل يحدونا الأمل الكبير فيما نصبو إليه .. لاسيما والمقابلات مع المسؤولين الكبار وتصريحاتهم الطيبة تبعث فينا الطمأنينة وتبشّرنا بالخير العميم

.. وآخر تلك المقابلات حينما تشرّف بعضنا باللقاء مع مقامكم الكريم بالقصر العامر بجدة ... وتوالت الأيام واذا بالمجن ينقلب من قفاه ويحدث ما لا يخطر على فكر مسلم أو يمرّ بخلد .. الخ» .

ثم طالبت الرسالة بتفسير الاجراءات التالية :

«١/ عدم توظيف الشيعة حتى من ذوي التخصصات النادرة في شركة ارامكو ، مع أنها أصبحت سعودية مائة بالمائة ، في الوقت الذي توظّف أعداداً اخرى من غير الشيعة .

٢/ عدم توظيفهم في المؤسسات الحكومية كجامعة الملك فيصل التي امتنعت عن توظيف كل من الدكتور حسين بو سرير ، والدكتور أحمد سالم ، وكلاهما قد ابتعثتهما على حسابها ، حيث تخصص بوسرير في الغدد الصمّاء لدى الأطفال ، بينما حاز أحمد سالم على ميدالية التفوّق في الجراحة .. كما امتنعت الجامعة من قبول الأطباء المتقدمين للتخصص في قسم طبّ الأطفال ، وهم الدكتور حسين شعبان ورفقاه ، وامتنعت من توظيف الدكتور علي الجامع .

٣/ عدم قبول دخولهم الجامعات ــ بنين وبنات ــ الاّ النزر اليسير ، رغم تفوّقهم وحصولهم على الدرجات العالية .

٤/ عدم ترقية المستحقين منهم الى المراتب التي يستحقونها بجدارة ، في حين نال غيرهم بأقلّ من مؤهلاتهم .

٥/ حركة نقل الموظفين منهم الى وظائف أدنى وتجريدهم من مراكز كانوا يقومون بها خير قيام ، تلفت الإنتباه .. » .

وتمضي رسالة الوجهاء الى الملك صريحة معبّرة : «الحديث يطول وكلّة آلام ... وأنت حاكم علينا والله حاكم عليك ، فافعل معنا ما تحبّ أن يفعله الله بك يوم القيامة .. يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم توفّى كل نفس ما كسبت .. فماذا يمكن أن يكون إذا سُدّت أبواب العمل في وجوه الناس ، ووضعت العراقيل في إكمال دراستهم ، وحرموا من الحصول على أرضهم ، وضويقوا في وظائفهم وأعمالهم ، وكُفّروا وهم مسلمون ، وشتموهم مقهورين ، واتهموا بالكيد للإسلام والمسلمين ... » .

وفي عريضة حديثة قدّمها الوجهاء الى الأمير محمد بن فهد بناء على طلبه في بدايات شهر ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ، جاء فيها : ان المنطقة الشرقية «تأتي الثالثة في التسلسل التاريخي من حيث إنضوائها تحت علم الدولة ، والأولى من حيث الموارد المالية ، لكنها لم تنل إلاّ البسيط الذي لا يكاد يذكر ، إذا ما قارناها بما نالته غيرها من المناطق في المملكة .. وهي مع ذلك لا تمرّ مناسبة إلاّ وتعلن تمجيدها للدولة وخطواتها الرائدة ، في حين أننا نُتّهم في ولائنا ، وينسحب الشك على

الجميع لكل حدث ، لا بسبب الاحداث بل بسبب الروح الطائفية التي نمت بدل أن تضمر ويذبل عودها ، فتصاعدت ضدّنا الحملات المسعورة بالاغراء والإفتراء في الكتب والصحف والإذاعات وخطب الجمعة والمحاضرات . حرب إعلامية شعواء لا هوادة فيها ، وبدون وازع ولا رادع ، بحيث صارت أبرز الصفات والنعوت لنا بأننا أخطر على الاسلام من اليهود والنصارى ، وحين نعلن إسلامنا ونقوم بكافة شعائر الاسلام ، يقال لنا أن فعلكم تقيّة في الظاهر وحقد وضغينة في الباطن ، بحيث صارت النتيجة الحتمية لتلك النظرة وذلك الشك ما يلي :

* إمتناع شركة الزيت من قبول توظيف أي شيعي مهما كانت مؤهلاته العلمية ، بينما تقبل ممن هو أدنى منه بدرجات .

* اعتماد هذا المبدأ لدى المؤسسات الأهلية والحكومية الأخرى حتى تفشّت البطالة بين خريجي الجامعات ، فضلاً عن غيرهم .

* نقل أعداد كبيرة من أبناء البلاد من وظائفهم الى وظائف أدنى بدون مبرر .

* عدم قبول خريجي الثانويات في الجامعات والكليات الآ النزر اليسير ، وكأنّما يؤخذ للتغطية ، وعدم قبولهم نهائياً في الكليات العسكرية .. » .

كان من الطبيعي ان تتصاعد حالات التمييز الطائفي في المؤسسات الأهلية أسوة بالمؤسسات الحكومية ، وهذا لا يعود الى تقليد أعمى بقدر ما هو نتيجة لإثارة الحساسيات الطائفية وتعميمها في الاعلام وكل المؤسسات الحكومية الاخرى .. فأصبح المواطنون وبشكل تلقائي فريسة تلك السياسات الطائفية وذلك الاعلام المريض .

من جهة اخرى تأثرت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الشيعة والسنّة القاطنين في المنطقة الشرقية بشكل ملفت للنظر خلال العقد الماضي اكثر من أي وقت مضى ، حتى بالقياس الى عهد تسلّط الاخوان في العشرينات والثلاثينات الميلادية ، رغم ان الكثير منهم يرتبط برباط قبلي .

فالى عهد جدّ قريب ، كانت العلاقات طيبة تقليدياً وتوجد صداقات قويّة بين أبناء الطائفتين ، فضلاً عن المشاريع الاقتصادية المشتركة .. وكان عدد كبير من الشيعة يعملون في مؤسسات يملكها مواطنون سنّة وبالعكس ، ويمنح المتنورون من بين أصحاب هذه المؤسسات مستخدميهم الشيعة عطلة في الايام العشرة الاولى من المحرم ، كما ويتبرعون لمؤسسات خيرية شيعية [٨٠] .. لكن كل هذه العلاقات تهدّمت وانقلبت الأمور رأساً على عقب ، بعد ان رمت الدولة ومؤسستها الدينية الرسمية بثقلهما في الحرب الطائفية التي بلغت الذروة خلال السنوات العشر الماضية ، ضمن حسابات سياسية إقليمية يعرفها الجميع .

لقد سدّت جميع الأبواب أمام الشيعة ، فأينما توجهوا للعمل يُرفضون ، حتى في

دوائر البريد والهاتف اصبح العمل فيهما شبه مستحيل .. وحتى اولئك الذين كانوا يعملون كموظفين في المطار طردوا من أعمالهم فيه وهم بالمئات ، وكانت اعمالهم تصنّف ضمن الأعمال الوضيعة ، وقد تمّ ذلك في عام ١٤٠٨هـ . بل وأصبح قبول الشيعة في الطيران المدني متعذّراً ، ورغم العدد القليل من الطيارين المدنيين الشيعة ، الاّ انهم حرموا من قيادة الطائرة ووضعوا برتبة مساعدين ، كما أقصيت مجموعة من العاملين في الصيانة للطائرات المدنية وفي قسم المراقبة .

مدن النفط

جذب العامل الإقتصادي البدو وأعداداً غفيرة من سكان المملكة للقدوم الى المنطقة الشرقية والإستقرار فيها ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، والتبدّل الجزئي في المفاهيم السائدة حول العمل اليدوي والمهني ، وأيضاً بسبب الفقر المدقع والمجاعة المتفشيّة . ولا شك أن النفط جذب البدو الى الإستقرار بنجاح باهر ، وهو أعظم من النجاح الذي حقّقه الملك عبد العزيز في مشروع الهجر الذي إتّخذ صفة الإجبار .

جاء هؤلاء بحثاً عن لقمة العيش ، وأقاموا في مساكن بالقرب من المنشآت النفطية في بيوت من سعف النخيل أو الخيام أو أكواخ الخشب ، أو ما يعرف بإسم « البرستيات » .. فكانت هذه البيوت السعفية والأكواخ نواة المدن الجديدة ، كالظهران والدمام والخبر وابقيق والثقبة [٨١] والعقربيّة والعضيليّة ، وكذلك «القيصومة والوديعة والشعيبة ورفحاء وعرعر وبدنة وطريق» .. وهذه المدن والقرى الأخيرة مَدِينَةٌ بوجودها لإنشاء خط التابلاين ، ولا شك ان الدمام والخبر والظهران وبسبب قربها من إدارة ارامكو ، حظيت أكثر من غيرها من بالإهتمام ، وحازت على أكثر الجهود للتطوير .

لم تكن الدمام او الخبر قبل النفط سوى قرى صغيرة كلّها مبنيّة بالخشب والسعف ، وقد ارتبط تأسيسهما بنزوح الدواسر اليهما من البحرين في نوفمبر سنة ١٩٢٣ / الموافق ١٢ / ٤ / ١٣٤٢هـ ، وذلك بعد الفتنة الطائفيّة التي أشعلها القصيبي ــ ممثل ابن سعود في البحرين ــ ، وما تلا ذلك من إصلاحات فرضها البريطانيون ، وتمّ بموجبها عزل الشيخ عيسى بن علي وتولية إبنه .

انقسم الدواسر الى قسمين ، القسم الأعظم استقرّ في الدمام تحت رئاسة أحمد بن عبد الله الدوسري ، والقسم الآخر استقرّ في الخبر تحت رئاسة محمد بن راشد بن جبر الدوسري ، وقد زوّدهم ابن سعود بالسعف المجاني الذي جلبه لهم من مزارع

القطيف (٨٢) .. وكان عماد إقتصاد الدواسر على الغوص وصيد الأسماك مما جعلهم في ضائقة ماليّة بعد كساد تجارة اللؤلؤ (٨٣) .

وحتى عام ١٩٣٥ / ١٣٥٦هـ ، كان عدد الأكواخ القائمة فعلاً في الدمام أقلّ من ٣٠٠ ، وكان المنزل الوحيد المبني بحجر حتى عام ١٩٣٩م هو منزل أمير الدمام ، في حين لم تتجاوز أكواخ الخبر عام ١٩٣٥ خمسة عشر كوخاً فقط ، حسب الصور الجويّة التي التقطتها ارامكو ، ولم تكن بالخبر حتى عام ١٩٣٩ الاّ حجرة واحدة مبنيّة بالحجارة والجص كان يسكنها أمير الخبر (٨٤) .

وكانت الدمام والظهران والخبر تابعتان لأمارة القطيف ، وقد أسست أول أمارة في الخبر سنة ١٣٥٩هـ برئاسة الأمير محمد بن عبد العزيز بن ماضي ، في حين اصبح أحمد بن عبد الله الدوسري أول أمير للدمام ، حيث لم تمض سوى خمسة عشر عاماً حتى أصبحت الدمام عاصمة المنطقة الشرقية ، وذلك في عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م (٨٥) .

وعلى مرّ هذه السنوات لم تجتذب هذه المدن الجديدة وبالأخصّ (الدمام والخبر والظهران) الاّ أعداداً قليلة من الشيعة الذين فضّلوا البقاء في مدنهم التي كانت وحتى نهاية الأربعينيات الميلادية هي المدن الرئيسية ، وكانت المدن الجديدة شبه مخصّصة للمهاجرين والبدو المستوطنين حديثاً ، والذين وزّعت عليهم أراض شاسعة لإلزامهم بالبقاء .. وقد ساعدت عزلة الشيعة عن الحياة الدينية والسياسية والإقتصادية السعودية على إقناعهم بالبقاء في إطار مدنهم وقراهم القديمة التي بدأت تفقد مكانتها بسرعة كبيرة ، ولهذا لم تجتذب مجمّعات ارامكو السكنية ــ وهي سيئة على أيّة حال ــ وكذلك المدن الجديدة ، إلاّ أعداداً محدودة من المواطنين الشيعة (٨٦) .

لكن أعدادهم أخذت بالتصاعد السريع في الستينات والسبعينات الميلادية لأسباب عديدة ، من أهمها إستحواذ المدن الجديدة وبالأخص الدمام التي أصبحت العاصمة ، على معظم الخدمات الحكومية .. فقد تركزت فيها الدوائر الحكومية وفروع الوزارات وكانت قلب المنطقة الأقتصادي بسبب تأسيس فرضة الخبر وميناء الدمام ، ثم إنشاء سكّة الحديد .. وفي مقابل ذلك لم تظفر المدن القديمة بشيء من الخدمات يستحق الإشارة ، وتدهور النشاط الاقتصادي التقليدي القائم على الزراعة ، بل وقُضي قضاءً مبرماً على مينائي المنطقة الرئيسيين بعد ان كانا عنوان حيويتها وازدهارها وهما : العقير والقطيف ، إضافة الى الموانىء الصغيرة الأخرى في جزيرة تاروت .. ويرى أحد الباحثين أن عمليّة اختيار الموقع الذي أقيم فيه ميناء الدمام ، ومدّه مسافة ١١ كيلومتراً في المياه الضحلة لكي يصل الى الخور ، حيث المياه العميقة ، وعدم تعميق ميناء القطيف وإصلاح

أرصفته بكلفة أقل ، تكشف عن الحقيقة القائلة بأن ميناء الدمام أنشيء لمصلحة شركة النفط بقصد توفير الحماية لها وقت الحاجة وجعله جاهزاً لإستقبال البوارج الحربية .. كما يؤكد ذلك إنشاء سكّة حديد بطول عشرة كيلومترات لربط الميناء بمقرّ شركة النفط في الظهران(٨٧) .

إن إنتقال الثقل الإقتصادي والإداري والعمراني الى المدن الجديدة والذي بدأ بتسارع شديد بعد تحويل الدمام الى عاصمة الإقليم ، لم يترك لسكان المدن القديمة فرصاً يعتدّ بها للعيش ، فبدأ النزوح الى مدن النفط ، خاصة من قبل الأحسائيين الذين انتشروا بشكل مكثّف في الدمام والخبر وابقيق ، للبحث عن فرص للعمل بعد تدهور النشاط الاقتصادي التقليدي القائم على الزراعة .. وكان لبعد الأحساء النسبي ــ بعكس القطيف ــ عن مقرات إدراة ارامكو ، إضافة الى صفة التنقّل التي امتاز بها الإحسائيون أثرٌ هام في إستقرار الكثير منهم في هذه المدن .

ان شعور الشيعة بالغبن يمكن تفهمه وقبوله ، فالمنطقة الشرقية بمدنها القديمة والحديثة ليس فقط لم تحصد الكثير من خيرات النفط ، إذا ما قورنت بجدّة والرياض وغيرهما .. بل أن مدن الشيعة الرئيسية وقراهم لم تنل معشار ما نالته مدن النفط .. وبلمحة نظر تبدو المفارقة مؤلمة ، فالقطيف التي كانت قصبة الحكم ، والتي امتدّت حدودها من الكويت الى قطر في يوم من الأيّام ، لا يمكن مقارنتها بأقلّ قرى النفط ومدنه .

الحرمان من الأرض

ان الأراضي بمنظار الشرع هي ملك مشاع لعموم المسلمين ، ممّن يريد سكنها وعمارتها ، فالأرض لله ولمن عمرها .. أمّا بمنظار الأسرة الحاكمة ، فهي ملك مطلق للحاكم وورثته ، معتمدةً في ذلك على منطق القوة وتحت شعار «ملك الآباء والأجداد» .

ضمن هذا التصور اعتبرت الأرض وما فيها وما عليها ملكاً للحاكم ، ولذا أصبحت الميزانيات نهباً لمن أراد من الأمراء ، بل حتى النفط أصبح يباع لحساب هذا الامير وتلك الأميرة .. أمّا الأراضي فيكفي أي امير ان يكتب للجهة الحكومية التي تقع الأرض ضمن صلاحياتها كالإمارة أو البلدية ، لتنتقل هذه الأرض ــ خلال ايام لملكيته ــ حتى وان كانت مملوكة ، ويعوّض المالك بصورة جزئيّة من مال الدولة تحت عنوان : «نزع ملكية للأغراض العامّة» .. وقد أجرى الأستاذ توفيق الشيخ إستقصاءً عاماً عام ١٩٨٢ عن الأراضي التي استملكها الأمراء في المنطقة الشرقية ، فخرج بنتيجة مؤدّاها ان ٣٥٪ تقريباً من مساحة الأراضي

الحكومية الواقعة في محيط المدن بالمنطقة الشرقية ، وضمن دائرة نصف قطرها ٣٠ كيلومتراً قد استملكت من قبل أمراء وأميرات العائلة المالكة .. هذا غير مئات القطع من الأراضي المحجوزة للمرافق العامة ، والعشرات من الحدائق العامة ، والتي تحوّلت الى ملكية الأمراء دون ان يدفعوا من ثمنها قرشاً واحداً (٨٨).

ويرى الكاتب «مايكل فيلد» في كتابة «التجار» انه اذا اراد الحكام ان يجعلوا شخصاً غنيّاً ، أعطوه أرضا ، فكانت النتيجة ان الأراضي أصبحت في الثلاثين سنةالأخيرة أهم مصادر الثراء الشخصي في الجزيرة العربية .. وقال ان هذه العادة بدأت أيام الملك عبد العزيز ولا تزال مستمرة .. ذلك ان الملك في السعودية يمنح الأراضي بانتظام الى أقربائه ووزرائه والى اي انسان آخر يريد الإحسان إليه او مكافأته .. وقد كانت الارض معدومة القيمة فيما مضى ، وأحياناً تمنح مقابل خدمات صغيرة (٨٩) .

ولذا فان أكبر ملاّك الأرض هم بعض الأمراء السعوديين الذين حصلوا عليها بأبسط وسيلة ، ألا وهي طلبها من الملك .. وهناك أمراء يملكون مساحات من الأرض تتراوح قيمتها بين مليار وملياريين من الدولارات (٩٠).

من جهة أخرى حصل الوافدون من مناطق المملكة المختلفة على أراض سكنيّة ، وبعضهم حصل على مساحات شاسعة من الأرض تقدّر بالكيلومترات ، وهبت لهم من الملك أو أحد أفراد العائلة المالكة .. وفي تلك الأيام لم يكن للأرض قيمة كبيرة ، وقد حاول الملك فيصل أن يخفّف من غلواء النهب الأميري لميزانية الدولة ، فزاد في توجيههم نحو الأراضي ، ووهب أفراد الأسرة إضافة الى مخصصات مالية محددة ، عشرات الكيلومترات من الأرض المحيطة بالمدن والقرى ، فأصبح توسّعها الحتمي بيد الأمراء الذين بالغوا في أسعارها .. فحوصرت المدن والقرى الشيعية التي لم يحصل سكانها على شيء بملكيات تحيط بها من كل جانب ، وقدّر وجهاء المنطقة في رسالة رسمية الى الحكومة ان أقلّ من ٢٪ من الأراضي القابلة للإعمار والإسكان هي بيد الأهالي (٩١)

واذا كانت الحكومة قد اعتادت توزيع الاراضي على ذوي الدخل المحدود في أغلب مدن المملكة ، الاّ انها ــ لسخرية القدر ــ منحت الاراضي لغير ساكني المدن والقرى الشيعية ممّن لا يعرف موقع المدينة او القرية على الخريطة ، ولم يسبق لها ان رآها ، وكلّ ما يعرفه أنه يمتلك صكوك أراض منحته إياها الحكومة ، عبر وساطات ورشوات معروفة .

قبل أكثر من نصف قرن وزّعت الحكومة ــ ولأول مرة في تاريخ المملكة ــ أراضي على المهاجرين الجدد الى المنطقة ، ضمن أمر رسمي ملكي صادر في السادس من جمادى الثانية سنة ١٣٥٨هـ ، وذلك للمساعدة في خلق المدن الجديدة

.. وقد بدأ التوزيع في الدمام والخبر ثم مدن النفط الأخرى بعد ان نجحت التجربة .. وان كان الهدف منه تغيير خارطة المنطقة الديمغرافية .

بعد هذا جرى تخطيط هذه المدن والعناية بها ، ولم تشذ عن عمليّة التخطيط هذه سوى مدن المنطقة القديمة وما يتبعها من عشرات القرى ، وهي في غالبيتها قرى ومدن شيعية (٩٢)، وحين أصبحت الحاجة ملحّة للتوسّع والعمران ، وزّعت الحكومة في كل المناطق أراضي قيل أنها على ذوي الدخل المحدود ، لم يظفر المواطنون الشيعة وهم سكانها بأي شيء منها .

وحين قفزت أسعار الأراضي في بداية السبعينات الى عشرات ومئات الأضعاف ، اصبح المواطنون غير قادرين على شراء أرض ، فضلاً عن بنائها ، فبدأت الشكايات واتسعت حالة التذمّر .. وفي كل مرة يوعد المواطنون بتوزيع اراض ما يسمى بالدخل المحدود ، يجدون ان نحو ٩٠٪ منها يعطى لغير أهل هذه المدن والقرى ، وساعد على ذلك ان رؤساء البلديات الذين يملكون هذه الصلاحيات هم من غير الشيعة ، وانهم ولأسباب طائفيّة حرموا أصحاب الحق من حقّهم ، ونهبوا الأراضي وتقاسموها أو ملّكوها لأصدقائهم وأصحابهم .

كانت مسألة الأراضي ولا تزال مثار إعتراض شديد لدى الأهالي ، ولا تكاد تخلو رسالة من رسائل الوجهاء من الإشارة إليها .. والقضيّة ليست حرماناً فحسب ، بل ومصادرة أراض الشيعة .. وقد حدثت سنة ١٤٠٥هـ مثلاً ان مئات الأكواخ في «حزم صفوى» دمّرت بالتركتورات بعد أن أمضى سكانها سنوات طويلة فيها إنتظاراً للتخطيط ولمنحة أرض ، ولكن أياً من هذا لم يحدث ، وتشرّد المئات من الناس بحثاً عن ملجأ بعد نحو عشرين عاماً من العيش في بيوت الصفيح .. ولم تكن تلك المشكلة لتمرّ بسلام لولا ان الشرطة كانت واقفة بالمرصاد وتجرّ كل شخص يرفض ان يخرج من منزله قبل ان تزحف التركتورات عليه لتدمّره .

في ربيع الثاني ١٣٩٨هـ ــ أثار الوجهاء هذه القضية مع اللجنة التي أمر ولي العهد بتشكيلها للنظر في أحوال المنطقة ، وقالوا ان قرار مجلس الوزراء القاضي بتوزيع الأراضي حسب الأولويّة للسكان لا يعمل به في المدن الشيعية ، وطالبوا «بالأولويّة حسب قرار مجلس الوزراء في توزيع الأراضي السكنية والزراعية ، وأن الأوامر تقضي بأولوية السكان في نفس المحلّة ، بينما الملاحظ في التوزيع خلاف ذلك ، ويمكن التأكّد بالرجوع الى كشوفات المنح والمبيعات والتوزيعات في كل من البلديات والزراعة .. » (٩٣) .

وفي رسالة الوجهاء للملك التي تلت إنتفاضة الشيعة في محرم ١٤٠٠ هـ نقرأ :

«ان إبن البلاد يرى بأم عينيه أن الكثير من الأراضي البيضاء تذهب هنا وهناك ، وتعطى لهذا أو ذاك ، وهو محروم منها ، ثم يشتريها بأغلى الأثمان من هذا الذي

وهبت له .. بينما ينازع أصحاب الأملاك الحقيقيون في أملاكهم في كثير وكثير من الحالات .. ان بعضاً ــ يا صحاب الجلالة ــ كاد يلتحف السماء ، ويفترش الأرض ، وكثير كثير يعيش بالإيجار ، وأكثر منه أن معظم بيوت المدن والقرى لا تصلح حتى للحيوان مسكناً ، فضلاً عن الإنسان الذي كرّمه الله» .

وفي رسالتهم للجهات العليا ، قدّم الوجهاء بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٤٠٣هـ إقتراحات لتحسين أوضاع المنطقة الزراعية والعمرانية والصحية وغيرها .. ومن الاقتراحات : «إسترداد الأراضي الزراعية التي مُنحت الى بعض الأفراد ولم يقوموا بزراعتها ، وإعطائها الى مزارعين من أهل القطيف» .. و «توزيع أراضي ذوي الدخل المحدود على مستحقيها من أهل القطيف» .. و «توزيع الأراضي المقرّرة للجامعيين وأصحاب المنح الخاصة من أهل القطيف» لأن «من المعلوم أن أراضي القطيف بقسميها السكني والزراعي ، قد مُنحت ، ولم يبق منها الاّ القليل جداً ، لكن المنح على مختلف أقسامها وأحجامها لم ينل اهل البلاد الأصليين الساكنين إلاّ نسبة ضئيلة جداً بحيث لا تصل ٢٪ .. بينما الذي نعرف أن هناك أوامر ملكية تقضي بأن لا يُعطى أحدٌ أرضاً سكنيّة إلاّ من أهل البلد والمقيمين فيها . وحيث أن ما تبقى هو القليل الذي لا يكفي .. فاننا نلتمس إيقاف المنح لغيرهم ، بمنح المحتاج من أهل القطيف أرضاً سكنيّة ، والمزارعين أرضاً زراعية تحقيقاً للعدل وتعميماً للفائدة» .

ورغم إشارة الوجهاء الى التلاعب والنهب ، والى «هذا أو ذاك» الذين سيطروا على الأراضي ، فان جرأتهم لم تصل الى وضع النقاط على الحروف وتوجيه الطعن الى سياسة الحكومة الطائفية ، والى الأمراء الذين وصلت بهم الأمور الى وضع لافتات على إقطاعات ذات مساحة هائلة ، تحمل اسماءهم الصريحة .. فهذه الأرض ملك للأمير فلان ، وتلك الرقعة تحمل إسم الأميرة علاّنة .. وهكذا دواليك .

ولكي نقدّم للقارىء صورة من صور إقطاعات الأراضي للأمراء ومساحتها في رقعة محدودة .. نشير الى هذين النموذجين :

الأول : حوت وثيقة صادرة من رئاسة بلدية القطيف وتوابعها ، يرجّح ان تاريخ صدورها كان في العام ١٩٨٨ ، وموضوعها : «المنح لغير أهل القطيف» التالي :

١ ــ ٤٠٠٠٠ متر مربع للأمير عبد الرحمن بن سعود .

٢ ــ ٢٠٤٢٨٧٠ (٢ مليون و٤٢ ألفاً و ٨٧٠ متراً مربعاً) لسمو الأميرة نوف بنت محمد بن عبد العزيز .

٣ ــ ٣٣٠٤٣٥٠ (ثلاثة ملايين و ٣٠٤ ألفاً و ٣٥٠ متراً مربعاً) لسمو والدة الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز ــ زوجة الملك الراحل خالد ــ .

٤ ــ ١٩٦٠١٢٥ (مليون و ٩٦٠ ألفاً و ١٢٥ متراً مربعاً) لسمو الأميرة سارة بنت عبد العزيز ــ أخت الملك ــ .

٥ ــ ١٢٠٤٠٠٠ (مليون و ٢٠٤ ألفاً من الأمتار المربعة) لسمو الأميرة العنود بنت عبد العزيز ــ أخت الملك ــ .

٦ ــ ٥١٧٩١٧٥ (خمسة ملايين و ١٧٩ ألفاً و ١٧٥ متراً مربعاً) لسمو الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد .

٧ ــ ٤٢٠٦٨٠٠ (أربعة ملايين و ٢٠٦ الفاً و ٨٠٠ متراً مربعاً) لسمو الأميرات نوف وهيفاء بنات بدر بن عبد العزيز ــ نائب رئيس الحرس الوطني ــ .

٨ ــ ١٩٧٦٠٠٠ (مليون و ٩٧٦ ألف متر مربع) ، لسمو الأمير تركي وحصّة ، ابناء فيصل بن سعود .

٩ ــ ١٩٤٧٠٠٠ (مليون و ٩٤٧ الف متر مربع) لسمو الأمراء فيصل بن فهد بن عبد العزيز وإخوانه ــ أبناء الملك فهد ــ .

١٠ ــ ٥٠٠٠٠٠ متر مربع للأمير سعد بن خالد .

١١ ــ ٢٥٠٠٠٠٠ (٢ مليون و ٥٠٠ الف من الأمتار المربعة) لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ــ أمير المدينة المنورة ــ .

١٢ ــ ٢٣٠٥٢٠٠ (٢ مليون و ٣٠٥ ألفاً و ٢٠٠ متراً مربعاً) لسمو الأمير فيصل بن خالد .

١٣ ــ ٤٨٢٣٠٠ متراً مربعاً ، لسمو الأميرة منيرة بنت فيصل .

١٤ ــ ١٠٤٠٠٠٠ (مليون وأربعين ألف متر مربع) لسمو الأمير مشاري بن عبد العزيز ــ أخ الملك ــ .

١٥ ــ ١٨٩٣٠٠٠ (مليون و ٨٩٣ ألف متر مربع) لسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز ــ وزير الدفاع ــ .

١٦ ــ ٢٠١٤٦٥٠ (٢ مليون و ١٤ ألفاً و ٦٥٠ متراً مربعاً) لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أيضاً .

هذا نموذج بسيط وواضح .. وإليك النموذج الثاني ، حيث تشير وثائق أخرى الى التالي :

١ ــ الأمير تركي بن ناصر بن عبد العزيز ــ مائة ألف متر مربع ــ جنوب كوبري قرية أم الساهك .

٢ ــ الأمير بندر بن محمد بن عبد الرحمن ــ أربعة ملايين متر مربع ــ شمالي كوبري الجعيمة ، وشرق طريق الجبيل .

٣ ــ الأمير عبد الإله بن عبد العزيز ، أمير منطقة القصيم ــ أراض كبيرة

مجهولة المساحة في القطيف .

٤ ــ الأمير سعود بن محمد بن سعود الكبير ــ ٣٠٠ ألف متر مربع ــ في مدينة صفوى .

٥ ــ الأميرة قماشة بنت عبد العزيز وأولادها ــ أراض واسعة في مدينة صفوى غير معروفة المساحة .

٦ ــ الأمير سيف الإسلام آل سعود ــ أرض واسعة غير معروفة المساحة في أم الساهك .

٧ ــ أبناء الأمير خالد بن عبد الله بن تركي بن عبد العزيز « بندر ورندة » وزوجته فاطمة ناصر السلّوم ــ مائة ألف متر مربع ، في أم الساهك .

٨ ــ الأمير خالد بن عبد الله بن عبد العزيز ، أرض واسعة مجهولة المساحة في تاروت .

٩ ــ الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد ــ أرض واسعة مجهولة المساحة في تاروت .

١٠ ــ الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز ــ أرض شاسعة مجهولة المساحة في تاروت .

١١ ــ الأميرة العنود بنت عبد العزيز ــ أرض مجهولة المساحة وواسعة في تاروت .

١٢ ــ الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ــ أرض واسعة ومجهولة المساحة في تاروت .

١٣ ــ الأمير سلطان بن عبد العزيز ، وزير الدفاع والطيران ، مليوني متر مربع في القطيف .

١٤ ــ الأمير سلمان بن عبد العزيز ــ أمير الرياض ــ ١٤٤ ألف متر مربع في العزيزية .

١٥ ــ الأمير فهد بن سلمان ، نائب أمير المنطقة الشرقية ــ ٤٠٠ ألف متر مربع بالعزيزية .

وغير هذا ، فان الأراضي التي تقوم عليها الآن مشاريع الهيئة الملكية في الجبيل ، استملكها الأمير سلطان ثم باعها على وزارة الصناعة والكهرباء في منتصف السبعينات الميلادية بثمانية مليارات ريال ، والأرض الصحراوية الواقعة بين طريق رأس تنورة ــ الجبيل شمالاً ، والظهران ــ أبقيق جنوباً والتي تبلغ مساحتها آلاف الكيلومترات المربّعة ، إستملكتها الأميرة حصّة بنت عبد العزيز وأمراء آخرون ، باعوها لوزارة الدفاع لإقامة مطار الملك فهد الدولي الجديد .. ومثله الأرض الواقعة شمالي طريق تاروت ــ القطيف ، والتي استملكها الأمير تركي ،

فُرزت الى مئات القطع ، وبيعت الواحدة منها بـ «١٥٠» ألف ريال ، وهناك عشرات الأمثلة التي لا تحصى [٩٤] .. ولأنّ المدن والقرى الشيعية في منطقة القطيف تطلّ على الساحل ــ لذا أصبحت محاصرة شرقاً من البحر ، ومن الغرب بأملاك الأمراء ، ومن الجنوب بمدن النفط ، ومن الشمال بمنشآته وبأملاك الأمراء . ولو ان المسألة وقفت عند حدود الأملاك البعيدة من الصحاري الشاسعة ، لهان الأمر .. ولكن الأمراء وحاشيتهم لم يتركوا قطعة أرض قريبة من العمران إلاّ واستولوا عليها ، وما من أرض إحتُمل وصول العمران إليها إلاّ وبادروا واستخرجوا وثائق وصكوك تثبت تملّكهم لها ! .

القضاء

حين خضعت منطقة الأحساء والقطيف ، كان للشيعة محاكمهم التي يترافعون اليها ، وكان قاضي الشيعة في القطيف بشكل خاص ، يقضي بين السنّة والشيعة ، بل أن الأقليّة السنيّة في المنطقة رفضت ان يعيّن لها قاض خاص مادام القاضي الجعفري يقوم بالمقام ، ويفتي على مذهب المتخاصمين أياً كانوا .

وفي السنوات اللاحقة ، إشتدّ طغيان التفرقة الطائفيّة ، وتشدّد علماء المذهب الرسمي في ضرورة مراجعة المحاكم الشرعيّة التي استحدثوها .. وكان بالإمكان أن تمرّ الأمور بشكل إعتيادي ، مادام المرء يمتلك خيار اختيار المحكمة التي يريد .. وطالما أن القضاء في كل المحاكم يتحرّى العدل والإنصاف بعيداً على الحساسيات المذهبيّة .

لكن ما كان يجري غير هذا ، فالشيعي يعتبر مداناً في الغالب اذا كان الطرف الآخر مخالفاً له في المذهب .. ومع إصرار الوهابيين على تعطيل فاعليّة المحاكم الشيعية ، نفّذت الدولة ما أرادوه .. وفي الستينات والسبعينات الهجرية ، كان هناك ضغط متعاظم من الشيعة يهدف تشكيل محكمة جعفرية تتولّى تسجيل الصكوك الشرعية ، وإثبات ملك البيع ، والبتّ في الأوقاف الشيعية والمواريث ، وأن يكون لها إعتبارها الرسمي ومعترف بها من قبل الدولة .

وقد نجح الشيعة في استصدار قرار بهذا الأمر .. ففي الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٨٢ هـ ، صدر قرار ملكي رقم (٤٩٦٦٢) باعتماد ترك أوقاف الشيعة ومواريثهم ووصاياهم لقضاتهم .. ولكن وبعد سنوات من العمل بهذا القرار ، ورغم تقليص صلاحيات القضاة ، صدر قرار ملكي رقم (١١٧١٥) في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٩٤ هـ ، يلغي بأثر رجعي كل ما بتّ فيه قضاة

الشيعة لمواطنيهم .. وتشير وثيقة رسمية حكومية صادرة من وزير البلديات ، الأمير ماجد بن عبد العزيز ، وصادرة بتاريخ ٢٤ جمادى الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الى ان القرار الحكومي أدّى الى « تذمّر واستياء الشيعة من وجوب تسجيل جميع ما يصدر من قاضي الشيعة» في المحاكم الحكومية ، ومطالبة الشيعة يتسجيل ما استجدّ من وثائقهم في المحاكم الحكومية .. وقالت الوثيقة ان قاضي الشيعة رفض التعاون مع الحكومة لأنها أبطلت بأثر رجعي كلّ ما صدر عنه ، وان ابناء الطائفة الشيعية رفضوا استلام التعويضات المقدّرة لأملاكهم وأوقافهم التي صادرتها الأجهزة الحكومية .. وهنا اضطرّت الحكومة ، وبعد اجتماع ضمّ وزير العدل ، ووزير البلديات ، ووزير الحجّ والأوقاف ، والشيخ عبد العزيز بن باز .. الى العودة الى القرار القديم ، وصدر قرار جديد بالأمر يحمل رقم (١٤١٣٤) وتاريخ ١٣ / ٦ / ١٣٩٥ هـ .

لم تجرِ الأمور على ما يرام بسبب التقييدات الكثيرة التي وضعتها وزارة الداخلية على المحاكم الشيعية ، ورغم إستحداث محكمة جديدة سميت «محكمة الأوقاف والمواريث» لتحلّ المشاكل الكثيرة المعلّقة ، إلاّ أن الدولة طلبت أمرين هامين ، أحدهما : الحظر على قاضي الشيعة الإعلان في الصحف بإثبات الإرث والوقف .. والثانية : ان تخضع أحكام القاضي الشيعي الى هيئة تمييز في الرياض ، وليس الى هيئة تمييز شيعية .

وقد رفض الشيعة الأمرين .. تشير رسالة وقّع عليها ثلاثة عشر وجيهاً من القطيف ومرسلة الى وزير الداخلية في التاسع من صفر ١٤٠٢ هـ ، الى أن الإثبات في مسائل الميراث وعائديته يستلزم إجراء ما نصت عليه الفقرتان ٨٢ و ٨٣ من نظام سير المحاكم ، واللتان تقضيان بالكتابة الى البلدية والإعلان في الصحف «ومادامت محكمة الأوقاف والمواريث محكمة رسميّة ، فمن حقّها ــ بل من واجبها ــ نظاماً إتباع هذه الطريقة ، حتى تخرج صكوكها مكتملة نظاماً ، مع إكتمالها من الوجهة الشرعية » .

وبعد ثلاثة أشهر وقّع أكثر من تسعين وجيهاً على رسالة أخرى أرسلت في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ، الى ولي العهد ــ الملك الحالي ــ قالوا فيها : «لقد صدرت الموافقة السامية برقم ٤ س ٤٦٦٢٨ في ٢٣ شوال ١٤٠١ على مارآه سماحة رئيس مجلس القضاء الأعلى في خطابه رقم ١٤٤٤ / ١ في ٨ / ٨ / ١٤٠١ هـ ، من حلّ هيئة تمييز القضايا التي ينظر فيها قاضي الشيعة ، فيما يتعلّق بالوقف والميراث والأحوال الشخصية ... أن وجود هيئة تمييز لتمييز الأحكام التي تصدر من قضاة الشيعة أمر في غاية الأهمية والضرورة ، ولكن لا يمكن ان تكون هيئة التمييز الحالية الموجودة في الرياض هي التي تتولّى تمييز احكام قضاة

الشيعة ، ضرورة أنها لا تراها صحيحة من الأساس ، فكيف تنظر في صحّة ما بُني عليها ؟ .. وهذا أمر في غاية الوضوح ، لأن أعضاء هيئة التمييز التابعة الى مجلس القضاء الأعلى ، وهي تأخذ بفقه الإمام احمد في الفروع لا ترى كثيراً مما يراه فقهاء الإمامية ، من ذلك :

١ ــ لا تقول بصحّة ما يوقف من عقارات وأموال ثابتة الى الرسول وآله ، والشيعة ترى ذلك وانه إحدى القربات الى الله .

٢ ــ لا ترى الوصية لوارث ، وفقهاء الإمامية يرون ذلك .

٣ ــ تقول بالتعصيب ، ولا تراه الشيعة .

٤ ــ تأخذ بالعول ، ولا تأخذ به الشيعة .. الى غير ذلك من فروع في الفقه .. فاذا تنازع إثنان من الشيعة في شيء مما ذكر ، وصدر حكم قاضي الشيعة ، وطلب أحد الطرفين تمييز الحكم ، ورُفع الى هيئة التمييز في الرياض ، فماذا تكون النتيجة ؟ .. أليست إبطال الحكم من أساسه ، لأن ما بني على فاسد ــ حسب رأيها ــ فهو فاسد » .

« لذلك فان الضرورة تقضي بتعيين أشخاص من أهل العلم من الشيعة ليكونوا هيئة تمييز للأحكام التي تصدر من قضاة الشيعة في حقول اختصاصاتهم ، كما تنظر هيئتا التمييز في المنطقتين الغربية والوسطى في جميع الأحكام التي تصدر من القضاة في كافة المحاكم الشرعية بالمملكة .. ولتوضيح الصورة اكثر فاكثر ، فان الشيعة في القطيف والأحساء يرافعون أمام المحاكم غير الشيعية في غير قضايا الوقف والميراث والأحوال الشخصيّة ، ويميّزون الأحكام عند هيئة التمييز بالرياض ، وهم راضون بذلك ، الاّ أن ما هو من خصائص الشيعة ، لا يمكن ان يترك في حال حصول النزاع وصدور الحكم من قاضيهم ، لا يمكن ان يترك بدون تمييز في حالة عدم قناعة أحد الطرفين ، ولا يصح أن يُحال الى جهة لا تراه أصلاً » .

«وحيث الضرورة تقضي بإيجاد هيئة تمييز لقضاء الشيعة ، ونظراً لمعرفتنا بأشخاص هم في مستوى الأمانة والنزاهة ، وعلى جانب كبير من العلمية والدراية .. فإننا نعرض للمقام السامي أسماءهم ، راجين صدور الأمر الكريم بالموافقة عليهم كهيئة تمييز ، وهم : فضيلة الشيخ عبد الله الخليفة ــ مقيم بالأحساء ، فضيلة الشيخ حسين الخليفة ــ مقيم بالأحساء ، فضيلة السيد علي السيد ناصر ــ مقيم بالدمام » .

لم يستجب ولي العهد للطلب بعد مرور نحو عقد من السنين .. ولاتزال المشكلة قائمة ، فالشيعة يصرّون على إعادة الصلاحيات كاملة لمحكمة الأوقاف والمواريث ، وأن تكون هيئة تمييز الأحكام من مشايخهم ، وأن تعترف الدولة

بـالأحكـام السـابقة التي أصدرتها رسمياً ، بحيث لا تلغي الأحكام التي أصدرتها المحكمـة بأثر رجعي .. في حين ان الدولة تصرّ على ان تخضـع أحكام قضـاة الشيعة الى هيئة التمييز بالرياض ، وترفض إعادة الصلاحيات السابقة الممنوحة للمحكمـة .. وتكاد لا تخلو رسـالة الى المسؤولين ولا لقاء ، إلاّ وعقدة «قضـاء وقضاة» الشيعة من أهم ما يطرح من مواضيع .. مثال ذلك ان الوجهاء كتبوا الى أمير الشرقية رسالة في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ، كان من بين ما اشتملت عليه من شكـوى : « تقليص صـلاحيـة محكمـة الأوقاف والمـواريث ، وعدم الإعتـراف بـالصكـوك الصـادرة عنها وعن قضـاة الشيعة السـابقين ، وإلغاء حتى الصكوك الصادرة من كتابة العدل ، حتى لو تحوّلت الى عشر مبايعات في أعوام مختلفة ، مادامت مبنيّة في الأساس على صكّ من قضاة الشيعة » .

معالم أخرى من سياسة التمييز الطائفي

من الصعب على الباحث ان يدخل في تفاصيل سياسة التمييز الطائفي المنتهجة حالياً في المملكة العربية السعودية بشكل رسمي وثابت .. لكثرة تلك التفاصيل ، ولأن التمييـز لم يعد محصـوراً في إطار ضيّق ــ كما نعهد بعضـاً منه في دول أخرى ــ ، بل شمل كل مناحي الحياة ، ولعلّ الكثير من القرّاء دُهشوا ممّا ذكر في الفصول السابقة ، وهو لا يشكّل سوى جزء يسير مما يجري على الأرض فعلاً .

لا أدري مقدار المفاجأة التي تصيب القارىء ، حينما يعلم ان «دولة الاسلام ، وحـاميـة المقدسـات ، والمدافعة عن المسلمين في بكل بقاع العالم ، والتي تدفع الملايين من الدولارات لبناء المساجد» ، وأقصد بها المملكة ، تمنع رعاياها الشيعة من بناء المساجد بصورة رسميّة منذ نحو خمس سنوات !.

ولا أدري ماذا سيقول المسلمون حين يعلمون ان الحكومة السعودية لم تتبرّع بقرش ، او بقطعة أرض لأي مسجد إبتُني من قبل الشيعة ، بل وأنها تمنع على رعاياها الشيعة تعمير مساجدهم الآيلة للسقوط .

هل يمكن ان يصل غول الطائفيّة الى هذا الحدّ .. منع بناء مساجد يذكر فيها إسم الله ؟ ! .

هل يدور بخلد أحد ان تصبح «السعودية» بلد الأسلام ، الذي يفخر أبناؤه بأنهم جـزء من كيـان المملكـة الكبيـر الذي توحّد بعد معاناة ودماء ، ماكينة إنتاج لكل الأفكار والحزازات الطائفية ؟ ! .

هل يمكن تخيّل ان يمنع الشيعة من أداء شعائر دينهم وصلواتهم ودعائهم ، وان

لا يعتـرف بـأنّهـم مسلمـون من الأسـاس ، في بلد يصل الشيعـة فيـه الى ربـع السكان !! .

والى هذا اليـوم لا يسمح للشيعة بتدريس فقههم وأصـول مذهبهم ، بل وحتى المدارس التقليدية مُنعت منذ الخمسينيات الميلادية .. وفي أمور القضاء لا يُسمح لهم بالتقاضي وفق مذهبهم ، بل ان المذهب الحنبلي هو المسيطر على الجميع رغم وجود محكمة شـرعية للشيعة ، كانت لها بعض الاختصـاصات المهمّة ، الاّ ان صلاحياتها قلّصت ، وألغي ما صدر عنها بأثر رجعي .. وفي قضاء الدولة ، فان الشيعي يعتبر مداناً مهما كانت الأحوال بسبب نزعة القضاة الطائفية .

ومن الأمـور القاسيـة ان الكتـاب الشيعي الذي لا يتعـارض مع رؤية الدولة السياسية والذي لا يثير حساسيات أحد ممنوع .. فشيعية الكتاب سبب منعه مهما كان لونه وتوجهه .

ووصل الأمـر الى أبعد من هذا .. فقد أفتى الشيخ عبد العـزيـز بن باز بمنع الشيعة من ممارسة مهنة «الجزارة» ، لأن أكل ما ذبحه الشيعي يعتبر محرماً ، رغم ان الشيخ نفسه ، يحلّل أكل اللحوم المستوردة من بلاد الكفر ، والتي يشكّ بقوة في ذبحها على الطريقة الاسلامية . ومع ان الشيعة يمارسون هذه المهنة في مناطقهم ، الاّ ان وزارة البلديات قررت طردهم من وظائفهم ! .

واذا كنّا قد سلّطنا الضوء بصورة كافية على سياسة التمييز الطائفي الحكومية في المجالات المعاشية ، فنعتقد ان لمحة سريعة فيما يتعلّق بالممارسات الطائفية ، ومحاولة الشيعة حلّها مع الحكومة ، ستكون كافية . ولعلّ إيراد بعض نصوص الرسائل والبرقيات التي وجّهها وجهاء الشيعة الى الحكومة ، وكذلك ايراد بعض الوقائع والأحداث التي مرّت خلال السنوات الماضية كفيل بإيضاح الصورة .

أولاً : في محرم ١٤٠٠ هـ / أوائل ديسمبر ١٩٧٩م ، وعلى أثر الإنتفاضة التي وقعت في القطيف والأحساء ، وما تبعها من سقوط القتلى والجرحى بالرصاص الحكومي ، وإعتقال المئات من الشباب والرجال .. كتب الوجهاء رسالة الى الملك خـالد ، ذكّروه فيها بالإضطهاد الذي يتعرضـون له في عقائدهم ، وقالوا : «من المعلوم اننا شيعة ، وطالما صرخنا وأعلنّا بان الشيعة طائفة اسلامية كأي طائفة اخرى من طوائف المذاهب الأربعة .. ومهما كان الأمر ــ وحتى لو لم يكن ذلك وارداً في أذهـان البعض ــ ، أليس لنـا حـق كمـواطنين في التعبيـر عن آرائنـا وشعائرنا وعقيدتنا واحترامنا ، بل واحترام أئمتنا .. فكيف تمنع عنّا منعاً باتاً مطلقاً كل كتب الشيعة مهما كان لونها ، ولا يكتفى بذلك ، وإنّما يصار الى سبّنا بأقذع القول وأرذل الفحش على منابر المملكة .. ويؤلّب علينا ، ونعتبر في نظر البعض أشدّ من اليهود حقداً وكراهية وبغضاء ، ونحن لا نقدر على الرد .. وازداد الغلو

فينال البعض من أئمتنا ــ أهل البيت ــ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .. ويُنسب اليهم ما نعفّ عن ذكره .

وترقى تلك البغضاء حتى تصل الى مقام الإمام علي ، فتنال منه .. فأيّ عاطفة يمكن ان لا تجنح ، وأيّ قلب لا يعتصر ألماً ، ويقطر دماً ، وهو يعاني مما ذكرناه ؟ .

وهل اقتصر الأمر على ذلك ؟ .. كلاّ ، وإنّما تعدّاه الى حدّ إتهامنا بأننا ضد الاسلام نظاماً وعقيدة » .

ثانياً : وبعد أقل من عام ، وبالتحديد في الرابع والعشرين من ذي الحجّة سنة ١٤٠٠هـ ، كتب الوجهاء رسالة الى ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز ، وكان الموقعون على الوثيقة خائفين من تكرار تجربة العام الذي سبقه ، والذي ارتكبت فيه مجزرة بحق الأهالي .

عدّد الوجهاء لولي العهد حقائق تعطيه ــ كما قالوا ــ صورة جليّة للوضع المشحون بالألم الذي تعيشه المنطقة [٩٥] : «الحقيقة الأولى : اننا في هذه المنطقة مواطنون مخلصون لديننا ووطننا وحكومتنا ، واننا مسلمون موحدون ، نؤمن بالله رباً وبمحمد نبياً وبالقرآن كتاباً ، والكعبة المشرّفة قبلةً ، وبالبعث معاداً .. شأننا في ذلك شأن كل المسلمين ، وإن اختلفنا في بعض الفروع ، فذلك لا يمسّ بالأصل والجوهر ، كما هو الحال القائم بين المذاهب الأخرى .. لذلك فإننا نرفض الإتهامات الباطلة المغرضة ، والتي توجّه الينا زوراً وبهتاناً » .

«الحقيقة الثانية : اننا في هذه المنطقة لا نمثّل حزباً سياسياً ، ولا حركة سريّة ، وإنّما نحن مواطنون بكل ما تعنيه كلمة المواطنة الشريفة ، ونحتجّ بشدّة على كل من يحاول ان يتهمنا بشيء ، او ينتقص وطنيتنا .. وأنه من حقّنا على الدولة ان توفّر لنا الرعاية والعناية والحماية والعدالة والإنصاف ، لنشعر بالأمن والإطمئنان .. ولها علينا الإخلاص والطاعة ، وهو أمر لا يستطيع أحد ان يتهمنا فيه بأي شكل من الأشكال » .

«الحقيقة الثالثة ان ولاءنا لحكومتنا منذ بداية عهد الملك الراحل والدكم ــ رحمه الله ــ ، ولم يحصل منّا حتى الآن ما يعكّر الصفو ، وهو أمر لا يحتاج الى دليل وإثبات . غير أننا نشكو من أمور لا يجوز ان تستمر وتبقى .. وطالما أوضحناها وشكونا منها ، وإننا لم نحصل على نتيجة إيجابية حتى الآن .. وهي كما قلنا تمثّل الحدّ الأدنى لمطالبنا كمواطنين .. وان أخشى ما نخشاه ، أن يتحول الى مرض مزمن يستعصي علاجه ، إذا نحن سكتنا أو تغاضينا ، ولا نسلم من المسؤولية أمام الله تعالى ، ثم أمام سموّكم .. وأقلّ ما سيقال لنا : لماذا سكتّم ولم تُشعروا المسؤولين ؟ .. فتكون اللائمة علينا ، وهذا ما حملنا على التماس مقابلة سموكم من

أجله ، وإننا واثقون أنه سيحظى من سموكم بالإهتمام ، وتعالجونه بحكمتكم في القريب العاجل إن شاء الله تعالى ، لما نعرفه من حكمتكم ونبلكم وبعد نظركم في الأمور ، ولأنّكم لا ترضون بالحيف والغبن ان يلحق بالمواطنين ، بل أن المعروف من سيرتكم أن يتمتع المواطنون على إختلاف مناطقهم بالأمن والراحة والاستقرار » .

«الحقيقة الرابعة : إننا في هذه المنطقة لم ننشأ من فراغ ، ولم نكن بمجموعنا مفلسين أدبياً وأخلاقياً ومفهوماً الى الحدّ الذي لا يوجد بيننا من يصلح ان يكون موضع ثقة لدى المسؤولين في الدولة .. ومن ثمّ نصبح كلّنا متهمين ومشبوهين ، تُتخذ في حقّنا إجراءات فوق العادة ، وتمرّغ كرامتنا بالرغام .. فيصدّق فينا ما يقال ولو كان من جندي بسيط ، فكذبه صدق ، وباطله حق .. وصدقنا كذب ، وحقنا باطل .. لذلك فإن موقف المسؤولين المحليين نحونا يعتبر تجنيّاً وتعديّاً صارخاً على كرامتنا ، وبخساً لحقوقنا التي فرضها الله ، بل تدميراً لمعنوياتنا كمواطنين مخلصين مسالمين وادعين تحت ظل دولة كريمة تحكم بالقرآن ، وهو أمر لا يرضاه الله ولا المسؤولون ، ولا يقرّه قانون ويأباه العرف » .

ثم تبدأ مذكرة الوجهاء المطولة شارحة مسألة الإضطهاد العقائدي فتقول : «تعلمون أننا شيعة ، ونمثّل الأكثرية المطلقة في هذه المنطقة .. وان التشيّع لم يكن حديثاً في بلادنا ، ولم يكن حزباً سياسياً يخضع للظروف ، ولا رأياً رأيناه فنعيد النظر فيه ، وإنّما هو عقيدة من صميم الإسلام ، قائم على أسس دينية راسخة ، ومبني على قناعة وأدلّة واضحة مأخوذة من الكتاب والسنّة .. وإننا نمارس هذه العقيدة عبادة وسلوكاً وآداباً وأخلاقاً ، ولم تشكّل خطراً على الدولة في يوم من الأيّام ، وانها لا تحمل العداء لأحد او الإضرار بفئة ، ولا تحيّزاً مع أحد ، ولا تعصّباً ضد أحد ، وليس لأحد سلطان على العقيدة الاّ الله سبحانه .. ومن يزعم بأننا في ممارساتنا لطقوسنا الدينية نضرّ بأحد ، فإنّه تصور خاطىء ومردود ، ونعتبره تجنياً علينا وعدواناً على عقيدتنا» .

وراحت الرسالة تتحدث عن خلفيّة أحداث المحرم ١٤٠٠ هـ «... ان رجال الأمن حضروا وهم يحملون شعوراً وتصوّراً أبعد ما يكون عن الحقيقة ، بأننا أصحاب عقيدة شاذّة ، وأننا أدوات شغب .. يضاف الى ذلك وجود المتعصّبين في الإدارة المحليّة ، ممّن يطيب لهم إشعال الفتيل لغرس بذور الفتنة لتعطي بذلك صورة مضخّمة إرضاءاً لنزعاتها ، وإشباعاً لشهواتها .. وكدليل على ذلك البرقية التي وردت من جلالة الملك حفظه الله ، حيث نفى جلالته وجود قتلى أو جرحى ، مع أن القتلى والجرحى قد سقطوا بكثرة .. وحاشى جلالة الملك ان يكذب أو ان يجانب الحقيقة ، ولكن هذا يبيّن ان التقارير التي رفعتها الدوائر المحلية هي التي

أخفت الحقيقة .. وإلاّ فان شبابنا ــ كما نعلم ــ من خيرة الشباب ، وهو متديّن .. ونعني من حيث المجموع ، أمّا الأفراد فلا يقاس عليهم ، ولا يكاد يخلو منهم أي مجتمع .. وان القصد من هذا هو ان تستعمل الدولة الحكمة في معالجة الأمور ، وان لا تعتمد كليّاً على التقارير ، لأنها تُبنى على إستنتاجات أكثر ما تكون خاضعة للعوامل النفسية ، تخطىء وتصيب ، ويبالغ فيها ، كما ان للغرض الشخصي أكبر الأثر في الكيفية التي تكتب بها ، كما أن الذين يكتبون التقارير ليسوا من أهل المنطقة ، ولا يعرفون عن طبيعة أهلها وطقوسهم الدينية شيئاً .. فهم يعتمدون على تصوراتهم الخاصة ، وغالباً ما تكون خاطئة ، لأنها وليدة تصوّر خاص» .

«ان الكثير ممّن قتلوا أو جرحوا هم من الأطفال والنساء ، حتى ان بعضهم أصيب أمام وداخل بيوتهم ، وبعضهم كانوا سائرين في الطريق فأصابهم الرصاص الطائش وهم عزّل من كلّ شيء ، وهذا ما لم تشر اليه التقارير .. وكلّ ما نرجوه من ولاة الأمور ان يتجنّبوا العنف ، وأن يتحرّوا الحقائق ، وإحلال الرحمة واللين ، فهو أجدى من الشدّة والقسوة .. كما نرجوا أن يطلق سراح السجناء رحمة بأمهاتهم وآبائهم ، فإنْ كانوا مذنبين فان ما مرّ عليهم يكفيهم تأديباً وإصلاحاً ، لأن السجن تأديب وإصلاح .. وإن لم يكونوا مذنبين ، وإنّما لمجرد شبهة ، فإنّ الاسلام قد أمر أن تُدرأ الحدود بالشبهات ، وهذه هي ساحة الاسلام ، والأليق بسيرتكم الحكيمة ، وما هو معروف عنكم من التدبير والرويّة ومعالجة الأمور واعتبار ما حصل غلطة ينبغي أن يُصرف النظر عن مرتكبيها ، يجب أن تمحى وتزول بزوال آثارها ونتائجها وذيولها .... ان القوة او الصمت او السلبيّة لن تؤدي الاّ الى مضاعفة المشاكل وتفاقم الألم وزرع بذور الحقد والكراهية ، واننا لا نريد ان يكون في مجتمعنا ظل للكراهية ، بل ان يكون كلّه خير ومحبّة وسلام» .

وحول الشعائر والطقوس قالت الرسالة : «اننا ــ يا صاحب السمو ــ على أبواب عام جديد ، حيث نمارس مجالس العزار في كل محرم من كل عام ، وقد طلبت منّا الإدارة المحليّة ان نتقيّد ببعض التعليمات التي نراها حجراً وقيداً علينا بدون مبرر ، ونعتبرها نوعاً من التدخّل في أمورنا العقائدية ، وانتقاصاً لكرامتنا كمواطنين .. إننا يا صاحب السمو أمّة لنا رصيدنا الأخلاقي والأدبي ، وان مدرستنا الأخلاقية غنيّة بالفضائل ، حافلة بالقيم ، لذلك فاننا نرفض ان نُتّهم في أخلاقنا وإخلاصنا ، وان تمتهن كرامتنا ، ونعامل كالأطفال .... كيف يراد منّا ان نكون مواطنين صالحين في الوقت الذي يقف فيه منّا بعض المسؤولين موقف الشك والريبة ، ويتهموننا في وطنيتنا وإخلاصنا ويفترضوننا أعداء .. فكيف يطلبون منّا ان نثبت وجودنا على الساحة ، وهم يجرّدوننا من أبسط مقومات وجودنا» .

«إننا من الأمة وجوداً ومصيراً واستمراراً .. فلسنا دخلاء ولا أعداء .. نعم إننا بشر يعرض منّا الخطأ والزلل ، لكننا لسنا خونة ، ولا خوارج ، ومن حق كل دولة ان تحاسب المخطئين ، وتقوّم المعوج بالطرق التي تجلب الخير وتحقّق الإصلاح .. فلها ان تأخذ ، وعليها ان تعطي ، لا أن ترتّب أثراً سيئاً مصدره التصور الخاطيء ، بحجّة المحافظة على الأمن والنظام » .

«اننا نعتبر النظام إنّما وجد لصالحنا كمواطنين قبل ان يكون لصالح الدولة ، ولو لم يوجد النظام لوجب علينا ان نعمل على إيجاده ، ولزاماً علينا ان نصونه ونحترمه ، ونحافظ عليه ولا نسمح لأحد ان يفرّط فيه .. إذْ لا حياة بلا نظام » .

«كل هذا نفهمه ونعيه ونمارسه في حياتنا اليومية كمنهج ، ولكننا لا ننتظر من شرطي جاهل أن يعلّمنا ألف باء حياتنا ، ولا نلغي دور الدولة في المحافظة على النظام ، لأن في الناس العاقل والجاهل ، ولا تستقيم الحياة إلاّ به ، فالنظام هو مصدر أمن وإستقرار وتهذيب ، لا أداة للبطش والإرهاب ، فيتربصوا ــ رجال الأمن ــ بنا ويستثيروننا ويستفزوننا تمهيداً للبطش بنا بحجة النظام ، فكأن القلق والرعب هما السمة البارزة في مجتمعنا نتيجة لتصرفات رجال المباحث وغيرهم» .

«إننا يا صاحب السمو متخوّفون جداً هذا العام ، لوجود الاستعدادات الكبيرة وحشد القوة في المنطقة ، الأمر الذي ينذر بالخطر ، حتى ليبدو وكأننا مقبلون على معركة ، مع العلم انه لا توجد لدينا نوايا سيّئة او عدوانيّة على أحد ، بل ننشد الأمن والإستقرار ، لذلك فاننا نستجير بالله ثم بسموكم من أمر قد بيّته لنا من لا يخاف الله » .

«ان من حقّنا كمواطنين ان نكون آمنين على أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأعراضنا ، وأن تُصان حقوقنا ، وتُحفظ كراماتنا .. وماذا يريد المواطن من الدولة غير ان توفّر له العيش الكريم والأمن في الوطن ، وأن يمارس أعماله في حريّة وإطمئنان ، فلا يعتدي عليه أحد ، ولا يكدّر صفو عيشه أحد تحت أي شيء يتخذ كمبرر من المبررات ، أو أن تنتهك حرمة بيته بحجّة التفتيش ، فللبيوت حرمتها وقدسيتها ، وقد جعلها الله ستراً للناس .. فكم من أشياء لا يجوز كشفها ولا الاطلاع عليها نُشرت وكُشفت ، وكم من امرأة وطفل قد روّعوا داخل البيوت ، وهذا لا يجوز شرعاً ولا قانوناً .. فالمواطن هو الأساس والأصل ، ولا يُتّهم أصيلٌ على حقّه .. وإن حاجة المواطن الى النظام أكثر من حاجة الدولة ، حيث لا يستقيم أمر المواطن إلاّ بالنظام ، ومادام ان كل مواطن معنيّ بأمر النظام ، لذلك فانه لا خوف من المواطنين على النظام ، وهذه حقيقة ثابتة كوّنتها الوقائع والأحداث» .

«إنكم تريدون منّا ان نكون مواطنين صالحين ، مخلصين لله والوطن والدولة ،

وهذا ما نريده نحن .. إذن نحن متفقون . فعوّدونا على المسؤولية لنحترم أنفسنا والنظام والآخرين ، ثم انظروا بعد ذلك ، فإنْ فرّطنا فحاسبونا وضعونا أمام مسؤولياتنا .. أمّا أن نكون عرضة للإهانة والإحتقار والإزدراء ، ونجرّد من كل حقوق المواطنة ، ونُسام الخسف والعسف ، وتوجّه إلينا الاتهامات والطعون حتى في مقدساتنا ، ونسبّ ونكفّر ونفسّق ويشهّر بنا على صفحات الجرائد وعلى موجات الأثير وفي المدارس ، ثم يُطلب منا ان نكون مواطنين صالحين .. فهذا ما لا يتّفق مع أي منطق ، وخلافاً للعدل » .

«هذا هي أهم مطالبنا ، وهي كما أشرنا تمثّل الحدّ الأدنى من الحقوق ، وهناك حقوق اخرى نتركها لتقدير الدولة أولاً بأول» .

وكما هو واضح فان الرسالة ساخنة ، بسبب إنفجار الوضع الأمني وتراكمات المحن الماضية .. ولأنّ الأسوأ وقع ، فما عاد السيء يخيف ! .. وقد استجاب الملك لمطلب الوجهاء بإطلاق سراح السجناء .

ثالثاً : في عام ١٤٠٥هـ ، وبعد ازدياد الحملة الإعلامية في الاجهزة الرسمية السعودية ضد الشيعة ، وتحوّل الحرب الطائفيّة الى الشارع ، بسبب خطباء السلطة في الجوامع .. كتب الوجهاء الشيعة رسالة الى الملك قالوا فيها : « كلّما قلنا بأن عرض الحقائق ، وكشف المواقف قد قرّبا المسافة ، وأزالا عقدة الشك ، وآذنّا بانفراج الأزمة .. حدث ما يبدّد الآمال ، وينشر ظلالاً قاتمة تُبطن في صورتها المعتمة الخطر المخيف . ان أزمة من عدم الثقة تسيطر على فكر وعقل القطاع الأكبر ممّن بيدهم تصريف الأمور ، بل ومن لهم يد في رسم سياسة الدولة ، وقد انعكس ذلك على قطاع كبير من مواطني المملكة وساكنيها بفعل التضليل الإعلامي .. ونحن من جانبنا لا تتاح لنا فرصة الرد بالمثل » .

«إنّ إنعدام الثقة في نفس الحاكم ــ أي حاكم ــ نحو مواطنيه أو جزء منهم ، أمر في غاية الخطورة ، لأنه يجعلهم في نظره مصدر شرّ على سلامة وأمن الدولة ، فيتعامل معهم بنوع من الشك والحذر والحيطة ، ويعتبر أية بادرة تبدر من فرد أو آخر سواء كانت بجهل أو بتغرير أو بحالة من التعمّد ، يعتبرها أثر من آثار ذلك الشك ، فيحملها أكثر مما تتحمل ويتحمل صاحبها من التبعات بما لا يتناسب طرداً وعكساً مع حَدَث البادرة .. بل لا يقف الأمر عند حدّ مرتكب الخطأ ، وإنّما يتعدّاه الى المجموعة التي ينتمي إليها ، فتنسب لها كل بادرة سوء في الدولة ، ومجرّدة من مواقف الحسن وفضيلة التعامل الأخلاقي ، وهذا هو الموقف معنا ، وما ذاك الاّ لسبب إنعدام الثقة وسيطرة عامل الشك والريبة دون ان تكون هناك مرتكزات يستند لها بما يبرّر التعامل الذي نعامل بمثله » .

«وبدلاً من البحث عن مسببات ذلك الشك وصحته من عدمه ، تُرك الاعلام

بمختلف وسائله ، من خطابة وكتابة ونشر ومحاضرات وبثّ إذاعي وتأليف ، أن يأخذ طريقه إلينا لكي ينال من كرامتنا وعقيدتنا ، ويطعن في حقيقة إسلامنا ، ويحرّض علينا مبتغياً القضاء على وجودنا بشكل أو بآخر ، ونحن مقيّدون حتى من الردّ على منابر الصحافة المحليّة » .

«فما دمنا في نظر المسؤولين ــ وفي الطليعة علماؤهم ــ كفاراً حاقدين حانقين ، نكيد للاسلام وأهله ، وما دام التصور إلينا بوحي من إعتقاد خاطىء أننا نستعمل التقيّه[٩٦] مع جميع أبناء السنّة في كلّ تصرفاتنا وأقوالنا وأفعالنا ، وأنّنا نُبطن غير ما نُظهر ، ونقول غير ما نعتقد .. مادامت هذه الصورة عالقة بالإذهان ، فمن المتعذّر ــ بل قد يكون من المستحيل ــ أن يُسمع لنا صوت ، أو يُصدّق لنا قول » .

« إنّ مسلسلاً ضخماً من التحريض بإسم الإسلام ــ والإسلام منه برىء ــ أخذ يظهر ضدّ الشيعة هذه الأيّام بكثافة وتركيز في شكل مؤلفات ومحاضرات وخطب جمعة وغير ذلك ، بعض ما فيه وجوب محاربتنا ، والقضاء علينا أولاً قبل كل شيء » .

« لقد سكت محبّ الدين الخطيب في قبره[٩٧] ، وانكفأ الحفناوي في جحره ، وأسكت الجبهان عن زعيقه [٩٨] .. وظننا بأنّه قد آن الأوان لتضميد تلك الجراح ، ودفن تلك الحزازات ، وإهالة تراب التسامح على الروائح الكريهة التي تتقيّأ منها النفوس وتزكم الأنوف .. لكن سرعان ما ظهر لون جديد أشدّ تحريضاً وأكثر إثارة ووقاحة وكذباً وافتراءاً ، بدءاً بكتاب وجاء دور المجوس [٩٩] ، مروراً بسلسلة كتب إحسان ظهير إلهي ، وغيره . وأخيراً خطبة إمام مسجد القاعدة البحرية في الجبيل يوم الجمعة ١٠ محرم ١٤٠٥ ، الذي لم يكتف بتكفير الشيعة ، بل كفّر من لا يكفّرهم .. وبين هذا وهذا زخم من المقالات والمقابلات والكتب والمحاضرات ، قال قائلوها أنهم يستندون على مرويات في كتبنا ، آخذين تلك الروايات كحقيقة ثابتة ، ويتعرضون الى نقاط مهمّة في حياة المسلمين ، كأن يأتي أحدهم على قضية الزيادة والنقصان في القرآن الكريم ، وغير ذلك مما له مساس بعقيدة المسلم . وبلغ التهور بخطيب المسجد المذكور ان قال بأن السنة يختلفون معنا في توحيد الربوبية والألوهية ، وأن من يعتقد من المسلمين بالخلاف معنا ولا يقول بكفرنا ، فهو كافر بإجماع علماء المسلمين .. كذا . فإذا كان كذلك ، فعلى الدولة أن تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام ، وزيارة رسوله ومسجده عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأن تحوّل الزكاة التي تؤخذ منّا الى جزية ، وتعاملنا معاملة الذميين ، الذين لهم حقّ المواطنة ، كما لغيرهم من المواطنين ! » .

« لم يعد مجدياً أن نقول المرّة بعد الألف : أننا مسلمون فكراً وعقلاً ونظاماً .. وأن كتبنا وآراء علمائنا وأقوال خطبائنا على المنابر واضحة للعيان ، وهي في

متناول كل انسان ، تشهد كلّها بكذب وإفتراء أولئك المأجورين الدسّاسين الأفّاكين ، لا يجدي القول والإعلان ، لأنّ كلّ ما نقوله تقيّة ، وظاهره غير باطنه ــ كما يزعمون ــ » .

« والذي نودّ أن نقول بأننا نحن الشيعة في المملكة العربية السعودية فئة قليلة تعيش تحت علم دولتكم ، وأن هذه الحملات المسعورة تعرّض حياتنا وأمننا للخطر ، وتقلق وجودنا وراحتنا ، وتنعكس آثارها السيئة على جوانب علاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية والتعاملية وغيرها .. وهي ــ حتى لو لم تكن تؤثّر فينا ــ فإننا لا نقبل أن نُشتم ونُرمى بالزور والبهتان ويُطعن في عقيدتنا ومذهبنا وأئمتنا وعلمائنا الذين خدموا الدين بتفان وإخلاص ، وأن تهان كرامتنا ، ويؤلّب علينا ، ويُنسب إلينا أننا نكيد للإسلام وأهله ، وأننا أخطر عليه من الصهيونية والشيوعية .. هذا ونحن ساكتون مقهورون لا نردّ بكلمة ؟ » .

« لذا نتقدّم لجلالتكم راجين أن تهيّىء لنا حكومتكم الرشيدة ــ وهي حكومة إسلامية ــ أحد امرين .. أولاً : أن تصدر وزارة الإعلام بياناً مذاعاً بمنع الحملات المذهبية ضدّ الشيعة ، أيّاً كان واضعوها ، وأن تعترف بأننا مسلمون ، وأن تمنع دخول الكتب التي تتعرض لسبّ الشيعة والطعن فيهم وفي عقيدتهم وأئمتهم ، وتعاقب من ارتكب أو يرتكب ذلك من مواطني المملكة أو من هم ساكنوها .. ثانياً : أن تمنحونا حقّ الردّ بالمثل على من تسوّل له نفسه بالتشهير بنا » .

رابعاً : في عام ١٩٨٩م ، وبعد تزايد المضايقات للطلاب الشيعة في جامعة الملك سعود بالرياض ، كتب الطلاب الشيعة رسالة الى قاضيهم الشيخ عبد الحميد الخطي ، تشرح له الأوضاع ، وتطلب منه التدخّل لدى الحكومة .. قال الطلبة :

« إنطلاقاً من موقفنا الثابت نحو القضايا العامّة والمصيرية ، ومن ثقتنا البالغة في حنكتكم وحسن تصرّفكم تجاهها عبر القنوات الصحيحة والفاعلة ، نرفع لسماحتكم خطابنا هذا نعرض فيه ما نواجهه من مضايقات وإعتداءات صارخة ناتجة عن إثارات لنزعات مذهبيّة وإفرازات لأمور لا صلة لنا بها ، نوجزها فيما يلي :

« أولاً : التهجّم على عقيدتنا بمحضرنا ، سواء بتوزيع الكتب أو الأشرطة مجاناً في محافل الطلبة ، أو بإلقاء الخطب والندوات والمحاضرات المنادية تصريحاً أو تلميحاً ، بوجوب جهادنا كما يجاهد الكفار واليهود ، وتلفيق التهم الباطلة ، والطعن بوطنيتنا وإنتمائنا القومي ، وولائنا لهذه الأرض ، ولحكامها الميامين .. ناهيك عمّا يدور في بعض المحاضرات الدراسية في بعض المواد المتصلة بالثقافة الإسلامية من سبّ وتشنيع على عقيدة الشيعة والتشيّع .. وللأسف الشديد ، أن كل ذلك يحدث أمام مرأى ومسمع مسؤولي الجامعة ، فلا يحرّكون ساكناً » .

« ثانياً : نتيجة لهذه الإثارات ، فإنّ كثيراً من المشادّات تحدث في صفوف الطلبة التي ما يصل بعضها الى المسؤولين في الجامعة حتى تميع القضية ، ويُؤخذ التعهّد على الشيعي ، ويخرج الطرف الآخر ــ المعتدي ــ وهو رافع رأسه شامخاً بأنفه ، معتبراً ذلك إنتصاراً يشجّعه على الخوض في معارك أخرى ــ حسب نظره ــ » .

« ثالثاً : وهي القشة التي قصمت ظهر البعير ، والتي إضطرّتنا الى كتابة هذا الخطاب الى سماحتكم ، والذي لا يستطيع ان يتحمّله إنسان مسلم مطلقاً ، هو منعنا من أداء الصلاة في مساجد المسلمين ، وملخص الموضوع : أنه تقدّم طالب إسمه عبد العزيز حسين الرماح ، ومعه أربعة من الطلبة ، وفيما كان الطلبة الشيعة يؤدّون صلاة الظهر ، أخذ هؤلاء الخمسة يسحبون ما كان يسجد عليه الطلبة من مناديل ورقية «تمشياً مع ما عليه المذهب الجعفري من عدم جواز السجود على السجاد مباشرة» .. ولما أراد الطلبة الشيعة التفاهم معهم ، رفضوا التفاهم ، وزعموا ان لديهم فتوى من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بالأمر .. وعند مطالبتهم بالفتوى ، أجابوا بأنهم سيحضرونها » .

« وفي المساء ذهب البعض الى عبد العزيز الرماح حسب وعده ، فاستقبلهم مع عشرة من أصحابه مستعرضين ميداليات اكتسبوها من مشاركات في ألعاب الجودو ، والكاراتيه ، وهددوا الطلبة الشيعة باستعمال العنف في تطبيق الفتوى المزعومة .. وحين علم عميد شؤون الطلبة الدكتور عبد اللطيف الحشاش بالواقعة ، إقترح وكيله الدكتور علي النغموش في اجتماع مع بعض الطلبة ــ بناء على رغبته ــ ان يستبدل المكان المستخدم للصلاة من الدور الخامس الى الدور الثالث من مبنى مركز الطلبة ، وأن يُفرش بالحصر بدلاً من السجاد ، وقد كان ذلك حلاً مرضياً للجميع » .

« وما أتى اليوم التالي ، إلاّ وكلام الليل يمحوه النهار ، فعندما أتى وكيل عمادة شؤون الطلاب الى الموقع ، كان يهدّد ويتوعد الطلبة الشيعة بالفصل وبالمجلس التأديبي إذا صلّوا في ذلك المكان الذي عيّنه لهم بالأمس ، وأمرهم أن يصلّوا في غرفهم ، وإنْ أدّى ذلك الى تفويت أوقات الصلاة عليهم ، أو تفويت بعض المحاضرات نتيجة لضيق الوقت المخصص للصلاة والغذاء معاً ، حيث لا يسمح ذلك لكثير من الطلبة الذهاب الى السكن للصلاة ، والمجيء مرّة أخرى لتناول الغذاء ، ومن ثمّ العودة الى قاعات المحاضرات لاستئناف الدراسة » .

« بل وتجاوز الدكتور النغموش الحدّ عندما ذكّره الطلبة باقتراحه السابق ، فأخذ يشتمهم ويسفّه عقيدتهم ، ثم اتهمهم وتوعدهم بأن يحوّل المسألة الى مسألة تجمّعات سياسيّة ، وما أشبه .. مما يدخل في نطاق الأمنيات ، بينما المسألة لا تتجاوز ركعات يؤديها الطلبة » .

« وهُدّد الطلبة من قبل الدكتور النغموش بأنّ أي تواجد في البهو الرئيسي ــ مركز الجامعة ــ لأكثر من شخصين في غير وقت الغذاء ، سيفهم منه أنه تجمّع مغرض ، علماً ان البهو يحتوي على مقهى كبير ويتوسّط مباني الكليات .. وهذا التهديد وضع جميع ممارسات الطلبة الشيعة اليومية والعادية محلّ شك وريبة » .

« نحن لا نطالب عبر هذه السطور إلاّ بحقنا أن نعيش كمواطنين ، نتمتع كما يتمتع غيرنا بأمن ورفاه هذه البلاد الطيبة في ظل قيادتها الرشيدة .. ونحن على يقين بأنها ترفض تلك الممارسات الشاذّة رفضاً قاطعاً .. لهذا آثرنا أن نحيطكم علماً بما يحدث داخل أسوار الحرم الجامعي كي توصلوا مشكلتنا الى القيادة الحكيمة ، كي لا نكون لقمة سائغة بين شباب طائش متهور ، ليس له همّ في الحياة الاّ سبّ الشيعة ومحاربتهم .. وبين مسؤولين متواطئين على إذلالنا والتعمّد في إيذائنا » .

خامساً : أرسل الوجهاء رسالة غاضبة الى الملك في صفر ١٤٠٩ هـ جاء فيها : « إن أهل القطيف هم أولئك الذين لا يزالون على ولائهم العميق والجادّ للدولة السعودية منذ الوقت الذي دعوها فيه(١٠٠) حتى الآن ... وإذا كانت بعض القضايا التي تحدث بين حين وآخر من البعض ، تأخذها الدولة او بعض مسؤوليها دليلاً على عدم ولائهم ، فيجب ان ينسحب ــ ذات المقياس ــ على بقيّة مناطق المملكة ، لأنها لم تسلم من وقوع أحداث لا ترضي المسؤولين ، وإن تخصيص أهل القطيف بالشكّ خلاف للعدل » .

« إننا معشر الشيعة ، مسلمون موحّدون حقاً وحقيقةً ، ويؤسفنا تقرير هذه البديهة الى الحكومة التي حكمتنا مدّة ثمان وسبعين سنة .. فإذا كان عند أحد شكّ في إسلامنا ، فنحن على إستعداد الى مناظرات ، شريطة أن تتوفّر الأجواء الى كل طرف ، بالقدر الذي تتوفّر للطرف الآخر ، وأن يتمّ الإتّفاق على أسسها » .

« إننا نريد من خادم الحرمين أحد أمرين : الأول ، إذا كنّا في نظر الدولة مسلمين ــ وهو الحقّ ــ أن تضع حدّاً تاماً بيننا كمواطنين ، وبين علاقاتنا بالدولة كحاكمة ، فتمارس الحكم علينا ــ قولاً وفعلاً ــ ، وبهذا المفهوم تبلغ كافة الوزارات والأجهزة والمؤسسات وتوابعها ، وتعلن في وسائل الإعلام ، بحيث يكون التعامل معنا على قدم المساواة مع إخواننا السنّة ، لنا نفس الفرص والحقوق كما هي لهم . الثاني ، إذا كنّا في نظرها غير مسلمين ، فعليها أن تجهر برأيها ــ وإلى الله المشتكى ــ .. أمّا أن تكون الأقوال في المقابلات شيئاً ، وعلى الصعيد العملي شيئاً آخر ، فأمر لا نعتقد ان خادم الحرمين الشريفين يرضاه » .

« وما يؤثر عن عمر ــ رضي الله عنه ــ قوله : لو أن بغلة بالبصرة عثرت لحسبت أن الله سيحاسبني عليها إذْ لم أسوّ لها الطريق .. بغلة تعثر بالبصرة ،

يخشى الخليفة ان يحاسبه الله عليها ، ونحن أربعمائة ألف نسمة من البشر ، تعلن كل يوم وليلة على المآذن شهادة أنْ (لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله) ، ووفودها للحج والعمرة تملأ الساحات كل عام ، وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتلاوتها للقرآن ملء الإسماع .. هذه المجموعة التي قدّمت هي وأرضها كلّ ما تملك بسخاء وطواعية ، تعامل بما لا يتفق والأسس الإسلامية التي تسير عليها الدولة » .

« خادم الحرمين الشريفين .. في الوقت الذي تسلّم سمو الأمير محمد الحكم في المنطقة ، قطعنا علاقات مطالبينا إلاّ عند سموّه ، لأنّه يحسّ بمسؤوليته حاكماً ، لا كغيره ــ إشارة الى الأمير السابق عبد المحسن بن جلوي ــ ، فرفعنا إليه أمورنا ، وبكيناه شكوانا ، وسكبنا بسمعه مباشرة آلامنا ، وفي اعتقادنا ان سموّه الكريم كان جاداً ومخلصاً في إنهاء هذا الوضع الشاذّ ، فعمل على رفع ما نشكو منه بعد دراسة لكلّ الأمور ، وإقتناعه بأنّه لا يمكن أن تُحرم طائفة مسلمة تعيش تحت هذا الحكم المسلم ، من أبسط حقوقها ، بل أن سموّه بات متأكّداً من صدور الأوامر السامية ، بالموافقة على كلّ ما رفعناه له ، حتى أنه قال الى من قابلوه بشأنها : (لولا بعض الإجراءات الروتينية ، لقلت لكم أنها إنتهت ، أمّا قضية المساجد ــ أي قضيّة عدم السماح للشيعة ببنائها أو تعميرها ــ فاعتبروها منتهية) ... » .

« ولكن فيما يبدو ثمّة طرف آخر يجذب الحبل في إتجاه معاكس ليأخذ بخناقنا .. وكنّا نتريّث ونتعلّل بالانتظار .. ولمّا لم نجد لشيء مما بثثناه تحقيقاً ، بل توالت الأيّام ضاغطة علينا بأحمال لا نستطيعها ، رأينا أن نتوجه الى المقام السامي الكريم » .

« .... وتوالت الأيّام وإذا بالمجن ينقلب من قفاه ، ويحدث ما لا يخطر على فكر مسلم أو يمرّ بخلد ، وجرى التمهيد بالإكثار من طبع وتوزيع الكتب ، وبالحملات الإعلامية في الصحف وخطب الجمعة وسواها .. ولمّا تهيّأت الأجواء ، بدأت الخطوات العمليّة للتعبير بوضوح من أننا غير مسلمين ، ولا مأمونين ، وتلك الخطوات هي :

ــ صدور المنع علينا من بناء المساجد ، وهذا وحده كاف للدلالة .. لأنه (إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) .. الآية . ولو كنّا في نظر المسؤولين مؤمنين موحدين ، لما منعونا من بناء المساجد التي هي عنوان المسلم وهويته .

ــ التوجّه ، بل واحتضان ، من تنازعه نفسه بسبب الضغط والمضايقة في العمل والدراسة وغيرها ، تنازعه للخروج من المذهب الشيعي الى غيره . إننا لا نقيم وزناً ، ولا نعير أهميّة أن يتمذهب أي فرد بالمذهب الذي يراه .. ولكن ان تتبنّى بعض أجهزة الدولة الرسمية ذلك ، فهو أمر صريح لما ألمحنا إليه . وقضية

تزويج فضيلة بنت عبد الله عباس ، من أهل سيهات ، من المدعو خالد يوسف أحمد باني العميري ، وإجراء العقد لها في ١٤ صفر ١٤٠٩ هـ ، بالمحكمة الشرعية بالقطيف ، بغير إذن والدها ، بل وطرده من المحكمة ، مع أنها بكر ، ولا يصحّ نكاح البكر إلاّ بولي عند المذاهب الاسلامية .. إلاّ دليل آخر .

ــ وقبل هذا يجيب عضو من هيئة العلماء على سؤال ما إذا تزوّج شيعي بسنيّة : (هذا لا يجوز شرعاً ، ولا يقبل ، ويُفسخ اذا حصل ، وأرى معاقبة من يفعل ذلك) .

ــ ويأتي في نهاية هذا المسلسل الذي ربما لن يكون الأخير ، تعميم من معالي وزير البلدية والقروية ، بهذا الشهر صفر ، يقضي : (بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي ، وأن لا يمكّن من ممارسة هذا العمل إلاّ من يثبت أنه مسلم صحيح المعتقد ، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها ، مما يعبد من دون الله ، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكونيّة كمعتقد القاديانية والرافضة) ! .. الخ . وهنا بيت القصيد .. من هم الرافضة ؟ أليس هو إسم يطلق على الشيعة الإمامية ، وهو في الأصل إطلاق باطل ؟ .. وهل من الصحيح ان يوضع الشيعة في مصاف القاديانية وعباد القبور ؟ .

إن اللحم الذي يستورد من بلاد الكفر ، ويكتب عليه (ذُبح على الطريقة الإسلامية) ، فإنّه حلال ويباع في الأسواق ، وأمّا ذبح الشيعة فغير جائز ! » .

« هذه أدلّة رسمية على إعتبارنا غير مسلمين ، ونحن نشهد ان لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، ومن قالها فقد حرم عرضه وماله ودمه .. فإذا قلنا ذلك ، قيل لنا : أنتم تستعملون التقيّة .. إنّ هذا يوحي بوجود خطّة تتبنّاها بعض الجهات المسؤولة لتقضي علينا ككيان ووجود ، حين نصبر على المدى الطويل على مضض ونتجرّع الذلّ والمهانة ، ونبحث عن لقمة العيش فلا نجدها على سبيل الكفاية » .

لقد أشارت الرسالة الى مواضيع عديدة أشرنا الى فقرات منها في صفحات سابقة .. ومن التساؤلات والمطالبات التي قدّمت : «كنّا نطالب بالسماح بدخول الكتب الشيعيّة ، بحيث لا يمنع الكتاب لكون مؤلفه شيعي » .

وفي الختام : «خادم الحرمين الشريفين .. الحديث يطول وكلّه آلام وشجون ، وأهل القطيف لا يرغبون بحكومتكم بديلاً ، فأنت حاكم علينا والله حاكم عليك ، فافعل معنا ما تحبّ ان يفعله الله بك يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم توفّى كل نفس ما كسبت .... نلجأ إليك حاكماً ، ونسألك مسلماً ، تحكم بكتاب الله تعالى ، أن ترفع عنّا ظلامتنا » .

سادساً : كتب الوجهاء رسالة الى الأمير محمد بن فهد ، أمير المنطقة الشرقية

، لتذكيره بمطالب الشيعة في القطيف .. وذلك في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ، قالوا فيها : « لقد كان لإجتماع البعض منّا بسموّكم يوم الأربعاء ٢٦ / ٣ / ١٤١٠ هـ ، والحديث الذي دار فيه ، أثر بالغ الإرتياح في نفوس الجميع ، لما تميّز به من طيب وصراحة ووضوح ، ولقد أمرتم أن تقدّم مطالب القطيف لسموّكم على وجه التذكير ، لأنكم ذو إحاطة تامّة بها » .

ومن المظالم التي أشارت اليها الرسالة التالي :

« ــ المنع من بناء المساجد ، بل وحتى ترميم الموجود منها ، وهذا أكبر دليل على الشك في إسلامنا ، إذ متى منعت الحكومة من بناء المساجد ، وهي التي تقيمها في خارج البلاد الإسلامية ، ومنعها إيّانا يعني أننا في نظرها غير مسلمين .

ــ منع بناء الحسينيات ، وهذا المنع لم يحدث أصلاً لا في زمن المغفور له الملك عبد العزيز ولا من بعده ، فلم يحصل هذا إلاّ منذ زمن قريب ، مع أنها معروفة الأهداف الخيرة ، من بثّ الإرشاد ونشر المعارف الإسلامية والإنسانية والأخلاقية ، وتعين على تهذيب الذات وتقويم السلوك .

ــ منع دخول كتب الشيعة من حيث هي ، مهما كان موضوعها دينية أو أدبية أو تاريخية أو فقهية ، فالمنع هو الأصل .

ــ معاملة كل قادم منّا من الخارج ــ أي جهة ورد منها ــ ومهما كانت مكانته وصفته بالإهانة والإذلال أمام أعين الآخرين ، بالتفتيش الدقيق المزري .. وهو يرى غيره يمرّ بهم المسؤول مرور الكرام ، وكأنّ أهل القطيف أمّة مجرمة ، أو أنّهم ليسوا سوى موردي مخدرات أو سلاح ، فيستحقون الإذلال والتحقير ، وكأنّ غيرهم فوق الشبهات .

ــ بسبب الإعلام المكثّف ضدّ الشيعة ، وعلى ضوء ما يشاهده المواطن السعودي من معاملتهم فيما ألمحنا إليه ، صار المواطن السنّي ينظر إلينا نظرة إهانة وإزدراء .. بل صار الكثير منهم يتطاول باللسان واليد ، حتى على مقاعد الجامعات وغرف السكن وكراسي الوظيفة .. وليس حادث مسجد الظهران الواقع بمنطقة عمل أرامكو ببعيدة أو غائبة عن ذهن سموكم ، حينما حاول بعض إخواننا أهل السنّة منع المصلّين الشيعة من دخول المسجد للصلاة .. وهذا أمر لا يرضى به أحد من الناس ، فكيف بحكومتنا الرشيدة التي هي مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى » .

سابعاً : بعد الغزو العراقي للكويت ، وإعلان الملك فهد عن عزمه تشكيل مجلس للشورى ، كتب عدد من الشخصيات الشيعية رسالة الملك تتعلّق بموضوع الاصلاح السياسي للبلاد ، ثم طالبوا بتعديل السياسة الداخلية ، القائمة على التمييز الطائفي .. وممّا جاء في تلك الرسالة :

« لقد تعرّضنا في السنوات الماضية للمضايقة في ممارسة شعائرنا الدينية حيث مورست بحقّنا التفرقة الطائفيّة على جميع الصُعُد ، وبالذات فيما يخص تقديم الدعم والمساندة في بناء المساجد وأماكن ممارسة شعائرنا الدينية ، كما انه غير مسموح لنا جلب واقتناء الكتب الدينية والمرجعية الخاصة بنا .

لقد أوصدت الأبواب في وجه أبنائنا الراغبين في الحصول على العمل الشريف ، سواء من قبل بعض الجهات الحكومية ، أو بعض الشركات الخاصة .. مثل شركة كهرباء المنطقة الشرقية ، وبترومين وشركة سابك ، وبشكل أخصّ شركة أرامكو السعودية التي أوصدت أبوابها بشكل تام أمام أبنائنا .. كما أن ابناءنا وبناتنا يعانون أيضاً من التفرقة في الحصول على فرص العمل المتكافئة وتقلّد الوظائف الإدارية ، وخاصة لدى الرئاسة العامة لتعليم البنات .

ان ابناءنا وبناتنا يعانون من قلّة المقاعد الدراسية الجامعية المخصصة لهم ووضع العراقيل امام قبولهم في بعض التخصصات الجامعية .

ونحن كمواطنين ، وانطلاقاً من واجب المواطنة والدفاع عن تراب الوطن ، نطمح دائماً في الإنخراط في كافة قطاعات قواتنا المسلحة الباسلة ، الاّ ان أبناءنا يواجهون حجراً على دخولهم في قطاعات الجيش ، مما يسبّب خلق شعور بالغبن لدى الراغبين منهم في خدمة هذا الوطن » .

شواهد ووقائع

نقدّم فيما يلي نموذجين للقرّاء يكشفان كيفيّة تعامل الدولة مع كتب الشيعة الفكرية الاعتيادية التي لا علاقة لها بالسياسة من قريب أو بعيد ، والتي لا تحمل تهجّماً على أحد ، وبين معاملتها للكتب التي تشتم الشيعة وتطبع في المملكة ، والتي تدعو لحربهم والقضاء عليهم .

النموذج الأوّل : بين يدينا كتاب «تبديد الظلام وتنبيه النيام ، الى خطر الشيعة والتشيّع على المسلمين والاسلام» ، لمؤلفه إبراهيم الجبهان ، وهو مواطن سعودي ، طبع كتابه عدّة مرات في المملكة ، وكانت الطبعة الأولى في منتصف السبعينات ، ثم تتالت الطبعات بعد إنتصار الثورة الإسلامية في ايران .. وفي صيف ١٤٠٨ هـ ، أعيد طبع الكتاب على نفقة أعلى مؤسسة دينية في المملكة ، وهي إدارة الدعوة والإفتاء والإرشاد ، وكُتب على الغلاف «وقف لله تعالى» ! .

الكتاب هو واحد من مئات الكتب التي طبعت في المملكة على نفقة المؤسسة الدينية ، وبتشجيع مباشر من الحكومة في حربها الطائفية ضدّ مواطنيها ، وقد إخترنا هذا الكتاب لأنّ مؤلفه سعودي الجنسية ، وتركنا كتب إحسان الهي ظهير

الباكستاني ، ومحب الدين الخطيب المصري ، التي سبق للجامعة الاسلامية ان موّلت طباعتها ، وأمثالها .

يحتوي الكتاب على اكثر من ٥١٥ صفحة من القطع الكبير ، وهو في مجموعة لا يحوي سوى الشتم والقذف ممّا تعاف النفس سماعه ، إضافة الى تأليب الحكومة السعودية والحكومات العربية والاسلامية على الشيعة ، وكذلك يدعو مؤلف الكتاب بصراحة الى محاربة الوحدة بين الطوائف الاسلامية ، التي إعتبر دعوة الشيعة إليها مؤامرة من مؤامراتهم .

في مقدمة الكتاب يوضح المؤلف الهدف الأساس منه ، فيقول : « كان أول ما حملني على كتابة هذه الرسائل ، كلمة ألقاها سماحة الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ، من محطّة صوت العرب ، قال في مستهلّها : أن المذاهب الإسلامية الخمسة ، واحدة جوهراً ، واحدة مصدراً ، واحدة مورداً ، وأنه يجوز التعبّد بالفقه الشيعي . الى آخر ما جادت به قريحته المشلولة ، وكانت هذه الكلمة بمثابة ناقوس الخطر » ص ٨ .. « ولذا فإنني لن أموت إلاّ بعد أن أحفر بيدي قبور الظلم والظالمين» ! .

ثم يشكك في الدعوة الى وحدة المسلمين وجدوائيتها ، وأنه لا يمكن أن تقوم وحدة بين الإسلام والكفر .. و « لقد أملت عليهم مصالحهم الشخصية ــ أي الشيعة ــ والمصير المحتوم لكل مفاهيمهم اللاإنسانية لأن يقوموا بمحاولة جديدة ، وأن يخترعوا بدعة منكرة ، قوامها الدعوة الى وحدة إسلامية مزيّفة ، وتقريب المذاهب الإسلامية .. ولا يخفى على ذوي البصر النافذ ما تنطوي عليه هذه المحاولة من خبث ودهاء .. إن زعماء هذه الطائفة إنّما حاولوا بهذه البدعة المنكرة أن ينقذوا مصالحهم الشخصيّة ، وما إكتسبوه باحتراف الدين من جاه ونفوذ ومال حرام ، وأن يوقفوا ــ والى أجل ــ زحف الأفاعي الإسماعيلية ، وأن يستروا ــ ولو الى حين ــ ما تكفّلت بروتوكولات حكماء صهيون بهتكه من حقيقة التشيّع » .

« ومن المؤسف ــ بنظر المؤلف ــ أن ينخدع بمثل هذه المهزلة رجال من ذوي المكانة العلمية في العالم الاسلامي .. ويقعوا في ورطة التجاوب مع الناعقين بحجّة جمع الكلمة ووحدة الصفّ .. ولا أدري أي كلمة تستطيع أن تجمع بين الحقّ والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين من يدعون الى الوفاق ، ومن مردوا على النفاق » ص ٧ .

ثم إنّ « الميوعة الفكرية هي التي شجّعت عملاء الماسونيّة الكافرة بأن يؤسسوا بين ظهرانينا ، وتحت أسماعنا وأبصارنا ، وفي أعزّ بقعة تتطلّع إليها أنظارنا ــ في القاهرة ــ داراً للنصب والاحتيال ، وممارسة الدعارة المذهبيّة ، أسموها : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية » ص ١٩ .

و « الميوعة الفكرية هي التي خدعت لفيفاً من رجال العلم ، وقادة الفكر فينا ، ممن سقطوا في فخاخ دار التخريب والكذب ... فراحوا يمدّون أيديهم النظيفة الى أيدٍ قذرة ملطخة » ص٢٤ .

«وما حدث في مصر لم يكن إلاّ من بركات السفارة الإسرائيليّة الموجودة في القاهرة والمسمّاة بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، فلا نامت أعين الزعماء » ص ٢٤ .

« إذا عرفت أيّها القارىء الكريم أن التشيّع كالشيوعيّة ، كلاهما من بطن مومس واحدة هي الماسونيّة ، عرفت ما تعنيه طائفة الشيعة من الدعوة الى الوحدة ، والى التقريب بين (المناصب) الاسلامية » ! ص ٢٠٧ .

وحربه للوحدة طويل لا ينتهي ، وقد اكتفينا بما أوردناه ..

ثم يبدأ المؤلف بالتأليب ، تأليب الحكومات ضدّ رعاياهم الشيعة ، وتأليب المواطنين على بعضهم البعض .. يقول :

« أحب أن ألفت أنظار جميع المسؤولين في البلاد العربية ، الى ان هذه الطائفة لا يمكن أن تضمر الولاء والإخلاص لأيّ نظام حكم تعيش في ظلّه ، بل أنّها تتربّص به الدوائر ، وتتحيّن الفرص للإنقضاض عليه » .. وان من أحابيل الشيعة ــ بنظره ــ « إستشهادهم لدعوة التقريب بقول الله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا .. مع أن المخاطبين في هذه الآية هم المسلمون ، أمّا الشيعة فانهم يزعمون الإنتماء الى الإسلام لسرقة المسلمين من دينهم » .

ثم يلي ذلك نداء « إلى ذوي الضمائر الحيّة والعقول المستنيرة » ، يرشدهم المؤلف فيه الى أن «لعنة التشيّع هي أصل كل بلاء أصاب الإسلام » ، وأنهم هم لا غيرهم « أسباب التخلّف الذي أنت فيه ، وأسباب الفوضى السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي رافقت تاريخك القريب والبعيد ، وأسباب الإضطراب الشامل وفقدان الطمأنينة وعدم الإستقرار الذي تشكو منه » ص ١٦ .. « فلا تنخدع بهذا اللف والدوران ، فإن كل شيعي على وجه الأرض أو في بطنها سبئي ، لأنه يتبع ديناً جاء به عبد الله بن سبأ اليهودي ، وأن من يعتنق التشيّع يسمّى ملحداً هدّاماً » ص ١٨ .

« وإنني أعود فأكرر تحذيري لكافة الدول الإسلامية التي توجد فيها أقليّات من عصابة الرفض ــ والمملكة التي طبع فيها الكتاب ووزّع في مقدمتها ــ أن تأخذ حذرها من دسائس هذه الطائفة ، وأن لا تأتمن أحداً منهم على المناصب الهامّة ... إنّ التشيّع جزء من خطّة جهنميّة ووضعت للقضاء على جميع ما تعارفت الإنسانيّة في أجيالها المتعاقبة على إحترامه من قيم وفضائل وأخلاق ومثل عليا ، وما التشيّع إلاّ أحد الأقنعة التي تخفي وراءها وجوه واضعي خطة القضاء على الإنسانيّة ،

وتدمير العالم بمن فيه .. وها قد بلغت ، اللهم فاشهد ، وأنت خير الشاهدين » ص ٥٩ .

وقاموس الشتم عند الأستاذ إبراهيم الجبهان ملىء بمختلف العبارات ، وإليك نماذج مما حواه ذلك القاموس :

« قد لا يصدّق الكريم أن نكاح الأم عندهم هو من البرّ بالوالدين ، وأنه عندهم من أعظم القربات » ص ٢٢٢ .

« إنّكم ــ أي الشيعة ــ منشقّون عن الأمّة الإسلامية ، منابذون لها ، وأنتم في حكم المرتدين حتى ترجعوا الى حظيرة الإسلام » ص ٢٧٤ .

« علي بن أبي طالب لم يكن يدور في مشيته .. بل كان يمشي على صراط مستقيم . أما الدوران ، فصفة لا تليق إلاّ بحمير الطواحين ، يا حميراً بلا طواحين » ص ٣٠٣ .

« ماذا يقول الخنازير ؟ ــ أي الشيعة ــ » ص ٣١١ .

« إرفقوا بأنفسكم أيّها الدسّاسون قبل أن ترفقوا بنا ... فقد أصبحتم وأيم الله سبّة على الإسلام وعاراً في جبين التاريخ ، وعبئاً ثقيلاً على الإسلام والمسلمين .. أخزاكم الله كما أخزى عاداً وثمود ، وكتب عليكم من الذلّ والمسكنة والفضيحة ما كتبه على اليهود » ص ٣١٩ .

« هل يشكّ في كفر هؤلاء ، إلاّ من كان مجوسيّاً مثلهم ؟ » ص ٣٢٢ .

« نحن نسمّي الشيعة روافض ، لأنهم رفضوا الإسلام جملة وتفصيلاً » ص ٣٢٧ .

« النفاق والزندقة هما من مميزات الروافض » ص ٣٢٦ .

« شبه الرافضة أظهر فساداً من شبه الخوارج ، لأن الخوارج كانوا أصبح منهم عقلاً ، وأنزه قصداً .. والرافضة أكذب وأفسد ديناً » ص ٣٢٩ .

« وكما أن النصارى من أجهل الناس ، فإن الرافضة من أجهل الناس وأخبثهم ، لأنهم جمعوا بين جهل النصارى وخبث اليهود » ص ٣٢٩ .

« والآن ما رأيك أيها القارىء الكريم .. ألا ترى معي أن جهاد هؤلاء السفلة أحبّ الى الله من جهاد اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان .. ألا ترى أننا في حاجة الى مائة ألف حجاج على شاكلة الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومائة ألف يزيد على شاكلة يزيد بن معاوية ، ليطهّروا الأرض من هذه الأرجاس المنتنة ؟ » ص ٣٥٢ .

« وقع في يدي كتاب : الدعوة الاسلامية الى وحدة أهل السنّة والإماميّة ، للشيخ علي الخنيزي من أهالي القطيف ، وقد تصفحته فوجدته جديراً بالردّ لما فيه من أفانين التضليل والدسّ والمراوغة » ص ٣٨٤ .

« ما الذي ربحه الإسلام على أيديكم ، وعلى يد أيدي الأصنام التي تعبدونها من دون الله ، يا أشباه القرود » ص ١٩٧ .

« إنّ الإتفاق على مقاومتكم والإجماع على محاربتكم ، لدليل كافٍ على أنكم عنصر شاذّ ، يشكّل وجوده خطراً جسيماً على أمن الشعوب وسلامتها .. إنّكم أجانب في كل وطن تقلّكم أرضه .. لماذا ؟ .. لإنّكم متهوّدون أكثر من اليهود ، مع فارق واحد أنهم يحلمون بالسيطرة على العالم تحت تاج ملك من نسل داود ، أما أنتم فإنكم تحلمون السيطرة على الوطن الاسلامي تحت تاج دجّالكم ... لا بل ان الله ساواكم بأسيادكم اليهود » ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

« إدفنوا رؤوسكم في التراب يا قردة ، فان لله على دينه أعيناً ساهرة تحرسه » ص ٢٠٦ .

وتحت عنوان « لقد آن لكم أيها الشيعة أن تفهموا » ، قال مخاطباً المواطن الشيعي : « إنّك تسخر من النصارى لأنهم يعبدون آلهة ثلاثة ، وإنك أحقّ بالسخرية منهم ، لأنّك إنّما تعبد إثنا عشر إلهاً من دون الله .. وتسخر من اليهود لأنهم يضمرون العداء لجميع البشر ، ولا تدري أنك تدين بنفس العقيدة التي يتديّن بها اليهود .... الخ » ص ٢١٠ .

« لم يدخل في سلك هذه العصابة ، إلاّ كلّ مارق من الإسلام » ص٢١ .

وقال المؤلف عن الإمام جعفر الصادق ، الذي يجلّه علماء المسلمين جميعاً أنه ذلك « الداهية الأبقع الذي وجدت فيه الماسونية الخبيثة ضالتها المنشودة ، فالتفت حوله وجعلت منه صنماً أوحد فتنة للذين في قلوبهم مرض » ص ٢١ ، وأنه كان ينفق المال على « الدعاة والمبشرين والجمعيات السريّة التي عاثت في كيان الأمّة الإسلامية فساداً وتخريباً » ص ١٠ .

« كلّ من يولد في أيام عاشوراء فهو سيّد ، وكل من حملت به أمه في أيام عاشوراء فهو سيّد ، حتى ولو كان حملاً غير شرعي » ص ٢٨ .

والسيد لا يحتاج ــ بنظر المؤلف ــ سوى لأدوات الدجل ليطالب « الآخرين بخمس جدّه ، وقد يكون جدّه سمساراً في أحد أحياء البغاء » ص ٢٩ .

« إنّك إذا قلت لشيعي : قال جعفر بن محمد ، أن لك يا فلان ذنباً وحوافر ، وأنت لا تشعر .. فانه على الفور سيتحسّس قفاه ، وسيقوم بفحص قدميه ، ثم لا يلبث ان يذهب الى أقرب مشهد من مشاهد الأئمة ويضرع إليه أن يعيده الى هيئة بني البشر .. وثق أنّك قد أصبحت عنده في عداد المعصومين ، ومن لم يصدّق فليجرّب ما أقوله » ص ٣١ .

« الإباحيّة شائعة في الأوساط الشيعيّة .. وما أكثر ما ينتهك عندهم بإسم الدين من أعراض » ص٤٨ .

« ومع ذلك يغضب إمامهم محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، لأنه سمع في لواء الدليم بوجود من يعتقد ان للشيعي ذنباً .. إن للشيعي يا أيها المكشوف الغطاء ذنباً وحوافر ، وأنه يمشي على أربع .. ومن لم يعتقد هذا فإنه منهم رضي أم كره » ص ٦٠ .

« كنّا نتمنّى أن يعلن الشيعة براءتهم من الأسلام ، وليس لنا أن نتدخل في شئونهم بعد ذلك إلاّ بمقدار ما يسمح به الإسلام من توجيه ونصح وإرشاد » .. واذا لم يعلنوا براءتهم من الإسلام « فلا ولا كرامة » ص ٦٠ ، ٦١ .

« الروافض ــ أي الشيعة ــ كانوا يهوداً أكثر من اليهود » ص ١٣٩ .

« إن عقيدة التشيّع قد أسّست بين اليهود لخدمة اليهود » ص ١٥٣ .

« من حقّ الإنسانيّة على حَمَلة الإقلام أن يحفروا بأقلامهم البريئة قبر عقيدة التشيّع الأخير ، لأن بقاء التشيّع هو بقاء لفتنة الإنسانيّة ، وفتنة التاريخ ، وفتنة الأجيال القادمة » ص ١٥٤ .

« فيا إخوان القردة ... يا أيها المارقون من كل دين » ص ١٥٥ .

« أمّا الرأي القائل بأن إبن سبأ خرافة ، فإنه يعطينا الحقّ بأن نقول أن علي بن أبي طالب خرافة » ص ١٥٨ .

« إنني لا أهاجم عقيدة لها كيان ، ولا مذهباً يستحق شيئاً من الاحترام ... ولكنني أهاجم طفيليات علقت بدين الإسلام .. ولا يقولنّ قائل إنّك تدعو الى الفتنة وتمزيق الصفوف ، فإنني على العكس من ذلك ، إنّما أدعو الى إزالة أسباب المحن ، وإستئصال جذور الفتن .. وإنّه لعار الدهر وسبّة التاريخ ، أن نمنح عقيدة الدسّ والتآمر كياناً شرعياً ، أو نهيء لها أسباب الحياة ... ولا يظنّن ظانٌ أنني أدعو الى حمل السلاح .. كلا .. فإنهم أصغر وأحقر من أن يحتاجوا إلاّ لبضعة أقلام جريئة تخرس أفواههم ، وتكشف خباياهم ، وتقذف بهم وبحصائدهم الى الجحيم » ص١٨٨ .

« فليشهد الله ، وليشهد العالم ، ولتشهد الإنسانيّة ، وليشهد التاريخ ، ولتشهد الأجيال المقبلة ، أنهم كافرون بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. وأنهم دجّالون وكاذبون في دعواهم الإنتساب الى الاسلام » ص ١٨٩ .

« الشيعي يتعبّد بالشتم والقذف والغدر والتآمر والإحتيال والتزوير ونهش الأعراض وإنتهاك الحرمات .. الشيعي لا يحبّ غير نفسه .. للشيعي قدرة عجيبة على التقلّب .. يمدّ الشيعي إليك يده مصافحاً ، ولكن ليشغلك بها عن اليد الأخرى التي تمتدّ الى جيبك .. إذا رأيت شيعياً ، فقل اللهم إني أجعلك في نحره ، وأعوذ بك من شرّه ، وإذا دخلت حيّاً شيعياً فقل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث .. الشيعي كالنعامة .. الشيعي كالتمساح يأكل الفريسة ويبكي عليها .. للمنافق وجهان

أحدهما لك والثاني عليك ، وللشيعي مائة وجه ليس لك حظّ في واحد منها .. عينا كل إنسان في وجهه ، وعينا كلّ شيعي خلف ظهره .. الشيعي جندي مجهول في جيش إسرائيل ، ومهمّته أن يكون صفراً في ساعة الصفر ، ومن الكسور العشرية بين النفايات البشريّة .. ثلاثة يقومون بوظيفة الشيطان ، أحدهم الشيعي .. أقانيم التخلّف ثلاثة ، أحدهم الشيعي .. الشيعي يخاف من تحكيم عقله .. الشيعي المعتدل هو الذي يتهمك بما هو فيه ، ويباهيك بما ليس فيه ... الخ » ص ١٩٠ ، ١٩١ .

ومن الأوصاف التي أطلقها وكررها المؤلف عشرات ــ بل مئات المرات ــ على الشيعة ما يلي : « مجانين ، حمقى لا يملكون مثقال ذرّة من العقل ، نصّابون ، دجّالون ، محتالون ، تماسيح ، كفار ، مرتدون ، عصابة رافضة ، سرّاق ، لا يستحون من الدعوة الى الوحدة ، شرائم ، وقحون ، أباحوا السجود لغير الله ، عقولهم ملتاثة ، حضرات التماسيح ، أذناب مسخّرة ، أدمغتهم متحجّرة ، ضمائرهم خربة ، هم أكبر عائق في وجه نشر الإسلام ، كذّابون ، إخوان الكفرة ، إخوان القردة ، فقدوا كل معنى للكرامة الإنسانيّة والاعتبارات الخلقية ، يعيشون في مستوى لا يليق إلاّ بالعجماوات ، لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لا يتورّعون عن إرتكاب أفظع الجرائم وأحطّ المحارم ، مخدوعون ، إباحيّون ، خبثاء ، اليهود أسيادهم ، ملحدون ، رعناء ، كلاب النار ، حثالة بشريّة ، نفوسهم وضيعة ، ضحايا السبئيّة ، الموغلون في السفاسف ، الأمساخ البشريّة ، أبوا إلاّ ان يكونوا من الحمير والبقر ، أتباع التلمود ، مزوّرون ، كلاب مسعورة ، يهود أكثر من اليهود ، ينفذون وصايا يهودي زنيم ، ينحتون الأصنام ، بهائم ، سوائم ، غاوون ، غنم ضائعة ، مارقون ، يتبعون كل ناعق ، عصابات مجرمة ، أذناب اليهود ، شيوعيون ، أجسام البغال وأحلام العصافير ، عميان ، قطعان بقر خلقت على صورة بشر ، أكَلَة السحت ، مصّاصو الدماء ، إغبياء ، عملاء اليهودية العالمية » .

أمّا علماء الشيعة ، فهم بنظر المؤلف ــ إبراهيم بن جبهان ــ : « تجار دين ، محترفو دنيا ، يقتنصون أكل السحت ، كذّابون ، زناة ، واضعو خرافات ، محرفو الكلم عن مواضعه ، أمهر الناس في صناعة الأكاذيب ، على استعداد لبيع الدين والضمير للشيطان لقاء مصلحة تافهة ، أفّاكون ، أئمة ضلال ، محترفو الشعوذة والدجل ، مأجورون ، مزيّفون ، أخبث الناس قلباً وقالباً ، يعتصرون الدم البريء والعرق الطاهر ، فاشلون ، أشباح معمّمة ، سماسرة إبليس ، أمساخ .. الخ » .

أما مذهب التشيّع بنظر المؤلف فهو : « عقيدة دخيلة ، سخيفة ، موروثات عفنة ، بؤر فكرية منتنة ، دين جديد مستمدّ من المجوسيّة والنصرانية واليهودية ، دين مستبدّ ، شريعة مستمدّة من خلايا الماسونيّة وأوكار اليهودية ، مزابل ، شعوذة ، تخريف ، سرطان خبيث ... الخ ».

وهكذالا تخلو صفحة من الكتاب من سبّ وشتم بأقذع ما في القاموس العربي من أوصـاف .. وقد لا يكون لنا إعتراض كبير ، لو أن الكتاب طُبع في خارج المملكة ووزّع من الخارج ، ولو أن المؤلّف لم يكن سعودياً ، ولو أن الحكومة ــ ممثّلة في وزارة الاعلام وغيرها ــ لم تسمح بطباعته مرّات ومرّات ، ولو أن ما في الكتاب يمثّل رأي المؤسسة الدينية الرسميّة ، وعلى رأسها الشيخ عبد العزيز بن باز ، ولو أن الكتاب لم يتعرّض لشيعة المملكة بالتخصيص ، ولو أن الكتاب أراد له من يقف وراءه نشره على أوسع نطاق في المملكة ، وربما خارجها .

هل تستطيع الحكومة السعودية ان تتبرّأ من الكتاب ، وان تنتظر أن تعمّ آثاره «الحسنة ! » كلّ الأوسـاط الإجتماعية في المملكة .. هل تستطيع الحكومة التي أدخلت في سجونها مئات من الشباب ، لمجرّد حيازتهم كتاباً شيعياً واحداً لا يقول بمثل ما قاله الجبهان ، ولا يتحدث بمثل ما تحدّث به ، بل لا يقرب من مسائل الخلاف وتأجيج مشاعر التعصّب ، أنها غير مسؤولة عن الكتاب ونشره ؟ .

إن الحكومة السعودية ومؤسستها الدينية لا تعتبر ابن جبهان مخطئاً ، بل هو جدير بالمحبّة والتقدير ، على جهوده .. وحتى المؤلّف يعترف فيقول في طبعة الكتاب الثانية بان الشيعة « رفعوا لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية برقيات يلتمسون فيها إصدار أوامرهم بمنع دخول هذا الكتاب ، وباءهم الله بالذلّ والخيبة عندما طلبوا من الحكومة السعودية إعتقالي ، فرفضت الحكومة الموقّرة طلبهم بدون محاكمة عادلة » ص ١٩٣ .

ولـو حُـوكـم الجبهان في المحاكم السعودية ، بمقياس العدل السعودي ، على إحداث الفتنـة ، والقذف ، وإهانة نحو ٣٠٠ مليون شيعي في العالم ، وأكثر من مليون شيعي في المملكة ، لنال جائزة الملك فيصل في « الدفاع عن الإسلام » ، وعن كيان المملكة ! .

في الطـرف الآخـر ، فإنّ الشيعة ممنوعون من الردّ ، بأيّ صـورة كانت .. وممنـوعون من إدخـال كتبهـم .. التي تصـادر ويحكم عليهـا بـالحرق ، وعلى « مهرّبها ! » بالغرامة والسجن ومصادرة السيارة الناقلة .. ضمن قانون أصدره النظام الطائفي الحاكم .

النموذج المناقض : وتشير إليه وثيقة حكوميّة صادرة عن (قسم عرض الطرود) في إدارة الطرود البريدية بالدمام ، التابعة لوزارة البرق والبريد والهاتف ، بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٤ هـ ، تحوي موضوع مصادرة كتب قادمة بالبريد ، « والحكم عليها بالإتلاف حرقاً) .. تقول الوثيقة : « بحضورنا نحن الموقعين أدناه ، بعد عرض الطرد رقم : (..) ، الوارد من أميركا . المرسل منه (..) ، المرسل إليه (..) ، محتويات الطرد : كتاب اليأس والأمل في مفهوم

الإسلام ، أربعة كتب : المسائل المنتخبة ، كتاب الإمام جعفر بن محمد الصادق ، كتاب الإمام زين العابدين ، كتاب فاطمة الزهراء ،كتاب الدعوة والدولة ، كتاب أحكام الحج ، كتاب الإمام الحسين ، كتاب المعالم الأساسيّة للرسالة الإسلامية ، كتاب الحج ، كتاب العبادة والزهد في الإسلام ، كتاب العبودية ، كتاب نظرية (..) ، كتاب دعاء كميل ، كتاب نفحات رسالية ، كتاب خطوط تفصيليّة ، كتاب (بدون) ، كتاب بحث حول الولاية .

مراقب الإعلام المنتدب بالطرود البريديّة بالدمام بتاريخ ١٦/١٠/١٤٠٤ هـ ، أوصى بعدم الموافقة على ما في الطرد ، والذي يحتوي على إثنين وعشرين كتاباً .

وبناء على ذلك تمّ إتلافها حرقاً بجميع محتويات الطرد ومتعلّقاته اليوم .

وعلى هذا جرى التوقيع ، ، ،

مراقب الإعلام ، صالح محمد السعود .

مندوب الأمن ، سالم علي القحطاني .

مراقب الجمارك ، أحمد محمد تفتي .

مندوب عرض الطرود ، توحيد عبد العزيز .

يعتمد : مدير الطرود البريدية بالدمام ، محمد محمد الخباز » .

واضح من عناوين الكتب ، أنها لا تحمل إساءة للدولة ، ولا لمذهبها ، ولكن إقتضت إرادة الحكومة منع أيّ كتاب يحوي نفساً شيعيّاً أيّاً كان نوعه ، وسواء إتّفق مع وجهات نظر المذهب الرسمي أم لم يتفق .

في مقابل هذا ، نجد أن الملوك السعوديين ، تولّوا طبع الكتب الطائفيّة ، أو التي تدعم المذهب الرسمي ، في وقت لم يكن هناك في البلاد مطبعة واحدة .

وتشير قائمة الكتب التي طبعها الملك عبد العزيز على نفقته الخاصة الى ما ألمحنا إليه ، حيث عدد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، في بحث منشور في مجلة (الدارة) في عددها الصادر في شهر رجب ١٤٠٦ هـ/مارس ١٩٨٦ .. عدد نحو ٦٤ كتاباً تولّى الملك المؤسس طباعتها ، من بينها :

١ / منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية .

٢ / الهدية السنيّة والتحفة الوهابيّة النجدية .

٣ / الضياء الشارق في ردّ شبهات المارق ،لإبن سمحان ، ط القاهرة .

٤ / كشف غياهب الظلام ، وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عن مفتريات هذا الملحد الكذّاب ،لإبن سمحان ، ط الهند .

٥ / الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه المدحضة الشاميّة ،لإبن سمحان .

٦ / ديوان إبن سمحان (عقود الجواهر المنضدة الحسان) ، ط بومباي .. وقد أشرنا الى بعض أشعار الديوان في مواقع من الكتاب .

٧ / مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام (محمد بن عبد الوهاب) ، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

٨ / الأسنّة الحداد في كشف شبهات علوي الحداد ، للشيخ سليمان بن سمحان ، ط الهند .

٩ / تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين ، إبن سمحان ، ط القاهرة .

١٠ / التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ط الهند .

١١ / الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية ، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد .

١٢ / الدين الخالص .

١٣ / روضة الأفكار والأفهام ، للشيخ حسين بن غنام .

١٤ / عنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن بشر .

١٥ / مجموعة التوحيد النجدية ، وتحوي ثمانية كتب .

١٦ / مجموعة الحديث النجدية ، وتحوي تسعة كتب .

١٧ / مجموعة خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

١٨ / فتح المجيد في شرح التوحيد .

١٩ / كشف الشبهات ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢٠ / تأسيس التقديس في كشف تلبيس داوود بن جرجيس ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين . ط مصر .

الأخطر من هذا كلّه ،إنعكاس ما تنشره وسائل الإعلام المحليّة عن الشيعة ، فقد كاد أن يؤدّى في أحايين كثيرة الى مصادمات مسلّحة ، وللإعتبار نسوق هذا المثال :

نشرت مجلّة المنهل السعودية في عددها رقم ٤٥٨ / السنة ٥٤ ، الربيعان ١٤٠٨ هـ ، اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٧ م ، مقالات عديدة تحوي طعوناً واضحة وتجنيّاً صارخاً على الشيعة بشتّى فئاتهم ومذاهبهم .. كان من بينها مقال

بعنوان : (الملل والنحل الدينية وخطرها على الأمّة) بقلم زاهر عواض الألمعي ، الذي قال فيه انه ليس هناك خطر من المذاهب المادية التي بدأت تنحسر في الأعوام الماضية ، ولكن الخطر يكمن في « ما تعجّ به الساحات في دول العالم الإسلام وغيرها ـ القاديانية ، والبهائيّة ، وطوائف الشيعة التي انحرفت بدعوة الإسلام » .. وحتى هنا لم يقل الكاتب شيئاً ذا بال ، ولكن المقال المنشور في نفس العدد لمحمد بن حسن الغماري والمعنون بـ (حقائق الإسلام وأباطيل المرجفين) كان أكثر تخصيصاً ووضوحاً ، حيث كتب ضد الشيعة الإسماعيليّة في جنوب المملكة ، مخصصّاً إيّاهم بالكفر والزندقة والإنحراف .

قال ان الإسماعيليّة ربيبة الماسونيّة ، وانهم يؤلّهون ائمتهم ، وانهم عملوا على هدم الإسلام « ولا يعرف في الإسلام فرقة شراً منهم » ، وأن مبادىء الإسماعيليّة مأخوذة من اليهودية . وبعد ان ينتهي من سبابه ، يشير بوضوح الى أن من الإسماعيلية « السليمانيّة باليمن ونجران ويقال لهم المكارمة » .

وأضاف بانهم زنادقة يدعون « للإباحيّة والإلحاد وتحليل المحرمات وهدم القيم الأخلاقية والآداب المتبعة في كل عصر ، ويجوزون نكاح البنات والأخوات واللواط وشرب الخمر والكذب والنفاق والتقيّة في غير موضعها والحقد على العروبة والإسلام ، وهذه صفات معهودة في اليهود » ! .

وفي الخاتمة : « وهكذا كانوا لا يتركون حرمة الا إنتهكوها ، ولا واجباً إلّا تركوه ، فهم أخبث من اليهود والنصارى ، ويصدق عليهم قول القائل :

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى بيَ الأمرُ حتى صار إبليس من جندي »

قامت قيامة الإسماعيليين على أثر نشر المقال ، واستعرضوا قوّتهم المسلّحة في نجران ، وأنشدوا في « العرضات » أشعار التهديد ، وحين أمر أمير المنطقة الجنود بأن يواجهوهم فأبوا ، وذهبت مجموعة مسلّحة الى مكّة المكرمة تريد قتل الكاتب ، وقيل أنهم أحاطوا ببيته . وهنا أحجم أمير مكة عن مواجهتهم ، إلّا ان تكون مذبحة في صفوف الطرفين ، فحاول إقناعهم بالعدول عن رأيهم في قتل الكاتب ، ولكنهم أبوا ، ووصلت الأمور الى المراجع العليا ، وتباحث معهم الأمير سلطان الذي إسترضاهم بالهدايا والأموال ، وأن يكتب إعتذار في المجلّة عمّا جرى . ونصحت الحكومة الكاتب أن يسافر الى الخارج ، فاختار مصر وأقام فيها بضعة أشهر . وفي العدد التالي من المجلّة قدّم الكاتب إعتذاره ، وكذلك فعل رئيس تحرير المجلّة .

ولأهميّة الإعتذارين نوردهما نصّاً :

« لقد سبق أن نشرت لي مجلة المنهل موضوعاً تحت عنوان : حقائق الإسلام

وأباطيل المرجفين ، وحيث أنّي قد إستقيت معلوماتي التي أوردتها في الموضوع المشار إليه من مصادر تبيّنت بعد التثبّت والتدقيق بأنها أخطأت جانب الصواب فيما نقلته عن بعض المؤرخين ، وخاصة ما يتعلّق منها بعقائد بعض سكان المنطقة الجنوبية في حقبة تاريخيّة مضت .

وإنّي وبعد ان تبيّنت مدى الخطأ الذي نقلته في عجالة مني لقراء المجلة ضمن السرد التاريخي الذي أوردته تحت العنوان المشار إليه ، وحرصاً على كشف اللبس الذي حدث .. فإني أتقدّم بشديد أسفي وإعتذاري للمسؤولين ، كما أعتذر لأصحاب الشأن الذين وردت أسماؤهم في صلب الموضع ، حتى يعرف الناس براءتهم مما يُنسب إليهم ، وما هم منزّهون عنه . والله من وراء القصد .

د . محمد بن حسن الغماري
مكة المكرمة

أما الإعتذار الآخر فنصّه : « يؤكّد المنهل ـ بل ويعتزّ أن يوضح الحقيقة ويطرحها لقرائه الكرام ، بأن المقال الذي تناول فيه الدكتور محمد حسن الغماري ، بعض الفرق الإسلامية بعنوان : حقائق الإسلام وأباطيل المرجفين .. يحتوي على جزئيّات تعدّ في الجملة ذات مساس بمشاعر بعض الأخوة ، بإعتبار أن ما ذكر ليس أكثر من حديث تاريخي إستقرائي .

وكان الكاتب يريد نشر مقال آخر إستكمالاً لمقاله السابق يوضّح فيه المقصود . ولكن نظراً لما وقع من لبس ، فقد توقّف نشر المقال ، وقدّم الكاتب إعتذاراً على صفحات هذه المجلة ، أوضح فيه وجهة نظره بما يزيل اللبس . ونؤكد بإسم المجلة ورئاسة تحريرها التي دأبت على تحرّي الحقيقة وبذل الجهد لتقديم المعرفة الطيبة لقرائها ، إعتذارنا وأسفنا لما حدث من سوء فهم من بعض الإخوان لأمر لم يقصد أبداً ، إنّما نتيجة الإستعجال في إخراج العدد .. ولعلّ فيما أوضحه الكاتب ما يكفي من إزالة أيّة إستفهامات أو غموض ، والله ولي التوفيق .

صاحب ورئيس تحرير مجلّة المنهل
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

فالكاتب إعتذر بالمصادر ، وصاحب المجلّة إعتذر بالإستعجال في إخراج العدد .. ولولا السلاح لم تعتذر الحكومة ولا صحافتها ! .

ووقع في عام ١٩٨٩ حدث مشابه للأول تقريباً ، وقد كان الناشر هذه المرّة صحيفة (المسلمون) . ففي عددها الصادر في يوم الجمعة ، السابع عشر من المحرم ١٤١٠ هـ ، الموافق للثامن عشر من أغسطس ١٩٨٩ م ، نشرت مجلّة

المسلمون لقاءاً مع باحث رفض في البداية الكشف عن إسمه ، وبعد الإلحاح قال أن إسمه صالح بن محمد العربي ، وكان اللقاء المنشور قد حمل عنواناً فاضحاً « فضائح جديدة للبهرة ـ أتباعها ينكرون الله ويسجدون للبشر .. يتزوجون بناتهم وأخواتهم بحجّة أنهم أولى من الغريب » ! .. وقالت الصحيفة في اللقاء المطوّل والذي شمل صفحة كاملة تقريباً ، أن البهرة السليمانيّة ـ ومنهم الإسماعيليون في جنوب المملكة ـ يقدّسون زعيمهم الحسن المكرمي ، وهو من العائلة المكرميّة التي كانت تحكم نجران فيما مضى من الزمن . وأضافت : « أن أفراد هذه الطائفة أسقطوا التكاليف وطرحوا الشرائع جانباً وأحلّوا المحرمات ، وهذا ما فعله علي بن الفضل حين إدّعى النبوة وأعفى أتباعه من أداء الشعائر الإسلاميّة وأحلّ نكاح البنات والأخوات بدعوى أنهم أولى من الغريب » ! .

وقالت : « ان البهرة السليمانية ، بهرة اليمن ، هؤلاء من قبيلة يام ، ويتمركزون في منطقة « حراز » ويقدّسون زعيمهم الحسن المكرمي ،الذي ينتحل مذهب البابوات من صنع صكوط لأتباعه على قطع في الجنّة ، وهؤلاء يعرفون بالمكارمة » ! وغير ذلك من الكلام النشاز والباطل .

وفي ختام اللقاء ، حذّر الباحث من خطر هذه الفرقة ، وطالب بطرد الإسماعيليّة من المملكة : « وأرجو أن تصدر رابطة العالم الإسلامي بطردهم من جزيرة العرب ،وأنا أخصّ الرابطة بالذات لما لها من كلمة مسموعة ، ولأنها أصدرت قراراً بشأن طرد الفرقة القاديانية من قبل ، وتمّ تنفيذ هذا القرار » .

وكما في المرّة السابقة ، تظاهر الإسماعيليّون بالسلاح ، وحين جاءت وفود أمير نجران لتسكين ثائرتهم ،قالوا له أن الحكومة نقضت عهودها معهم ، والتي وقّعها الملك عبد العزيز ، حين سمحت لصحافتها بالتعرّض لمذهبهم ، دون أن تتيح لهم حريّة الردّ على الإتهامات والطعون الموجّه إليهم . وتدخّل الملك فهد والأمير سلطان في الأمر ، ووعدا بمعاقبة الصحيفة ، التي قال الأمير سلطان لزعماء الإسماعيليّة في المملكة ، انها لا تمثّل راي الحكومة ! .

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر كشاهد على دعم الحكومة للنزعات الطائفيّة التي تمارسها المؤسسة الدينيّة التقليديّة ، ما حدث في عام ١٩٦٧ في الهفوف ، حيث قام الشيعة في محلّة « الفوارس » بتسوير المقبرة ، وبناء مصلّى ومغتسل ، وتقدّموا لبلدية الهفوف بذلك ، وحصلوا على الموافقة .

هنا قامت قائمة مشائخ السلطة ، ورجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعترضوا على بناء المصلّى ، لأنّ ذلك لا يجوز ، وصدرت فتوى من المشائخ المحليين بعدم جواز بناء المصلّى ووجوب هدمه ، وكان البناء قد شارف على نهايته .

إعترض زعماء الشيعة في الأحساء والقطيف على ذلك ، وطُرحت القضيّة في المحاكم التي يسيطر عليها أتباع المذهب الرسمي ، ووصل الأمر الى أن أفتى « مفتي الديار السعودية » الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بهدم المسجد .

هنا شعر الشيعة بأنهم خسروا القضيّة على الأرضيّة الطائفيّة ، فتحرّكوا لإستحصال قرار سياسي بمنع الهدم ، وتشكّل وفد مشترك من شيعة القطيف والأحساء برئاسة الشيخ باقر بو خمسين ـ الذي يشغل حالياً منصب قاضي الأوقاف والمواريث الشيعيّة في الأحساء ـ لملاقاة الملك فيصل .

إشترك في الوفد من الأحساء سبعة ، هم : الشيخ باقر بوخمسين ، من الهفوف ، رئيساً للوفد . والمرحوم عبد المحسن العيسى من قرية العمران الشماليّة ، والسيد جواد السلمان من القارة ، والمرحوم عيسى البشر من المبرز ، والمرحوم محمد عيسى بن الشيخ من الهفوف ، والمرحوم السيد يوسف آل يوسف من الهفوف ، والحاج حسين محمد علي ، من المبرز . واشترك من القطيف : السيد حسن العوامي ، والخطيب رضي الزاير ، والحاج محمد تقي السيف ، وغيرهم .

إتّفق أعضاء الوفد أن يقدّموا كتاباً الى الملك فيصل ، واختاروا في اللحظات الأخيرة السيد جواد السلمان أن يسلّم الكتاب بحضرتهم الى الملك وأن يتحدّث له عن موضوع مبنى المصلّى .

قرأ الملك فيصل الكتاب ، وكان يتضمّن حديثاً عن المذهب الشيعي ، وعن حريّة الشعائر ، الى أن وصل الى خاتمة الكتاب التي تشرح ملابسات موضوع بناء المصلّى .

حين فرغ الملك من قراءته ، إلتفت الى أعضاء الوفد ، وسأل متهكّماً : من أين أتيتم بهذا الدين الخامس ؟ ! .

فردّ أحد الأعضاء : طال عمرك ، إنّه ليس ديناً خامساً ، وإنّما هو مذهبٌ كسائر المذاهب .

ردّ الملك غاضباً : ما عندنا إلاّ مذهب واحد ، والمساجد كلّها تحت أمر الشيخ محمد بن إبراهيم . وأضاف بأنه هو شخصياً الذي أمر بوقف العمل في بناء المصلّى وهدمه ! .

هنا إنبرى المرحوم عيسى البشر متسائلاً عن السبب ، وأضاف بما يمكن أن يفهم منه أن الملك لا يدري كثيراً عن الموضوع ، أو أنه يعلم بجانب واحد منه . قال عيسى البشر : ولكن صاحب الدار أدرى بالذي فيه ! .

إنفعل الملك ـ وكان مشهوراً عنه أنه سريع الغضب ـ وقال : « إخسأ واقطع » ، الشيوخ أبخص .

ردّ البشر مرّة أخرى ، وحاول السيد حسن العوامي إسكاته ونَهَره . ولكن الملك لم يتمالك أعصابه ، فقال سباباً نعفّ عن ذكر الكثير منه ، ونكتفي بالإشارة الى جزء يسير منه . قال : « يا قحبة . إخسأ واقطع .. قوموا ـ وهنا قام فيصل نفسه ـ إطلعوا ، والله لأحرق بيوتكم في نصف الليل » .. ونُقل عن أحد أعضاء الوفد ، أن الملك إنقضّ على البشر يضربه بعقاله الذهبي ، وحين سمع الحرّاس صوت الملك المنفعل ،هجموا في الداخل وطردوا أعضاء الوفد ، وسحبوا عيسى البشر من بين يديه .

عاد أعضاء الوفد الى الفندق الذي يسكنون فيه بالرياض ، ليحزموا حقائبهم عائدين الى منطقتهم ، ولكن رجال المباحث تعقّبوهم الى هناك ، واعتقلوا عيسى البشر ، فعاد الوفد وهو في غاية التأثّر والألم ، وانعكس ذلك على الجمهور العريض الذي كان ينتظر جواباً شافياً من الملك .. ولكن حين علموا بالنتيجة ، تحفّزوا لمواجهة الحكومة بالسلاح .

فبعد أيام قلائل من عودة الوفد ، جاءت الجرافات مساءاً لتهدم المصلّى ، وانتشر الخبر ، فجاء أهل قرى الأحساء في منتصف الليلة التي سبقت صباح الهدم ، ولكن المرحوم الحاج على الطاهر بو خمسين ردّهم خوفاً من وقوع مذبحة .. ولم تتقدّم الجرافات لتؤدّي مهمّتها إلّا بفرقة من الجنود المدججين بالسلاح ، وبعد إستنفار كافّة القوى المسلحة في منطقة الأحساء .

وبقي المرحوم عيسى البشر ثمانية أشهر في سجن المباحث بالرياض ، ولم يطلق سراحه إلّا بمناسبة عيد الفطر المبارك ، وبعد تدخّل من قبل الشخصيّات المحليّة .. ولم تُحل أزمة المصلّى إلّا بعد وفاة الملك فيصل (مارس سنة ١٩٧٥ م) ، حيث أُعيد البناء ، وعلى حساب الحكومة .

وتكرّر الحدث بالنسبة لمسجد بورشيد في الدمام سنة ١٩٨٣ ، حيث إتخذت السلطة قراراً بهدم المسجد ، بناء على فتاوى المؤسسة الدينيّة ، وبحجّة أن المسؤولين لم يستحصلوا على إجازة من البلديّة .. ولم ينفّذ الأمر إلّا بحضور عدد من الجنود ، حيث حوّلت الجرافات بناء المسجد الى موقف سيارات في ساعات قلائل ! .

من المفارقات أن هدم مسجد بورشيد جاء مترافقاً مع أسبوع الحكومة السعودية للعناية بالمساجد ، وبعد أيام كان ولي العهد ـ الأمير عبد الله بن عبد العزيز ـ يجري لقاءاً مع صحيفة السياسة الكويتية (الصادرة يوم الثلاثاء ١٩٨٣/٣/٢٢) ، حيث سألته الصحيفة : سمو الأمير ، وأنت تتحدث عن العدالة الإجتماعيّة ، هناك من قال أن إضطرابات قد حدثت في المنطقة الشرقيّة ، سببها هدم مسجد للشيعة هناك ؟ .

أجاب : « هذا لم يحدث ! ولك أن تذهب الى هناك وتتأكّد . إن هذه الشائعات تدخل في جوّ تلك الحرب النفسيّة التي إعتادت عليها المملكة العربية السعودية . الشيعة كمواطنين سعوديين يحقّ لهم أن يتمتعوا بالعدالة الإجتماعية التي يتمتع بها الجميع » .

هوامش

(١) Saudi Arabia Modernization, The Impact Of Change On Stability. By John A. Shaw & David E. Long, The Center For Stratigic And International Studies, George town University .Washington D.C, 1988, P238

وقدر كتاب غربي عدد الشيعة العاملين في حقول النفط بسبعة آلاف شخص ، أي حوالي ٣٥ ٪ من العمالة النفطية ، وقال أن أكثر من ٢٥ ٪ من عمال النفط كانوا شيعة عام ١٩٧٠ . وهذه ارقام تقديرية لم تصب كبد الحقيقة . انظر :

Shi'ism And Social Protest, P. 237,242

في حين قدرهم ليسي في بداية الثمانينات بأربعين في المائة من مجموع القوى العاملة .

(٢) Shi'ism And Social Protest, P. 237,238

(٣) البترول والسياسة في المملكة العربية السعودية ، توفيق الشيخ ، دار الصفا للنشر والتوزيع ، لندن ١٩٨٨ ، ص ٧٠ .

(٤) النفط وأثرة على الحياة الإقتصادية في المنطقة الشرقية ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٥) توفيق الشيخ ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .

(٦) المصدر السابق ، ٩٢ .

(٧) المصدر السابق ، نقلاً عن كتاب قصّة النفط ، للأستاذ مازن البندك ، ص ٧١ .

(٨) لقاء مع (هـ . س . ص) في الثامن عشر من ذي القعدة ١٤٠٨ هـ .

(٩) Saudi Arabia, It's pepole, It's society, It's culture. By George A. Lipsky, Harf Press, U.S.A 1959, P.25,35,44,70

(١٠) Shi'ism And Social Protest, P. 237

(١١) النفط وأثره على الحياة الإقتصادية ، مصدر سابق ، ص ٦٠ ـ ٦٢ .

(١٢) نهيدين : أوّل قرية من الاكواخ يؤسسها عمال النفط المستقرون بالقرب من منشآت الظهران ، وتقع شمال شرقي الظهران . وقد نقلت القرية الى مكان آخر ، الى حيث تأسست مدينة الثقبة الحالية .

(١٣) لقاء مع (هـ . س . ص) في السابع والعشرين من صفر ١٤٠٩ هـ .

(١٤) النفط وأثره على الحياة الإقتصادية ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .

(١٥) توفيق الشيخ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(١٦) الإصلاح الإجتماعي ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(١٧) لقاء مع (هـ . س . ص) ، في العاشر من ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) النفط وأثره على الحياة الإقتصادية في المنطقة الشرقية ، ص ٦٣ .

(٢٠) جزيرة العرب في القرن العشرين ، وجلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

(٢١) توفيق الشيخ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٧ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .
(٢٣) الرميحي ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٢٤) فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
(٢٥) جمال زكريا قاسم ، الجزء الثاني ،مصدر سابق ، ص ٥١٣ .
(٢٦) أيمن الياسيني ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ . وانظر العقاد ، مصدر سابق ، ص ٣٦٦ .
(٢٧) الوثيقة رقم 7 – ES 1015
من فيلبس ،السفارة البريطانية في جدّة . الى هارولد ماكميلان ، وزير الخارجية البريطانية ـ لندن ، بتاريخ ١٢ مايو ١٩٥٥ .
(٢٨) الوثيقة رقم 4 – ES 1015
من المستر باروز ، المقيم السياسي البريطاني في الخليج ـ البحرين ،الى وزارة الخارجية في لندن ، رقم ٣٢٧ ،وتاريخ ١٣ مايو ١٩٥٥ .
(٢٩) الوثيقة A – 4 – ES1015
برقية من فيلبس بالسفارة البريطانية في جدة بتاريخ ١٦ مايو ١٩٥٥ الى وزارة الخارجية في لندن .
(٣٠) الوثيقة رقم 5 – ES 1015
من بيرنارد باروز ، المقيم السياسي البريطاني في الخليج ـ البحرين ، الى الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية بلندن ، بتاريخ ١٦ مايو ١٩٥٥ .
(٣١) الوثيقة رقم 9 – ES 1015
من هارولد بيلي ، في السفارة البريطاني في جدة الى ل . أ . س ، الدائرة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية ، مرسلة بتاريخ ١٥ يونيو ١٩٥٥ .
(٣٢) الوثيقة رقم ES 1015
من د . س . كاردون ـ الدوحة ، الى سعادة السير بيرنارد باروز ، المقيم السياسي في منطقة الخليج ـ البحرين ، في ٢ نوفمبر ١٩٥٥ .
(٣٣) الوثيقة رقم 16 – ES 1015
من قسم الإستخبارات في السفارة البريطانية ، الى الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية بلندن في ٢٥ يونيو ١٩٥٦ .
(٣٤) الوثيقة رقم 10 – ES 1015
برقيّة سريّة من البحرين الى وزارة الخارجية في لندن ، مؤرخة في الثاني من يونيو ١٩٥٦ .
(٣٥) أيمن الياسيني ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ . وانظر الدكتور صلاح العقاد ، مصدر سابق ، ص ٣٦٧ .
وانظر ايضاً الوثيقة البريطانية رقم 24 – ES 1015
وهي تقرير من دائرة الإستخبارات في السفارة البريطانية في جدة الى الدائرة الشرقية في خارجية لندن ، بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٥٦ .
(٣٦) الوثيقة رقم 13 – ES 1015
تاريخ ١٩ يونيو ١٩٥٦ ، وعنوانها (إعتقالات في المنطقة الشرقيّة) . برقية سريّة من المستر غولت في البحرين الى وزارة الخارجية بلندن .
(٣٧) الوثيقة رقم 17 – ES 1015
من باركس في جدة الى سلوين لويد ، وزير الخارجية بلندن ، في ٢٥ يونيو ١٩٥٦ .
(٣٨) الوثيقة رقم 16 – ES 1015
من قسم الإستخبارات في السفارة البريطانية بجدّة ، الى الدائرة الشرقيّة في وزارة الخارجية بلندن ، مؤرخة في ٢٥ يونيو ١٩٥٦ .
(٣٩) الوثيقة السابقة 13 – ES 1015
(٤٠) الوثيقة 22 – ES 1015

تاريخ ١٩ يونيو ١٩٥٦ .
(٤١) الوثيقة السابقة
(٤٢) الوثيقة السابقة
(٤٣) الوثيقة رقم 21 – ES 1015
من المقيمية البريطانية في البحرين ، الى الدائرة الشرقية في ١٥ يوليو ١٩٥٦ .
(٤٤) إنظر الوثيقة رقم A – 13 – ES 1015
برقية سريّة من المستر غولت في البحرين بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٥٦ الى وزارة الخارجية .
(٤٥) الوثيقة 24 –ES 1015
تقرير مرسل من السفارة البريطانية في جدة الى الدائرة الشرقية في خارجية لندن بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٥٦ .
(٤٦) الوثيقة السابقة
(٤٧) مجلة صوت الطليعة ، العدد الثاني ، مجلة فصلية كان يصدرها البعثيون في السعودية .
(٤٨) فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٤٦٨ .
(٤٩) المصدر السابق ، ص ٤٧٠ ، ومجلة صوت الطليعة العدد الثاني .
(٥٠) قدّر فاسيلييف أن أبناء الملك المؤسس ، وفي عهد الملك سعود ، كانوا يحصلون من بيت المال على عشرة ملايين ريال سنوياً لكل واحد منهم ، إذا كان متزوجاً .. امّا إذا كان اعزباً ، فيحصل على مليوني ريال ، أما سائر الأمراء فكانت مخصصاتهم تتحدّد طبقاً لدرجة قرابتهم من الملك ـ المصدر ص ٤٤٧ ـ .
(٥١) نيويورك تايمز ، ١٩٨٠/١/٣ م .
(٥٢) مايكل فيلد ، مصدر سابق ، ص ٦٣ ـ ٦٩ .
(٥٣) روبرت ليسي ، مصدر سابق .
(٥٤) البرقيّة موقّعة من قبل : عبد الرسول الجشي ، عبد الواحد الخنيزي ، نصر الشيخ علي ، منصور الخنيزي ، أحمد سنبل ، علي حسن علي ، باقر الزاهر ، جعفر الماجد ، جواد الزاير ، عبد العلي آل سيف ، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي ، حسن علي سنان ، محمد سعيد أحمد الجشي ، محمد تقي الشيخ ، زكي الخنيزي ، علي المعلم ، منصور الشماسي ، حسين منصور آل عبد المحسن ، كمال الفارس ، عبد الله علي الزاكي ، عبد الله القطري ، وآخرون .
(٥٥) لم يكن هناك حتى تاريخ الرسالة سوى مستشفى واحداً يقدّم خدمات سيّئة ، وكان عبارة عن مسلخ بشري يفتك بالناس اكثر من أن يعالجهم ، وهو المستشفى المركزي بالدمام .
(٥٦) سبق هذا قيام الأمير ماجد بن عبد العزيز ـ وزير البلديات حينها ـ بجولة مماثلة ، قيل انه خرج منها متأثراً بشكل عميق ، وعلّق على ما رآه بأن : هذه الأحياء لا تصلح للحيوانات سكناً عدا الفئران ! . وقال أحد مرافقي الأمير المحليين بأن الأمير خرج وثيابه البيضاء ملطخة بالأوساخ والقاذورات ، وأضاف بأنه لا يعتقد شخصياً بأن الأمير يتمتع بقابليّة نفسيّة للقيام بجولة اخرى ، سواء في المستقبل القريب او في البعيد ! .
(٥٧) وهم : السيد حسن العوامي ، عبد الواحد الخنيزي ، سلمان الغرياني ، عبد الله محفوظ العوامي ، منصور أحمد الخنيزي ، السيد محسن السيد رضي ، منصور نصر الله ، علي حسن علي المرزوق ، محمد سعيد أحمد الخنيزي ، زكي الخنيزي ، جواد الزاير ، السيد جعفر الماجد ، منصور الشماسي ، محمد سعيد الخنيزي ، عبد الحي محمد صالح ، مهدي بن صالح الحمادي ، باقر الزاهر ، عبد الله بن حجي ، عبد الله أحمد البيات .
(٥٨) يقال تجاوزاً أنها مستشفيات ، ولكنها في واقعها لا تزيد عن مستوصفات ، لا تقوم بعمليات جراحية ، ولا يوجد بها أسرّة للمرضى .
(٥٩) منهم : سلمان الغرياني ، حسن العوامي ، علي عيسى عبد العال ، هاشم السيد سلمان ، جعفر الماجد ، عبد الله رضي الشماسي ، عبد العظيم السعود ، منصور أحمد السنان ، سعيد الجشي ، سيد محمد السيد باقر العوامي ، نصر الشيخ علي ، عبد الكريم الشيخ علي ، سعيد علي العمران ، السيد حسين العوامي .
(٦٠) روبرت ليسي ، مصدر سابق .
(٦١) ROBIN WRIGHT, SACRED RAGE, THE WRATH OF MILITANT ISLAM LONDON 1986.
(٦٢) البيت السعودي ، ديفيد هولدن ورتشارد جونز .

(٦٣) هذا هو حدود الغنى عند الشيعة (مزرعة ومغسلة ومخبز !) ، ومع هذا جرت محاولات كثيرة ولا تزال لتحطيم هذا الرجل ! .

(٦٤) مايكل فيلد ، مصدر سابق ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦٥) (٦٦) (٦٧) Shi'ism And Social Protest, P.238,239,241

(٦٨) تقارير عربية ودولية حول إنتهاكات حقوق الإنسان في دول مجلس التعاون الخليجي ، إصدار لجان الدفاع عن حقوق الإنسان ، ولجان التضامن مع المعتقلين السياسيين في الجزيرة والخليج العربي ، ص ٨٣ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٧٠) ROBIN WRIGHT, SACRED RAGE, THE WRATH OF MILITANT ISLAM,LONDON 1986.

(٧١) إن مفهوم الأمن عند الحكومة السعودية واسع يشمل كل شيء كالإعلام (الذي يتبع حالياً وزير الداخلية) .

(٧٢) (٧٣) Shi'ism And Social Protest, P. 237,238

(٧٤) أرامكو .. النفط والإستعمار ، جعفر الشيخ عبد الله ، دار الجزيرة للنشر ، لندن ١٩٨٦ ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٧٥) المصدر السابق ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٧٦) المصدر السابق ، ص ٨١ ، ١٠١ .

(٧٧) قال أحد الشعراء الشعبيين متظلّماً :

العذر يا حسين بالله اسالك ... ما يقدّر ثورتك من يجهلك
ما يبونا يا بطل في ماتمك ... لاجل ابو كبّوس يبغي يدفنك
يوم عاشر نشتغل ما ارحمك ... يا إله الكون عجّل قائمك
في الكرسمس نمتثل ما نشتغل ... من كبير القوم او حتى الطفل
وبمحرّم اشتغل مثل العجل ... يا حسين الحق هل هذا عدل ؟
العذر يا حسين ما ودّي اشتغل ... بس الامريكان سوووني خذل
بس لازم يوم اصحى من الكرى ... وانقل اخبارك لشعب ما درى
اقول لامريكا توفّي لو ترى ... بارامكو القشرى نسوّي منكرا
ولو يا امريكا ترى عيني ترى ... دمّكم احمر بيجري انهرا

انظر المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ . وأبو كبّوس تعني صاحب القبّعة ، وهي لفظة تطلق على الأميركيين .

(٧٨) المصدر السابق ، ص ٧ ، ص ١٠٣ .

(٧٩) ضمن النظام المتعارف عليه ، أن تقدّم الدولة قطعة أرض لخريجي الجامعات ، خاصة وأن كل الأراضي الرحمانية تمتلكها الدولة ، إلّا أن اكثر خريجي الجامعات من الشيعة لم يحصلوا على شئ .

(٨٠) مايكل فيلد ، مصدر سابق ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٨١) تأسست الثقبة على انقاض قرية النهيدين التي تعرّضت منازلها الخشبيّة وخيامها الى الحريق مرات عديدة ، وخوفاً على المنشآت النفطية قررت ارامكو نقل مساكنها الـ (٢٤٠) الى حيث الثقبة قرب الخبر ، حيث قدّمت لهم الحكومة اراض مجانية ، وتعويضاً عن مساكنهم ، إضافة الى ثلاثين بالمئة كمساعدة . أما الذين لا يملكون مساكن ، فقد أُعطوا اراض مجانيّة بسعر رمزي (نصف قرش للمتر الواحد) .

(٨٢) كان السعف مصادراً من المزارعين ، وكانت هذه الحادثة شهيرة في ذلك العام ، وقيل أن الملك إعتبرها جزءاً من العقاب للأهالي الشيعة لدعمهم شيعة البحرين ضد الدواسر .

(٨٣) النفط وأثره على الحياة الإجتماعية في المنطقة الشرقية ، للدكتور عبد الله السبيعي ، ص ١٤٣ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، ١٦٣ .

(٨٥) المصدر السابق ، ص ١٥٩ . والمفارقة أنه في عام ١٣٥٩ هـ/ ١٩٣٩ م لم يكن في الدمام سوى بيتاً واحداً مبني بالحجر ، حتى أن الملك حينما زار المنطقة لحضور إحتفال بشحن أول كميّة نفط ، لم يجد منزلاً يليق به ، فنصبت أرامكو في مواقع جامعة البترول الحالية (جامعة الملك فهد) ٣٥٠ خيمة بيضاء للملك ومرافقيه . وبعد ١٣ سنة أصبحت الدمام عاصمة المنطقة الشرقية .

(٨٦) Saudi Arabia Modernization, The Impact Of Change On Stability, P98

(٨٧) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٦ اكتوبر ١٩٨٣ ، ص ٢٣٣ . وانظر : الخليج العربي ، دراسة في الجغرافية السياسية ، للدكتور صبري فارس الهيثي ، دار الرشيد ، العراق ١٩٨٢ ، ص ٥٥ .

(٨٨) توفيق الشيخ ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .

(٨٩) مايكل فيلد ، مصدر سابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٩١) رسالة مرفوعة للجهات الحكومية في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٣هـ .

(٩٢) النفط وأثره على الحياة الإجتماعية ، مصدر سابق ، ص ١٧٢ .

(٩٣) رسالة من الوجهاء الى أعضاء اللجنة في الخامس عشر من ربيع الثاني ١٣٩٨هـ .

(٩٤) توفيق الشيخ ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٩٥) بعد تسليم هذه الوثيقة لولي العهد ، أمر بإطلاق سراح مئات من المعتقلين السياسيين قبيل شهر المحرم ، خوفاً من تفجّر الأوضاع من جديد .

(٩٦) التقيّة : ورد ذكرها في القرآن في أكثر من موضع . وهي تجيز للمسلم أن يخفي رأيه وفكره إذا خاف على نفسه . ويتفق جمهور المسلمين على أن هذا فعل جائز ، خاصة في ظروف القهر والكبت السياسي والديني .

(٩٧) وهو صاحب مؤلف الخطوط العريضة . وقد طبع الوهابيون الكتاب مرات عديدة ، إحداها وأولاها على نفقة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

(٩٨) هو إبراهيم الجبهان ،صاحب كتاب : تبديد الظلام وتنبيه النيام في خطر الشيعة والتشيّع على المسلمين والإسلام .

(٩٩) ومؤلفه عبد الله غريب . ويقال ان الإسم منتحل ، وأن الكتاب قد طبع أول ما طبع على نفقة المخابرات العراقية وبتوجيهها . ثم تولّت ماكينة الإعلام الديني والسياسي السعودي الترويج له ، وإعادة طبعه ، وتوزيعه مجاناً .

(١٠٠) وهذه لفتة مقصودة ، هدفها التذكير بأن الشيعة في القطيف هم الذين دعوا الملك عبد العزيز لتسلّم القطيف سلماً ، ومن تلقاء أنفسهم .

٩

الشيعة ومسار العمل الوطني في المملكة

من خلال إستعراضنا للمآسي التي يتعرّض لها أبناء الشيعة في المملكة ، تبدو مقاومة طغيان الطائفيّة أمراً محتّماً وواجباً ومشروعاً ، بل أن الواعين من أبناء الطائفة يرون ، أن لا سبيل أمامهم لتحقيق الحياة الحرّة الكريمة ، إلّا بمقاومة سياسة التمييز الطائفي ، والنظام الذي يرعى تلك السياسة ويعتبرها إحدى أهم أركان مشروعه السياسي .

ويعترف المسؤولون بوجود مشكلة تمثّلها الأقليّة المذهبيّة الشيعية الساخطة على النظام القائم ، ولكنهم لا يقرّون حقّها في الدفاع عن نفسها ، وإعلان مظلوميّتها .

ورغم مضي نحو ثمانية عقود على المشكلة ، ورغم وضوح الآثار السلبيّة لنهج الحكومة الطائفي على مجمل الوضع الأمني والسياسي للمملكة .. إلّا أن سياسية الملوك السعوديين وتعاطيهم معها لم تتغيّر حتى الآن .

لقد كانوا ، ولا يزالون ، ينظرون الى المشكلة بإعتبارها قضيّة مؤجّلة الحلّ ، وأن الزمان كفيل بحلحلتها أو تجاوزها .. وقد ثبت بأن تأجيل الحلّ أو التأخّر عن المبادرة والسعي إليه من قبل المسؤولين ، وضع إعاقات جديدة أمام حلّها ، فأصبحت مناطق تواجد الشيعة بؤراً للقلاقل والإضطرابات ، خاصة في العقود الأربعة الماضية .

أراد الأمراء السعوديون معالجة الظواهر دون الإهتمام بخلفيّاتها التاريخية والإجتماعية والإقتصادية ، فتوجّهت أنظارهم لوضع حلول آنيّة لتلك الظواهر .. وبدا واضحا ـ في السنوات العشر الماضية بشكل خاص ـ أن الحكومة السعودية مصرّة على حلّ مشاكلها مع مواطنيها الشيعة ، باعتبار أنّ قضيتهم قضيّة « أمنيّة » مقطوعة الجذر ، يمكن حلّها بالطرق السريعة ، عبر الإعتقالات والاعدامات والتعذيب ، وممارسة المزيد من التضييق في المجال العقائدي ،

والمزيد من الحرمان في المجال الإقتصادي ، والمزيد من الإبعاد لمجمل أبناء الطائفة الشيعية في المملكة ، عن الواقع الإجتماعي والسياسي لعموم البلاد ، وذلك بإثارة النعرات الطائفيّة ، ليكون بقيّة المواطنين بمنأى عن التأثيرات المعارضة التي يمكن أن تصل إليهم في ظلّ أجواء الإنفتاح والتلاقي .

وبالطبع ، فإنه لم يكن مؤمّلاً لمثل هذه السياسة التي ينتهجها أقطاب النظام ، أن تقضي على الإضطراب ، وأن توصل « القضيّة الشيعيّة » الى حلّ .. ولم تكن المسارات القليلة المتاحة في ظلّ نظام سياسي ومذهبي مغلق ، قادرة على « تبريد » المشكلة ، أو « تجميدها » ، بإشعار المواطنين المكتوين بنيران سياسة التمييز الطائفي ، أن حكومتهم جادّة في حلّ مشاكلهم .

كل ما كان يعني الأمراء ، هو تأجيل حلّ المشكلة ، ومعالجة الإنشقاقات التي تظهر بين الحين والآخر ، بفرق « المباحث » و « الحرس الوطني » .

ولم تدخل القضيّة الشيعية منذ ولادتها ، مسار حلّ واقعيّ مقبول من السلطة السياسية وأجهزتها الأمنيّة .. كان المجال الوحيد المفتوح ـ كما رأينا ـ هو « الشكوى » للمسؤولين دون غيرهم ، من أجل إمتصاص بعض النقمة والإستياء ، ويبدو أن بعض الأمراء قرّروا منذ البداية أن يستمعوا الى الشكاوى ويقرأوا « العرائض » ، على أن يقدّموا الوعود الكاذبة والآمال المخادعة بالحلّ .. حتى أصبح أقرب المقرّبين من الحكومة لا يرجو منها خيراً ، خاصة مع تصاعد حدّة التمييز في السنوات الأربع الماضية(١٩٨٧ ـ ١٩٩١) ، وتكشير المسؤولين المحليين في المنطقة الشرقية ـ الأمير فهد بن سلمان نائب أمير المنطقة الشرقية بشكل خاص ـ عن أنيابهم وتحقيرهم وإذلالهم لأعيان الشيعة ووجهائهم ، بشكل منفّر وصارخ في وقاحته .

وللحق .. فإن عوامل عديدة ساعدت على تكريس معاناة الأقليّة الشيعيّة في المملكة ، لا ترجع كلّها الى النظام السياسي القائم ، وإن كان الأخير يتحمّل الجزء الأعظم من المسؤولية تجاهها ، وهذا دفع بالمواطنين الشيعة لإنتهاج أكثر من وسيلة بحثاً عن مسار يؤدّي في نهايته الى الحل .. كما أن الكثير من الأطرافُ الشيعية الفاعلة ترى أن الحلّ لم يعد مرهوناً بالظروف المحلية فحسب بل وبالظروف الإقليمية والدولية أيضاً .

إنتهج الشيعة ، بعد أن عجزوا عن تحقيق مطالبهم عبر العرائض والبرقيات واللقاءات ، سبيل المعارضة السياسية للنظام .. حيث إرتأت أكثر زعاماتهم أن مشكلة الشيعة مع النظام السعودي ، « جزء » من مشكلة الوطن الكليّة ، تلك المشكلة التي خلقها نظام سياسي متخلّف ، قائم على منهج فكرى ومذهبي أُحادي البُعد ، لا يعتمد على إرادة شعب ، ولا على قانون مكتوب تُحكم البلاد بموجبه ،

ولا يؤمن بإستقلالية القضاء عن السلطة التنفيذية التي يطبق الأمراء عليها كاملة .

إن نظاماً بهذا الواقع المتخلّف ، لا يجحف من وجهة نظر زعماء الشيعة ، حق عامّة الشعب فحسب ، بل ينسحب إجحافه وظلمه ليخصّ طائفة معيّنة بمزيد من القهر والحرمان والتمييز .

من هنا ، إعتبر قطاع واسع من الشيعة أن إصلاح النظام السياسي القائم ، بشكل جزئي أو كلّي ، لا بدّ وأن يصلح أوضاع عامّة الشعب ، ومن ضمنهم الشيعة ، حتى وإن كان الأخيرون الأكثر معاناة بين جميع فئات المجتمع .

ويرى هؤلاء ، أن حقوق الشيعة الخاصة التي يطالبون بها ، كالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، واحترام مذهبهم ، وإتاحة الفرصة لهم لممارسة عباداتهم ، لا يمكن أن تُضمن على المدى الطويل ، إلّا في ظلّ نظام سياسي منفتح على الشعب ، يلتزم بدستور مكتوب موافق عليه من أكثرية الجمهور ، ويحترم خيارات الشعب في إنتخاب ممثليه في مجلس الشورى « البرلمان » ، وفي ظلّ نظام قضائي صالح ، ونظام إداري يخفّف من المركزيّة .

لهذا كلّه ، رأى المواطنون الشيعة أن من واجبهم إصلاح كامل النظام السياسي ، لتنعكس نتيجة ذلك الإصلاح بشكل تلقائي على واقعهم المأساوي في الوقت الحالي .

ويبدو أن مضيّ المواطنين الشيعة وراء هذا الرأي (إنخراطهم في العمل الوطني من أجل إصلاح شامل في الهيكل السياسي للنظام) ، قد وتّر العلاقة بينهم وبين النظام بشكل أكبر . ذلك أن الشيعة أصبحوا تلقائياً رواداً للعمل الوطني ، وأصبحت مناطقهم بؤراً لخلايا العمل السياسي المناهض للحكومة ، وأصبح من الطبيعي أن يبادر المواطنون الشيعة للإلتفاف حول أيّة راية معارضة ، تعبيراً عن آلامهم ومكنوناتهم الداخلية .

من جهتها ، وجدت الحكومة أن مواطنيها الشيعة ، أصبحوا عنصر الإنشقاق « الأساس » في مواجهتها ، ليس على أرضيّة « مذهبيّة » كما كانت تأمل ، بل على أرضيّة التغيير الوطني الشامل الذي يهدف الى تحصيل جميع المواطنين لحقوقهم الأساسية المتجاهلة ، كحقّ المشاركة السياسية ، وحريّة التعبير عن الرأي والفكر .

وجدت السلطة أن المناطق الشيعية أصبحت أرضاً خصبة لكلّ التيارات السياسية والفكريّة المناهضة لها ، خاصة وأن هذه الأرض وبحكم موقعها الجغرافي على تماسّ بمجمل الحركة السياسية والفكرية في العالم العربي ، وتمتاز بمستوى من النضج السياسي لم تصل مناطق المملكة الأخرى الى مستواه ، وقد

إستغربت بنت الشاطىء حين زارت القطيف سنة ١٣٧٣ هـ ، من أن أدباءها يتابعون أخبار مصر الأدبيّة والعلميّة ، وقالت أن القطيف « تستورد البضاعة الأدبيّة من ضفاف النيل ، وتعرف عن سير الفن والحياة بها ، وأعلام الأدب والفكر فيها ، ما يجهله المصريون أنفسهم ، غير قلّة من الدارسين .. كم تألّمت وأنا أُصغي الى حديث أدباء القطيف عن معاركنا النقدية ومذاهبنا الفنيّة .. كم خجلت وأنا أرى في أيديهم كتبنا ومجلاتنا نحن الذين لا نشعر بهم أو نلقي إليهم بالاً . وكم تأثّرت وأنا أسمع الشاعر عبد الرسول الجشّي يعرفنا ببلده الذي هو قطعة من وطننا العربي :

هـذي بلادي وهي مـاض عـامـرٌ مجـداً وآت بـالمشيئـة اعمـرُ »

وقد ساعدت سياسة الحكومة الغارقة في مستنقعات الطائفيّة ـ وكذلك تخلّص السكان من الأطر القبلية ـ على قبول السكان الشيعة للعمل التنظيمي ، بالشكل المتعارف عليه في البلدان الأخرى .

كانت أرامكو والحكومة السعودية تريان أن تمرّد الشيعة قد يتفجّر من الخارج ، ففي الخمسينات والستينات كانت الدعاية الماركسيّة أقلّ إستقطاباً للشيعة من التيار القومي الناصري ، الذي راج سوقه في الوسط الشيعي المثقف .

وأشار باحث غربي الى أنه « لم يكن مفاجئاً أن المثقفين الشيعة والطبقة العاملة فيهم ، بدأوا ينخرطون في إتحادات المتطرفين القوميين السريين منذ عام ١٩٥٠ . إن نشوء الطبقة المتوسطة الشيعية والمثقفين منهم أعطى قوة دفع للشيعة للإحتجاج على ضد التفرقة والإضطهاد . ولذا فإنه في بداية الستينات توجه وفد من الشيعة واحتجّ لدى الملك سعود على ما نشرته مجلة شبه رسميّة في السعودية تشوّه سمعة الشيعة ، وطالبوا الملك بوضع حدّ للإضطهاد والتفرقة الطائفية التي تمارس ضدّهم . وازداد توتّر الشيعة في الستينات مع إزدياد قوة الإتجاه او النزعة العروبية في السعودية ، والذي أدّى الى إنتساب المثقفين الشيعة الى حركة القوميين العرب وحزب البعث ، كما أنخرط آخرون في نشاطات معارضة أخرى .. لقد كبر وازداد شعور الشيعة بخيبة الأمل من أن عائدات النفط الصادرة من أراضيهم ، إستخدمت لتحسين وتطوير كل مناطق السعودية الاّ مناطقهم هم والتي لم تتحسّن إلاّ بشكل ضئيل »[١] .

لم تلقَ أفكار عبد الناصر القوميّة شعبيّة عارمة في المملكة إلاّ في البيئة الشيعية .. ولم يُبنَ تنظيم ناصري ، إلاّ بأيدٍ شيعيّة وفي وسط شيعي بدرجة أساس . وحين زار عبد الناصر مدينة الدمام عام ١٩٥٦ م ، تقاطرت الجماهير بعشرات الألوف لتحيّته ، وللتنديد بالحكم السعودي نفسه .

ولم يكن مدهشاً للحكومة أن تكون قاعدة الظهران العسكرية منطلقاً لمحاولة إنقلاب فاشل ضدّ نظام الحكم ، عام ١٩٦٩ ، وأن تكون الإعتقالات في الوسط الشيعي أكثر من غيرها ، وأن يظهر للملأ بأن القيادات والكوادر التي خططت له ـ وهي بعثيّة التوجّه ـ سواء كانت سنيّة أم شيعيّة ، إنّما كانت في أكثرها تقيم بصورة دائمة في المنطقة الشرقية .

وقسْ على هذا مجمل التنظيمات الأخرى .. فحزب العمل الاشتراكي ، والحزب الشيوعي السعودي ـ الذي خلف جبهة التحرير الوطني ـ كان معظم كوادرهما وقياداتهما من الشيعة . بل أن الشيعة شاركوا في وقت مبكّر في تأسيس جبهة وطنيّة حاول الأمير طلال بن عبد العزيز في بداية الستينات أن يتخذها وسيلة ضاغطة لإصلاح النظام .

والأحزاب الدينية ـ في المناطق الشيعية ـ هي الأخرى حصلت على الكثير من الدعم المادي والبشري من قبل الجمهور ، لم يحصل مثله أي تنظيم سياسي آخر ، وفي مقدمة هذه التنظيمات الدينية « منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية » التي تعتبر التنظيم السياسي الأساس للشيعة .

وفي العمل السياسي ، مارس المواطنون الشيعة كافّة الوسائل النضاليّة ، وكانوا أوّل المتفاعلين مع القضايا العربية ـ خاصة القضيّة الفلسطينيّة ـ ، وتعدّى جهدهم العمل التقليدي الذي كان سائداً كجمع التبرعات ، الى القيام بمظاهرات صاخبة والإضراب عن العمل في مصافي النفط ، مما جعلهم يصطدمون مع الحكومة التي تحرّم مثل هذه الأعمال ، وجهاً لوجه .

إن المظاهرات والإضرابات التي قامت في مناطق الشيعة طيلة العقود الماضية ، لتؤكّد على حقيقة أن المنطقة الشرقية أصبحت بؤرة العمل الوطني لكلّ المملكة .. وهذا ما جعل أقطاب النظام الحاكم ينظرون إليها والى إهلها نظرة خشية وخوف ، من أن تنتقل « عدوى المعارضة » الى المناطق أخرى .

لذا توجّهت أجهزة الأمن الى الشيعة ، وكثّفت حضورها في مناطقهم ، ومارست أقصى ما تملك من وسائل الفتك والقمع ، كما ضيّقت الأجهزة الحكومية على المواطنين في معاشهم وعبادتهم ، وحاولت عزلهم عن بعضهم البعض بإثارة النعرات الطائفيّة .. ولاتزال هذه السياسة قائمة ، ويعبّر عنها الأمراء الكبار بصراحة في لقاءاتهم مع وجهاء الشيعة ، بقولهم إجابة على ما يطلبه المواطنون من حقّ : « لا تعارضوا الحكومة فتنالوا حقوقكم » .. فيردّ الوجهاء بأن الحكومة هي التي دفعت مواطنيها الشيعة الى معارضتها ، بسبب ممارساتها الصريحة والعدائيّة التي تجعل من الشيعي مواطناً من الدرجة الثانية .

وهكذا فإن الحكومة « ملتزمة ! » بالاستمرار في نهجها القديم ، فيما يواصل الشيعة ريادتهم للعمل الوطني المعارض من اجل إصلاح النظام السياسي ، بما ينعكس خيره على عموم المواطنين .

غير انّه يجب الإلتفات الى ما تركه تجاهل حلّ المشكلة الشيعيّة الخاصة من مرارة في النفوس ، واهتزاز في الثقة ، وشرخ في النسيج الوطني ، مما يجعل حلّ المشكلة أكثر صعوبة مع تقادم السنين ، وقد يؤدي اليأس الى تزايد حركات العنف وغيرها .

ففي العقود الأربعة الأولى من حكم الأمراء السعوديين للمنطقة الشرقية ، حاول الشيعة حلّ مشاكلهم مع الحكومة عبر الإتصال المباشر بالمسؤولين ، وكانت مطالبهم بسيطة للغاية ، كإصلاح شارع ، وإنشاء مدرسة ، وتأسيس مستوصف ، وتخفيف حدّة الضرائب التي تطبّق عليهم وحدهم ، وعدم التعرّض لهم في مذهبهم وممارسة شعائرهم الدينية . لكنّ رجال الحكم لم يعيروا هذه المطالب ـ رغم تفاهتها ـ أيّ أهميّة .. وحينها برزت المعارضة السياسية في أوساط الشيعة لتضيف الى المطالب السابقة مطالب أخرى أكثر إحراجاً للنظام ، بحيث خرجوا من المطالب الخاصة الى المطالب العامّة المشتركة لكلّ المواطنين ، دون تجاهل المشكلة الخاصة .. وتطفح منشورات وأدبيّات المعارضة الوطنية السعودية منذ منتصف الخمسينات وحتى الآن بالإشارة الى مسائل التمييز الطائفي ، حتى أصبحت المطالبة بإلغائه بنداً أساسياً في كل إطروحات المعارضة ، أيّاً كان توجهها .

مع بداية الخمسينيات الميلادية ، بدأ عدد من المثقفين الشيعة في القطيف بالعمل السياسي المنظّم ، فأسسّوا جمعية لنشاطهم ، وتحرّكوا تحت إسم (لجنة تشجيع الطلاب) ، برئاسة المرحوم حسن الصالح الجشّي ـ إستتشهد فيما بعد تحت التعذيب ـ ، وبعضوية المرحوم عبد الرؤوف الخنيزي ـ إستشهد هو الآخر تحت التعذيب ـ .. وعدد من الكتاب والشعراء ، واستفادت الجمعيّة من المدرسة الإبتدائيّة الوحيدة في القطيف ، فأسست مدرسة لمكافحة الأميّة ، واقامت الإحتفالات العلميّة والثقافية والتمثيليات ، كما تعاون أعضاء اللجنة مع مدرسة الجبيل التي كان مديرها يومئذ ذا نزعة ثقافيّة تحررية ، ولكن وبعد تسعة أشهر ، تنبّهت السلطة الى الهدف السياسي للجمعيّة ، فداهمت مقرّها وصادرت ممتلكاتها ، وأقفلتها بالشمع الأحمر ووضعت عليها الحراسة ، وزجّت بعدد من قياديها في السجون والمعتقلات ، وقد شارك أغلب أعضائها في معظم الحركات السياسيّة المنظّمة فيما بعد [٢] .

وفي عام ١٩٥٢ أسس عدد من المثقفين في القطيف مكتبة ثقافية مزوّدة بالكتب

والمراجع ، وذلك كغطاء لعمل سياسي معارض للنظام ، ولكن وبعد مرور أربع سنوات اعتقلت السلطة أبرز أعضائها وزجّت بهم في سجن « العبيد » في الأحساء .

وعلى أثر وفاة الملك عبد العزيز ـ مؤسس المملكة ـ عام ١٩٥٣ ، إنتهز المواطنون بشكل عام فرصة ضعف الحكم الجديد ، فشكّل الشيعة في القطيف وفداً من سبعة أشخاص برئاسة المرحوم عبد الله بن حسين النصر ، وعبد الله الجشّي ، وزوّد أعضاء الوفد بعريضة وقّعها ستة عشر ألف مواطن من القطيف ، للتحدث بإسمهم أمام الملك ، وقد قابل الوفد الملك سعود في قصره بجدّة ، وقدّموا له المطالب التي تحويها العريضة . وهي ثلاثة : إنتخاب مجلس شورى من قبل الشعب ، وتحقيق إستقلال القضاء ، وتعميم التعليم .

وعد الملك بدراسة المطالب ، ولكن عند عودة الوفد الى القطيف ، إستدعى أمير المنطقة سعود بن جلوي نحو خمسين من زعماء المنطقة ووجهائها ، بينهم أعضاء الوفد ، وقد قابلهم إبن جلوي شاهراً سيفه ، وهو يقول : « اللي يعود لمثل هذه المطاليب ما له عندنا إلّا السيف » [٣] .

في مناطق أخرى من المملكة ، إنتفض الشيعة في المدينة المنوّرة في منتصف عام ١٩٥٥ م ، ضدّ سياسة التمييز الطائفي والعنصري معاً ، التي أدّت بالحكومة الى حجزهم ضمن أسوار فاصلة ، وحرّمت عليهم الدخول في المدارس ، ومنعتهم من تقلّد الوظائف الرسميّة وألغت شهاداتهم أمام المحاكم . وقد تعاملت الحكومة بقسوة بالغة في إنهاء تذمّرهم ، وجاء وزير الداخلية الأمير عبد الله الفيصل ـ الشاعر المعروف حالياً ـ من جدّة وبرفقته العبيد والجنود ، ليشرف على إنهاء التذمّر وليمارس بنفسه جلد زعماء الشيعة (النخاولة) في الأسواق العامة ، مما أدّى الى وفاة العديد منهم تحت التعذيب ، كما نُفي الجرحى الى جزيرة (فرسان) التي كانت يومها منفىً للمعارضين ، وأمر وزير الداخلية بحرق وتدمير منازل الشيعة التي كانت في أغلبها من جريد النخل ، أو الطين .

وأشار تقرير للسفارة البريطانية في جدّة الى أن عدد القتلى متباين ، فبعض التقارير تقول ثلاثة ، وأخرى تشير الى وفاة تسعة ، أو أحد عشر قتيلاً « وقد رأى مخبري ، شخص إبن ولي العهد الأمير فيصل ، وهو الأمير عبد الله الفيصل وزير الداخلية ، ينهال بالضرب على النخاولة المعتقلين ، الذين يبدو أن الحكومة تنحي باللائمة عليهم ، وتحمّلهم مسؤولية ما جرى . كما أن هناك تقارير متواترة تفيد بأن حوادث الموت في المدينة لم تكن نتيجة الإضطرابات ، ولكن نتيجة الجلد بالسياط الذي وقع فيما بعد » [٤] .

إنتفاضة الشيعة عام ١٩٧٩

ببروز المعارضة السياسية ، إزداد القمع واستمرّ لثلاثة عقود من السنين ، وفي عام ١٩٧٩ حدثت إنعطافة في تاريخ المواطنين الشيعة وعلاقتهم بالسلطة السعودية الحاكمة .. ففي نوفمبر من ذلك العام ـ الأول من محرم ١٤٠٠ هـ ـ قام السلفيّون الوهابيون بإقتحام المسجد الحرام ، فتسلّطت الأضواء على الشيعة بإعتبارهم عنصر الإنشقاق والإضطراب السياسي المعارض لهيمنة الأسرة السعودية المالكة وسياساتها ، وتوقّعوا أن من قام بالعملية هم من العناصر الشيعيّة المتأثّرة بالثورة الإسلامية الإيرانية التي حققت للتو إنتصارها على الشاه ، ففي اليوم الأول لعمليّة إقتحام المسجد الحرام ، قال ناطق بإسم الخارجية الأميركي « إن المجموعة لم تعرف هويّتها وأهدافها ، وقد تكون من المذهب الشيعي » .. وحاول الأمير فهد ـ ولي العهد يومئذ ، والذي كان على رأس وفد المملكة في تونس لحضور إجتماع القمة العربي ـ حاول أن يوحي بأن الشيعة في المملكة هم مصدر المعارضة وحدهم ، وأن المقتحمين للمسجد ليسوا من دعاة المذهب الرسمي ، إذ أن الإعتراف بتلك الحقيقة كان يعني أشياء كثيرة لم يرد ولي العهد أن يدخل نفسه في متاهاتها .

أمر ولي العهد أحد أعضاء الوفد السعودي بأن يصرّح « أن الأذان قد أُدّي على الطريقة الشيعيّة » [٥] ، أي أن الذين قاموا بالعمليّة هم من الشيعة السعوديين الذين لم تكن الحكومة تثق بهم . وقال مصدر سعودي في يوم الحادث (١٩٧٩/١١/٢١) بأن « المسلحين الذين هاجموا البيت الحرام ينتمون الى زمرة خارجة عن الدين الإسلامي ، منشقّة عن الشيعة » [٦] .. واستمر الحال هكذا لبضعة أيام الى أن إعترفت الحكومة السعودية بأن المقتحمين لم يكونوا من الشيعة وإنّما من قبل الوهابيين الذين بنوا كيان المملكة السياسي الحديث . قالت اللوموند « صرحت لنا عدّة شخصيات مقربة من الحكام السعوديين ، أن عمليّة مكة لم تطبخ من قبل أيدٍ أجنبيّة أو من قبل الشيعة ، بل من قبل سعوديين من السنّة ، وأنها كانت موجّهة فعلاً ضد الحكام الوهابيين » [٧] .

كانت التوقعات الغربية تتوقّع أن يقوم الشيعة بعمل ما ، لأنّهم الفئة المسحوقة التي إستردّت أنفاسها ، واستجمعت قواها وشجاعتها بإنتصار الثورة الإيرانية ، ولأنّها الفئة الأكثر تمرّساً في المعارضة السياسية . لم تخب تلك التوقعات ، فبعد مرور ستّة أيّام على حادثة إقتحام الحرم المكي بقيادة جهيمان بن سيف العتيبي ، بدأ المواطنون الشيعة في القطيف أولاً ثم في الأحساء

بمظاهراتهم السياسيّة التي شاركت فيها النساء جنباً الى جنب الرجال ، والمندّدة بسياسة التمييز الطائفي .. فما كان من الحكومة إلا أن أرسلت جنود الحرس الوطني قدّر عددهم بين ١٢ ـ ٢٠ ألف جندي ، لقمع المتظاهرين ، فحدثت صدامات عديدة أُحرقت على أثرها العديد من السيارات ، وشبّ المتظاهرون النار في الإطارات ، وهاجموا البنك السعودي البريطاني في القطيف .

واستخدمت الحكومة في صدامها مع الأهالي الهراوات والغازات المسيّلة للدموع ، والأسلحة الأوتوماتيكية ، وحامت الطائرات المروحيّة وهي تقذف برصاصها المتظاهرين ، فسقط عدد من الشهداء ، بعضهم كان في منازلهم ، في حين أمر ولي العهد ـ الأمير فهد يومئذ ـ بإستخدام مدافع الميدان إن لم يستطع الحرس الوطني وقوات البحرية وعدد من جنود القوات الجويّة السيطرة على الأوضاع . ولاحظ وليم كوانت ـ مستشار الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر لشؤون الأمن القومي ـ لاحظ في كتابه (السعودية في الثمانينات) « أن الحرس الوطني لم يكن متّزناً في إستخدامه للقوّة » .

كانت حصيلة الإنتفاضة نحو خمسة وعشرين قتيلاً من الأهالي ، ونحو عشرة قتلى من الجنود ، كما جرح بالرصاص أكثر من مائة متظاهر ، واعتقلت السلطة ما يقرب من ألف ومائتين من المشاركين في الأحداث [٨] .

لقد عمّقت الإنتفاضة الأخيرة الهوّة بين النظام السعودي وبين المواطنين الشيعة ، إلّا أنّها في نفس الوقت أعطت روحاً ووعياً جديدين للشيعة ، وهيّأت جيلاً شاباً متحمّساً في الدفاع عن نفسه وحقوقه الى أبعد الحدود . لم تعد الحكومة السعودية ـ منذ ذلك الحدث التاريخي ـ ذلك البعبع المخيف للناس ، ولم يكن بمقدورها تجاهل نتائج ضغطها على المواطنين الشيعة ، كما لم يكن بإستطاعتها إخضاعهم بالقهر والعنف .. وقد أثبتت السنوات الماضية أن الإعتقالات والإعدامات في السجون ، لم تفتّ في عضد المواطنين ، بل بقيت المعارضة متجذّرة تغذّيها سياسات الأمراء الخرقاء ، التي حوّلت معظم المواطنين الشيعة الى أعداء لها . ومن نتائج الإنتفاضة أنها أبرزت العديد من القيادات السياسيّة والإجتماعية الشيعية ، التي سيكون لها بلا شك دوراً هاماً في تحديد مستقبل الطائفة الشيعة في المملكة ودورها المستقبلي .

يرى كثير من المحللين أن الحرمان الإقتصادي والإضطهاد العقائدي كانا المفجّر الأساس لإنتفاضة الشيعة الأخيرة ، وأن تجاهل الحكومة المركزيّة لمطالب الشيعة ومعاناتهم ، ولّد إمتعاضاً شديداً كان لا بدّ أن ينفجّر ويلقي بآثاره على الأوضاع الأمنيّة ، حيث عدّت إنتفاضة الشيعة « أخطر معارضة متكرّرة واجهها آل سعود منذ ما قبل عهد النفط » [٩] .

يقول أحد الكتاب الأجانب : « كان الوهابيون يمارسون تمييزاً يومياً مسيئاً تجاه الأقليّة الشيعية ، وهو ما جعل الشيعة يشعرون وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية .. وكان شعور الشيعة بالظلم يزداد وضوحاً وجلاءً كل عام مع بداية شهر محرم . لقد منع آل سعود على الدوام ممارسة هذه الطقوس علناً ، لكن الشيعة قرروا في نوفمبر ١٩٧٩ الخروج الى الشوارع ، إلّا أنهم أخطأوا الحساب بشكل فادح ، فقد إنقضّ الحرس الوطني عليهم بعنف وحشي ، كما أن الأمير أحمد ـ نائب وزير الداخلية ـ طار الى الظهران لوضع برنامج قاس ومتشدّد للإعتقال والإستجواب .. وما أن حلّ شهر ديسمبر ١٩٧٩ إلّا والقطيف يحكمها الحرس الوطني وحواجزه على الطرق ، وامتلأ سجن الهفوف بالمعتقلين ، وعادت المنطقة الشرقية الى هدوئها مرّة أخرى » [١٠] .

ويشير عدد من المحللين الى أن الجيل الشبابي الشيعي هو الذي أشعل إنتفاضة المنطقة الشرقية ، ولهذا دلالته الهامّة ، حيث أن هذا الجيل يشكّل أكثرية الشيعة ، ويتمتع بطموحات كبيرة ، وهو أكثر تعرّضاً للنظر الى التفاوت بين الشيعة وبقيّة المواطنين ، ولذا فهو يشعر بإستياء شديد .. وإن « التمييز الأثني ضد الشيعة تظافر مع الإهمال الحكومي في تقديم الخدمات وتأسيس الإنشاءات في مناطق الشيعة .. وإن زيارة الملك خالد لمناطق الشيعة أواخر ١٩٨٠ ، ورغم إيجابياتها الآنيّة ، إلّا أنها لا يمكن أن تنفي سنوات الإهمال » . إن إتجاه الجيل الشبابي الشيعي هو الذي يحدّد أبعاد المستقبل ، وإذا لم تقم الحكومة بإرضاء هذا الجيل ، فإن إحتمالات العنف كامنة ، ولا يمكن تقديرها [١١] .

جاءت الإنتفاضة بعد عقود من الإحباط ، لتعبّر عن ذلك الإضطهاد بشكل عام وعلني .. لم تكن القلاقل التي شهدتها مناطق الشيعة بسبب التذمّر من عدم إقامتهم إحتفالات عاشوراء ، بل من معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في بلدهم ، ومن التفاوت الإجتماعي والإقتصادي [١٢] .

واعتبر عضيد دويشة أن « مصدر الشؤم الأكبر للنظام الحاكم ، هو الإضطرابات التي وقعت بين السكان ذوي الأغلبية الشيعية في المنطقة الشرقية في شهر نوفمبر ١٩٧٩ » ، وأضاف بأن العنصر الشيعي بين السكان أصبح أكثر قلقاً وإضطراباً ، لأن هذا العنصر بقي متخلّفاً عن بقيّة السكان سياسياً وإقتصادياً ، وهو يرى بأن إزالة المظالم « ستقلّل بالتدريج من أيّ ميل لخلق المشاكل وعدم الإستقرار » . وأشار الى أن احتمالات الإنفجار الشعبي في المستقبل ستواجه كالمعتاد من قبل النظام « بخليط من الإجراءات الإصلاحيّة

والقمعيّة الفاشيّة » [١٣] . في حين لاحظ « وليم كوانت » أن إضطرابات القطيف كانت أكثر إخافة للعائلة المالكة ، وأن سببها معاملة الشيعة واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وانهم يركّزون في نضالهم ـ الذي توقّع له أن يستمر ـ على الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي .

وأشار فاسيلييف الى تململ الشيعة وإنتفاضتهم ضد الحكم السعودي ، وقال انها أخطر من إنتفاضة مكة لأن الشيعة يقطنون أهم منطقة إستراتيجية في البلاد « وهم أكثر وعياً من السنّة المنتفضين في مكة . فالشيعة أصبحوا عمالاً قبل بضعة عقود ، وهم الذين أسّسوا نقابات سريّة وتزعّموا المظاهرات والإضرابات السياسية ، وخاصة تلك المناهضة للأميركيين . وتعرّض الشيعة الى إضطهاد مزدوج بسبب إنتمائهم الى تيّار يعتبره حكّام الرياض زندقة » [١٤] .

باحث غربي آخر تطرّق الى وضع الشيعة والى المنعطف التاريخي الذي سلكوه بإنتفاضتهم عام ١٩٧٩ ، فقال ان شرعية النظام السعودي كانت مهددة من طرف آخر من المملكة حيث بلغ الفوران ذروته في الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧٩ ، في أحداث العنف التي جرت في المنطقة الشرقية . وقال بأن إحتجاجات الشيعة في الأحساء والقطيف البالغ عددهم أكثر من نصف مليون إنسان ، تضاعفت منذ عام ١٩٥٠ ضدّ الظلم وسياسة التفرقة الطائفيّة الممارسة بحقّهم ، وقد شجّع إنتصار الثورة الإيرانية الشيعة على المطالبة بالمساواة .. في حين أن مكمن الخطر على النظام يستمد من كون نسبة كبيرة من العمال في حقول النفط يشغلها الشيعة ، وأن عدد الأخيرين كبير ، ومن نفطهم تستمدّ المملكة ثراءها ، وتالياً فان عدم الهدوء في المنطقة الشرقية يشكل خطراً على النظام الحاكم .

وقال الباحث بأن العلاقات بين السنّة والشيعة في المنطقة الشرقية كما في الكويت والبحرين حسنة ، ولكن بعد قيام حركة الوهابيين الذين يعتبرون الشيعة أسوأ من الكفار ، واجه الشيعة في الأحساء أحكام الإعدام بشكل دائم . « وبقي الشيعة كأقليّة مضطهدة بل محكوم عليها بالفناء ، منذ إستيلاء الملك عبد العزيز على الأحساء عام ١٩١٣ ، وظلّت المؤسسة النجدية ساحبة الثقة من الشيعة ، كما إعتبرتهم ـ رغم إنجازاتهم ـ متخلّفين بل متأخرين عقلياً . إن شهادة الشيعة غير معتبرة في قانون المحاكم السعودية » . ولاحظ مراسل أجنبي زار المنطقة الشرقية عام ١٩٨٠ التفرقة بأبشع صورها ، فقال : « التفرقة والإضطهاد الثقافي هو أبشع أنواع الإضطهاد الذي يواجهه الشيعة . فالأدب الشيعي ممنوع ، والتاريخ الشيعي محظور تعليمه في المدارس المحليّة والجامعات ، ومهنة التعليم التي تعتبر المجال الوحيد المسموح به للنساء مغلقة بوجه الشيعة الذين إستثنوا من كل الخدمات إلا أقلها . كما أنهم ممنوعون من

الخدمة في الجيش وقوى الأمن » [١٥] .

لهذه الأمور يرى الباحث ان الشيعة قاموا بإنتفاضتهم ، «ولا مجال للشك في أن الشيعة سيكونوا أوّل المؤيّدين لأيّة معارضة وطنيّة متطرّفة للنظام السعودي) [١٦] .

إنتهت أحداث محرم ١٤٠٠ هـ ، وفُرض حظر التجوّل ، وأُقيمت حواجز التفتيش في الطرقات ، وطوّقت المنطقة الشرقية بالآلاف من رجال الحرس الوطني .. وبدت الأوضاع تميل الى الهدوء ، وكما كان متوقعاً ، فقد إستخدمت الحكومة أقصى ما لديها من قوّة ، وهل هناك أكثر من إستخدام الجُند والرشاشات الأتوماتيكية للقمع الداخلي ؟ ! . ومع هذا لم تكن الحكومة تطمع بالهدوء المستمر ، لقد تنبّهت بعد فوات الأوان أن الضغط المتزايد قد ولّد الإنفجار . وقبل أن تبدأ الدولة بمشروع إقتصادي لإرضاء السكان ، إندلعت مظاهرات أخرى في منطقة القطيف في فبراير ١٩٨٠ ، رغم الحضور الأمني المتضخّم ، وأعلنت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية مسؤوليتها عن الأحداث . في تلك الأثناء زادت الحكومة من أعداد جنودها ، مما دفع بأحد المسؤولين الأميركيين الى وصف الحضور الأمني في المنطقة بأنه « هائل الحجم » ، بل « وكبير بما يكفي للتعامل مع أيّة تظاهرة أو ظاهرة تمرّد مباشرة » [١٧] .

كانت هناك دلائل كثيرة على أن حركة التمرّد والسخط لم تنته ، وإن لم تبرز بشكل علني واضح ، رغم أن بعض المظاهر توحي بذلك .. فقد صرّح زائر الى المنطقة الشرقيّة بأن الجدران القديمة في مدينة القطيف إمتلأت بالشعارات التي تندّد بالنظام السعودي وتمتدح شهداء الإنتفاضة [١٨] . الأمر الذي زاد من قلق الولايات المتحدة الى حدّ أمرت معه دبلوماسييها في الظهران بأن يجروا مسحاً إستخبارياً للشيعة ، وعندما قرّر هؤلاء أنه ليس هناك من دليل قوي على وجود تهديد للحكم السعودي ، أُمروا بأن يعاودوا البحث مرّة اخرى [١٩] .

وكانت الحكومة السعودية ـ وبالإتفاق مع المخابرات الأميركية ـ قد إستأجرت عدداً من الباحثين الإجتماعيين والسياسيين ـ من أساتذة الجامعات الأميركية ـ ، للقدوم الى القطيف وإجراء بحوث حول أوضاع الشيعة .. وقد قدم هؤلاء فعلاً الى القطيف في بدايات عام ١٩٨٠ م ، واستقرّوا فيها بضعة أسابيع ، وخرجوا بنتيجة مفادها أن الإضطرابات ستتكرّر ، ونصح التقرير الذي قدّمه الباحثون الى الحكومة السعودية ، بأن تعتمد خطّة لإصلاح أوضاع الشيعة الإقتصادية والخدماتيّة ، وأن تخفّف من قبضة القمع لتليين مواقف من أسموهم بـ « المتطرّفين » .

نفّذت الحكومة السعودية سياسة « الجزرة » بعد أن إستخدمت سياسة القمع بتوسّع كبير .. فبعد إنتهاء مظاهرات فبراير ١٩٨٠ بدأت الحكومة بمشروعها ، فزار الأمير أحمد موقع الإضطرابات ، والتقى بعدد من وجهاء الشيعة ، واعترف بأن الشيعة قد أهملوا ، وان مناطقهم لم تنل حظّها من الخدمات والمشاريع ، كما إعترف بأن الشيعة قد تعرّضوا للإساءة في المعاملة ، ووعد أحمد بتغييرات جذريّة وتحسينات إذاً ما تعاون الشيعة مع الحكومة لتحسين أوضاعهم . ولكنه حذّر بأن قبضة الدولة لم تتراخى بعد وستضرب كل العابثين بالأمن بقبضة حديدية [٢٠] .

في مطلع محرم ١٤٠١ هـ ، أطلقت السلطات سراح أكثر من ٨٠٠ معتقل سياسي ، خوفاً من تكرار تجارب محرّم الماضي ، وفي منتصف الشهر زار الملك خالد المنطقة الشرقية ، والتقى بوجهاء الشيعة في القطيف ، وأعلنت وسائل الإعلام بأن الدولة خصصت نحو مليار ريال للمشاريع الخدماتيّة في القطيف تشرف عليها لجنة خاصة برئاسة ولي العهد ـ الملك حالياً ـ . وفعلاً تحسّن وضع الخدمات في المناطق الشيعيّة ، لكن ذلك لم يرض الشيعة بشكل كاف ، أولاً لأنهم دفعوا ثمناً باهظاً (قتلى واعتقالات وجرحى) .. وثانياً ، لإن مطالبهم تطوّرت خلال العقود السابقة ، خاصة وأن المطالب القديمة لم تعد ترض الأكثرية الشيعية ، وثالثاً : لأن تطوّر الخدمات كان جزئياً ، بينما لم تحل الدولة مسألة تعاملها مع الشيعة كمواطنين يتساوون في الحقوق مع غيرهم ، كما لم تقدّم أيّ تنازل لمواطنيها في مجال حريّاتهم الدينية . وإضافة الى هذا كان من المستحيل أن يؤدّي الإصلاح الآني للخدمات في المناطق الشيعيّة ، بعد عقود طويلة من الحرمان والمعاناة ، الى إشعار الشيعة بالرضا ، خاصة وان الحكومة عادت الى نهجها القديم بعد أقلّ من سنة « فسياسة التفرقة الطائفية ضد الشيعة لم تقتلع فكرة أن الدولة مقصّرة بحقهم من أذهانهم ، ولا يزال الشيعة عموماً دون مستوى الوسط في المجالين السياسي والإقتصادي » [٢١] .

من كل ما جرى من أحداث ، إكتشف المواطنون الشيعة مسألة هامّة ، وهي أن حقوقهم لن ينالوها إلّا بالمزيد من العمل المعارض ، وتقديم المزيد من التضحيات ، وكما نالوا بعض حقوقهم بعد إنتفاضتهم الداميّة ، فإن تحصيل الحقوق الأخرى ، ودوام إستمرار النظام في مراعاة حقوقهم المدنيّة ، مرهون بمدى فاعليتهم السياسية ومدى إستعدادهم للتضحية .

★★★

تراجعت الحكومة عن سياسة إرضاء الشيعة ، حين رأت أنها لم تحقّق الكثير ممّا ترجوه ، فتصاعدت حدّة القمع والإعتقالات والتي طالت الآلاف من

المواطنين ، ورداً على تصعيد الحكومة القمعي ، برزت عام ١٩٨٧ تنظيمات عنفيّة في الوسط الشيعي ، لا ترى في المعارضة السياسية السلميّة وترقيع النظام حلاً صحيحاً ، كما لا ترى إمكانيّة تحقيق المطالب الجزئيّة بعد تجربة إستمرت اكثر من ٧٥ عاماً .. ورأت تلك التنظيمات أن الحلّ يكمن في « إزالة » النظام القائم من الوجود ، وبنفس الوسيلة التي يستخدمها في تعزيز وجوده ، وهي العنف والقوّة .. وقد قام أحد تلك التنظيمات بعمليات تفجير صغيرة في مناطق نفطيةعام ١٩٨٧ م ، كانت خسائرها الماديّة ضئيلة للغاية .

وكعادة الحكومة ، التي لا ترى حلاً للمشاكل ، إلّا من خلال « السيف والكرباج » ، فإنها عمدت الى إعدام أربعة من المتهمين في تلك الأعمال ، وقد جرى إعدامهم بشكل علني في مدينة الدمام في الحادي والثلاثين من أكتوبر ١٩٨٨ ، كما إعتقلت عشرات آخرين وجّهت لهم تهمة التحريض ، لايزالون رهن الإعتقال حتى كتابة هذه السطور .

وتلت تلك الإعتقالات إجراءات إنتقاميّة عامّة ضد المواطنين الشيعة شملت مجالات التوظيف الحكومي على مختلف مستوياته ، والتعليم ، والقضاء ، مترافقاً مع حملة إعلامية طائفيّة لم ترَ البلاد مثيلاً لها من قبل . ومنذ ذلك الحين ، يهيمن التوتر الشديد على المناطق الشيعية ، وكأنها تعيش مخاضاً جديداً قد يسفر عنه تصعيد مقابل في حدّة الصراع مع الحكومة .

ورغم أن غزو العراق للكويت ، وموقف الشيعة المعارض له بشدّة ، ساعد على التسامي على الجراح ـ على الأقل من طرف المواطنين الشيعة ـ .. إلّا أن ذلك كان لظرف آنيّ طارىء ولم تحاول السلطة وهي في أقصى حالات إهتزازها وحاجتها الى دعم مواطنيها ، إتباع سياسة « تطييب الخواطر » ، تأكيداً على الوحدة الوطنية في مواجهة الخطر الخارجي .. بل ـ على العكس من ذلك ـ عمدت الى ممارسة الفرز المذهبي ، وفي موضوع حسّاس ، وهو الدفاع عن الوطن ، حيث رفضت قبول الآلاف من المتطوعين الشيعة ، كما رفضت تدريبهم على السلاح للقيام بدورهم ، في وقت كانت فيه القوات الأجنبية من رجال ونساء ، ومن يهود ومسيحيين ، تملأ مناطق النفط بحجّة الدفاع عن أهل البلاد ! .

وحين فرّ العمال الأجانب من مصافي النفط أثناء الأزمة ، بقي الشيعة في مواقعهم .. فكان أن كافأتهم الدولة بأن إستمرت في رفض توظيف أي فرد منهم ، إستناداً إلى القرار الذي إتخذه الملك شخصياً عام ١٩٨٧ م ، ووظّفت الدولة التي كانت بحاجة الى ضخّ المزيد من النفط للتعويض عن النقص في السوق الدولية ، أجانب كثر وبكفاءات أقلّ وإمتيازات أعلى ! .

وإذا إستثنينا سياسة عدم توظيف المواطنين الشيعة في الوظائف الحكومية ـ وهي سياسة تقوم مقام الحرب المسلّحة والعلنيّة ، لا نظنّ أن النظام السعودي نفسه سيجني خيراً منها كما يتوقع هو ـ .. إذا إستثنينا هذا ، فإن سياسة الطرد للموظفين الشيعة من كلّ الأجهزة الحكومية وغيرها ، أو تخفيض رتبهم ومرتباتهم لاتزال قائمة ، وفي شهر مايو ١٩٩١ م ، قامت ارامكو بطرد المئات من الموظفين الشيعة العاملين في حقل أمن المنشآت الصناعية النفطية ، وتمّ تحويل بعضهم الى وظائف أدنى تافهة وبرُتب أقلّ ، ومرتبات لا تصل في كثير من الأحيان الى نصف مرتباتهم السابقة .. وكانت حجّة الحكومة قائمة على أساس أنها تريد تدريب العاملين في أمن المنشآت على السلاح ، وربطهم مباشرة بوزارة الداخلية . ولأنّ الشيعة لا يوثق بهم ، ولا يوظّفون في الأجهزة العسكرية والأمنيّة ، ولا يؤمن أن يكون السلاح بيدهم ، فلهذا كان القرار بطردهم واستبدالهم بغيرهم أمراً طبيعياً ! ! .

لقد عزّزت ممارسات النظام الأخيرة هذه ، القناعة لدى المواطنين الشيعة ، بأن النظام لم يتغيّر ، ولم يتعلّم أيّ درس من الأزمة ، وان أيّ حق ليس وراءه مطالب ، هو حقّ ضائع ، كما أن الأمل بالحكومة ، والثقة بوعودها ، إنّما يعني التشبّث بالسراب والأوهام .

وإذا كانت وعود الملك المتكررة لأربع مرات خلال الأزمة الخليجية الأخيرة ، والقاضية بإنشاء مجلس للشورى ، ووضع دستور ، والإلتزام بنظام للمقاطعات .. إذا كانت هذه الوعود قد أثارت شعوراً بالرضى والأمل لدى عامّة المواطنين ، وإن كان ذلك الشعور محاطاً بالشك والخشية من أن تكون تلك الوعود كاذبة مخادعة كسابقتها .. فإن المواطنين الشيعة ـ بشكل خاص ـ كانوا أقلّ تفاؤلاً بتحقيقها ، مع أنهم يدركون أن تحقّقها سيضع مشكلتهم مع النظام على « سكّة الحل » ، حيث سيتاح لهم ـ وفق أقل التقادير ـ هامشاً من التحرّك بحريّة « للمطالبة » برفع الحيف عنهم .

ومع أن وعود الملك ليس من المؤكد تحققها .

وإذا ما تحققت ، فستكون دون مستوى الطموح .

ومع أن تحقيق تلك الوعود لا يعني بالضرورة إحراز أيّ مكسب يتعلّق بخصوصية الطائفة الشيعية المسحوقة والمهمّشة سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً .

مع هذا .. يبقى الإصلاح السياسي هدفاً للمواطنين الشيعة بإعتباره بوابة إصلاح مشاكل الوطن بأسره . ويبقى هدف تحقيق أيّ إنجاز ـ مهما صغر حجمه ـ مقدراً ويستحق النضال من أجله ، مادام يخدم مصلحة عامّة

المواطنين .

الشيعة والمتغيّرات الإقليميّة

من البديهي القول ان المشكل الشيعي ـ كان وسيبقى ـ مشكلاً داخلياً بدرجة أساس .. ومن البديهي ثانياً أن ينتقل المشكل الى خارج الحدود إذا ما استعصى على الحلّ الداخلي من أجل تشكيل ضغط إقليمي ودولي على النظام لحلحلته بالطرق السويّة .. ومن البديهي ثالثاً ، أن تستفيد العديد من الأنظمة العربية وغيرها ، والتي هي على خلاف مع نظام الحكم في المملكة ، أن تستفيد من المشكل الشيعي ، كثغرة يمكن من خلالها إزعاج النظام .

الحكومة السعودية من جانبها ، إعتبرت إتساع الإضطرابات في المنطقة الشرقيّة ، أمراً يعود الى وجود تأثيرات خارجيّة ، متجاهلة أنّ سياساتها الطائفيّة كانت وراء المشكلة ، ومتجاهلة أيضاً أن المشكلة ليست جديدة ، وأن التأثيرات الخارجية كانت في معظم الأوقات لصالحها .

خلال عقد الثمانينيات الميلادية ، تأزّمت العلاقات السعودية الإيرانيّة بسبب الموقف السعودي من الحرب التي أشعلها صدام ضد ايران ، وقد نال الشيعة في المملكة أذىً كثيراً بسبب تلك الأزمة ،لأن الأمراء السعوديين إعتبروا حربهم ضدّ مواطنيهم الشيعة جزءاً من الحرب الكبرى مع ايران .. وقد أقحمت سياسة الحكومة هذه المشكلة الشيعية في خضم الوضع الإقليمي المتأزّم يومئذٍ ، وشجّعت أطرافاً أجنبيّة ـ وبينها أطراف عربية ـ على الإستفادة من سوء العلاقة تلك .

في مرات عديدة حينما حاول الوجهاء الشيعة إقناع مسؤولي الحكومة بأن جذر المشكلة يكمن في سياستها الطائفية ، يردّ أولئك المسؤولون بأن الشيعة غير موالين لوطنهم ولحكومتهم ، وأنّ الحكومة الإيرانية لم تعامل رعاياها السنّة معاملة حسنة ، « فلماذا تطالبون بتحسين أوضاعكم ؟ ! » .

وقد أُصيب الوجهاء بدهشة كبرى من هذا المنطق الأعوج ، وردّوا بالقول ان القضيّة الشيعية كانت موجودة قبل الثورة في ايران ، بل قبل الشاهنشاهيّة التي جاء بها بهلوي ، ثم ما دخل المواطنين الشيعة في المملكة بسنّة إيران ، سواء عاملتهم حكومتهم هناك بالحسنى أو بالسوء ؟ ! .

إذا كان المواطنون الشيعة في المملكة قد دفعوا ثمناً باهظاً بسبب الخلاف الإيراني / السعودي الذي لا ناقة لهم فيه ولا جمل ، والذي إستمر نحو عشر سنوات عجاف .. فهل تعني المتغيرات الحالية في العلاقات بين الطرفين ،

التخفيف من غلواء السياسة الطائفيّة التي إنتهجتها الحكومة السعودية طيلة تلك السنين ؟ .

يفترض أن تخفّ حدّة النهج الطائفي ، بإنتفاء السبب ـ الذي تعتقد الحكومة السعودية أنه هو الأساس ـ ، غير أنه لا ينتظر أن يؤدّي تحسين العلاقات بين الطرفين الإيراني والسعودي الى حلّ القضيّة الشيعية جذرياً ، لسبب واضح هو أن جذر المشكلة لم يكن يكمن فيها ، وإن إعتقدت الحكومة السعودية ـ في فترة من الفترات ـ بذلك .

وبلا شك فإنّه ينتظر أن تؤدّي التحولات الإقليميّة ، خاصّة تلك التي شهدتها وتشهدها الدول المحيطة بالمملكة كاليمن والأردن والكويت والعراق والى حدّ ما عمان ، أن تؤثّر على أوضاع الشيعة في المملكة ، خاصة إذا تغيّر النظام الحاكم في العراق .. حيث من المعتقد أن تؤدّي التحولات السياسية الى إشتراك الأغلبيّة السكانية الشيعية في العراق ـ ولو كان ذلك في أضيق الحدود ـ ، في الحكم ، بعد أن هُمّشت سياسياً منذ الإحتلال البريطاني للعراق بعيد الحرب العالمية الأولى ، وتسليم الإنجليز الحكم للإقليّة هناك .

وهذا سينعكس إيجابياً على وضع الشيعة في كل المنطقة الخليجية ، لأنّ التركيبة السياسية القائمة في المنطقة تعتمد في حساباتها على الحالة المذهبيّة .

ومن المنطقي جداً أن التحوّل الإقليمي لا يمكن أن يؤثّر على الوضع الشيعي العام في المملكة ، إلّا إذا كان ذلك الوضع قد بلغ مستوىً من التطوّر والنضج ، بحيث يشعر النظام السعودي نفسه أن نقلة نوعيّة ما قد حدثت في الوسط الشيعي ، وأنّه لا بدّ أن يتجاوب مع تلك النقلة إذا ما أراد تحاشي تأثيراتها السلبيّة .

لقد حدثت في العقود الماضية تطورات سياسيّة كبيرة في أوضاع البلدان العربيّة المجاورة ، لكنّ إنعكاساتها على الوضع الداخلي في المملكة بشكل عام ، وعلى الوضع الشيعيّ بشكل خاص ، جدّ قليلة ، حيث لم يشعر النظام الحاكم بحدّة تأثير ذلك التطوّر على الصعيد الشعبي ، مما جعله يتجاوز عقدة الإصلاح بكثير من اللامبالاة .

إنّ تغييرات مهمّة تنتظر الأنظمة السياسية العربية المجاورة ، وما لم يكن الوضع الشعبي في عموم المملكة متفاعلاً مع تلك التطورات ، وما لم تدفع تلك التطورات الى قفزة في العمل في الأوساط الإجتماعية والسياسية الفاعلة .. فإنّ من السهل على النظام أن يستوعب المتغيّرات ، وأن يحتوي تأثيراتها السلبيّة عليه .

الشيعة والتيار السلفي التقليدي

تعتبر المؤسسة الدينية الرسميّة ، والتي يقف على أعلى هرمها الشيخان عبد العزيز بن باز ومحمد صالح العثيمين ـ بعد أن أطيح بآل الشيخ ـ الممثل الشرعي للفكر والتيار السلفي التقليدي . وهي التي تحتكر حقّ الفتيا وتفسير النصوص الدينيّة ، كما أنها مسؤولة عن نشر أفكار المذهب والترويج له والدعوة إليه .

وتخضع أجهزة الدولة لرأي قادة التيار في ما يتعلّق بالمظاهر الدينيّة ، وتلتزم الى حد كبير بفتاوى المؤسسات المستحدثة التي تنظّم عمل المؤسسة الرسميّة ، مثل « اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد » ، و « مجلس هيئة كبار العلماء » ، و « هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، و « الندوة العالميّة للشباب المسلم » .

وتشرف المؤسسة الدينيّة الرسميّة على « الرئاسة العامّة لتعليم البنات » ، حيث ربطت هذه المؤسسة موافقتها على تعليم البنات بإدارة الجهاز التعليمي النسوي ، كما وتشرف المؤسسةالدينية على الجامعتين الإسلاميتين في المدينة المنورة والرياض ،وعلى العديد من المعاهد الدينية ، والمدراس ، ولها نفوذ في وزارة العدل ورابطة العالم الإسلامي .

ومع هذا كلّه ، فقد كان تطوّر المؤسسات الدينيّة مرهوناً بحاجة النظام السياسي للمسوّغ الشرعي . لقد سُمح للعلماء بدور بارز حيث مسّت الحاجة الى تسويغ ديني ، لكن وضعهم كان ثانوياً عندما إلتزموا موقفاً معارضاً ، أو عندما إستعين بمصادر أخرى من التسويغ الشرعي ، ولما قارب إكتمال بناء كيان المملكة « فقد العلماء ما نعموا به من الإستقلال المحدود وغدوا موظفين مدنيّين مأجورين ، وصارت أوضاعهم ومرتباتهم ومهامهم رهناً بأنظمة الدولة وأغراضها » [٢٢] .

لقد تحوّلت الدولة الى سلطة مدنيّة ، وأصبحت قوانينها تنظّم نشاط العلماء . والدولة ـ بحكم تفرّدها بالسلطة والموارد ـ لا تسمح بوجود سلطة دينية مستقلّة تمتلك إمكانيّات منازعتها حقّ الولاء ، بحيث تنافسها في كسب ولاء المواطنين ، ولهذا وسّعت من سلطانها ليشمل القطاع الديني واستعانت بزعماء دينيين أضفوا على سياساتها صفة الشرعيّة . وتحاول الدولة من خلال إلتزامها القشري بالمظاهر الدينيّة تقوية سلطانها ، وهي لا تتردّد في كبح المنظمات والشخصيات الدينيّة إن هي تحدّت أو نافست سلطانها [٢٣] . مثلما فعلت بعائلة آل الشيخ

محمد بن عبد الوهاب ، التي أُقصيت بشكل شبه تام عن قيادة المؤسسة الدينيّة .. والسبب هو أن آل الشيخ طمحوا لمشاركة آل سعود في الحكم ، ففصّلوا التعاليم « الوهابيّة » بحيث يمكنها الإندماج مع العائلة المالكة ، وبهذا أصبحوا رهن رغبات آل سعود ، وحين إستتبّ الأمر للأخيرين ، أقصوا حلفاءهم القدامى عن السياسة والمؤسسة الدينية معاً ، ولم يحصل آل الشيخ إلّا على بعض المناصب الوزارية الفنيّة في الجهاز الحكومي [٢٤] .

مهما يكن من أمر ، فإن المؤسسة الدينيّة التقليديّة ، التي أصبحت نشاطاتها رهناً برغبات الأمراء السعوديين ، إنساقت بدافع موروثاتها الفكريّة ، وبدافع مماشاتها لرغبات النظام السياسي ، في صراع محموم مع الشيعة داخل المملكة وخارجها ، فاعتبرت حربها مع المواطنين الشيعة عملاً من أفضل وأخلص الأعمال التي يُتقرّب الى الله سبحانه وتعالى .

ويلاحظ أنه رغم الموقف المبدئي لرجال المؤسسة الدينية الرسميّة في تكفير من خالفهم المذهب .. إلّا أنه يمكن تلمّس تخفيفاً لحدّة طرحهم حسب الظروف السياسيّة التي تتطلّبها المصلحة السياسية العامّة لحكومة العائلة المالكة .. حيث لا تُطرح مسألة تكفير أو تفسيق سنّة الحجاز ـ مثلاً ـ ، إلّا في أحايين قليلة ، وبدوافع سياسية ، مثلما حدث قبل سنوات قلائل مع الشيخ الدكتور علوي المالكي ، الذي إصطدم مع الحكومة ، فانبرى علماء المؤسسة الدينيّة الى تكفيره ، وظهرت الكتب التشنيعيّة بحقّه .

بالنسبة للموقف من الشيعة هناك آراء متضاربة ، سببها الأساس مجاراة سلك العلماء التقليدي والرسمي لسياسات الدولة التي تشذّ عن قاعدة العداء والخشونة في بعض الأحيان .

في عام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ، أصدر الشيخ عبد العزيز بن باز ، وكان حينها رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فتوى يقول فيها أنه « لا يرى صحّة الصلاة خلف الزيديّة والإماميّة » ، وبرّر ذلك بأن الشيعة يزيدون في الأذان جملة « حيّ على خير العمل » التي يثبت الفقهاء جميعاً أنها جزء من الأذان . والزعم بأن الشيعة يسبّون الصحابة ، وأن « الزيديّة وبقيّة أصناف الشيعة الموجودين اليوم كالإماميّة مغالون في أهل البيت بأنواع من الشرك » الى غير ذلك .. وقد أثارت فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز ضجّة في الأوساط الإسلامية ، على ما فيها من تهجّم وإفتراء ، فتراجع عن بعض ما فيها بفتوى أخرى في ٢٢ / ٩/ ١٣٩٦ هـ ، وبأمر من الحكومة السعودية نفسها . قال الشيخ في الفتوى : « أقول أن هذه الفتوى التي سبق ذكرها قد رجعت عنها بالنسبة الى ما فيها من التعميم والإطلاق لأن الهدف هو الأخذ بالحق والدعوة

إليه ، وأعوذ بالله أن أكفّر مسلماً ، أو أمنع الصلاة خلف مسلم بغير مسوّغ شرعي ، والواجب أن يؤخذ كلّ إنسان بذنبه ، وأن يُحكم عليه بما ظهر من أقواله وأعماله . فكلّ إمام علم منه ما يدلّ على أنه يغلو في أهل البيت أو في غيرهم ، وسواء كان من الزيديّة أو من غيرهم ، وسواء أكان في اليمن أو غير اليمن ، فإنّه لا يُصلّى خلفه ، ومن لم يعرف بذلك من الزيديّة أو غيرهم من المسلمين ، فإنه يصلّى خلفه . والأصل سلامة المسلم ممّا يوجب منع الصلاة خلفه ، كما أن الأصل سلامة المسلم من الحكم عليه بالشرك ، حتى يوجد بأمر واضح ، وبيّنة عادلة ما يدلّ على أنه يفعل الشرك أو يعتقد جوازه . هذا هو الذي أعتقده وأعلنه الآن لإخواننا في اليمن وغيرها ، وقد تقدّم أن الحقّ ضالة المؤمن متى وجده أخذه ، ومعلوم أن العصمة لله ولرسله . وكلّ مفتي وكلّ طالب علم ، قد يقع منه بعض الخطأ أو بعض الإجمال ، ثم وبعد وضوح الحق وظهوره يرجع إليه وفي ذلك شرف وفضل » .

في عام ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ ، حدثت بعض الإثارة بين الطلبة الشيعة والسنّة الجامعيين في الرياض ، بسبب منع الشيعة من الصلاة في مسجد كليّة العمارة والتخطيط ، مما أذى الكثير من المشاعر وأثار الكثير من التساؤلات . وبناء على ما حدث ، بادر أحد الطلبة بالإتصال بالشيخ عبد العزيز بن باز هاتفياً في يوم الثامن من شهر جمادى الثانية ١٤٠٠ هـ ، وسأله عن رأيه فيما حدث فقال : « لا يجوز منع الأخوة الشيعة من الصلاة في المسجد مع السنّة ، بل يشجّعون على ذلك ، مع بذل النصيحة والتوعية والإرشاد العام الى ما قد يُبتدع من أفعال في الصلاة إن وجدت . ومن نقل عنّي ، أو قال بأنّي أُكفّرهم فهو إما كاذب أو مخطئ .. ومع أننا لا نملك الكشف عمّا في قلوب عباد الله ونيّاتهم ، فإننا نقوم بالنصح ونوكل السرائر الى الله تعالى . هذا وتوجد بعض الفرق تعتقد بألوهيّة علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهذه هي الطائفة التي نكفّرها ، ولا نعتقد بأن من عندكم ـ في الجامعة ـ هم من هذه الفئة . ونرجو منكم الحكمة وعدم إثارة الفتنة ، والله أعلم ، والسلام على من إتّبع الهدى » [٢٥] .

كانت الفتوى متأثّرة بالطبع بالأحوال السياسية الداخلية في المملكة ، حيث فرغت الحكومة للتوّ من مواجهة حركة المرحوم جهيمان المتأثرة بالتعصب الفكري ، كما فرغت للتو من إخماد إنتفاضة الشيعة التي سببها الإضطهاد الطائفي . وفوق هذا لاتزال الأوضاع الإقليمية ساخنة ، بعيد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران ، وكانت تأثيراتها تتموّج في المنطقة العربية والإسلامية .. لذا كان النهج السياسي العام للحكومة يأخذ هذه الإعتبارات بالنظر ، فجاءت الفتوى مطابقة للتصورات السياسية للمرحلة .

أما بعد أن دخلت الحكومة السعودية في صراع مكشوف مع إيران بعد أن أشعل صدام الحرب الخليجيّة الأولى ، فقد تغيّرت الفتاوى حسب الأوضاع المستجدة ، كما تغيّرت لهجة الخطاب السياسي والديني والإعلامي ، ليصبّ كلّه في الجدول الطائفي . وإذا كان الشيخ عبد العزيز بن باز ، غفر الله لنا وله ، قد تراجع عن التعميم الذي جعل الشيعة جميعاً من المشركين ، فإنه في السنوات التالية للحرب ، لم يتورّع عن تأييد كل المنشورات والكتب الطائفيّة ، وطباعتها على نفقة الجامعة الإسلامية ، أو على نفقة اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، بل وساهم هو شخصياً في الكثير مما كان يروّج له من مقولات طائفيّة مفتراة .

من الأمثلة التي يمكن الإشارة اليها ، جوابه على سؤال ورده يقول : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة ، وليس من بينها مذهب الشيعة الإماميّة ولا الشيعة الزيديّة ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي ، على إطلاقه ، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلاً ؟ .

أجاب الشيخ ، خلافاً لرأي الأزهر ومشائخه : « .. لا يجوز للمسلم أن يقلّد مذهب الشيعة الإماميّة ولا الشيعة الزيدية ، ولا أشباههم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهميّة وغيرهم » [٢٦] ..

ومن الأمثله ، فتواه الشهيرة في محرم ١٤٠٩ هـ ، بمنع الجزارين الشيعة من ممارسة عملهم ، بإعتبارهم مشركين وكفرة .. وقد أرسلَ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ غفر الله له ـ خطاباً الى وزير الشؤون البلديّة والقرويّة (رقم ٢/١٤٥ ومؤرخ في ١٤٠٩ هـ) حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ ، وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي « وأن لا يُمكّن من ممارسة هذا العمل إلّا من يثبت أنه مسلم صحيح المعتقد ، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها مما يعبد من دون الله ، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانيّة والرافضة وغيرها .. الخ » [٢٧] .

ومن الأمثلة الأكثر وقعاً على النفس ،الحديث الذي أدلى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لمجلّة (المجاهد) التي يصدرها المجاهدون الأفغان .. حيث سأله مجري المقابلة (سلطان عبد المحسن الخميس) : من خلال معرفة سماحتكم بتاريخ الرافضة ، ما هو موقفكم من مبدأ التقريب بين أهل السنّة وبينهم ؟ ! .

أجاب الشيخ : « التقريب بين الرافضة وبين أهل السنّة غير ممكن ، لأن العقيدة مختلفة ، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله

سبحانه وتعالى ، وأنه لا يدعى معه أحد ... والرافضة خلاف ذلك ، فلا يمكن الجمع بينهما ، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وبين أهل السنّة ، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنّة لإختلاف العقيدة التي أوضحناها » ! .

وسُئل الشيخ مرّة أخرى : وهل يمكن التعامل معهم ـ الشيعة ـ لضرب العدو الخارجي كالشيوعية وغيرها ؟ .

أجاب الشيخ : « لا أرى ذلك ممكناً ، بل يجب على أهل السنّة أن يتّحدوا ، وأن يكونوا أمّة واحدة وجسداً واحداً ، وأن يدعوا الرافضة أن يلتزموا بما دلّ عليه كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ من الحق ، فإذا إلتزموا بذلك صاروا إخواننا ، وعلينا أن نتعاون معهم ، أما ما داموا مصرّين على ما هم عليه من بغض الصحابة وسبّ الصحابة إلّا نفراً قليلاً .. وعبادة أهل البيت كعلي رضي الله عنه ، وفاطمة والحسن والحسين ، وإعتقادهم في الأئمة الإثني عشر ... كل هذا من أبطل الباطل ، وكلّ هذا يخالف ما عليه أهل السنّة والجماعة » [٢٨] .

تجدر الإشارة الى أن هذا الحديث موجّه للمجاهدين الأفغان ، الذين يواجهون الحكم الشيوعي ، وبينهم نسبة غير قليلة من الشيعة تصل الى ٣٠ ٪ من السكان تشاركهم في الجهاد .. فافهم لماذا لم يتوفّق المجاهدون حتى الآن في مسعاهم ! [٢٩] .

وعلى هدى الشيخ عبد العزيز بن باز وفتاواه ، سارت الهيئات الدينيّة الرسميّة الأخرى ، ومارست أعمالها ضمن إطار المشروع الطائفي / السياسي للنظام .. فهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القطيف والأحساء أصبح همّها إصدار قرارات التضييق والخناق على المواطنين ، بشأن الإحتفالات الدينية في ذكرى مولد الرسول وذكرى وفاته ﷺ ، ومتابعة نشاط المآتم الحسينيّة الشيعيّة ، وملاحقة المؤذّنين الشيعة ، إضافة الى قرارات الشرطة والأمارات المحليّة [٣٠] .

من الواضح في الوقت الحالي ، ان المؤسسة الدينية الرسمية والهيئات التابعة لها تسير على النهج السلفي المتزمّت القديم ، ولم تغيّر مواقفها من الشيعة ، وكان القرار السياسي الرسمي يساندها في ذلك ، إلّا في حالات جدّ نادرة . من الأمثلة الجديرة بالذكر كشاهد على دعم الحكومة للنزعات الطائفيّة التي تمارسها المؤسسة الدينيّة التقليديّة .

وفي الحقيقة فإن من الصعوبة بمكان تغيير موقف المؤسسة الرسميّة التقليدية ، لأنّها لم تتنازل عن أمور تافهة ، بل ومخالفة للعلم ، فكيف بها تعترف بالشيعة والتشيّع ؟ .

كمثال على ذلك موقف الشيخ من القائلين بدوران الأرض ، حيث شكك في إسلامهم وقال بأنهم جهلة وبهائم وأقرب الى الكفر .

كان الشيخ إبن باز مديراً للجامعة الإسلاميّة ، حين ألّف كتابه « الأدلّة النقليّة والحسيّة على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود الى الكواكب » ، قال فيه : « .. فلم يزل الناس مسلمهم وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة وغاربة ، ويشاهدون الأرض قارّة ثابتة ، ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جهته لم يتغيّر من ذلك شئ . ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون ، لكانت البلاد والجبال والأشجار والأنهار والبحار لا قرار لها . ولشاهد الناس البلاد المغربية في المشرق ، والمشرقيّة في المغرب ، ولتغيّرت القبلة على الناس حتى لا يقرّ لها قرار . وبالجملة فهذا القول فاسد من وجوه كثيرة يطول تعدادها » [٣١] .

وأضاف : « ثم هذا القول مخالف للواقع المشاهد المحسوس ، فالناس يشاهدون الجبال في محلّها تسير ، فهذا جبل النور في مكة في محلّه ، وهذا جبل أبي قبيس في محلّه ، وهذا أُحُد في المدينة في محلّه ، وهكذا جبال الدنيا كلّها في محلّها . وكل من تصوّر هذا القول يعرف بطلانه ، وفساد قول صاحبه ، وأنه بعيد عن إستعمال عقله وفكره ، وقد أعطى القياد لغيره كبهيمة الأنعام ، فنعوذ بالله من القول عليه بغير علم ، ونعوذ بالله من التقليد الأعمى الذي يردي من إعتنقه ، وينقله من ميّزة العقلاء الى خلق البهيمة العجماء » [٣٢] ! .

وشكّك الشيخ إبن باز في (إسلام) من يقول بكرويّة الأرض ، وهذا ما دعا الشيخ محمد محمود الصوّاف ، وهو عالم عراقي مقيم في في المملكة ، الى الكتابة إليه سائلاً إيّاه التخفيف من حدّة الحكم ، خاصة وأن رأيه يخالف العلم . قال له : « من هنا يا أخي إنطلقت الضجّة حتى أحدثت لها عجاجة في الأفق العلمي ، ما كان أغنانا عنها ، خاصة وقد صدمت الفتوى الملايين من شباب ورجال يدينون بالإسلام في هذا العصر ، والذين أضحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت من المسلمات العلميّة التي لا يجادل فيها اثنان . فكيف تنفيها نفياً قاطعاً ، ويكفر من قال بها ، ويُحكم عليه بالردّة ويستباح دمه وماله ؟ !) [٣٣] .

وقد خصّص الشيخ عبد العزيز بن باز الفصل الثاني من كتابه للردّ على الشيخ الصوّاف .. ومن جملة ما ردّ به « القول بأن الشمس ثابتة لا جارية كفر وضلال .. وبيّنت أني لم أُكفّر في المقال السابق من قال بدوران الأرض ، بل قلتُ إن في كفره نظر » [٣٤] ! . وهذا تعطّف من سماحته وتراجع . غير أن المدهش في كل هذا أن كليّات العلوم في الجامعات السعودية ، تعيش الى الوقت الحاضر صراعاً بين بعض الطلبة المتطرّفين وأساتذتهم حول مسألة دوران الأرض ، والأكثر غرابة أن فتاوى الشيخ إبن باز تُعاد طباعتها وتوزّع ، وهو لا يزال يرى

نفس الرأي .

إذا كان الفكر السلفي التقليدي المُنغلق ، لم (يهضم) حتى الآن مسألة تافهة أثبتها وأكّدها العلم ، فكيف يمكن لهذا الفكر أن يتقبّل ويستوعب آراء الشيعة ويعترف بأنهم مسلمون ، لهم من الحقوق ما لغيرهم ، وعليهم من الواجبات ما على سواهم من المواطنين ؟ .

الشيعة والتيار السلفي التجديدي

بعد الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ م ، سُلّط الضوء على القوى الدينيّة السلفيّة في المملكة ، نظراً لدخولها ـ أو بعض فصائلها الفاعلة على الأقل ـ الصراع السياسي مع الحكومة ، منذ أن إستقدم الملك فهد قوات التحالف الأجنبي لمحاربة الرئيس العراقي . وقد فاجأت هذه القوى الحكومة السعودية والمراقبين الأجانب بمواقف سياسيّة غير متوقعّة .

لقد قيل أن تياراً سلفياً قد إنشقّ سياسياً ـ وليس فكرياً ـ عن المؤسسة الرسميّة ، وقد أطلّ بعض رموز هذا التيار إبان أزمة الغزو برؤوسهم ، مثل الدكتور سفر الحوالي ، والدكتور ناصر العمر ، والشيخ فهد سليمان العودة ، والشيخ عبد الله الجلالي ، وغيرهم .

ويمكن أن يوصف هذا التيار الذي يتخذ من نجد منطلقاً لنشاطاته ، بشيء من التنوّر والإستقلاليّة السياسية عن مواقف الحكومة ، ولكنه قليل الخبرة بالعمل السياسي المنظّم . وينحو هذا التيار منحى المعارضة لسياسات الدولة . ورغم أنه لا يدعو علانية الى إسقاط نظام الحكم ، إلّا أن عدداً من أنصاره لا يخفون يأسهم من إصلاح وضع البلاد السياسي والإجتماعي والإقتصادي على النحو الذي يفهمونه ، بما يترك لدى الطرف الآخر شعوراً بأنّهم يتبنّون إسقاط النظام والحلول محلّه ، إذا ما أُتيحت لهم فرصة القيام بذلك .

وتقول مصادر الحكومة أن أنصار هذا التيار متغلغلون في مؤسسات الدولة العليا ، بما في ذلك المؤسسة العسكرية ، وتتهمهم بأنهم إستفادوا من دعوة الملك للمواطنين للتطوّع بأن زجّوا بالعديد من الطاقات البشريّة للإستفادة من تلك الفرصة للتدرّب على السلاح ، كما تشير تلك المصادر الى ان العديد من أنصار التيار السلفي الجديد إلتحقوا بمعسكرات تدريب يشرف عليها المجاهدون الأفغان ، إتخذت من محاربة الشيوعية والنظام اليساري الحاكم في كابل غطاء لهدفها الأساس وهو إسقاط النظام السعودي .

ومن الواضح أن للتيار السلفي الجديد قدرة كبيرة على حشد الجماهير

وتعبئتها إنطلاقاً من المساجد التي يسيطر عليها ، كما أنّ قادته يتمتعون بحماية المؤسسة الدينية التقليدية الرسميّة ، التي ترى أن بإمكانها حصد بعض التنازلات من الحكومة التي يوفّرها تشدّد المنشقّين . وقد سهّلت هذه الحماية ـ إضافة الى السيطرة على الجامعات الدينية واحتكار حق الفتيا ـ حركة ونشاط القياديين السلفيين بحريّة دونما خوف من بطش العائلة المالكة .. خاصة وأن الأخيرة ترى أن صدامها مع التيار السلفي سيفقدها القاعدة الدينية التي تستند عليها شرعيتها في الحكم . وهناك تحرّك من قبل الأمراء الحاكمين للبحث عن بديل أو مساند للشرعيّة الدينية التي يقوم عليها النظام .

من جهة أخرى تخشى المؤسسة الدينية الرسمية أن تفقد رصيدها في الشارع إن هي لم تدافع عن تلاميذها الذين لا يختلفون معها في المنطلقات الفكرية ، وإنما في الموقف السياسي تجاه الحكومة .

سبق ظهور هذا التيار السلفي الجديد ، بروز تيار ديني متنوّر وواسع في الأوساط الشيعيّة ، حيث تقود هذا التيار « منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربيّة » والتي قادت نضال الشيعة منذ منتصف السبعينيات الميلادية وحتى الوقت الحاضر ، وذلك لتحقيق أهداف يتفق عليها جمهور الشيعة ، وهي : إلغاء سياسة التمييز الطائفي ، وإعطاء الشيعة حقوقهم المدنية والعقائدية .

ومع أن المنظمة المذكورة تنشط في الوسط الشيعي ، إلّا أنها تقدّم نفسها كقوّة وطنيّة ، وتدعو الى أهداف عامّة (إصلاح النظام السياسي بوضع دستور للبلاد وإنشاء مجلس للشورى وإرساء الحكم اللامركزي ، وإحترام التعددية الفكرية والسياسية ، وتقنين القضاء وضمان نزاهته) .

وتعتبر المنظمة أقوى « تنظيم سياسي » في المملكة ، مع أن عدداً من المحللين يعتبرها الجناح السياسي للطائفة الشيعيّة في المملكة فحسب . وفي حين تتمتع المنظمة بشعبيّة وتعاطف كبيرين في الأوساط الشيعية ، وتضم نخبة من المثقفين والواعين ، بمن فيهم عدد غير قليل من رجال الدين .. ورغم أنها تقدّم نفسها كقوة وطنيّة .. إلّا أنّها أخفقت ـ على ما يبدو ـ في إستقطاب أفراد يعتدّ بهم من أتباع المذهب السلفي . ويفسر أنصار منظمة الثورة الإسلامية سبب الإخفاق بأنه يعود الى وقوف الحاجز المذهبي كعقبة أمام مجمل العمل الوطني في المملكة ، خاصة في عقد الثمانينيات الذي طغت خلاله روائح الصراع المذهبي / السياسي في كل المنطقة العربية والإسلامية .

ومع هذا فإن المتصدّين لقيادة المنظمة ، يعتقدون بأن هناك إمكانية الوصول الى إجماع وطني بشأن القضايا المصيريّة ، وقد إستطاعت المنظمة أن تكوّن شبكة علاقات واسعة مع العديد من القوى والشخصيات الوطنية داخل المملكة

وفي منطقة الخليج ، كما أن لها علاقات حسنة مع الكثير من التنظيمات الإسلامية في الوطن العربي .

واستطاعت منظمة الثورة الإسلامية من خلال عملها الإعلامي المتمثّل في إصدار المجلات والكتب والنشرات العديدة ، ومن خلال عملها السياسي وعلاقات أفرادها بالمؤسسات الصحافيّة العالمية ، وكذلك من خلال عملها في الميدان الحقوقي الذي يستهدف الدفاع عن المعتقلين السياسيين ـ والذين كانوا في الغالب من أتباعها وأنصارها ـ .. إستطاعت أن تحدث تحولاً غير قليل في الرأي العام المحلّي والعربي ، والى حدّ ما العالمي ، تجاه ممارسات الحكم السعودي المستبدة ، الى حد يمكن معه القول ، أن معظم الكتب التي تناولت موضوع المملكة خلال الإثني عشر عاماً الماضية ، أشارت بصورة أو بأخرى الى تلك الجهود .

والسؤال : كيف ينظر التياران السلفي والشيعي الى بعضهما البعض ؟ ! .

يرى التيار الشيعي المسيّس ،أن التيار الديني ، سواء كان سلفياً أو غيره أقرب إليه من أي تيار سياسي آخر .. هذا على الأقل من الناحية النظرية . وقد إتخذ التيار الشيعي مواقف سياسيّة مؤيّدة ومدافعة عن كل التيارات السياسيّة السلفيّة التي ظهرت في العقود الماضية ، إبتداءاً بحركة الإخوان ، ومروراً بجماعة المرحوم جهيمان العتيبي ، الذي كان يدعو الى التضييق على الشيعة في المملكة ، وصولاً الى التيار السلفي الجديد ، الذي حظيت نشاطاته بتأييد سياسي وتغطية واسعة من قبل التيار الشيعي .

ومع الإختلاف بين التيارين حول أمور مهمّة مثل : الحريات العامة الفكرية والسياسية ، حيث يرى الشيعة ضرورة إتاحة الفرصة لكلّ من يريد ان يعبّر عن رأي أو فكر أو نقد ، بعكس ما يراه التيار السلفي . ومثل الإختلاف في وسائل التغيير ، حيث يرى الشيعة أن الدعوة السلميّة المعتمدة على الحجّة والإقناع ، بعيداً عن التعصّب وإستخدام القذف والتكفير والشتم ، هي الأصلح في تغيير قناعات أفرد المجتمع بمن فيهم القوى الفاعلة المخالفة .

مع هذا الإختلاف ، فإن التيار السياسي الشيعي ، يرى أن هناك قاعدة عريضة من الأمور الإتفاقية بين مجمل القوى الفاعلة في المجتمع يمكن على أساسها إرساء عمل مشترك ، إذا ما توافر الإحترام المتبادل لخصوصيّة كل طرف ومتبنياته السياسية والفكرية ، ووجهات نظره في مسائل الإصلاح .

ويقول أنصار التيار الشيعي في المملكة ، أن التيار السلفي الجديد ، لا يزال ضيّق الأفق ، شديد التعصّب والحديّة ، وأنه يدّعي إحتكار كامل الحق ، ويرى وجوب تطبيق آرائه على المخالفين شاؤوا أم أبوا .

ويتهم هؤلاء التيار السلفي بأنه منغمس في المسائل الطائفيّة ، ليس فقط من الناحية النظرية والفكرية ، وإنما يدعو الى الفرز الطائفي بشكل علني وعملي ، فضلاً عن أن بعض أتباعه يدعون بشكل صريح ، ليس فقط الى تكفير المواطنين الشيعية ، بل الى وجوب قتلهم أو نفيهم من الأرض ، إذا لم يُرغموا على القبول برأيهم ومذهبهم .

ولا يخفي قادة التيار السلفي ولا حتى قاعدته مواقفهم شديدة العنف هذه .. بل وُجد بينهم من يشنّع على الحكومة انّها لم تقم بـ « أسلمة » المواطنين الشيعة ، وأنها لم تخيّرهم بين النفي عن الوطن وبين قبول الحق وهو مذهبهم .

من هنا ، فإن مسألة إلتقاء التيارين الشيعي والسلفي الجديد ليس وارداً في ذهن قادة التيار السلفي ، على الأقل في الوقت الحاضر ، وإن كان هناك من بدأ بتغيير رأيه حول موضوع الشيعة في المملكة برمته منذ صدمة الغزو العراقي للكويت .

ويلاحظ أن التيار الشيعي الذي كان ولايزال يأمل بظهور تيار سلفي متنوّر حقاً ، لا يقع في المطبّات الطائفيّة التي وقع فيها التقليديون ، بحيث يستوعب الهمّ الوطني العام ، بعيداً عن الحساسيات الطائفية أو المناطقية .. هذا التيار بدأ يشعر بأن العقدة الطائفيّة تحتاج الى زمن غير قصير ريثما تحلّ ، على الأقل في أذهان قادة التيار السلفي القدامى والجدد على حدّ سواء .

والمدهش ، أن التيار الجديد الذي يوصف بـ « التنوّر » هو في معظم الأحيان أكثر طائفيّة من التيار التقليدي الخاضع للحكومة ومؤشّرها السياسي ! ، فهذا المرحوم جهيمان ،خريج المدرسة السلفية ، والذي إقتحم الحرم المكي الشريف ، يبدي مواقفه المتشدّدة ضدّ الشيعة فيقول في معرض حديثه عن الحكومة بأنها : « والت وصالحت النصارى ، وأوت المشركين من الشيعة والروافض » .

ويصل الى خلاصة رأيه في حكام الدول الإسلامية ، ثم يخصّص آل سعود بالهجوم فيقول : « إنهم ليس لهم على المسلمين بيعة ، ولا تجب عليهم لهم طاعة ، ومع ذلك لا يلزم من هذا كله تكفيرهم ، بل من أظهر منهم الإسلام حكمنا له به حتى تثبت ردّته عنه ، فنحكم عليه بالكفر ، مع إعتقادنا أن بقاءهم اليوم هدم لدين الله عز وجل ، حتى لو كانوا يدعون الى الإسلام ، نسأل الله أن يريحنا منهم أجمعين .. ـ الى ان يقول ـ وامتازت دولتنا بقسط وافر من هذا التلبيس ، منها ومن علمائها ، والتي تسمي نفسها اليوم بدولة التوحيد ، وإنّما وحّدت بين صفوف المسلمين والنصارى والمشركين ، وأقرّت كلاً على دينه كالروافض ، وحاربت من خالف ذلك ، وقاتلت من قاتل المشركين الذين يدعون علياً والحسين ، وقد حاربت كذلك عبادة القبور والقباب ، ولكنها أرست قواعد عبادة

الريال » (انظر رسالة الأمارة والبيعة والطاعة) .

ومع ان جهيمان يعتبر مسألة التكفير خطيرة ، وأن أكثر من يخوض فيها ممن لا حظّ لهم من العلم والتجرّد .. إلاّ أنّه يقول في رسالة (بيان الشرك وخطره) أنه من لم يكفّر الشيعة ، فهو كافر مشرك ، ويضيف قائلاً : « ونريد أن نقف هنا قليلاً ونتسائل : لماذا لا يُكفّر ـ اليوم ـ من يدعو علياً وفاطمة رضي الله عنهما ، وكذلك من يدعو الرسول ﷺ من دون الله ؟ .. ولماذا تُرك العمل بقوله تعالى : ﴿ إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ ، بل نرى المشركين الشيعة وأمثالهم يملؤون مكة والمدينة ويجاهرون بشركهم ؟ ! .. ثم نتساءل : هل وجد في دين الإسلام من يأخذ الزكاة من الروافض ، ويعطيهم الإعانات ، ويعتبرهم من رعاياه ، كما يعامل اليوم رافضة الجنوب ـ جنوب المملكة ـ والأحساء » .

إن هذا النصّ غنيّ بالدلالة ، حيث يجب ـ من وجهة نظر المرحوم جهيمان ، والذي قتله آل سعود بتهمة الكفر والخروج عن الدين ! ـ أن يُمنع الشيعة من الحج ، وأن لا يؤخذ منهم زكاة ، وأن لا يعتبروا رعايا حكومة ترفع شعار الإسلام ، ويكون ذلك بطردهم بعد أن يعلن كفرهم على الملأ ، كما طالب الإخوان الأوائل .. إن طائفيّة المتنورين شديدة ، بل أن مثل هذه المطالب التي يطالب بها جهيمان ، تتخذها الحكومة حجّة في المضي في ممارساتها الطائفية .

ومع هذا ، فإن من دافع عن جهيمان ونشر مواقفه وقضيته هو وأتباعه ، هم الشيعة في المملكة .. حيث أصدرالتيار الشيعي المسيّس ثلاثة كتب عن واقعة الحرم باللغة العربية ، ورابع باللغة الإنجليزيّة .. حتى أن الباحث الأميركي ، جوزيف كشيشيان ، إستغرب من هذه المفارقة .

وحتى التيار السلفي الجديد الذي برز على سطح الأحداث بعد الغزو العراقي للكويت ، يدعو الى الطائفيّة بصورة صارخة ، فالذين حاضروا أثناء أزمة الخليج وانتشرت أشرطتهم في ربوع المملكة وخارجها ، كانوا صريحين في مواقفهم الطائفيّة ضد شيعة المملكة بوجه خاص ، ويعتبرون موقفهم هذا موقفاً مبدئياً لا تنازل عنه ولا تراجع .

فالشيخ فهد سلمان العودة ، إعتبر في محاضرته المعنونة « أسباب سقوط الدول » المذهب الشيعي : مذهباً باطنياً خبيثاً ، وقال أن اليهود والنصارى كان لهم دور في نشوء الفرق « الرافضيّة والخوارج » .

وفي محاضرة أخرى ، ألقى الشيخ فهد قائمة أمور تنديد بالدولة ، وكان أغلبها يتعلّق بمسيرة النساء اللاتي تظاهرن في أواخر ١٩٩٠ م ، مطالبات بالسماح لهنّ بسواقة السيارة .. وكان من بين ما ندّد به ، أن « رافضيّة ! » من

القطيف تشغل منصباً إدارياً وسطياً في إحدى الكليّات بالدمام ! .

وفي كتابه الذي صدر في المملكة قبل وقوع الغزو العراقي بشهرين ـ أي في يونيو ١٩٩٠ ـ ، والذي حمل عنوان : « في حوار هادىء مع محمد الغزالي » ، وهو يحوي مناقشة لكتابات الشيخ محمد الغزالي ، وبالخصوص كتابه : « السنّة النبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث » والذي هاجم فيه الغزالي السلفيين ونهج تفكيرهم .. إعترض العودة في كتابه هذا على موقف الشيخ الغزالي من الشيعة ، وانتقد دعوته لوحدة المسلمين القائمة على أن الشيعة لا يفترقون عن الجمهور في إعتماد الأصول . وراح الشيخ العودة يشنّع بحديث الوحدة ، لأنّ « الذين قتلوا عمر هم المجوس ، وأحفادهم لقوا من الشيخ الغزالي حفاوة . إنّهم هؤلاء الرافضة الذين يقول الشيخ إنّه لا خلاف بيننا وبينهم لا في الأصول ولا في الفروع » .

أما الدكتور سفر الحوالي ، فمحاضراته لم تخل أيضاً من اللحن الطائفي . وفي رسالته المطوّلة التي زادت على ١٣٥ صفحة ، والتي أرسلها الى الشيخ عبد العزيز بن باز ، والتي يشرح فيها موقفه وتحليله السياسي والديني من أزمة غزو الكويت .. نعت الحوالي الشيعة في المملكة وغيرها بـ « الرافضة » في كل مواقع الرسالة . وكان من بين ما كتبه من تحليل طائفي : « كان طبيعياً أن تقوم دول الخليج بمساندة العراق ، لأسباب كثيرة منها تهديدات قادة الثورة الرافضيّة .. ومنها الدوافع القومية والوطنيّة ، ومنها تشجيع الولايات المتحدة خاصة لذلك ، والتخوّف من قيام تحالف إيراني سوري يشمل رافضة لبنان ومنظمة التحرير ، مما قد يشكّل خطراً ولو جزئيّاً على إسرائيل أيضاً » .

والشيعة في المملكة بنظره « موالون للخميني » ، موحياً بأنه لا ولاء لهم لوطنهم وأرضهم .. وبرّر سكوت رجال المؤسسة الدينيّة الرسميّة في المملكة عن جرائم صدّام ـ بحقّ السلفيين في العراق وحدهم ! ـ بأننا « سكتنا متأوّلين أن قيام صدام في وجه الطاغوت الرافضي الخميني ، يجعل هذه المساعدات الهائلة داخلة ضمن مصلحة الإسلام العامّة » .

وتحدّث الدكتور الحوالي بعقليّة الطائفي المأخوذ ، في تحليله لمستقبل النظام الدولي الجديد الذي بشّرت به أميركا بعد الحرب ، فأبدى إنزعاجه من أن يحلّ تحالف شيعي بعد إنتهاء صدام ، ويضم « إيران وسوريا والعراق ، والذي سيصبح دولة شيعيّة خاصّة بعد فصل الأكراد ، ثم بقيّة المناطق الخليجيّة كالبحرين والأمارات وشرق السعودية ـ والوجو الشيعي واضح فيها ـ ، ولا ننسى أن كثيراً من الناطقين بالعربيّة في جنوب تركيّة من النصيريّة أيضاً ، أما باكستان فكثير من قادة جيشها الكبار شيعة ، ومعهم إخوانهم من القاديانية

والبريلوية » ! .

ويضيف : « إنها مصيبة عظمى لو أصبح هذا القوس الكبير قوساً رافضياً يهودياً توجهه الصليبيّة الغربية المتحالفة ، وهنا يجب على علمائنا الكرام التنبيه الى الخطر الرافضي القادم ، وبيان فداحة الخطأ الذي تقع فيه عندما تؤيّد المعارضة العراقية الرافضيّة وتسمّيها (المعارضة الإسلامية) ،وتصف آيات الله خلالها بأنهم علماء الإسلام ، في حين تهاجم بلا هوادة جبهة السودان وجبهة الجزائر وأمثالها من الحركات الإسلامية ، التي مهما أخطأت فهي لا تقارن بخطر الرافضة ! ! .. إن الرافضة هم أولياء اليهود والنصارى في قديم الدهر وحديثه ولا أظن الغربيين إلّا وقد أدركوا الفرق بينهم وبين أهل السنّة جيداً . وأخشى ـ لا قدّر الله ـ أن نصحو على إمبراطوريّة مجوسيّة تمتدّ من الهند الى مصر ! ! ، أما إن صحونا الآن ، فسنقطع عليهم الطريق بإذن الله » ! .

لاحظ أن هذا التحليل يُنشر كتابة وقولاً في ظل الظروف الخطيرة التي كانت تمرّ بها البلاد أثناء الغزو ، وكأن أيّ عبرة لم تُستقى من إنقلاب الرئيس العراقي على حلفائه وأعوانه بالأمس القريب .

وقد إصطاد من يريد الإصطياد ، أخطاء التيار السلفي ، ومنحاه الطائفي المتشدّد .. فمن جهة الحكومة ، فإنها تحاول إقناع المواطنين الشيعة بأن ما يجري بحقّهم من إضطهاد وتمييز ، إنّما هو بسبب « ضغط الطائفيين السلفيين » ، وهي تحاول إقناع التيار الشيعي ، بأنّه خير له أن يقف مع العائلة المالكة ، وإلّا فلينتظر المذابح إن وصل دعاة الطائفيّة الى الحكم ! .

تدّعي حكومة العائلة المالكة أنها واقعة تحت الضغط في قراراتها وسياساتها الطائفيّة ، وهذا تبرير اعتاد المواطنون الشيعة على سماعه من الأمراء بشكل دائم ، والذين يضيفون بأن تياراً سلفيّاً قويّاً في المؤسسات والوزارات ، وله علاقات قويّة وتأثير كبير على المسؤولين الذين لا يستطيعون إلّا أن يتجاوبوا مع مشاريعه الطائفيّة .

وبلا شكّ فإن هناك تأثيراً كبيراً من قبل التيار السلفي التقليدي والجديد على العائلة المالكة ، لكن الى أيّ حدّ يمكن لحكومة أن ترضخ لقضايا تمسّ الوحدة الوطنيّة في الصميم ، والى أيّ حدّ يمكن لحكومة أن تتساهل في قضيّة تمسّ الوضع الأمني ، ووفق أيّ مقابل تقدّم الحكومة تنازلات تجحف بحقّ فئة غير قليلة من المواطنين ؟ ! .

رغم ان حكم الأمراء السعوديين علمانيّ مثله مثل أيّ حكم علمانيّ آخر في المنطقة العربية ، ورغم أن ممارسات أفراد العائلة المالكة الخاصّة لا علاقة لها

بالإسلام من قريب أو بعيد ، وأن القضايا المذهبيّة لا تستثيرهم بإعتبار أنهم لا يقيمون وزناً ذا بال للدين الإسلامي نفسه .

رغم هذا يجب الإعتراف بأن هناك ضغطاً يمارسه التيار السلفي على المسؤولين في الدولة ، وهذا الضغط طبيعي جداً ، فطالما أن نظام الحكم بحاجة الى مسوّغ شرعي يوفّره رموز التيار السلفي ، فمن البديهي ان يكون لهؤلاء مقام ونفوذ في أجهزة الدولة يوازي ما يقدّمونه للنظام نفسه .. لكن أن تقدّم التنازلات على حساب فئة أخرى من المواطنين ، فذلك مرهون بقرار أكبر من الأمراء ، وليس بسبب الضغط الذي تمارسه المؤسسة الدينية فقط ، خاصّة وأنّه ليس مشهوداً للأمراء السعوديين في الماضي والحاضر بأنّهم يهتمون برفع يد الخناق عن مواطنيهم الشيعة .

ومع الإعتقاد بأن المؤسسة الدينية تمارس ضغوطها في موضوع الشيعة وفي غيره ، إلّا أن الحكومة قادرة على تجاوزها ، مثلما ضربت عرض الحائط بكثير من آرائها وفي أمور أكثر اهمية كما في أمور تافهة أيضاً ، إذا تعارضت مصلحة الأمراء مع رؤية مشائخ السلطة ، إذ أنهم لا يعيرون أي إهتمام للفتاوى ولا المفتين .. من هنا يصرّ المواطنون الشيعة ، على القول بأن سياسة التمييز الطائفي قائمة ومستمرة بقرار من أعلى السلطات ، وهذا القرار متجاوب بشكل طبيعي مع توجّهات التيار السلفي ورغباته .

إن الحكومة السعودية تنظر ـ كما تدلّ الشواهد التاريخية ـ الى أيّ فئة من المواطنين لا تلتزم بالمذهب الرسمي ، على أنّها معارضة للنظام ، أو على الأقلّ تحمل بذور المعارضة له ، أي أنّ الأمراء السعوديين لا يفرّقون بين الإختلاف في المذهب والفكر ، وبين المعارضة السياسيّة .. وقد كان همّ الحكومة السعودية طيلة العقود الماضية ينصبّ بدرجة أساس على تذويب الفوارق المذهبيّة عن طريق القوة ليبقى مذهبها الفكري مسيطراً وهو الذي يشكّل أرضيّة الولاء السياسي للعائلة المالكة .

وإذا ما وقع الصدام بين التيار السلفي المتشدّد وبين الحكومة ، فإنه لا يؤمّل شيىء كثير على نتائجه ، وذلك بالنظر للحالات الشبيهة لهذه الحالة والتي وقعت في الماضي ـ صراع الإخوان مع الملك عبد العزيز ـ ، لكن من المحتمل أن تخفّ حدّة الإستقطاب الطائفي ، إذا ما شعرت الحكومة أنّها إستنفذت أغراضها من مروّجي الهيجان الأعمى والذين فتحت الباب لهم على مصراعيه في السنين الماضية ، واستثمرت نشاطهم الطائفي في حروبها الداخلية والخارجية .

ليست الحكومة وحدها تسعى للإستفادة من أخطاء التيار السلفي في طروحاته الطائفيّة المتشنّجة ، بل حتى المنافسين أو المتصارعين مع ذلك التيار

من الليبراليين .. فهذا الدكتور غازي القصيبي ـ وزير الصحة السابق ، وسفير المملكة الحالي في البحرين ـ يقول في كتابه « حتى لا تكون فتنة » [٣٥] في معرض حديثه عن التيار السلفي الجديد ، الذي وصف قيادته بـ « الفقهاء السياسيين » : « من منطلق المعارضة السياسية التي تستهدف إضعاف نظام الحكم ، لا يتورّع الفقهاء السياسيّون عن شقّ وحدة الأمّة بكلام غير مسؤول عن جزء كبير من شعب المملكة ، هم الشيعة .. فهذا فقيه سياسي ـ الشيخ العودة ـ يقول : وأولئك قوم من الرافضة ، لديهم علماء يتبعون وليسوا علماء ، بل علماء ضلال .. وهذا فقيه سياسي ـ ناصر العمر ـ في محاضرته (السكينة .. السكينة) يقول كلاماً أكثر خطورة : إننا في وضع حرج جداً ، البعثيّون ، اليهود ، الرافضة ، النصارى » .

ويعلّق القصيبي على دعوات هذا التيار بقتل المعارضين له من « العلمانيين » وغيرهم ، وهي دعوة سافرة أعلنها الشيخ عائض القرني ، علّق على ذلك بالقول : « هذه أوّل مرّة في تاريخ المملكة تتمّ فيها الدعوة الى حرب أهليّة وبهذه الصورة العلنيّة الإستفزازيّة » .

وشنّ الدكتور القصيبي حملة قوية على الشيخ عائض القرني ، الذي قال في إحدى محاضراته (سهام في عين العاصفة) [٣٦] : « كيف إذا أخذت رؤوسهم بسيف وليّ الأمر ـ الملك ـ الذي يحمي رسالة التوحيد ، فصلبهم بعد صلاة الجمعة وقطف رؤوسهم .. ومن أعظم ما ينتظرون سيف العدل المشهور الذي أخذ رؤوس قطّاع الطرق والمدبّرين للفتن ، والمروجين للجرائم ، وهم ـ أي المخالفين للتيار السلفي المتشدّد ـ أعظم من يروّج للجرائم ، ويدبّر الفتن ، فجدير بالسيف أن يأخذ رؤوسهم » .. واستفسر القصيبي : « مَنْ هم يا أخي هؤلاء . ثلث الشعب السعودي ؟ ! . نصف الشعب السعودي ؟ ! ، مَنْ هم هؤلاء الذين تريد أن (تقطف) رؤوسهم ، وهذا تعبير ما سمعناه إلاّ منك منذ خطبة الحجاج في مسجد الكوفة ؟ ! » .

ورغم أن الدكتور القصيبي ، أشار بإقتضاب الى منحى التيار السلفي الجديد طائفياً ، ورغم أن ما قاله كان يجب أن يلفت إنتباه الواعين في التيار السلفي الى تلك الأخطاء ، والى حساسيّة الموضوع الطائفي ، وأن طرحهم له بهذه الصورة ، لا يضرّ فقط بالوطن والمواطنين ، بل يضرّ بدرجة أساس من يتبنّاه ، رغم هذا فقد حمل ردّ قادة التيار السلفي على ما ذكره القصيبي تأكيداً على موقفهم الطائفي السابق .

ففي الكتاب الذي طبعوه في خارج المملكة رداً على كتاب القصيبي ، والذي حمل عنوان (العلمانية في العراء / القصيبي .. شاعر الأمس وواعظ

اليوم) .. قال أحد أقطاب السلفيين الجدد ، وهو الدكتور محمد بن سعيد القحطاني ـ المدرس بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ .. قال : « في ردّك على الشيخ العودة ، بيّنت للقارىء أن الرافضة جزء كبير من شعب المملكة .. ووالله لقد عجبت منك يا دكتور وأنت سفير بلاد التوحيد ، الذي تدرك أن لكلامك مسؤوليّة ليست سهلة ، كيف تجرّأت بهذه المقولة ، وأنت تعلم أنها مجانبة للصواب .. أم أن هذا عربون مودّة بينك وبين الرافضة ؟ ! . هل الرافضة جزء كبير من أرض جزيرة العرب ؟ . الرافضة في أرضنا شرذمة قليلة ، وأرض الرسالة والحرمين الكثرة الكاثرة من سكانها هم من أصحاب التوحيد » [٣٧] .

وردّ الدكتور القحطاني على إتهام القصيبي للشيخ العودة ، بأن الأخير يريد تكرار تجربة ولاية الفقية في المملكة ، ردّ القحطاني بكثير من السباب والطعن في « الرافضة » [٣٨] .

وردّ آخر ـ هو الدكتور وليد الطويرقي ـ على القصيبي بأمر الشيخ عبد العزيز بن باز ، فقال : « الدكتور غازي القصيبي يريد تشبيه علمائنا الأفاضل بعلماء الرافضة .. إن قضيّة ولاية الفقيه حلّ لمشكلة يعيشها الرافضة .. لا يوجد بالمملكة خميني ، ولكن يوجد أتباع المصطفى ﷺ ، أحفاد إبن تيمية وابن عبد الوهاب ، ينفون عن الدين تحريف الغالين وإنتحال المبطلين » [٣٩] .

إن نظرة التيار السلفي المتشنّجة تجاه الشيعة وغيرهم ايضاً ، لا تحرمه فقط من التعاطف والتعاون ، بل وتقلّل من فرص نموّه وإمكانيّة سيطرته على الحكم ـ إن كان يخطط لذلك فعلاً ـ .. ذلك أن القاعدة التي يعتمد عليها التيار السلفي في نجد لا يزيد عددها كثيراً عن عدد الشيعة ، وإن كانت فعالية الأخيرين أضعف ، بسبب التمييز والحرمان الطائفي ، وبسبب تسلّق أنصار التيار السلفي بسهولة للمناصب الحكوميّة ، وتعضيد الدولة له بالإمكانات الماديّة والمعنويّة .

ويشير تقرير أعدّته الصحافية والكاتبة البريطانية « هولغا غراهام » ، إعتماداً على مصادر سعودية حجازيّة ، الى أن النجديين الذين يستحوذون على الحكم ، يشكّلون ما نسبته ١٥ ٪ من السكان ، وقالت ان الشيعة في المنطقة الشرقية وحدها يشكّلون نفس النسبة وهي ١٥ ٪ [٤٠] .

لا شكّ أن الإصطدام مع الفئات الشيعيّة في المملكة ودفعهم بالقوة للمعارضة ، لا يجلب لأيّ جهة إلّا المزيد من المشاكل .. فإذا أضيف الى هذا عداء أو إستعداء الحجازيين ـ وهو حاصل من قبل التيار السلفي بشقيه التقليدي والتجديدي ـ ، فإن هناك إستحالة بأن يفرض التيار السلفي نفسه ،

وهو يستعد لمعارك على أكثر من جبهة .

إن التيار السلفي لا يثق في الحجازيين ويعتبرهم « مرتخين » دينياً ، كما لا يثق في الشيعة ويعتبرهم « خارجين عن دين الإسلام يحلّ الخوض في دمائهم وأموالهم وأعراضهم » .. لهذا يبادلهم الآخرون بشعور سوداوي متقابل ، ويصمون أتباع التيار السلفي بالتطرّف والغلو والإنغلاق .. الى حدّ أن أغلب الحجازيين ـ ومع إختلافهم مع الحكومة لسماحها للمتشدّدين في تطبيق آرائهم على غيرهم بالقوة ـ ، فإنهم إذا ما خيّروا بين أن يصل التيار السلفي الى الحكم ،وبين أن يبقى الحكم السعودي نفسه ، فإنهم سيختارون الأخير ، بإعتباره ـ من وجهة نظرهم ـ « أهون الشرّين » .

يمكن تجاوز الكثير من الحساسيّات لو أن التيار السلفي بشكل عام ، خفّف من حماسته للحرب الطائفيّة ، واكتفى ـ على الأكثر ـ بالحرب الفكريه والفقهيّة ، شرط أن لا تتحوّل الى وسيلة تمزّق صفوف المواطنين .. ولكن حتى هذا القليل لم يحصل ، بل أن بعض أنصار التيار السلفي قالوا بأمور لم يقلها غلاة الطائفيّة الأوائل .. حتى أن بعضهم يقول علناً بأنه لو لم يكن للحكومة السعودية من سيئة سوى إبقائها على رعاياها الشيعة لكان ذلك مبرراً كافياً لمحاربتها ! .

إن المملكة ـ شاء الأخوة السلفيون أم أبوا ـ هي بلد متنوّع في أقاليمه ، التي هي متفاوته في أمكاناتها الإقتصادية ، وتراثها الفكري ، وعاداتها وتقاليدها ، ومذاهبها ، بل حتى في الجغرافيا والتاريخ .. ومثل هذا التنوّع يجب أن يُحترم ، أو يغيّر ما يمكن تغييره بالحجّة والإقناع والحوار .

وإذا كانت هذه الأمور قد فاتت السلفيين الأوائل ، في الدولتين السعوديتين السابقتين .. فإنه لا عذر اليوم لأحد في إنتهاج ذات الممارسات القديمة الخاطئة التي لا يرتضيها الدين ، والتي لا تتماشى مع خُلُق المسلمين ، ولا مع معطيات العصر .

حريّ بالإخوة السلفيين ، سواء كانوا طلاّب حكم ، أو دعاة إصلاح ، أو الإثنين معاً ، أن يلتفتوا الى خصائص شعب المملكة المتنوعة ، وأن يتدبّروا في عبر الماضي القريب والبعيد ، حتى لا يتهدّد كيان البلاد ، فيصبح الوطن مزقاً ، ومواطنونا في حرب مع بعضهم البعض .

إذا كان التعاون متعذّراً في هذا الوقت ، فإن أقلّ ما يمكن للعقلاء ان يدعوا إليه هو « الإحترام المتبادل » ، « واحترام خصوصيّة المخالفين في الرأي والفكر » ، وإنتهاج العمل السلمي الهادىء والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. ولا شكّ أن هناك الكثير من الأمور بحاجة الى إصلاح ، غير أن

الإصلاح مستحيل في ظلّ الحرب الطائفيّة المعلنة من خلال المنابر الإعلامية والتوجيهيّة المختلفة ، ومن خلال القوانين الحكومية .

هوامش

(١)-SAUDI ARABIA IN THE OIL ERA, REGIME AND ELITES; CONFLICT AND COLLABORATION, BY MORDECHI ABIR, WESTVIEW PRESS, BOULDER, COLORADO.

(٢)مجلة صوت الطليعة ، مجلة فصليّة كان يصدرها البعثيون السعوديون الموالون للعراق ، وقد توقّفت في عام ١٩٨٠ بعد صلح صدام مع الحكومة السعودية لمواجهة ايران ، العدد ٢ ، ص ٢٣ .

(٣)المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٤)الوثيقة ES 1015 – 9 ، من هارولد بيلي في السفارة البريطانية بجدة ، الى ل . ا . س في الدائرة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية ، بتاريخ ١٥ يونيو ١٩٥٥ ، وانظر المصدر السابق أيضاً .

(٥)صحيفة السفير البيروتية ٢٢ نوفمبر ١٩٧٩ .

(٦)صحيفة الجمهورية المصرية في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٩ .

(٧)اللوموند الفرنسية ، ٢ ـ ٣ ديسمبر ١٩٧٩ .

(٨)انظر تفاصيل الأحداث كاملة ، في كتاب « إنتفاضة المنطقة الشرقية » الصادر عن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية . ولمزيد من التفاصيل عن إقتحام الحرم المكي الشريف ، إنظر كتاب « زلزال جهيمان في مكة » ، لمؤلفه فهد القحطاني ، والصادر عن منظمة الثورة الإسلامية أيضاً .

(٩)مايكل فيلد ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

(١٠)روبرت ليسي ، مصدر سابق .

(١١)SAUDI ARABIA MODERNIZATION, P.98.

(١٢)SHI'ISM AND SOCIALPROTEST, P240

(١٣)SAUDI ARABIA'S SEARCH FOR SECURITY, ADEED DAWISHA, THE INTERNATIONAL INSTITUTE FORE STRATEGIC STUDIES, 1979 –1980.

(١٤)فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٥١٧ .

(١٥)SAUDI ARABIA IN THE OIL ERA.

(١٦)المصدر السابق .

(١٧)روبن رايت ، الغضب المقدس ، مترجم .

(١٨)SAUDI ARABIA IN THE OIL ERA.

(١٩)روبن رايت ، الغضب المقدس ، مترجم .

(٢٠)SHI'ISM AND SOCIAL PROTEST, P 243,244

(٢١)SAUDI ARABIA IN THE OIL ERA.

(٢٢)أيمن الياسيني ، مصدر سابق ، ص ٧٦، ٧٧ .

(٢٣)المصدر السابق ، ص ١ ، ٦ .

(٢٤)المصدر السابق ص ٥١، ٥٢ .

(٢٥)قام بالإتصال بالشيخ عبد العزيز بن باز المهندس علي الأخضر علي القيم ، وذكر الأخير رقم تلفون الشيخ لمن اراد أن يتأكّد من الأمر ، وقد طبع علي الأخضر جواب الشيخ بن باز في منشور وزّعه على الطلاب ، ونصحهم فيه بالألفة والوحدة .

(٢٦)جريدة اليوم السعودية الصادرة في الدمام ، عدد ٥٢٠٨ ، والمؤرخ في الخامس والعشرين من محرم ١٤٠٨ هـ ، الموافق للثامن عشر من سبتمبر ١٩٨٧ م .

نفس السؤال الموجّه للشخ بن باز مستلّ نصاً من سؤال سبق توجيهه لشيخ الأزهر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت ، فأجاب عليه بما نصّه : « إن الإسلام لا يوجب على أحد من اتباعه إتّباع مذهب معيّن ، بل نقول : إن لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادىء ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل الى غيره لأيّ مذهب كان ، ولا حرج عليه في شيء من ذلك . وإن مذهب الجعفريّة المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة ، مذهبٌ يجوز التعبّد به كسائر مذاهب أهل السنّة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلّصوا من العصبيّة بغير الحق لمذاهب معيّنة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والإجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات » .

لقد كان للشيخ محمود شلتوت رحمه الله دورٌ مهم في محاربة الفتن الطائفيّة ، والتقريب بين صفوف المسلمين ، وله الكثير الكثير من الأحاديث الصحافية وغيرها التي تحضّ على الوحدة والإتحاد ونبذ التطرّف والتعصّب . كان رحمه الله يقول : « لقد مضى زمان العصبيّة .. كلّنا مسلمون .. ومذاهبنا جميعاً تنبثق من أصل واحد هو رسالة محمد ﷺ ، كتاب الله وسنّة رسوله .. إن بيني وبين كثير من ائمة الشيعة رسائل تهدف وجوب التقريب ، ونزع ما بين السنّة والشيعة من عصبيّة إنتهزها الأعداء والمستعمرون للتفريق بين الشعوب الإسلامية الواحدة ... إن الإستعمار يحاول أن يجد ثقوباً ينفذ منها الى وحدة المسلمين .. ولقد رجحت مذهب الشيعة خضوعاً لقوّة الدليل في كثير من مسائل المسلمين ، أخصّ منها ما تضمن قانون الأحوال الشخصيّة . وإن الباحث المستوعب سيجد في مذهب الشيعة ما يقوي دليله ، ويلتئم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة والمجتمع » .

وأمر المرحوم الشيخ محمود شلتوت بتدريس الفقه الإسلامي في كليّة الشريعة بجميع المذاهب ومن بينها مذهب الشيعة ، إماميّة وزيديّة ، وكان يقول : « نحن لا نريد ولا ندعو بين الناس الى مذهب واحد . لا نريد أن يندمج مذهب الشيعة في مذهب السنّة ، ولا مذهب السنّة في مذهب الشيعة ، ولكن نريد أن يصل المسلمون من مختلف طوائفهم الى لون واضح من ألوان التعاون القائم على المحبّة ، وعلى ترك العصبيّة ، والترفّع عن التنابز بالألقاب ، والبعد عن سوء الظن ، فإن هذا من شأنه أن يطلق العنان للتفكير في حرية وهدوء والتماس للحقيقة دون خوف أو إضطراب أو بلبلة ، والاّ يحول بين السنّي وإنتفاعه برأي أخيه الشيعي ، ولا بين الشيعي وإنتفاعه برأي أخيه السنّي مادام الجميع يصدرون عن أصل واحد » .

« لا أنسى أني درست المقارنة بين المذاهب بكليّة الشريعة بالأزهر ، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة ، وأبرز من بينها مذهب الشيعة ، وكثيراً ما كنت أرجح مذهبهم خضوعاً لقوّة الدليل . ولا أنسى أيضاً أني كنت أفتي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخصّ منها بالذكر ما تجد الناس في حاجة ملحّة إليه . وهو يختص بالقدر المحرم من الرضاع . كما أخصّ بالذكر ما تضمنه « قانون الأحوال الشخصية » الأخير . وأذكر على سبيل المثال المسائل التالية :

أولاً : الطلاق بالثلاث بلفظ واحد ، فإنه يقع في أكثر المذاهب السنيّة ثلاثة ، ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعيّة ، وقد رأى القانون العمل به ، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنّة لا يقام لها وزن في نظر القضاء الشرعي .

ثانياً : رأى قانون الأحوال الشخصيّة في تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلّق منه ما يقع ومنه ما لا يقع ، تبعاً لقصد التهديد أو قصد التطليق ، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقاً ـ قصد به التهديد أو قصد التطليق ـ ولا يقع به الطلاق . وقد رجحت هذا الرأي ، وكثيراً ما افتيت به ، وكثيراً ما أذعته وكتبته في أحاديثي المتعلّقة بالطلاق ، وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق ..الخ » .

وقال الشيخ شلتوت رحمه الله عن التقريب بين المذاهب التي إشترك في تأسيس دار لها في القاهرة ، بأن من حاربها « ضيّقوا الأفق ، كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصة السيئة ، ولا تخلو أمّة من هذا الصنف من الناس . حاربها من يجدون في التفرّق ضماناً لبقائهم وعيشهم ، وحاربها ذوو النفوس المريضة ، وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة .. هؤلاء وأولئك ممن يؤجّرون أقلامهم لسياسات مغرضة ، لها أساليبها المباشرة في مقاومة أيّ حركة إصلاحيّة والوقوف في سبيل كلّ عمل يضمّ شمل المسلمين ويجمع كلمتهم » .

وعلّق الشيخ الغزالي على فتوى شيخ الأزهر بجواز التعبّد بالمذهب الشيعي في كتابه « دفاع عن العقيدة والشريعة » .. « جائني رجل من العوام مغضباً يتسائل : كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهب إسلامي كسائر المذاهب المعروفة ؟ فقلت للرجل : ماذا تعرف عن الشيعة ؟ فسكت قليلاً ثم أجاب : ناس على غير ديننا .. فقلت له : لكنني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلّي ونصوم .. فعجب الرجل وقال : كيف هذا ؟ قلت له : والأغرب أنهم يقرأون القرآن مثلنا ، ويعظمون الرسول ويحجّون الى البيت الحرام» . وفي موقع آخر قال : « سمعت واحداً يقول في مجلس علم : إن للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف . فقلت له: أين هذا القرآن ؟ . إن العالم الإسلامي الذي إمتدت رقعته في ثلاث قارات ظلّ من بعثة محمد ﷺ الى يومنا هذا بعد أن سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرناً لا يعرف إلاّ مصحفاً واحداً مضبوط البداية والنهاية ، معدود السور والآيات والألفاظ ، فأين هذا القرآن الآخر ؟ .

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل ؟ لماذا يساق هذا الإفتراء ؟ ولحساب من تُفتعل هذه الإشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنّهم بإخوانهم وقد يسوء ظنّهم بكتابهم . إن المصحف واحد يُطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء بتة إلاّ توقير الكتاب ومنزله جل شأنه ومبلّغه ﷺ ، فلم الكذب على الناس وعلى الوحي ؟ » .

وفي كتابه « كيف نفهم الإسلام » يقول الشيخ الغزالي « لم تنج العقائد من عقبى الإضطراب الذي أصاب سياسة الحكم ، ذلك أن شهوات الإستعلاء والإستئثار اقحمت فيها ما ليس منها ، فإذا المسلمون قسمان كبيران شيعة وسنّة ، مع أن الفريقين يؤمنان بالله وحده وبرسالة محمد ﷺ ولا يزيد أحدهما على الآخر في إستجماع عناصر العقائد التي يصلح بها الدين وتلتمس النجاة ... ومع اني أذهب في كثير من أحكامي على الأمور مذاهب غير ما يرى الشيعة ، فلستُ أعدّ رأيي ديناً يأثم المخالف له ، وكذلك موقفي بالنسبة لبعض الآراء الفقهيّة الشائعة بين السنّة » ، ويضيف : « وكان خاتمة المطاف أن جعل الشقاق بين الشيعة والسنّة متصلاً بأصول العقيدة ... ليتمزّق الدين الواحد مزقتين وتتشعّب الأمة الواحدة الى شعبتين كلاهما يتربّص بالآخر الدوائر ، بل يتربّص به ريب المنون . إن كل إمرىء يعين على هذه الفرقة بكلمة ، فهو ممن تتناولهم الآية الكريمة : ﴿ إن الذين فرّقوا دينهم شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلون ﴾ ، وأعرف أن المسارعة بالتكفير ميسورة في باب الجدل ، وأن إلزام الخصم بالكفر نتيجة رأي يقول به أمر سهل في حمى النقاش » .

(٢٧)خطاب موجّه من وزير البلديات والشؤون القروية السابق ، ابراهيم بن عبد الله العنقري الى أمين مدينة الدمام في ١٤٠٩/٢/١٤ هـ ، يأمره فيه « بالحرص على تنفيذ ما تضمنّته خطاب سماحته ـ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ » ، والذي يعني منع الشيعة من ممارسة مهنة الجزارة ، وطردهم ، وقد طردوا بالفعل ، وفي مناطق شيعيّة خالصة كالقطيف ! ! .

(٢٨)مجلّة الجهاد الأفغانية ، العدد العاشر ، السنة الأولى ، صفر ١٤١٠ هـ .

(٢٩)لم يصدّر الحكم السعودي الفتن الطائفيّة البحرين ـ كما رأينا فحسب ـ ، ولكنه صدّرها أيضاً الى كل بلد في العالم تتواجد فيها جاليات إسلاميّة .. ومنها أفغانستان بين الشيعة والسنّة ، وبين السنّة أنفسهم ، ومنها الباكستان التي يذبح المسلمون بعضهم بعضاً في مذابح تقام كل عام ! ، ومنها لندن وأميركا واستراليا وأعماق أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، والبلدان المجاورة ، وبالأخص بلدان الخليج ، التي إنساق بعضها مع النهج الطائفي الى آخر مداه ، لكن الكثير من قيادات هذه البلدان الدينية والمثقفة الواعية ، رفضت ذلك النهج . ومنها الكويت التي كانت ولا تزال مستهدفة بالفتن الطائفيّة القادمة من وراء الحدود .

وسبق للكويتيين أن حاربوا الفتنة الطائفيّة التي جاء بها الشيخ عبد العزيز العلجي ، من الأحساء الى الكويت .. قال مؤرخ الكويت ـ عبد العزيز الرشيد ـ أن الشيخ العلجي كتب قصيدة طويلة « دسّ بها سخيمته على عباد

الله الصالحين ، ورمى فيها المصلحين » ، وتعرّض فيها للشاعر السيد مساعد السيد عبد الله الرفاعي ، قال العلجي في مطلعها :

عُذْ بالمهيمن من هوى فتان ما تلك إلاّ فتنة الشيطان

كما انشد العلجي قصيدة أخرى أرسلها من الأحساء يكفّر فيها عدداً من الناس .. وقد ردّ على قصيدته السيد الرفاعي ـ وهو سنّي مالكي ـ بقصيدة جاء فيها :

لذ بالإله من الجهول الجاني علج العلوج وفتنة الشيطان
ما بالله حطّ الإله مقامه واحاطه بالذلّ والخسران
خسر السعادة مذ هوى لتعصّب وتشدّد ما جاء بالأديان
فغدا يسبّ المصلحين بهديهم واخو السباب يبوء بالخذلان

(انظر تاريخ الكويت ـ عبد العزيز الرشيد ـ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

وكان الشاعر الكويتي صقر بن سالم الشبيب قد قال قصيدة في أيّام تطرّف الوهابيين الإخوان ، قال فيها :

.. اديـنُ يا أُولي العمّات ان لا يلين لبعضنا بعض مقاله
وان تجفوا الرجال مواطنيها وتشهر من تخالفها نصاله
يزندق بعضنا بعضاً سفاهاً مطيعين العمائم في الضلال
ويلعن بعضنا بعضاً لامر علينا مكركم فرض إمتثاله
.. فابدلتم وثام القوم خُلفاً لتحظوا بالدقيق وبالنخالة
والبستم خداعكم لئاماً من اسم الدين مسبلة غلال
عند اولي العمائم من كتاب به قد خصّهم ربّ الجلالة ؟
فهم يتلون دون الناس ايا الى قبح الشقاق به سماله
وتوهم ان في التفريق رشداً إذا فالرشد هلك لا محالة

ثم يحذّر الشاعر الكويتيين من الفرقة ،وعدم طاعة الطائفيين :

.. أُحذركم بني وطني انشعاباً لهلك الشعب فيه شر آله
الى كم فوقنا العمات تلقى من الاعباء ما نخشى إحتماله
وتنفخ روح شؤم الخلف فينا وتوسع بيننا ظلماً مجاله
لتسلب كل ذي جهل حجاه وتسلب من يديه بعد ماله

وفي منتصف السبعينات ، ثارت نوازع الفتنة ، فأنشد الشاعر خالد سليمان العدساني قصيدة للتقريب بين السنّة والشيعة فقال :

قالوا : اولاء تشيّعوا وتنكّروا ، وتمنّعوا
رفضوا « الجماعة » وادّعوا واستكبروا ، وترفّعوا
يا قوم لا تتحيّفوا بالحكم ، او تتسرّعوا
إن الذين ظلمتمو ادنى لكم ان تسمعوا
نصروا علياً والحسين اذاك امرٌ يُفزعُ ؟
واستلهموا هدي النبيّ وما وعيتم قد وعوا
وترسّموا الاركان خمساً ما رعيتم قد رعوا
وتشيّعوا للحقّ هل إلاّه شيٌ يشفع ؟
إن فاتنا نصر المُحقّ لمن إذن نتشيّعُ
إن كان ضاعت زمرة منهم فمنّا اضيع
او إن تغالت قلّةٌ فيهم ، ففينا افظع
جهلوكم ، وجهلتموهم والجهالة مصرع

(انظر كتاب عدسانيات ،خالد سليمان العدساني ، دار ذات السلاسل الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨) .

(٣٠) هدّد رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القطيف في تعميم له المؤذنين الشيعة ، لأنهم ـ حسب رأيه ـ يزيدون في الأذان الشرعي « فيرجى التقيّد بالأذان الشرعي في جميع المساجد .. ومن يثبت لدينا زيادته

بعد هذا التعميم فسينال عقابه دون هوادة » (التعميم رقم ٦ ،ومؤرخ في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ) .

من جهة أخرى ، إعتادت مديريات الشرطة في المنطقة الشرقية أخْذ تعهدات على أصحاب المآتم الحسينيّة في أواخر كل عام هجري ، وفي كثير من الأحيان يرفض القائمون على المآتم التوقيع ،فتقنعهم الشرطة بالقوّة ! ، أو بالقول أن ذلك مجرد إجراء شكلي . نموذج التعهّد والإقرار يقول :

« إقرار بتاريخ (.....)

أقرّ أنا الموقع إسمي أدناه ، صاحب الحسينيّة المسماة (...) الواقعة بمنطقة (...) ، وأتعهد أمام المسؤولين عن الأمن ، أن لا أستقدم خطيباً من خارج المملكة أيّام المحرّم ، وأن أُبلّغ الخطيب بأن يحصر مجال خطابته في الموضوع الحسيني والوعظ الديني ، وحصر مكبّرات الصوت (اي المكرفون) داخل الحسينيّة فقط ، ولا يتعداها الى أي موضوع آخر .

كما أتعهد بأن أمنع أيّ تجمّع خارج أو أمام بوابة الحسينية ، وأن أُبلّغ عن كل من لا يتعاون في إنفاذ هذه التعليمات ، وعمّن يحاول إثارة الشغب والمشاكل أو زعزعة الأمن وخرق النظام .

وإذا حصل منّي خلاف ذلك ، أو تهاون ، أو عدم إبلاغ عن أيّ مخالفات ، فإني مسؤول مسؤوليّة مباشرة أمام المسؤولين ، وعرضة للجزاء اللازم ،،،

وعلى إقراري وتعهّدي هذا أُوقّع ،،،

المقرّ بما فيه (الإسم : .... ، التوقيع : .... ، العنوان: .... ، تلفون رقم : .... ، الموقع : ...) .

(٣١)الأدلّة النقليّة والحسيّة على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود الى الكواكب ،الشيخ عبد العزيز بن باز ، مطبوعات الجامعة الإسلامية رقم ١٦ ، ط ١٣٩٥ هـ ، ص ٢٣ .

(٣٢)المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣٣)المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣٤)المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣٥)حتى لا تكون فتنة ، الدكتور غازي القصيبي ، لندن ١٩٩١ ، والكتاب يحوي هجوماً شديداً على التيار السلفي وأطروحاته السياسية والفكرية ، كما ويحوي تحريضاً للحكومة على ضرب ذلك التيار وتصفيته . وقد طبع الكتاب خارج المملكة مرتين .

(٣٦)كان الدكتور غازي القصيبي يكتب في صحيفة الشرق الأوسط بعد الغزو العراقي للكويت ، مقالات يوميّة ، تحت عنوان : « في عين العاصفة » . فكانت محاضرة الشيخ القرني رداً عليه « سهام في عين العاصفة » ! .

(٣٧)العلمانيّة في العراء ـ القصيبي .. شاعر الأمس وواعظ اليوم . يحوي ثلاث رسائل ردّ على كتاب القصيبي ، طبع في الولايات المتحدة في عام ١٩٩١ ، ص ٧٤ .

(٣٨)المصدر السابق ، ص ٧٥ـ٧٧ .

(٣٩)المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٤٠)صحيفة الأوبزيرفر البريطانية ، في الثاني من يونيو ١٩٩١ .

ملحق الوثائق

بسبب الضغوط والتعديات الحكومية ضد الشيعة ، كتب اعيانهم رسالة الى الملك سعود في بداية حكمه ، فردّ عليهم مختصراً ببرقيّة عبر ديوانه بالقول « وانتم آمنين على انفسكم واموالكم » . برقيّة الملك في الثاني من ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ .

الشيخ عبد الحميد الخطي وحسين بن حسن البريكي وباقر العوامي وعبدالله الشماسي وصالح المسلم وحسن المرزوق وحسن الشيخ علي الخنيزي وضيف الله الشيخ سليمان عبد المحسن الخنيزي وعلي الطويل وباقر المويلغي ومحمد العوامي وعلي السنان ومبارك السعود وحسن بن علي البيات .

صدرالأمر الى سمو الأمير سعود بن جلوي بما يلزم وأنتم آمنين على انفسكم واموالكم انشاء الله ولا يقبل صاحب الجلالة أن يحصل اي شيء على احد رعايا جلالته .

الديـــــوان

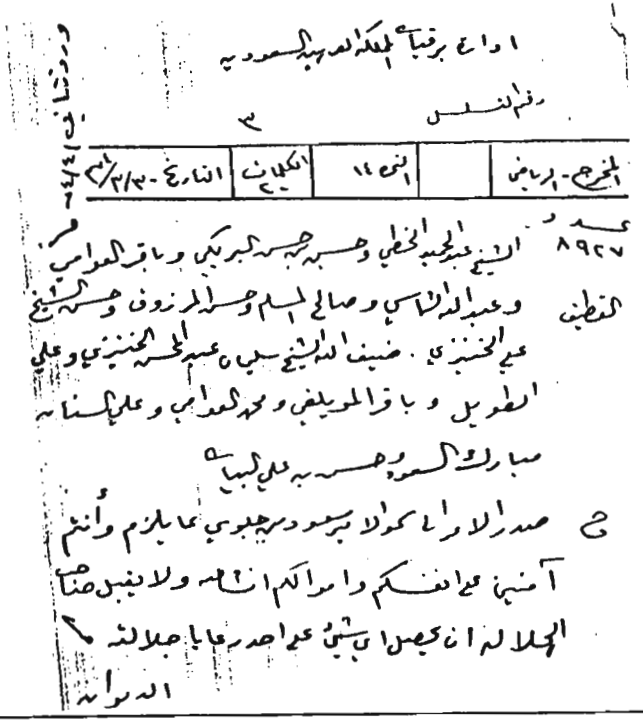

اواخر الستينات وبداية السبعينات ،تصاعدت حمّى الإعتقالات في كل المملكة خاصة الشرقية منها .. بين يديك رسالة من اعيان الشيعة للملك فيصل تحثّه على إطلاق سراح المعتقلين السياسيين .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد

سبق ان تشرفت وفود منا بمقابلة جلالتكم في فترات مختلفه راجين اطلاق سراح ابنائنا الذين قرر عليهم السجن بين عشر وخمس عشرة سنة بتهمة الشيوعية التي مازالوا يصرون على تبراهم منها وتمسكهم بمبدأهم ـ الدين الاسلامي الحنيف ـ وفي اول مقابلة امر جلالتكم بالرجوع الى المشايخ لأن القضية دينية مع ان ولي الامر الذي هو جلالتكم يملك حق العفو . ومع هذا فقد روجع سماحة رئيس القضاة فامتنع عن الدخول في القضية لانها لم تحل اليه من مقام جلالتكم . وفي المقابلة الثانية وعد جلالتكم بخير . ومازال الأمل كبيراً ومعلقاً بشخص جلالتكم الذي مافتىء يوسع من عفوه البعيد والقريب هذا وليست المشكلة منحصرة في كون المسجونين يعيشون وراء قضبان بالسجن، محرومين من العمل والتمتع بهناء العيش ومباهج الحياة واداء الواجبات بقدر ما هي مشكلة اولئك الاولاد من بنين وبنات وراء كل فرد منهم بعضهم وصل دور المراهقة وبعضهم تعدى والبعض غلاماً واخرون ما زالوا يدرجون في عهد الطفولة . هؤلا ء الأطفال في المدارس وبعضهم يعيش في الطرقات وكلهم بحاجة الى رعاية وتربية اخلاقية والا فمن يتوقع منهم الاستقامة من الناحية الخلقية او سواها . وهم وامهاتهم يعيشون عيشة ضنك وضيق شديدين عرضة للجوع والعري والمرض والتشرد . وان من يتقاضى منهم معونة من الضمان فانها لا تتعدى طول السنة(١١٦٠)ريال لا يحصلون عليها الا بعدالاذى والمحاولات الشاقة .

ان اطلاق سراحهم سيدخل الفرحة الى قلوب الآلاف من الناس ..لذا نرجو اطلاق سراحهم قربة لله ببركة شهر رمضان

والسلام عليكم .

دماء المواطنين مهدورة : شرطي يقتل امراة شيعيّة عبثاً ! ـ القطيف ـ ١٣٩٧ هـ .

صاحب السمو امير المنطقة الشرقية المعظم

يؤسفنا ان نرفع لسموكم بوقوع حادث اطلاق رصاص البارحة من شرطي اودى بحياة امرأة بريئة لا ندري كيف اجاز لنفسه اطلاق الرصاص ، واحداث الرعب وهو مسؤول عن الأمن . نرجو سموكم متابعة التحقيق لئلا يضيع الدم البريء وانزال العقاب الصارم بالجاني ليعيش الافراد بامان في ظل حكومتنا الرشيدة.

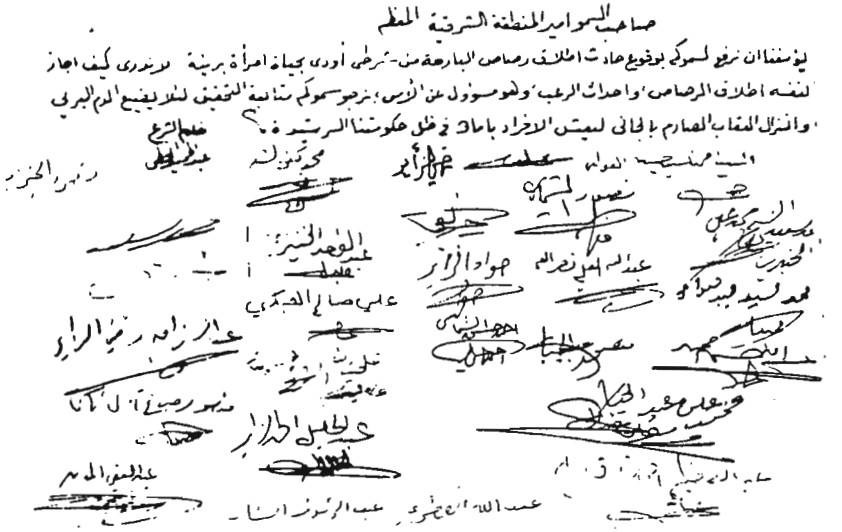

رسالة الى وزير الداخلية حول الموضوع ، وشرطة القطيف تعتقل مواطنين لتحوير القضية والتلاعب بها ! .

صاحب السمو الملكي وزير الداخلية المعظم

رفعنا لسموّكم برقياً برقم (...) في ١٥ الجاري بقيام جندي بأطلاق الرصاص ، دونما باعث له ، سوى الأستهانة بالمواطنين ، الأمر الذي نتج عنه قتل امرأة عابرة بالطريق . شرطة القطيف في موقف المتهم (بالكسر) وذلك ما أسفرت عنه الساعات القليلة ، حيث جرى اعتقال مجموعة من المواطنين بقصد تحوير التحقيق ، وتحويل اتجاه القضية ، نفزع لعدالتكم راجين تشكيل لجنة للتحقيق عاجلاًلكي لا تطمس معالم القضية ، وحماية لنا . حفظكم الله .

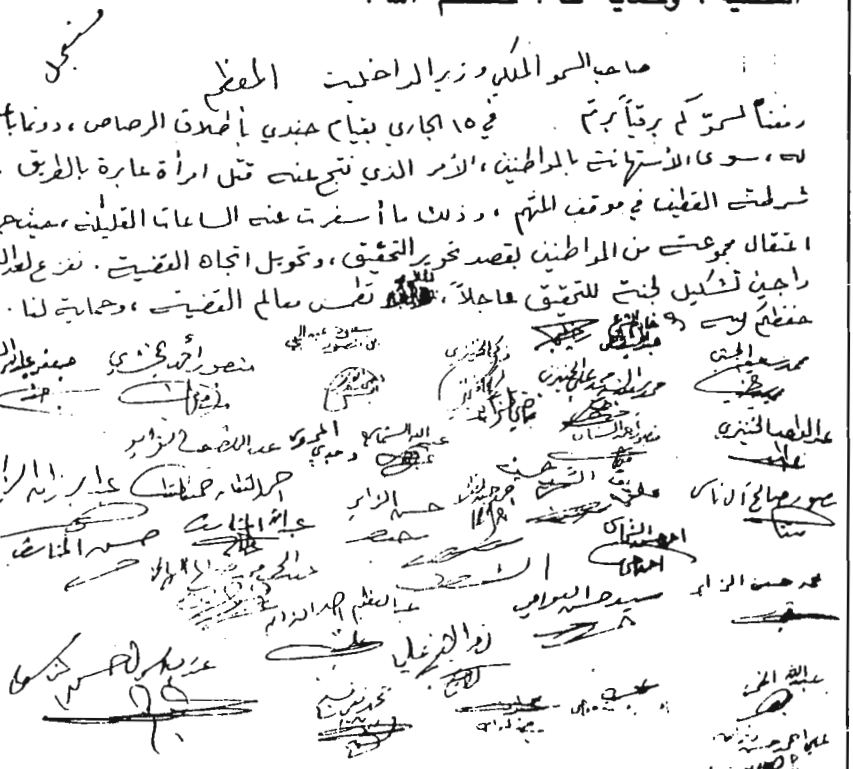

بعد نحو اربعة اشهر من اندلاع إنتفاضة الشيعة : الحرس الوطني يهاجم مزارعين ويطلق الرصاص عليهم ويعتقلهم دونما سبب . رسالة من المهَاجَمين الى امير القطيف في الأول من جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ حول الموضوع .

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة أمير القطيف الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نرفع لسعادتكم ما حدث علينا يوم أمس الموافق ٣٠ / ٤ / ١٤٠٠هـ حيث هجمت علينا ثلة من الحرس الوطني ، ونحن نعمل في نخيلنا وانهالوا علينا وعلى أبنائنا الصغار ضرباً بدون ما سبب او جريمة وبدون أي مبرر ، لذلك فإننا أولاً نرفع الأمر لسعادتكم ولنا كبير الأمل ، إلا تضطرونا للاتجاه الى غيركم . آملين أخذ حقنا من المعتدين علينا وتأميننا في محالنا وأوطاننا ، لانكم انتم المسئولون عنا.مع العلم ان بعضهم اطلق علينا الرصاص ، إلا أنه بحفظ الله تعالى لم يصبنا منه شيئاً ، وإن تُرك هذا الوضع على ما هو عليه الآن لا نظنه يرضاه المسئولون فنحن وجميع المواطنين تحت ظل دولة عادلة دينها الاسلام ودستورها القرآن ، ونحن بحمد الله وكرمه أناس مواطنون مسلمون نقر لله تعالى بالوحدانية ولمحمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة . نقول « لا إله إلاّ الله محمد رسول الله » فلماذا نهان ونضرب ونسب ونربط ونوقف في الشرطة وعلى باب الأمارة بعد أن داروا بنا الشوارع والطرق مكتفين كأننا مجرمين ، دون أي مبرر يحدث منا ، لذا نعود فنكرر طلبنا أولاً إحالة المضروبين منا للمستشفى للكشف عليهم وأخذ التقريرا للازم ، ومن ثم أخذ حقنا من المعتدين وإيقاف هذا الاعتداء عند حده ، وإلا سنرفع أمرنا لوليِّه والله تعالى ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة أمير القطيف الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

نرفع لسعادتكم ماحدث علينا يوم أمس الماضي الموافق ١٤١٢/٩/٢٠هـ حيث هجمت علينا ثلة من الحرس الوطني ، ونحن نعمل في نخيلنا وانهالوا علينا وعلى أبنائنا الصغار ضربًا بدون ماسبب أو جريمة وبدون أي مبرر ، لذلك فإننا أولاً نرفع الأمر لسعادتكم ولنا كبير الأمل ، إلا تضطرونا للاتجاه إلى غيركم . ثانيًا نأخذ حقنا من المعتدين علينا ونأمينا في ممتلكاتنا وأوطاننا ، لأنكم أنتم المسئولون فمنكم نعلم أن بعضهم أطلق علينا الرصاص ، إلا أنه بحفظ الله تعالى لم يصبنا فيه شيئًا ، وإنه نترك هذا الوضع على ماهو عليه لأننا لا نظنه يرضاه المسئولون فيه وجميع المواطنين تحت ظل دولة عادلة ومنهاجها الإسلام ودستورها القرآن ، ونحن بحمد الله وكرمه أناس مواطنون مسلمون نقر لله تعالى بالوحدانية ولمحمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة . نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله » فلماذا نهان ونضرب ونسب ونربط ونوقف في الشارع وعلى باب الدار وابنا الشوارع والدور مكتفين كأننا مجرمين ، دون أي مبرر يحدث منا ، لذا نعود فنكرر طلبنا أولاً إحالة المذكورين منا للتحقيق للكشف عليهم وأخذ التقرير اللازم ، وثانيًا ثم أخذ حقنا من المعتدين وإيقاف هذا الاعتداء عند حده ، وإلا سندفع أمرنا لوليه والله تعالى ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عمداء الحمام مقدموه

حسين محمد فتيل	مكي مهدي حسن	أحمد حسن حسن
حسين عبدالله حسن	يوسف صالح أبو حسين	عبدالله أحمد حسن
صالح عبدالله الحبيد	علي محمد حسين فتيل	وإخوانهم تركنا التعريف لأسمائهم
	علي حميد حسن	

صورة للجنة العليا

تعددت مكاتبات اعيان الشيعة للحكومة إثر الإنتفاضة في محاولة للقضاء على جذور التوتر الامني . رسالة الى ولي العهد ـ الامير فهد ـ في جمادى الأولى ١٤٠٠ تطالبه بإيقاف حملة الإعتقالات ، وإطلاق سراح المعتقلين ، وإلغاء التمييز الطائفي في شتى المجالات كالتعليم والقضاء .

حضرات الافاضل اعضاء الهيئة المشكلة بأمر سمو ولي العهد المعظم المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحاقاً للخطاب المقدم لكم من قبل بعض المواطنين وعطفاً على المناقشة التي دارت بين حضراتكم وبعض المواطنين في مقر امارة القطيف يوم الثلاثاء ٨/٥/١٤٠٠ هـ فاننا نقدم لحضراتكم هنا النقاط التي يرى اهل القطيف انها هامة ويطلبون من الحكومة الجليلة اعطائها الاولوية في تحقيق المطالب التي تضمنتها البرقية المرفوعة لسمو ولي العهد المعظم والكتاب المقدم لكم والمنوه عنه اعلاه :ـ ذلك لانها تشغل بال كل مواطن وتتلخص تلك النقاط فيما يلي :ـ

١ ـ رفع الحرج والاهانة عن المواطنين بمنع التعدي عليهم باليد او اللسان سواء من قبل أفراد الحرس الوطني أو المرور أو النجدة او أي مسؤول آخر . الا في حدود الانظمة المقررة شرعاً ونظاماً اما ان يتصرف الموظف تصرفاً كيفما فهذا ما يعانيه المواطنون حتى على مستوى مديرات مدارس البنات مثلاً فضلاً عن سواهن فذلك مخالف للروح الاسلامية والعدل الذي يسود الحكم في المملكة لذلك نطلب اصدار التوجيهات الى كافة الدوائر هنا باحترام المواطن ومعاملته وفق الانظمة المقررة وعدم التعدي عليهم واهانتهم

٢ ـ ايقاف الاعتقالات واطلاق المعتقلين والتعويض على اهالي القتلى والمشوهين ومعاقبة المتسبب فيما حدث على المواطنين

٣ ـ رفع المواد التدريسية التي تسيء الى الشيعة من مناهج التدريس للبنين والبنات

٤ ـ ابلاغ المحاكم بقبول شهادة الشيعي على اخيه السني في احوال المرافعات كما هو العكس وان يكون رد الشهادة وقبولها على اساس عدالة الشاهدين من عدمها والتي مناطها (عدم اتيان الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر)

٥ ـ السماح بدخول كتب الشيعة الى المملكة كغيرها من الكتب بحيث لا يكون سبب المنع كون الكتاب شيعياً او لمؤلف شيعي وان توضع في مداخل الحدود قائمة ممنوعات حتى يتمكن صاحب الكتب الممنوعة من اعادتها الى مصدرها بدلاً من مصادرتها

٦ ـ افساح المجال للطالبات الشيعيات بدخول معاهد المعلمات كأي طالبة اخرى وتمكين دوات الكفاءة منهن بالقيام بادارة المدرسة كالاولاد

واننا نعتقد انه بتحقيق هذه المطالب يجعل الفرد في هذا البلد يشعر ان لافرق بينه وبين اخيه السني

والله يحفظكم ويرعاكم

الوثيقة رقم : ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الافاضل اعضاء الهيئة المشكلة با مر سمو ولي العهد المعظم المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحاقا للخطاب المقدم لكم من قبل بعض المواطنين وعطفا على المناقشة التي دارت بين حضراتكم وبعض المواطنين في مقر امارة القطيف يوم الثلاثاء ٨/ ٥/ ١٤٠٠ هـ فاننا نتقدم لحضراتكم هذا النقاط التي يرى اهل القطيف انها هامة ويطلبون من الحكومة الجليلة اعطائها الاولوية في تحقيق المطالب التي تضمنتها البرقية المرفوعة لسمو ولي العهد المعظم والكتاب المقدم لكم والنوه عنه اعلاه ، ذلك لانها تشغل بال كل مواطن وتتلخص تلك النقاط فيما يلي :

١ ـ رفع الحيف والاهانة عن المواطنين بمنع التعدي عليهم باليد او اللسان سواء من قبل افراد الحرس الوطني او المرور او النجدة او اي مسئول اخر ، الا في حدود الانظمة المقررة شرعا ونظاما اما ان يتصرف الموظف تصرفا كيفيا فهذا ما يعانيه المواطنون حيث على مستوى مديرات مدارس البنات مثلا فظلما عن سواهن فذلك مخالف للروح الاسلامية والعدل الذي يسود الحكم في المملكة لذا لك نطلب اصدار التوجيهات الى كافة الدوائر هنا باحترام المواطن ومعاملته وفق الانظمة المقررة وعدم التعدي عليهم واهانتهم .

٢ ـ ايقاف الاعتقالات واطلاق المعتقلين والتعويض على اهالي القتلى والمشوهين ومعاقبة المتسبب فيما حدث على المواطنين .

٣ ـ رفع المواد التدريسية التي تسيء الى الشيعة من مناهج التدريس للبنين والبنات .

٤ ـ ابلاغ المحاكم بقبول شهادة الشيعي على اخيه السني في احوال المرافعات كما هو العكس وان يكون رد الشهادة وقبولها على اساس عدالة الشاهد هي من عدمها والتي مناطها (عدم اتيان الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر)

٥ ـ السماح بدخول كتب الشيعة الى المملكة كغيرها من الكتب بحيث لا يكون سبب المنع كون الكتاب شيعيا او لمؤلف شيعي وان توضع في مداخل الحدود قائمة مطبوعة حتى يتمكن صاحب الكتب الممنوعة من اعادتها الى مصدرها بدلا من مصادرتها .

٦ ـ افساح المجال للطالبات الشيعيات بدخول معاهد المعلمات كأي طالبة اخرى وتمكين دورات الكفاءة منهن بالقيام بادارة المدرسة كالاولاد

واننا نعتقد انه بتحقيق هذه المطالب يجعل الفرد في هذا البلد يشعر ان لا فرق بينه وبين اخيه السني .

والله يحفظكم ويرعاكم .

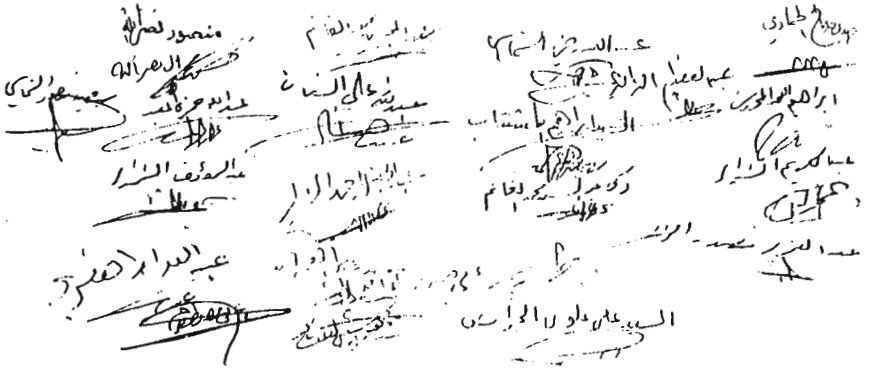

تكاثرت اعتداءات الحرس الوطني المعسكر في المنطقة الشرقية ضد الشيعة ، مما اثار استياءاً عاماً . وقد كتب اهالي العوامية رسالة حول الإعتداءات المختلفة ، فكان جواب ولي العهد ـ الملك الحالي ـ بانه لا يرضى بذلك .

رياض ٧٠ ـ ١٦ / ٤ / ١٤٠٠ هـ
عود ٢٩٢١ ـ عاجلة

السيد جعفر صالح عبد الجبار ورفقاه أهالي العوامية بالقطيف .

وردتنا برقيتكم المؤرخة في ١٥ الجاري ، وعلمنا بما أشرتم إليه من تعرّضكم للإهانة ،وكما تعلمون ، فإننا لا نرضى أبداً ولا نقبل أن يُهان أيّ مواطن وتلحق به إساءة من أحد ، وسوف نقوم بإجراء التحقيق اللازم فيما ذكرتموه إن شاء الله ، سائلين الله التوفيق لما فيه خير ديننا ووطننا وإسعاد مواطنينا .

فهد بن عبد العزيز

عيشب ٨٠ ٨٠

رياض ٧٠ ٤٠٠/٤/١٦ ٨/ز عبد الكريم
عود ٢٩٢١ عاجله
السيد جعفر صالح عبدالجبار ورفقاء اهالي العوامية بالقطيف
وردتنا برقيتكم المورخه في ١٥ الجاري وعلمنا بما اشرتم اليه
من تعرضكم للاهانه وكما تعلمون فاننا لانرضى ابدا ولانقبل
ان يهان اي مواطن وتلحق به اساءه من احد وسوف نقوم باجراء
التحقيق اللازم فيما ذكرتموه ان شا الله سائلين الله التوفيق
لما فيه خير ديننا ووطننا واسعاد مواطنينا
فهد بن عبدالعزيز
رجعه

التقى وزير الداخلية باعيان الشيعة في قصره بالخبر ، فطالبوه بإطلاق سراح السجناء السياسيين ، وإيقاف الإعتقالات . الرسالة المؤرخة في اواخر رمضان ١٤٠٠ هـ تذكّر نايف بوعده بإطلاق سراح المعتقلين .

حضرة صاحب السمو وزير الداخلية المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

في هذا الشهر الفضيل وايامه الأخيرة ذات ليلة القدر حيث يتضاعف الأجر من الله تعالى . نرفع لسموكم أسمى التهاني به وبعيد الفطر المبارك شاكرين سموكم بإطلاق من جرى إطلاقه من أبناءنا مذكرين سموكم الوعد الذي قطعتموه في الإجتماع الذي تم مع سموكم بالقصر العامر بالخبر حيث وعدتم بذل أقصى الحرص والإهتمام لإنهاء قضية السجناء وإطلاق سراحهم وإذا كان وعد سموكم رصيدا لاتراجع فيه فإن رغبة سموكم التقرب الى الله تعالى تفوقه أضعافا .

لذا نعاود رجاءنا بصدور الأمر الكريم بإطلاق البقية كلهم وإيقاف الإعتقالات فهي مستمرة ولعلها نتيجة ما يواجهه المعتقلون الأمر الذي إستنكره سموكم ونفاه .

حفظ اللهسموكم وحفظ حضرة صاحب الجلالة وولي عهده الأمين وأدام لنا العهد الزاهر .

حضـــرة صـــاحب السمو الملكي وزير الداخليـــــــة المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

في هذا الشهر الفضيل وأيامه الاخيرة ذات ليلة القـــــدر حيث يتضـــاعف الاجر من اللـــــه تعالى . نرفـــع لســـموكم أسمى التهاني به وعيد الفطر المبارك شـــاكرين سموكم باطلاق من جرى اطلاقه من ابنائنـــا مذكرين سـموكم الوعـــد الذي قطعتموه في الاجتمـــاع الذي تم مع سموكم بالقصـــر العامـــر بالخبير حيث وعدتم ببذل أقصى الحـــرص والاهتمـــام لانهـــاء قضيـــة الســـجناء واطلاق سراحهم واذا كان وعد سـموكم رصـــيدا لاتراجـــع فيـــه فان رغبـــة سـموكم التقرب الى اللـــه تعـــالى تفوقه أهـــمية .

لذا نعـــاود رجاءنا بصـــدور الامر الكريـــم باطلاق البقيـــة كلهـــم وايقاف الاعتقالات فهي مســـتمرة ولعلهـــا نتيجة مايواجهـــه المعتقلون الامـــرين الذي استنكره ســـموكم وفقـــاه .

حفظ الله ســـموكم وحفظ حضرة صـــاحب الجلالة وولي عهده الامين وأدام لنا العهـــد الزاهـــر

في ليلة عيد الفطر ١٤٠٠ هـ ، اعتصم المعتقلون السياسيون في سجن المباحث بالدمام احتجاجاً على النظام وسياساته . وقد ارادت الحكومة الإستفادة مما جرى كمبرر لتصعيد القمع ، فردّ الوجهاء بان حلّ المشكلة يتم بمعالجة الجذور وليس النتائج ، والجذور هي : التمييز المذهبي الذي تنتهجه الحكومة ضدّ الشيعة .

صاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء المعظم .

بتاريخ ٢ شوال ١٤٠٠ هـ ، استدعت امارة المنطقة بعض أهالي القطيف وقراها وأبلغتهم برقية سموكم حول ما حدث بالسجن ليلة العيد . ونحن إذ نؤكد لسموكم أسفنا ، فإننا نعتقد أن سموكم وكل المسؤولين يعرفون القطيف على مدى سبعين عاماً مضت من حكم أسرة آل سعود الكريمة ، فقد قدمت بغير منّ كلّ ما تملك بدافع الإخلاص والولاء وهي لاتزال تنشد الأمن والإستقرار ولا ترضى مطلقاً بحدوث ما يعكّر ذلك الرخاء المنشود .

ونرى لزاماً علينا وقد تفضل سموكم الكريم بإحاطتنا علماً ،أن نعود ونكرر ما سبق أن قلناه في كتاباتنا السابقة لجلالة الملك المعظم ، ولمقام سموكم وشرحناه بإسهاب الى اللجنة التي شكلها سموكم ، وقلناه شفوياً الى سمو وزير الدفاع والطيران ، والى سمو وزير الداخلية حين مقابلتهما كل على حدة في قصريهما العامرين بالخبر ، والى سمو نائب وزير الداخلية حين مقابلته في الرياض . وجهة نظرنا في الأحداث وطالبنا بعلاج دوافعها وأسبابها ، وإننا إذ نكرر الرجاء بالعمل على اجتثاث جذور الأسباب لنعتقد أن هذا أفضل من علاج النتائج . فلو تفضل سموكم الكريم وأمر بتحقيق ما شكت منه الأهالي لا سيما فيما يتعلق بالنواحي المذهبيّة ، فإنه سيفوّت الفرصة على كل من يحاول تعكير العلاقة بين الدولة والمواطنين ، كما أننا نرجو التحقق من صحّة ما حدث ، فمن الجائز أن يكون هناك تضخيم كما ضخمت قبلها أحداث محرم ، وإن لنا لعظيم الأمل في حنكة سموكم ، وتحسس آلام وآمال المواطنين .

أدام الله سموكم وحفظكم .

صاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء الموقر

بتاريخ ٢ شوال سنة ١٤٠٠ هـ استدعت امارة المنطقة بعض اهالي القطيف وقراها وابلغتهم برقية سموكم حول ماحدث بالسجن ليلة العيد . ونحن اذ نوافد لسموكم ايضا فاننا نعتقد ان سموكم وكل المسئولين يعرفون القطيف طى مدى سبعين عام حلت عن حكم اسرة آل سعود الكريمة فقد قدمت بغير من كلما تملك بدافع الاخلاص والولاء وهي لاتزال فقدها الامن والاستقرار ولا ترضى بطبيعتها بحدوث ما يعكر ذلك الرخاء المنشود . ونرى لزاما علينا وقد تفضل سموكم الكريم باحاطتنا علما ان نعود وتذكر سموكم ان قضاءنا في كتاباتنا السابقة لجلالة الملك المعظم ولمقام سموكم وشرحناه باسهاب الى اللجنة التي شكلها سموكم وقضاءنا شفويا الى سمو وزير الدفاع والطيران والى سمو وزير الداخلية حين مقابلتهما كل على حده في قضيتها الماساوية بالخبر والى سمو نائب وزير الداخلية حين مقابلته في الرياض وجهة نظرنا في الاحداث ومالها وعليها واسبابها واننا اذ نكرر الرجاء بالعمل على اجتثاث جذور الاسباب لنعتقد ان هذا افضل من علاج التفاح فلو تفضل سموكم الكريم وامر بتحقيق ماشكت منه الاهالي لاسيما فيما يتعلق بالنواحي المذهبية فانه سيفوتهم الفرصة على كل من يحاول تعكير الصلاة بين الدولة والمواطنين كما اننا نرجو التحقق من صحة ماحدث فمن الجائز ان يكون هناك تضخيم كما ضخمت قبلها احداث بحرم وان لنا لعظيم الامل في حنكة سموكم وتحسس الام وامال المواطنين ادام الله سموكم وحفظكم

عبد الله علي المرزوق

في عامي ١٤٠٥ هـ و ١٤٠٦ هـ شنّت اجهزة القمع حملة اعتقالات واسعة طالت المئات من المواطنين .. وبعد ضغوط محليّة ودوليّة اضطرت السلطة لإطلاق سراحهم في ١٤٠٧ هـ بمكرمة ملكيّة ! . امامك برقيّة شكر من الوجهاء الى وزير الداخلية حول عفو الملك عن السجناء ومَن هم في خارج المهلكة ! .

حضرة صاحب السمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية سلمه الله

نشكركم وأهالي القطيف على مشاعركم الطيبة بمناسبة المكرمة الملكية بإطلاق سراح أبناءكم المساجين والعفو عن من هم خارج المملكة وأننا إذ نقدر لكم ذلك نرجو من الله التوفيق للجميع ولكم تحياتنا .

منصور بن أحمد الخنيزي ورفقاؤه / القطيف

تشيشيـــ ٤ ٤
ريـــاض ٢٦ ١٤٠٧/٥/٢٨هـ ١٦ محمد
لرقم ١/ب/خ/٧٢٠
لمكرمين منصور بن احمد الخنيزى ورفقاه / القطيف

ؤ/ نشكركم واهلي القطيف علي مشاعركم الطيبه مناسبه المكرمه الملك باطلا ق سراح ابنائكم المساجين والعفو عن من هم خارج المملكه وانن ل نقدر لكم ذلك نرجو من الله التوفيق للجميع ولكم تحيـاتنا

نايف بن عبدالعزيز
وزير الداخليه

اعيان الشيعة يوجهون دعوة الى الملك لزيارة القطيف حين يمرّ بالمنطقة الشرقية ، ولكن الملوك السعوديين منذ عهد فيصل وحتى الآن لا ياتون ولا يجيبون الدعوات . الدعوة الأخيرة موجهة في ٢٠ / ١١ / ١٤١١ هـ .

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز سلمه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

بمناسبة زيارة والد الجميع خادم الحرمين الشريفين الى هذا الجزء من بلادنا العامرة بوجوده والأسرة الكريمة في زيارته التفقدية لشؤون مواطنيه ، يسرنا أن نتقدم لسموكم الكريم بدعوة خادم الحرمين الشريفين لزيارة بلده القطيف وكلنا أمل أن يكون لتوسط سموكم في هذه الدعوة الدور الإيجابي فلقد سبق أن تقدمنا بمثل ذلك في الزيارات السابقة كما أنه حفظه الله وعدنا بزيارة القطيف حين إجتمعنا به بالقصر الملكي العامر في جدة وحبذا لو كانت الإجابة في حال الموافقة على وجبة غذاء ، ذلك إن أبناء القطيف يتطلعون منذ زمن لتشريف خادم الحرمين الشريفين أطال الله عمره وأبقاه وإياكم لهذا الشعب الوفي .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز سلمه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

بمناسبة زيارة والد الجميع خادم الحرمين الشريفين الى هذا الجزء من بلادنا العامرة بوجوده والأسرة الكريمة في زيارته التفقدية لشؤون مواطنيه ، يسرنا ان نتقدم لسموكم الكريم بدعوة خادم الحرمين الشريفين لزيارة بلده القطيف وكلنا أمل ان يكون لتوسط سموكم في هذه الدعوة الدور الايجابي فلقد سبق ان تفضلتم بمثل ذلك في الزيارات السابقة كما انه حفظه الله وعدنا بزيارة القطيف حين اجتماعنا به بالقصر الملكي العامر في جده وحبذا لو كانت الاجابة في حال الموافقة على وجبة غذاء ، ذلك ان ابناء القطيف يتطلعون منذ زمن لتشريف خادم الحرمين الشريفين اطال الله عمره وابقاه واياكم لهذا الشعب الوفي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ١٤١١/١١/٩هـ

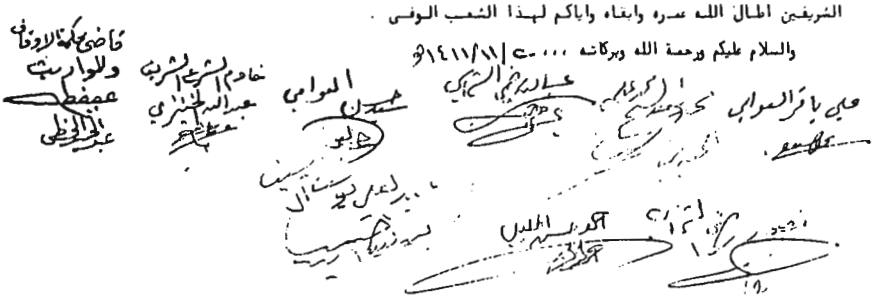

ودعوة اخرى في ٥ / ٥ / ١٤١٢ هـ لوزير الشؤون البلدية والقرويّة لزيارة القطيف وقراها ، ليرى التقدّم على الطبيعة ! .

صاحب المعالي وزير الشؤون البلدية والقروية سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

حيث أن معاليكم سيزور المنطقة الشرقية يوم الأربعاء ١٤١٢/٥/٧هـ يسرنا دعوتكم لزيارة بلدكم القطيف وتناول طعام الغداء يوم الخميس ١٤١٢/٥/٨هـ ، آملين أن نتلقى إجابتكم بالموافقة .

وتقبلوا معاليكم أسمى تحياتنا ؟

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Prefix No.		الرمز والرقم			رقم الحاصلات
PILOT LINE		WORDS	DATE	TIME	
					تعليمات مصلحية
الوقت	التاريخ	الكلمات	السطر الارشادي		SERVICE INSTRUCTION
٦ ص ١١.٨	١٤١٦/٥/٥				

حقم دو تاريخ

عامل المغادرة

دقيقة ساعة ت الارسال

NAME OF ADDRESSEE

ADDRESS

OFFICE OF DESTINATION

اسم المرسل اليه :

العنوان :

مو الدينة — اسم الدولة

صاحب المعالي وزير الشئون البلدية والقروية — حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حيث ان معاليكم سيزور المنطقة الشرقية يوم الاربعاء ١٤١٦/٥/٣ هـ يسرنا دعوتكم لزيارة بلدكم القطيف

وتناول طعام الغداء يوم الخميس ١٤١٦/٥/٤ هـ آملين ان تتفضل لاجابتكم بالمواقف

وتفضلوا معاليكم أسمى تحياتنا ،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسم	رقم الحفيظ	التاريخ	العدد	التوقيع
	١١٠٨٨١	١٤١٦/٥/٢		
	٢٤٤٩	١٤١٦/٥/٢		
	٣٨٤	١٤١٦/٥/٢		
	٤٤٢٩	١٤١٦/٥/٢		

الجزء التالي لا يحسب بالبرقية

NAME, ADDRESS, PHONE-NUMBER OF SENDER, AND SIGN.

اسم وعنوان ورقم هاتف المرسل مع توقيعه

PLEASE WRITE THE TELEGRAM IN BLOCK LETTERS
DESTINATION SHOULD BE IN THE END OF ADDRESS

- الرجاء كتابة البرقية بخط واضح
- الرجاء كتابة بلد المورد كاخر كلمة في العنوان
- رقم الهوية الشخصية — تاريخها — مصدرها — نوعها

احتجاج يقدّمه اعيان الشيعة الى الملك بشان عدم توظيف المواطنين الشيعة في ارامكو والمؤسسات الحكومية والاهليّة الاخرى .

خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة اللهوبركاته :ـ

على اثر ما يعاني أبناءكم المواطنون السعوديون الشيعة من مرارة الحرمان وقسوة المعاملة بابعادهم عن التكسب والعمل في بلادهم رفعنا لمقامكم السامي برقيا برقم ٦٠ وتاريخ ١٤١١/٥/٣٠هـ أوضحنا فيها مايعانونه من البؤس ولذعة الجوع ، وسوء الحالة التي يعيشونها رجالا ونساءا عجزة وأطفالا ، بسبب ما قامت به شركة أرامكوا وتبعها غيرها من الشركات والمؤسسات بعدم قبول أي شيعي للتوظيف مهما كانت مؤهلاته أو شهادته حتى ولو كان جامعيا من حملة البكلوريوس أو الماجستير في الوقت الذي يوظف غير الشيعي حتى ولو لم يكن لديه أي مؤهل ، ولم تكتف أرامكو بالتوقف عن توظيف الشيعة فقط بل إنها أبعدت ذوي القدرات والكافاءات عن مناصبهم وأنزلت البعض الى وظائف أدنى ، مما جعل المواطن الشيعي لايلاقي سوى الرفض وعدم القبول في بحثه عن الوظيفة أو العمل ، فيعود أدارجه قابعا في بيته يجر أذيال الخيبة يجتر الامه وأحزانه وهو في بلده الذي هو منبع الخير وأصل العطاء ، وكنا نعتقد أن مقامكم السامي بمجرد اطلاعه على مرفوعنا وعلمه بما آلات إليه أوضاع أبناءه من البؤس والجوع بسبب إيصاد منافذ الرزق والعمل في وجوههم ، إعتقدنا أنه سيصدر أمركم السريع الحاسم برفع هذا الحرمان وفتح أبواب العمل لهم على أرضهم وفي بلدهم الذي عاش فيه آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ، وأن يعاملوا بالمساواة كغيرهم من بقية المواطنين دون فرق بين شيعي أو سني نظراً لما نعتقده في شخصكم من صفة الحاكم العادل الذي هو مسؤول عنا أمام اللهسبحانه ، لأننا وبقية المواطنين نعيش تحت علم حكومتكم الخفاق ، لذلك إستغربنا من تمادي شركة أرامكوا وغيرها من الشركات والمؤسسات في التعنت وإصرارها على التمييز والتفرقة بيين

مواطنن وآخر دون سبب سوى أنهم شيعة فقط ، وكأن هذا المذهب الذي هو أحد المذاهب الإسلامية جريمة لاتغتفر ، وهذا تحد سافر وظلم فظيع لاترضونه لأنكم الحاكم العادل وإذا لم نفزع لمقامكم السامي وأنتم المسؤول عنا بعد الله سبحانه فإلى من نفزع ؟ وإلى من نلجأ لبث شكوانا وآلامنا . لذا نعود لمقامكم والثقة تملأ قلوبنا ، والأمل يغمر نفوسنا لإنقاذ هذا البلد البائس من معاناته ومحنته ورفع هذا الظلم الواقع عليه باصدار أمركم القاطع الحاسم والعاجل لأرامكوا وغيرها من الشركات والمؤوسسات بأن تعامل الشيعة كمعاملة كبقية المواطنين في إفساح المجال أمامهم للعمل وأن يكون رفضهم أو قبولهم خاضعا لنفس الشروط والمقاييسس التي يخضع لها غيرهم تحقيقا للعادلة ودرءاً للمفاسد والأخطار المترتبة على تفشي البطالة والعوز والحاجة وكي لا يحس ابناء هذا الوطن باليأس والاحباط وهم يرون خيرات أرضهم تعم القاصي والداني لافي داخل المملكة فحسب بل وفي البلاد العربية والإسلامية وهم منها محرومون وعنا مبعدون ، نكرر مرة أخرى صرختنا بإصدار أمركم الكريم بإلغاء أي نوع من أنواع التفرقة والتمييز بين ابناء هذا الوطن الغالي علينا جميعا حفظكم الله ذخرا لهذا البلد وحصنا له من كل سوء .

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز — حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

على اثر مايعانيه ابناؤكم المواطنون السعوديون الشيعه من مرارة الحرمان وقسوة المعاطه بابعادهم عن التكسب والعمل في بلادهم رفعنا لمقامكم السامي برقيا برقم ٦٠ وتاريخ ١٤١١/٥/٣٠هـ أوضحنا فيها مايعانونه من البؤس ولذعة الجوع ، وسوء الحالة التي يعيشونها رجالا ونساءا عجزة واطفالا ، بسبب ماقامت به شركة ارامكو وتبعها غيرها من الشركات والمؤسسات بعدم قبول أي شيعي للتوظيف مهما كانت مؤهلاته او شهاداته حتى ولو كان حاصلا من حملة البكالوريوس او الماجستير في الوقت الذي يوظف غير الشيعي حتى ولو لم يكن لديه أي مؤهل ، ولم تكتف ارامكو بالتوقف من توظيف الشيعة فقط بل انها ابعدت ذوي القدرات والكفاءات عن مناصبهم وانزلت البعض الى وظائف ادنى ، مما جعل المواطن الشيعي لايلاقي سوى الرفض وعدم القبول في بحثه عن الوظيفة او العمل ، فيعود ادراجه قانعا في بيته بجر اذيال الخيبة بجانب الآمه واحزانه وهو في بلده الذي هو منبع الخير وأصل العطاء ، وكنا نعتقد ان مقامكم السامي بمجرد اطلاعه على مرفوعنا وعلمه بما آلت اليه أوضاع ابنائه من البؤس والجوع بسبب ابعاد منافذ الرزق والعمل في وجوههم ، اعتقدنا انه سيصدر أمركم السريع الحاسم برفع هذا الحرمان وفتح ابواب العمل لهم على ارضهم وفي بلدهم الذي عاش فيه اباؤهم واجدادهم منذ الاف السنين ، وان يعاملوا بالمساواة كغيرهم من بقية المواطنين دون فرق بين شيعي او سني نظرا لما نعتقده في شخصكم من صفة الحاكم العادل الذي هو مسئول عنا امام الله سبحانه ، لاننا وبقية المواطنين نعيش تحت علم حكومتكم الخفاق ، لذلك استغربنا من تمادي شركة ارامكو وغيرها من الشركات والمؤسسات في التمنت واصرارها على التمييز والتفرقة بين مواطن وآخر دون سبب سوى انهم شيعة فقط ، وكأن هذا المذهب الذي هو أحد المذاهب الأسلامية جريمة لاتغتفر ، وهذا تحد سافر وظلم فظيع لاترضونه لانكم الحاكم العادل . واذا لم نفزع لمقامكم السامي وانتم المسئول عنا بعد الله سبحانه فالى من نفزع ؟ والى من نلجأ لبث شكوانا والا نحن . لذا نعود لمقامكم والثقة تملأ قلوبنا ، والأمل يغمر نفوسنا لانقاذ هذا البلد الباثس من معاناته ومحنته ورفع هذا الظلم الواقع عليه باصدار أمركم القاطع الحاسم والعاجل لأرامكو وغيرها من الشركات والمؤسسات بأن تعامل الشيعة كمعاملة بقية المواطنين في اتاحة العمل امامهم للعمل وان يكون رفضهم او قبولهم خاضعا لنفس الشروط والمقاييس التي تخضع لها غيرهم تحقيقا للعدالة ودرءا للمفاسد والأخطار المترتبة على تفشي البطالة والعوز والحاجة وكلا يحس ابناء هذا الوطن باليأس والأحباط وهم يرون خيرات ارضهم تعم القاصي والداني لافي داخل المملكة وحسب بل وفي البلاد العربية والاسلامية وهم منها محرومون ، ومنها مبعدون ، نكرر مرة اخرى مرفقتا باصدار امركم الكريم بالغاء اي نوع من انواع التفرقة والتمييز بين أبناء هذا الوطن الغالي علينا جميعا حفظكم الله ذخرا لهذا البلاد . وحصنا له من كل سوء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

رسالة موجّهة الى الأمير محمد بن فهد في ٢٢ صفر ١٤١٢ هـ حول رفض الشركات والمؤسسات الحكومية توظيف الشيعة ضمن السياسة الحكومية الجديدة ! .

حضرة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

إن سموكم على علم بأن أهل القطيف ـ بل شيعة المنطقة ـ منع عليهم العمل في القطاعات الأهلية ـ لاسيما الشركات والمؤسسات الكبرى ـ كشركة أرامكو السعودية وسكيكو وغيرهما . وإذا حدث غير ذلك فنادر ولسبب أو آخر .

ومثل هذا المنع لايقتصر علمه أو ضرره على مجموعة دون أخرى من المواطنين لذلك فإن الشعور العام في موقف المندهش الحائر ، فلم يجد بداً من الرجوع رأساً الى ولي أمره ـ خادم الحرمين الشريفين ـ لأن له الكلمة الأخيرة والقول الفصل . ولعلم الجميع بأنه لايرضى بمثل هذه الأساليب ضد المواطنين . ولعلمنا بأن سموكم لم يكن ليقبل ـ وهو على رأس الحكم في المنطقة ـ بأن يعامل أحد من الناس عامة بظلم أو اجحاف . فكيف بما يؤدي الى الاستياء العام . لأن سموكم راعٍ ـ بعد الله تعالى وبعد والدكم ـ لكل مواطني المنطقة . وكل راع مسؤول عما استرعي عليه .

كما أن سموكم أحد مسؤولي لأسرة الحاكمة الذين لهم الأدوار في تنظيم شؤون الحكم ، لذا رأينا أن نقدم الى سموكم الكريم الخطاب الموجه الى خادم الحرمين الشريفين راجين أن يكون وصوله الى يده الكريمة عن طريق سموكم مدعماً بكلمة طيبة تلبي طلبنا وتحقق أمنيتنا ورغبة الجميع من مواطنيكم . كما عودتموهم مواقف الخير .

الوثيقة رقم : ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي امير المنطقة الشرقية حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

ان سموكم على علم بان اهل القطيف - بل شيعة المنطقة - منع عليهم العمل في القطاعات الاهلية لاسيما الشركات والمؤسسات الكبرى - كشركة ارامكو السعودية وسكبكو وغيرهما . وإذا حدث غير ذلك فنادر ولسبب او آخر .

ومثل هذا المنع لايقتصر علمه او ضرره على مجموعة دون اخرى من المواطنين لذلك فان الشعور العام في موقف الغندهش الحائر ، فلم يجد بدا من الرجوع رأسا الى ولي امره - خادم الحرمين الشريفين - لان له الكلمة الاخيرة والقول الفصل . ولعلم الجميع بانه لايرضى ابدا بمثل هذه الاساليب ضد المواطنين . ولعلمنا بان سموكم لم يكن ليقبل - وهو على رأس الحكم في المنطقة - بأن يعامل احد من الناس عامة بظلم او اجحاف . فكيف بما يؤدي الى الاستياء العام . لان سموكم راع - بعد الله تعالى وبعد والدكم - لكل مواطني المنطقة . وكل راع مسؤل عما استرعى عليه .

كما ان سموكم احد مسؤلي الاسرة الحاكمة الذين لهم الادوار في تنظيم شؤن الحكم ، لذا رأينا ان نقدم الى سموكم الكريم الخطاب الموجه الى خادم الحرمين الشريفين راجين ان يكون وصوله الى يده الكريمه عن طريق سموكم مدعما بكلمة طيبة تلبي طلبنا وتحقق امنيتنا ورغبة الجميع من مواطنيكم . كما نعودتموهم مواقف الخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ١٤١٩/٢/٢٢هـ

تحدّث الملك في جلسة مجلس الوزراء في ١٩ / ٥ / ١٤١٢ هـ عن تساوي الفرص بين المواطنين .. فما كان من وجهاء الشيعة إلّا ان توجّهوا له بعد الشكر بان يصدر أمراً سامياً يلغي التمييز الطائفي ، خاصة في التعليم والوظائف .

الى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن حديثكم بجلسة مجلس الوزراء الموقر يوم الأثنين ١٩ / ٥ / ١٤١٢ هـ فيما يخص الشؤون الداخلية ذلك التوجيه الكريم أن لا فرق بين مواطن وآخر في فرص العمل والتعليم قد أثلج صدور ابناءكم الشيعة فإنها لفته سامية تنبه كل مسؤول في الدولة بعدم خلق الفوارق ووضع العقبات في وجه طالبي العمل والتعليم من مواطنيكم الشيعة الذين يعانون من هذا الوضع خلال السنوات الأخيرة وما يزالون كذلك حتى اليوم ولقد تشرفنا بالرفع للمقام السامي الكريم مراراً نشكو ألمنا وآخرها ما تم رفعه لمقامكم بواسطة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية بتاريخ ١٤١٢/٢/٢٢ هـ

وبعد سماعنا للتوجيه السامي نتوجه لكم ياخادم الحرمين الشريفين بالشكر والتقدير فهذا ما تعودناه من مقامكم ومن الأسرة الكريمة حيث اعتبره ابناؤكم الشيعة ان هذا بمثابة أمر يحث على رعايتهم وعدم التفريق بينهم وبين اخوانهم سائر المواطنين السعوديين

فنرجو من الأب الحاني التأكيد على هذه اللفته بأمر سامي يبلغ لكافة اجهزة الدولة والشركات خصوصاً الكبيرة منها بقبول المواطن الشيعي في الاعمال وشتى انواع الوظائف وكذلك القبول بالجامعات ذكوراً واناثاً على اساس الشروط المعروفة للقبول او الرفض وليس على اساس الانتماء المذهبي الذي يتخذه ضعاف النفوس ذريعة للتفريق بين المواطنين حقق الله بكم آمال كل مواطن مخلص غيور واطال الله بقاءكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Prefix No.			الرمز والرقم	رقم الحاصلات	
PILOT LINE		WORDS	DATE	TIME	خصم ذو تاريخ
				تعليمات مصلحية	عامل لحابرة
الوقت	التاريخ	الكلمات	السطر الارشادي		
				SERVICE INSTRUCTION	دقيقة ساعة ت الارسال

NAME OF ADDRESSEE — اسم المرسل اليه :

ADDRESS — لعنوان :

OFFICE OF DESTINATION — اسم الدولة — ه الضبعة

الى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد — سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

ان حدثكم مجلس الوزراء الموقر يوم الأثنين ١٤١٢/٥/١٩هـ فيما يخص الشؤون الداخلية ذلك التوجيه الكريم أن لا فرق بين مواطن وآخر في فرص العمل والتعليم فقد أتاح صدور امركم السامي لشعبكم أيها الشعب كل مسؤول في الدولة بعدم خلق الفوارق ووضع العقبات في وجه طالبي العمل والتعليم من مواطنكم الشعب الذين يعانون من هذا الوضع خلال السنوات الأخيرة ومايزالون كذلك حتى اليوم ولقد تشرفنا بالرفع للمقام السامي الكريم مرارا نشكو ألمنا وآخرها ماتم رفعه لمقامكم بواسطة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية بتاريخ ١٤١٢/٢/٢٢هـ .

وبعد سماعنا لتوجيه السامي نتوجه لكم ياخادم الحرمين الشريفين بالشكر والتقدير فهذا ماتعودناه من مقامكم ومن الأسرة الكريمة حيث أعتبره ابناؤكم الضبعة ان هذا يعتبر أمر يحث على رفاههم وعدم التفريق بينهم وبين اخوانهم سائر المواطنين السعوديين .

فنرجو من الأب الحاني التأكيد على هذه اللفته بأمر سامي يبلغ لكافة اجهزة الدولة والشركات خصوصا الكبيرة منها بقبول المواطن الضبعي في الاعمال وشتى انواع الوظائف وكذلك القبول بالجامعات ذكورا واناثا على اساس الشروط

جزء التالي لا يحسب بالبرقية

NAME, ADDRESS, PHONE-NUMBER OF SENDER, AND SIGN. — اسم وعنوان ورقم هاتف المرسل مع توقيعه

PLEASE WRITE THE TELEGRAM IN BLOCK LETTERS
DESTINATION SHOULD BE IN THE END OF ADDRESS

الرجاء كتابة البرقية بخط واضح
الرجاء كتابة بلد المورد كآخر كلمة في العنوان

رقم الهوية الشخصية — تاريخها — مصدرها — نوعها

الكتاب الشيعي ممنوع أنّى كان محتواه .. في الوثيقة احد المواطنين جلب نحو ١٤٠٠ كتاب ،فتمّت مصادرتها من قبل هيئة الرقابة ،واصرّ قاضي الظهران على حرقها رغم أن صاحبها ابدى استعداده لإعادتها من حيث اتى بها . وجهاء الشيعة وعمدهم احتجوا على ذلك في جمادى الأولى من عام ١٣٧٤ هـ لدى امير الشرقية سعود بن جلوي .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الأمير الأجلّ الشيخ سعود بن جلوي ، الموقر
بعد رفع عظيم الإحترام ورحمة الله وبركاته على الدوام ..
يا صاحب السمو

إن الحكومة الجليلة قد كفلت لجميع المواطنين حرية المعتقد .. وكنا في عديد المناسبات نرفع للحكومة ما نحسّه مجحفاً بحقنا كجماعة مسلمة لها معتقدها كسائر الأمم الإسلامية فنجد استجابة مطلبنا .. لذا لا نرى مناصاً من أن نرفع لسموكم الكريم بصدد الكتب التي ترد لهذه البلاد ، فقد أصبحت هيئة الرقابة على الكتب وكأنها لا ترى الأمّة الشيعية إلّا كأمّة ليست من الإنسانيّة في شيء ..لأن الهيئة أصبحت تمنع الكتب حتى الرسائل العملية الفقهية ومناسك الحج التي ترد الى الشيعة .

فإذا كانت هيئة الرقابة تشرف على الكتب السياسية أو التي تتعرض للدين الإسلامي ، فليس من حقها أن تتعرض لكتب شيعية تدخل لأناس شيعة . إن الحكومة ذاتها لا تفرض على مواطنيها اعتناق مذهب وترك آخر ، فكيف بهذه الهيئة التي أصبحت تتحدّى الشيعة بصورة فاضحة مشينة ،والأنكى من ذلك ، بدلاً من اعلانها للكتب الممنوعة حتى يتجنّب الناس جلبها ، هو حرق جميع الكتب التي ترد ، في حال أن موردها مستعد بإرجاعها الى محلاتها ، الى الخارج .

يا صاحب السمو

إن الكتب التي جاءت لعبد الحميد الزاير ، وهي تقارب الألف والأربعمائة كتاب ، وقد منعتها هيئة الرقابة ، قد طلب إرجاعها

للخارج ، إلّاانه حتى الآن ومازال قاضي الظهران مصرّاً على حرقها ، وهذا شيء لا يرضي الحكومة ، لأنه يضرّ بحالة المذكور المالية ويحط بمعاملته ، والحكومة هي التي تشجع الناس وترفع مستواهم . فإذا كانت الكتب لا توافق رأي الهيئة فإنه من المسيء جداً حرق الكتب ، وصاحبها لم يكن يعلم بمنع دخولها ، ومادام قد استعد بارجاعها ، فلا مبرر لحرقها .

لذا نرجو من سموكم حسن النظر ، والسماح له بإرجاعها كما سبق أن أمر سموكم بذلك .

جعل الله عهدكم عهد مساواة والسلام عليكم .

.. / ٥ / ١٣٧٤ هـ

الموقعون : عمدة صفوى ـ سلمان عبد الهادي ، عمدة الجارودية ـ صالح السليمان ، عمدة حلّة محيش ـ ابراهيم العجيان ، عبد الله الشماسي ،أحمد سنبل ، عبد الكريم الخنيزي ، حسن المرزوق ، سعيد عمران ، محمد علي الشماسي ، عبد الرؤوف السنان ، منصور الشماسي ، فوزي الجشي ، صالح بن عباس ، أحمد الزاير ، محمد سعيد الخنيزي ، عبد الواحد الخنيزي ، عبد الرسول صالح الجشي ،أنور الجشي ، عبد الكريم سنان ، حسن السنان ، وغيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الأمير الأجل الشيخ سمو دبن جلو ى الو تر

بعدرفع عظيم الأحترام و رحمة الله و بركاته على الدو ام . ياصاحب السمو

ان الحكو مة الجليلة تدكلت لجميع الو اطنين حرية المعتقد . و كما في عديد المناسبات ترفع للحكو مة عما تحسه مجحفا بحقناكجماعة مسلمة لها معتقدها كسائر الأمم الأسلامية فتجداستجابة مطلبنا . لذا لانرى مناصا من ان نرفيلسمو كم الكريم بعدد الكتب التي تصدر د لهذه البلاد ، قداصبحت هيئة الرقابة على الكتب و كأنها لاترى الأمة الشيعية الا كأمة ليست من الأمم الاسلامية في شيء . لأن الهيئة اصبحت تمنع الكتب حتى الرسائل العلمية القيمة و مناسك الحج التي ترداني الشيعة . فاذا كانت هيئة الرقابة تشرف على الكتب السياسية او التي تتعرض للدين الأسلا مي فليس من حقها ان تتعرض لكتبشيعية تدخل لأناس شيعة . ان الحكو مة ذاتها لاتفرض على مو اطنيها اعتناق مذهب و ترك آخر ، فكيف بهذه الهيئة التي اصبحت تتحدى الشيعة بصو رة فاضحة مشينة ، و الأ نكى من ذلك ـ بدلا من اعلا نها للكتب الصنو مة حتى يتجنب الناس جلبها ـ هو حرق جميع الكتبالتي ترد ، في حال ان مو رّدها ستعيدهاارجاعها الى محلا نها ـ الى الخارج ـ

ياصاحب السمو . ان الكتب التي جائت لعبد الحميد الز اير و هي تستقارب الألف و الأربعمائة كتاب و قد منعتهاهيئة الرقابة . بعد طلب ارجاعها للخارج الآ نه حتى الآن و ما زال قاضي الظهران حبرًا على حرقها ، و هذاشيء لايرضي الحكو مة لأ نه يضر بحالة التذكو ر المالية و يحط بمعاملة ، و الحكو مة هي التي تشجع الناس و ترفع مستو اهم . فاذاكانت الكتب لاتو افق رأ ى الهيئة فانه من السيء جداحرق الكتب و صاحبها لم يكن يعلم بمنع دخو لها ، و عادام تدلستعيدهاارجاعهافلا مبرر لحرقها . لذانرجو من سمو كم حسن النظرو السماح له بارجاعهاكما سبق ان امر سمو كم بذلك . جعل الله عهدكم عهدسماواة و السلام عليكم ... / ٥ / ١٣٧٤

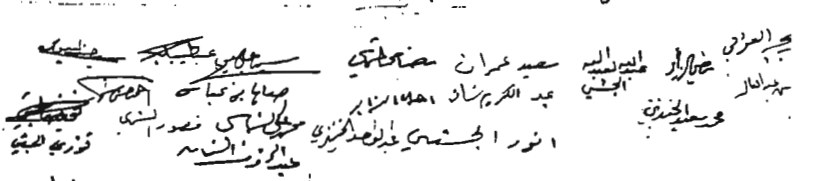

طرد بريدي يحوي كتبأشيعية ثقافية ، صودروحكم على محتوياته بالإعدام حرقاً في ١٦ شوال ١٤٠٤ هـ .

محضر إتلاف رقم ٢٨٧

بحضورنا نحن الموقعين أدناه بعد حرق الطرد رقم (بدون) الوارد من (أمريكا)

المرسل منه وعنوانه : P.oBOX No. 191272 Dlas TX. 76018

المرسل إليه وعنوانه : فهمي لطيف ص . ب ٣٠٦٠ رأس تنورة .

محتويات الطرد :

اليأس والأمل في مفهوم الإسلام ، كتاب المسائل المنتخبة (٤ نسخ) ، الإمام جعفر الصادق ، الإمام زين العابدين ، الزهراء ، الدعوة والدولة ، أحكام الحج ، الإمام الحسين ، المعالم الأساسية للرسالة الإسلامية (نسختان) القادة والزهد في الإسلام ، العبودية ، دعاء كميل ، نفحات رسالية ، خطوط تفصيلية ، بحث حول الولاية .

من مراقب الإعلام المنتدب للطرود البريدية للدمام بتاريخ ١٦/١٠/١٤٠٤هـ والذي أوصى بعدم الموافقة على ما في الطرد / جزء من الطرد . والذي يحتوي على الآتي :

١/ اثنان وعشرون كتابا .

وبناء على ذلك تم إتلافها حرقاً بالنار بجميع محتويات الطرد ومتعلقاته وعلى هذا جرى التوقيع .

مراقب الإعلام / صالح محمد السعود

مندوب الأمن / سالم علي القحطاني

مراقب الجمارك / أحمد محمد

محضر أتلاف رقم (٧٨٧)

بحضورنا نحن الموقعين أدناه بمقر مرن الطرود رقم (٢٠٠) الوارد من (امريكا)
المرسل منه وعنوانه P.O. Box No 191272 Dallas TX 75219

المرسل اليه وعنوانه : مرس لطيف ٢٠٦٠ / ٠٠ / ٠٠ ١٤٢٧ هـ

محتويات الطرد :

١- واحد كتاب الياس والامل في مفهوم الاسلام + واحد كتاب المسائل المنتخبة
٢- كتاب الامام جعفر بن محمد الصادق + واحد كتاب الامام زين العابدين + واحد كتاب في
٣- الزهراء + واحد كتاب التقوى والدولة + واحد كتاب احكام الحج + واحد كتاب
٤- الامام الحسين + واحد كتاب للعالم الاسلامي الرسالة الاسلامية + واحد كتاب الحج
٥- واحد كتاب العبادة والزهد في الاسلام + واحد كتاب العبودية + واحد كتاب لغز يفضل
٦- واحد كتاب دليل + واحد كتاب لتعلم رسالة + واحد كتاب خطوط تفصيلية + واحد كتاب
٧- صغير + واحد كتاب بيت حول القرآن

من مراقب الاقسام المنتدب بالطرود البريدية بالدمام بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٤٠٦ هـ والذي
أوصى بعدم الموافقة على دخول الطرد / جزء من الطرد . والذي يحتوي على الآتي :

١- انيني وكثير كتاب
٢-
٣-
٤-
٥-

بناءً على ذلك تم أتلافها حرقاً بالنار بجميع محتويات الطرد وتعلقاته اليوم / / ١٤ هـ
الموافق / / ١٩ م .

وعلى هذا جرى التوقيع ...

مراقب الاقسام	مندوب الامن	مراقب الجمارك
الاسم / صالح محمد السعوي	الاسم / سالم علي القحطاني	الاسم / أحمد محمد فتى
التوقيع ( )	التوقيع ( )	التوقيع ( )
التاريخ / / ١٤ هـ	التاريخ ١٦ / ١٠ / ١٤٠٦ هـ	التاريخ ١٦ / ١٠ / ١٤٠٦ هـ

وعليه /

مندوب مرن الطرود
الاسم / توفيق عبد العزيز
التوقيع ( )

يعتمد ؟
مدير الطرود البريدية بالدمام
١٦ / ١٠ / ١٤٠٦ هـ
محمد محمد الخياز

صورة للمرسل اليه :

الشيعة بنظر الدولة ومشايخها كفّار ! ، لا يجوز لهم ممارسة مهنة « الجزارة » . رسالة من شيخ وهابي في ١٩ / ٣ / ١٣٦٩ هـ موجّهة لأمير رأس تنورة بمنع أحد القصّابين الشيعة من الذبح .

في ١٩ / ٣ / ٦٩ هـ

حضرة صاحب السعادة المكرم أمير رأس تنوره الموقر . بعد التحية وفايق الأحترام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام نرفع لجنابكم من قبل حنا جماعة من المسلمين مستقيمين في رأس تنوره وعندنا جزار من أهل القطيف رافضي وهو الذي ينحر ويذبح ومع العلم تفهمون أن ذبح الرافضه غير حلال فحنا نطلب من جنابكم تمنعونه من الذبح وتكلفونه يؤجر إنسان من المسلمين يكون يذبح والرافضي يمنع من النحر وحنا مسلمين وعوام وفي ذمة الله ثم ذمة جنابكم وأحببنا اشعاركم والأمر لله ثم لكم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

شيخ جماعة مسجد رأس تنورة .

امام المسجد حسن الوهيبي . ومسفر بن جوثان الهاجري . وهذال بن فهد الخالدي .

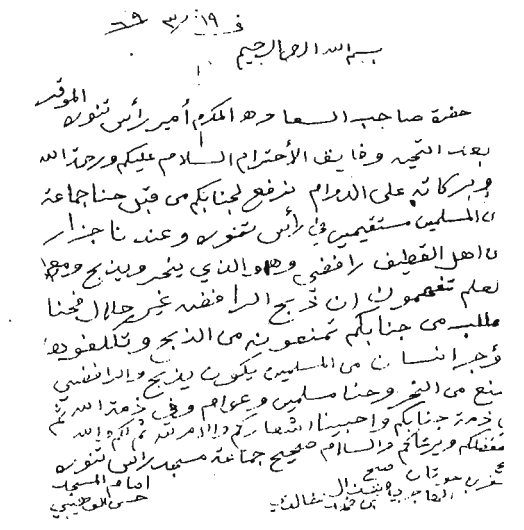

مدير شرطة راس تنورة يؤكد صدور امر سام كريم بمنع قصاب من مزاولة مهنته « لكونه رافضي » ! . التاريخ ٧ / ١١ / ١٣٧٣ هـ .

صاحب السعادة امير راس تنوره الموقر

بعد الاحترام بناءً مع ما تقدم به المستدعي علي بن مهدي القصاب التاروتي لسمو سيدي الأمير سعود بن جلوي المعظم وما صدر به الامرالكريم على استدعائه المرفق القاضي بالسماح للمذكور لمزاولة مهنتة الا اذا هناك مانع خلاف ما ذكر منه .

واعرض انه منع المذكور بموجب قرار فضيلة قاضي الظهران المرفوع من سمو سيدي الامير عبد المحسن بن جلوي المعظم وصدر الامر السامي الكريم على ان ينفذ قرار فضيلة قاضي الظهران ويجرى تنفيذ ذلك بمنع القصاب المذكور لكونه رافضي وقدمت الاوراق لسعادتكم منا برقم (١٢٩٩٥) ٥/ ١١/ ٧٣ هذه الحقيقة اقدمها لكم سيدي. ٧ / ١١ / ٧٣ .

مدير شرطة راس تنوره .

صاحب السعادة امير راس تنوره الموقر
بعد الاحترام بناء مع ما تقدم به المستدعي علي بن مهدي القصاب التاروتي لسمو سيدي الأمير سعود بن جلوي المعظم وما صدر به الامرالكريم على استدعائه المرفق القاضي بالسماح للمذكور لمزاولة مهنته الا اذا هناك مانع خلاف ما ذكر منه
واعرض انه منع المذكور بموجب قرار فضيلة قاضي الظهران المرفوع من سمو سيدي الامير عبد المحسن بن جلوي المعظم وصدر الامر السامي الكريم على ان ينفذ قرار فضيلة قاضي الظهران ويجرى تنفيذ ذلك بمنع القصاب المذكور لكونه رافضي وقدمت الاوراق لسعادتكم منا برقم ١٢٩٩٥
٥/١١/٧٣ هذه الحقيقة اقدمها لكم سيدي ٧/١١/٧٣
مدير شرطة
راس تنوره

إثنان من القصّابين الشيعة يجبران على التعهد في ٢٦ / ٣ / ١٣٧٤ هـ ببيع لحم الذبيحة التي ينحرها « مسلم / وهابي » ! ، وان لا ينحرها هو ، باعتباره مشركاً كافراً .

نحن الموقعين اسماءنا ادناه: علوي بن السيد مكي القصاب وعلي بن احمد بن الشيخ جميعاً القصابين نتعهد على انفسنا اننا لا نذبح الذبيحة بايدينا لبيعها بالسوق . بل نجعل احد القصابين يذبح الذبيحه بيده ونتعهد لأدارة البلدية بجميع اللوازم المطلوبة منا كجاري غيرنا من القصابين حسب النظام وعلى هذا نوقع . ٢٦ / ٣ / ٧٤ هـ .
لايمكن ذبحكم بالتعقب والاشعار .

مدير الرسوم
عبد الرحمن

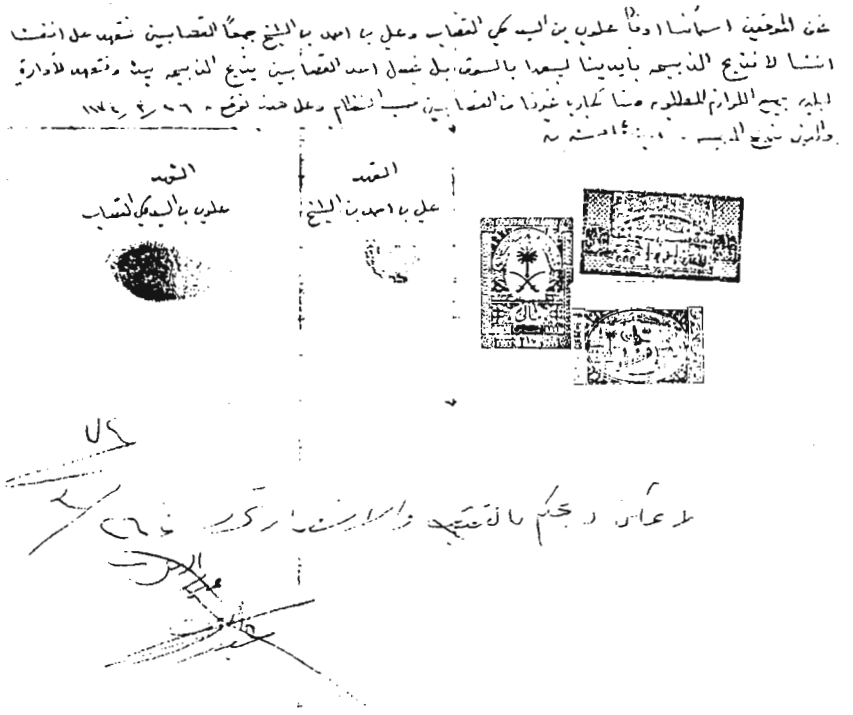

وبعد ٣٥ سنة تطوّرت الذهنيّة السعودية الوهابية ، فهذا وزير البلديات يصادق في ١٤ / ٢ / ١٤٠٩ هـ على فتوى بن باز بمنع الشيعة ممارسة مهنة « الجزارة » لأنهم كفار ، وطبّق ذلك في مناطق يسكنها الشيعة وحدهم ! .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون البلدية والقروية
وكالة الوزارة للشؤون الفنيّة

تعميم لجميع الأمانات والمديريات وبلديات المناطق والبلديات والمجمعات القروية المرتبطة بالوزارة

سعادة / أمين مدينة الدمام
بعد التحيّة ،

إشارة الى خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد رقم ١٤٥ / ٢ في ١٩ / ١ / ١٤٠٩ هـ حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي ، وأن لا يمكّن من ممارسة هذا العمل إلّا من يثبت انّه مسلم صحيح المعتقد ، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها ، مما يعبد من دون الله ، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانية والرافضة وغيرها ، ويعرف بالمحافظة على الصلاة وعدم التساهل بشأنها لكونها عمود الإسلام وتركها كفر اكبر على أصح قولي العلماء . كما ينبغي تهيئة مكان في المسلخ خاص للصلاة يؤدي فيه الجزارون وغيرهم الصلاة في أوقاتها .

نرغب اليكم الإطلاع والحرص على تنفيذ ما تضمّنه خطاب سماحته .

ولكم تحياتنا .

وزير الشؤون البلدية والقروية
ابراهيم بن عبد الله العنقري
١٤ / ٢ / ١٤٠٩ هـ

لمملكة العربية السعودية
رة الشؤون البلدية والقروية
لة الوزارة للشؤون الفنية
معة البيئة

تعميم لجميع الأمانات والمديريات وبلديات المناطق
والبلديات والمجمعات القروية المرتبطة بالوزارة

معالي

سعادة / أمين مدينة الرياض

بعد التحية،

إشارة الى خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد رقم ٢/١٤٥ في ١٤٠٩/١/١٩هـ حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ والزامهم بمعرفة احكام الذبح الشرعي بأن لايمكن من ممارسة هذا العمل الا من يثبت انه مسلم صحيح المعتقد ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها مما يعبد من دون الله وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانية والبرهائية وغيرها ويعرف بالمحافظة على الصلاة وعلم التساهل بشأنها لكونها عمود الاسلام وتركها كفر أكبر على أصح قولي العلماء . كما ينبغي تهيئة مكانه في المسلخ خاص للصلاة يؤدي فيه الجزارون وغيرهم الصلاة في أوقاتها .

نرغب اليكم الاطلاع والحرص على تنفيذ ماتضمنه خطاب سماحته .

ولكم تحياتنا ... ...

وزير الشئون البلدية والقروية

إبراهيم بن عبد الله

ع/ق

١٤٠٩/٥/١٦

التاريخ ١٤٠٩/٥/٩٩هـ الموقف

الأرض ملك لآل سعود كما البشر ! . الأمير تركي بن ناصر آل سعود يقرر شراء ارض مساحتها مئات الكيلومترات المربعة و « بالسعر الرسمي » ، اي بدون ثمن ! . رسالة من بلدية القطيف الى اميرها في ٢١ / ٥ / ١٤٠٨ هـ .

سعادة أمير القطيف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

تقدم لنا سمو الامير تركي بن ناصر بن عبدالعزيزآل سعود بطلب الأرض الواقعة جنوب كوبري ام الساهك وشرق طريق الجبيل السريع بـ (٥٠ متر) بعد خط السير المحلي مباشرة وشمال محطة المحروقات والبالغ اطوالها حسب الرسم الكروكي كما نفيدكم ان الموقع عباره عن أرضين يفصل بينهما مسافة ٢٠٠ متر الموضح موقعها بالرسم الكروكي المرفق ، عليه يرجى بعد الاطلاع الافادة عن هذه الأرض هل عليها منازعات فرديه أوقبيلية وعن مرئيات الامارة حيال توزعها بموجب النظام حتى نتمكن على ضوء اجابتكم من اكمال اللازم حيالها ....

ولكم تحياتي

مدير فرع وزارة الزراعة والمياه بالقطيف ، يوسف احمد عبد الواحد.

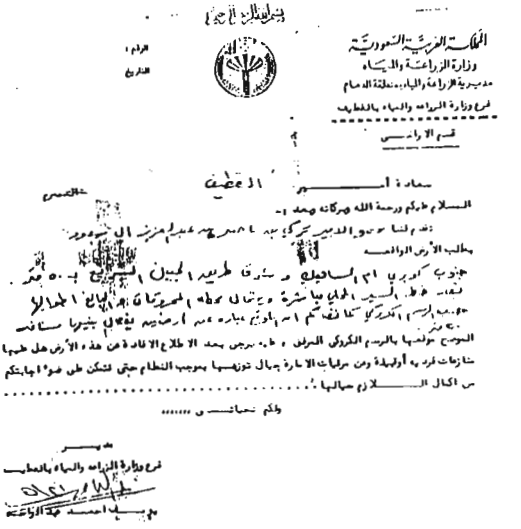
المملكة العربية السعودية
وزارة الزراعة والمياه
مديرية الزراعة والمياه بمنطقة الدمام
فرع وزارة الزراعة والمياه بالقطيف
قسم الزراعة

سعادة أمير القطيف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

تقدم لنا سمو الامير تركي بن ناصر بن عبدالعزيز آل سعود بطلب الأرض الواقعة

جنوب كوبري ام الساهك وشرق طريق الجبيل السريع بـ ٥٠ متر

الموضح موقعها بالرسم الكروكي المرفق ، عليه يرجى بعد الاطلاع الافادة عن هذه الأرض هل عليها

منازعات فرديه أوقبيلية وعن مرئيات الامارة حيال توزعها بموجب النظام حتى

من اكمال اللازم حيالها .....

ولكم تحياتي .....

مدير
فرع وزارة الزراعة والمياه بالقطيف
يوسف احمد عبد الواحد

وهذا امير اخر يطلب ارضاً بالسعر الرسمي ايضاً ، مساحتها اربعة ملايين متر مربع فقط ، ليبيعها بعدئذ بمئات اضعاف سعرها على المواطنين او على الحكومة ! . رسالة من بلدية القطيف الى اميرها في ٨ / ١١ / ١٤٠٨ هـ .

سعادة أمير القطيف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

تقدم لنا المواطن / سمو الأمير بندر بن محمد بن عبدالرحمن بطلب الأرض الواقعة شرق طريق الجبيل السريع بحوالي ١٥٠٠ متر وشمال كوبري الجعيمة والبالغ مساحتها(١٦٠٠ متر في ٢٥٠٠ متر) وذلك لاقامة مشروع أسماك .

الموضح موقعها بالرسم الكروكي المرفق ، عليه يرجى بعد الاطلاع الافادة عن هذه الأرض هل عليها منازعات فردية أو قبيلية وعن مرئيات الامارة حيال توزعها بموجب النظام حتى نتمكن على ضوء اجابتكم من اكمال اللازم حيالها ولكم تحياتي .

مديرفرع وزارة الزراعة والمياه بالقطيف يوسف احمد عبد الواحد.

المملكة العربية السعودية
وزارة الزراعة والمياه
مديرية الزراعة والمياه بمنطقة الدمام
فرع وزارة الزراعه والمياه بالقطيف
قسم الاراضي

الرقم : ٩/٥/٢٠٢٧
التاريخ : ٨/١١/١٤٠٨
المشفوعات : ١

الموضوع:

سعادة أمير القطيف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

تقدم لنا المواطن / سمو الأمير بندر بن محمد بن عبدالرحمن بطلب الأرض الواقعة شرق طريق الجبيل السريع بحوالي ١٥٠٠ متر وشمال كوبري الجعيمة والبالغ مساحتها ١٦٠٠ X ٢٥٠٠ متر وذلك لاقامة مشروع أسماك .

الموضح موقعها بالرسم الكروكي المرفق ، عليه يرجى بعد الاطلاع الافادة عن هذه الأرض هل عليها منازعات فردية أو قبيلة وعن مرئيات الامارة حيال توزعها بموجب النظام حتى نتمكن على ضوء اجابتكم من اكمال اللازم حيالها .....

ولكم تحياتي .....

الملك فهد ، رئيس مجلس الوزراء ، يطلب من وزير بلدياته بيع اخيه الامير سلمان بن عبد العزيز امير الرياض ، ارضاً محددة الموقع في الخبر ، ومساحتها ١٤٤ الف متر مربع وبالسعر الرسمي . رسالة من الملك فهد الى وزيره في ٢٧ / ١١ / ١٤٠٨ هـ .

معالي وزير الشؤون البلدية والقروية

بعد التحية :

نشير الى كتابكم برقم ٣٨٢/ ص س ز وتاريخ ١٤٠٨/٩/٢٩هـ بشأن طلب صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز الموافقة على منحه الأرض الواقعة بمنطقة الخثاق بالعزيزية بالخبر ، البالغة مساحتها (١٤٤,٠٠٠) مائة وأربعة وأربعين الف متر مربع وأبعادها وحدودها وفق ما هو موضح بالمخططات المرفقة .. وما أوضحتموه من أن الأرض المذكورة حكومية ولم تخصص لملحق عام ، وخالية من الشوائب ، وليس لأحد دعوى شرعية عليها ، ولايرتادها المواطنون . وما دام الأمر كذلك نخبركم بأنه لامانع من بيعها على سموه بالسعر الرسمي . فأكملوا مايلزم بموجبه .

رئيس مجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم ..... ٨/١١٧٧٢ د
التاريخ ١٤٠٨/١٠/٢٩
المرفقات ..... مرفق

معالي وزير الشؤون البلدية والقروية
بعد التحية:

نشير الى كتابكم برقم ٣٨٢/ص س ز وتاريخ ١٤٠٨/٩/٢٩هـ بشأن طلب صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبدالعزيز الموافقة على منحه الارض الواقعة بمنطقة الخشاق بالعزيزيه بالخبر، البالغة مساحتها (١٤٤٫٠٠٠) مائة واربعة واربعين الف متر مربع وابعادها وحدودها وفق ماهو موضح بالمخططات المرفقه.. وماأوضحتموه من ان الارض المذكوره حكوميه ولم تخصص لمرفق عام، وخالية من الشوائب، وليس لاحد دعوى شرعيه عليها، ولا يرتادها المواطنون. ومادام الامر كذلك.

نخبركم بانه لامانع من بيعها على سموه بالسعر الرسمي. فاكملوا مايلزم بموجبه.،،،

رئيس مجلس الوزراء

اما إبن الأمير سلمان ، فهد بن سلمان ، نائب امير الشرقية سابقاً ، فبنفس الكيفيّة حصل على ارض مساحتها اقلّ قليلاً من نصف مليون متر مربع ! ـ رسالة من وزير البلديات السابق العنقري الى امين مدينة الدمام في ٥ / ١٢ / ١٤٠٨ هـ .

سعادة أمين مدينة الدمام

بعد التحية :ـ

نبعث لكم من طيه صورة عن الأمر السامي رقم ٨/١١٨٤ في ١٤٠٨/١٢/٣هـ المعطوف على خطابنا رقم ٣٨٣/ ص س ز في ١٤٠٨/٩/٢٩هـ حول طلب صاحب السمو الملكي الأمير / فهد بن سلمان بن عبدالعزيز الموافقة على منحه الأرض الواقعة بمنطقة الخثاق بالعزيزية بالخبر البالغة مساحتها (٤٠٠,٠٠٠) اربعمائة ألف متراً مربعاً وأبعادها وحدودها حسبما هو موضح بالمخططات المرفقة حيث أنها حكومية ولم تخصص لمرفق عام وخالية من الشوائب وليس لأحد دعوى شرعية عليها ولايرتادها المواطنون .. والمتضمن : الموافقة على بيعها لسموه بالسعر الرسمي .

نرغب اليكم إنفاذ مقتضى الأمر السامي الكريم ولكم تحياتنا .

وزير الشؤون البلدية والقروية

إبراهيم بن عبدالله العنقري

١٤٠٨/١٢/٥

(سـري)

سعادة أمين مدينة الدمام

بعد التحية :

نبعث لكم من طيه صورة عن الأمر السامي رقم ٨/١١٨٤ في ١٤٠٨/١٢/٣هـ المعطوف على خطابنا رقم ٣٨٣/ص س ز في ١٤٠٨/٩/٢٩هـ حول طلب صاحب السمو الملكي الأمير / فهد بن سلمان بن عبدالعزيز الموافقة على منحه الأرض الواقعة بمنطقة الخشاق بالعزيزية بالخبر البالغة مساحتها (٤٠٠ر٠٠٠) أربعمائة ألف مترا مربعا وأبعادها وحدودها حسبما هو موضح بالمخططات المرفقة حيث أنها حكومية ولم تخصص لمرفق عام وخالية من الشوائب وليس لأحد دعوى شرعية عليها ولايرتادها المواطنون .. والمتضمن : الموافقة على بيعها لسموه بالسعر الرسمي .

نرغب اليكم انفاذ مقتضى الأمر السامي الكريم .

ولكم تحياتنا ...

وزير الشئون البلدية والقروية

ابراهيم بن عبدالله العنقري

١٤٠٨/١٢/٥

المواطن بحاجة الى سنوات عديدة حتى يتمكّن من شراء قطعة ارض يملكها امير سارق . في الوثيقة اسماء بعض الأمراء الذين مُنحوا ! ، او منحوا انفسهم ! ، اراض في منطقة القطيف . ويلاحظ ان بعضهم حصل على اراض تزيد مساحتها على خمسة ملايين متر مربّع ! . وهذا سرّ توجههم للبحر لدفنه وتدمير الحياة فيه ، بعد ان نهبوا الصحارى والقفار .

١ـ ٤٠ ألف متر مربع عبد الرحمن بن سعود بن عبدالعزيز
٢ـ ٢,٠٤٢,٨٧٠ سمو نوف بنت محمد بن عبد العزيز
٣ـ ٣,٣٠٤,٣٥٠ سمو والدة الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز
٤ـ ١,٩٦٠,١٢٥ سمو الأميرة سارة بنت عبدالعزيز
٥ـ ١,٢٠٤,٠٠٠ سمو الأميرة العنود بنت عبدالعزيز
٦ـ ٥,١٧٩,١٧٥ سمو الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد
٧ـ ٤,٢٠٦,٨٠٠ سمو الأميرات نوف هيفاء بنات بندر بن عبد العزيز
٨ـ ١,٩٧٦,٠٠٠ سمو الأمير تركي وحصة ابناء فيصل بن سعد
٩ـ ١,٩٤٧,٠٠٠ سمو الأمراء فيصل بن فهد واخوانه
١٠ـ ٥٠٠,٠٠٠ سمو الأمير سعد بن خالد
١١ـ ٢,٥٠٠,٠٠٠ سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز
١٢ـ ٢,٣٠٥,٢٠٠ سمو الأمير فيصل بن خالد
١٣ـ ٤٨٢,٣٠٠ سمو الأميرة منيرة بنت فيصل
١٤ـ ١,٠٤٠,٠٠٠ سمو الأمير مشاري بن عبد العزيز
١٥ـ ١,٨٩٣,٠ سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز
١٦ـ ٢,٠١٤,٦٥ سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشئون البلدية والقروية
رئاسة مدينة القطيف وتوابعها

الرقم .....
التاريخ
المشفوعات

الموضوع / المنح لعزيز آل القطيف

سبب المنح ..... ٤٠ الف م عبد الرحمن بن سعود بن عبد العزيز

٢٠٤٩٨٧	سمو الأميرة نوف بنت سعد بن عبد العزيز
٢,٢٠٤,٢٥٠	سمو والده الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز
١,٩٦٠,١٢٥	سمو الأميرة سارة بنت عبد العزيز
١,٠٠٤,٠٠٠	سمو الأميرة العنود بنت عبد العزيز
٥,١٧٩,١٧٥	سمو الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد
٤٠٠٦,٨٠٠	سمو الأميرات نوف هيفاء وبنات بندر بن عبد العزيز
١,٩٧٦,٠٠٠	سمو الأمير تركي وجميع أبناء فيصل بن سعد
١,٩٤٧,٠٠٠	سمو الأمراء فيصل بن فهد بن عبد العزيز وإخوانه
٥٠٠,٠٠٠	سمو الأمير سعد بن خالد
٢,٥٠٠,٠٠٠	سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز
٢,٢٠٥,٢٠٠	سمو الأمير فيصل بن خالد
٤٨٢,٢٠٠	سمو الأميرة منيرة بنت فيصل
١,٠٤٠,٠٠٠	سمو الأمير مشاري بن عبد العزيز
١,٨٩٢,٠٠٠	سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز
٢,١٤,٦٥	سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

شكوى ضد رئيس بلدية القطيف من اعيانها الى وزير البلديات في ٢٥ / ٢ / ١٤١٢ هـ : سرق المدير الأراضي ووزّعها على شركائه في الجريمة ، وحرم المواطنين من اراضيهم ، وهاهو يتعدّى على المنتزه الوحيد يريد تحويله الى سوق ! . ولكن : إذا كان خصمك القاضي فمن تقاضي ؟ ! .

صاحب المعالي وزير الشؤون البلدية والقروية سلمه الله

السلام عليكم ورحمة اللهوبركاته :ـ

تعتزم بلدية القطيف إزالة المنتزه العام والوحيد الذي يقع بشارع الملك عبدالعزيز وتحويله الى أسواق تجارية . هذه البلدية تعمل على عكس ماتنتهجه عموم البلديات التى تسعى الى زيادة الرقعة الخضراء وإيجاد متنفس للمواطن فلم يكف رئيس البلدية أن قام بإلغاء الأراضي المخصصة لمتنزه عام بمخطط الخامسة وحوله الى أراضي ذهبت منح خاصة لم يكفه ذلك بل أخذت يداه تمتد الى المنتزه القائم فعلاً والذي صرف عليه ملايين الريالات ليكون كما هو عليه الآن ليحوله الى دكاكين تجارية كأن البلد تعيش أزمة دكاكين .

إن القطيف مع جهاز البلدية يعيش في مأساة فالمواطن هنا يشعر أن هذه الإدارة إنشأة ضده وليست للمصلة العامة إننا نرفع الأمر لمعاليكم فأنتم العين الساهرة التي أناط بها خادم الحرمين الشريفين رعاية مصلحة المواطن وأنتم أهل لذلك إنشاء الله ، نرجو إيقاف رئيس البلدية عن هذا العبث وفقكم الله .

الوثيقة رقم : ٢٧

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Pretix No. ...			انرمز والرقم ٥ ج	رقم الحاصلات	
PILOT LINE		WORDS	DATE	TIME	ختم ذو تاريخ
				تعليمات مصلحية	عامل المغابرة
الوقت	التاريخ	الكلمات	السطر الارشادي		
	١٤١٢/٥/٢٥			SERVICE INSTRUCTION	دقيقة سامة وقت الارسال

NAME OF ADDRESSEE — اسم المرسل اليه :

ADDRESS — العنوان :

OFFICE OF DESTINATION — اسم المدينة ... اسم الدولة

صاحب المعالي وزير البلدية والقروية ... سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

تعترم بلدية القطيف ازالة المنتزه العام والوحيد الذى يقع شارع الملك عبدالعزيز وتحويله الى اسواق تجارية .

هذه البلدية تعمل على عكس ماتتجهه عموم البلديات التي تسعى لزيادة الرقعة الخضراء وايجاد متنفس للمواطن

لم تكف بلدية ان قام بالغاء الاراضي المخصصه لمنتزه عام بمخطط الحاسه وتحويله الى اراضي ذهبت منح خاصه لم تكفه ذلك بل اخذت تمتد الى المنتزه القائم فعلا والذى صرف عليه ملايين الريالات ليكون كما هو عليه الآن لتحويله الى دكاكين تجاريه كأن البلد بحاجه لمزيد دكاكين .

إن القطيف مع جهاز البلدية بحاجه في مأساة فالمواطن هنا يشعر ان هذه الاداره أسأت عمده وليست للمصلحه العامه

اننا نرفع الأمر لمعاليكم فانتم العين الساهرة التي اناط بها خادم الحرمين الشريفين رعاية مصلحة المواطن وانتم أهلا لذلك ان شاء الله ، نرجو ابلاغ وزير البلدية عن هذا العبث . وتقبلوا الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

الاسم	رقم الخط	مصدرها	تاريخها	التوقيع
	٨١١		١٤٨١/٥/٢٨	

عجزه التالي لا يحسب بالبرقية .

NAME, ADDRESS, PHONE-NUMBER OF SENDER, AND SIGN. — اسم وعنوان ورقم هاتف المرسل مع توقيعه

PLEASE WRITE THE TELEGRAM IN BLOCK LETTERS
DESTINATION SHOULD BE IN THE END OF ADDRESS

- الرجاء كتابة البرقية بخط واضح
- الرجاء كتابة بلد المورد كآخر كلمة في العنوان

رقم انهوية الشخصية — تاريخها — مصدرها — موعها

قررت الحكومة هدم حاضرة القطيف « القلعة » ، وشكّلت لجنة تقييم التعويضات ، دون ان يكون بينها عضو مختار من المالكين . وبعد التقييم استكثرت المبالغ على الشيعة فخصم نصف الثمن بجرّة قلم . رسالة من المتضررين الى الملك في ١٢ / ١١ / ١٤٠١ هـ .

صاحب الجلالة الملك المفدى
الطائف

نرفع الى مقام جلالتكم شكوانا حيث لا نتصور وقوع الظلم على احد المواطنين وجلالتكم يعلم بوقوعه . كيف اذا كان واقعاً على مجموعة كبيرة تضم الشيخ والشيخة والطفل واليتيم . ان جهات رسميه لا نعرف منها الا الشئون البلدية بالمنطقة تغتصب املاكنا دون رضانا فكيف يحدث لنا ذلك في عهد جلالتكم العهد الزاهر الذي لم يبق بعيد بعيد الا وناله العطاء الوافر فضلاً عن القريب لقد قرر المسؤلون ازالة اكثر بيوت القلعة ـ حاضرة القطيف التاريخية ـ وثمنت العقار اللجنة الرسمية المعتمدة التي ليس بين اعضائها عضو باختيار المالكين وبعد الانتهاء وصدور قرارها الاخير وعمل الكشوفات استكثر البعض ذلك الثمن اليسير .. و خفضت الاقيام الى النصف. وعبثاً ونحن نطالب بجعل الاقيام حسب تثمينها السابق . وليس امام الناس الا الرضوخ لهذا الظلم والاجحاف لذا فزعنا الى جلالتكم طالبين انصافنا باعتماد التثمن الذي وضعته اللجنة المعتمدة المكونة من المحكمة ومندوب الماليه والاماره والبلديه وعضوي الخبره وشيخ الدلالين . وان التخفيض الذي جعل بادرة لم يسبق لها مثيل بالمنطقة بل بالمملكة . وقد لجأنا بعد الله الى جلالتكم، فجلالتكم راعي الامن المسئول والوالد الحنون .

حفظ الله جلالتكم وولي عهدكم الامين والاسرة الكريمة .

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Prefix No.	الرمز والرقم			رقم الحاصلات
PILOT LINE	WORDS	DATE	TIME	
				تعليمات مسلمية
السطر الارقامي	الكلمات	التاريخ	الوقت	
				SERVICE INSTRUCTION

NAME OF ADDRESSEE

ADDRESS

OFFICE OF DESTINATION

NAME, ADDRESS, PHONE NUMBER OF SENDER, AND SIGN.

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Prefix No.	الرمز والرقم			رقم الحاصلات
PILOT LINE	WORDS	DATE	TIME	
				تعليمات مسلمية
السطر الارقامي	الكلمات	التاريخ	الوقت	
				SERVICE INSTRUCTION

NAME OF ADDRESSEE

ADDRESS

OFFICE OF DESTINATION

NAME, ADDRESS, PHONE NUMBER OF SENDER, AND SIGN.

ممنوع الإعتراض : وزارة الداخلية تصدر امرها النهائي وتقرّ صرف نصف قيمة التعويضات . والشرطة تطلب من المحتجين الحضور والتعهد والتوقيع بانهم يوافقون على الأمر الكريم . عاش العدل السعودي ! .

نحن الموقعين ادناه .. افهمتنا شرطة القطيف ـ قسم الحقوق المدنية ـ الامر السامي الكريم رقم ٣ / ٢٤٥١٤ وتاريخ ٤ / ١١ / ١٤٠١ هـ الموجه الى صاحب السمو الملكي وزير الداخلية بالموافقة على خطاب معالي وزيرالمالية والاقتصاد الوطني رقم ٧١٠ / س / ١٤١٠ وتاريخ ١١/ ٩/ ١٤٠١ هـ الذي وافق على ما وافقت عليه اللجنة الفرعية لمتابعة مشاريع المنطقة الشرقية على محضر المختصين بتخفيض التقديرات بنسبة ٥٠ ٪ بالنسبة الى القلعة التي تقرر إزالة اكثرها . الوارد من امارة القطيف برقم ٧٩٠٧ /١ وتاريخ ٢٩ /١١ /١٤٠١ هـ عطفاً على خطاب سعادة رئيس ديوان امارة المنطقة رقم ٨٦٧٩ / وتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٤٠١ هـ حسبما جاء بخطاب سعادة وكيل الوزارة بالداخلية رقم ٢٦ /٤٤٩٢٢ وتاريخ ٨ /١١/ ١٤٠١ هـ وقد فهمنا فحوى الأمر السامي وليست لنا معارضة في تنفيذ المشروع وعليه نوقع.

٢٦ /١٢/ ١٤٠١ هـ .

وبعد خمس سنوات ، لم يستلم اهالي القلعة « نصف ! » التعويضات المقررة لمنازلهم المهدّمة .. ذلك ان محاكم الوهابيّة ترفض الصكوك الشرعيّة الصادرة من المحاكم الشيعية باثر رجعي ، وبعد ان كانت معتمدة مدّة ستة عقود على الاقل من عهد آل سعود ! . شكوى لأمير الشرقية في ٢٩ صفر ١٤٠٦ هـ .

صاحب السمو الملكي امير المنطقة الشرقية المعظم

عند بلدية منطقة القطيف مبالغ كبيرة قيمة عقارات حي القلعة نزعتها وغيرها بل ازالتها وتمتنع عن دفع الاقيام لأن كاتب العدل يرفض الصكوك الصادرة من محكمة الاوقاف والمواريث وقضاة الشيعة السابقين . والمحكمة الشرعية لا تقبل تسجيل اوقافنا وما يعود بالارث . نرجو سموكم حل الموضوع بما يكفل تسليمنا اموالنا كي لا تضيع حفظه الله سموكم .

الموقعون :

التاريخ ٢٩ / ٢ /١٤٠٦ هـ

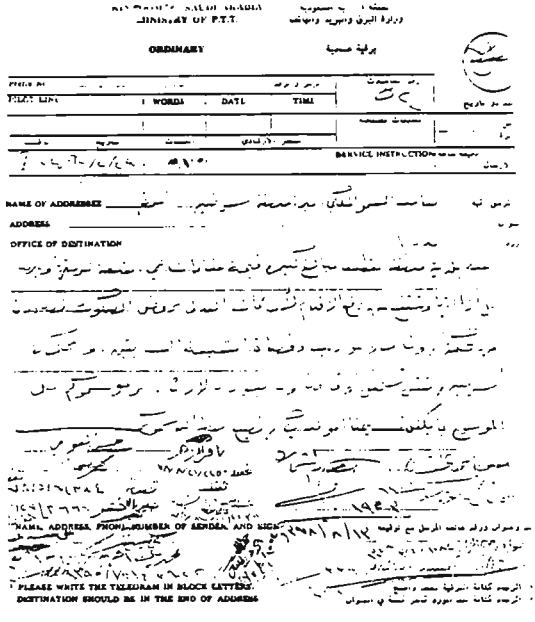

وزارة الأوقاف تامر بتوسيع جامع الامام فيصل بن تركي الذي سيشيد ـ كما تقول الوثيقة ـ فوق ارض نزعت ملكيتها كرهاً من اهالي القلعة بالقطيف . هذا مع العلم ان لا يوجد في القطيف وهابيّون ، وياتي هذا في الوقت الذي تمنع الحكومة السعودية الشيعة من بناء المساجد مطلقاً ! .

سعادة رئيس بلدية القطيف المحترم

السلام عليكم ورحمة اللهوبركاته وبعد

إيماء الى المعاملة الدائرة بخصوص إعادة بناء جامع الإمام فيصل بن تركي بالقطيف وكتابكم رقم (٢٩٩٠ / ٩) وتاريخ ١٤٠٨/٨/١٨هـ والمتضمن إستعداد البلدية لإصدار الترخيص بذلك على الموقع المذكور من أرض الأوقاف ، نفيد أن الأرض المملوكة للأوقاف لاتكفي كما هو واضح للعيان ونرغب في توسعة الجامع المذكور ليشمل أكبر جماعة بمنطقة القطيف بالإضافة الى ملحقاته المقررة من سكن للإمام والمؤذن والحارس ومجلس لحفظ القرآن الكريم ومقر لمكتبة ملحقة بالجامع لمكتب الدعوة والإرشاد حسب التعميم بذلك من المقام السامي .

نأمل التفضل بمنح هذا الجامع حاجته من أرض القلعة المجاورة والمنزوع ملكيتها بالقرار السامي والخالية الآن على ملاك البلدية ومراعاة ذلك تخطيطاًورخصة وإفادتنا حيث يتوقع وصول الأمر السامي للبدء في التنفيذ في أية لحظة . وتقبلوا خالص تحياتنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الحج والأوقاف
وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف

الرقم ٤٩٠٢
التاريخ ١٤٠٨/٩/٧
المشفوعات

الموضوع : بخصوص اعادة بناء جامع الامام فيصل بن تركي بالقطيف ...

سعادة / رئيس بلدية منطقة القطيف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .....

إيهاء الى المعاملة الدائرة بخصوص اعادة بناء جامع الامام فيصل بن تركي بالقطيف وكتابكم رقم (٩/٢٩٩٠) وتاريخ ١٤٠٨/٨/١٨ هـ والمتضمن استعداد البلدية لاصدار الترخيص بذلك على الموقع المذكور من أرض الاوقاف - نفيد أن الارض المملوكة للأوقاف لا تكفي كما هو واضح للعيان وترغب في توسعة الجامع المذكور ليشمل أكبر جماعة بمنطقة القطيف بالاضافة الى ملحقاته المقررة من سكن للامام والمؤذن والحارس ومجلس لحفظ القرآن الكريم ومقر لمكتبة ملحقة بالجامع لمكتب الدعوة والارشاد حسب التعميم بذلك من المقام السامي .

نأمل التفضل بمنح هذا الجامع حاجته من أرض القمة المجاورة له والمنزوع ملكيتها بالقرار السامي والخالية الآن على ملاك البلدية ومراعاة ذلك تخطيطا ورخصة وافادتنا حيث يتوقع وصول الأمر السامي للبدء في التنفيذ في أي لحظة .

وتقبلوا خالص تحياتنا ....

رسالة الى رئيس عام مدارس البنات في المنطقة الشرقية ، مؤرخة في ٢٣ / ١١ / ١٣٨٢ هـ ، تشكوه إهمال مناطق الشيعة من المدارس وعدم توفير الخدمات .

سعادة المكرم رئيس عام مدارس البنات بالمنطقة الشرقية المحترم
بعد التحية

كنّا نعتقد بأن العدل والإنصاف يسودان الموقف في النظر الى مدن المنطقة الشرقية من حيث توزيع المدارس حسب حاجتها ،وبالتالي رعاية المدارس ومعاملتها سواسية لا أفضلية لواحدة دون أخرى . وإذ الأمر بالعكس تماماً فلا توجد بمنطقة القطيف سوى مدرسة ، ومع ذلك لم تزود بسيارة لنقل الطالبات ، ولم تعط إعانة للمعرض كزميلاتها ،وأكثر من هذا فإن الإمتحان على الأبواب ، ومعلمتان بإجازة ولادة ، وصرفت الثالثة من عملها هذه الأيام . والنتيجة هي بقاء إثنتين وخمسين طالبة في منتصف الطريق بدون دراسة ، وبعض حصص الفصول الأخرى معطّلة .. بينما مدارس المنطقة الأخرى مكتملة من جميع الوجوه .. لم ؟ .

إننا نعتقد بأن هذا ما لا تقبلونه لأنه خلاف لأبسط القواعد . نرجو العمل على إيجاد حلّ سريع عاجل بحيث يكفل استمرار الدراسة في كل الفصول وكل الحصص ، حتى يتاح للطالبات أداء الإمتحان على أكمل وجه .

والله يحفظكم .

٢٣ / ١١ / ١٣٨٢ هـ

سعادة العقيد رئيس عام مدارس البنات بالخطة الشرقية — المحترم

بعد التحيه ،

كما تعتقد بان العدل والانصاف يسود ان الوقت في النظر الى مدن الخطة الشرقية من حيث توزيع المدارس حسب حاجة والتالي رعاية المدارس ومعاملتها سواسية لا افضليه لواحدة دون اخرى ، والامر بالعكس تماما فالموجود بخطة القطيف مدرسه ومع ذلك لم تزود بسيارة لنقل الطالبات ولم تعط اعانة للمعرض كغيرها ، واكثر من هذا فان الاقسام على الاسوا ومعلمتان باجازة ولاده وصرفت الثالثه من عملها هذه الايام ، والنتيجة هي بقاء اثنتين وخمسين طالبه في منتصف الطريق بدون دراسه ، وبعض حصص الفصول الاخرى معطله ، بينما مدارس الخطة الاخرى مكتمله من جميع الوجوه ، لم ؟ انني اعتقد ان هذا مالا تقبلونه لانه خلاف لابسط القواعد ، نرجو العمل على ايجاد حل سريع عاجل بحيث يكفل استمرار الدراسه في كل الفصول وكل الحصص ، حتى يتاح للطالبات اداء الامتحان على اكمل وجه ، والله يحفظكم ،، ٢٤/١١/٣٨٢

صوره — مع الاحترام — للرئاسه العامه لمدارس البنات — الرياض ،

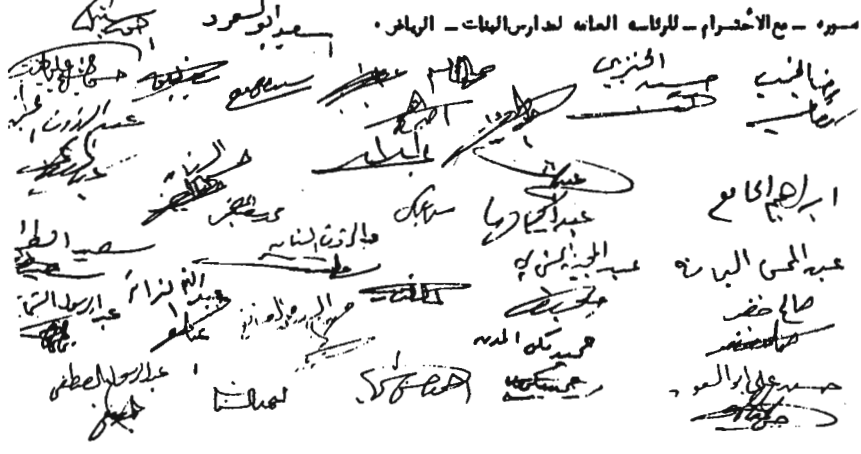

فتح عظيم ! الحكومة تسمح للمواطنين الشيعة ـ الذكور فقط ! ـ بان يلتحقوا بمعاهد المعلّمين ، وان يعيّنوا كمدرسين ـ وفي غير المواد الدينية ـ بعد رفض دام عقود . خطاب من امير القطيف الى مدير شرطته حول الموضوع في ١٣ / ١ / ١٣٨٣ هـ .

---

١٣ / ١ / ١٣٨٣ هـ

المكرم مدير شرطة القطيف المحترم

بعد التحية. اليكم ماوردنا من سمو سيدي امير المنطقة الشرقية المعظم تحرير العدد ١٣٢ / ١ / د / ٢٧ / ٨٣ وتاريخ ٩ / ١ / ٨٣ الموجه لسمو سيدي امير الاحساء المعظم والموجود لنا صورة منه هذا نصها تلقينا خطاب وكيل وزارة الداخلية رقم ١٢٥٥ المتضمن انه بناء على ما عرضته الهيئة المنتدبه للنظر في قضايا القطيف فانه ينبغي اعتماد وافساح المجال لابناء الشيعة في الالتحاق بمعاهد المعلمين اسوة بالطلاب الآخرين ما دامت تنطبق عليهم شروط القبول وان يعينوا كمدرسين في المدارس اسوة بالدوائر الحكومية الاخرى التي يعمل فيها السنة والشيعة على حد سواء ولا مانع من ان يعهد اليهم بتدريس المواد غير الدينية لان تدريس هذه المواد يقوم به مدرسون من خريجي كلية الشريعة ، عليه اعتمدواافساح المجال للطلاب المذكورين وعّمدوا من يلزم لذلك وقد اعطينا صورة من امرناهذا لامير القطيف للاعتماد بموجبه .

ودمتم.

انتهى الامر السامي الكريم ونرجو انفاذ موجبه مع ابلاغ كافة العمد بموجبه لاشعار من يلزم من اهل القطيف وفقاً للامر الكريم.

امـيـــر القطـيـف

الطالبة الشيعيّة ممنوعة من التدريس ،والرئاسة العامّة افتتحت معهداً للمعلمات في القطيف لمدّة سنّة ثم اغلقته ! . امامك شكوى من العقليات المتحجرة السعودية الوهابية ، تاريخها ٥ / ٨ / ١٣٨٩ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو أمير المنطقة الشرقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

إننا نشكر للدولة الرشيدة اهتمامها برفع مستوى البلاد في جميع المجالات لا سيما التعليم بشقيه / البنين والبنات ، إدراكاً منها بأنه لا يمكن لأيّ أمّة من أن تنهض بدون العلم ، ونشكر لسموكم إدراكه المسؤولية الكاملة في هذه المنطقة في جميع المجالات العامة .

غير أن ما نحسّ نحن أهالي القطيف من بعض موظفي الرئاسة العامّة لمدارس البنات ، عدم تجاوبهم معنا ومعاملاتهم لنا كغيرنا من أهالي المناطق الأخرى في المملكة . فإن من العسير السماح لبناتنا الإلتحاق بمعهد المعلمات ، وهذا ما حصل فعلاً ، حيث أنها فتحت معهداً للمعلمات في القطيف قبل أربع سنوات وأغلقته بعد انتهاء السنة الدراسية الأولى ، ولم تفتح أبوابه في السنة التالية ، ولم تعوضنا عنه بثانوية ، فبقيت خريجات الكفاءة للعام الماضي ولهذا العام محرومات من متابعة الدراسة ومن الحصول على الوظائف ، وبقين في بيوتهن يؤلمهن الحرمان ، ويشعرن بعدم مساواتهن بأمثالهن ، ويقتلن الوقت في فراغ مملّ .

لذا نرجو سموكم العمل على تحقيق طلبنا بأن تصدر التعليمات صريحة في هذا الشأن ، وأن يتمّ فتح معهد للمعلمات في القطيف مع ثانوية يضمان ما تخرجه الإبتدائيات سنوياً من أفواج الطالبات .

حفظ الله سموكم ، والله يرعاكم .

٥ / ٨ / ١٣٨٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السماحة أمير المنطقة الشرقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

إننا نشكر للدولة الرشيدة اهتمامها برفع مستوى البلاد في جميع المجالات لا سيما التعليم بشقيه / البنين والبنات ، وإدراكا منها بأنه لا يمكن لأي أمة من أن تنهض بدون العلم ، ونشكر لسموكم إدراكه المسئولية الكاملة في هذه المنطقة في جميع الصالات العامة ،

فبيان ما نحس نحن أهالي القطيف من بعض موظفي الرئاسة العامة لمدارس البنات عدم تجاوبهم معنا ومعاملتهم لنا كغيرنا من أهالي المناطق الأخرى في المملكة ، فإن من العسير الساعي لبناتنا الالتحاق بمعهد المعلمات وهذا ما حصل فعلا حيث أنها فتحت معهدا للمعلمات في القطيف قبل أربع سنوات وأغلقته بعد انتهاء السنة الدراسية ولم تفتح أبوابه في السنة التالية ولم تعوضنا عنه بثانويه فبقيت خريجات الكفاءة للعام الماضي ولهذا العام محرومات من متابعة الدراسة ومن الحصول على الوظائف ويقضين بيوتهن بؤلمين الحرمان ويشعرن بحدم مساواتهن بأمثالهن ويقلقن الوقت في فراغ ممل ،

لذا نرجو سموكم العمل على تحقيق طلبنا بأن تعد التعليمات صريحه في هذا الشأن وأن يتم فتح معهد للمعلمات في القطيف مع ثانوية بضمان ما تخرجه الابتدائيات منها من أفواج الطالبات ،

حفظ الله سموكم ، والله يرعاكم ١٩/٨/٧٥م

مناهج التعليم طائفيّة تثير المشاكل والخصام على الدوام . برقيّة من وجهاء الشيعة الى وزير المعارف حول كتاب التوحيد للصف الثالث ثانوي الذي قررت الوزارة تدريسه عام ١٤١٢ هـ ، وهو شبه مخصص ضدّ الشيعة ! ، تنصحه بالتعقّل وسحب الكتاب ، حرصاً على وحدة البلاد والعباد ! ! .

صاحب المعالي وزير المعارف سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

إن حكمت وسياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وهذا ما تقوم عليه تعاليم الإسلام وتزداد ضرورته في هذه الحقبة تصدياً للخطط الرامية الى تبديد قوى المسلمين وتشتيت وحدتهم غير أن كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي التي قررت الوزارة تدريسه لهذا العام يصب بجملته في المسار المخالف لوحدة الأمة فكيف بوحدة الوطن التي يجب أن ترعى وزارتكم وهي وزارة تربية وتعليم هذا الجانب الهام فبلادنا بحاجة الى وحدة أمة لا إلى تمزيق وتشتيت فالمؤلف يقول (أن التشيع بدعة) فما من مسلم حصيف منصف يقول بذلك وإذا كان علماء المسلمين مضلين لأنهم يحتفلون بذكرى مولد الرسول الأعظم (ص) غير جهلتهم الذين يقيمونه كذلك (على حد تعبيره) فهل إشهارهم للتضليل من منطلق الجهاد الإسلامي والدعوة الى الله ؟! هذا عدا ما يقرره المؤلف من البراءة من الرافضة لأنهم يقولون بعصمة أهل البيت (ع) فهل تتصورون معاليكم أن طالباً شيعياً يجيب على أسئلة في امتحان مدرسي هو طعن في معتقده أليس هذا في حد ذاته خلق للفرقة والبغضاء بدلاً من زرع المحبة والوئام بين أبناء الأمة والوطن الواحد .

إننا إذ نرفع لمعاليكم لنا وطيد الأمل في حكمتكم وبعد نظركم فتأمروا برفع هذا الكتاب من المنهج جملة وتفصيلاً فنحن اليوم بحاجة ماسة لوحدة المشاعر والتغلب على الفرقة وهذا مايوكده دائماً قائد مسيرة العلم والتعليم خادم الحرمين الشريفين . وفقكم الله .

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY

برقية عادية

Prefix No.			الرمز والرقم		رقم الحاصلات
PILOT LINE		WORDS	DATE	TIME	
					تعليمات مصلحية
الوقت	التاريخ	الكلمات	السطر الارشادي		
	٢٢/١٣				SERVICE INSTRUCTION

ختم ذو تاريخ

عامل المخابرة

دقيقة ساعة وقت الارسال

NAME OF ADDRESSEE ..... اسم المرسل اليه : .....

ADDRESS ..... العنوان : .....

OFFICE OF DESTINATION ..... اسم الدولة ..... اسم المدينة .....

.....صاحب المعالي وزير المعارف..... سلمه الله .....

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :- .....

ان حكمة وسياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وهذا ماتقوم عليه تعاليم الاسلام وتزداد ضرورته في هذه الحقبة تصديا للخطط الرامية الى تبديد قوى المسلمين وتشتيت وحدتهم غير ان كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي الذي قررت الوزارة تدريسه لهذا العام يصب بجملته في المسار المخالف لوحدة الأمة فكيف يوحد الوطن الذي يجب ان ترعى وزارتكم وهي وزارة تربية وتعليم هذا الجانب المهم فلادنا بحاجة الى وحدة أمة لا الى تمزيق وتشتيت فالمؤلف يقول (ان التشيع بدعة) فما من مسلم حصف سصف يقول بذلك واذا كان علماء المسلمين مختلفين أنهم يحتفلون بذكرى مولد الرسول الأعظم (ص) غير جميلتهم الذين يقيمونه كذلك (على حد تعبيره) فهل أشهارهم بالتضليل من منطلق الجهاد الاسلامي والدعوة الى الله ؟! هذا عدى مايقرره المؤلف من البراءة من الرافضة لأنهم يقولون بعصمة أهل البيت (ع) فهل تتصورون معاليكم ان طالبا شيعيا يجيب على أسئلة في امتحان مدرسي هو طعن في معتقده أليس هذا في حد ذاته خلق للفرقة والبغضاء بدلا من زرع المحبة والوئام بين ابناء الأمة والوطن الواحد.....

اننا اذ نرفع لمعاليكم لتا وطيد الأمل في حكمتكم وبعد نظركم فتأمروا برفع هذا الكتاب من المنهج جملة وتفصيلا

الجزء التالي لا يحسب بالبرقية.....

NAME, ADDRESS, PHONE-NUMBER OF SENDER, AND SIGN. اسم وعنوان ورقم هاتف المرسل مع توقيعه

PLEASE WRITE THE TELEGRAM IN BLOCK LETTERS
DESTINATION SHOULD BE IN THE END OF ADDRESS

- الرجاء كتابة البرقية بخط واضح
- الرجاء كتابة بلد المورد كاخر كلمة في العنوان
- رقم الهوية الشخصية تاريخها مصدرها نوعها

نموذج من الضغط الإقتصادي على الشيعة ، والملك عبد العزيز يقول : لا يمكننا عمل شيء .

من عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جانب المكرم عبدالله بن نصر الله وعبدالله بن حسين بن نصر أهل سيهات وأحمد بن حسين الفرج أهل العوامية سلمهم الله تعالى السلام عليكم :ـ

تم وصول عريضتكم المؤرخة ١٣٥٠/٩/١٥هـ وإطلعنا عليها وما ذكرتم عن الأحوال عندكم فهمناها ونحن يهمنا جدا النظر في أحوالكم وما يصلحها وهذا شيء جاعلينه على البال ولكن هذا الوقت لايمكننا عمل شيء ، الآن أحوال الوقت على الناس عامة ولابد إنشاء الله بالوقت المناسب ننظر في أحوالكم جميعها ويكون ما فيه الخير وراحة للجميع إنشاء الله نرجو الله يقدر ما فيه الخير وحسن العاقبة .. هذا ما لزم بيانه والسلام .

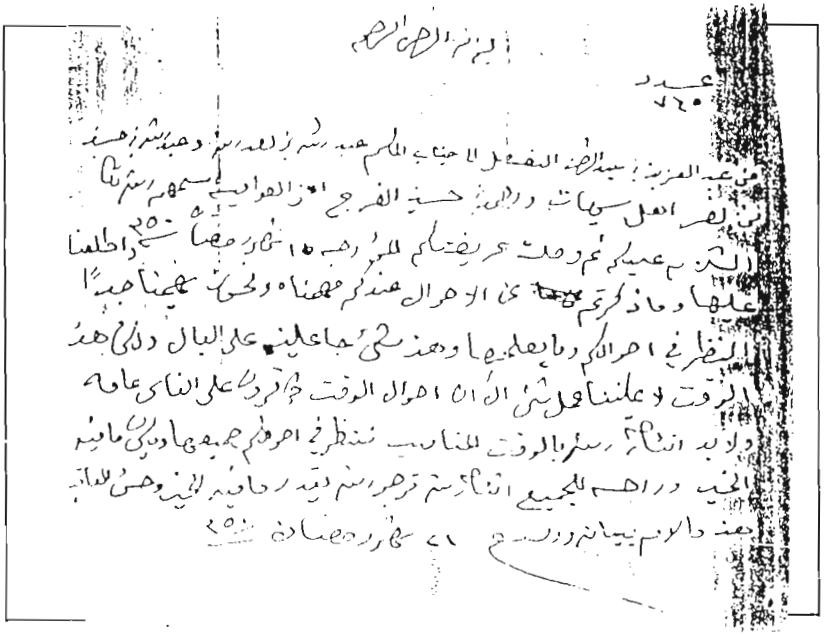

تقدير رسمي لعدد النخيل وإنتاجها في المنطقة عام ١٣٨٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ ١٥ / ٥ / ٨٥

المملكة العربية السعودية وزارة الزراعة مصلحة الأحصاء

المنطقة	عدد النخيل المثمر	عدد النخيل الغير المثمر	اجمالي عدد النخيل
الأحساء	١٦٦٢٠٠٠	٢٩٣٠٠٠	١٩٥٥٠٠٠
القطيف	١٠١٤٠٠٠	٢٥٣٠٠٠	١٢٦٧٠٠٠
الاجمالي	٢٦٧٦٠٠٠	٥٤٦٠٠٠	٣٢٢٢٠٠٠

تقدير انتاج النخيل المثمر

المنطقة	عدد النخيل المثمر	متوسط انتاج النخلة بالكيلو	اجمالي الانتاج بالطن
الاحساء	١٦٦٢٠٠٠	٥٧	٩٤٧٠٠
القطيف	١٠١٤٠٠٠	٤٠	٤٠٥٠٠
الاجمالي	٢٦٧٦٠٠٠	٥٠,٥٠ كيلو	١٣٥,٢٠٠

المساحة الغير مزروعة بالدونم

المنطقة	المساحة الغير مزروعة بالدونم
الأحساء	١٢٨٠٠
القطيف	١١٨٠٠
الاجمالي	٢٤٦٠٠

الحكومة توقف تصدير التمور حتى تشتري ما تحتاجه منها باسعار منخفضة .. رسالة تستعجلها فسح المجال للتصدير .

مولانا جلالة الملك المعظم

نرفع لجلالتكم أعمق الشكر للعطف الذي شملتم به ابناءكم حول التمور غير أن إيقاف تصديره لإنهاء شراء الحكومة مع عدم تحديد الوقت النهائي لشرائها سيستمر لآخر الموسم بل لآخر السنة ، ما زالت أسعاره منخفضة المالية لم تبلغ بفسحه وهذه الطريقة موجبة لإستمرار تدهوره ونكبتنا فيه بصورة غير مباشرة ، عدالتكم تقضي بفسحه قبل فوات الأوان أو تحديد المدة لشراء ما تحتاجه الحكومة لسماح تصديره بعدها . دمتم ذخراً لنا .

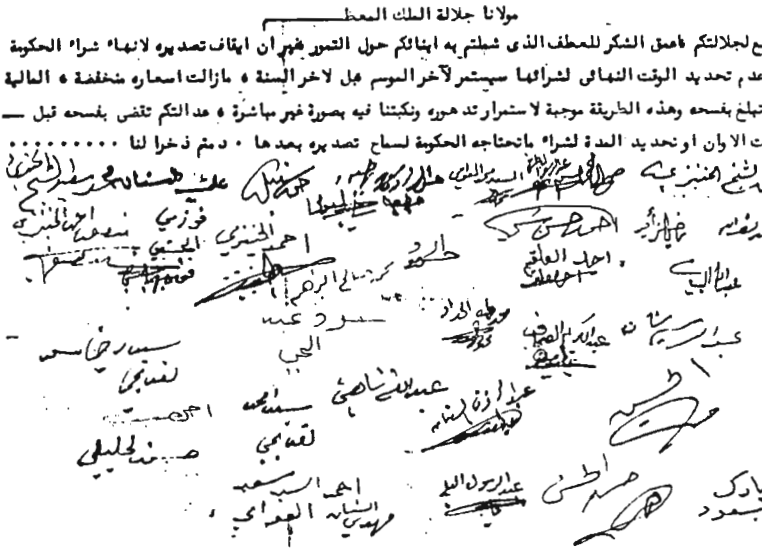

رغم عصر النفط وفائض الخيرات : الضرائب على التمور غير شرعيّة ومغالاة فيها . شكوى شديدة اللهجة من الفلاحين الى مدير المالية والجمارك في الشرقية في ٣٠ / ٤ / ١٤٠٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة مدير مالية وأمين جمارك المنطقة الشرقية المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : بعده

كما تعلمون سعادتكم ان الدولة كانت تتقاضى الزكاة منا عينا منذ فترة طويله من الزمن ، ثم رأت توفيرا لها من موظفي المستودعات والموازين والعمال والمخازن وغيرها : ان تأخذ قيمتها حسب سعر السوق ، وقد وفر هذا الأسلوب للأدارة وقتاً ومالاً كثيرين ، واستمر هذا العمل كل هذه السنين .

حتى علمنا أن ادارة الأملاك والزكوات بالقطيف تطلب قيمة القلة الواحدة اثنين وثلاثين ريال ٣٢ بينما السعر الحالي بسوق التمر قيمة القلة احد عشر ريال ١١ ، ولا ندري على اي اساس طلبت ذاك مع علمها بأن السعر بالقيمة التي ذكرناها. هل أنها تقيس قيمتها على الأكياس النايلون المعبأة أم أنها رأت وزارة الزراعة تساعد المالك بمعونة نقدية حتى يستطيع تحسين النخيل تشجيعاً منها . فتريد الأملاك قطع الطريق عليه .

على كل حال ان الزكاة فريضة شرعية ويجب استيفاؤها بطريق شرعي : فاما أن تستمر ادارة الزكاة في قبض ثمنها حسب سعر السوق بلا زيادة وتخصم لنا قيمة الظرف والنقل كما كانت تفعل ، والا أن تأخذ الزكاة منا عيناً في محلاتها تمراً بأنواعه منفور بدون تعبأة من منتوج نخيلنا التي تخرجها العمال للدولة فلسنا ملزمين شرعاً بغير ذ لك ، ويكفينا ما نعانيه من أمر النخيل ومصاريفها واهمالها وتقبلوا تحياتنا . ٣٠ / ٤ / ١٤٠٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة مدير مالية وأمير جمارك المنطقة الشرقية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : بعد

كما تعلمون سعادتكم أن الدولة كانت تتقاضى الزكوة منا عينا منذ فترة طويلة من الزمن ، ثم رأت توفيرا للجهد من موظفي المستودعات والموانيء والعمال والمخازن وغيرها : أنه تأخذ قيمتها حسب سعر السوق ، وقد وفر هذا الأسلوب للدولة وقتا ومالا كثيرين ، ولا سيما هذا العمل كل هذه السنين .

حتى علمنا أن دائرة الأملاك والزكوات بالمنطقة تطلب قيمة القلة الواحدة اثنين وثلاثين ريالا بينما السعر الحالي بسوق النور قيمة القلة اثنان وعشرون ريالا ، ولا ندري على أي أساس طلبت ذلك مع علمها بأنه السعر بالقيمة التي زكى بها أنفسنا نقيس قيمتها على الزكي بأن يلزمه العباءة إذا رأت دائرة الزكاة تساعد المالك بمونة نقدية حتى يستطيع تحسين النخيل تشجيعا منها ، فقد يدائر الأملاك فيطلع الطريق عليه .

على كل حال أن الزكوات فريضة شرعية ويجب استيفاؤها بطريق شرعي : فأما أن تستمر دائرة الزكوات في قبض قيمتها حسب سعر السوق بكل زيادة ونقص لقيمة الظرف والنقل كما كانت تفعل ، وإما أن تأخذ الزكوة منا عينا في محلاتها تمرا بأنواعه منقوب بدون تعبأة من متوج نخيلنا الذي تحرسه العمال للدولة فلسنا ملزمين شرعا بغير ذلك ، ويكفينا ما نالنا فيه من أمر النخيل ومصاريفه والأهدار وتقبلوا تحيتنا ؟ ٢٠/٤/١٤٠٧

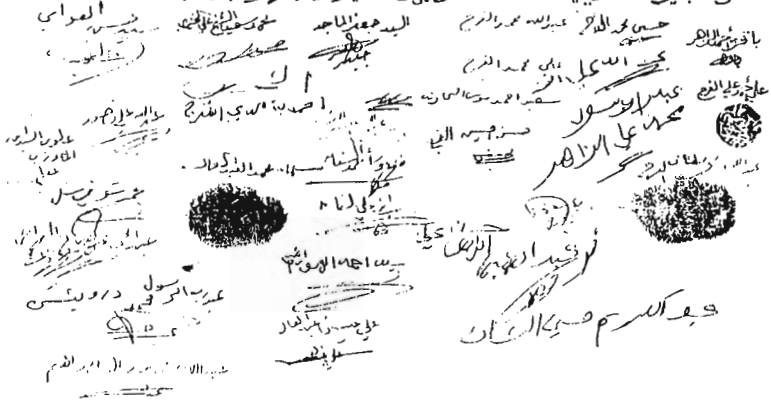

رسالة الى الملك فيصل من علماء الشيعة ، تطالبه إنزال العقاب بحق ابراهيم الجبهان ، جزاء ما كتبه ضدّ المواطنين الشيعة في المملكة ، في كتابه « تبديد الظلام » .

في الوقت الذي تتخطى فيه الامة الاسلامية مرحلة عنيفة من مراحل الصراع مع المستعمر الكافر وتنفض عن كاهلها مغبة الفرقة والخلاف يظهر علينا المدعو ابراهيم الجبهان سلاح الفرقة وتصديع شمل المسلمين بتحريض بعضهم على بعض ووصم احدى طوائفهم بالالحاد. فلم يترك من اجل تبرير دعوته الضالة مجالا للاكاذيب الاسلكه ولا وجهاً للفتن والتدليس الا اختلقه لطمس الحقائق واخفاء المعالم . وبالتالي لم يدع طريقاً لشتم الشيعة وأئمة المسلمين الا دخله بل كفر ملايين المسلمين من الشيعة وتعرض لخليفة المسلمين الامام علي وطعن الأئمة من آل الرسول وقال في كتابه الذي اسماه « تبديد الظلام وتنبيه النيام » ما تشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع بغية اثارة الحفائظ وزج المسلمين في اتون الفتنة والخلاف وفاته ان يدرك ان لدى المسلمين من مسؤولين وغير مسؤولين من الوعي وقوة العقيدة ما يحبط مؤامرات ومكائد المستعمرين وعملائهم ويجعل من وحدتهم وتماسكهم صخرة تتحطم عليها المكائد والمؤامرات .

ياصاحب الجلالة اننا نطلب من جلالتكم الضرب على يد الجبهان وانزال العقاب بحقه وطرده من الأراضي السعودية فانه غير اهل لان يعيش تحت ظل دولة اسلامية وهو يطعن الاسلام واهله حفظ الله جلالتكم سندا للاسلام .

جلالة الملك المعظم

في الوقت الذي تحتفظ فيه الامة الاسلامية بوحدة عتيدة من مواطن الخليج الى المحيط الهادي وتنفض عن كاهلها مخيبة الفرقة والخلاف يظهر علينا الدعوا براهيم الجبان سلاح الفرقة وتصديع شمل المسلمين بتحريض بعضهم على بعض ودعم احدى طوائفهم بالالحاد ظلم يترك من اجل تبرير دعوته الضالة مجالا الا كاذيب الاسلاك ولا وجها الفتن والتدليس الا اختلقه لطمس الحقائق واخفاء العالم وبالتالي لم يدع طريقا لشتم الشيعة وائمة المسلمين الا دخله بل كفر ملايين المسلمين من الشيعة وتعرض لخليفة المسلمين الامام بل وطعن الائمة المطهرين من آل الرسول وقال في كتابه الذي اسماه «تبديد الظلام» ما اشتمل من النفوس وتنفر منه الطباع بغية اثارة الحفائظ ودرج المسلمين في اتون الفتنة والخلاف وفاته ان يدرك ان لدى المسلمين من مسؤليه وعقولهم ما يرد على الوهمي وفزة العقيدة ما يحبط مؤامرات ومكائد المستعمرين وعملائهم ويجعل كيدهم وتماسكهم صخرة تتحطم عليها المكائد والمؤامرات

يا صاحب الجلالة انا نطلب من جلالتكم الضرب على يد الجبان وانزال العقاب بحقد وطرده من الاراضي السعودية فانه غير اهل لان يعيش تحت ظلال دولة اسلامية وهو يطعن الاسلام واهله حفظ الله جلالتكم سندا للاسلام

اهالي

قاضي الشيعة بلا حقوق ! . رسالة الى امير الشرقية ووزير الداخلية تطالبهما بتوفير حقوق القاضي الشيعي اسوة بغيره من القضاة ! .

حضرة صاحب السمو أمير المنطقة الشرقية المعظم

صورة / مع الاحترام والإجلال لصاحب السمو وزير الداخلية المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :ـ

كما يعلم سموكم أن الدولة العلية قد منحت الى قاضي الشيعة الاستقلال في القضاء وفوضت اليه أمر النظر الى الأوقاف والمواريث والأحوال الشخصية المتعلقة بالشيعة . ومثل هذا العمل الجليل المتسع المتشعب لايمكن أن يقوم به شخص القاضي بمفرده لاسيما بعد أن دخلت الأعمال / كل الأعمال مرحلة التظيم والترتيب والحفظ والتسجيل ، وصارت تمر المعاملات من دور الاستلام الى دور القيد ومن ثم الى دور النظر فالضبط فاصدار الحكم وإخراج الصكوك فتسجيلها وتوديع المعاملات . هذا غير ضبوط الإثبات والإنكحة والعقود والطلاق والولايات وغيرها كثيراً وكثير مما له علاقة بهذا الشأن . كما أنه ليس من الممكن أن يكون منزل القاضي هو المحكمة . وإذا كان قد أمكن من ذي قبل فلإن الأمور والقضايا والدعاوى ليست بهذا الإتساع وهذا التنظيم وهذا الحجم الذي أصبح ينوء به شخص القاضي ويوفوق قدرة القاضي البدنية وطاقته العملية أضعافاً أضعافا . وحيث أن الدولة / جزاها الله خير / قد وفرت لجميع المرافق جميع متطلباتها الإدارية والمادية وعنيت بتنظيم جميع الأجهزة وتزويدها بمستلزماتها . لذا نرجو توسط سموكم لدى المعنيين بالأمر أن يكون لقاضي الشيعة كما لغيره من الأجهزة مقراً يكون مركز للقضاء وكاتب وفراش ومراسل ولانظن أن ذلك إلا من أبسط الأمور تحقيقه . وليس بإمكان القاضي الإستمرار في عمله بنفسه ليكون هو القاضي وهو المسجل وهو كاتب الضبط وهو المحرر وهو مخرج الصكوك وهو المودع .. الخ كل ذلك شيء لايرض به المسؤولون .

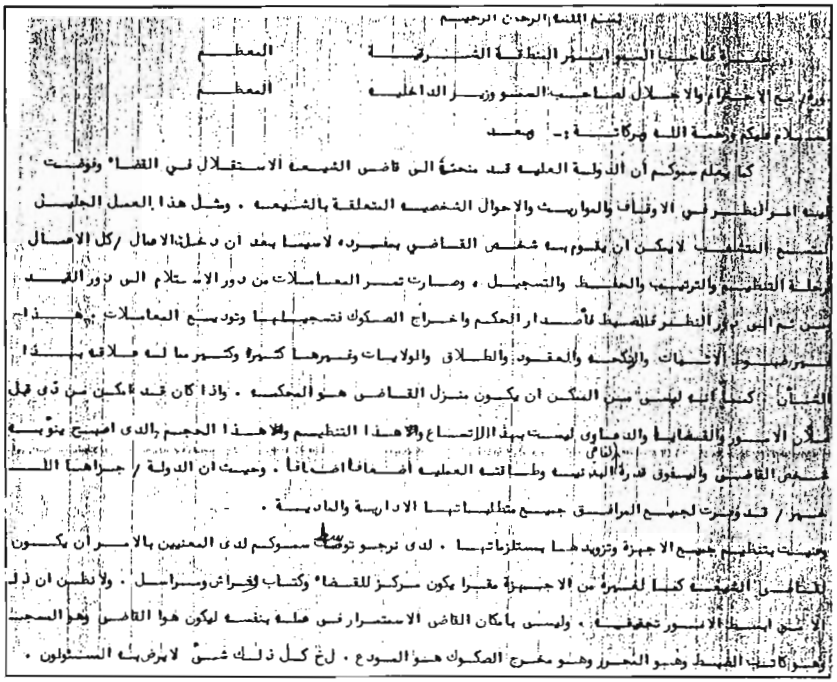

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] المعظم

[illegible] المعظم

[illegible]

كما يعلم سيركم أن الدولة العلية قد منحت الى قاضي الشيعة الاستقلال في القضاء ونقلت هذه الامر النظر في الاوقاف والمواريث والاحوال الشخصية المتعلقة بالشيعة . ومثل هذا العمل الجليل الواسع التطلب لا يمكن ان يقوم به شخص القاضي بمفرده، لاسيما بعد ان دخل الاعمال كل الاعمال [illegible] تطلب التنظيم والترتيب والضبط والتسجيل ، وصارت تسير المعاملات من دور الاستلام الى دور القيد ثم الى دور النظر فالضبط فاصدار الحكم واخراج الصكوك فتسجيلها وتوديع المعاملات بهذه الدور [illegible] الاسماء والزكية والعقود والطلاق والولايات وغيرها كثيرة وكثير ما لها علاقة بهذا الشأن . كيف يمكن ان يكون بين المكن ان يكون منزل القاضي هو المحكمة . واذا كان قد يمكن من ذي قبل لكل الامور والقضايا والدعاوى ليست بهذا الاتساع ولا هذا التنظيم ولا هذا الحجم الذي اصبح بنوبه على القاضي والصعوبة قدرة البشرية وطاقته العلمية اضعافا مضاعفا . وحيث ان الدولة / جراها الله خيرا / قد وفرت لجميع المرافق جميع متطلباتها الادارية والمادية .

وحيث بتنظيم جميع الاجهزة وتزويدها بمستلزماتها . لذى ترجو توفيق سيركم لذى المعنيين بالامر ان يكون المحكمة الشرعية كبقية الدوائر من الاجهزة مقرا يكون مركز للقضاء وكتاب الضبط وسراحل . ولا نظن ان ذلك الا شيء بسيط الامور تحقيقها . وليس بامكان القاضي الاستمرار في عمله بنفسه ليكون هو القاضي وهو المحقق وهو كاتب الضبط وهو المحرر وهو مخرج الصكوك هو المودع . الخ كل ذلك شيء لا يرضى به المسئولون .

رسالة من علماء الشيعة الكبار الى فهد في اواسط ١٣٩٥ هـ تحتج فيها على سلب القضاء الشيعي صلاحياته عبر اصدار لائحة من قبل مشايخ الوهابية رفضها الشيعة بقوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، فهد بن عبد العزيز المعظم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

كما لا يخفى على سموكم ، أنه كلما امتدّ زمن الحكم للدولة ازداد التفهّم العميق والتجاوب الصادق بين الحاكم والمحكوم ، إذا كانت الدولة تشعر بشعور من تحكمهم وتنهج سبيل العدل الذي أمر الله سبحانه وتعالى به وباتباعه . ذلك أنها بحكم الزمن المستطيل والممارسة الحكيمة ، تعرف جيداً سلوك ونفسية وطقوس وعادات من تحكمهم .

وحكومتنا الجليلة قد جمعت الصفات التي تتوفر فيها مثل تلك المبتنيات ، فهي والحمد لله ، تمرّست بالحكم مدّة طويلة والى ما شاء الله ، وهي تشعر بشعور من تحكمهم وهي فوق ذلك تترسم تعاليم الإسلام السامية .

وإننا أهل القطيف كجزء من الشعب السعودي الكريم ، نعتقد بان الدولة تعرفنا جيداً سلوكاً وعقيدة .

سلوكاً في تجاوبنا مع المسؤولين منذ بداية العهد . وعقيدة طائفة مسلمة تتمذهب بالمذهب الجعفري . فهم شيعة إماميّة إثنا عشرية . وكان شعورنا يؤكد الإحساس لدينا بأن الحكومة الرشيدة كلما امتدّ بها الزمن أعطتنا من تفهمها وتجاوبها ، وعمق تجربتها ، وأصالة النبل فيها ، ما يطمئننا بأننا طائفة كجزء من الأمّة المحكومة ، لها حقوقها الإجتماعية والمذهبية ، وأنها لذلك تعيش الطمأنينة والإستقرار النفسي .

غير أنه ـ والألم يعتصر نفوسنا ـ نأسف أن نقول أنه كلّما تطاولت الأيام تبدّلت نظرة المسؤولين وتغيّرت معطياتهم الفكرية نحونا بما يلقى

ظلالاً من تخوفنا على أهم ما يحرص عليه المرء في حياته ، ذلك هو كوننا شيعة تحت رعاية حكومة إسلامية .

لقد كان العالم الشيعي في بداية العهد السعودي الكريم ، والى مدة غير قليلة ـ يقضي في كل فروع الفقه الإسلامي ، في العروض والأموال وغيرهما . وكان الرجل الشيعي يشغل كتابة العدل ، وكان الفرد الشيعي يشعر بالمساواة مع أخيه السنّي ، وكانت القطيف مركز الثقل في المنطقة . وشيئاً فشيئاً أخذ منها ما تتمتّع به ..... ، حتى آل الأمر بأن أصبحنا في نظر المسؤولين نحكم في قضائنا بغير ما أنزل الله ـ والعياذ بالله ـ وذلك واضح تمام الوضوح في اللائحة التي صدرت لتنظيم القضاء الجعفري .

فماذا يعني عرض الصكوك الصادرة من قضاتنا على رئيس المحكمة الشرعية ليصادق عليها « ما لم تتعارض والعقيدة الإسلامية » ؟ . وإذا لم تُعرض فستبقى رهن التعطيل والتحجير ، ويبقى كل أهل القطيف بمشاكلها القائمة ومشاريعا المجمّدة ، وأملاكها المهددة بالتلف والضياع والنزاع .

وإذا جئنا لنبحث الأمر على ضوء التعاليم الإسلامية ، فبأي رأي نأخذها ؟ والمذاهب الإسلامية كثيرة ، والمشهور منها في العالم الإسلامي خمسة مذاهب . معلوم أن المسلمين كافة يلتقون في دعائم الإسلام وأصوله ، فكلهم ـ بما فيهم الشيعة ـ يشهدون لله بالتوحيد وللرسول بالنبوة ، ويقرّون بالمعاد ، ويرون أن الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد أركان الإسلام . ويرون جميعاً أن القرآن الكريم والسنّة النبويّة ـ فعلاً وقولاً وتقريراً ـ هما مصدر التشريع في الإسلام .

كل ذلك متفق عليه بين المسلمين ، ولكن الخلاف في أمور كثيرة وفي فروع فقهية واسعة ، قد يكون الطريق الى معرفة سنّة الرسول هو أحد طرق الخلاف ، بل هو أكثرها خلافاً . وقد يكون الفهم للنصّ القرآني والحديث هو الآخر مصدر الخلاف ، وهو كذلك . وقد يكون النظر في ما جدّ ويجدّ من أحكام سبباً لإختلاف الرأي ، وهو ما حدث . ولذلك تفرّعت الفروع الفقهية ونشأت المذاهب وتوسّعت سبيلها .

ولم تكن الشيعة ولا المذهب الشيعي وليد اليوم أو الأمس ، بل هو

من لدن فجر الرسالة ، ولم تكن الشيعة في القطيف وافدة من عقد من السنين ، بل المنطقة بأسرها شيعية منذ فجر الإسلام ، ولقد دخل المغفور له مؤسس هذه الدولة والدكم جلالة الملك عبد العزيز البلاد بترحيب من أهلها ، وهو يعرف أنهم شيعة ، وأعطى لهم ضمان الحرية المذهبيّة .

إن سموكم والمسؤولين تعلمون أننا شيعة جعفرية ، والشيعة تختلف في كثير من الفروع الفقهية ـ كما قلنا ـ مع غيرها من المذاهب ، كما تختلف المذاهب أنفسها .

فالشيعة ترى صحة الوقف على الرسول وآله ، لإقامة ذكرى مواليدهم ووفياتهم وغيرها ، وغيرها لا يرى صحّة ذلك . والشيعة لها رأي يختلف ـ نوعاً ما ـ مع بعض المذاهب في الإرث .

فإذا عرض صك من هذا القبيل على المحكمة فهل ترون سموكم أن رئيسها سيصدق على صحته ؟ إذن فإنه سيخالف مذهبه . وإذا نقضه ، هل يلزمنا ذلك ونبطل مذهبنا ؟ .

ثم وقد حصر المسؤولون نظر القاضي الشيعي في أوقاف ومواريث وعقود وطلاق الشيعة أنفسهم . لماذا لا يعترف بصكوكهم في الجهات الرسمية ، ولماذا يطلب منهم عرضها على المحكمة ليبطل ما يبطل ويصحّح ما يصحح ؟ أليس قاضي الشيعة قاضياً للشيعة ؟ أوليس الشيعة جزء من المملكة لهم حق رعاية مذهبهم ؟ . وكيف يعطى لأحد المتداعين الشيعيين حق النظر في المحكمة الشرعية السنيّة إذا طلب ذلك فيما يتعلّق بمختصات الشيعة ؟ . فهل الى القاضي الشيعي مثل ذلك الحق ؟ . إن سموكم وهو ممثل جلالة الملك المعظم وولي عهده الأمين تعرفون تمام المعرفة أننا شيعة منذ القدم ولنا رأينا المذهبي وطقوسنا المذهبية وعاداتنا الأصيلة .

وسموكم خير من يعي أهمية الإصلاح والصلاح .

لذا نتقدم لسموكم راجين التكرم بالغاء اللائحة جملة وتفصيلاً ، وإعادة حقوقنا القضائية الجعفرية كما كانت عليه سابقاً مع رعايتنا في بقية الأمور الأخرى ، وأنتم وكل المسؤولين مسؤولون أمام الله . وإذا كان أحد يشك في صدق نوايانا أو يودّ أن يناقشنا فيما يظن عنا أو فيما

نعتقد فنحن عند حسن ظن الجميع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهالي القطيف : عبد الحميد الخطي ، علي يحي ،فرج العمران ،أحمد آل سيف ،سيد حسن العوامي ، السيد حسين العوامي ، عبد الله حسن المطوع ، علي مكي المعلم ،سيد محمد العوامي ، عبدالجليل محمد الزهيري ،علي محمد الشيخ ، محمد المهدي ، سعيد الشيخ علي أبو المكارم ، وغيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد والنائب الاول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

كما لايخفى على سموكم انه كلما اشتد زمن الحكم للدوله ازداد التفهم العميق والتجاوب الصادق بين الحاكم والمحكوم اذا كانت الدوله تشعر بشعور من تحكمهم وتنهج - بسبيل العدل الذي امر الله سبحانه وتعالى به وباتباعه ذلك انها بحكم الزمن المستطيل والممارسة الحكمية تعرف جيداً سلوك ونفسية وخلوس وعادات من تحكمهم .

وحكومتنا الجليله قد جمعت الصفات التي تتوفر فيها مثل تلك المقتضيات ، فهي والحمد لله ، تعرست بالحكم مدة طويله والى ما شاء الله ، وهي تشعر بشعور من تحكم وهي فوق ذلك تتلمس تعاليم الاسلام الغالية فيه .

وانا اهل القطيف كجزء من الشعب السعودي الكريم نعتقد بان الدوله تعرفنا جيدا سلوكا وعقيدة .

سلوكا في تعاوننا مع المسئولين منذ بداية العهد . وعقيدة طائفة مسلمة تتخذ مذهب الجعفري . فهم نعمة امامية / اثنا عشرية وكان شعورنا يؤكد الاحساس لدينا بأن الحكومه الرشيده كل ما امتد بها الزمن اعطتنا من تفهمها وتجاوبها وعمق تعرفها واصالة النيل فيها ما يطمئننا باننا على ثقة كجزء من الامة المحكومه لها حقوقها الاجتماعيه والمذهبيه ، وانها لذلك تعيش الطمأنينه والاستقرار النفسي . غير انه - والالم يعصر نفوسنا - نأسف ان نقول انه كلما تطاولت الايام تبدلت نظرة المسئولين وتغيرت معطياتهم الفكريه نحونا بما يلقى ظلا لا من تخوفا على اهم ما يحرص عليه المرء في حياته ذلك هو كونها شهمة تحت رعاية حكومة اسلامية .

لقد كان العالم الشيعي في بداية العهد السعودي للكريم والى عهد غير قليل يقضي في كل فروع الفقه الاسلامي في العروض والاموال وغيرهما . وكان الرجل الشيعي يشغل كتابة العدل وكان افراد الشيعي يشعرون بالمساواة مع اخيه السني وكانت القضية مركز القلق في المنطقة . وشيئا فشيئا اخذ ضبابا ماتتشبع به كل مواطنين اخرين حتى آلى الامر بأن اصبحنا في نظر المسئولين نحكم في قضائنا بغير ما انزل الله - والعياذ بالله - وذلك واضح تمام الوضوح في اللائحة التي صدرت لتنظيم القضاء الجعفري .

فماذا يعني عرض الحكوك الصادرة من قضائنا على رئيس المحكمة الشرعية ليصادق عليها ((مالم تتعارض والعقيد تالاسلامية) ؟ واذا لم تعرض فستبقى رهن التعطيل والتحجير وتبقى كل أهل القطيف بمشاكلها البالغة ومشاريعها المعقدة وأملاكها المهددة بالتلف والضياع والنزاع . اذا جئنا لنبحث الامر على ضوء التعاليم الاسلامية . فبأي رأي تأخذها ؟ والمذاهب الاسلامية كثيرة والمشهور منها في العالم الاسلامي خمسة مذاهب . معلوم أن المسلمين كافة يتفقون في دعائم الاسلام وأصوله . فكلهم بما فيهم الشيعة يشهدون لله بالتوحيد وللرسول بالنبوة ويؤمنون بالمعاد ويعبدون ان الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد أركان الاسلام . ويؤمنون جميعا ان القرآن الكريم والسنة النبوية - قولا وفعلا وتقريرا - هما مصدر التشريع في الاسلام . كل ذلك متفق عليه بين المسلمين ، ولكن الخلاف في امور كثيرة وفي فروع فقهية واسعة . قد يكون الطريق الى معرفة سنة الرسول هو احد طرق الخلاف ، بل هو اكثرها خلافا . وقد يكون الفهم للنص القرآني والحديث هو الاخر مصدر الخلاف . وهو كذلك وقد يكون النظر في ماجد ويجد من احكام سببا لاختلاف الرأي . وهو ماحدث وكان سبب ذلك تفرعة الفروع المختلفة ونشأت المذاهب وتوسعت سلسلتها .

رسالة من الوجاء والعلماء الى وزير الداخلية في اوائل ١٣٩٦ هـ تحتج على قرارات هيئة مجلس القضاء الأعلى حول موضوع اللائحة . ولكن « لم نياس ولم يمت الأمل ! » .

سمو وزير الداخلية المحترم

تلقينا الجواب على برقيتنا لسموكم التي نطلب فيها حل المشكلة التي عقدتها الهيئة بمجلس القضاء الأعلى واحكمت طوقاً على اعناقنا وسلبتنا حقوق المواطن ، وقضت على الرمق الاخير من قضائنا ، وجعلته اسما أجوف . ان قرار الهيئة رقم ٣٧٤ في ٢١ / ١٢ / ٩٥ـ التي لا ترى في اللائحة ما يضر بمصالحنا ولا الطائفة التي ننتمي اليها ـ ان هذا لم يكن مفاجأة ولا غريباً علينا بل هو ما نتوقعه منها ولا يمكن للهيئة ان تقول غير ذلك كي تنسجم ونفسها ..فانها واضعة اللائحة باطارها الخاص ، اننا حين تقدمنا لسموكم ناشدين النظر في مشكلتنا وتلمس السبيل في حلها بوصفكم مسؤولين عن مشاكل المواطنين ، وانكم لا تقبلون ان يحل بهم حيف فلم نتقدم بذلك الأمل لأن تعاد المشكلة الى واضعها ليحكمها مرة بعد اخرى ان هذه اللائحة فريدة و لم يسبق لها مثيل ·

ياللعجب ..

كيف لا ضرر بمصالحنا من اللائحة وهل بقيت لنا مصالح ؟ وهل بقى لنا قضاء بعدها ؟ انها انزلت بنا ضربة قاتلة وجردتنا من الكرامة ، وغمزت عقيدتنا الأمر الذي يدل انها وضعت للاضرار بنا والحاق الأذى ، بينما كانت صكوكنا معتمدة طوال ثلاثة وستين عاماً بما ضمنه لنا مؤسس هذه الدولة .

أوضحنا اكثر من مرة الاثار غير المحمودة التي نتجت عنها وشرحنا واسهبنا في الشرح عمق تلك الأثار علينا روحياً ومادياً ووضعنا النقط على الحروف ، واذا لم نجد لدى سموكم الحل لمشكلتنا والاصغاء لشكوانا فمن يحلها ؟ ولمن نلجأ ؟

لم نيأس ولم يمت فينا الأمل ان ننصف وتعاد الينا حقوقنا وترد كرامتنا .

دمتم ذخراً والله يحفظكم .

سعادة وزير الداخلية المحترم :

تلقينا الجواب على برقيتنا المرسلة الى نقيب ضباط السكك التي عقد مركز الهيئة بمجلس التحاد الأعلى واحكت طوفاً على اعضائنا وسبقتنا عقوق الجوائز و [illegible] على الرغم الاضرين قضائنا وعبئنا اسماً أجوف . ان قرار الهيئة رقم ٢٧٤ في ١٩٥١/١٢/٢١ الى الاخرى في اللائحة ما يقرر لها فيها ولا الاقلية التي تشتهي البرا ان هذا لم يكن مفاجأة ولا غريباً علينا بل هو ما نتوقعه منذ ولا يمكن الهيئة ان تقول غير ذلك كي تنسجم ولغير فاتح واضعة اللائحة باطارنا الخاص ، انناحين قدمنا لسوكنا تصديق النظرة مشكلتنا وتمس السبيل نحو حلها بوصفكم مسؤولين عن سلامة كل المواطنين ، وانكم لا تقبلون ان يحل بهم حيف فلم نتقدم بذلك الأول أن نعاد [illegible] المشكلة الى واضع لبحثها مرة لبداية ان اللائحة فريدة لم يسبق لها مثيل ، يا للعجب كيف لا يضر لها فيها من اللائحة ولكل بقيت لنا معالج ؟ وهل بقي لنا قضاء لبدنا ؟ ازا انزلت بنا ضربة قاضية وجردتنا من الكرامة ، وحرمت عقيدتنا الأمر الذي يدل ازا وضعت لها يضرارنا والحاق الأذى ، بينما كانت محكومة معقدة طوال ثلاثة وستين عاماً باضعنه لنا مؤسس لهذه الدولة . أوضحنا المرة بعد المرة الاضرار عند العودة التي تتبع غير وسترة وادبنا في السرح عن هذه الأمة ، سيناروحيا وادبياً ووضعنا النقط على الحروف ، واذا لم يجد اسوكم الحل لمشكلتنا والاضطراب لتلوانا فمن نجاح ؟ وان نلجأ ؟ لم نيأس ولم يحبط فينا الأمل ان ننصف ونعاد الينا هيبتنا وتردكرامتنا . وتقبلوا زفراً والله يحفظكم

خادم الشرع الشريف

[illegible]

رسالة اخرى من علماء الشيعة الى وزير الداخلية تطالب بإنفاذ صكوك الشيعة ، وإلغاء اللائحة الطائفيّة .

صاحب السمو الملكي وزير الداخلية المعظم الرياض

تميز سموكم بالحزم والصراحة وصدق المواقف ومن هذا المنطلق أعطيتم الوفد منا في مقابلته لسموكم العهد بحل مشكلتنا المتمثلة في عدم نفاذ صكوك قضاة الشيعة بسبب اللائحة التي قصد منها تنظيم قضاء الشيعة ، وحفظ حقوقهم فكانت النتيجة ضياع حقوقهم والطعن في كرامتهم ، وسلب فضيلة الاسلام منهم . لقد تعهد سموكم بالتوسط لالغاء اللائحة وبالنظر لمرور شهور دون ايجاد حل نرفع لسموكم برجاء الوُقوف الى جانب قضيتنا العادلة . فقد رفعنا لمقام سمو ولي العهد المعظم بهذا الصدد لما نلاقيه من مصاعب وضياع حقوق ولنا في سموكم والمسؤلين كافة عظيم الثقة حفظكم الله .

هيئة التمييز تنظر في صلاحية احكام قاضي الشيعة « وبعيون طائفيّة » .

وزراة العدل

هيئة التمييز بنجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية

الحمد لله وبعد .. فقد إطلعت الهيئة المختصة بتمييز القضايا الجنائية والأحوال الشخصية وقضايا الأوقاف وحقوق القاصرين والحكم على الغائب وبيوت المال على المعاملة الواردة من فضيلة قاضي محكمة الأوقاف والمواريث للشيعة الشيخ عبد الحميد الخطي رقم ١٥٢ وتاريخ ١٤٠٣/٢/٧هـ . الخاصة بدعوى أحمد مهدي شلفاح وجاسم مهدي شلفاح وعبد الكريم مهدي شلفاح ضد محمد راشد السالمي وذلك بشأن النزاع القائم بينهم في النخل المسمى البشري ومشفوعها الصك الصادر من فضيلته برقم ١٠ـ١ في ١٤٠٢/٧/١٨هـ . المتضمن تقديم فضيلته بأنه صرف النظر عن دعوى محمد راشد السالمي من أن له حقافي الأرض المسماة البشري أو البشاري وبه حكم . وبدراسة الصك وصورة ضبطه وأوراق المعاملة وجد أن المدعين من أبناء الشيعة وأن المدعى عليه من أبناء السنة فهل يوسوغ للقاضي والحال ما ذكر نظر مثل هذه القضية حيث أن قاضي الشيعة خول له الإثبات فيما ينهى اليه في قضايا أبناء الشيعة مع بعضهم في أوقافهم ومواريثهم خاصة ولم يوخول له النظر في الدعاوى لاسيما وقد جاء في خطاب معالي وزير العدل الموجه لسمو وزير الداخلية برقم ٣١١/ ص في ١٤٠٢/٤/٢٦هـ ما يؤيد ذلك لذا تقرر الهيئة رفع المعاملة لمعالي وزير العدل لأخذ رأي معاليه مع العلم أنه يظهر أن في القضية صكوكا صادرة من محكمة القطيف الكبرى والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

قاضي التمييز / عبد اللطيف بن شديد

قاضي التمييز / عبد العزيز الربيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
هيئة التمييز بنجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية

الرقم ١/١٢٨
التاريخ ٢/٦/٢٨
التوابع
الموضوع

الحمد لله وحده وبعد ... فقد اطلعت الهيئه المختصه بتمييز القضايا الجنائيه والاحوال الشخصيه وقضايا الاوقاف وحقوق القاصرين والحكم على الغائب وبيوت المال على المعامله الواردة من فضيله قاضي محكمه الاوقاف والمواريث الشيخ عبد الحميد الخطيبي برقم ١٥٢ وتاريخ ١٤٠٣/٢/٧هـ. الخاصه بدعوى احمد مهدي شلفاح وجاسم مهدي شلفاح وعبد الكريم مهدي شلفاح ضد محمد راشد السالمي وذلك بشان النزاع القائم بينهم في النخل الحسي البشري وشفوعها الصك الصادر من محكمته برقم ١/١٠ في ١٤٠٢/٧/١٨هـ. المتضمن تقرير فضيلته بانه صرف النظر عن دعوى محمد راشد السالمي من ان له حقا في الارض الحساة البشري او البشاري وبه حكم . وبدراسة الصك وصورة ضبطه واوراق المعامله وبعد ان المدعين من ابناء الشيعه وان المدعى عليه من ابناء السنه فهل يسوغ للقاضي والحال ما ذكر نظر مثل هذه القضيه حيث ان قاضي الشيعه خول له الاثبات فيما ينتهي اليه في قضايا ابناء الشيعه مع بعضهم في اوقافهم ومواريثهم بخلاف ولم يخول له النظر في الدعاوى لا سيما وقد جاء في خطاب معالي وزير العدل اليوجه لسمو وزير الداخليه برقم ٣١١/ص في ١٤٠٢/٤/٢٦هـ. ما يؤيد ذلك لذا تقرر الهيئه رفع المعامله لمعالي وزير العدل لاخذ رأي معاليه مع العلم انه يظهر ان في القضيه صكوكا صادره من محكمه القطيف الكبرى والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم ،،،

قاضي التمييز (علي بن روس) | قاضي التمييز (عبد اللطيف بن شديد) | قاضي التمييز (عبد العزيز الربيعه) | نائب الرئيس (عبد الله بن رشيد)

الإعتراضات مستمرة ومتواصلة ضدّ سلب قضاء الشيعة صلاحياته .
رسالة الى امير الشرقية تكرّر الإعتراض في ١٨ / ٥ / ١٤٠٦ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية المحترم .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . . .

إن جلالة والدكم العظيم قد استرعاكم أمر هذه المنطقة حيث وجد في سموكم الرجل الكفء لحمل الأمانة والقيام بمهام المسؤولية ، وتباشر أبناؤها بهذه اللفتة السامية ، لأن سموكم يتمتع بحيوية الشباب المؤمن ، ويتحلّى بروح العلم . وهو في ذات الوقت نجل راعي هذه الأمّة . فهو بالطبع أحرص على حقوقها .... وحرص سموكم على حقوق هذه المجموعة هو حرص على ديمومة العدل ودعم لاستمرار الحكم في ظل تشريع الله تبارك وتعالى .

ومن هنا لازالت الأفراح تعمّ الجميع ممثلة في الإحتفاء والتكريم وإظهار الولاء الدائم من الجميع .

وبإدراك من ذلك بادرنا بأول فرصة لطرح قضايانا ومشاكلنا أمام سموكم بوضوح وإخلاص وتجرّد ، واستمر العرض والبيان يأخذ طريقه في شكل اجتماعات ومحادثات وكتب وبرقيات ، وقلوبنا تغمرها الثقة بأن يكون الإنفراج على يد سموكم المباركة لأولويات هي في منتهى البداهة كحق يكتسبه المواطن بصفة المواطنة . حتى كان آخر اجتماع بسموكم في آخر شهر رجب عام ١٤٠٥ هـ ،فكان سموكم في تفهمه لما طرحناه من قضايا قمّة في الإحاطة والشمول والوعي بأهمية الإستجابة .

وحيث أن شيئاً ـ ما ـ لم يتحقق مع مرور الزمن ، وقد أخذ معنا التعامل منعطفاً خطيراً جداً ، وأهم ما يتمثل فيه :

أولاً : سلب صلاحية محكمة الأوقاف والمواريث ، حتى في نظرها للعلاقات الزوجية فضلاً عن أي موضوع آخر ، كالنظر في دعاوى الأوقاف والمواريث ، وأن المحاكم لا تقيم أي وزن لصك صادر منها في

أي موضوع من المواضيع الخاصة بقضايا الشيعة .

ثانياً : عدم الإعتراف من قبل المحاكم وكتاب العدل والدوائر الأخرى بحجج الإستحكام الصادرة أو التي تصدر منها أو التي صدرت من قضاة الشيعة السابقين . والحقيقة أننا لا نعرف تفسيراً لهذا . الذي نعرفه أن قضاة الشيعة السابقين ومحكمة الأوقاف والمواريث الحالية معتمدون من الدولة ويحكمون بما يخصّ الشيعة وطبق مذهبهم . وإذا كانت بعض آرائهم الفقهية لا توافق آراءاً فقهية أخرى ، فهم لم يخرجوا عن كونهم مسلمين لهم حقوقهم ومشاعرهم وهم لا يختلفون عن بقية الفرق الإسلامية في الإختلاف فيما بينها في الآراء الإجتهادية والفقهية .

فطرح آرائهم جانباً وحمل ا لشيعي على الأخذ بخلاف مذهبه في وقفه وميراثه وأحواله الشخصية . إكراه له على الأخذ بما لا يعتقد ـ ولا إكراه في الدين ـ . ثم إن الإصرار على نبذ صكوك الشيعة يضعنا في كماشة لا مخرج منها ، ويؤدي بالتالي الى مصادرة المبالغ العائدة الى أصحابها لقاء ما نزعتها البلدية وإدارة الطرق وغيرها ، بانتظار أن يتقدّم أصحابها الى تلك الجهات بصكوك يقبلها كاتب العدل لإفراغ الأملاك والأوقاف التي انتزعت منذ سنتين ولكي يقبض أعواضها ، فكتاب العدل لا تقبل صكوكنا والمحاكم لا تعترف بشرعية أوقافنا .

رابعاً : منعنا من الإستمرار في بناء النوادي الحسينية ـ الحسينيات ـ رغم أنها كانت قائمة قبل وبعد دخول الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ومازال السماح بها قائماً حتى عهد قريب . وهل الحسينيات إلّا مواضع تعليم لتعاليم الإسلام وإرشاد لإقتفاء تعاليمه ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . ولم يعد ما يقال فيها سراً يمكن حمله على غير ما هو عليه .

إننا لم نعد نطالب بالإصلاحات الضرورية ، وقد كان ذلك من ذي قبل نحس أن لنا كرامة المواطن المسلم . أما ونحن نعاني ما أشرنا اليه ، الأمر الذي يشكك في إسلامنا وربما انسحب على ولائنا ، فإننا نؤكد حقيقة ساطعة كسطوع الشمس في رابعة النهار هي أننا مسلمون

مواطنون مخلصون للدولة السعودية ، لا انتماء لنا سوى هذين .

لذلك نرجو سموكم التدخل السريع بحل مشاكلنا الآنفة الذكر باعتماد الصكوك السابقة واللاحقة وحصر دعاوى الوقف والميراث والأحوال الشخصية بمحكمة الأوقاف والمواريث ، ومنحها إصدار حجج الإستحكام في هذين الفرعين ، والسماح لنا ببناء المساجد على نفقاتنا الخاصة مع الحسينيات .

وتقبلوا سموكم أسمى الإحترام

١٨ ـ ٥ ـ ١٤٠٦ هـ

حضرة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

ان جلالة والدكم العظيم قد استرعاكم أمر هذه المنطقة حيث وهد في سموكم الرجل الكفء لحمل الأمانه والقيام بمهام المسئوليه . فتباشر أبناؤها بهذه اللفتة السامية لأن سموكم يتمتع بحيوية الشباب المقرون بتحلي بروح العلم . وهو في ذات الوقت نجل راعي هذه الأمة . فهو بالطبع أحرص على حقوقها ليحمل هذه الوديعه . وحرص سموكم على حقوق هذه المجموعه هو حرص على ديمومة العدل ودعم لاستمرار الحكم في ظل تشريع الله تبارك وتعالى . ومن هنا لا زالت الأفراح تعم الجميع مستلة في الأحتفاء والتكريم وأشهار الولاء الدائم من الجميع . وبادراك من ذلك بادرنا بأول فرصة لطرح قضايانا ومشاكلنا أمام سموكم بوضوح وأخلاص وتجرد . واستمر العرض والبيان بأخذ طريقه في شكل اجتماعات ومحادثات وكتب ومرئيات وقلوبنا تحدوها الثقه بأن يكون الأنفراج على يد سموكم المبارك لأولويات هي في منتهى البداهه كحق يكتسبه المواطن بصفة المواطنه . حتى كان آخر أجتماع بسموكم في آخر شهر رجب عام ١٤٠٥هـ فكان سموكم في تفهمه لمطارحناه من قضايا قمة في الأحاطة والشمول والوعي بأهمية الأستجابه . وحيث أن شيئا ما لم يتحقق مع مرور الزمن وقد أخذ منحنا التعامل يأخذ منعطفا خطيرا جدا . وأهم ما يتمثل فيه :

أولا - سلب صلاحية محكمة الأوقاف والمواريث . حتى في نظرها العلاقات الزوجيه فبدلا عن كونها موضوع آخر كالنظر في دعاوى الأوقاف والمواريث وأن المحاكم لا تقيم أي وزن لصك صادر صراحة من أحد المواضيع الخاصه بقضايا الشيعه .

ثانيا - عدم الأعتراف من قبل المحاكم وكتاب العدل والدوائر الأخرى بحجج الأستحكام الصادره والتي تصدر منها أو التي صدرت من قضاة الشيعه السابقين . والحقيقه أننا لا نعرف تفسيرا لهذا . الذي نعرفه أن قضاة الشيعة السابقين ومحكمة الأوقاف والمواريث الحاليه معتمدون من الدوله ويحكمون بمايخص الشيعة وفق مذهبهم . وأذا كانت بعض آرائهم الفقهيه لا توافق آراء فقهية أخرى فهم لم يخرجوا عن كونهم مسلمين لهم حقوقهم وشاعرهم وهم لا يختلفون عن بقية الفرق الأسلاميه في الأختلاف فيما بينها في الآراء الأجتهاديه والفقهيه . فطرح آرائهم جانبا وحمل الشيعي على الأخذ بخلاف مذهبه في وقفه وميراثه وأحواله الشخصيه . أكراه له على الأخذ بما لا يعتقد . ولا أكراه في الدين ثم ان الأصرار على نبذ صكوك الشيعه يضعنا في كماشه لا مخرج منها ويؤدي بالتالي الى مصادرة السالغ العائده الى أصحابها لتأميمها لتأميمها لتأميمها البلديه وأدارة الطرق وغيرهما بانتظار أن يتقدم أصحابها الى تلك الجهات بصكوك يقبلها كاتب العدل لأفراغ الأملاك والأوقاف التي انتزعت منذ سنتين بأمر أمراء . فكتاب العدل لا تقبل صكوكا والمحاكم لا تعترف بشرعية أوقافنا وهذه هي

رابعا - منعنا من الأستمرار في بناء النوادي الحسينيه - الحسينيات - مع أنها كانت قائمه قبل وبعد دخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - ومازال السماح بها قائما حتى عهد قريب . وهل الحسينيات الا دواة تعليم لتعاليم الأسلام وارشاد لأخلاق تعالمه وامر بالمعروف ونهي عن المنكر . ولم يعد ما يقال في سرا يمكن حمله على غير ما هو عليه .

رسالة الى وزير المالية الأسبق ، الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود مؤرخة في ١٠ / ٨ / ١٣٨٠ هـ ، يشرح فيها الوجهاء وجهات نظرهم في المسالة الطائفية ويطالبون بإلغاء سياسة التمييز الحكومية .

حضرة صاحب السمو الامير الاجل طلال العبد العزيز المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

عندما تشرفنا بمقابلة سموكم ضحى يوم الخميس ٩ الجاري في مقر سموكم الرسمي بوزارة المالية كانت تدفعنا لسموكم دوافع باعثها ما عرفه اهالي القطيف في سموكم من كرم الاخلاق وسمو النفس ونبيل العمل لكافة ابناء واجزاء هذه المملكة الزاهرة . وان سموكم وهو الحريص على حرمة وصيانة حقوق المواطنين وكرامتهم لا يرضى بالتفريق ايا كان نوعه اقليمياً أو عنصرياً او طائفياً .

فان ما نحسه بألم شديد هو تلك الروح الطائفية التي يعامل بها اهالي القطيف لكونها شيعة وحسب . وهم من فئة تدين بالولاء لآل الرسول وطائفة لها طرقها بين الطوائف الاسلامية لاترى نفسها خارجة عن روح الاسلام السمح ولا تقاليده او تعاليمه . واذا كان المسؤولون هنا او بعضهم يرون اننا لسنا مسلمين ـ وهذا ما لا نظنه قطعياً ـ لانهم يجدوننا نصلي ونصوم ونُزكي ونحج ونوحد الله تعالى ـ فلا أقل من ان يعاملوننا كأقلية مواطنه لها حقوق المواطنين وعليها ما على المواطنين الآخرين واننا لانرضى باعتبارنا اناساً خارجين عن حظيرة الاسلام والمسلمين اذ نملك من الادلة والبراهين القاطعة ما لا يدع مجالا حتى لمتعصبي الرأي .

من هذه الزاوية كنا وما زلنا نطلب من المسؤلين ـ ولا سيما مولانا صاحب الجلالة ـ اعتبارنا مع اخواننا السنة في صعيد واحد من المساواة في الحقوق .وحينما نطالب صاحب الجلالة فلأنه المسؤول عنا وراعينا ولأنه شجب في مناسبات عديدة التفريق بين ابناء شعبه .

وكانت آخر مطالبه لنا ـ اهالي القطيف ـ في اوائل جمادي الأول من هذا العام حيث تشرف وفد من البلاد بمقابلة جلالته واوضح له النقاط التي نشكومنهامن التفريق المشار اليه. والتى نرفق لسموكم ملخصاً

عنها . فأوعد جلالته خيراً . الا ان المدة قد شارفت اربعة شهور والموضوع كما هو في حد ذاته.

اننا كمجموعة مسلمة مواطنة تعيش تحت ظل صاحب الجلالة وفي القرن العشرين تمتهن برفض شهادة افرادها ـ اذا كانت الشهادة على رجل سني ـ كما تمنع من دخول كتبها التي لا علاقة لها بالسياسة ولا تضر بمركز الدولة او تخل بنظام الحكم . ويحظر على كل فرد مهما كانت كفاءته ان تسند له وظيفة كاتب عدل او مدرس او موظف باحدى المحاكم الشرعية . ولا تزود محكمتها الجعفريه بموظفين واثاث او مقر اوحتى مكافئة فضلاً عن مرتب شهري لقاضيها . لهذا رأينا ان نتشرف لسموكم راجين منه التوسط لدى المسؤولين في ازالة تلك الفوارق وازاحة تلك العقبات التي تولد في النفوس الألم والمرارة ولا يستفيد منها سوف الطامعون والانتهازيون والذين يسعون لشق الصف وفصم الوحدة والتماسك بين مختلف الطوائف الاسلامية كيما تنمو مطامعهم وهؤلاء هم كثيرون من مستعمرين ومنتهزين ونصابين وعملاء مأجورين .

يا صاحب السمو إننا ونحن نتقدم لسموكم حول موضوع قضى العلم ـ كما قضت التعاليم الإسلامية عليه في مهده ـ وهو التفرقة الطائفية ويؤسفنا كل الأسف أن نقدم مثله في هذا القرن العشرين عصر العلم عصر الصواريخ وغزو الفضاء ـ وكان بودنا ان نقدم ما يمكن عوده بالخير العميم علينا وعلى الآخرين . وان تتظافر الجهود ـ من مسؤولين ومواطنين ـ في النهوض بهذه المملكة في شتى الميادين العمرانية والانشائية والزراعيه والصناعية . كي تستطيع ان تقف على قدميها مرفوعة الرأس عالية الهامة بين الدول والشعوب الآخرى . في الوقت الذي تتزاحم فيه الأمم على سباق الرقي والحضارة ولكن ماذا نملك وما حيلتنا ونحن بعد لم يعترف بنا في ابسط الحقوق .

ياصاحب السمو . نرجو ان لا نكون قد ازعجنا سموكم وملكنا عليه شيئاً من وقته الثمين . كما نرجو ان يتسع صدر سموكم لقبول تلك الرساله . فسموكم وعد ولا شك بانه سيبر بوعده. هذا والله يتولى سموكم بعين رعايته وعنايته.

١٠ / ٨ / ١٣٨٠ هـ

رسالة الى ولي العهد فيصل ـ الملك فيما بعد ـ مؤرخة في شوال ١٣٨٢ هـ ،وقّعها كبار علماء الشيعة ووجهائهم تحوي مطالب متعددة .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو رئيس مجلس الوزراء وولي العهد المعظم
بعد تقديم عظيم التجلّة والإحترام

لقد سرّ جميع أبناء المنطقة الشرقية بقدوم سموكم في زيارته لها ووقوفه عن كثب على أحوالها ، وتجلّت الفرحة في هذا السرور العارم الذي شمل الكل وعمّ الجميع . وإن القطيف بجميع أهاليها على اختلاف مستوياتهم في مدنهم وقراهم هم دائماً وأبداً في طليعة تلك المجموعة التي تهتف بالولاء وتنمّ عن الإخلاص ، وتتسابق للتعبير عن الفرحة والإبتهاج لما يتبادر الى أذهانهم من أنهم يواجهون حاكماً تتجلّى فيه روح المفاهمة ومشاركة الأفراد فيما يشعرون به من ألم أو أمل ، ويدرس بنفسه قضاياهم ويتفهّم أمورهم ، إن على الصعيد الفردي أو على الصعيد العام .

وهذا ما حفّز فينا الرغبة بأن نتقدّم لسموكم معربين عن حاجة القطيف الى نظرة عطف شاملة ، يرعاها سموكم بعينه ، ويتعهدها ببصيرته ، كيما تكتمل الصورة المثالية التي هي هدف الجميع في كافة المناطق .. ونعني بها رفع مستوى البلاد في حقول التعليم والصحة وتكافؤ الفرص ونشر العمران بفتح الطرق وسفلتتها والنهوض بالنواحي الإجتماعية والتجارية والصناعية والزراعية بوضع خطة شاملة تنفذ على مراحل لجميع المرافق ، شبهاً بمشاريع السنين التي تتبعها الدول حديثة النهوض والتطور بحيث يتم التنفيذ وفقاً للخطة المرسومة .

صاحب السمو ، إنه من دواعي اعتزازنا أن كان لنا شرف المشاركة في إرساء دعائم هذه المملكة العامرة ، في أوقاتها العصيبة من الناحية المالية .. وشعور المشاركة عن تفان ومحبّة هو ما أكّد أواصر الولاء والتجاوب بيننا وبين حكومتنا الرشيدة منذ عهدها حتى الآن والى ما شاء الله .

وكنّا نتطلّع الى ذلك اليوم الذي تقف في المملكة على قدميها رافعة الرأس شامخة الجبين من حيث استقرارها من الناحية المالية ، حتى قيّض الله لها البترول ، فتفجّرت ينابيعه من أرض المنطقة الشرقية ، وبدأت الحكومة خططها الإصلاحية في جميع المجالات ، فصرنا نتابع تلك الخطط ونراقب سير الإصلاح ونطالب المسؤولين شمولنا به .

غير أنه لم تنل القطيف خلال سنينها الطويلة إلّا النزر اليسير جداً في الثلاث سنين الأخيرة من طريق البلدية وفي مشروع وزارة الزراعة وسفلتة طريق واحد فقط ، بل وانتقل منها ثقل الإدارات وسلب منها بعض ما كانت تتمتع به من الحقوق المشروعة لأي مواطن أو مواطنين ، وتحولت مطالبتنا من رجوات تحقيق الإصلاح الى رجاء الإعتراف بنا كجماعة مسلمة شيعة يظلّلها علم الدولة ، لهم ما لأخوانهم السنّة من الكرامة ، ويطلبون الإبقاء على وجودهم وكيانهم باحترام صكوكهم وأوقافهم وقضاتهم وقبول شهادتهم ودخول كتبهم ومساواتهم مع المسلمين الآخرين ، إذ الجميع سواسية أمام الله والحق والعدالة ، والوطن للجميع .

ومعرفة منا بحزم وحنكة سموكم وبصيرته في الأمور ومضاء عزمه واعتباره الكل سواء ، قدمنا هذا العرض لمقام سموكم راجين أن تنال البلاد على يد سموكم امنيتها وتحقيق ما تصبو اليه ، ونود ان نذكر بعض الأشياء الهامة التي تحتاجها البلاد فعلاً كدليل على حرمانها من المرافق العامة ، وكشيء لا يمكنها أن تنهض بدونه ، وأنتم ترغبون نهضتها وتباركونها وتسعون جادين لتحقيقها ، ومن ذلك :

أولاً : احترام مذهبنا الجعفري ـ لأنه مذهب اسلامي معترف به ـ والسماح لكتب الشيعة بالدخول .

ثانياً : منح القضاء الجعفري كامل الحقوق واعتبار صكوك قضاة الشيعة وإجراء التسجيل عليها ، إذ لا معنى لتخصيص قاض للشيعة ، في الوقت الذي ترفض صكوكه لدى كاتب العدل أو في المحاكم الشرعية حال حدوث النزاع بين المتخاصمين .

ثالثاً : قبول شهادة الشيعي على أخيه السنّي مثلما تقبل شهادة السنّي على الشيعي وإشراك أهالي القطيف في عموم الوظائف

والترشيحات وكتابة العدل والتدريس ، وقد رفعنا للمقامات السامية حول هذه النقاط بالذات ، وآخرها ما رفعناه لسموكم صورة الكتاب الموجه الى سمو أمير المنطقة الشرقية .

رابعاً : إيجاد مستشفى كامل مجهز يتناسب مع سعة البلاد وتكاثر سكانها ، وزيادة فتح مستوصفات بالقرى ، ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد الآن بالقطيف مستشفى ، إذ انهار المستشفى الصغير الذي كان موجوداً ونصح المهندسون بإزالته .

خامساً : فتح مدارس ثانوية ، فإن من الغريب حقاً ان تنتشر المدارس الإبتدائية في القطيف وقراها ولا تنال مدرسة واحدة تضم الأعداد التي تنهي الدورة للسادس الإبتدائي في مدارس القطيف .

سادساً : إصلاح ميناء القطيف إصلاحاً جذرياً وتمديد طوله الى عمق تصله السفن الكبيرة ، فإن الميناء كما يعلم سموكم هي شريان الحركة التجارية ، وقد كانت الجهات الرسمية تدرك كيف لعبت ميناء القطيف ولعب تجارها دوراً هاماً في نمو الحركة التجارية . وقد بدات فكرة إصلاح الميناء عند المسؤولين منذ عام ١٣٦٠ هـ ،إلّا أن التغاضي المستمر ينمّ عن نتيجة مقصودة أو لا مقصودة ، هي هجر ميناء القطيف والإستغناء عنه ..وهذه ناحية خطرة جداً تهدد مستقبل البلاد في حياتها المالية والإقتصادية ، لأن ميناء القطيف يستقبل البضائع التي يستوردها التجار ويصدر حاصلات البلاد من التمر والسلوق ونحوهما . وتعدد الموانيء أمر تأخذه الدول بعين الإعتبار ، ثم أن مركزية المرافق العامة يفقد التناسب بين المناطق ويوجد التفاوت البعيد . وإن البضائع تصل سالمة وتتعرض للتلف عند وصولها مرفأ السلام ، وإن أقسام مبنى الجمرك والمستودعات تعتبر منفصلة عن بعضها حين مدّ البحر .

سابعاً : تخصيص مبالغ تتفق وحاجة البلاد للمشاريع العامة لفتح الطرق العامة وإنشاء بعض المرافق ، وكنا قد رفعنا لسموكم عند صدور موازنة الدولة لعام ٨٢ ـ ٨٣ هـ بهذا الصدد .

ثامناً : فتح مراكز إطفاء في القرى الرئيسية ومدّ شبكة خطوط تلفون فيها .

تاسعاً : دفع التعويضات عن الأملاك التي قطعتها وزارة الزراعة في مشروع الصرف ، إذ أنها أضرّت بمن أخذ المشروع أملاكهم والبعض من أهل البلاد لا يملك إلّا ما أخذه المشروع .

عاشراً : إيجاد مكابس للتمور تضم معاصر للدبس . التي تذهب الآن بأبخس الأثمان ، وأهملت من جرائها حقول النخيل التي هي مورد الأهالي . والأرتباط مع بعض الدول لتصدير التمور اليها .

أحد عشر : فتح بنك تسليف زراعي ، وهذا ما تحتمه ضرورة الحياة التقدميّة التي تريد انعاش الريف وتطوير الزراعة وتحسين وسائل الإنتاج الزراعي .

إثنا عشر : ربط منطقة القطيف مع القرى بشبكة طرق معبدة ليسهل نقل الحاصلات الزراعية وتموين القرى واستعجال حالات الطوارىء كالولادة وأمثالها .

ثلاثة عشر : بناء سجن صحي حديث ، حيث أن السجن الحالي قديم متهدم متعفن لا يصلح حتى مربضاً للحيوانات .

هذه بعض المطالب الهامة التي تحتاجها البلاد عرضناها على سموكم راجين تحقيقها في أقرب فرصة ، فإن سموكم حريص على تفهّم وقبول حاجات أبناء شعبه ، مع الفات نظر مقام سموكم بأن من بين هذه المواد ما هو خاص نظره بسموكم وهو الذي يتعلّق بقضايا الشيعة ، وهي الثلاث المواد الأولى .. وحيث أن بقيتها يتعلق بجهات اختصاص اخرى التي هي الوزارات ، فنرجو التكرّم باعطاء التوصية لكل وزارة كي تقوم بما عليها .

وأخيراً يسرنا أن نعرب لسموكم عن رغبتنا في أن يتسع عفو سموكم لإطلاق أبنائكم المسجونين ـ السياسيين ـ ، فإنكم مازلتم بين الفينة والأخرى تتفضلون بالعفو عمّن أذنب وأجرم حتى من الناحية الاخلاقية والجنائية .

حفظ الله سموكم ورعاكم ورعانا بعهدكم الزاهر .

شوال ١٣٨٢ هـ

الموقعون : خادم الشريعة الإسلامية محمد صالح المبارك ، خادم الشرع

الشريف فرج العمران ، خادم الشرع حسين البريكي ، خادم الشرع الشريف أحمد الشيخ منصور آل سيف ، خادم الشرع الشريف محمد علي بن حسين الخنيزي ، حسن الجشي ، منصور نصر الله ، مبارك أبو السعود ، محمد سعيد الجشي ، حسن علي المرزوق ، عبد الله قطري ، وغيرهم .

رابعا : ايجاد مستشفى كامل مجهز يتناسب مع سعة البلاد وتكاثر سكانها . وزيادة فتح مستوصفات بالقرى . ومن الجدير بالذكر انه لا يوجد الآن بالقطيف مستشفى . اذ انهار المستشفى الصغير الذى كان موجودا ونصح المهندسون بازالته .

خامسا : فتح مدارس ثانوية . فانه من الغريب حقا ان تنتشر المدارس الابتدائية في القطيف في المواقع الخ وقراها ولا توجد الا مدرسة واحدة للسادس الابتدائى في مدارس القطيف .

سادسا : اصلاح ميناء القطيف اصلاحا جذريا وتعميقه طوله الى عمق تحمله السفن الكبيرة . فان الميناء كما يعلم جميع هي شريان الحركة التجارية . ولقد كانت الجهات الرسمية تدرك كيف كانت ميناء القطيف ولعبت تجاريا دورا هاما في نمو الحركة التجارية . ولقد بدأت فكرة اصلاح الميناء عند المسؤلين منذ عام ١٣٦٠هـ الا ان التقاضي المستمر بينهم من تعطيل وزارة الاشغال العامة هو الذي عطل مشروع الميناء القطيف والآستغناء عنه . وهذه ناحية خطرة جدا تهدد مستقبل البلاد في حياتها المالية والاقتصادية . لان ميناء القطيف يستقبل البضائع التي يستوردها التجار ويصدر حاصلات البلاد من التمر والسلوق ونحوهما . وتعدد الموانئ امر تأخذه الدول بعين الاعتبار . ثم ان مركزية العراق العامة يفقد التناسب بين المناطق ويوجد التفاوت البعيد . وان البضائع تصل سالمة وتتعرض للتلف عند وصولها مرفأ السلام . وان السلام يعني الجهتين والسعودية تعتبر منفصلة عن بعضها بين بعد البحر .

سابعا : تخصيص مبالغ تنفق وحاجة البلاد للمشاريع العامة لفتح الطرق العامة وانشاء بعض الموانئ . وكنا قد رصد لسموكم منذ صدور موازنة الدولة لعام ٨٦-٨٣ بهذا الصدد .

ثامنا : فتح مراكز أطباء في القرى الرئيسية وبعد شبكة خطوط تلفون فيها .

تاسعا . دفع التعويضات عن الاملاك التي قطعتها وزارة الزراعة في مشروع الصرف اذ انها اضرت بمن اخذ المشروع املاكهم والبعض من اهل البلاد لا يملك الا ما اخذه المشروع .

عاشرا . ايجاد مكاتب للتمور تضم محاصر للدبس التي تذهب الآن بابخس الاثمان واهملت من جرائها حقول النخيل التي هي مورد الاهالي . والارتباط مع بعض الدول لتصدير التمور اليها .

احد عشر . فتح بنك تسليف زراعي . وهذا ما تحتمه ضرورة الحياة التقدمية التي تريد انعاش الريف وتطوير الزراعة وتحسين وسائل الانتاج الزراعي .

ثلاثة عشر . ربط منطقة القطيف مع القرى بشبكة طرق معبدة ليسهل نقل الحاصلات الزراعية وتموين القرى واستعجال حالات الطوارئ كالولادة وامثالها .

اربعة عشر . بناء سجن صحي حديث . حيث ان السجن الحالي قديم شيد في شعاب لا يصلح حتى مربضا للحيوانات .

هذه بعض المطالب الهامة التي تحتاجها البلاد عرضناها على سموكم راجين تحقيقها في القرب فرصة فان سموكم حريص على تفهم وقبول حاجات ابناء شعبه . مع الثقة تمام سموكم بان من بين هذه البلاد ما هو خاص نظره بسموكم وهو الذي يتعلق بقضايا الشيعة . وهي الثلاث المواد الاولى . وحيث ان بقيتها يتعلق بجهات اختصاص اخرى التي هي الوزارات . لنرجو التكرم باعطاء التوصية لكل وزارة كي تقوم بما عليها .

واخيرا يسرنا ان نعرب لسموكم عن رغبتنا في ان يتسع علم سموكم لاطلاق ابنائكم المسجونين . فانكم ما زلتم بين اللينة والاخرى تتفضلون بالعفو عن اذنب واجرم حتى من الناحية الاخلاقية والجنائية . حفظ الله سموكم ورعاكم ورعانا بعهودكم السامية .

الزاهر : ١١١ / ١٠ / ١٣٨١هـ

خادم الشرع الشريف ... خادم الشرع ... خادم الشريعة الاسلامية ...

وفد القطيف ينتظر ولي العهد فيصل مدة تسعة ايام في الرياض لعرض قضاياهم عليه .

صاحب السمو رئيس مجلس الوزراء ولي العهد المعظم ـ الرياض

يتشرف وفد القطيف برفع تهانيه القلبية بعودة سموكم كما نرفع باننا منذ تسعة أيام بالرياض ننتظر العودة الساميه فان أهالي القطيف من العلماء والعمد والأعيان أبرقوا لسموكم برقم ٢٢٠ في ٧ / ١١ / ١٣٨٢ بإيفادنا لعرض وجهة نظرهم فيما يتعلق بقضايا الشيعة المذهبية منتظرين التفضل للتشرف بمقابلة سموكم لأجل ذلك رعاكم الله . فندق النصر الجديد.

شكلت لجنة لدراسة حاجات القطيف ، وشارك اهالي المدينة في صياغة المطالب ، صدر بعدها تقرير وزّع على الوزارات لمراعاة المنطقة طبقاً للأمر الملكي في ١٨ / ٦ / ١٣٩٨ هـ . الوثيقة رسالة من نائب وزير الداخلية الى امير الشرقية في ٢٨ / ٦ / ١٣٩٨ هـ . غير ان وقت الإصلاح قد فات ، فبعد اقل من سنة ونصف تفجرت الإنتفاضة ضد الحكم السعودي وتوابعه .

وزارة الداخلية
الإدارة العامّة للتفتيش

سرّي

صاحب السمو أمير المنطقة الشرقية الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نبعث لسموكم من طيه الأمر السامي الكريم رقم ١٤٧٤٠ تاريخ ١٨ / ٦ / ٩٨ هـ الصادر بالموافقة على توصيات اللجنة المشكّلة لدراسة ما تعانيه منطقة القطيف من التخلّف والتأخّر في جميع المجالات ، حيث زوّدت جميع الوزارات ذات العلاقة بنسخة منه مع نسخة من تقرير اللجنة للإهتمام واتخاذ ما يلزم فيما يخص كلّ منها .

نودّ الإطلاع على الموضوع والتأكيد على الجهة المختصة لديكم والجهات المعنية بما يخصها وإبلاغ الأشخاص المبرقين للمقام السامي من أهالي القطيف بما انتهى اليه الأمر .

ولسموكم تحياتنا ...

نائب وزير الداخلية
أحمد بن عبد العزيز

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية

الادارة العامة للمنطقة

/ سـري /

صاحب السمو امير المنطقه الشرقيه — الرقم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

نبعث لسموكم من طيه الامر السامي الكريم رقم ١٤٧٤٠ تاريخ ٦٨/٦/١٨هـ الصادر بالموافقه على توصيات اللجنه المشكله لدراسة ما تعانيه منطقة القطيف من التخلف والتأخر في جميع المجالات . حيث زودت جميع الوزارات ذات العلاقه بنسخة منه مع نسخة من تقرير اللجنه للاهتمام واتخاذ مايلزم فيما يخص كل منها .

نود الاطلاع على الموضوع والتأكيد على الجهه المختصه لديكم والجهات المعنيه بما يخصها وابلاغ الاشخاص المرفقين للمقام السامي من اهالي القطيف بما انتهى اليه الامر .

المراجيه ولسموكم تحياتنا ،،،

٦/٢٨

نائب وزير الداخلية

احمد بن عبد العزيز

بعد الإنتفاضة في محرم ١٤٠٠ هـ صدر امرٌ ملكي بربط بلدية القطيف بوزارة البلديات بشكل مباشر لإصلاح الوضع وامتصاص النقمة ، ثم عادت الامور الى ما كانت عليه . رسالة الى وزير البلديات مؤرخة في ٢٥ / ٥ / ١٤٠٩ هـ تطالبه باعطاء القطيف ما تستحقه من اهتمام خاص .

حضرة صاحب المعالي وزير الشئون البلدية والقروية المحترم
صورة مع الاحترام الى مقام رئيس مجلس الوزراء الموقر
صورة مع الاحترام الى صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد عرفنا في معاليكم الحرص التام والاسهام الكبير في مسيرة ونهوض هذا البلد العزيز ـ المملكة العربية السعودية ـ والوصول به الى أعلى مراتب التقدم والازدهار تحت قيادة وبرعاية خادم الحرمين الشريفين والدنا المحبوب ـ الملك فهد وولي عهده الامين ـ ولذلك رأينا لزاماً أن نرفع الى معاليكم حول بلدكم الحبيب القطيف لاعتقادنا أنه لا يمكن أن تكون عند معاليكم محل ازدراء وتغافل لأنها جزء من المملكة وتستظل بعلم دولة خادم الحرمين الشريفين ، الذي يحكم ولا يفرق بين منطقة واخرى أو جماعة وآخرين بل فرداً وآخر ، لانه وجميع من يعملون معه يسيرون بالعدل وينتهجون سبيل تحقيق المصلحة . ذلك لان الحكم يقوم على الاسلام الذي لا يظلم أحداً . حينما الحقت بلديات القطيف كلها بأمانة مدينة الدمام بعد أن استحدثت الامانة سكتنا عن المطالبة بفصلها لانها تستحسن في رأينا بلدية مستقلة من فئة أ ، لها كامل الصلاحية فضلاً عن أن تكون لها أمانة مستقلة اذ ليس ذلك عليها بكثير لاتساع رقعتها وتعدد البلديات فيها وكذلك مدنها وقراها بحيث قارب سكانها الاربعمائة الف نسمة غير أننا لم نستعجل الأمور بانتظار ما يسفر عنه ذلك الدمج فلعل فيه الخير الا أن ما أسفرت عنه الايام والنتائج كان مخيباً لآمالنا وعكس ما نتوقعه تماماً الامر الذي حز في نفوس الجميع ولا يرضى به المسؤولون الكرام فإن النتائج كانت :ـ

أولاً :ـ لقد حرمت القطيف من المشاريع التي تعود على البلاد وأهلها بالخير وتقوي حركة الاخذ والعطاء وتدفع النمو الاقتصادي بما يخفف من حالة الركود التي تشهدها المنطقة ويعين المواطنيين على رفع مستوى المعيشة

ثانياً :ـ لقد جرت محاولات وماتزال من قبل المسئولين في الأمانة بنقل المرافق الباقية في القطيف الى الدمام كالورش والكراجات وسوق بيع الاسماك بالجملة والمسلخ وهكذا . فكأن القطيف في نظر البعض لا تستحق الحياة الكريمة لتكون ذات نمو وحركة وازدهار وتقدم فبينما أهلها يرونها في ذات الاستحقاق الكبير لأنها الام ولأنها الاقدم والاحوج التي تحتاج الى تعويض عما فاتها

ثالثاً :ـ نتيجة لتلك التبعية فقد نزعت كافة الصلاحيات من بلديتها وأصبحت فروعاً صغيرة لا قيمة لها حتى بلديتها ـ بلدية منطقة القطيف ـ قلصت صلاحيتها الى ابعد الحدود وصار المواطن في القطيف يتعب من كثرة التعقيب على معاملاته ويضيع عليه كثير من الوقت والمال والتعب بما لا فائدة منه ولا محصلة منه سوى الخسران هذا نرجو من معاليكم كل الرجاء بإسم المصلحة العامة فصل القطيف عن الامانة واعطاء بلديتها الدرجة اللائقة بها مع منحها الصلاحية الكافية لتكون مرتبطة بالوزارة رأساً وإلحاق بلديات القطيف بها كالسابق

ليست مدينة رحيمة أو الجبيل أو ابقيق أو غيرها الاقل مساحة وسكانا واهمية أحق منها باستقلال البلدية . ولا شك أن معاليكم يقدر شعورنا ويحفظ لنا كرامتنا لحبكم الخير تحقيقاً الى رغبة خادم الحرمين الشريفين بما يدخل السرور على ابنائه . حفظكم الله والله الموفق

٢٥ / ٥ / ١٤٠٩ هـ

أهـالي القطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

حضره صاحب المعالي وزير الشئون البلدية والقروية — المحترم
صورة مع الاحترام الى مقام رئيس مجلس الوزراء — الموقر

صورة مع الاحترام الى صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية — المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد عرفنا في معاليكم الحرص التام والاسهام الكبير في سير ونهوض هذا البلد العزيز المملكة العربية السعودية - والوصول به الى أعلى مراتب التقدم والازدهار تحت قيادة ورعاية خادم الحرمين الشريفين والدنا المحبوب - الملك فهد وولي عهده الامين ولذلك رأينا لزاما أن نرفع الى معاليكم حول بلدكم الحبيب القطيف لاعتقادنا أنه لا يمكن أن تكون عند معاليكم محل ازدراء وتغافل لانها جزء من المملكة وتستظل بعلم دولة خادم الحرمين الشريفين ، الذي يحكم لا يفرق بين منطقة وأخرى أو حاضره وآخرين بل فردا وآخر ، لافة وجميع من يعملون معه يسيرون بالعدل وينتهجون سبيل تحقيق المصلحة . ذلك لان الحكم يقوم على الاسلام الذي لا يظلم أحدا . حينما الحقت بلديات القطيف كلها بامانة مدينة الدمام بعد أن استحدثت الامانة مكتبا عن المطالبة بفصلها لانها تستحق في رأينا بلديه مستقلة من فئة أ

لها كامل التقدير على أن تكون لها أمانه مستقله اذ ليبرر ذلك عليها بكثير لا تساع رقعتها وتعدد البلديات فيها وكذلك مدنيها وقراها بحيث تقارب مكاتبها الاربعمائه الى خمسمائة غير أنها لم تستحمل الامور بانتظار ما يسفر عنه ذلك الدمج فلعل فيه الخير الا أن ما أسفرت عنه الايام والسائل كان محبطا لآمالنا وعكس ما نتوقعه تماما الامر الذي حير في تفوير الحمس ولا يرضى به المسئولون الكرام فأن النتائج كانت :-

أولا :- لقد حرمت القطيف من المشاريع التي تعود على البلاد وأهلها بالخير وتقوى حركه الاخذ والعطاء وتدفع النمو الاقتصادي بما يخفف من حاله الركود التي تشهدها المنطقه وتعين المواطنين على رفع مستوى المعيشة .

ثانيا :- لقد حدرت محاولات وما تزال من قبل المسئولين في الامانة بنقل المرافق الباقية في القطيف الى الدمام كالمرور والكراجات وسوق بيع الاسماك بالحطة والملح وهكذا . فكأن القطيف في نظار البعض لا تستحق الحياه الكريمة لتكون دائما نمو وحركه وازدهار وتقدم فبينما أهلها يرونها من ذات الاستحقاق الكبير لانها الام ولانها الاقدم والاحوج التي تحتاج الى تعويض عما فاتها .

ثالثا :- نتيجة لذلك المنحى فقد تزعزعت كافه المشاريع من بلديتها وأصبحت فرعا صغيرة لا حيله لها حتى بلديتها - بلديه سابعه القطيف قلصت صلاحيتها الى ابعد الحدود وصار المواطن في القطيف يتعب من كثرة التعقيب على معاملاته وضياع علية كثير من الوقت والمال والتعب بما لا فائده منه ولا محصله منه سوى الحسران

نايف وزير الداخلية ينفي أن يكون هناك أي اضطهاد للشيعة ، ويدعي أن حقوق المواطنة متساوية

بالتعاون مع السياسة الكويتية .. تنشر هذا الحديث للأمير نايف :

الشيعة في المملكة ولاؤهم للوطن وليس للمذهب

الدين أعلى وأعمق من الحزبية

إيران ليست مركز القضية .. وإنما هي إحدى القضايا

نريد تطبيقا أفضل للأمن بين دول مجلس التعاون

نمد يدنا للشعب الإيراني ونريد علاقات طيبة

العبث سيقابل عندنا بما يجب ..

الهند .. كم هي اليوم حديثة متطورة بتطور الزمن وكم هي قديمة قدم تاريخها ..

مكتب مكرم العنبر السياحي

● سمو الامير ·· هنـاك من يراهن على ان الشيعـة من مواطني المملكة وكانهم اداة لعمـل شيء ما مستقبـلا ·· ينطلق هؤلاء من انهم لا ينالون حقوقهم كاملة ؟

الوطن للجميع

ـ المواطنة هنا لا تحدد المذهب ·· ولكنها تحدد الديـن · والجـوازات الصادرة عندنا تحدد الديـن وهـو الاسلام ·

والشيعة لهم طقوس يختلف معها المذهب السني · ولا مجـال لاصرح بالتفاصيل فالوقت قد يحل ما اختلف عليه هؤلاء وهو خلاف عمره اكثر من الف عام لانـه خلاف حوى اسس الغالبية من السنة ·· الغالبية من السنة لها راى حوله ·· القول بان هناك اضطهاد ! كلام يبثه راديو ايران والذين [illegible] نة · فمشاريع الخدمات بـ [illegible] طـق الشيعـة نفس مشاريع الخدمات في منطقة الرياض ومناطق المملكة الاخرى ·· الذيـن اعتدوا على الحرم الشريف ليسـوا شيعة ، لكنهم عندما جاءوا بغير ما امر الله به اخذوا جزاءهم وبشدة ·· ولا تفرقة هنا بين مواطن واخر إلا من خلال تجاوزه عن اصول دينه او خيانـة وطنه ·· والشيعة هنا ولاؤهم للوطن وليس للمذهب ·· وعندما تتحـول هذه المشاعر الى غير هذه الحقيقة فان الوضع يختلف · فالوطن للجميع ،

ولا نقبل خيانة الوطن ·· والذيـن يراهنون على اشياء صعبة ، فانهم لن يكسبوا الجولة · نحن كساسة نعتمد المواطنة وحقوقها متساوية لدينا ··

يبقى خلاف له اكثر من الف سنة بين مذاهب نحن لا نقررها ولكن اهل العلم المعنيين بذلك اذا كان مطلوب مراعاة ما عليه اهل المذهب الشيعي ·· ومثل انه من المهم اخذ ما عليه اهل السنة ورتبهم تجد هذا ·· المذهب يجسد الصراع المذهبي · اعـداء الاسـلام والوطن · نحن يهمنا شيئا اساسيا هو الولاء للدين والوطن · وراديو ايران يحاول ان ينصب نفسه مكان المساوم على المذهب دون ان يضع اعتبـار مشاعر المواطنة لدى مواطنـي هذه المنطقة خصوصا عندما ينفتح بقضايا وهمية لجهة حقوق مهضومة كالتي يتحدث عنها في المجتمع البحريني · والغاية منهـا في النهايـة مكاسـب سياسية لصالح دولة غير عربيـة · المراهنة على مثل هذا مراهنة خاسرة ·

انتهى الحديث بعد ان زف وقت صلاة الظهر ، وتركت سمو الامـير ليمارس واجبات دينه قبل ان يعود مرة اخرى لعشرات الملفات ومئات القضايا العامة والفردية ·

أمير الشرقية يقول : القول بأن المنطقة (الشرقية) مغبونة ، كلام يردده الاعلام الذي يريد السوء لمنطقتنا !!

في حوار شامل وصريح دام ثلاث ساعات مع صمو أمير المنطقة الشرقية

تعاون المنطقة ربط مطاراتها أهم البنود أمام لقاء القمة الخليجي المقبل

تعاون العسكري الذي تعيشه دول

منطقة هو البدايات الحقيقية لدفاع

مشترك وقد وصل الى حد مريح للنفس

الخارجي فيما نقصد لنا.. وقال جهات بهدفها أن لا تهدأ الأحوال عندنا

دل في شؤون أحد.. وما يربط السعودية بالبحرين.. هي روابط سابقة لمد البصر

السياسة / صالح عباس

نعم لدينا القدرة على فتح باب

المنطقة الشرقية فتح الحجاز

أخفق في اسباب تأخر اي معاملة وتحاول تجاوز الروتين وانجاز المعاملات بالسرعة المطلوبة

ما يجري في الشرق الأوسط سيناريو.. والاسرائيل اثبتت انها لا تريد السلام

لقد مارست العدل مؤخرا ولم أجد شيئا مما يتحدثون عنه بالصيغة الدالة فيها

لا نستطيع القول ان المنطقة مغبونة

□ **سمو الامير.. هناك من يتحدث عن غبن ظاهر لهذه المنطقة، فهل قدومكم لها وبتكليف من صاحب الجلالة جاء لازالة هذا الغبن؟.**

ـ المنطقة الشرقية منطقة شاسعة كما هي مدن المملكة الاخرى والخدمات المعمولة فيها قد لا تظهر بشكل واضح، انا بعد ان تسلمت مهام عملي قمت بزيارات ميدانية لمواقع الخدمات العامة لم تكن هذه المواقع ظاهرة بالنسبة لي قبل الزيارات الميدانية لقد وجدت ان مستوى ادائها جيد مثلا ميناء الدمام، جامعة الملك فيصل، مشاريع الطرق لنترك المشاريع الصناعية الضخمة فتلك مشاريع منتجة لها وضع آخر لقد عايشت مشاريع الخدمات في الفترة القصيرة منذ توليت مهام عملي لقد عايشتها. نعم لا اقول انها وصلت درجة الكمال لكنها لم تصل درجة القول بأن المنطقة مغبونة، هذا كلام يردده الاعلام الذي كان يريد السوء لمنطقتنا، نعم هناك الاعلام الذي كان يريد السوء لمنطقتنا، نعم هناك الكثير الذي يجب ان يعد هنا والكثير لا يحتاج لاكثر من ترتيب اولويات لقد وجدت من المناسب ان يكون لي لقاء اسبوعي نجتمع فيه مع فعاليات المنطقة الشرقية الاقتصادية والاجتماعية والشباب نجتمع مع هؤلاء ونجمعهم برجال الجهاز الرسمي نطرح مشاكلنا بشكل جماعي نتحدث عنها بمكاشفة سريعة ما نرى الاسراع في انجازه يجري العمل به وما نعتقد انه ليس من الاولويات يجري ترتيب امره وفق ميزانيات قادمة.

جريدة الجزيرة ـ العدد (٤٧٧٢) ـ ٨ /٢/ ١٤٠٦هـ

نموذج من الفتاوى التي تكفر الشيعة ولا تعترف بإسلامهم .

عليك باتباع أحد المذاهب الأربعة

السؤال : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الأمامية ولا الشيعة الزيدية فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلاً ؟

والجواب : على المسلم أن يتبع ماجاء عن اللهورسوله إذا كان يستطيع أخذ الأحكام بنفسه وإذا كان لايستطيع ذلك سأل أهل العلم فيما اشكل عليه من أمر دينه ويتحرى أعلم من يتحصل عليه من أهل العلم ليسأله مشافهة أو كتابة .

ولايجوز للمسلم أن يقلد مذهب الشيعة الأمامية ولا الشيعة الزيدية ولا أشباههم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم . وأما إنتسابه الى بعض المذاهب المشهورة فلا حرج فيه إذا لم يتعصب للمذهب الذي إنتسب إليه ولم يخالف الدليل من أجله .

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم

جريدة يومية تصدر عن دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر بالدمام

الجمعة ٢٥ محرم ١٤٠٨هـ ١٨ سبتمبر ١٩٨٧م العدد ٥٢٠٨

ركن الإفتاء

اجاب على هذه الفتاوى
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

الحمدلله و الصلاة والسلام على من لانبي بعده و اله وصحبه وبعد :

عليك باتباع احد المذاهب الاربعة

السؤال : ان بعض الناس يرى انه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح ان يقلد احد المذاهب الاربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية فهل توافقون فضيلتكم على هذا الراي على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلا ؟

والجواب : على المسلم ان يتبع ماجاء عن الله ورسوله اذا كان يستطيع اخذ الاحكام بنفسه واذا كان لايستطيع ذلك سأل اهل العلم فيما اشكل عليه من امر دينه ويتحرى اعلم من يتحصل عليه من اهل العلم ليسأله مشافهة او كتابة .

ولايجوز للمسلم ان يقلد مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ولااشباههم من اهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم واما انتسابه الى بعض المذاهب الاربعة المشهورة فلاحرج فيه اذا لم يتعصب للمذهب الذي انتسب اليه ولم يخالف الدليل من اجله .

نشرت هذه الفتوى في جريدة اليوم قبل يوم من لقاء وجهاء شيعة الأحساء والقطيف مع الملك في ١٤٠٨/١/٢٦هـ .

الجنود وجرافاتهم يهدمون مسجد الشيعة في منطقة « بورشيد » بالدمام
والصور الست تسجل مراحل الهدم

(٣)

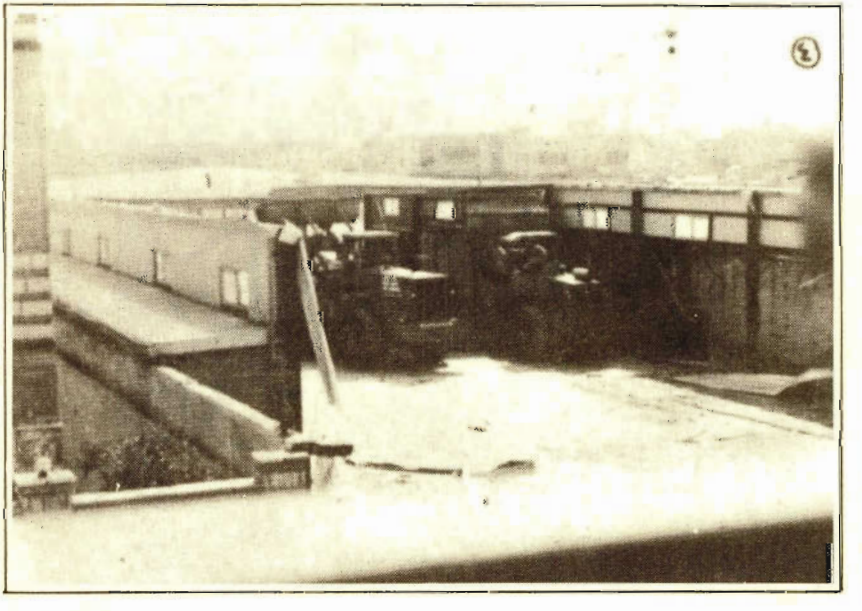
(٤)

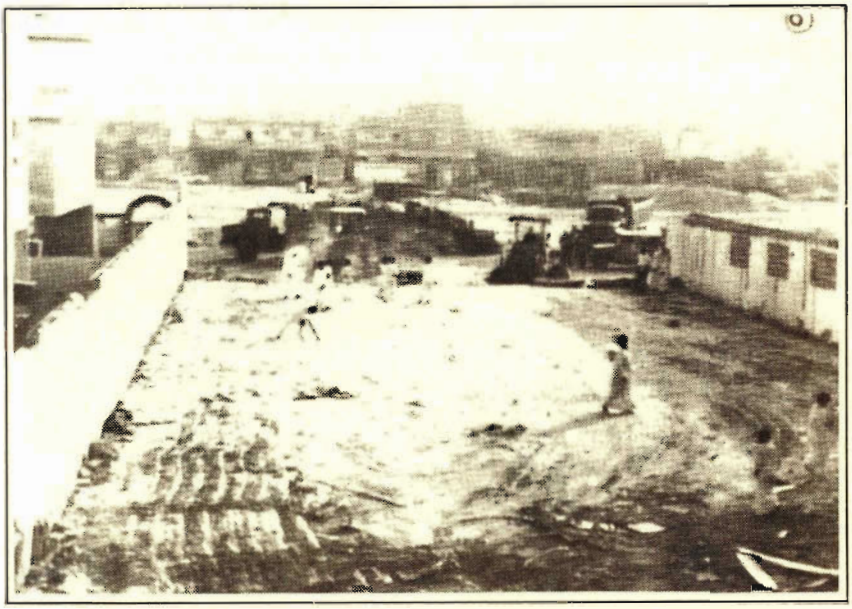
٥

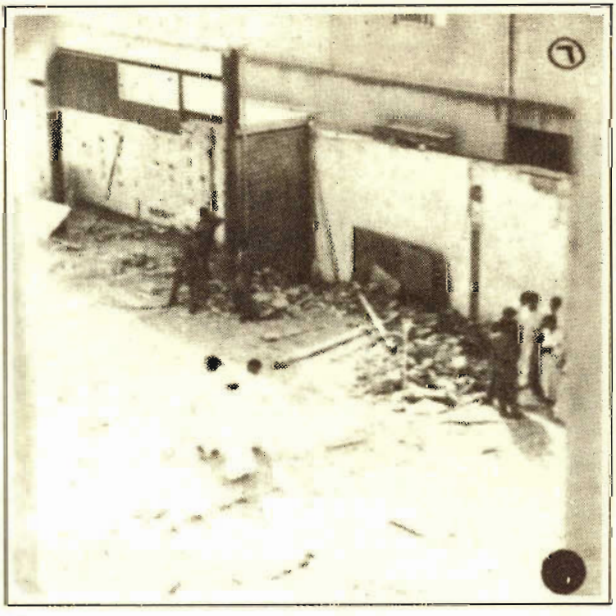
٦

وولي العهد ، الأمير عبد الله ينكر ذلك في لقائه مع جريدة السياسة الكويتية ، ويقول : « لك أن تذهب الى هناك وتتأكد . . . ! »

السياسة
ثلاثاء ٢٢/٣/١٩٨٣

سمو الامير : وانت تتحدث عن العدالة الاجتماعية ، هناك من قال ان اضطرابات قد حدثت في المنطقة الشرقية سببها هدم مسجد للشيعة هناك ؟

ج : هذا لم يحدث ! ولك ان تذهب الى هناك وتتاكد . ان هذه الشائعات تدخل في جو تلك الحرب النفسية التي اعتادت عليها المملكة العربية السعودية . الشيعة كمواطنين سعوديين يحق لهم ان يتمتعوا بالعدالة الاجتماعية التي يتمتع بها الجميع .

من مقابلة ولي العهد التي انكر فيها الجريمة

السبت ١٢ جمادى الاولى ١٤٠٣هـ - ٢٦ فبراير ١٩٨٣م

أسبوع العناية بالمساجد يبدأ اليوم

الرياض

وفي العهد السعودي الزاهر يلاقي المسجد كل اهتمام ورعاية وعناية ، ومن تلك الارقام التي رصدت لاقامة المساجد لا تجسيدا لهذه العناية والتي تقوم بها وزارة الحج والاوقاف ، ولهذا وبناء على رغبة المسؤولين في مشاركة الجميع في العناية بهذا المكان المقدس خرج الاسبوع السنوي للعناية بشؤون المساجد وذلك منذ ست سنوات

وثيقة بريطانية تتحدث عن مقتل زعيم الشيعة عبدالحسين بن جمعة ،
وتاريخها ٨/ ٨/ ١٩١٤ م

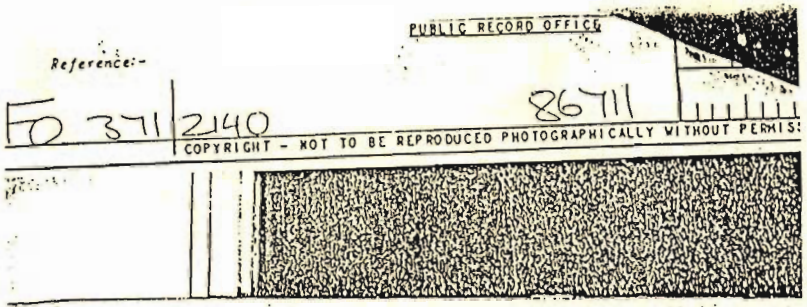
PUBLIC RECORD OFFICE
Reference:-
FO 371/2140
86711
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMIS

55472
CONFIDENTIAL OCT 1914
INDIA. FOREIGN SECRETARY'S
No 36 M. dated
3 1914

No. CI.-97, dated Bushire, the 8th (received 18th) August 1914.

From—MAJOR S. G. KNOX, C.I.E., Officiating Political Resident in the Persian Gulf,

To—The Foreign Secretary to the Government of India, Foreign and Political Department, Simla.

I have the honour to state that reports received from the Political Agent, Bahrain, writing under date the 25th July, mention that Bin Saud has paid to Saiyid Talib at Basrah through Abdul Latif Mendil a sum of Rs. 20,000. This is in addition to a sum of Rs. 40,000 given to Saiyid Talib in Kuwait.

Presumably these sums were paid for Saiyid Talib's assistance in the negotiations with the Turks.

The execution of the Qatif merchant, Abdul Hussain bin Juma, has already been reported in my summary for the month of July. Dr. Harrison who has only just returned from Al Qatif confirms the account that Abdul Hussain's letters to the Turkish authorities were sent to Bin Saud by Said Talib.

It is perhaps needless to say that Dr. Harrison's visit to Al Qatif was in no way encouraged by the Political Agent, Bahrain, who does not appear to have been consulted. Dr. Harrison, according to his own account, was very well received. He is enthusiastic about the improvements already effected in Qatif by the Amir's officials. Several old springs have been reopened and cultivation has increased. To a letter however in which Dr. Harrison sought permission to travel in Najd, no reply has been received from Bin Saud.

المراجع

أولاً :المراجع العربية

١ ـ عبد العلي السيف ـ القطيف واضواء على شعرها المعاصر ـ ط ١٤٠٦هـ

٢ ـ عبد الفتاح ابو عليّة ـ الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ـ الرياض ١٩٨٦ .

٣ ـ محمد سعيد المسلم ـ ساحل الذهب الأسود، ط ٣ ، بيروت .

٤ ـ عبد الله حسن منصورآل عبد المحسن ـ الألعاب الشعبية في القطيف ـ مطابع الصناعات المساندة ـ الجبيل ١٤٠٦هـ .

٥ ـ حافظ وهبة ـ جزيرة العرب في القرن العشرين .

٦ ـ روبرت لاسي ـ المملكة ـ ترجمة دهام عطاونة .

٧ ـ احمد عسّة ـ معجزة فوق الرمال ـ ط ٣ ١٩٧١ .

٨ ـ بنوا ميشان ـ فيصل ـ ترجمة رمضان لاوند .

٩ ـ ايمن الياسيني ـ الدين والدولة في المملكة العربية السعودية ـ (ط١ لندن ١٩٨٧) .

١٠ ـ د. عبد الله ناصر السبيعي ـ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ـ (ط ١ ١٩٧٨) .

١١ ـ قدري قلعجي ـ موعد مع الشجاعة .. قبس من حياة الملك عبد العزيز .

١٢ ـ صلاح الدين المختار ـ تاريخ المملكة العربية السعودية ـ (جزءان) .

١٣ ـ العميد محمد ابراهيم رحمو ـ اضواء على الإستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه ـ (ط ١ الرياض ١٩٨١) .

١٤ ـ محمد اسد ـ الطريق الى مكة .

١٥ ـ عبدالله علي الخنيزي ـ ذكرى الزعيم الخنيزي ـ المطبعة العلمية في

النجف ١٣٧٣هـ .
١٦ ـ محمد المانع ـ توحيد المملكة العربية السعودية ـ (ط ١ ١٤٠٤هـ) .
١٧ ـ امين الريحاني ـ ملوك العرب ـ (جزءان) .
١٨ ـ امين الريحاني ـ تاريخ نجد والحجاز وملحقاته .
١٩ ـ هـ . ر . ب . ديكسون ـ الكويت وجاراتها .
٢٠ ـ احمد عبد الغفور العطار ـ صقر الجزيرة .
٢١ ـ رحلة ابن جبير ـ طبعة القاهرة .
٢٢ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ـ دار الكتاب اللبناني .
٢٤ ـ لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ تحقيق احمد مصطفى ابو حاكمة ، بيروت ١٩٦٧ .
٢٥ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ الدولة السعودية الأولى .
٢٦ ـ جعفر الخليلي ـ موسوعة العتبات المقدسة ـ مؤسسة الأعلمي ١٩٨٧ .
٢٧ ـ ابراهيم سليمان الجبهان ـ تبديد الظلام وتنبيه النيام الى خطر الشيعة والتشيع على الاسلام ـط ٣ ، ١٤٠٨هـ .
٢٨ ـ محمد كامل حتة ـ في ظلال الحرمين .
٢٩ ـ محمد عبد الجواد محمد ـ التطور التشريعي في المملكة العربية السعودية ـ (طبعة القاهرة) .
٣٠ ـ سليمان فيضي ـ في غمرة النضال .
٣١ ـ الشيخ فرج العمران ـ الازهار الأرجية في الآثار الفرجية (١٥جزء).
٣٢ ـ الشيخ على البلادي ـ انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين ـ مطبعة النعمان ـ النجف ١٣٧٧هـ .
٣٤ ـ محمد العوامي ـ ثائر من اجل الدين .. ملامح من حياة العلّامة المجاهد محمد بن ناصر النمر ـ (١٤٠٧هـ) .
٣٥ ـ السيد محسن الأمين ـ اعيان الشيعة ـ (١٠ أجزاء).
٣٦ ـ عبد الله الخنيزي ـ نسيم وزوبعة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٧هـ .
٣٧ ـ السيد محمد حسن الشخص ـ ذكرى حجة الاسلام الإمام السيد ماجد العوامي ـ (النجف الاشرف ١٣٦٩هـ) .
٣٨ ـ محمد منصور المرهون ـ ذكرى النور في حياة العلّامة الشيخ منصور ـ مطبة الآداب ـ النجف .
٣٩ ـ آغا بزرك الطهراني ـ الذريعة في تصانيف الشيعة ـ (٢٦ جزء) .
٤٠ ـ الشيخ على المرهون ـ شعراء القطيف من الماضين والمعاصرين

(جزءان) ـ مطبعة النجف ١٣٨٥هـ .
٤١ ـ د . محمد سعيد رمضان البوطي ـ السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي ـ ١٩٨٨ .
٤٢ ـ عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ ـ مشاهير علماء نجد ـ (ط ١ ١٩٧٢) .
٤٣ ـ الشيخ سعيد ابو المكارم ـ اعلام العوّامية ـ (النجف ١٣٨١هـ) .
٤٤ ـ د. عبد الفتاح ابو علية ـ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ـ (الرياض ١٩٨٦) .
٤٥ ـ د. جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربي .. دراسة لتاريخ الامارات العربية « ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ » .
٤٦ ـ ناصر الفرج ـ قيام العرش السعودي .. دراسة تاريخية للعلاقات السعودية / البريطانية ـ (لندن ١٩٨٨) .
٤٧ ـ د. فؤاد سعيد العابد ـ سياسة بريطانيا في الخليج العربي « ١٨٥٣ ـ ١٩١٤ » ـ (الكويت ١٤٠٤هـ) .
٤٨ ـ جي . بي . كيلي ـ الحدود الشرقية للجزيرة العربية ـ تعريب خيري حماد .
٤٩ ـ اليكسي فاسيليف ـ فصول من تاريخ العربية السعودية ـ (لندن ١٩٨٨) .
٥٠ ـ د. محمد عرابي نخلة ـ تاريخ الاحساء السياسي ـ (الكويت ١٩٨٠) .
٥١ ـ د. عبد الفتاح ابو علية ـ الدولة السعودية الثانية« ١٢٥٦ ـ١٣٠٩هـ » .
٥٢ ـ عبد العزيز سليمان نوار ـ تاريخ العراق الحديث ـ (القاهرة ١٩٦٨) .
٥٣ ـ محمد عبد الله آل عبد القادر ـ تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ـ (ط ٢ ١٩٨٢) .
٥٤ ـ د. فتوح الخترش ،و د. عبد العزيز محمد منصور ـ مصادر تاريخ قطر ـ (دار ذات السلاسل : الكويت ١٩٨٤) .
٥٥ ـ خير الدين الزركلي ـ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ـ (ط ٣ بيروت) .
٥٦ ـ فهد القحطاني ـ صراع الاجنحة في العائلة السعودية المالكة ـ (ط١ لندن) ـ ١٩٨٦ م .

٥٧ ـ عبد الله احمد شباط ـ صفحات من تاريخ الاحساء ـ (١٩٨٩) .
٥٨ ـ حمد الجاسر ـ المعجم الجغرافي المنطقة الشرقية (٣ مجلدات) .
٥٩ ـ د. صلاح العقاد ـ التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية .
٦٠ ـ د. عبد الله الحامد العلي الحامد ـ الشعر في الجزيرة العربية .. نجد والاحساء والبحرين خلال قرنين « ١١٥٠ ـ ١٣٥٠ » ـ ١٩٨٦ .
٦١ ـ يوسف كمال حتاتة ـ مذكرات مدحت باشا .
٦٢ ـ احمد مصطفى ابو حاكمة ـ تاريخ الكويت الحديث .
٦٤ ـ عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت ـ (ط ١ ١٩٧١) .
٦٥ ـ حسين خلف الشيخ خزعل ـ تاريخ الكويت السياسي .
٦٧ ـ د. عبد الفتاح محمد الحلو ـ شعراء هجر من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر ـ (دار العلوم ١٩٨١) .
٦٨ ـ عبد العزيز محمد منصور ـ التطور السياسي لقطر « ١٨٦٨ ـ ١٩١٦ » ـ ط٢ .
٦٩ ـ ج.ج.لوريمر ـ دليل الخليج .
٧٠ ـ د. عبد الله ناصر السبيعي ـ اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية (١٣٥٢ ـ١٣٨٠هـ) (١٩٣٣ ـ ١٩٦٠) ـ ط١ ١٩٨٧ .
٧١ ـ د. عبد الفتاح ابو علية ـ مصادر تاريخ البلاد السعودية ـ (الرياض ١٩٧٩) .
٧٢ ـ آن بلنت ـ رحلة الى بلاد نجد ـ ترجمة محمد انعم غالب ـ (ط١ ١٩٦٧ الرياض) .
٧٣ ـ ديوان الامام احمد بن علي بن مشرف ـ اعتنى بطبعه عبد الله بن ابراهيم الانصاري ـ المكتبة العصرية : لبنان .
٧٤ ـ د. رافت غنيمي الشيخ ـ العرب .. دراسات في التاريخ المعاصر .
٧٥ ـ محمد جلال كشك ـ السعوديون والحل الاسلامي .
٧٦ ـ فؤاد حمزة ـ قلب جزيرة العرب .
٧٧ ـ بدر الدين الخصوصي ـ معركة الجهراء ـ (منشورات دار السلاسل : الكويت) .
٧٨ ـ د. مصطفى عبد القادر النجار ـ دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر .
٧٩ ـ فؤاد حمزة ـ البلاد العربية السعودية .
٨٠ ـ ناصر السعيد ـ تاريخ آل سعود ـ من منشورات اتحاد شعب

الجزيرة .
٨١ ـ فهد القحطاني ـ شيوعيون في السعودية ـ (دار الصفا للنشر : لندن ١٩٨٨) .
٨٢ ـ د. عبد الله السبيعي ـ اكتشاف النفط واثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية .
٨٣ ـ محمد رشيد الفيل ـ الجغرافية السياسية للكويت .
٨٤ ـ ابراهيم عبد الرحمن خميس ـ أسود آل سعود .
٨٥ ـ مايكل فيلد ـ التجار ـ ترجمة دهام عطاونة ، لندن ١٩٨٥.
٨٦ ـ بنواميشان ـ ابن سعود ـ ترجمة رمضان لاوند .
٨٧ ـ موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود ـ الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت « ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ » ـ (ط١ : جدة ١٩٨٢) .
٨٨ ـ ابراهيم رفعت باشا ـ مرآة الحرمين .
٨٩ ـ سيد عبد المجيد بكر ـ الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ـ ط١ ١٤٠١هـ .
٩٠ ـ عمر رضا كحالة ـ جغرافية شبه الجزيرة العربية .
٩١ ـ رسائل جهيمان السبع .
٩٢ ـ محمد احمد الوريثي ـ سكان المملكة العربية السعودية ـ (ط٢ الرياض ١٩٧٩) .
٩٣ ـ بدر الدين عباس الخصوصي ـ دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي الحديث ـ (الطبعة الثانية : الكويت) .
٩٤ ـ عبد الكريم غرايبة ـ قيام الدولة السعودية .
٩٥ ـ حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل ـ كنز الأنساب ومجمع الآداب ـ ط١٠ .
٩٦ ـ عبد الرحمن بن عبد الكريم المدني ـ تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من انساب .
٩٧ ـ د. محمد الرميحي ـ البحرين/ التغيير السياسي والاجتماعي ـ دار ابن خلدون ـ ط ١ـ ١٩٧٦م .
٩٨ ـ ديوان ابن المقرب العيوني ـ تحقيق عبد الفتاح الحلو .
٩٩ ـ يوسف محمد الصميط ـ الخليج العربي/ دراسة في اصول السكان ـ (القاهرة ١٩٧٠) .
١٠٠ ـ فهد القحطاني ـ زلزال جهيمان في مكة ـ منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية ـ ١٩٨٧ م .

١٠١ ـ انتفاضة المنطقة الشرقية ـ من منشورات منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية .
١٠٢ ـ روبن رايت ـ الغضب المقدس ـ (مترجم) .
١٠٣ ـ خالد سليمان العدساني ـ عدسانيات ـ (دار ذات السلاسل :الكويت ، الطبعة الاولى ١٩٧٨) .
١٠٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ الادلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الارض وامكان الصعود الى الكواكب ـ مطبوعات الجامعة الاسلامية رقم ١٦ ، ١٣٩٥هـ .
١٠٥ ـ وليد الطويرقي وآخرون ـ العلمانية في العراء .. القصيبي شاعر الامس وواعظ اليوم ـ أميركا ١٩٩١ م .
١٠٦ ـ السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ ـ دراسة في العلاقات الدولية . الدكتور غسان سلامة ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ١٩٨٠ .
١٠٧ ـ إكتشاف جزيرة العرب ـ خمسة قرون من المغامرة والعلم ، جاكلين بيرين ، ترجمة قدري قلعجي ، تقديم حمد الجاسر ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٠٨ ـ من حياة الملك عبد العزيز ، عبد العزيز الإحيدب ، ط ١ الرياض .
١٠٩ ـ صور من حياة عبد العزيز ، طلال بن عبد العزيز ، ط ٢ الرياض ١٩٨٣ .
١١٠ ـ شبه جزيرة العرب (عسير) ، محمود شاكر ، ط ٢ ، دمشق ١٩٨٢ .
١١١ ـ المدن الحجازية ، د . عمر الفاروق السيد رجب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .
١١٢ ـ الأهل والغنيمة ـ مقومات السياسة في المملكة العربية السعودية ، وضاح شرارة ، ط ١ بيروت ١٩٨١ .
١١٣ ـ كشف الإرتياب ، السيد محسن الأمين ، دار الكتاب الإسلامي .
١١٤ ـ من شيم الملك عبد العزيز ، فهد المبارك ، ثلاثة أجزاء ، ط ١ ١٩٧٨ بيروت .
١١٥ ـ محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، د . عبد الفتاح أبو علية ، الرياض ١٩٨٣ .
١١٦ ـ مع عاهل الجزيرة العربية ، عباس محمود العقاد ، بيروت ، المكتبة العصرية .
١١٧ ـ دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، الدكتور بدر الدين عباس الخصوصي ، جزءان ، ط ٢ ١٩٨٤ .

١١٨ ـ محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ط ١ ، ١٩٨١ .
١١٩ ـ الثورة العربية الكبرى ، العماد مصطفى طلاس ، دمشق ١٩٧٩ .
١٢٠ ـ أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ، محمد علي مغربي ، ط ١ ١٩٨١ .
١٢١ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز ، عبد الله بن محمد بن خميس ، ط ٣ ١٩٨٣ .
١٢٢ ـ معجم اليمامة ، جزءان ، عبد الله بن محمد خميس ، ط ١ ١٩٧٨ .
١٢٣ ـ السياسة الخارجية السعودية ، د . عبد الله سعود القباع ، ط ١ ١٩٨٦ .
١٢٤ ـ البناء القبلي والتحضّر في المملكة العربية السعودية ، سعود فالح الغامدي ، جدة ١٩٨١ .
١٢٥ ـ المدينة المنورة ، التركيب الوظيفي .. النمو والمتغيرات ، د . عمر الفاروق سيد رجب ، القاهرة ١٩٧٧ .
١٢٦ ـ تاريخ الأقطار العربية المعاصر ، جزءان ، مجموعة مؤلفين ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٥ .
١٢٧ ـ التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، محمد حسن العيدروس ، الكويت ١٩٨٣ .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1 – SAUDIA ARABIA IN THE OIL ERA, REGIME AND ELITES; CONFLICT AND COLLABORATION, BY MORDECHI ABIR, WESTVIEW PREES, BOULDER, COLORADO SAUDIA ARABIA MODERNIZATION .

2 – SHI'ISM AND SOCIAL PROTEST, EDITED BY JUAN R.I. COLE & NIKKI R. KEDDIE YALE UNIVERSITY PRESS, U.S.A, 1986, CHAPTER 9(THE SHI'I MINORITY IN SAUDI ARABIA,) BY JACOB GODBERG .

3 – SAUDI ARABIA, IT'S PEOPLE, IT'S SOCIETY, IT'S CULTURE. BY GEORGE A. LIPSKY, HARF PREES , U.S.A 1959 .

4 – SAUDI ARABIA MODERNIZATION, THE IMPACT OF CHANGE ON STABILITY. BY JOHN A. SHAW & DAVID E. LONG, THE CENTER FOR STRATIGIC AND INTERNATIONAL STUDIES, GEORGE TOWN UNIVERSITY WASHINGTON D.C, 1988 .

5 – SAUDI ARABIA'S SEARCH FOR SECURITY, ADEED DAWISHA, THE INTERNATIONAL INSTITUTE FOR STRATEGIC STUDIES, 1979 –1980 .

6 – SACRED RAGE, THE WRATH OF MILITANT ISLAM BY ROBIN WRIGHT, LONDON1986 .

ثالثاً : الوثائق الأجنبية من الأرشيف البريطاني :

1- FO.371 - 4147
2- E 12852
3-E20868
4- FO 371/4147
5- FO. 416/16
6- FO. 416/20
7- FO. 78/5252
8- E. 55332
9- FO. 371/345
10- FO. 424/216
11- FO. 371/1820. E 29150
12- FO.371/1820
13- E 35392
14- FO. 371/3044
15- FO. 371/1820. E 22076
16- FO. 371/1820/ E 22290
17- FO. 371/1820/ E. 23513
18- FO. 371/1820/ E. 28327
19- FO. 371/1820/ E. 24878
20- FO. 371/1820/ E. 25792
21- FO. 371/1820/ E. 32590

22- E. 30696
23- FO. 371/ 1820/ E. 39571
24- FO. 371/1820/ E.25778
25- FO. 371/2123
26- FO. 371/2123/ E12320
27- FO. 371/2124/ E28966
28- FO. 371/2123/ E22424
29- FO. 371/3044/ E35392
30- FO. 371/3044/ E18123
31- FO. 371/2123 - E/750
32- FO. 371/2123/ E18193
33- FO. 371/2124- E25950
34- FO. 371/2123/ 2144
35- E 28368
36- FO. 371/2124- E 34347
37- FO. 371/2124- E 31123
38- FO. 371/2769- E 236112
39- FO. 371/2044- E 35392
40- FO. 371/2123/ E 10244
41- FO. 371/2123/ E 10569
42- I.O.RR/15/5/25 NO.C-41 OF 1914
43- E 57141
44- FO. 371/3044 (E35392)
45- FO. 371/2479
46- FO. 2479 E 9973
47- E 6289/9/44
48- FO. 371/5261. E 8538
49- E 1380/1/90
50- E 5776/1/90
51- E 5264/62/25
52- E 6693/884/91, E 7560/884/91
53- E 185/185/25
54- E 1780/884/91
55- FO. 406/60 (E 4499)
56- FO. 371/7721 (E 8918)
57- E 10914

58- E 11004
59-FO. 371/18947
60- E 8476
61- FO. 371/8942
62- FO. 371/10809/ E 5107
63- FO. 371/10810 (E 6647)
64- E 2429/680/25
65- E 3714
66- E 5083/644/91
67- E 5035/4173/25
68- FO. 371/14482
69- FO. 371/14481 (E 15191)
70- FO. 371/15301 (E 4483)
71- FO. 371/1530/ (E 4173)
72- E 6289
73- FO. 371-2140 E 55472
74- FO. 371- 8954 E 4268
75- E 2485
76- E 2578
77- E 57761-1-91
78- E 3267- 1600- 25
79- E 4173 - 25
80- 4597- 1600- 25
81- E 166- 62- 25
82- E 1668- 381- 91
83- E 2429- 680- 25
84- E 5799- 2064- 25
85- E 884- 91
86- E 5680- 2227- 25
87- E 6693- 884- 91
88- E 2227- 25
89- E 2338- 25
90- E 2782- 196- 25
91- FO. 371- 2766B
92- FO. 371- 13012 E 1336
93- E 12852

94- E 10403- 678- 91
95- E 3126- 3126- 25
96- ES 1015- 7
97- ES 1015- 4- B
98-ES 1015- 4- A
99- ES 1015- 5
100- ES 1015- 9
101- ES 1015
102- ES 1015- 16
103- ES 1015- 10
104- ES 1015- 24
105- ES 1015- 17
106- ES 1015- 13
107- ES 1015- 22
108- ES 1015- 21
109- ES 1015- 13- A
110- ES 1015-

الفهرس

الاحتلال (١٩١٣م) ٧
صراع من أجل الحل السياسي..... ٥٧
الحرب العالمية الأولى وثورة العجمان
في الأحســاء ٨٩
الشيعة والاخوان (١٩١٥ ـ ١٩٣٠م) ١٢٩
شيعة المملكة والفتنة الطائفية
في البحرين (١٩٢٣م) ١٧١
تدمير الآثار التاريخية في الأماكن المقدسة ٢٠٣
الأوضاع الاقتصادية في الأحساء
والقطيف (١٩١٣ ـ ١٩٤٠م) ٢٣٣
الشيعة في عصر النفط (١٩٣٨ ـ ١٩٩٠م)..... ٢٨٥
الشيعة ومسار العمل الوطني في المملكة ٣٧٥
ملحـق الوثائق..... ٤١٧
المراجع ٥٢٥